

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّـة لخضر - الوادي .

مديرية ما بعد التّدرّج والبحث

معهد العلوم الإسلامية

العلمي والعلاقات الخارجية

قسم أصول الدين



## المنهج العاطفي وأثره في دعوات الأنبياء

### دعوة النبي ﷺ أنموذجاً

#### - دراسة وصفية تحليلية -

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه L.M.D في العلوم الإسلامية

تخصّص: دعوة وثقافة إسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطالبة:

يوسف عبد اللاوي

زيد مليكة

#### أسماء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب    | الرتبة           | الجامعة الأصلية | الصفة   |
|-----------------|------------------|-----------------|---------|
| كمال قدة        | أستاذ تعليم عالي | جامعة الوادي    | رئيساً  |
| يوسف عبد اللاوي | أستاذ تعليم عالي | جامعة الوادي    | مؤطراً  |
| خالد حباسي      | أستاذ محاضر -أ-  | جامعة الوادي    | مناقشاً |
| معمر قول        | أستاذ محاضر -أ-  | جامعة الوادي    | مناقشاً |
| بدر الدين زواقة | أستاذ تعليم عالي | جامعة باتنة -1- | مناقشاً |
| أحمد بوسجادة    | أستاذ تعليم عالي | جامعة باتنة -1- | مناقشاً |

السّنة الجامعية: 1439-1440هـ / 2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء

- أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله تعالى ورعاهما
- إلى زوجي الفاضل " الجيلاني دبار "
- إلى كل أفراد عائلتي صغيراً وكبيراً وجميع الأقارب من تربطهم بي صلة الرحم والنسب
- إلى زملائي طلبة الدكتوراه بمعهد العلوم الإسلامية
- إلى جميع عمّال مكتبة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ومكتبة معهد العلوم الإسلامية والمكتبات الخارجية قسنطينة وباتنة والمكتبات المحليّة بالوادي وقمار والرّباح
- وإلى كل من بادرني بالنّصح والتّوجيه والدّعاء
- إلى كلّ محبّي النّبي المصطفى عليه السّلام
- إلى كلّ العاملين في حقل الدّعوة إلى الله أيّاً كانوا وأينما وجدوا
- إلى الذين يعيشون بالإسلام وللإسلام
- إلى مرابطي القدس الشّريف وأهله

## شكر وتقدير

كلمة شكرٍ لا بدَّ لي منها وأنا أنهي رسالتي العلمية أعود فيها إلى أعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع زملائي الطلبة وأساتذتي الكرام، والتزاماً مني بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] فالشُّكر موصول أولاً لله تعالى أن وفقني لبلوغ هذا المقام، كما أتوجّه من هذا المنبر بخالص شكري وعظيم امتناني إلى:

- كبد الفؤاد وقرة عيني والديّ أطال الله عمرهما أن منحاني الرّعاية والاهتمام والدّعم المتواصل منذ أن خطّيت قدماي في طلب العلم ومنذ نعومة أظفاري إلى هذا اليوم، فبفضل دعائهما نلت هذا المقام.
- كما أتقدم بشكلٍ خاص إلى زوجي الودود أن منحني الوقت والنّصح والمساعدة والصّبر لإتمام رسالتي.
- وأتقدّم بالشُّكر لفضيلة الأستاذ الدكتور "يوسف عبد اللاوي" أستاذي في سنوات المرحلة الجامعية، على تفضّله بقبول الإشراف على رسالتي، وقد حمل لواء النّصح والتّوجيه بأمانة فلم ييخل عليّ بجهد وعناية خاصّة في خدمة رسالتي متابعة بدقّة وإحكام رغم مشاغله وكثرة أعبائه.
- وبشكلٍ خاص إلى أخي ومعلّمي وأستاذي ومربيّ مراد زيد فكان له الفضل بعد الله تعالى بدعمه المعنوي والإرشادي فكان دافعاً لي أن بلغت هذا المقام بعد سنوات من التوقف عن الدّراسة دامت 12 سنة فكان لي موجّهاً وناصحاً.
- دون أن أنسى أعضاء المجلس العلمي وفريق التّكوين التّابع للدّفعة الأولى للطّور الثّالث دكتوراه دعوة وثقافة إسلامية بمعهد العلوم الإسلامية.
- إلى جميع الأساتذة الأفاضل ممّن أشاروا إليّ بالنّصح والعون والمساعدة.
- كما أتقدم بجزيل الشُّكر إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة رسالتي والعناية بها ممّا زانها وحسّنها.
- إلى كلّ من ساعدني في مراجعة البحث لغويّاً من أساتذة اللّغة.
- ودون أن أنسى من أشاروا إليّ بالدّعاء ممّن تربطني بهم صلة الرّحم والقراة والأخوة في الله.
- أسأل الله أن يجعل جميع أعمالنا خالصة له وأن يوفّقنا جميع لما يحب ويرضى وصلى الله وسلّم على نبينا محمّد وآله وصحبه أجمعين



## ملخص البحث باللغة العربية

تناولت الدراسة نموذجًا مثاليًا فذاً تمثل في شخص النبي ﷺ وطريقته في التعامل مع المدعويين بالمنهج العاطفي، ووقفْتُ في ذلك على ما لا حصر له من الأدلة والمواقف على محورية هذا المنهج في دعوته عليه الصلاة والسلام.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المنهج العاطفي والأثر الذي يحدثه من خلال دعوات الأنبياء عمومًا ودعوة النبي ﷺ على وجه التحديد، وكشف الأساليب والوسائل والطرق التي ساهمت في تحديد طبيعة التعامل النبوي الذي كان في قمة السلوك الإنساني وأرقى الأساليب المؤثرة، والذي يمكن الداعية المقتدي من بناء قاعدة في الأخلاق والتوجيه والتربية تؤثر في محيطه وتصلح بدعوته الأمصار.

وقد خلصت الدراسة إلى استعمال النبي ﷺ شتى الاستمالات العاطفية المؤثرة لضمان استجابة أكبر عدد ممكن من المدعويين، ولم تستثن هذه الأساليب أي مجال من مجالات الدعوة عقيدةً وشرعيةً وسلوكًا.

وتوصي الدراسة بضرورة استفادة الدعاة والمؤسسات الدعوية من الكيفية والطريقة والأسلوب الذي استخدمه النبي ﷺ عاطفيًا وتكييفه بما يناسب روح العصر وواقع المدعويين.

**الكلمات المفتاحية:** المنهج العاطفي - الأثر - الدعوة إلى الله - دعوات الأنبياء - دعوة النبي ﷺ.

## Abstract

The present study dealt with the unique, exemplary model of the Prophet Mohammed (PBUH) and His emotional approach in dealing with his followers. In this regard, I have counted numerous proofs and attitudes towards the centrality of this approach in His call (Daawa).

The aim of this study is to identify this emotional approach and its effect through the calls of the prophets in general and the call of the Prophet in specific, and to discover the styles and methods that contributed to determining the nature of the prophetic dealings that were at the top of the human conduct and most prestigious methods.

This enables the preacher to construct a rule in ethics, guidance and education that influences his surroundings and bring him supporters. The study concluded that the Prophet used various emotional influences in order to ensure the maximum number of invitees, and these methods did not exclude any area of the prophetic call in terms of belief, Sharia and behaviour.

The study recommends that preachers and preaching institutions should benefit from the emotional approach used by the Prophet and adapt it to suit the spirit of the present time and the characteristics of the invitees.

**Keywords:** Emotional approach, The call to God, The Prophet's call  
The calls of the Prophets.

# الإطار المنهجي للدراسة

- 1- إشكالية الدراسة
- 2- أسباب اختيار الموضوع
- 3- أهمية الدراسة
- 4- أهداف الدراسة
- 5- تحديد مفاهيم الدراسة
- 6- الدراسات السابقة
- 7- المنهج المتبع
- 8- أدوات جمع البيانات

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بدين الهدى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأنار به سبل الخير ودروب الرِّشاد فأَمَات الكفر والضَّلالات ومحا الزَّيغ والهوى وأحيا السُّنن وأَمَات البدع وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تعتبر الدَّعوة فريضة شرعية ذات مقاصد إنسانية ومضامين اجتماعية، تصدَّرها الأنبياء عليهم السَّلام بآمالها وآلامها، ولكون هداية البشر مطلباً ربَّانياً جعل الله أنبياءه موكلين بهذه المهمة فيقول عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: 36] وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: 25].

فاختارهم على رؤوس أقوامهم دعاءً لما يمثلونه من قدوة وقدر على تحمُّل مغارمها ومغانمها، وكيف لا وهم الذين قال في شأنهم تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: 90].

ففي قصصهم وسيرهم ودعواتهم عبر وعظات لأولي الألباب، فكانوا نماذج رفيعة وراقية للسُّلوك البشري السَّوي في أعلى مستوياته، وقد نبغ كلُّ نبيٍّ بأسلوبٍ يميِّزه عن غيره كتميَّز موسى عليه السلام في دعوة آل فرعون، وإبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه، ثمَّ كان النَّبيُّ ﷺ خاتمهم، منحه الله جوانب العظمة كلّها الممكنة في الكيان البشري، فكان نبياً ورسولاً وإماماً وقائداً وزوجاً وصديقاً ومصلحاً ومربياً ومعلِّماً، بُعث في مجتمع جاهلي قدَّم لهم الدِّين بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان منهجه - ﷺ - في دعوته أن سلك مسلك الحجَّة الواضحة والحكمة والإقناع، فلم يستجب لإيذاء معارضيهِ وقابل السيِّئة بالحسنة.

فكانت أول خطوة في طريق هذا البحث أن يُعرَفَ مناهج دعوات الأنبياء عليهم السّلام، وبيان ما نجحوا فيه للوصول بدعوتهم إلى غاية التأثير والاستجابة للحقّ، فكان تاريخهم حافلاً بمواقف ناجحة صنعت نماذج وضيئة يستضيء بها كلُّ داعية على مرّ الأزمنة.

وكانت دعوة آخر الأنبياء عليهم السّلام محمد ﷺ نجم ثاقبٌ تصدّر على مستوى سماء الدّعوة، منذ بدء الرّسالات إلى غاية اليوم، فحقيق أن يعتنى بالبحث والتّقيب عن خاماته الزّاهرة من سيرته العطرة وسنته الملهمة، وأزيد إمطة اللّثام عن جانبٍ مهمّ في حياته ﷺ وهو "منهجه العاطفي في دعوته"، والذي لم يشغل حيّزاً كافياً في لدراسات الشّاملة، لذا ارتأيتُ بعد الاستخارة والاستشارة العلمية أن تكون الدّراسة في هذا الموضوع.

والتي قسّمت إلى عدّة فصول :

**الإطار المنهجي:** تطرّقت فيه إلى مختلف الخطوات المنهجية المتّبعة لتناول الموضوع من عرض الإشكالية، وأسباب اختيار الموضوع، وأهمّة وأهداف الدّراسة، مع عرض التّحديد الإصطلاحي لمختلف المفاهيم المستخدمة في البحث، والتّطرّق إلى المنهج العلمي المتّبع وأدواته وصولاً إلى بيان منهجية الدّراسة من حيث الأفكار والأسلوب وطريقة العمل، يليه **الفصل الأوّل:** والذي يتناول المنهج العاطفي ومدى ارتباطه بدعوات الأنبياء عليهم السّلام، **والفصل الثّاني:** حول أساليب المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ، وقد قسّم إلى عدّة مباحث، تناولت الأساليب بشكلٍ نظري وتطبيقي وعرض العديد من الأحاديث الواردة والمواقف التي تُدعّم الدّراسة، **والفصل الثّالث:** تناول أصناف المدعوين الذي شملتهم دعوة النّبي ﷺ خلال العهد المكي والمدني، وكيف استطاع تأليف قلوبهم على الإسلام عند استخدامه للمنهج العاطفي، **والفصل الرّابع:** الأخير خصّص لموضوعات دعوة النّبي ﷺ وتطبيقاتها وصولاً إلى التّائج والخلاصة العامّة للدّراسة والتّوصيات، فالمراجع وفهرس الآيات والأحاديث والموضوعات.

وللتّعريف بموضوع هذا البحث لابدّ من الوقوف على العناصر الآتية:

### 1- إشكالية الدّراسة

لما كانت الدّعوة إلى الله سبيلاً لإقامة دعائم التّوحيد ونبد الشرك والكفر وإرساء القيم الفاضلة، فإنّ عظم المسؤولية المنوطة بالأنبياء عليهم السّلام تقتضي منهم ضرورة التّحلي بالصّبر والحلم

والصدق، فاستخدموا لأجل ذلك مناهج دعوية متعدّدة في تبليغ هذه الرسالة، وكان المنهج العاطفي أحد هذه المناهج المؤثرة، يركز أساسًا على القلب يحرك الشعور ويشير الوجدان عبر أساليب عاطفية متعدّدة فيها من التّيسيط والبيان واليسر والسّماحة كلّ الاعتبار.

وكان النّبي ﷺ موروثًا ضخماً غطّى جوانب هذا الموضوع فتعدّدت مواضع استخدامه لهذا المنهج في تعاملاته وأخلاقه وأحاديثه، فأنخذ لكلّ موقفٍ أو صنف من المدعوين أساليبه المناسبة للتأثير، مراعيًا في ذلك عقولهم وعقائدهم ومشاربهم ومداركهم.

وإدراكًا لأهمية هذا المنهج في الدّعوة إلى الله يستدعي ضرورة الاستفادة منه في دعوة النّبي ﷺ وكيف استطاع تجاوز ما اعترضه في دعوته باستخدام هذا المنهج بطريقة مؤثرة وناجحة .

وعليه تتحدّد إشكالية البحث في "المنهج العاطفي وأثره في دعوة النّبي ﷺ" بأن يكون مرتكزًا ومنطلقًا لأساليب الدّعوة الإسلامية في هذا العصر، والتي يمكن صياغتها من خلال التّساؤل الرّئيسي على النّحو التّالي :

- ما موقع المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ ؟
  - ما أثر المنهج في دعوة النّبي ﷺ ؟
  - كيف استخدم النّبي ﷺ هذا المنهج في إثبات العقيدة و إيضاح الأحكام وتقويم الأخلاق ؟
  - وما مجالات إستفادة الدّاعية المعاصر من هذا المنهج ؟
- ويتفرّع عن التّساؤل الرّئيسي التّساؤلات التّالية :
- ما المقصود بالمنهج العاطفي ؟
  - ما هي أساليب المنهج العاطفي وخصائصها في الدّعوة إلى الله عمومًا ودعوة النّبي ﷺ على وجه الخصوص؟

- ما هي فضائل المنهج العاطفي الواردة في دعوة النّبي ﷺ ؟
- ما هي مجالات ومعالم المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ ؟
- كيف أبرز المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ ؟
- من هم أصناف المدعوين بالمنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ ؟

لذا تعدّ الإجابة على هذه التّساؤلات - ذات الأهمية البالغة - محاولة كشفٍ عن أصل هذا الموضوع لبلوغ القارئ إلى إثبات المعالم الكبرى لدعوة النّبي ﷺ، والوصول به إلى معرفة الطّرق والأساليب والوسائل الموصولة إلى التأثير والإقناع.

## 2- أسباب اختيار الموضوع

لقد لمست الحاجة الماسة إلى دراسة هذا الموضوع للإرتباط العاطفي بشخصية النبي ﷺ، والميل الشديد لمعرفة تفاصيل منهجه الدعوي، حيث شغلت وقتاً كبيراً من خلال مطالعتي لكتب السنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة، الزاخرة بكنوز هائلة من فنون التعامل وآداب العلاقات مع الناس، فبرز في كل تفاصيل حياته العنصر الأخلاقي المؤثر وصور التعامل مع كل الأحداث بأجمع أسلوب، ودراستي تحظى بالتعمق في دعوته ﷺ، ولا سيما بالوقوف على أحد المناهج الدعوية المؤثرة، التي شغلت حيزاً كبيراً من الأحاديث الواردة والمواقف الدالة.

ولدعوة النبي ﷺ أساليب عاطفية حكيمة، انعكست على تعاملاته مع المحيطين به، فيها من التبسيط والبيان واليسر والسماحة كل الاعتبار، حيث اتخذ لكل موقف أو صنف من المدعويين أساليبه المناسبة للتأثير، مراعيًا في ذلك عقولهم وعقائدهم ومشاربهم ومداركهم كما سيوضح ذلك من خلال فصول الدراسة المقبلة.

ومما تقدم في بيان نوع الدراسة كانت أسباب اختياري لهذا الموضوع كالاتي:

### أ- أسباب ذاتية

- من الأهداف والأمنيات أن يكون موضوع دراستي خوضاً في بحر الفضائل من أكرم الدعوات كدعوة النبي ﷺ واكتشاف مواقفه الراقية.
- حبي لرسول الله ﷺ والتأثر الشديد للمواقف التي سمعتها وقرأتها على صفحات الكتب المتخصصة والدروس الصوتية المسجلة في سلسلة حلقات حول حياة النبي ﷺ كنت أتابعها.
- الرغبة الشخصية في دراسة دعوة النبي ﷺ وما يتميز به من اللين والرفق والرحمة في أسلوبه ومعاملاته.
- ارتباط الدراسة بالتخصص العلمي.
- حدة الموضوع وابتكاره وأنه في حدود علمي لم يدرس دراسة علمية متخصصة.

### ب- أسباب موضوعية

- أمر الله بمخاطبة المدعويين يثير عواطفهم ويرقق قلوبهم ويفتح أفقها ويحرك بذرة الإيمان من حيث كونه فطرة والخطاب في الآية: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ [طه: 44]، موجّه إلى فرعون الذي غلف قلبه الكبر، فيكون الين مفتاحاً لترقيق قلبه لإحياء بذرة الإيمان فيه، تهيئة له لتلقي الخطاب،

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، إِنَّ هذا المنهج يتعامل مع الأنواع المختلفة للمدعوين، حيثُ أَنَّهُ يخاطب المسلم فيزداد إيمانًا ويخاطب غير المسلم لإقامة الحجّة عليه، والدّاعية عليه أَن يكون حكيماً في إختيار المواقف والأساليب النبويّة بما يناسب حال المدعوين ويلائم طباعهم ووجهتهم.

- لقد كانت الفكرة الأساسية لهذه الدّراسة تقديم منهج في الدّعوة من خلال دعوة النّبي ﷺ ومنهجه الرّاقى، لهذا إقتصرت على بعض الأحاديث والمواقف والأساليب المستنبطة من منهجه للكشف عن جماليات دعوته ﷺ ورقائقه الدّعوية المتّسمة بالعواطف.
- ضرورة دراسة المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ واتّخاذ معلماً سديداً يستعين به الدّعاة في العصر الرّاهن.

### 3- أهميّة الدّراسة

- تبرز أهميّة الموضوع في كونه على اتّصالٍ وثيق بالسّيرة النبوية التي يستطيع من خلالها الدّاعية أن يقدم الدّلائل المقنعة لقضيّة ما أو واقعة معيّنة، وقد جمعت دعوته ﷺ ثروة قوليّة وفعليّة وعملية ضخمة، فقد كان عليه الصّلاة والسّلام يستخدم مناهج دعويّة متعدّدة ومتنوّعة توافق نوعية الموضوع وطبيعة المدعوين منها العقلي والعاطفي والحسّي، وهذه الدّراسة تبرز أحد هذه المناهج التي إستخدمها النّبي ﷺ وكان لها الأثر الكبير في نجاحها متمثّلة في المنهج العاطفي.
- المنهج العاطفي ملازم ومتداخل مع المناهج الأخرى العقلية والحسّي، والتي أحياناً يجمع منهجين في موقف ما.
  - الدّعوة تحتاج إلى تحريك القلوب نحو الإيمان، وهذا ما يحتاج إلى خبرة والإستفادة من تجارب الأنبياء بما فيهم النّبي ﷺ تحديداً.
  - المنهج العاطفي لما له من تأثير في النّفس البشريّة يعدُّ أهمّ عوامل الإقناع والتّأثير، وقد أرسى الأنبياء عليهم السّلام هذا المنهج فكانت ملأ بالمواقف فنجد دعوة النّبي ﷺ مدرسة لتربية العواطف جنت ثمارها بمجرد الوصول إلى قلوب النّاس فكانت الإستجابة.
  - المنهج العاطفي جدير أَن تتوجّه إليه أقلام الباحثين بالدّراسة و التّحليل، فقد تضمّنت نصوص السّنة والسّيرة النبوية أساليب شتى.



- هذه الدراسة تبين جانبًا مهمًا من جوانب الأساليب الدعوية، فهي تعرض نموذجًا مثاليًا في استخدام المنهج العاطفي تجسدت في شخصية النبي محمد ﷺ وطريقة تعامله مع كافة أصناف المدعوين المختلفة عقائدهم وأهوائهم فهم يحتاجون إلى هذا المنهج الذي يسوقهم للإيمان بالله تعالى.
- تدعم هذه الدراسة المؤسسات التربوية والإطارات البشرية والمجتمع عمومًا بطريقة استخدام أساليب المنهج العاطفي المستنبطة من سيرة النبي ﷺ ومواقفه.
- تكمن أهمية هذه الدراسة في كثرة المواقف الواردة والتي نالت حظًا وافرًا من الأساليب، مما يدل على عمق السنة والسيرة النبوية بالمادة العلمية والدعوية التي تحويها، وسعة هذا المنهج في الدعوة إلى الله عمومًا ودعوة النبي ﷺ على وجه الخصوص.

#### 4- أهداف الدراسة

سأحاول إن شاء الله من خلال هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية :

- تهدف الدراسة إلى بيان الهدي النبوي في تحديد طبيعة التعامل مع المدعو لاستمالاته وإقناعه بالرأي من خلال الأساليب البارزة للمنهج العاطفي.
- تسليط الضوء على دراسة المنهج العاطفي وأثره في دعوة النبي ﷺ وبيان كمال دعوته.
- الإسهام في بيان طريقة استخدام المنهج العاطفي في الدعوة عمومًا ودعوة النبي ﷺ تحديدًا، والآثار المترتبة عليه.
- بيان أهمية هذا المنهج في دعوة المسلمين وغير المسلمين في زمن النبي ﷺ وما يجب أن يكون عليه الدعاة في عصرنا الحاضر.
- تزويد طلبة العلم والدعاة بمنهج علمي يوضح طريقًا صحيحًا من طرق الدعوة إلى الله من خلال السنة والسيرة النبوية، لأن الدعاة اليوم أحوج إلى معرفة هذا الطريق لكسب استمالة المدعوين لأحكام وشرائع الدين.
- تسهم الدراسة إن شاء الله في إثراء المكتبة بوجه عام، والمكتبة الحديثية بوجه خاص بدراسة هي أقرب إلى التفسير الموضوعي من زاوية دعوية.
- تهدف الدراسة إلى بيان كمال منهج الإسلام في دعوة الناس من خلال المنهج العاطفي.

- تهدف الدراسة لسدّ ثغرة لم تنل العناية اللازمة من الباحثين، ولم تتوجّه نحوها كتاباتهم كما يجب في تقديري.

### 5- تحديد مفاهيم الدراسة

يعتبر هذا العنصر تعريفاً بمصطلحات الدراسة، لأنّ التعريف يحدّد مسار العمل ويوضّح موضوع الدراسة، ويضع الباحث والقارئ معاً في جوّ الموضوع وأهمّيته، وهو ما يحرص عليه الباحثون - عند معالجة البحوث والدراسات الأكاديمية - أن يبدؤوا أولى دراساتهم في كلّ فنّ بتعريف الموضوع الذي يُراد دراسته.

والمصطلحات الواردة في الدراسات الدعوية عموماً تحتاج إلى تعريف وتحديد، لما له أهمّية في دراسة علوم الدعوة وأبحاثها، لأنّه يرسم الطّريق في الكلمات التي هي عنوان البحث، ولأنّه يفيد في أداء عدّة وظائف هامة منها: ما ذكره عالم الاجتماع روبرت ميرتون(\*) بالقول: (إنّ تحديد المفاهيم الأساسية للبحث يعدّ مسألة مهمّة وحاسمة في البحوث، تساعد على توضيح المعطيات التي تندرج تحت المفهوم وإزالة كثير من الغموض)<sup>(1)</sup>.

وحين تأملتُ في عنوان الدراسة وجدت ضرورة الحاجة إلى تعريف مصطلحاته، ليتمكّن القارئ من فهم مركّبات العنوان ودلالاته فيسهلُ عليه - بعد ذلك - دراسة المضمون بأريحية. وعليه استقرّ الرّأي على أن يُكتفى بذكر ماله علاقة مباشرة بالدراسة، بالتركيز على المصطلحات الأساسية: -المنهج العاطفي كلياً -، - والدعوة إلى الله-.

---

(\*) - روبرت ميرتون: عالم اجتماع أمريكي من رواد النّظرية البنائية الوظيفيّة المعاصرة ولد 1910 وتوفيّ 2003م، ولد بعد العالم بارسونز بـ 8 سنوات، وعاش بعده ما يقارب 21 سنة، أسهم من خلال جهوده في تطوير الكثير من المفاهيم في البنائية الوظيفيّة، نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد 1936م والتحق بهيئة التدريس في جامعة كولومبيا 1941م، وأصبح أستاذاً بها سنة 1947م (يُنظر: سمير نعيم أحمد، النّظرية في علم الاجتماع، دار المعارف، ط5، 1985م)، ص 33. و(بحث النّظرية السيسولوجية الحديثة، السنة الثّانية علم الاجتماع pdf، 2016/2015م، ص 1.

(1) - Merton, R., Social theory and social structure U.S.A, The free press of Glencoe 1951, Page 7.

## 5-1: مفهوم المنهج العاطفي

يلاحظُ أنَّ عبارة "المنهج العاطفي" صفة وموصوف، يتكوَّن من مفردتين "المنهج"، "العاطفة" وللوقوف على المفهوم اللَّقبي لهذا المركَّب لابدَّ أولاً من تعريف لكلِّ واحدٍ من هذه المفردات من الناحية اللُّغوية والاصطلاحية.

### أ- مفهوم المنهج

كلمة "المنهج" من المصطلحات التي نشأت في الآونة الأخيرة، تتردَّد بكثرة على ألسنة كثيرة، فنسمع مثلاً: مناهج التَّعليم، وفي مجال آخر كقول: منهج المؤلِّف أو الباحث في كتابه أو رسالته العلميَّة، وكذلك ما يعرف بالمنهج التَّجريبي وغيرها من مناهج البحث العلمي، ومن خلال هذه النَّافذة سأحاول تسليط الضَّوء على هذا المصطلح المعاصر في مجال الدَّعوة بقدر من الطَّاقة والجهد انطلاقةً بالمفهوم اللُّغوي وهو كالآتي :

#### – لغة

– يعرِّفه العلامة ابنُ منظور في "لسان العرب" بالقول: (المنهاج كالمنهج، ويعني الطَّريق البَيِّن الواضح، يقال: أُنْهِجَ الطَّريق إذا وُضِحَ واسْتَبَانَ وصار نَهْجًا بَيِّنًا، يقول الشَّاعر يزيد بنُ حذاق العبدي: وقد أضاء الطَّريق وأنْهِجَتْ سبل المكارم والهدى، تعدى، أي: تعين وتقوي)<sup>(1)</sup>.

#### – اصطلاحاً

تعدَّدت مفاهيم "المنهج" من الناحية الاصطلاحية وتنوَّعت من حيث العلوم والتَّخصُّصات، كتب فيه كثير من الباحثين والمفكرين والدُّعاة والعلماء، فكانت المفاهيم متقاربة ومتوحدة يمكن إيجاز بعض ما كتبه من أهل الاختصاص كالآتي :

### • اجتهد خبراء مناهج وأصول البحث العلمي في وضع تعاريف للمنهج منها :

– عرِّفه الدُّكتور عبد الرَّحمان بدوي صاحب الكتاب المشهور "مناهج البحث العلمي" بالقول: (المنهج هو الطَّريق المؤدِّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامَّة التي تهيِّمُ على سير العقل وتحدِّد عملياته حتَّى يصل إلى نتيجة معلومة)<sup>(2)</sup> ويضيف قائلاً: (يقول علماء المناهج إنَّ كلمة المنهج لم تأخذ المعنى الاصطلاحى إلَّا في القرن 17 ميلادي)<sup>(3)</sup>.

(1) – بتصرف، ابنُ منظور، لسان العرب، مادة نهج (بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، ط2، ج14، 1418هـ)، ص-ص 300، 301.

(2) – عبد الرَّحمان بدوي، مناهج البحث العلمي (الكويت: وكالة المطبوعات، ط3، 1977م)، ص 5.

(3) – المرجع نفسه، ص 5.

- ويقول الدكتور طلعت همام مشيراً إلى أنَّ المناهج تختلف باختلاف العلوم قائلًا: (وتبعًا لاختلاف العلوم تختلف المناهج)<sup>(1)</sup>.
  - وعزّفه الدكتور أحمد بدر في كتابه "أصول البحث العلمي ومناهجه" بالقول: (هو العلم الذي يبحث في الطّريق التي يستخدمها الباحث لدراسة المشكلة والوصول إلى الحقيقة)<sup>(2)</sup>.
  - وعزّفه الدكتور علي سامي النشار في كتابه "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" بالقول: (هو طريق البحث عن الحقيقة في أيّ علم من العلوم أو في أيّ نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية)<sup>(3)</sup>.
  - ويعرّف المنهج الدكتور محمّد زيان عمر في كتابه "البحث العلمي" بالقول: (وقد حدّد العلماء المنهج بأنّه فنّ التّنظيم الصّحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لديّنا أو من أجل البرهنة عن حقيقة لا يعرفها الآخرون)<sup>(4)</sup>.
- فالمُنشغلون بمناهج البحث العلمي صنّفوا المناهج بتصنيفات مختلفة، لا يتفقون على تصنيفات محدّدة وربّما يرجع بعضهم إلى تبنيّ مناهج نموذجيّة رئيسيّة واعتبار المناهج الأخرى جزئيّة أو فرعيّة من المناهج النّمودجيّة، وقد وضع أحد علماء المناهج تصنيفات للمناهج ما يلي: الوصفي والتّاريخي والتّجريبي وقد اتّفق معه البعض إلّا أنّه أضافوا مناهج أخرى المنهج الأنثروبولوجي والفلسفي، وقسّم الدكتور عبد الرّحمان بدوي في كتابه "مناهج البحث العلمي" إلى ثلاثة الاستدلالي والاستدلالي والإستردادي والتّجريبي، وأضاف محمّد طلعت عيسى أنواع أخرى عن الذي حدّدها عبد الرّحمان البدوي وهي الإحصائي والمقارن والمسح الاجتماعي<sup>(5)</sup>.

(1) - طلعت همام، سين وجيم عن مناهج البحث العلمي (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1404هـ)، ص 6.

(2) - أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه (الكويت: وكالة المطبوعات عبد الله حرمي، 1992م)، ص 32.

(3) - علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، ط9، ج1، د، ت)، ص 35، وفريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الإسلامية (الدّار البيضاء: منشورات الفرقان، مطبعة النّجاح، ط1، 1997م)، ص 50.

(4) - المرجع نفسه، ص 50.

(5) - أحمد بدر، أصول البحث العلمي، المرجع السّابق، ص-ص 233، 239.

- تعريف المنهج عند الباحثين والدُّعاة في علم الدَّعوة فقد عرفوا المنهج بالتَّعريفات الآتية :
  - عرّفه الدُّكتور محمّد أبو الفتح البيانوني في كتابه "المدخل إلى علم الدَّعوة" بالقول: (يمكن تعريف المنهج والمنهاج في الاصطلاح بأنّه النّظام والخطّة المرسومة للشّيء)<sup>(1)</sup>.
  - ويعرّفه الدُّكتور علي جريشة في كتابه "مناهج الدَّعوة وأساليبها" بالقول: (وهو عندنا الخطّة أو التّخطيط اللازم لشيء ما)<sup>(2)</sup>.
  - وذكر الدُّكتور عبد الهادي الفضلي المنهج بالقول: (هو الطّريقة التي يتّبعها العلماء في وضع قواعد العلم وفي إستنتاج معارف على ضوء تلك القواعد)<sup>(3)</sup>.
  - وعرّفه الدُّكتور الشنقيطي بالقول: (بأنّه خطوات منظّمة يتّخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر يتبعها للوصول إلى النّتيجة)<sup>(4)</sup>.
  - وذكر صاحب كتاب "المنهج النبوي" الدُّكتور برغوث عبد العزيز فقد ذكر عن المنهج بقوله: (هو وعي على كيفية إنجاز عمل ما، وفهم الطّريق للوصول إلى غرض مطلوب وفق ترتيبات واضحة ومنظّمة)<sup>(5)</sup>.
  - ووفقاً لرؤية بعض الباحثين كما هو مبين في كتاب "فقه الدَّعوة" ل: الدُّكتور بسّام العموش المنهج: (هو رؤية واضحة متكاملة الأسس والأبعاد، تنطلق هذه الرؤية من تصوّر مذهبي متجانس لا يقتصر على الأمور بل يحاول أن يربطها ببعضها البعض بطريقة تبدو للمطلّع منسّقة ومتّزنة ومرتبّة، أو هو رؤية كلّية تحاكي التّفصيل باعتبارها أجزاء من الكل)<sup>(6)</sup>.
  - وعلى غرار المفاهيم اللّغوية والإصطلاحية السّالفة الذّكر للمنهج تبين أنّ معناه يدور حول الطّريقة أو الطّريق في أكثرها.

(1) - محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل في علم الدَّعوة (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط3، 1415هـ/1995م)، ص 45.

(2) - علي جريشة، مناهج الدَّعوة وأساليبها (المنصورة: دار الوفاء، ط1، 1407هـ/1986م)، ص 16.

(3) - عبد الهادي الفضلي، خلاصة المنطق (مطبعة الأدب، ط1، 1385هـ)، ص 123.

(4) - محمّد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرّسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب (جدة: دار القبله للثقافة الإسلامية، ط1، 1413هـ/1992م)، ص 17.

(5) - برغوث عبد العزيز مبارك، المنهج النبوي والتّغيير (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1415هـ/1995م)، ص 80.

(6) - بسّام العموش، فقه الدَّعوة (الأردن: دار النّفائس للنّشر والتّوزيع، ط1، 2005م)، ص-ص 173، 174.

وبما أنَّ الدِّراسة بصدد الحديث عن المنهج في الدَّعوة إلى الله فينبغي أن يكون تعريف المنهج له صلة بعلم الدَّعوة، وبالرجوع إلى كتاب الدكتور محمَّد أبو الفتح البيانوني الذي أضاف لكلمة مناهج مصطلح الدَّعوة أطلق عليها "بمناهج الدَّعوة" والتي عرَّفها بالقول أنَّها: (نظم الدَّعوة وخططها المرسومة لها من حيث واضعها وموضعها وطبيعتها وركائزها)<sup>(1)</sup>.

ومن خلال ما سبق بعد عرض المعاني الإصطلاحية عند علماء المناهج وأصول البحث العلمي، وجدتُ تقارباً في معناها عند علماء الدَّعوة، إذ جميعهم يشتركون في أنَّها: "الطَّرِيق الواضح"، "التَّخطيط" فكلاهما مكملٌ لبعضهما البعض، فالتَّخطيط يساعد في إختيار طرق الدَّعوة المناسبة والملائمة لكلِّ داعية بحسب قدراته وإمكاناته والمتوافقة مع طبيعة الأهداف المرسومة لها.

**أما المفهوم الإجرائي المختار هو:** مناهج الدَّعوة هي الخطط التي تساهم في إختيار طرق الدَّعوة المناسبة وخطواتها اللازمة لها، تحقيقاً للأثر المتوخى من وراء الجهد الدعوي.

#### • مفهوم المنهج في دعوة النَّبي ﷺ

مفهوم المنهج في دعوة النَّبي ﷺ حسب ما وضعه الدكتور الطَّيِّب برغوث في دراسة حول "منهج النَّبي ﷺ في حماية الدَّعوة" بأنَّه: (الكيفيات العمليَّة المنظَّمة التي كان النَّبيُّ ﷺ يعرض بها الإسلام على النَّاس، ويواجه بها مشكلات الواقع والدَّعوة، ويحرِّك بواسطتها الأحداث من حوله بما يضمن حماية المحتوى الرِّسالي لدعوته، ويحافظ على منجزاتها ويحقِّق أهدافها في الخلق)<sup>(2)</sup>.

وقد وضع الدكتور سليمان بنُ قاسم العيد تعريفاً للمنهاج النَّبوي في الدَّعوة إلى الله تعالى بالقول: (هو الطَّرِيق الواضح السَّهل الذي سلكه النَّبيُّ ﷺ في دعوته، وقد حرص النَّبيُّ ﷺ أن يسير صحابته على منهاجه، فرسم لهم منهاج ووضَّح لهم الطَّرِيق وأمرهم بإتباعه)<sup>(3)</sup>.

من خلال تبُّعي للفظه "منهج" أو "منهاج" في المعاجم والقواميس تبَيَّن أنَّها وُرِدَت بمعنى: الطَّرِيق الواضح، مثلما ثبت دليلها من القرآن الكريم والسَّنة النَّبوية.

(1) - محمَّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 195.

(2) - الطَّيِّب برغوث، منهج النَّبي ﷺ في حماية الدَّعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكيَّة (المعهد العالي للفكر الإسلامي، 1996م)، ص 69.

(3) - سليمان بن قاسم العيد، منهاج النَّبوي في دعوة الشُّباب، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمَّد بن سعود، كُلية الدعوة والإعلام، قسم الدَّعوة والإحتساب، 1411هـ/1991م، ص 1.

• لفظة "المنهج" من خلال القرآن والسنة

- لفظة المنهج في القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] يذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لكلمة منهجاً بالقول: (أما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح، يقال منه: هو طريق نهج ومنهج بين، كما قال الزجاج: من يك في شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج. فمعنى الكلام لكل قوم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤتمه وسبيلاً واضحاً يعمل به)<sup>(1)</sup>.

ويذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في شرحه للمعنى في الآية: (كلمة شريعة ومنهاج أي: سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة، وسنة أي: طريقاً ومسلماً واضحاً بيناً)<sup>(2)</sup>.

ويقول بعضهم ما جاء في "تفسير الخازن" بالقول: (لفهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرار للتأكيد والمراد بهما الدين، وقال آخرون: بينهما فرق لطيف، وهو أن الشريعة هي التي أمر الله بها عباده، والمنهاج الطريق الواضح المؤدي إلى الشريعة)<sup>(3)</sup>.

ويقول الإمام الزجاج رحمه الله في "تفسير السمرقندي": (الشريعة الدين، والمنهاج الطريق، وقد قيل هما شيء واحد، وهو الطريق ... جعلنا لكل نبي شريعة، والإيمان واحد ولم يختلف الرسل في الإيمان، ولما اختلفوا في الشرائع، قال القتيبي: والشريعة والشريعة واحد يعني السنة)<sup>(4)</sup>.

وجاء في تفسير الشيخ العثيمين رحمه الله في بيانه للفظ منهج بالقول: (المنهاج بمعنى: الطريق الواضح السهل، والسنة هي الطرائق وفي تفسيره للآية: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والمنهاج ما يُنهج، وأصله الطريق، فكل أمة لها شريعة تناسب حالها ومكانها وزمانها ومنهاج تسلكه، إما الكفر أو الإيمان، فالفرق بين الشريعة والمنهاج أن الشريعة هي شريعة الله

(1) - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: دار هجر، مج 3، ط 1، 1422هـ/2001م)، ص 393.

(2) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مج 9، 1419هـ)، ص 118. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ج 3، ط 1، 1418هـ/1997م)، ص 129.

(3) - علاء الدين الخازن، تفسير الخازن، كتاب التأويل في معاني التنزيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، 1415هـ)، ص 51.

(4) - يُنظر: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية ط 1، 1413هـ/1993م)، ص 441.

وهي ثابتة، والمنهاج هو التمسك بالشرعية وعدمه فهو سلوك المرسل إليه، ونَهَجُه يعني قد يؤمن وقد يكفر ولهذا يقال: نَحَج فلان، أي: سَلِمَ مسلكه فكل أمة هكذا، فشرائع اليهود والنصارى مناسبة لحالهم وزمانهم وشرعية محمد ﷺ مناسبة لكل أمة في كل زمان ومكان<sup>(1)</sup>.

### - لفظة المنهج من السنة المطهرة

روي الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»<sup>(2)</sup> فكلمة منهاج واضحة في ظاهر الحديث، وسياق الكلام أن معناه الطريق.

وقد وردت كلمة منهاج عند الصحابة رضي الله عنهم، ما ذكره الإمام القاضي عياض رحمه الله أن الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة، ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبداً، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة، ذكر الله في نفسه فاقشعر جلدُهُ من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريحٌ شديدة فتحاتت<sup>(\*)</sup> عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياهم كما تحاتت عن الشجرة ورقها، وإن اقتصداداً في سبيل وسنة خير من اجتهد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهداداً أو اقتصداداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم»<sup>(3)</sup>.

(1) - يُنظَر: العنمين، تفسير القرآن العظيم، سورة المائدة (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1435هـ)، ص-ص 431، 432.

(2) - أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مسند الكوفيين، رقم الحديث 18406 (مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م)، ص 355. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه داود بن إبراهيم الواسطي، ووثقه الطيالسي وابن حبان وباقي رجاله محتج بهم في الصحيح، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث 5 (مكتبة المعارف، ط1، ج1، 1415هـ)، ص 34.

(\*) - تحاتت: أي تساقط (أبو داود السجستاني، كتاب الزهد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، رقم الحديث 199 (حلوان: دار المشكاة للنشر والتوزيع، ط1، ج1، 1414هـ/1993م)، ص 182.

(3) - المرجع نفسه، رقم الحديث 189، ص 183، وقال الهيثمي في المجمع رواه عبد الله والطبراني ورجالهما رجال صحيح وهو حديث صحيح، ورواه أبو داود والطيالسي في مسنده (548) من طريق أبو الأشهب عن أبي موقفاً، والقاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (دار الكتب العلمية، د، ط، ج2، د، ت)، ص 15.



وفي الحديث ما رواه عبد الله بن سلام رضي الله عنه: «أني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي: قم، فأخذ بيدي فانطلقت معه قال: فإذا أنا بجواد عن شمالي، قال: فأخذت لآخذ فيها فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال، فقال: فإذا جواد منهج على يميني فقال لي: خذ هاهنا، فقال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال: أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال، قال: وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين»<sup>(1)</sup> وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت خيراً أما المنهج العظيم فالخشر»<sup>(2)</sup>.

## 5-2: مفهوم العاطفة

يتبادر إلى أذهان الكثير مفهوم العاطفة على أنه الحب وما تحمل هذه المفردة من صور دلالية ذهنية، إلا أن الباحثين وعلماء النفس حصروها بمفهوم المشاعر والدوافع والإنفعالات، ولكن مفهومها في الإسلام حسب ما ثبتته الآيات والأحاديث شملت صفات ودلالات كثيرة للجانب العاطفي. ولزيادة بيان مفهوم العاطفة يأتي تفصيل لمعناها اللغوي والإصطلاحي كالآتي :

### أ- لغة

- لفظة العاطفة في اللغة جاءت متعددة وكثيرة، إلا أنني إقتصرت على بعضها :
- عرّفها العلامة ابن منظور في "لسان العرب" بالقول: (العطف لغة: نقول عطف عطفًا، انصرف، رجل عاطف وعطوف عائد بفضلته حسن الخلق)<sup>(3)</sup>.
- ويعرفها عالم اللغة لويس معلوف في "المنجد في اللغة" بالقول: (العاطفة هي بمعنى الشفقة)<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه، رقم الحديث 150، ص 1932.

(2) - أخرجه أحمد في مسنده، حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، 23680، ص ص 122، 123. وقال: إسناده صحيح، وفي سنن ابن ماجه، كتاب التعبير والرؤيا، رقم الحديث 3920، ص 350. وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب التعبير، باب صعود الجبل الزلق، رقم الحديث 7586 (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، ج 7، 1421هـ/2001م)، ص 107.

(3) - ابن منظور، لسان العرب، مادة عطف، ج 9، المصدر السابق، ص 268.

(4) - لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة العربية والأدب والعلوم، مادة عطف (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ط 18، 1956م)، ص 513.

وكلمة العطف لها دلالات كثيرة منها: الرَّأْفَةُ/ الرَّحْمَةُ/ اللُّطْفُ/ الشَّفَقَةُ/ الرَّقَّةُ/ طيب الكلام/ العفو/ الصفح/ الإحسان/ مساعدة المحتاج/ التسامح/ الإحاء/ التواصل/ البشاشة/ البشر/ المواساة/ العشق/ الشَّوْقُ/ الموالاة<sup>(1)</sup>...

وهذه الصفات من أنبل وأتمن صفات الكمال التي إتصف بها الأنبياء عليهم السَّلام والنَّبي ﷺ خاصَّة، كان لها أثر كبير في نجاح دعوته ﷺ، فجعلها الصَّحابة رضوان الله عليهم والتَّابعين من بعده دعامة لمنابر الدَّعوة على مرَّ الأزمان.

#### ب- إصطلاحاً

نظراً لتعدد المفاهيم الإصطلاحية للعاطفة، والتي تتباين ما بين الشُّعُور والأحاسيس والدَّوافع، كان لها وجودٌ في القرآن والسَّنة المطهَّرة من حيث المفهوم والأصالة، وقد عرِّفت العاطفة عند ثلَّة من علماء النَّفس وأصحاب الفكر بتعريفات شتَّى وهي كالآتي :

#### • عند علماء النَّفس

كان لموضوع العاطفة جانب مهمُّ في العلوم النَّفسية فخصَّصوا لها دراسات وأبواب و مباحث ووضعوا لها تعريفات عديدة منها :

- العاطفة استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشُّعُور بانفعالات معيَّنة والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء<sup>(2)</sup>.

- والعاطفة تجمع عدَّة إنفعالات، وانتظامها وتركزها حول موضوع معيَّن، أو هي نوع من الاستعداد العقلي المكتسب يرتبط بموضوع خاص ويدفع الإنسان إلى القيام بأنواع من السُّلوك ترتبط بهذا الموضوع، وللعاطفة أثر كبير على السُّلوك فعاطفة الشَّفَقَةُ هي التي تدفعه إلى مساعدة الفقراء، وعاطفة الصَّدَاقَة تدفعه إلى التَّعاون واختلاف النَّاس في سلوكهم هو نتيجة لتباين عواطفهم<sup>(3)</sup>.

(1) - جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء، مقارنة سيكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها (دار الفكر العربي، ط1، 2012م)، ص 13.

(2) - يحيى الرخاوي، الأساس في الطبِّ النَّفسي ملف الوجدان واضطرابات العواطف، الفصل الخامس، إصدارات مؤسَّسة العلوم النَّفسية العربية، 2015م، ص 18.

(3) - كامل محمَّد عويضة، علم نفس الشَّخصية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ/1996م)، ص 139.

- ويعرفها الدكتور جاسم حسين المشرف في "مقاربة سيكولوجية فنية في العاطفة بعنوان العاطفة كالماء" بالقول: (هي استعداد أو ميل يدور حول فكرة أو شيء ما)<sup>(1)</sup>.
- وعرفها الدكتور معروف زريق في كتابه "علم النفس الإسلامي" بالقول: (العاطفة هي دافع تبلور حول موضوع معين جعل صاحبه يحس ببعض المشاعر تجاهه مرتكزا على فكرة ثابتة ومؤديا لسلوك معين بحيث يشكل شخصيته، ويحدد سلوكه، ويطبع حياته بطابع خاص)<sup>(2)</sup>.
- فالعاطفة ترجع إلى التجارب الذاتية إلى ما يشعر به الفرد وما يحس به في كل تصرف، فهي إذا تتعلق بمجالات المشاعر والأحاسيس وتضم حالات انفعالية مختلفة قد تكون ممتعة أو مؤلمة<sup>(3)</sup>.
- وفي تعريف آخر لها هي: شعور أليم أو سار ثابت مستقر في أعماق النفس حول شيء معين، كما رآته العين أو سمعته الأذن أو خطر على بال صاحب ذلك الشعور السار أو المؤلم، وقيل هي كل ما يعطف بالمرء ويميله إلى عمل فيه بلغة لما تنزع إليه نفسه، كعاطفة الغضب والكرم وغير ذلك، وهي ذات أثر بالغ في حياة المرء وقد تتحكم فيه بالكلية ما لم يضبطها، يقول الشاعر أحمد الزين<sup>(\*)</sup> :

إنَّ للعاطفات حكماً قوياً      ظلمه عاصفٌ بكل قوي  
كم أذلت جبار قوم وغلت      من طليق وأسلت من أبي  
كم تولى جهادها في قدس الدَّه      ر ونصَّح لعالم وني  
جاهداها بالعقل حيناً وحيناً      سخرا بعضها لقتل البغي  
وهي تقوى مع الجهاد فويل      للورى من جهادها الأبدى<sup>(4)</sup>.

(1) - جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء، مقاربة سيكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها، المرجع السابق، ص 15.

(2) - معروف زريق، علم النفس الإسلامي (دمشق: دار المعرفة، 1408هـ/1989م)، ص 60.

(3) - لوشاحي فريدة، دراسة أحلام الأطفال في ظل الحرمان الوالدي، شهادة الدكتوراه علوم في علم النفس العيادي، جامعة منتوري قسنطينة، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، 2010/2009م، ص 88.

(\*) - من مواليد 1899م تلقى علومه في الأزهر وحصل على شهادته العالية 1925م، وفي سنة 1926م عين مصححاً بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، ظلَّ بها حتى نقل إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف، وكان له جهد كبير في تحقيق الآثار الأدبية وتصحيحها وإخراجها، وقد أخرج ستة أجزاء من نهاية الأرب وإخراج الجزء الأول من أشعار الهزليين، وكان يعمل في الثاني واشترك مع الأستاذ أحمد أمين في إخراج كتاب (الأمّاع والمؤانسة) وكانت وفاته يوم الأربعاء الخامس من شهر فيفري 1947م (المنشاوي عبد المغني، ديوان أحمد الزين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1952م)، ص 10.

(4) - محمد موسى الشريف، العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية (جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ/2001م)، ص-ص 15-17.

والعاطفة شعور داخلي لا يظهر للعيان وإنما تظهره آثاره، يذكره الدكتور جاسم حسين المشرف في "كتابه العاطفة كالماء" بالقول: (إنَّ العاطفة كالقطرة ... مشاعر ... يهتُّرُ بها القلب لا يعرف كنهها لكن ترى نتائجها)<sup>(1)</sup>.

وقد كان لموضوع العاطفة وجودٌ ووصفٌ دقيقٌ في القرآن والسنة العطرة، فعن النُّعمان بن البشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تري المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(2)</sup>.

أمَّا علماء الإسلام لم يطلقوا عليها بهذا الاسم، بل كانوا يسمونها الميل أو الحب أو العشق أو الهوى، يذكر الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه "إحياء علوم الدين" يعرف الحب فيقول: (إذ المحبة عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، ثم قال: قد بينا أنَّ الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضًا وإنَّ الجمال والإحسان تارة يدرك بالصبر، وتارة يدرك بالبصيرة، والحب يتبع كل واحد منهما، وكما عرف العشق بأنه عبارة عن الميل الغالي المفرط يقصد به ميل النفس)<sup>(3)</sup>.

أمَّا الهوى فقد عرفه الإمام ابن الجوزي رحمه الله بالقول: (بأنه ميل الطبع إلى ما يلائمه)<sup>(4)</sup> وقال: (أنه أكثر ما يستعمل في الحب المذموم)<sup>(5)</sup> واستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التازعات: 40-41].

ولأهمية العاطفة في حياة الداعية إلى الله، فإنَّ الإسلام عدَّ العاطفة جزءًا أصيلاً في إيمانه لا يكتمل إلا به ولا ينمو إلا بنمائه، فالحبُّ في الله والبغض في الله من أرقى درجات الإيمان، يقول الدكتور عبد الله علوان رحمه الله معلِّقاً على "صاحب العاطفة الإيمانية" ممَّن جمعت فيهم خصلة العاطفة مع الإيمان فيقول: (إذا خطب أو تحدَّث أو دعا إلى الله رأيت الإيمان يبرق من خلال عينيه، والأحلام تشرق من تقاسيم وجهه، والصِّدْق يتحقَّق من حنانِ صوته وخشوع لهجته وإشارة يده، بل كلامه يسري في القلوب، ويبدد ظلام النفوس كما يسري الماء القراح البارد في النفوس العطشى، وكما يبدد النور الساطع موجات الظلام، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم يهتدي الخلق وبدعوتهم

(1) - جاسم حسي المشرف، العاطفة كالماء، المرجع السابق، ص 30.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة النَّاس والبهائم، رقم الحديث 6011، ص 748.

(3) - يُنظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، مج 1،

1418هـ/1998م)، ص 421.

(4) - ابن الجوزي، ذمُّ الهوى، تحقيق: خالد عبد اللطيف (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2، 1419هـ)، ص 35.

(5) - المرجع نفسه، ص 36.

يستجيب النَّاسُ وبموعظتهم تخفق القلوب وتذرف العيون، وتذكيرهم يتوب العاصي ويهتدي الضَّالُّ<sup>(1)</sup> فحريٌّ بمن كان هذا وصفه أن يكون قطبًا موجبًا تنهات عليه القلوب.

وقد وقف الإسلام من العاطفة أربعة مواقف رئيسية كالاتي :

• **تحكيم العقل في العاطفة :** فقد دعا الله أن يحكم الإنسان عقله فيما يتجه إليه بعواطفه، فقد

يكره شيئاً رغم أن فيه خيراً لحياته، وقد يحب شيئاً رغم ما فيه شرٍّ ومصائب، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ

أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216).

• **التحبيب بالنماذج الخيرة:** حاول الإسلام تحبيب ببعض النماذج الخيرة من الناس، واعتبرهم قدوة

لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: 195)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة: 222)

• **البعد عن النماذج السيئة:** نأى الإسلام عن النماذج السيئة مبيِّناً نماذج لا يُحبُّها الله، مثلاً قوله

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: 36)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190).

• **الرياضة في الحب الإلهي:** وهو أن يقوم المرء بتصفية النفس وتنقية القلب بالأوامر المحمودة

ويتخلَّى عن الصفات المذمومة، فيفتح قلبه في حبِّ الله، يحيى في ظلِّه، وينهل من فضله إلاَّ إليه، فلا يردُّ ولا يستمد عوناً إلاَّ منه<sup>(2)</sup>.

فالإسلام -توضيحاً لما سبق- يعترف بالعاطفة ويوجِّهها الوجهة الصحيحة حبًّا لله ولرسوله ﷺ

ولدينه وللمؤمنين وبغضاً وكرهاً للفسوق والعصيان<sup>(3)</sup>.

وقد وصف القرآن الكريم عاطفة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ

فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَتَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

(1) - عبد الله ناصح علوان، روحانية الداعية ( دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، مج1، 2013م)، ص 94.

(2) - معروف زريق، علم النفس الإسلامي، المرجع السابق، ص-ص 65، 66.

(3) - جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء، المرجع السابق، ص 32.

يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: 159]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٨) (\*) [التوبة: 128].

وقد تجلّت عاطفة النبي ﷺ مع المؤمنين فاصطبغوا بها خلقاً سجيّاً يسري في جنبات أرواحهم وتكشفه في الظاهر جوارحهم وتنسبط به الأسارير على تحيّاهم، فأنعم بهم من صفوة الخلق إذ يصفهم ربُّ العزّة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] وقوله:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54].

وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً على الكفار رحيماً بالأخيار، بشوشاً في وجه أخيه المؤمن<sup>(1)</sup>.

وهذا تعبيراً على سموّ العواطف ونبل المشاعر وصدق الأحاسيس التي احتوتها قلوبهم فكان العمل بها عميقاً الأثر في الدّعوة إلى الله، من إنتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله، والإسلام لم يصادر العواطف الإنسانية التي تكون لله وفي الله، ولم يعمل على قمعها بل اعتبرها من الفطرة السليمة التي قال عنها تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

روى أبو داود رحمه الله في "سننه" عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أفضل الأعمال الحبُّ في الله والبغضُ في الله»<sup>(2)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة من كنّ فيه وجدَ بهنَّ حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلاّ الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(3)</sup>.

ويقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (ليس الدّين أحكاماً جافّة، وأوامر ميّتة، إنّهُ قلب يتحرّك بالشّوق والرّغبة، يحمل صاحبه على المسارعة إلى طاعة الله وهو: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٤) [طه: 84] فكيف تتحوّل التكاليف الصّعبة إلى شيءٍ سائغٍ حلواً)<sup>(4)</sup>.

(\*) - أي: يصعبُ عليه عنّتكم وجهدكم ومعاناتكم وتعيبكم، حريصٌ على سعادتكم ونجاتكم وعزّتكم، رؤوفٌ عليكم، رحيماً بكم (المرجع نفسه، ص 32).

(1) - ابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السّابق، ص 1741.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، كتاب السنّة، باب مجانبية أهل الأهواء وبغضهم، رقم الحديث 4599 (دمشق: دار الرّسالة العالمية، ط 1، ج 7، 1430هـ/2009م)، ص 9.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث 16، ص 13.

(4) - محمّد الغزالي، الجانب العاطفي في الإسلام (مصر: شركة نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط 3، 2005م)، ص 4.

• مفهوم العاطفة عند علماء الإسلام في العصر الحديث

- عرّفها الدكتور محمد السيد الوكيل في "كتابه تقنين الدّعوة ومراحلها ومناهجها" بالقول: (العاطفة هي القوى الباطنة التي يدرك بها الإنسان ما لا يدركه شيء من الحواس كالخوف، والحزن، والفرح والرغبة، والرّهبة، فهذه أمور يدركها المرء بوجدانه، ويشعر بها في قرارة نفسه دون أن يلمسها بإحدى حواسه، ولا يعارض ذلك ظهور آثار الخوف والحزن والفرح والغضب والرّضا، وبهذا تكون العاطفة حاسّة سادسة في الإنسان فكما أنّ الحواس الخمسة تترك الإنسان متأثراً بما تحسّنه من الجمال والقبح والحرارة والبرودة، فكذلك العاطفة تترك في الإنسان أثراً بالانفعالات التي يتأثّر نحوها)<sup>(1)</sup>.

- ويعرّف محمد موسى الشريف العاطفة الإيمانية في كتابه "العاطفة الإيمانية في الأعمال الإسلامية" بالقول: (ما يحمل على جميل التّأثّر، وحسن التّجاوب، وقوّة الانطلاق، وعظم التّأثير الإيماني، فمن جُبِلَ على هذا فيا حُسن ما جُبِلَ عليه، وليس المراد تلك العاطفة الهوجاء التي تعمي وتضم وتحمّل صاحبها على التسرّع وعدم التّبصّر في العواقب، وإلى ارتكاب ما يندم عليه بعد ذلك أشدّ التّدم)<sup>(2)</sup>.

- ويذكر الشّيخ الغزالي رحمه الله في تعريفه للعاطفة في كتابه "الجانب العاطفي في الإسلام": (وأيّ عاطفة لا يصحبها تفصيل صحيح لأصول الإسلام وفروعه وعمل تام بها، فليس لها عند الله وزن، وصدق العاطفة ليس عذراً للخلط العلمي ولا للقول في دين الله بالهوى والرّأي، فإنّ الإسلام ينابيع معروفة محصورة تؤخذ أحكامه منها وحدها، ولا يؤذن لبشر التّزيد عليها أو الانتقاص منها)<sup>(3)</sup>.

وعلى غرار ما سبق تبين مفهوم العاطفة عند علماء الإسلام وعلماء النّفس متطابقة من حيث المعنى في كونها تمثّل المشاعر والأحاسيس والميول والاستعدادات النّفسية والقوى الباطنة التي لا يعرفونها كما أشار إليها بعضهم.

وأما المفهوم الإجرائي المختار هو: أنّها تعبّر عن المشاعر الوجدانية والميول والأحاسيس التي تثير الفرد تجاه موضوع معين وتحركها.

(1) - محمد السيد الوكيل، تقنين الدّعوة ومراحلها ومناهجها (دار المجتمع للنّشر والتّوزيع، ط 1، 1414هـ/1994م)، ص

(2) - محمد موسى الشريف، العاطفة الإيمانية وأهمّيّتها في الأعمال الإسلامية، المرجع السّابق، ص 8.

(3) - محمد الغزالي، الجانب العاطفي في الإسلام، المرجع السّابق، ص 10.



### 3-5: مفهوم المنهج العاطفي

اتَّفَقَ منظِّرو الدَّعوة على أَنَّ الدَّعوة إلى الله تعتمد على مناهج علميَّة دقيقة مستوحاة من التَّوجيهات الإلهية والنَّبويَّة، فذكروا المنهج العقلي والحسِّي والعاطفي، وهذا الأخير -المنهج العاطفي- معنيٌّ بالدراسة يمثِّل إنسجامًا مع طبيعة الإنسان العاطفيَّة، وعندما نلاحظ التَّوجيه القرآني للنَّبِيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 159] نستوحي أَنَّ صاحب الدَّعوة يجبُ أَنْ يستمدَّ عطفه ورحمته من خالقه فيترجمها على أرض ميدان الدَّعوة، لِنُنَّا يحرِّك العواطف، وهمسة تثير الأحاسيس، ومسحة تمسُّ المشاعر.

وعليه لم أقف في حدود الإطلاع على تعريفٍ للمنهج العاطفي في مصدرٍ أو مرجعٍ عدَّا تعريف الدكتور محمَّد أبو الفتح البيانوني في "كتابه المدخل إلى علم الدَّعوة" وهو كالآتي: (هو النِّظام الدَّعوي الذي يتركز على القلب ويحرِّك الشُّعور والوجدان<sup>(1)</sup>)، ويحرِّك المشاعر في النَّفس لكلِّ جوانب الخير، ويدفع بالعواطف والأحاسيس إلى الصِّدق وحسن التَّوجُّه إلى الله تعالى، وتعميق أواصر المحبة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا المنهج عميق الصِّلة، وثيق التَّرابط بكلِّ من المنهج الحسِّي والعقلي<sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78] فالأفئدة هي القلوب، مركز المشاعر ومنبع العواطف ومستقرُّ الأحاسيس.

وهناك تعريف آخر له حسب ما ذكره الباحث أحمد بنُّ أحمد بنُّ علي العامري في دراسته للمنهج العاطفي بأنَّه: (مجموعة الأساليب الوجدانية التي تتركز على القلب، وتحرك الشُّعور والوجدان أثناء تقديم الحقائق الدَّعوية وفق الكتاب والسنة<sup>(3)</sup>).

(1) - محمَّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 304.

(2) - أصول الدَّعوة و طرقها 2، مناهج الدَّعوة، جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة، كود المادة، IDWH3033، ج 1، ص 215.

(3) - حامد بنُّ أحمد بنُّ علي العامري، الدَّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، رسالة مقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه في الدَّعوة والإحتساب، جامعة الإمام محمَّد بنُّ سعود الإسلامية، كليَّة الدَّعوة والإعلام، ج 1، 1422هـ/1423هـ، ص 63.



وبمحاولة الرّبط بين هذه المفاهيم السّالفة الذكر يتّضح أنّ المنهج العاطفي في الدّعوة إلى الله يقوم على تحريك الشّعور والأحاسيس، وعلى التّأثير والإنفعال، وإثارة كوامن الحسّ وخبايا النّفس من رحمة ورأفة وشفقة ولين، وهذا يتطلّب من الدّاعية إلى الله أن يعرف طبيعة المدعوين، وأن يدرس أحوالهم العقليّة والنّفسيّة وظروفهم الاجتماعيّة، وأن يقف على أساليب الإقناع المثلّي.

وأما التعريف الإجرائي المختار هو: مجموعة الأساليب والنّظم والخطط والطّرق الموصلة للإقناع عن طريق تحريك الشّعور والوجدان بغية إحداث الاستجابة.

#### 4-5: مفهوم الدّعوة

إنّ علاقة الدّعوة بسيرة النّبي ﷺ علاقة ارتباط وثيقة يستلهم منها الدّاعية أساليب شتى تتناسب مع مُدْهِمَات الأحداث، كما أنّ في سير الأعلام والأنبياء -عليهم السّلام- نماذج رفيعة تترّجّع على أرضية زاخرة قد يستنجد بها الدّاعية ما أشكل عليه، وهي النّماذج العمليّة للدّعوة.

وبناء على هذا تحتلّ الدّعوة مركزاً مرموقاً في الدّراسات الحديثة يستوجب التّطرّق إلى معرفة مكنوناتها وتعريفها وهي كالآتي :

##### أ - لغة

- يعرفها العلامة الرّازي في "مختار الصّحاح" بالقول: (من الفعل دعا والدّعوة بالفتح: يقال: كنّا في دعوة فلان ومدعاة فلان وهو مصدر، والمراد بهما الدّعاء إلى الطّعام، والدّعوة من الدّعاء، ومنه دأعيه اللّبن: ما يترك في الصّرع ليُدْعَوْ ما بعده)<sup>(1)</sup>.
- ويضيف الفيّومي في "المصباح المنير" بالقول: (والجمع دعاة وداعون)<sup>(2)</sup>.
- ويُعرّفها أبو الحسين أحمد بن زكريا في "معجم مقاييس اللّغة" بالقول: (الدّال والعين والحرف المعتلّ أصل واحد، وهو أن تميل الشّيء إليك بصوت وكلام منك، تقول: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعاءً، ومنه دأعيه اللّبن: ما يترك في الصّرع ليُدْعَوْ ما بعده)<sup>(3)</sup>.

(1) - أبو بكر الرّازي، مختار الصّحاح، تحقيق: محمّد أبي ترتيب محمود خاطر، مادة دعا (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1376هـ/1957م)، ص 86.

(2) - الفيّومي، المصباح المنير، مادة دعوت (بيروت: مكتبة لبنان، 1407هـ/1987م)، ص 74.

(3) - أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السّلام هارون، مادة دعو (إيران: دار الكتب العلميّة، ج2، د، ت)، ص-ص 279، 282.

ومن المعاني اللغوية التي وقفت عليها لمصطلح الدَّعوة :

- **الإستعانة:** يقال أدع المسلمين أي: استغث بهم ومنه قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 23] أي: استغيثوا بأهلكم<sup>(1)</sup>.

- **العبادة والدُّعاء**<sup>(2)</sup> جاء هذا المعنى لكلمة الدُّعاء في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «الدُّعاء هو العبادة»<sup>(3)</sup> وقرأ الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

- **الحثّ على الشيء والسوق إليه**، كقولك دعاه إلى الأمير إذا ساقه إليه أو حثّه للذهاب إليه<sup>(4)</sup>.

- **النِّداء:** يقال دَعَا الرجل دَعْوًا ودُعَاءً أي: ناداه، ودَعَوْتَ فلانًا أي: صِحت به واستدعيتَه، ودَعَا فلانًا صاح به وناداه<sup>(5)</sup>، والذي يُوَدِّن وينادي النَّاسَ لِلصَّلَاةِ يسمَّى داعيَ الله، والنَّبِيُّ ﷺ داعي الخلق إلى التَّوْحِيدِ، قال تعالى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31].

#### ب- اصطلاحًا

مفهوم الدَّعوة في الاصطلاح كموضوع ومنهج من أوسع المفاهيم التي تناولها الباحثون والعلماء والمفكِّرون، مختلفة الألفاظ والصِّغ ومقاربة جدًّا من حيث المعنى، فجميعها تدور في فلكِ التَّبليغ، تستمدُّ شموليتها من شمولية الرِّسالة الخاتمة على صاحبها عليه أفضل الصَّلَاة وأزكى التَّسليم.

ولتحديد المفهوم الاصطلاحي للدَّعوة جرَّأها إلى ثلاثة معاني :

✓ مِنْ حَيْثُ الْإِعْلَامُ وَالتَّبْلِيغ.

✓ مِنْ حَيْثُ الْمَضْمُونُ.

✓ مِنْ حَيْثُ الْوَسِيلَةُ.

(1) - ابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم، مج1، المصدر السَّابق، ص 152.

(2) - الفيومي المقرئ، المصباح المنير، المصدر السَّابق، ص 74.

(3) - أخرجه التِّرْمِذِي فِي سننه الجامع الكبير، تحقيق: بشَّار عواد معروف، كتاب الدَّعَوَات، باب منه 3، رقم الحديث 3372 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م)، ص 386.

(4) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادَّة دعا (بيروت: دار إحياء التُّراث العربي، مؤسَّسة التَّاريخ العربي، ط3، ج4، 1419 هـ/ 1999م)، ص395.

(5) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط3، 1310هـ)، ص 104.

## – من حيث الإعلام والتبليغ

فالدعوة هي البلاغ والنشر<sup>(1)</sup>، وحث البشرية على الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية والطاعة فيما أمر والإنتهاء عما نهي، بفعل ما أمر به، وترك ما نهي عنه.

- ويعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالقول: (هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والعبد والدعوة أن يعبد ربه كأنه يراه)<sup>(2)</sup>.

هذا التعريف نجده مطابقاً لما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سأل فيه جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان، حيث يتضمن أصول الدعوة الإسلامية التي أشار إليها محمد أمين حسن وهي التوحيد والشريعة والإحسان<sup>(3)</sup>، ويصورها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما وقف أمام النجاشي فقال: «أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهليّة ... حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحّد ونعبّده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم، ونهانا عن الفواحش»<sup>(4)</sup>.

وبعد أن عرض الصحابي رضي الله عنه لصورة الجاهلية الأولى، أخذ في عرض صورة الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ، وقد وصف الله تعالى بعثته فيقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢﴾ [الجمعة: 2].

- ويعرفها الدكتور رؤوف شلي فيقول: (الدعوة الإسلامية هي حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم)<sup>(5)</sup> وهذا يدلّ أنّ الدعوة إلى الله حركة دائمة ومستمرّة، لا تعرف

(1) – أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية (القاهرة: دار الكتب المصري، ط2، 1407هـ/1987م)، ص 12.

(2) – ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د، ط، مج 15، 1425هـ/2004م)، ص 157.

(3) – محمد أمين حسن محمد بني عامر، من فقه الدعوة أساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة، الداعية، المدعو) (جامعة اليرموك، 1999م)، ص 5.

(4) – سيرة ابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، د، ط، ج2، د، ت)، ص 179.

(5) – رؤوف شلي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكّي منهاجها وغاياتها (دار القلم، ط3، ج1، د، ت)، ص 32.

اليأس ولا القنوط، تحاول قمع جميع المعوّقات وتحاول إستغلال جميع الأسباب من أجل الوصول إلى الهدف<sup>(1)</sup>.

- وعرفها الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد بالقول: (بأنّها إبلاغ النَّاس دعوة الإسلام في كلّ زمان ومكان، بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين)<sup>(2)</sup>.
- وعرفها الدكتور علي محفوظ في كتابه "هداية المرشدين" بأنّها: (حثّ النَّاس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)<sup>(3)</sup>.
- ويعرفها الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه "أصول الدّعوة" والذي إرتئى أن يضع مفهومًا للدّعوة بعد نظره في دراسة مصطلحات علم الدّعوة بالقول: (الدّعوة تبليغ الإسلام النَّاس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة)<sup>(4)</sup>.
- وعرفها الدكتور أبو بكر الرّازي في "كتابه الدّعوة إلى الإسلام" بالقول: (الدّعوة هي: قيام من له أهلية النّصح والتّوجيه السّديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان، بترغيب النَّاس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)<sup>(5)</sup>.
- ويعرفها محمّد أمين حسن في كتابه "خصائص الدّعوة الإسلامية" بالقول: (الدّعوة هي تبليغ النَّاس جميعًا دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كلّ زمان ومكان بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم)<sup>(6)</sup>.

#### - مِنْ حَيْثُ الْمَضْمُونُ

هو الإسلام الذي إرتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ ليلبّغه النَّاس<sup>(7)</sup> والتّعريفات التي تتضمّن هذا المعنى كثيرة منها :

(1) - محمّد أمين حسن محمّد بني عامر، فقه الدّعوة أساليب الدّعوة، المرجع السّابق، ص 5.

(2) - صالح بن علي أبو عرّاد، الدّعوة إلى الله من خلال الأنترنت، مقال، كلّية المعلمين في أبها، 1426هـ، ص 5.

(3) - يُنظر: علي محفوظ، هداية المرشدين (دار الإعتصام، ط9، 1399هـ/1979م)، ص 17.

(4) - محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة، المرجع السّابق، ص 40.

(5) - أبو بكر الرّازي، الدّعوة إلى الإسلام (القاهرة: مكتبة دار العروبة، د، ت)، ص 8.

(6) - محمّد أمين حسن محمّد بني عامر، من فقه الدعوة أساليب الدّعوة، المرجع السّابق، ص 9.

(7) - عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة (د، دار نشر، ط3، 1396هـ/1976م)، ص 7.

- يعرفها الدكتور أحمد غلوش في كتابه "الدعوة الإسلامية" بالقول: (الدعوة إلى الله هي النظام العام والقانون الشامل لأُمُور الحياة ومناهج السلوك الإنساني التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغه إلى الناس وما يترتب عن ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة)<sup>(1)</sup>.
- ويعرفها الدكتور رؤوف شلبي بالقول: (إنها دين الله الذي ارتضاه للعالمين تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدهم، وتكريماً لإنسانيتهم وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات)<sup>(2)</sup>.

### - من حيث الوسيلة

هو العلم الذي يهتمُ بنشر الدعوة وبلاغها إلى الناس جميعاً، وكان ممن عرّفها بهذا المعنى الدكتور أحمد غلوش بالقول: (الدعوة هي العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق)<sup>(3)</sup>.

إن هذه المفاهيم التي تتعلّق بالدعوة ليست متعارضة، بل تتفق في إعطاء صورة الإسلام الذي هو الدعوة، فجميعها تصبّ في فلك التبليغ والإعلام والدين والعلم.

**ومن الملاحظ أن مصطلح الدعوة قد نطلق عليه بأنه:** طريقٌ ومنهجٌ سلكه الأنبياء عليهم السلام جميعاً، ولا سيما النبي ﷺ، فأقام الأدلة القاطعة في إثبات رسالته، وأقام الحجّة الناصعة في حالة إنكار ما جاء به، فشمل أساليب ووسائل ارتكزت على العاطفة لمخاطبة القلوب والمشاعر والأحاسيس بالحكمة والموعظة الحسنة والمعاهدة والصّلح والتأليف وغيرها.

**وأما ما يتعلّق بالمفهوم الإجرائي المختار هو:** تبليغ الدين للناس عامّة في أيّ زمانٍ ومكان من له أهلية التبليغ، وبشئى الطرق والأساليب والوسائل التي ترعّبهم في الدين اقتفاءً بأثر النبي ﷺ والتأسيّ به قولاً وعملاً وسلوكاً، وهي تجمع كافة الدعاة اليوم على قدر طاقتهم وأصناف مدعويهم.

وفي عموم المفاهيم السّالفة والمتعلّقة بالمنهج - الذي يعتبر طريق سيرورة الدعوة النّاجعة - ذكر الدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - في محاضرة ألقاها - مفهوم شامل للدعوة ومدى ارتباطها بالمنهج فقال: (فالدعوة هي السبيل، وهي النهج، وهي الطريق الذي لا بدّ منه، وهي عبادة عظيمة من العبادات التي يتقرّب بها إلى الله تعالى عبادة متعدّية النّفع، نفعها لا يقتصر على صاحبها بل

(1) - أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص 13.

(2) - رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغاياتها، المرجع السابق، ص 23.

(3) - أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص 14.

يتعدى نفعها إلى المدعو، والدعوة لاشكَّ أنَّها أسلوب تحتاج إلى طريق، وهذا ما جعل القرآن فيه آيات كثيرة تبين هذا المنهاج وهذا المنهج لأن الشرائع مختلفة والمنهاج متنوع<sup>(1)</sup>.

## 6- الدراسات السابقة

لقد كتب في موضوع المنهج العاطفي كثيرون، وكانت هناك مجهودات قام بها مجموعة من الدعاة والباحثين وعلماء الدعوة، حيث تناول كلُّ منهم الموضوع من زوايا معينة تخدم غرضه، ودون شكَّ فقد استعنت ببعض المجهودات واستفدت منها الكثير محاولة جمع شتات مادة البحث من بين صفحات هذه المجهودات في البحوث والدراسات والكتب حتى تجتمع في الدراسة وكل ما يهم الموضوع.

فالدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة متباينة، منها ما أفرد له مبحث خاص، ومنهم من أفرد له فصلاً كاملاً كما فعل الدكتور البيانوني، ومنهم من ألّف حوله رسائل ماجستير ودكتوراه، فلم تُسعف دراستي في الحصول إلا على بعضها رغم البحث والإطلاع، ومن هذه الدراسات والتي قسّمتها إلى قسمين :

### أولاً: الكتب

1- "المدخل إلى علم الدعوة" للدكتور "محمد أبو الفتح البيانوني" خصّص فصلاً كاملاً عن المناهج الدعوية من خلال ثلاث مباحث من صفحة 195 إلى صفحة 240.

المبحث الأول: تعريف المناهج وأهدافها.

المبحث الثاني: التعريف بالمناهج الثلاث العقلي والعاطفي والحسي.

المبحث الثالث: الملامح العامة للمناهج وخصائصها.

يلتقي الكتاب مع الدراسة الحالية ما كتب عن المنهج العاطفي من أجزاء تتعلق بالمفهوم والخصائص والأساليب وأصناف المدعويين والتعريف بالمنهج من خلال المبحث الأول والثاني استعنت بها في وضع خطة الدراسة، فتوسّعت الدراسة الحالية من حيث مفهوم المنهج العاطفي بلفظه المنهج والعاطفة والأهمية، والتطرق إلى جزئية تحدّث عن العلاقة التداخلية والتلازمية بين المنهج العاطفي والمناهج الأخرى في كون عدم استغناء المنهج العاطفي عن المناهج الأخرى في بعض المواقف، كما

(1) - صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، محاضرة بعنوان تأصيل المناهج الدعوية في ضوء الكتاب والسنة، pdf، المملكة السعودية،

استوفت بأقوال العلماء والدعاة والباحثين من مختلف التخصصات فكانت تطبيقية بإسقاط المنهج العاطفي في دعوة النبي ﷺ وقد كانت مفصلة معتمدة على الشواهد والأدلة.

**2- "مناهج الدعوة وأساليبها" للدكتور علي جريشة** يتكوّن الكتاب من خمسة أبواب على النحو التالي:

**الباب الأول:** مناهج الدعوة وبه ثلاثة فصول.

**الفصل الأول:** تعريف المنهج وأقسام المناهج حيث قسمها إلى فطري عقلي وأخلاقي، وتحدث عن العاطفة من حيث المفهوم وضرب لها أمثلة من صفحة 32 إلى صفحة 37.

الكتاب اشتمل على بعض عناصر الموضوع لاستفادت منها الدراسة من حيث الخطّة والمفهوم، فاقترعت على المنهج عمومًا والمنهج العاطفي خصوصًا من حيث المفهوم، وكانت إضافات الحديث في هذه العناصر بشكل مفصّل.

**3- "تقنين الدعوة مراحلها ومناهجها وإستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس" للدكتور "محمد السيد الوكيل"** تحدث في الفصل الثاني من الكتاب عن المنهج العقلي والعاطفي وضوابطهما والغرض من استعمالهما من صفحة 138 إلى صفحة 205.

فيما يتعلّق بهذا الكتاب وجد هناك إختلاف من حيث تقسيم المناهج المتعلقة بالدعوة من حيث الموضوع ومن حيث تقسيمها بالنسبة للمدعو، وقد حدّدها صاحب الكتاب بأنّها (فطري - عقلي - أخلاقي) على عكس ما كتبه غالبية علماء الدعوة ضمن مصنّفاتهم مناهج الدعوة هي (العقلي - العاطفي - الحسّي) والذي تناول الكاتب جزءًا منها في الفصل الثاني فاستفادت الدراسة الحالية من الوقوف عند المنهج العاطفي والعناصر المتعلقة به، فكانت مفصلة وموسّعة ومتخصّصة في مجال دعوة النبي ﷺ بالوقوف على شواهد وأدلة.

**ثانيًا: الدراسات الجامعية**

**1- الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن والسنة المطهّرة، دراسة حامد بن أحمد علي العامري بعنوان "رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب"<sup>(1)</sup>.**

(1) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن والسنة، المرجع السابق، تمّ تهميشه سابقًا، يُنظر:

تحدّثت عن جوانب عديدة تتعلّق بالمنهج العاطفي، وتوسّعت فيه فقسّمت الدّراسة إلى خمسة فصول تناولت:

- الفصل الأوّل: موضوعات الدّعوة بالمنهج العاطفي اشتمل على خمسة مباحث.
- الفصل الثّاني: أساليب عرض المنهج العاطفي اشتمل على ثلاث مباحث.
- الفصل الثّالث: تناول مواطن استخدام المنهج العاطفي وخصائصه قسم إلى مبحثين.
- الفصل الرّابع: ضوابط المنهج العاطفي في الكتاب والسنة اشتمل على أربعة مباحث.
- الفصل الخامس: آثار المنهج العاطفي وأوجه الاستفادة.

هذه الدّراسة تلتقي مع الدّراسة الحالية في غالبية عناصرها، وقد تناولت المنهج العاطفي بشكل موسّع، وقد استفادت الدّراسة من الوقوف على بعض عناصر ومفاتيح الدّراسة خصوصاً ما يتعلّق بالمنهج العاطفي في السّنة والخطّة المتبّعة والتي كانت دليل الدّراسة الحالية، ويكمن الاختلاف مع دراسة حامد بن أحمد علي العامري أنّها ستتناول المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ من خلال مواقفه وأساليبه، والتنوّع في استخدام المناهج، فقد كان المنهج المتّبع المنهج الوصفي والاستقرائي والمنهج التحليلي والاستنباطي من خلال السّنة النبوية والخروج بنتائج وفوائد، إضافة إلى عرض عناصر المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ، وعرض أهمّ الأساليب الدّعوية والمواقف النّبويّة في هذا الموضوع.

**2- أسلوب التّرجيب في دعوة النّبي ﷺ دراسة سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش بعنوان<sup>(1)</sup> رسالة ماجستير، تحدّث فيها عن التّرجيب فقط والذي يعدّ من أساليب المنهج العاطفي، وتتكوّن الدّراسة من أربعة فصول كالآتي :**

**الفصل الأوّل: مفهوم التّرجيب لغة واصطلاحاً وضوابط هذا الأسلوب ومكانته.**

**الفصل الثّاني: أنواع التّرجيب ووسائله في دعوة النّبي ﷺ.**

**الفصل الثّالث: أنواع التّرجيب ووسائله في دعوة النّبي ﷺ.**

**والفصل الأخير: آثار هذا الأسلوب النّبوي.**

(1) - سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، أسلوب التّرجيب في دعوة النّبي ﷺ، بحث مقدّم إلى قسم الدّعوة والإحتساب لنيل درجة الماجستير، المملكة العربية السّعودية، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كلّية الدّعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب، 1416هـ.



وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في عنصر التّرهيب في دعوة النّبي ﷺ والذي تناوله الباحث بشكلٍ موسّع يفيد الدراسة الحالية في العديد من العناصر، منها مفهوم التّرهيب ومجالاته في دعوة النّبي ﷺ وأنواعه مع عرض للعديد من النّماذج التي تدعّم الدراسة بشكلٍ وافي في هذه الجزئية.

**3- التّرهيب في الدّعوة في القرآن والسّنة أنواعه، مجالاته، تأثيره، رسالة ماجستير للباحثة رقية بنت نصر الله بن محمّد نياز، رسالة ماجستير تحدثت عن التّرهيب فقط وأنواعه ومجالاته وتأثيره.<sup>(1)</sup>**

والتي قسمت الدراسة إلى أربعة فصول وهي كالآتي :

**الفصل الأوّل:** مفهوم التّرهيب لغة وإصطلاحاً وضوابطه ومكانة هذا الأسلوب بين الأساليب الأخرى.

**الفصل الثّاني:** أنواع التّرهيب ووسائل كل نوع من أنواعه وبيان خصائص كل وسيلة.

**الفصل الثّالث:** مجالات التّرهيب مع أصناف المدعوين الكفار والمنافقين والعصاة المؤمنين.

**الفصل الرّابع:** آثار أسلوب التّرهيب.

هذه الدراسة لم تتعرّض لنقاط الموضوع كما ستتعرض لها الدراسة الحالية، إلّا أنّها استفادت من بعض العناصر من حيث المفهوم ومجالات أسلوب التّرهيب مع أصناف المدعوين، ويختلف الأمر من حيث استخدام هذا الأسلوب في دعوة النّبي ﷺ حيث لم تتطرّق الدراسة إلى ذلك.

**4- الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسّي في السّنة النبويّة، دراسة محمّد بن عبد الله العمري.<sup>(2)</sup>**

كانت مشتملة على مفاتيح الموضوع والاستفادة من خطّة الدراسة والعناصر التي ينبغي الوقوف عليها.

ومن خلال الدّراسات السّابقة فإنّ الإضافة العلمية التي حاولت تحقيقها، هي الدّراسة العلمية الشّاملة لموضوع المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ وما يشمله من مواقف وأساليب راقية، حتّى يجتمع للقارئ أو الدّاعية كل ما يهمّ هذا الموضوع.

(1) - رقية بنت نصر الله بن محمّد نياز، التّرهيب في الدّعوة في القرآن والسّنة، أنواعه، مجالاته، تأثيره، المملكة العربية السّعودية، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كلّية الدّعوة والإعلام بالرّياض، قسم الدّعوة والإحتساب، 1415هـ.

(2) - محمّد بن عبد الله العمري، الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسّي في السّنة النبويّة، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الدّعوة إلى الله، المملكة العربية السّعودية، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كلّية الدّعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب، 1420هـ/1421هـ.

## 7- المنهج المتبع

بالنظر إلى موضوع الدراسة يمكن تقسيمه إلى قسمين :

- المنهج من حيث الأسلوب والأفكار والمصادر.

- المنهج العلمي المتبع.

## 7-1: المنهج من حيث الأسلوب والأفكار والمصادر

### أ- من حيث المصادر

انجَّهتُ إلى المصادر الأصلية لتزويد دراستي بروايات صحيحة موثقة للأحاديث كالصَّحاحين البخاري ومسلم، وكتب السنن والمسند كمسند "الإمام أحمد بن حنبل" و"ابن ماجه"، وسنن "أبي داود"، و"الترمذي"، و"البداية والنهاية" غيرها كثير، واعتمدت على كتب السيرة "لابن هشام"، وكتب التفسير "لابن كثير" و"القرطبي" وشرح الحديث والكتب المتخصصة في مجال الدعوة وغيرها من الكتب العامة والأكاديمية التي تناولت هذا المنهج بأساليبه المختلفة.

وبعدما قمت بجمع الأحاديث والمواقف من الكتب التي لها علاقة بموضوع الدراسة، قمتُ بتصنيفها ثم توزيعها على فصول الدراسة ومباحثها ووضعت كل ذلك في الفصل المناسب ممَّا وجدت صعوبة في حصرها فاكتفيت بالقدر الكافي.

كما قمتُ بعد ذلك بالرجوع إلى كتب الشُّروح بالاستفادة منها والإقتصار على التعليق على كل حديث بأسلوبٍ الخاص، ممَّا ساعدني على إستخلاص العبر المستفادة في مجال الدعوة.

### ب- من حيث الأسلوب

فقد حاولتُ أن تكون الدراسة جامعة بين السُّهولة والدِّقَّة بعيدًا عن الإسهاب والإطناب مراعية إختيار الكلمات والعبارات السَّهلة والواضحة، مستخدمة في ذلك النقل من النُّصوص وما كان وافيًا وكافيًا للعرض.

### ج- من حيث أفكار الدراسة وعرضها

فقد كانت الفكرة الأساسية تقديم منهج في الدَّعوة إلى الله من خلال السنَّة والسَّيرة النَّبوية ممثَّلة في شخصيَّة النَّبي ﷺ، ولهذا إقتصرتُ على العديد من الأحاديث والمواقف والأساليب التي تتعلَّق بدعوة المصطفى ﷺ، حيث يظهر هذا المنهج وأساليبه في كافَّة فصول الدراسة بهدف الكشف عن أسرار دعوته، وما يميِّز به من مشاعر وعواطف متَّسمة بالرحمة واللِّين والرَّفق.

## 7-2: المنهج العلمي المتبع

المنهج في البحث العلمي العمود الفقري لكل دراسة، فهو الضابط والموجه الأساسي لكل باحث يتحدد استعماله حسب هدف الدراسة والإشكالية العلمية المعالجة، ونظرًا لتعدد معنى هذا المصطلح إلا أنه يمكننا أن نورد بعضها :

- هو الطريق أو الطريقة المحدد التي توصل الإنسان من نقطة إلى نقطة أخرى، وفي البحث يعتبر وحدة متكاملة ذات كيان مستقل يتألف من أساليب ووسائل معنوية ومادية<sup>(1)</sup>.
- كما يعتبر المنهج العلمي طريقة منظمة تتيح أسلوبًا وخطّة معيّنة لدراسة ظاهرة ما، يهدف التوصل إلى الحقائق وترسيخ المعارف واختيارها بعد التأكد من صحتها<sup>(2)</sup>.
- وبما أن طبيعة الموضوع هي التي تحدّد نوع المنهج المستعمل فقد اعتمدت على :

### أ- المنهج الوصفي

الذي هو عبارة عن عملية تقدم بها المادة العلمية كما هي في الواقع إنّه عمل تقرير يعرض موضوع البحث عرضًا إخباريًا بلا تعليل أو تفسير، ولذلك فإنّه يكون في نهاية المطاف عبارة عن دليل علمي يهدي إلى القضايا أو الموضوعات أو المصطلحات أو الإشكالات العلمية فيصفها كمّا أو كيفًا أو هما معًا بطريقة منهجية دون أن يبدي رأيًا أو تعليلًا أو تفسيرًا لوضعها أو طبيعتها، إذ يقوم على استقراء المواد العلمية التي تخدم أشكالاً ما أو قضية ما وعرضها عرض مرتّبًا ترتيبًا منهجيًا وقد يكون الوصف تعبيريًا فيسمّى العرض أو يكون رمزيًا أيّ باعتماد أرقام الصفحات فيسمّى التّكشيف<sup>(3)</sup>.

وهو الذي يهدف إلى تصوير وتحليل وتقوم خصائص مجموعة معيّنة أو موقف معيّن يغلب عليه صفة التّحديد أو دراسة الحقائق الرّاهنة المتعلّقة بطبيعة الظّاهرة ووصفها من خلال جمع الحقائق والمعلومات والملاحظات العامّة.

(1) - سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط 1، 1994م)، ص-ص 62، 63.

(2) - عقيل حسين، فلسفة مناهج البحث العلمي (مصر: مكتبة مدبولي، د، ط، 1999م)، ص 47.

(3) - فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية (الدّار البيضاء: منشورات الفرقان، مطبعة النّجاح، ط 1، د، ت)، ص

## ب- المنهج التحليلي

يهتم بدراسة العلوم التي تعتمد على قواعد وأنسقه في التحليل، فهو ينطلق من إستعادة القاعدة أو النسق ثم إستيعاب الظاهرة أو القضية، والمنهج التحليلي خاص للتطبيق في العلوم الإسلامية القاعدية أو النسقية، ولذلك يمكن إستئناس هذا المنهج أساساً في غالبية العلوم الفقهية والحديثية والتفسيرية وما حول ذلك، لأنّها علوم تحكم إلى قاعدة قرآنية أو سنّية، كما يلجأ المنهج التحليلي عندما تكون هناك نصوص أو قواعد أو مبادئ في حاجة إلى تحليل بالنسبة للموضوع كمبدأ عام للتّنهيج، وعلى الباحث أن يتبني منهجاً أساسياً ويكمّله إذا اقتضت الضّرورة بالإستعانة بمنهج أو منهجين آخرين بصفة تكميلية، والمنهج التحليلي يتلخّص في عمليات ثلاثة قد تجتمع كلّها أو بعضها في عمل واحد وهي: التفسير والإستنباط (\*) والتّقد (1).

وعليه قامت الباحثة باستقراء (\*) النصوص من السنّة والسيرة النبوية وحصر كافة الجزئيات المتعلقة بموضوع الدّعوة بالمنهج العاطفي عند النبي ﷺ، والذي يتمثّل في ملاحظة الباحث للجزئيات أو الفرعيات موضوع إهتمام وبطريقة تحليليّة تهدف إلى اشتقاق بعض القوانين والأطر النظرية، وذلك من خلال تعميم التّنتائج التي تمّ التوصل إليها بعد إختيار بعض الجزئيات أو الحالات على كافّة الأجزاء أو الحالات المكوّنة للظاهرة (2).

(\*) - التفسير: شرح موضوعات البحوث العلمية بتحليل نصوصها وتأويل مشبّهاتها والكشف عن مبهماتّها لتبدو بصورة واضحة والتّقد عملية لرصد مواطن الخطأ والصّواب في موضوع علمي معيّن، يستند الباحث إلى الأصول والثّوابت العلمية المقرّرة وذلك من أجل تقويم وتصحيح بعض المفاهيم والقضايا المتعلّقة بذلك الموضوع، الإستنباط: يشمل كل عمل يهدف إلى وضع نظريّة علميّة ما أو بناء قاعدة في الفقه أو الأصول أو التفسير أو غيره من العلوم الشرّعية أو أيّ مبحث من مباحثها (يُنظَر: فريد الأنصاري، أبحاث في البحث في العلوم الشرّعية محاولة في التّأصيل المنهجي (ضوابط، مناهج، تقنيات، آفاق)، الدّار البيضاء: منشورات الفرقان، ط1، د، ت)، ص 96.

(1) - المرجع نفسه، ص-ص 64، 96.

(\*) - الإستقراء: في الأصل يطلق على المنهج التجريبي ويستخدم في العلوم النّظرية عند علماء المسلمين، تسمّى بالعلوم التّأصيليّة وهو يعني التّفكير التأملي لقياسات أجريت في آنٍ واحد، أو طرح حقائق متعدّدة بغرض إستنباط نتيجة من وراء هذه الحقائق (يُنظَر: عمار بوحوش ومحمّد محمود الذبيات، مناهج البحث العلمي أسس وأساليب، الأردن: مكتبة المنار للطباعة والنّشر والتوزيع، ط1، 1410هـ)، ص 134.

(2) - محمّد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتّطبيقات (عمان: كليّة الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنيّة، ط2، 1999م، دار وائل للطباعة)، ص 48.

### ج- المنهج الاستقرائي

وهو جمع جزئيات الموضوع الواحد ثم استخراج الحكم الكلي من جملة أجزائه، فالدراسة تقوم باستقراء النصوص وجمعها واستخراج الأفكار منها<sup>(1)</sup>، وهو منهج قائم على حصر كافة الجزئيات والوقائع والنصوص المتعلقة بفكرة واحدة أو موضوع محدد<sup>(2)</sup>.

وذلك عن طريق جمع البيانات التي لها علاقة بالمشكلة البحثية التي يراد بحثها، ثم يتم القيام بتبويبها وتنظيمها معتمدة على القراءة والاستفادة من الدراسات السابقة والخبرة للوصول إلى نتائج، وبهذا سوف يتم جمع كافة النصوص وما كتب عن المنهج العاطفي من خلال ما تبرزه أحاديث النبي ﷺ وسيرته واستخراج الأفكار الهامة.

وفي كلاً المنهجين المتبعين الاستقرائي والتحليلي اتبعت الدراسة الخطوات التالية في استخدامها كالآتي :

- استقراء الآيات إن وجدت التي لها علاقة بالمنهج العاطفي في دعوة النبي ﷺ.
- استقراء ما في الصحيحين من الأحاديث والسُّنن والمسند وغيرها التي لها علاقة بالمنهج العاطفي وأساليبه في دعوة النبي ﷺ.
- جمع الأحاديث وإن أمكن وبعض الآيات وتصنيفها وتبويبها في موضوعات حسب خطة البحث.
- تحليل النصوص وبيان ما فيها من فوائد.
- محاولة الإحاطة ما أمكن من أحاديث تمس استخدام النبي ﷺ للمنهج العاطفي.
- التزمّت ألا أُخرج حديثاً من غير الصحيحين إلا فيما تعذر وجودها في الصحيحين.
- استنباط المسائل المتعلقة بالبحث مع بيان وجه صلتها بالموضوع الذي أورد فيه.
- تضرب لدراسة أمثلة ونصوص من السنة والسيرة لكل مسألة أو جزئية أو سلوك أو كل ما يناط بعناصر البحث.
- تستفيد الدراسة من أمّهات كتب التفسير وشروحات السنة.

(1) - فاروق يوسف، قواعد المنهج العلمي (القاهرة: مكتبة عين شمس، ط1، 1985م)، ص 43.

(2) - غازي حسين عناية، مناهج البحث (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د، ط، 1984م)، ص 80.

## 8- أدوات جمع البيانات

الإستفادة من نظرات الباحثين من خلال دراسات سابقة لم تصل إلى درجة الإستقراء التّام حسب ما لاحظتُهُ، فالدراسة تحاول جمع شتات هذا الموضوع المتناثر في الكتب والرّسائل والبحوث وشروح السّنة وغيرها، ولهذا فإنيّ اعتمدت بعد توفيق الله تعالى على القراءة المتعمّقة للجوانب المتعلّقة بمجال البحث من كتب الحديث وشروحها والكتب العلمية والإسلامية والدّعوية وكتب التّفسير، إضافة إلى الإستفادة ما أشكل عليّ من مسائل وموضوعات عن طريق الأسئلة والمقابلة من لهم صلة بالموضوع ودراية به.

# الفصل الأول

## المنهج العاطفي في دعوات

### الأنبياء عليهم السّلام

المبحث الأول: تأصيل المنهج العاطفي من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة

المبحث الثاني: أهمية المنهج العاطفي وملازمته للمناهج الدعويَّة الأخرى

المبحث الثالث: المنهج العاطفي في دعوات الأنبياء عليهم السّلام

## تمهيد

أرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، وعيّن طرائقها وأساليبها، فجعلها حُجّة على المدعو وشرطاً على الدّاعية، أمّا السنّة النبويّة فقد رسم فيها صاحب القدوة محمد ﷺ منهجاً قوياً للدّعاة من بعده يقتحمون به قلوباً غُلُفاً، ويُبصرون به أعيناً غُمياً، ويُسمعون به آذاناً صُمّاً، ويطيعون الناس على الإسلام الخالص.

وتقوّم البشريّة جُهد مُضني، يحتاج إلى زمنٍ وإلى تأثّر وإنفعالٍ بالكلمة، وإلى حركة تُترجم هذا التأثير وهذا الإنفعال إلى واقع، يقول تعالى في مُحكم تنزيله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

و الدعوة أصلها أن تكون في سبيل الله، تمتدُّ فروعها على مرتكزات الحكمة، وحسن الموعظة، وتلمّس لطف الجدل وأعدبه، فهو أحصن ماء الوجه، وأجدر لفتح القلب لتنساب الدعوة إلى الله بسلاسة.

والمنهج موضوع مهمٌّ جدّاً في الدّعوة إلى الله من جميع النّواحي العلميّة منها والأخلاقيّة، وقد زخر التاريخ الإسلامي منذ بدء الرّسالة بدعوات الأنبياء عليهم السلام إلى ظهور كوكبة من الدّعاة والعلماء ساروا على نهج أسلافهم إلّا أنّهم قد تعزّرتهم مُشكلاتٌ عديدة أخطرها التّغافل والتّهاون في إصابة المنهج الصّحيح وعدم وضوحه للنّاس، ممّا أنتجت عنه العديد من العقبات وبعض الانحرافات أصابت الخطاب الدّعوي في مَقْتَلٍ فخلف من بعدهم خلف سلكوا سُبُل الإفراط والتّفريط، وحتىّ يعتدل بوصلة سبيل دعوة ربّ العالمين تبيّن لي أن أولى أهميّة خاصّة للمنهج النبوي ولاسيما "المنهج العاطفي" الذي يدفع بالدّعوة قدماً إلى الأمام وإلى الصّدارة والجدارة.

وعليه تبيّن لي التّركيز في موضوع المنهج العاطفي وعلاقته بالدّعوة إلى الله ومدى ارتباطه بدعوات الأنبياء ﷺ، والذي يدفع بها قدماً إلى برّ الأمان، ولتبيان هذه العلاقة سأشرع في تفصيل هذا التّربط إنطلاقاً من الخطّة التّالية :

- المبحث الأول: تأصيل المنهج العاطفي من خلال القرآن الكريم والسنّة المطهّرة.
- المبحث الثاني: أهميّة المنهج العاطفي وملازمته للمناهج الدّعوية الأخرى.
- المبحث الثالث: المنهج العاطفي ومدى ارتباطه بدعوات الأنبياء عليهم السلام.



فلا يقتضي منّي التّفصيل والتّوسع في الحديث عن مناهج دعوات الأنبياء عليهم السّلام، لأنّ ذلك سيخرجنا عن الموضوع ويكلفني أعدادًا هائلة من الصّفحات، ولأنّ المعنى بالدّراسة والتّحليل هو المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ.

## المبحث الأول: تأصيل المنهج العاطفي من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة

تستمدُّ الدَّعوة الإسلامية منهجها وموضوعاتها من مصدرين أساسيين هما: "القرآن" و"السنة"، اللذان بهما تنظَّم علاقة الدَّاعية برَبِّه وعلاقته بمدعوِيه، من خلال الأسلوب الأمثل والمنهج الصَّحيح الذي يعصِّمُه من الشَّطَط ويُذلل له جميع الصُّعوبات والعقبات، وهذا المنهج تحدَّث فيه القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، وأصله في مواضع عديدة نذكر منها كالاتي :

### المطلب الأول: تأصيل المنهج العاطفي من القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد للدَّعوة الإسلامية ودليلها في الحركة في كلِّ حين، وهو قاعدة الدِّين الإسلامي ومصدره الأصيل يقول تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

وهو كتاب الدَّعوة جاء بالإصلاح ليخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9].

فالقرآن الكريم يعلي سمة العطاء والمحبة والصَّفح والعفو وغيرها من العواطف السَّامية، والإسلام يريد من الإنسان عموماً والدَّاعية على وجه التَّحديد التَّلازم بين محبة القلب وعقيدة الفكر ولا يمكن أن يصل إلى كماله إلَّا بهذا التَّناغم المتَّزن<sup>(1)</sup>، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

هذه العواطف سلَّكها القرآن الكريم في إيصال الحقِّ للنَّاس من خلال المنهج العاطفي، والذي ظهر بوضوح على شكل أساليب اِهْتَمَّ بها القرآن، تُبرز أهمَّيتها ومكانتها في الدَّعوة إلى الله من خلال مواضع كثيرة سيتمُّ التَّطرُّق إليها لاحقاً.

والقرآن الكريم -إضافة لما سبق- أفاض بحديثه عن العاطفة في آياتٍ عديدة يذكُر فيها أنَّ رَقِيَّ المشاعر وصدق العواطف أمرٌ يقتصر على مناهج الأنبياء والمرسلين، من سيِّدنا آدم عليه السلام إلى خاتم

(1) - جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء مقارنة سيكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها، المرجع السابق، ص 35.

الرُّسُلَ مُحَمَّدٌ ﷺ<sup>(1)</sup> جاء منها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًا ۚ﴾ [مریم: 58].

واهتمَّ بعاطفة النبي ﷺ على وجه الخصوص، والذي لا يمكن تصوُّر أخلاقه العظيمة المؤسومة بالعواطف الإيمانية، إذ أنَّ العاطفة والأخلاق صنوان متلازمان، والتَّجَبُّيُّ ﷺ بلغ حرصه على هداية قومه ونجاحهم أن يُجهد نفسه في دعوتهم بما يفوق طاقة البشر<sup>(2)</sup>، فيعاتبه في صدر سورة طه في قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ [طه: 1-2] ﴿لَعَلَّكَ بَنِعُّ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٢﴾ [الشُّعْرَاءُ: 3] وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِعُّ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف: 6] وقوله أيضًا: ﴿فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨﴾ [فاطر: 8]

كما صوَّر عاطفة المؤمنين بأنَّهم أصحابُ مشاعر وعواطف صادقة، والكافرين ذوي عواطف متبلدة وقلوب قاسية مُتَحَجَّرَة، فقال عنهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۚ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤﴾ [الفتح: 4] وإنشراح الصدر ثمره من ثمار الإيمان، فإذا ما إنشراح صدر الإنسان لأن قلبه ورقَّت عواطفه وارتقت مشاعره وصدقت أحاسيسه، ولقد امتنَّ الله على رسوله ﷺ بإنشراح الصدر<sup>(3)</sup> فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١﴾ [الشَّارِحُ: 1] وقال أيضًا: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَوْلٌ لِّلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۚ [الزُّمَرُ: 22-23].

(1) - أصول الدَّعوة وطرقها، كتاب المادة IDWH3023، جامعة المدينة العالمية، الجزء 2، 2009م، ص 219.

(2) - جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء مقارنة سيكولوجية فنيَّة في العاطفة وتداعياتها، المرجع السَّابق، ص 32.

(3) - أصول الدَّعوة وطرقها، المرجع السَّابق، ص - ص 219، 217.

ذلك أنَّ الجفاف الروحي والجذب العاطفي أخطر آفات العمل الإسلامي، التي لو تعرّضت لها روح الإسلامي العامل لأفقدته أهمّ قوى الجذب والمغناطيسية والاستقطاب في أمة تطالب الإسلاميين ولا سيما الدعاة إلى الله أن يشيعوا في أوساطها الصفاء والنقاء والتوكل، والتعبّد والدعاء.<sup>(1)</sup>

ولأجل تأصيل المنهج العاطفي في القرآن الكريم يستوجب التعرّف على أساليبه أهمّها:

#### أولاً: الموعظة الحسنة

هي النصيحة والتذكير بالعواقب<sup>(2)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان: 13] استخدمها جميع الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم، فقال عن نوح عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢﴾ [الأعراف: 62] وعن هود: ﴿وَأَنَّا لَكُمُ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف: 68].

والموعظة الحسنة أمر الله باستخدامها في الدعوة إلى الله، وأمر نبيه عليه الصلاة والسلام فقال له: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: 125] هذه الآية أشارت إلى أنَّ الموعظة الحسنة قاعدة أساسية في الدعوة، وأسلوب جوهري يميّزه التفاعل والتأثير المباشر في إصابته للقلب وكوامنه، ولكنها في ذات الوقت لا تمثل الأسلوب الأوحده الذي يجب على الداعية استعماله في مجال دعوته، ذلك أنَّ من الأساليب ما تتعلّق بالعقل والفكر، ومنها ما يتعلّق بالحس والتجارب الإنسانية، ومنها ما تتعلّق بالعاطفة، فجميعها متداخلة تكمل بعضها البعض، فأسلوب الحكمة يضع الشيء في موضعه، والموعظة الحسنة تحتاج إلى هذه الحكمة حين يختار الداعية الموقف المناسب في الوقت المناسب والمكان المناسب وكذلك بالنسبة للمجادلة بالتي هي أحسن<sup>(3)</sup>.

وهذه الموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يعظ به الإنسان ويأمر به، وبحسب أسلوب الوعظ، فهي نافعة ومفيدة، إذ تفتح أبواب الهداية للمؤمنين، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: 57].

(1) - محمد موسى الشريف، العاطفة الإيمانية وأهميتها في الأعمال الإسلامية، المرجع السابق، ص 23.

(2) - أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة وعظ (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1410هـ)، ص 303.

(3) - محمد الجوهري، بحث الموعظة الحسنة وأثرها في الدعوة، المرجع السابق، ص 1.

وعليه فللموعظة الحسنة دلالات وصور ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وهي كالآتي:

#### أ- الإشارات اللطيفة

وردت الإشارة في موضع واحد في القرآن الكريم جاءت في قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مریم: 29] فهي من الوسائل والأساليب التي تساعد على إيضاح المعنى للسامع، وقد حصرها العلامة الجاحظ في خمس: اللفظ، الخط، الإشارة، العقد، الحالة الدالة وقال عنها: الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه،<sup>(1)</sup> دليل مشروعيتها قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: 11] أي: أشار إشارة خفيفة أن سَبِّحُوا بكرةً وعشيًّا<sup>(2)</sup>، ففي الحالة التي يحتاج الداعي إلى القول الصريح له أن يستخدم الإشارة المناسبة سواء كان ذلك بيده، أو إصبعه، أو بهز كتفيه، أو تحريك رأسه، أو وضع إصبعه على فهمه، في إشارة إلى الصمت، أو بالعض على بنانه إلى غير ذلك من الإشارات المفهومة.

وقد عُني الإسلام بذوي الاحتياجات الخاصة من فئة الصم البكم عناية عظيمة، ودعا إلى التعامل معهم وعدم تجنّبهم حفاظاً على كرامتهم واحتراماً لمشاعرهم، ولحرمانهم من نعمة السمع قدّم الإسلام بدائل للوصول إليهم وتبليغهم رسالة الإسلام، فكانت الإشارة إحدى الطرق والأساليب الممكنة في الدعوة إلى الله، وللقدرة العجيبة في إثارة العواطف واستثارة المشاعر، ممّا يتوجّب على الدعاة اليوم توفير متخصصين في لغة الإشارة وعلى دراية بأمور الدعوة.

#### ب- القصّة

يتميّز أسلوب القصّة في القرآن الكريم بخصائص جليلة، تعطي للنسق القرآني روعةً ووضوحاً، ويأتي هذا من خلال التعبير الفني والبيان المتناسق الذي يميّز به القرآن<sup>(3)</sup>، لهذا اعتنى بالقصّة عناية خاصة، لما فيها من عنصر التشويق والإثارة والإعطاء، والتي كان من أهدافها تصحيح

(1) - الجاحظ، البيان والتبيين (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، ج1، 1423هـ)، ص57. ومحمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1999م)، ص442.

(2) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، ج5، 1418هـ/1995م)، ص216.

(3) - نبهان حسون السعدون، بحث حول مشاهد من قصّة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج1، العدد 12، 1433هـ/2012م، ص1.

العقيدة والإيمان بالله واليوم الآخر، ومواساة الضعفاء، ومجاهدة الطُّغاة والظُّلُمَة وغيرها من الأهداف الأخرى السَّامية<sup>(1)</sup>.

والقصة في القرآن الكريم كثيرة، من ذلك على سبيل المثال قصة موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۖ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَفَرُّونَ فَقَالُوا اسْحِرْ كَذَّابٌ ۖ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ (٢٥)﴾ [غافر: 23-25] فقصة موسى عليه السلام من أهم القصص القرآني وأكثرها زخماً وثراءً سواء في الأحداث أو في الدُّروس المستفادة والعظات، فقد تحمّل - عليه السلام - في سبيل دعوته الكثير، والله تعالى منحه يقيناً لم يمنحه أحداً غيره ليكون عوناً له في مواجهة فرعون والملأ من القوم، فتميّز بالأسلوب الحوارى الرّاقى واللّين في إقناع هؤلاء، ولا سيما في التأثير على أكبر طاعية في ذلك الزّمان، فعرف عنه الفصاحة والأخلاق العالية والقوّة والشّجاعة في الكلمة.

وفي قصة إبراهيم عليه السلام يعرض القرآن عظمته لأبيه آزر، لكي يكون أنموذجاً أصيلاً يحتذى به، اجتمع فيه الأسلوب الرّاقى واللّين والمثابرة مع الصّبر على أذى قومه له فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ ۖ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۖ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۖ (٨٥) أَفَكَاةَ إِلَٰهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۖ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ (٨٧)﴾ [الصّافات: 83-87] وازداد عليه السلام ليناً مع والده قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ مَا لَا يَشْعُرُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ (٤٢)﴾ [مریم: 41-42].

لقد كانت كلمات سيّدنا إبراهيم عليه السلام تفيض حناناً وشفقةً، وتندفق عطفاً ورقةً، أظهرت رابطة الأبوة التي من شأنها أن تجعل الابن حريصاً على مصلحة الأب، بأن ما يعبدّه فاقداً لأوصاف الرّبوبية، وأعلمه شدّة خوفه عليه من أن يمسه مجرد مسّ عذاب من الرّحمان فيكون للشّيطان ولياً<sup>(2)</sup>. فأحياناً باستخدام أسلوب القصة يمكن للدّاعية الوصول إلى أعماق النفوس والتأثير فيها، والنفس البشرية غالباً تتوق إلى الحدث الذي تقوم عليه القصة، لما لها من مؤثّرات وجدانية تقتضي التفاعل مع أحداث القصة.

(1) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في ضوء القرآن والسنة، المرجع السابق، ص 82.

(2) - عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة (د، دار نشر، ط3، 1396هـ/1976م)، ص 455.

## ج- التذكير بنعم الله

إنَّ التَّذْكِيرَ بنعم الله تعالى مِنْ أهمِّ أشكال الموعظة الحسنة، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [البقرة: 40] وقال جلَّ شأنه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47] ومعلوم أنَّ الله سبحانه تعالى عندما يذكرنا بنعمة يتطلَّب ذلك منَّا الشُّكر والتَّقْيُّدُ بأمره والابتعاد عن نهيهِ، إلى جانب تسخير تلك النِّعم في طاعته وحسن خلافة الكون، كما أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام كانوا يذكِّرون أقوامهم بنعم الله عليهم: ﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47]. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ یَقُومِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِیْكُمْ أَنْبِیَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ یُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20] ﴿أَوَلَمْ یَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَیُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِیَابَ الْبَطِلِ یُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ یَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: 67].

وعليه يُعدُّ التَّذْكِيرُ بنعم الله شكلاً آخر من أشكال الموعظة الحسنة، ولكن لا بدَّ أن يكون التَّذْكِيرُ بنعم الله مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالموضوع، أو المشكلة، أو المخالفة، أو المعصية المراد وعظ النَّاس مِنْ أَجلِها، فإذا كانت فاحشة مثلاً: يذكِّر الدَّاعِية أو الواعظ النَّاسَ بنعمة العافية والصَّحَّة، وإذا كانت المخالفة كالْتَّبْذِيرِ مثلاً: يذكِّرهم بنعمة الرِّزْق التي يجب شكرها، ويبيِّن أنَّ من مستلزمات شكرها البعد عن التَّبْذِيرِ وهكذا<sup>(1)</sup>، فنبیُّ الله موسى ﷺ كان يذكِّر قومه بالنِّعم التي فضَّلهم بها عن غیرهم فقال: ﴿یَقُومِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِیْكُمْ أَنْبِیَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ یُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20].

فالتَّذْكِيرُ بنعم الله من الأساليب التي سلكها الأنبياء عليهم السَّلام في دعوتهم، إهتمَّ بها القرآن ودُكِّرَتْ في آياتٍ كثيرة سنذكرها لاحقاً إن شاء الله.

## ت- المدح والذم

عُني الإسلام بغريزة المدح والذم فخاطبها مِنْ خلالِ ذكرِ الخصائص والمزايا التي يتميَّز بها الإنسان، ومن ذلك على سبيل المثال أكمل الخلق النَّبيُّ الكريم مُحَمَّدٌ ﷺ، يحملُ أسمى العواطف النَّبيلة

(1) - أبو بكر محمد أبو بكر، أساليب الدَّعوة عند الشَّيْخ مُحَمَّد الغزالي، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، كَلِية العلوم الإسلامية،



والمشاعر العالية تجاه النَّاسِ عامَّة وقومه خاصَّة، وعندما أراد القرآن الكريم أن يخلد كماله فإنَّه وصفه بالخلق العظيم مستخدمًا في ذلك أكبر أدوات التَّوكيد<sup>(1)</sup> فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 04].

وقال أيضًا في سيِّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120] يذكر الإمام الطُّبري رحمه الله تفسيره لمنهج نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام قائلاً: (وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشُّرك به من قريش أنَّ إبراهيم عليه السلام منهم بريء وأنَّهم منه براء شاكرًا لأنعمه، يقول: كان يخلص الشُّكر لله فما أنعم عليه ولا يجعل معه في شكره في نعمة عليه شريكًا من الآلهة والأنداد وغير ذلك كما يفعل مشركو قريش، والحنيف هو المطيع لله عزَّ وجلَّ وأنَّ الحنيفيَّة السَّمحة التي كان عليها إبراهيم عليه السلام هي أحبُّ الأديان إلى الله)<sup>(2)</sup>.

ويظهر هذا عن ابنِ عَبَّاسٍ عليه السلام قال: «قيل لرسول الله ﷺ أيُّ الأديان أحبُّ إلى الله ؟ قال: الحنيفيَّة السَّمحة<sup>(\*)</sup>»<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44].

فالمدح له تأثير في النَّفس عميق، لذلك جعل من أساليب المنهج العاطفي، أمَّا أسلوب الذمِّ مثلاً في الأعمال المذمومة التي تصدر عن جماعات من النَّاس كأكَلِ السُّحْتِ ظهرت في الآية

(1) - جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء مقاربة سيكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها، المرجع السابق، ص 31.

(2) - الطُّبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطُّبري -، ج 14، المصدر السابق، ص 393.

(\*) - قوله ﷺ الحنيفيَّة: وهي الملة الإبراهيمية مقتبسًا من قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: 135] والحنيف عند العرب ما كان على ملة إبراهيم عليه السلام ثُمَّ سَمُّوا من إختتن وحجَّ البيت حنيفًا، والحنيف: المائل عن الباطل، وسَمِّي إبراهيم حنيفًا: لأنَّه مال عن عبادة الأوثان، وقوله السَّمحة: هي صفة الحنيفيَّة ومعناها: السَّهولة، والمساحة، والملة السَّمحة التي لا حرج فيها ولا تضيق فيها على النَّاس، وهي ملة الإسلام (بدر الدِّين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، رقم الحديث 39، بيروت: دار إحياء الثَّرات العربي، ط 1، ج 1، د، ت)، ص 235.

(3) - أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرِّسالة للنشر والتَّوزيع، ج 4، د، ت)، ص 17. وأخرجه الطُّبراني في الأوسط، رقم الحديث 7351، من حديث عثمان بنُ أبي عاتكة عن علي بنُ يزيد عن القاسم عن أبي أمامة بنحوه، ومن حديثٍ عفير بن معدان عن سليم بنُ عامر عنه، وعبد الله بنُ إبراهيم الغفاري منكر الحديث. وفي الكبير، برقم 11572. وقال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله «السَّهولة» (يُنظَر: محمَّد الحسيني الزبيدي مرتضى، إتحاف السَّادة المتَّقين بشرح، إحياء علوم الدِّين، كتاب الخوف والرَّجاء، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط 1، ج 11، 2016م)، ص 362، وترجم البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أحبُّ الدِّين إلى الله الحنيفيَّة السَّمحة، من حديث أبي هريرة، رقم الحديث 39، ص 20.



الكريمة: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْبَهُمُ الشُّحَّ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62].

وكما ظهر في آيات سورة المسد يقول تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: 1-5] سورة المسد هي معجزة كبيرة وعظيمة بحد ذاتها، إذ أنها قامت بالتوعد لأبي لهب وزوجته.

وقد ظهر فيها أثر الذم لبعض الشخصيات التي زامنت الدعوة إلى الله، في ذم صريح لشخصية أبي لهب الذي كان شديد العداوة للنبي ﷺ، حيث برز في السورة مجموعة أساليب الذم منها الدعاء عليه بالهلاك والخسران في قوله: ﴿تَبَّتْ﴾ فهذا إشعار أنها نزلت لتوبيخ ووعيد، وأيضاً أسلوب بيان سوء العاقبة من خلال الوعيد في الآية الثالثة<sup>(1)</sup>.

### ث- الترغيب

أسلوب من أساليب الموعظة الحسنة له تأثير كبير في النفس البشرية التي جُبلت على حب الخير، وقد ورد هذا الأسلوب في الدعوة في الأغلب الأعم من المواقف المتعددة في القرآن الكريم<sup>(2)</sup>. ولعل أوضح صور الترغيب وأقواها في دعوة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم ما كان من نبي الله نوح عليه السلام لقومه جاء على لسانه: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۚ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: 9-12] في الآيات إشارة إلى مثابة النبي نوح عليه السلام في دعوة قومه تكراراً وتنوعاً، فهو يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً وليلاً ونهاراً، ويوجههم أن يستغفروا ربهم مبشراً إياهم بأنه غفور رحيم، فظهر فيها ترغيب في كثرة الاستغفار، فإذا إطمأن الإنسان إلى وجود قبول لفعله فعله، كما استعرض نبي الله نوح عليه السلام

(1) - عبد العباس حسن الأسدي، معاني القبول والرفض في القرآن الكريم دراسة في الألفاظ والأساليب، أطروحة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1430هـ/2009م، ص-ص 201، 202.

(2) - مرفت محمد أحمد حماد، الموعظة في ضوء القصص القرآني، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1436هـ/2015م، ص 105.

مغريات ما أعدّه الله لعباده المؤمنين المستغفرين خيراً كثيراً، فكان أوّل ما بشرهم بالمطر الذي سينزل عليهم مدراراً كثيفاً غزيراً يكفيهم سقاية وزراعة ويزيد.<sup>(1)</sup>

## ج- الترهيب

كما للتَّغْيِب أثر في النَّفْس البشرية فللثَّرِيب أثره كذلك، وقد حرص الأنبياء عليهم السَّلام في غالبية مواقفهم مع أقوامهم في دعوتهم بالموازنة بين التَّغْيِب والثَّرِيب واللِّين والشَّدَّة.

منها ما وَرَدَ على لسانِ رسولِ الله ﷺ في صدرِ سورةِ هود حيثُ يقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٢) وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) [هود: 2-4].

هنا يحذّر النبي ﷺ قومه ناهياً إياهم أن لا يعبدوا أحداً غير الله، وهو بهذا التوجيه نذير لهم مخوف من العذاب للكافرين، ومبشّر بالجنة التي وعدت للمتقين، ثم تأتي توجيهاته لهم بالتوحيد والإستغفار والتوبة فيرغبهم في السمع والطاعة ويعدّهم بعطاءٍ جزيل وخير كثير وأول هذا الخير<sup>(2)</sup> جاء في قوله تعالى: ﴿يُمْنَكُمْ مِّنْ عَمَلِكُمْ حَسَنًا﴾ [هود: 3].

وفي سياق الحديث عن التَّهْيِيبِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَا جَاءَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي دَعْوَتِهِ لِأَبِيهِ آزَرَ، حِينَمَا وَجَدَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَقَوْمِهِ مِنْ كُفْرٍ وَشُرْكَ فَقَالَ: ﴿يَتَّابَتْ إِيَّيْ قَدْ جَاءَ فِي مَرْكِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣) يَتَّابَتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّابَتْ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥) [مريم: 43-45] أَيُّ: تَكُونُ كَذَلِكَ إِنْ لَمْ تُتَدَارَكَ أَمْرُكَ وَتَتَبَّ فَتَكُونَ وَلِيًّا لَهُ، أَيُّ نَاصِرًا وَقَرِينًا فِي النَّارِ. (٣)

لقد سلك النبي إبراهيم عليه السلام في دعوته أجمل الآداب في الحجاج، واحتج بأروع البراهين ليُرَدَّ أباه عن غيِّه ويوقفه إلى طريق الهدى والرشاد فيقول: (يا أبتِ إني وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لأنِّي ولدك فاعلم أنني قد إطلعت مع العلم على ما لم تعلمه أنت، ولا إطلعت عليه فاتبعني أهدك

(<sup>1</sup>) - الخازن، تفسير الخازن المسمى باب التأويل في معاني التنزيل، ج4، المرجع السابق، ص 345.

(2) - يُنْظَر: الخازن، تفسير الخازن المسمى باب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1425هـ/

2004م، ص 471.

(3) - جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين (القاهرة: دار الحديث، ط 1، ج 1 د، ت)، ص 308.

طريقاً مستقيماً<sup>(1)</sup> وينذر نبي الله إبراهيم عليه السلام أباه مرهباً إياه بقوله: ﴿يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ فبين سبب النهي عن طاعته، أن الشيطان عاص مستكبر، فحذره من سوء عاقبة ما هو فيه من عبادة الأصنام فقال الله: ﴿يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ يفسر الشيخ المراغي قول إبراهيم عليه السلام فقال: (أي: يا أبتى إنني أخاف لمحبتك لك أن يصبك عذاب من الرحمن على شركك وعصيانك فتكون للشيطان قريباً في النار فلا يكون لك ناصرًا ولا معيلاً إلا الشيطان)<sup>(2)</sup>.

فغرض الدعوة ليس التّعدي على أبيه، وإنما إشفاق المحب على حبيبه من أن يصيبه عذاب الرحمن فيكون بذلك قد حكم على نفسه أن يكون قريباً للشيطان<sup>(3)</sup>، ورغم العداء الذي بادر به أبوه وقومه، إلا أنه لن يقابلهم بالمثل، فجاء في قوله تعالى على لسان أبيه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابِرْهِمُ لِي لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَنِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مریم: 46] فما كان ردُّ نبي الله إبراهيم عليه السلام لأبيه بالحسن قائلاً: ﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ [مریم: 47-48].

كان ردُّ إبراهيم عليه السلام على أبيه بأسلوب راقٍ تجلّى فيه كل معاني القيم الإنسانية السامية، وكان جميلاً مناقضاً للموقف العدائي الذي إتخذه أبوه وقومه ضده، إذ ألقى عليه كإشارة منه إلى أنه لن يقابلهم بمثل ما قابلوه من العداء.

فبمثل هذه المواعظ إهتم بها القرآن الكريم جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ

(1) - ابن كثير، تفسير ابن كثير، المصدر السابق، ص 234.

(2) - حمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، ج 26، 1365هـ/1946م)، ص-ص 56، 57.

(3) - أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق: علي محمد عوض وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، 1413هـ/1993م)، ص 376. ومرفت محمد أحمد رجاء، الموعظة في ضوء القصص القرآني دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غزة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1436هـ/2015م، ص 75.

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَى مَا  
ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ  
أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ  
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ [إبراهيم: 11-15].

#### ثانياً: إثارة منابع الرحمة والرأفة

من أساليب المنهج العاطفي الفعالة لوصول الداعية إلى قلوب الناس وأعماق نفوسهم  
فيستميلها إلى الحق طائعة من خلال إثارة منابع الرحمة والشفقة والرأفة بهم، والشعور بمشكلاتهم  
ومعاناتهم وتقديرها فيأتي الأمر الرباني لنبيه قائلاً: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَظَنَّا أَنَّهُ  
كَذَّابٌ﴾ [آل عمران: 159] يذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله عند  
تفسيره للآية أهمية هذا الأسلوب ومبرزاً أهم مواطن استعماله فقال: (واللّٰه هنا مجاز في سعة الخلق  
مع أمة الدعوة والمسلمين، وفي الصّفح عن جفاء المشركين، وإقالة العثرات)<sup>(1)</sup> وقال رحمه الله: (أرسل  
محمد ﷺ مَفْطُورًا على الرَّحْمَةِ، فكان لينه رَحْمَةً من الله بِالْأُمَّةِ في تَنْفِيذِ شَرِيعَتِهِ بدونِ تَسَاهُلٍ وَبِرْفِقٍ  
وَإِعَانَةٍ على تَحْصِيلِهَا، فلذلك جُعِلَ لِيْنُهُ مُصَاحِبًا لِرَحْمَةِ من الله أَوْدَعَهَا الله فِيهِ، إذ هو قد بُعِثَ  
لِلنَّاسِ كَافَّةً، ولكنِ اخْتَارَ الله أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ بَيْنَ الْعَرَبِ أَوَّلَ شَيْءٍ لِحِكْمَةٍ أَرَادَهَا الله تَعَالَى فِي أَنْ  
يَكُونَ الْعَرَبُ هُم مَبْلَغِي الشَّرِيعَةِ لِلْعَالَمِ)<sup>(2)</sup> وأوضح سبب اختيار العرب تحديداً فقال: (والعربُ أُمَّةٌ  
عُرِفَتْ بِالْأَنْفَةِ، وإِباءِ الصَّيِّمِ، وسَلَامَةِ الْفِطْرَةِ، وسُرْعَةِ الْفَهْمِ، وهُمُ الْمُتَلَقُّونَ الْأَوَّلُونَ لِلدِّينِ فلم تكن  
تَلِيقُ بِهِمُ الشَّدَّةُ وَالْغَلْظَةُ، ولكنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى اسْتِنْزَالِ طَائِرِهِمْ فِي تَبْلِيغِ لَشَّرِيعَةِ لَهُمْ، لِيَتَحَبَّبُوا بِذَلِكَ  
الْمُكَابَرَةِ الَّتِي هِيَ الْحَائِلُ الْوَحِيدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِدْعَانِ إِلَى الْحَقِّ)<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، د، ط، ج 4، 1984م)، ص 144.

(2) - المرجع نفسه، ص 145.

(3) - المرجع نفسه، ص 145.

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله في تعليقه على الآية: (أي: برحمة الله لك ولأصحابك من الله عليك، أن ألتهم جانبك، وخففت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتلأوا لأمرك)<sup>(1)</sup>.

وأضاف موضحاً سنة الاقتداء بأخلاقه العظيمة فقال: (أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس بما كان يعاملهم النبي ﷺ من اللين، وحسن الخلق، والتأليف إمتثالاً لأمر الله وجذباً لعباد الله لدين الله)<sup>(2)</sup>.

فجاءت هذه الآية مؤكدة للرحمة بأسلوب من أقوى أساليب التوكيد، ألا وهو أسلوب الحصر، وأداته هنا النفي والإستثناء، فدل على ذلك أن الرحمة عامة.<sup>(3)</sup>

ولإثارة منابع الرحمة والرأفة تجاه المدعوين له صور شتى أشار إليها القرآن الكريم منها :

#### أ- القول اللين

هو مفتاح الدخول إلى عقول المدعوين وقلوبهم، وقد أمر الله به في قوله لنبيه موسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ ۖ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 43-44] موسى عليه السلام صفى الله من خلقه، وفرعون مجرته وطغيانه يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النّازعات: 24] ومع ذلك يأمر الله موسى وأخاه أن يقولوا له قولاً لئناً: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ بمعنى أن القول اللين والكلمة الطيبة مظنة التأثير على السامع حتى يستجيب فيتذكر قلبه ويخشى الله.<sup>(4)</sup>

أمّا عدم إستجابة المشركين للنبي ﷺ وما لحقه من مشاق وأذى، توجّه إلى ربه قائلاً: ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّا هَنُؤَلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزّحرف: 88] فالله تعالى يدعو نبيه إلى أن لا يمل ولا يكل، وأن لا يحيد عن منهج الدّعوة إلى الله، وأن يقابلهم بأعذب كلمة وصفح جميل مهما كان جهل الطرف الآخر، فأمره الله بالقول: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزّحرف: 89].

(1) - السّعدي، تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المتّان، تحقيق: عبد الرّحمان بن معلا اللويحق (الرياض: دار السّلام للنّشر والتّوزيع، ط2، 1422هـ/2002م)، ص 164.

(2) - المرجع نفسه، ص 164.

(3) - محمّد بن إبراهيم الحمد، بحث حول الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، جامعة القصيم، كلية الشريعة، قسم أصول الدّين والعقيدة، 1428هـ، ص 42.

(4) - عودة عبد عودة عبد الله، الكلمة الطيبة وأثرها في الدّعوة إلى الله من منظور قرآني، مجلّة معهد الإمام الشّاطبي، معهد الإمام الشّاطبي للدراسات القرآنية، 2014م، ص 24.

وهذا قَمَّةُ الأخلاق وأرفعها، إصْطَبَعَ بها نبيُّ الرَّحمةِ ممَّا تَلَقَّى من أوامر ربِّه في آي ذكره، كلِّمًا قالوا: فُحِّشًا، قلْ لهم: سلامًا ومغفرة.

وقد أشار القرآن إلى ما أثمره القول اللين من نجاح في دعوة النبي ﷺ وتأثيرها في الناس<sup>(1)</sup> من خلال قول الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 159].

إنَّ السِّياق هنا يَتَّجه إلى النبي ﷺ يذكِّره بالرَّحمة الإلهية التي وهبها إيَّاه، أن جعله لِنِّنا مع أتباعه في كلِّ أحواله، تجلَّت في أحلك الظروف كانتكاسة غزوة أُحُد، فلم يسرف ﷺ في تعنيفهم ولومهم على ما كان منهم من أخطاء، فقد تصرَّف معهم تصرُّف الحكيم الملمِّهم فلا عَنَف ولا وِئَح، وهو يراهم يُؤزُّهم الحُزن أَرَّا، فأعطى الله لنبيه ﷺ منهجًا في الدَّعوة لِيَتَّخذه محورًا أساسيًا في حياته، وينبِّهه أن لو كان فظًّا غليظ القلب في ذلك الموقف العصيب الذي أصابهم يوم أُحُد، لتفرَّقوا عنه ونفروا منه ولم يسكنوا إليه، عن عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ قال: «إِنِّي أَرَى صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّهُ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفو وَيَصْفَحُ»<sup>(2)</sup>. ونبيُّ الله ﷺ لم يكن فظًّا وسيِّئ الخلق، خشن الكلام، ولم يكن غليظ القلب قاسيًا وشديدًا، بل كان رفيقًا داعيًا إلى الرَّفق<sup>(3)</sup> فقال: «من يَحْرِمِ الرَّفْقَ يَحْرِمِ الْخَيْرَ»<sup>(4)</sup> يقول الأستاذ سيّد قطب رحمه الله: (فهي رحمة الله التي نلتها ونلتهم؛ فجعلته ﷺ رحيماً بهم، لِنِّنا معهم، ولو كان فظًّا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمَّعت حوله المشاعر، فالنَّاس في حاجة إلى كنف رحيم، ورعاية فائقة، وبشاشة سمحة، وإلى ودٍّ يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم... في حاجة إلى قلب كبير يُعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائماً الإهتمام والرَّعاية والعطف والسَّماحة والودَّ والرِّضاء، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ، وهكذا كانت حياته مع النَّاس، ما غضب لنفسه قطًّا، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كلَّ ما ملك يده في سماحة نديَّة، ووسعهم حلمه وبرِّه وعطفه

(1) - المرجع نفسه، ص - ص 24، 25.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراهية السَّخْب في الأسواق، رقم الحديث 2125، ص 511.

(3) - محمَّد جمال الدِّين القاسمي، تفسير القاسمي المسمَّى محاسن التَّأويل، تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، 1418هـ)، ص 1020.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب فضل الرَّفق، رقم الحديث 2592، ج 2، ص 1202.



وودّه الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبّه؛ نتيجة لما أفاض ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيمة، وكان هذا كلّ رحمة من الله به وبأمّته .. يذكرهم بها في هذا الموقف ليرتب عليها ما يريد سبحانه حياة هذه الأئمة من تنظيم: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159] <sup>(1)</sup>، وقوله تعالى أيضاً في الرّفق: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: 08] وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

#### ب- الكلمة الاستعطافية

كقول يا أبت، يا بني، يا قوم، يا أيّها الذين آمنوا ... هذه الكلمات إستخدامها الأنبياء عليهم السلام في دعواتهم لآبائهم وأبنائهم وأقوامهم والناس أجمعين، لإستمالتهم وإستدراجهم للدخول إلى الإيمان، وذكرت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم نورد منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ <sup>(٤١)</sup> إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا <sup>(٤٢)</sup> ﴿[مریم: 41-42] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(١٣)</sup> [لقمان: 13].

وما يتعلّق بالدّاعية للمدعو كقوله إني أحبّك، إني أخشى عليك، أو أخاف عليكم ... يقول تعالى في الآية: ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ <sup>(٨٤)</sup> [هود: 84]. هذه الألفاظ اللطيفة والمعبرة عن المحبة والألفة والرفق لها تأثيرها الفعّال في النفوس ودورها النّاجح في إستقطاب المخاطبين <sup>(2)</sup>.

وهذا الأسلوب له فعالية في تمكين الدّعوة ونجاحها، فكلّما أحسن المدعو أن قلباً رحيماً يخاطبه كان أدعى له أن يستجيب لما يسمعه، وقد إهتمّ بها القرآن فكّرّها في أكثر من موضع، فينبغي على الدّاعية تلطيف أسلوبه في إستخدام مثل هذه العبارات الوجدانية في مخاطبه مدعويه.

(1) - يُنظر: سيّد قطب، في ضلال القرآن (القاهرة: دار الشّروق، ط 1 مج 1، ج 4، 1972م)، ص 500.

(2) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، المرجع السّابق، ص - ص 93، 141.

### ثالثاً: قضاء الحاجات وتأمين الخدمات

يُعَدُّ هذا الأسلوب منهجاً دعوياً وعملياً خالصاً، يربط بين الحاجات المادية والرغبات النفسانية للمدعو وعموم الناس، ويسعى إلى تحقيق أواصر المحبة بين الداعية والمدعوين من خلال السعي وراء خدمة مصالحهم وقضاء حاجاتهم وخدمة المجتمع وإقامته على أسس سليمة.

والسعي في قضاء حوائج الناس من الأخلاق السامية التي ندب إليها الإسلام وحث الدعاة عليها، فجعلها من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمرنا الله تعالى به فقال في محكم تنزيله:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

كما اعتنى القرآن بهذا الجانب الخيري فحث على التعاون والبذل والعطاء ومساعدة الناس،

والشواهد في هذا كثيرة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2] يقول الإمام ابن كثير رحمه الله مفسراً للآية: (يأمر الله تعالى عباده بالمعاونة

على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون

على المآثم والمحارم)<sup>(1)</sup> وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]

أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإمّا لا فائدة فيه

كفضول الكلام المباح، وإمّا شرّ ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه، فدعا القرآن إلى التعاون

والسعي في قضاء حوائج الناس ومساعدتهم بدل من المحادثات التي لا فائدة منها، وذلك من خلال

الأمر بالصدقة والحث عليها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، لأن ترك

المنهيات من المعروف والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين والنزاع والخصام والتغاضب

يوجب من الشرّ والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء

والأموال والأعراض بل وفي الأديان<sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل

عمران: 103] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: 28] وقوله أيضاً: ﴿وَيُطِيعُونَ

أَطْعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8].

(1) - ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 3، المصدر السابق، ص 10.

(2) - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي (مؤسسة الرسالة، ط 1، ج 1،



فهذه الأعمال السَّالفة الذكر تعدُّ من أعظم مقاصد الدِّين، يترتَّب عليها تكافل المجتمع ووحدته، وتوثيق أواصر المحبة بين أفرادها، وتأسيس وحدة الشُّعور بالآخر.

وعلى غرار ما سبق ذكره نجد القرآن الكريم أفاض بالعديد من الآيات التي تتحدَّث على المنهج العاطفي، فلا تكاد تخلو سورة من سورهِ إلَّا ودُكر الجانب العاطفي وأساليبه، ولاسيما في دعوات الأنبياء عليهم السلام ليكونوا أنموذجاً أصيلاً يحتذى به الدَّاعية في أيِّ زمان وأيِّ مكان، وعليه إقتصرتُ على بعض النِّماذج من بابِ البيان وإيضاح المعنى.

### المطلب الثاني: تأصيل المنهج العاطفي في السَّنة النَّبوية

بما أنَّ القرآن الكريم غنيٌّ بمشاهد كثيرة ومتعدِّدة في المنهج العاطفي، فإنَّ السَّنة النَّبوية أيضًا تزخرُ بشتَّى الأساليب التي تتعلَّق بالمنهج العاطفي، يمكن أن يقف عندها أيُّ داعية في أيِّ زمان ومكان منها، فيجد فيها الحلول الصَّحيحة والمواقف السَّليمة التي تعينه في دعوته.

وبما أننا بصدد الحديث عن المنهج العاطفي في الدَّعوة ولاسيما في دعوة النَّبي ﷺ فإنَّ دلالة مشروعيته قائمة وثابتة، والدِّراسة الحالية ستنتقي كمًّا كبيراً من الأحاديث المتعلِّقة بالموضوع، كما لا يخفى أنَّ السَّنة النَّبوية تحمل من الدَّلالات ما لا يعدُّ ولا يحصى، إلَّا أنَّني في هذا المطلب سأقفُ على بعض الأحاديث الواردة في المنهج العاطفي من خلال أساليبه كما فعلنا ذلك أثناء حديثنا عن مشروعيته في القرآن الكريم، وسيتمُّ التَّفصيل فيها لاحقاً من خلال فصول الدِّراسة المقبلة منها كالآتي:

#### أولاً : الموعظة الحسنة

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ينحى بدعوته منحى حسنِ الموعظة على أوفرِ دعائمها، وسببِك عناصرها، فكانت مواعظه تُحدِّثُ مسحة على القلوب وتهيج العيون بعبراتها فتدرفها، عن أبي نجيح العرياض بن ساريةؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «وعظنا يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب...»<sup>(1)</sup>.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسَّنة واجتناب البدع، رقم الحديث 2676 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج4، 1998م)، ص 341. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وأخرجه أحمد في مسنده، برقم 16886. وأخرجه البيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي فإنَّه غير جائز له أن يقلد أحداً من أهل دهره، رقم الحديث 19709. وأخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسَّنة واجتناب البدع، برقم 4607، ج2، ص611. وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ ليس له علَّة، وقال البغوي: حديثٌ حسنٌ.

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: «يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة ممّا يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشدّ غضبًا من يومئذ، فقال: يا أيُّها النَّاسُ إنَّكم منفرون فمن صلّى بالنَّاسِ فليخفّف، فإنّ فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة»<sup>(1)</sup> فالذي قاله ﷺ كان وعظًا منه وتعليمًا.

وللموعظة الحسنة دلائلٌ وصورٌ متعدّدة وردت في مواضع كثيرة من السنّة النبويّة نذكر منها كالآتي:

#### أ- الإشارة اللطيفة

استخدم النبي ﷺ الإشارة في دعوته للنَّاسِ، فجاءت متنوّعة من حيث الهدف والتّوظيف، فظهرت تارة بالأصبع، وتارة باليد أو اليدين أو غيرها، أو تغيير ملامح الوجه، أو هيئة الجلسة بهدف التّعبير أو بلورة الأحاسيس، وكل إشارة تحقّق هدفًا من زيادة لوضوح المعنى إلى إثارة انتباه لترسيخ فكرة ما، ومن أمثلة استخدام الإشارة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي موسى رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»<sup>(2)</sup> كان أسلوب الإشارة في الحديث واضحًا، فاستخدم عليه الصّلاة والسّلام الإشارة بحركة اليد فكانت حركة مقصودة تعبّر عن معنى الموعظة ودلالاتها في التّعاون والتّكافل بين المؤمنين، وهو بلا شكّ له الأثر العميق في نفوس الصّحابة رضوان الله عليهم<sup>(3)</sup>.

وحثّه ﷺ وترغيبه في كفالة اليتيم ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا، وقال بأصبعيه السّبابة والوسطى»<sup>(4)</sup> أشار النبي الكريم للمخاطبين من حوله إشارة لطيفة تُفهم أنّ كافل اليتيم معه في الجنّة.

وروى الدّارمي عن عبد الله بن سفيان عن أبيه قال: «قلت يا رسول الله: أخبرني بعمل في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا؟ قال: اتّق الله ثم استقم فأشار إلى لسانه»<sup>(5)</sup> فمعنى إشارة النبي ﷺ هنا هي حفظ اللّسان.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم الحديث 90، ص 24.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا، رقم الحديث 6026، ص 1511.

(3) - عبد الله سعد الفالح، آداب الموعظة الحسنة (دار ابن الأثير، د، ط، 1427هـ)، ص 17.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول، رقم الحديث 6005، ص 1507.

(5) - أخرجه الدّارمي في سننه، تحقيق: مصطفى ديب البغا (دمشق: دار القلم، ط3، ج2، 1417هـ)، ص 754.

فالشاهد من خلال الأحاديث أنَّ الإشارة تزيد الكلام قوَّةً وبلاغةً وتأثيرًا في النفوس، وهي من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة، فينبغي على الدَّاعية أن يحسن إستخدامها تأسيًا برسول ﷺ.

## ب- الكناية

وهي لفظٌ أطلق وأريدَ به لازمٌ معناه، وهي نوعٌ من التعبير غير المباشر يعطي الكلام عمقًا وإجلالًا ويلبسها طراوةً وجمالاً، فالأسلوب الكنائي يتضمَّن بلاغةً وبراعةً في الكلام ونكتًا وفوائد في البيان لا تتحقَّق تلك اللطائف بالتعبير المباشر<sup>(1)</sup>، وقد ظهرت في أحاديث كثيرة منها عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأتها من الدنيا إلا ما قدر له»<sup>(2)</sup>، ففي الحديث كنايات لطيفة كقوله: «من كانت الآخرة همَّه» كناية عن التمسُّك بدين الله، وقوله: «جعل الله غناه في قلبه» عن القناعة بما قسم الله له الرِّزق ... وهكذا فللكناية جمالاً لغويًا في النفوس والمشاعر والأحاسيس وقد ظهرت بوضوح أكثر في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا ذكرَ هادمِ اللذاتِ»<sup>(3)</sup> فهو كناية عن الموت.

إستخدم النبي ﷺ الكناية لأهداف سامية ومقصودة، ثمَّ إنَّ للكناية جمالاً لغويًا مؤثراً في النفوس والمشاعر والأحاسيس، فعندما ذكر عليه الصلوة والسلام في الحديث كلمة - هادم اللذات - فالواقع النفسي لهذه الكلمة أكثر عمقاً من ذكر كلمة الموت التي يعتاد النَّاسُ عليها<sup>(4)</sup>.

وعليه -توضيحاً لما سبق- تعدُّ الكناية من أهمِّ أساليب القول اللَّين في الدَّعوة إلى الله، لأنَّه الأسلوب الذي يمدُّ للمتكلِّم يدَ العون في مقامات لا يحسن فيها التَّصريح والمواجهة<sup>(5)</sup>، ولدرجة

(1) - صور الكناية في الكلام النبوي، إيضاعات نقدية، فصلية محكمة، السَّنة 3، العدد 9، 1392هـ/2013م، ص 49.

(2) - الألباني، صحيح التَّرجيب والتَّرهيب، كتاب التَّوبة والزُّهد، باب التَّرجيب في الفراغ للعبادة، رقم الحديث 3169 (الرِّياض: مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1421هـ/2000م)، ص 231.

(3) - أخرجه التَّرمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب الزُّهد، باب ما جاء في ذكر الموت، رقم الحديث 2307، ج4، المصدر السابق، ص 129. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، وفي صحيح سنن إِبْنِ ماجه، كتاب الزُّهد، باب الهمَّ بالدنيا، رقم الحديث 3329، ص 346. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ. وفي السَّلسلة الصَّحيحة للألباني، رقم الحديث 949 (الرِّياض: مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، ط1، ج2، 1415هـ/1995م)، ص 633، وقال الشَّيخ الألباني: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(4) - أخرجه التَّرمذي في سننه الجامع الصَّحيح، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، كتاب الزُّهد، باب ما جاء في ذكر الموت، رقم الحديث 2307 (مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج4، 1382هـ/1962م)، ص 553.

(5) - محمَّد بُنْ عبد الله الخراز، القول اللَّين وخلافه في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، المفهوم والتَّطبيقات دراسة بلاغية تحليلية، كُلية اللُّغة العربيَّة والعلوم الإجماعية، جامعة القصيم، د، ت، ص 21.

تأثيرها جعلت إحدى أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، فالأساليب البيانية تثير خطاب الداعية تلفت الانتباه وتثير المشاعر.

### ت- القصص الوجدانية

القصّة من أجمل الأساليب الخطائبة والدّعويّة المؤثرة والمثيرة، تشدّ المستمع إليها، تثير عواطفه وميوله وتساعد على تقليد الشخصيات، وقد سلك النبي ﷺ هذا المنهج في مواعظ عدّة منها ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن حَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مَتَوَسِّدًا بَرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمَشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحَمَّرٌ وَجْهَهُ، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ لِيْمَشِطُ بِمَشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمَنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِأَثْنَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلِيَتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضَرَ مَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»<sup>(1)</sup>.

كان هذا في مكّة في وقت الأذى والإضطهاد لطائفة من أهل الإيمان، فهم قلة وضعفاء، والمشركون يسومونهم ألوان العذاب وصنوفه، فجاء الصحابة يشكون النبي ﷺ أن يدعو لهم ويستنصر لهم فلجأ إلى القصّة الوجدانية لإقناع الصحابة بأنّ الصبر مفتاح النصر، وأنّ المؤمنين السابقين لقوا من البلاء والظلم ما لقوا، بل ضحوا بأنفسهم في سبيل الله ما يصرفهم ذلك عن دينهم، فيصف النبي ﷺ لصحابته من خلال ظاهر الحديث طريقة ما تعرض له الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين من الأمم السابقة، طريقة قتلهم حيث كانت وحشية تتحرّك لها المشاعر والعواطف وتقشعّر منها الجلود ويتأثّر بها أهل الإيمان، ليستسهلوا أنواع البلاء والحن التي تواجههم إذا ما قورنت بتضحيات المؤمنين السابقين، ثمّ ختم ﷺ القصّة بعرض الثقة الكاملة للنبي ﷺ وبثّها في نفوس صحابته بأنّ الله سوف يتمّ هذا الأمر ويظهره على الدّين كلّ ولو كره المشركون، وأنّ الله ينصر من ينصره وما النصر إلّا من عند الله<sup>(2)</sup>، وهناك قصص أخرى كثيرة<sup>(\*)</sup> تجلّت في موعظة النبي ﷺ كان لها أبلغ الأثر.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم 3852، ص 942.

(2) - يُنظَر: العثيمين، شرح رياض الصّالحين (الرياض: دار الوطن للنشر، ج 1، 1426هـ)، ص 251.

(\*) - من القصص التي يحكي فيها النبي ﷺ: قصّة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار (يُنظَر: الألباني، صحيح التّرجيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، كتاب الإخلاص، باب التّرجيب في الإخلاص والصدق في التّبة، حديث 1 (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتّوزيع، ط 1، مج 1، 1464هـ)، ص 62. وفي صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث 3465، ص 858، وقصّة الذي قتل مائة نفس، (يُنظَر: يحيى بن شرف التّووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، شرح التّووي على مسلم، كتاب التّوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث 2766، (بيت الأفكار الدّولية، د، ط، د، ت)، ص 1617، وقصّة الأعمى والأبرص والأفقر، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأفقر في بني إسرائيل، رقم الحديث 3464، ص 857.

### وعلى هذا ينبغي على الدّاعية :

- أن يجعل هذا المشهد بين عينيه، ليكون سبباً ودافعاً في تصبيره وثباته على الحقّ، لا يتنازل عنه في حال طمعٍ في رغبةٍ ولا في حال رهبةٍ.
- ومن جانبٍ آخر عليه أن يوظّف هذا الأسلوب عملياً في خطابه الدّعوي يسوق القصص المعبرة والمهادفة، بل ويكون حكيماً في عرضها تأسيّاً برسول الله ﷺ فلا يجعل قصصه كلّها ترهيباً ولا كلّها ترغيباً، بل يتناوب بين الإثنين حسب مقام الوعظ.

### ث- التذكير بنعم الله

يعدّ التذكير بنعم الله شكلاً من أشكال الموعظة الحسنة، بحيث يكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالموضوع أو المشكلة أو المخالفة أو المعصية المراد وعظ الناس من أجلها، فهو يوقظ قلب الغافل وينبّهه إلى ما يرتع فيه الإنسان من خيرات عظيمة ونعمٍ جليّة، فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدي الله، والأنبياء عليهم السلام كانوا يذكرون أقوامهم بنعم الله عليهم طالبين توحيده وناهيهم عن عبادة الأوثان<sup>(1)</sup>.

وكان النبي ﷺ يستخدم أسلوب التذكير في معالجة بعض الأحوال التي مرّ بها، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: «لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلَةِ قُلُوبَهُمْ، وَلَمْ يَعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئاً، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يَصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِِي؟، كُلَّمَا قَالَ شَيْئاً، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُ قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ لَقُتُّمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلَا (\*) الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ

(1) - محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، رسالة قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، لنيل درجة الماجستير، ص 230.

(\*) - ولولاً الهجرة: أي: لولا شرفها وجلالة قدرها عند الله، (يُنْتَظَرُ: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المقدمة، أبواب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل الأنصار، رقم الحديث 164 (دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د، ط، ج1، د، ت)، ص 58.

سلك النَّاسُ وادِيًا أو شِعْبًا<sup>(\*)</sup> لَسَلَكْتُ واديَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسُ دِثَارُ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ<sup>(1)</sup>.

تجلى في الحديث أخلاق النبي ﷺ العاطفية، وكيفية تعامله مع المواقف الصعبة والنفوس المختلفة عندما غنم المسلمون غنائم عظيمة فقسّمها على المؤلفة قلوبهم ولم يعطِ للأنصار شيئاً ظناً منهم أن الرسول قد نسيهم، فبلغ النبي ﷺ فتعجب ما حلّ ذلك في نفوسهم، فخطبهم خطبة ألانت قلوبهم، وأدّمت أعينهم وأقنعت عقولهم.

والشاهد في ذلك أن النبي ﷺ عمد إلى استخدام أسلوب التذكير بنعم الله على الأنصار عندما ظنّ منهم أن النبي ﷺ قد نسيهم أو تناساهم بعد النصر، فلم يعطهم شيئاً ممّا أعطى قريشاً وغاب عنهم أن رسول الله ﷺ إنّما فعل ذلك ليتألف قريشاً، وأنه أعطاهم أفضل النعم صحبتته وجعلهم من خاصّته مبيّناً لهم حكمته وقصده، والنبي ﷺ عندما لجأ إلى هذا الأسلوب لأنّه الأفضل والأجح والدليل على ذلك أن الأنصار بعد نهاية خطبة النبي ﷺ بكوا وندموا، وهذا من أكبر نعم الله في بعثة نبيّ الله ﷺ أن أُلّف به بين قوم قويت بينهم العصبية، فينبغي أن يكون شأن الدّاعية هكذا يؤلّف بين المتفرّقين ويألف حوله المحبّون<sup>(2)</sup>.

### ج- المدح والذم

استخدم النبي ﷺ مختلف أساليب المنهج العاطفي وكان من أبرزها أسلوب المدح والذمّ، فلمدح يدفع النفوس إلى التحلّي بالفضائل والذمّ يمنعها من الوقوع في الرذائل، مع مراعاة أن هذا الأسلوب يهدف إلى تنشيط نوازع الخير لدى المدعو والابتعاد عن نوازع الشرّ، ومثال ذلك ما جاء عن النبي ﷺ عندما قال: «ألا خبركم عن التّفَرُّ التّلاثة؟ أمّا أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأمّا الآخر فاستحى الله منه، وأمّا الآخر فأعرض الله عنه»<sup>(3)</sup> ففي هذا الأسلوب ترغيب للمحسن وتحذير للمسيء.

(\*) - شِعْبًا: الشَّعْب الطَّرِيق في الجبل أو إنفراج بين جبلين، (يُنْظَر: سنن إِبْنِ ماجه، المصدر السَّابِق، ص 58)، وقال إِبْنُ السَّكَيْت: هو الطَّرِيق في الجبل، وفيه فضيلة الأنصار ورجحانهم (المنهاج في شرح صحيح مسلم بِنِ الْحَاجِّ الْمَسْمُومِي بِشَرْحِ التَّوَوِي عَلَى مُسْلِم، كتاب الرِّكَاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم الحديث 1061، المرجع السَّابِق، ص 668).

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطَّائِف في شوال سنة ثمان قاله موسى بن عقبة، رقم الحديث 4330، ص 1060.

(2) - محمود محمّد الخزندار، هذه أخلاقنا (الرِّياض: دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1417هـ/1997م)، ص 194.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، رقم الحديث 66، ص 29.



وفي مدحه ﷺ لأصحابه رضوان الله عنهم، كان يذكر خصائصهم ومزاياهم، ومن أمثلة ذلك عن ابن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ سَمِّهُمْ لَنَا؟ قَالَ: عَلِيٌّ مِنْهُمْ، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا، وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمُقَدَّادُ وَسَلْمَانُ أَمَرَنِي بِحُبِّهِمْ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ»<sup>(1)</sup>.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لِيُرَاهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعُمًا»<sup>(2)</sup>.

وقوله ﷺ مادحًا الأنصار: «الْأَنْصَارُ شِعَارٌ»<sup>(\*)</sup> وَالنَّاسُ دَنَاءٌ»<sup>(3)</sup> فالأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء، وألصق برسول الله ﷺ من سائر النَّاسِ، وهذا من مناقبهم الظَّاهرة وفضائلهم الباهرة<sup>(4)</sup>. كما استخدم النَّبِيُّ ﷺ الذِّمَّ أيضًا بكشف العيوب والأخطاء، خاصَّةً إِنْ كَانَ الْخَطَأُ يَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ أَوْ إِتْهَامِ مَحَارِمِ اللهِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ يُطِيعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَنَسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ قُلْ: وَمَنْ يَعِصِ اللهُ وَرَسُولَهُ»<sup>(5)</sup> يَقُولُ الْعَلَامَةُ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: (إِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ لِتَشْرِيكِهِ فِي الصَّمِيرِ الْمُقْتَضِي لِلتَّسْوِيَةِ، وَأَمْرَهُ بِالْعُطْفِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى بِتَقْدِيمِ اسْمِهِ كَمَا قَالَ ﷺ)<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب علي رضي الله عنه، حديث 3718، المصدر السابق، ص 83. وقال: حديث حسن غريب إلا من حديث شريك. وفي شرح الطَّيْبِيِّ على مشكاة المصابيح المسمَّى الكاشف عن حقائق السُّنَنِ، كتاب المناقب، باب جامع المناقب، رقم الحديث 6258، ص 316. وقال: هذا حديث صحيح، وفي مقدِّمة صحيح سنن ابن ماجه، فضل سلمان وأبي ذرٍّ والمقداد رحمهم الله، رقم الحديث 122، 149، ص 66. وقال: هذا حديث حسن.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه الجامع الكبير، أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم الحديث 3658، مع 6، المصدر السابق، ص 39، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد 27/3، وابن ماجه 96، والطبراني في الصغير له 353 و570. والمسند الجامع 477/6، رقم الحديث 4652، وصحيح الترمذي للألباني حديث 2892.

(\*) - الشَّعَارُ: هُوَ الثَّوْبُ الَّذِي يَلْبِي الْجَسَدَ وَالْدَّنَارُ: فَوْقَهُ (الْمُنْهَاجُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْمَسْمُومِ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1061، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 668).

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ ثَمَانٍ قَالَهُ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 4330، ص 536. وَفِي الْمُنْهَاجِ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْمَسْمُومِ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1061، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 668.

(4) - المرجع نفسه، ص 668.

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 870، ص 594.

(6) - النَّوَوِيُّ، شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 870، ج 6، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 568.

كان سبب النهي أنه مسَّ أمرًا من أمور العقيدة، فذكر العيب لمرتكبه ولمن بلغه هذا الحديث في الوقت نفسه، لبيِّن أنَّ دلالة كلامه أمرًا خطرًا، وذمَّ مرتكب الخطأ صراحة فيه دلالة على أنَّ الأمر بالغ الخطورة، ومبيِّنًا ذلك في قوله: «لا يقلُّ أحدُكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقُلْ ما شاء الله ثمَّ شاء فلان»<sup>(1)</sup>.

ولهذا ثبت في الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا لَتُفْهَمَ»<sup>(2)</sup> وقال محذِّرًا: «لا تكذبوا عليَّ، فإنَّه من كذب عليَّ فليُجِ النار»<sup>(3)</sup>.

### ثانيًا: إثارة منابع الرِّحمة والرَّأفة بالمدعوين

السَّنة مليئة بالعبر، وحافلة بالأسرار، ومرئية للعواطف باعثة على الاقتداء، والحديث في مناهج النَّبي ﷺ في الرَّحمة لمن أعظم ما تنشرح به الصُّدور، وتحقق له الأفعدة، وتحيش له العواطف، وكيف لا وهو الحديث عن المبعوث رحمةً للعالمين، فلا يستطيع أحدٌ أن يتصوَّر مثلاً للتَّضحية بالنَّفْس والرَّحمة والرَّأفة بالآخرين أسمى من مثالية النَّبي ﷺ<sup>(4)</sup>، فأثبت أنَّ مثالية الدَّاعية إلى الله في إرتدائه ثوب الرَّحمة، التي عظَّمها عليه الصَّلَاة والسَّلام، وعدّها من أسس التَّعامل في الإسلام بين الدَّاعية ومدعويه ومع غيرهم من صنوف النَّاس المسلمين وغير المسلمين، من ذلك ما روي عن السيِّدة عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن رهط من اليهود على النَّبيِّ ﷺ فقالوا: السَّام عليك، فقلت: بل عليكم السَّام واللَّعنة، فقال: يا عائشة، إنَّ الله رفيق يحبُّ الرِّفق في الأمر كلِّه، قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت: وعليكم»<sup>(5)</sup>، وقال: «إنَّ الرِّفق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلَّا شأنه»<sup>(6)</sup>.

فالرِّفق إذا عُقد على نواصي الأشياء جملها، ويكون ذلك بالمعاملة الحسنة والكلمة الطيبة والصَّفح الجميل، وأمَّا إذا جعله مقبوحًا ومكروهًا يكون بالألفاظ القاسية والأسلوب الفضّ، والتهجّم بالوجه والتأفّف من المدعو وأفعاله فيؤدّي به إلى التَّنفر.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصَّلَاة والخطبة، رقم الحديث 870، ص 594.  
(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم الحديث 94، ص 36.  
(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النَّبي ﷺ، رقم الحديث 106، ص 39.  
(4) - راغب الحنفي السَّرجاني، الرَّحمة في حياة الرُّسول ﷺ، المرجع السَّابق، ص 37.  
(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرِّفق في الأمر كلِّه، رقم الحديث 6024، ص 1510.  
(6) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلَة والآداب، باب فضل الرِّفق، رقم الحديث 2594، ص 2004.



ففي سورة عبس أنزل الله قرآنًا في حق عبد الله ابن أم مكتوم إذ عبس في وجهه ﷺ لا بغضاً له إنما كان في ذلك مجتهداً مقدماً مصلحة دعوة صناديد قريش التي يراها ﷺ مهمة وعاجلة على دعوة عبد الله ابن أم مكتوم الآجلة، فإذا عوتب النبي ﷺ في ذلك فكيف حال بعض الدعاة اليوم الذين يتهمون في وجوه الناس وكأن بينهم وبين المدعوين حرباً ضروساً وعداءً مستحكماً، فعلى الداعية أن تراجع أسلوبه فهو عامل نجاح دعوته<sup>(1)</sup>.

فبالرفق تزدان النفوس وتلتئم القلوب وتجتمع الأرواح، وتتآلف ولا تتخالف، والنبي ﷺ هو نبي الرحمة قال عنه تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : 107].

### ثالثاً: قضاء الحاجات وتأمين الخدمات

لقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في حرصه على قضاء حوائج الناس وخدمة مجتمعه، وحث أصحابه وأمته من بعده على هذا المنهج وهذا الأسلوب مبيناً في ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(2)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فذاك نصره»<sup>(3)</sup>.

ولعلّ أبلغ تعبيراً يوضحه النبي ﷺ في قوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»<sup>(4)</sup> مثل النبي ﷺ حال المؤمنين فيما تربطهم من خلال كريمة: المودة والرحمة والوقوف مع الضعيف، وإغاثة الملهوف، ودرء القلب المكلم كالبنيان الذي تتشابك فيه الحجارة الصغيرة والكبيرة مما يجعل البنيان قوياً ومتماسكاً.

(1) - عدنان بن محمد آل عرعور وآخر، منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، منهج الدعوة، ط10، 1432هـ، ص 322.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث 2699، ص 2074.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث 2443، ص 591.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم الحديث 6026، ص 749.

وإنَّ تشبيك الأصابع جاء تشبيهها لتعاضد المؤمنين ممَّا يدلُّ على أنَّ أقواهم يعدُّ ركنًا، وضعيفُهم مُستندٌ إلى ذلك الرُّكن القوي<sup>(1)</sup>، وهذا تأكيدًا لقوله وتمثيلاً لهم كيف يكونون فيما حولهم من ذلك: أنَّ العالم إذا أراد المبالغة في البيان أنَّه يمثل لهم معنى أقواله وحركاته<sup>(2)</sup>، فحركة العُضو كالأصابع وتشبيكها أبلغ، فترتسم صورة في عقل السَّامع لتكون ردءً لذاكرته السَّمعية إقتداءً بما وصف به النَّبي ﷺ المؤمنين بعضهم لبعض، يذكر الإمام الحافظ ابنُ حجر رحمه الله قائلاً: (وفي هذا الفعل فائدة دعويَّة ينبغي للدَّعاة اعتبارها والإفادة منها، وهي أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثِّلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السَّامع)<sup>(3)</sup>.

### فحريٌّ على الدَّاعية :

- أن يحرصَ على تآلفٍ وتماسك المجتمع من خلال حثِّهم على التَّراحم والتَّعاضد من غير إثْمٍ ولا مكروه.
- وحرصه على استعمال آداب النَّبي ﷺ والإقتداء بما وصف به المؤمنين بعضهم لبعض من الشَّفقة والنَّصيحة.

وفي إطار هذا الأسلوب يصبر الدَّاعية في خدمته النَّاس بالسَّعي لقضاء حاجاتهم إلتزامًا بحديث النَّبي ﷺ الذي قال فيه: «المؤمن الذي يخالط النَّاس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»<sup>(4)</sup>.

ويقول ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(5)</sup>.

(1) - يُنظَر: المباركفوري، تحفة الأحوذى (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، ج2، د، ت)، ص 329.

(2) - ابنُ بطَّال، شرح ابنُ بطلال على صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم (الرياض: مكتبة الرُّشد، ط2، ج9، 1423هـ/2003م)، ص 227.

(3) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج10، المرجع السَّابق، ص 450.

(4) - أخرجه التَّرمذى في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث 2507، ج4، المصدر السَّابق، ص 662. ورواه ابنُ ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصَّبر على البلاء، رقم حديث 4032، ج2، المصدر السَّابق، ص 1338. وذكر حكم الألباني: حديثٌ صحيحٌ.

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم الحديث 6800، ص 1165.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»<sup>(\*)</sup>، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لدغت رجلاً منا عقرب ونحن مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله، أرقه؟ فقال ﷺ: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»<sup>(2)</sup>.

فجدير بكل داعية إلى الله تعالى أن يهتم بهذا الأسلوب الذي يعود عليه بالفضل العظيم والخير العميم، والذي يترتب عليه صلاح المجتمع وتعاونه على الخير، وإحساسه بالمسئولية، ووقوفه عند الحد الذي ينبغي أن يقف عنده، والتبني ﷺ كثير الوقوف مع كل مؤمن مكروب أو مهموم حتى تُفرج كربته، وهذا في شأن المؤمن عموماً فكيف بالمدعو.

هناك أساليب كثيرة تحسّدت في السنّة النبوية بقوة، غالبيتها تمثّل المنهج العاطفي، إلّا أنّي في هذا المبحث إقتصرت على بعضها كإشارة لبيان دليل مشروعيتها والتفصيل في البقية لاحقاً.

## المبحث الثاني: أهميّة المنهج العاطفي وملازمته للمناهج الدعوية الأخرى

### المطلب الأول: أهميّة المنهج العاطفي في الدّعوة إلى الله

تعود أهميّة المنهج العاطفي إلى ما يلي :

#### 1- مخاطبته للقلب والعاطفة

ذكر سالفاً أنّ المنهج العاطفي أحد المناهج الدعوية التي أرسى قواعدها القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، والتي لا غنى عنها في مجال الدّعوة إلى الله، وهو ملازم ومتداخل مع المناهج الأخرى<sup>(3)</sup>، لكونه يخاطب العاطفة ويستثيرها من منبّتها الأصلي ألا وهو القلب، جاء عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّهُ، وإذا

(\*) - من كان في حاجة أخيه أي: من سعى لقضاء حوائج النَّاس كان الله في قضاء حاجاته معيّنًا له ميسرًا عليه (صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، معالجة مشكلة الفقر في الفكر الإسلامي مع بعض التطبيقات العملية المعاصرة، مجلّة جامعة أمّ القرى للعلوم الشّريعة والدّراسات الإسلامية، العدد 45، ذو القعدة 1429هـ)، ص 322.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث 2442، ص 591.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السّلام، باب إستحباب الرقية من العين والتّملة والحمة، رقم الحديث 2199، ص 1726.

(3) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، المرجع السّابق، ص 11.

فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»<sup>(1)</sup> وقد خصَّ القلب بذلك لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثرًا فيه<sup>(2)</sup>.

والدعوة في أصلها تحتاج إلى وسائل وأساليب لتحريك هذا القلب نحو الإيمان، ولتحقيق ذلك يحتاج من الداعية إلى خبرة بذلك القلب ومعرفة الدوافع التي جبل عليها، لأن القلب يمكن أن تعثره الغفلة والنوم، كما عليه أن يقوم بإيقاظه عبر المنهج العاطفي الذي يختص بذلك، ولما لهذا المنهج من تأثير في النفس البشرية يعدُّ من أهمِّ عوامل الإقناع والتأثير، وقد بين القرآن ذلك فقدَّمه على المنهج العقلي في بعض المواقف كما هو حاصل في سورة الغاشية<sup>(3)</sup>.

كما تكمن أهمية المنهج العاطفي في تقرير مبدأ الرعاية والجسد والروح معًا، لأنَّ الأمرين متلازمان، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر انتهى بمعنى أنه لا جسد بلا روح ولا روح بلا جسد<sup>(4)</sup>، والداعية يجب أن ينطلق في دعوته من القاعدة الروحية، وأن يصطبغ سلوكه بذلك، يقول الدكتور بسام العموش: (لأننا نؤمن أن الإنسان إنسان بروحه لا بجسده، فالجسد يفنى والروح تبقى)<sup>(5)</sup>.

والداعية عليه أن يتذكَّر قول المصطفى ﷺ: «الأرواح جنود مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»<sup>(6)</sup> وإنَّ طَرَقَ باب الروح هو الأسلوب الأقصر لبلوغ الهدف يقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63] أي: يبلغ شغاف قلوبهم، وهذا لا يتحقَّق إلَّا إذا كان الخطاب لأنفسهم وليس لأذانهم، وإنَّ الداعية لا يستطيع أن يصل إلى ذلك ما لم يكن كلامه نابعًا من روحه وقلبه، فما خرج من القلب استقرَّ في القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان<sup>(7)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث 52، ص 24.

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث 52 (المكتبة السلفية، ج1)، ص 125.

(3) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن والسنة، المرجع السابق، ص 11.

(4) - سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدعوة من أمثال النبي ﷺ، المملكة العربية السعودية، جامعة طيبة بالمدينة المنورة، كلية التربية والعلوم الإنسانية، 1425هـ، ص 168.

(5) - بسام العموش، فقه الدعوة، المرجع السابق، ص 18.

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء ﷺ، باب الأرواح جنود مجنَّدة، رقم الحديث 3336، ص 820.

(7) - بسام العموش، فقه الدعوة، المرجع السابق، ص 18.

## 2- مراعاته أحوال المدعو

يعدُّ المنهج العاطفي من الموضوعات الحيويّة المعاصرة قديماً وحديثاً يحتاج إليها الدّاعية في جميع مجالات دعوته، فهو يتّجه لإيصال الدّعوة باللّطف واللّين، يقوم على تحريك الشّعور والأحاسيس وإثارة كوامن الحسّ وخبايا النّفس من غضبٍ ورضا ورحمةٍ وشفقةٍ وغلظةٍ ولينٍ وسرورٍ وأحزان<sup>(1)</sup>، فيراعي في ذلك أحوال المدعو النّفسية والعقلية والاجتماعية والوجدانية وتهيئة نفوسهم لقبول الدّين عن طواعية يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التّوبة: 6].

ومن ذلك إعلان النّبي ﷺ لأهل مكة ورغم ما حصل منهم طوال سنوات الدّعوة إلى تلك السّاعة، وكما دعا المسلمين إلى نشر الأمان فقال ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبَا سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»<sup>(2)</sup> ثُمَّ قَبَلَ جَوَارِ أُمِّ هَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِاثْنَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ: «قَدْ أَجْرْنَا مَنْ أَجَرْتَ وَآمَنَّا مَنْ آمَنْتَ»<sup>(3)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أخبر رسول الله ﷺ أنّي أقول: «والله لأصومنّ النّهار ولأقومنّ اللّيل ما عشت فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي قال: فإنّك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر، وقم ونم وصم، من الشّهر ثلاثة أيام، فإنّ الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدّهر قلت: إنّني أطيق أفضل من ذلك قال: فصم يوماً وأفطر يوماً، قلت: إنّني أطيق أفضل من ذلك، قال: فصم يوماً وأفطر يوماً، فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصّيام فقلت: إنّني أطيق أفضل من ذلك، فقال النّبي ﷺ: لا أفضل من ذلك»<sup>(4)</sup>.

وما حدث في شأن المرأة الغامدية في زمن النّبي ﷺ والتي زنت فعن عمر رضي الله عنه أنّ بن حصين رضي الله عنه قال: «أنّ امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزّنى، فقالت: يا نبي الله! أصبت حدّاً فأقمه عليّ - إقترفت ذنباً عظيماً إستوجب الحدّ - فطهرني منه قال: فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: أحسن إليها»<sup>(5)</sup>.

(1) - أصول الدّعوة وطرقها، جامعة المدينة، المرجع السّابق، ص-ص 213، 219.

(2) - السّيرة النبوية لابن هشام ج4، المرجع السّابق، ص 22.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، رقم الحديث 6158، ص 1539.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصّوم، باب صوم الدّهر، رقم الحديث 1976، ص 475.

(5) - سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدّعوة من أمثال النّبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 168.

وهذا على غير عادة الناس فإنهم إذا زنت امرأة آذاها قومها وأولياؤها، والنبي ﷺ أمر بالإحسان إلى هذه المرأة رغم أنها زانية، فإذا كان النبي ﷺ يأمر بالإحسان إلى أصحاب الكبائر، فما بالك بإحسانه ﷺ مع أفاضل الصحابة كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم، قال: قال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ وليها فشددت عليها ثيابها<sup>(\*)</sup>.. ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال: عمر ﷺ يا رسول الله نصلي عليها وقد زنت؟، قال: والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم<sup>(1)</sup>.

فحريٌّ بالداعية أن يعرف طبيعة المدعو يدرس أحواله العقلية والنفسية وظروفه الاجتماعية، ويحسن التعامل مع المواقف المخرجة بحكمة وبعاطفة.

### 3- تعدد أساليبه وسعة دائرته

تزيد أهمية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله لتعدد أساليبه وسعة دائرة استعماله في الدعوة إلى الله، لكون الطابع العاطفي<sup>(2)</sup> أغلب من غيره وأسرع تأثيراً في كثير من الناس، ذلك أن الناس يقبلون على من يتلطّف معهم ويترقّق بهم<sup>(3)</sup>.

ويُتَّصَد بسعة دائرته كثرة المخاطبين، فالمنهج العاطفي يخاطب كافة الناس وجميع أصناف المدعويين يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57] فيستخدم مع المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيكُم نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6] ويستخدم في دعوة أهل الكتاب فيردّهم في رفقٍ عن دينهم ويذكرهم بما

(\*) - فشددت عليها ثيابها: يعني: فشددت عليها ثيابها خلافاً للرجل، فإن الرجل حين إقامة الحد عليه لا يشدُّ عليه ثوبه، إنما المرأة يشدُّ عليها ثوبها ويجفر لها إلى صدرها وترجم وهي جالسة خلافاً للرجل، فالرجل يقام عليه الحد وهو قائم أو جالس، أما المرأة فإنه يقام عليها الحد وهي جالسة قولاً واحداً (صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف بنفسه بالزنى، رقم الحديث 1696، ص 1324).

(1) - ابنُ السبكي وآخرون، استخراج أبو عبد الله محمد بن محمد الحداد، تخرج أحاديث إحياء علوم الدين (الرياض: دار العاصمة للنشر، ج 5، د، ت)، ص 2111.

(2) - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، المرجع السابق، ص 207.

(3) - رمضان محمد علي مبروك مطايرد، أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية في الجانب النظري، مذكرة دراسية جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ص 78.

جاء به رسولهم ويدعوهم إلى كلمة سواء، يَجْبُذُ المجادلة ولا يحرص على حصولها إلا إذا اضطرَّ لذلك فتكون بالتي هي أحسن يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

ويُستخدم في دعوة الوثنيين بالكلمة الطيبة والتذكير والتخويف من العذاب يقول تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 89].

#### 4- ارتباط الوثيق بالعاطفة

يُنظر إلى أهمية المنهج العاطفي ارتباطه الوثيق بالعاطفة، وهو أنه لا بد أن يعيش العقل والقلب في حضارة الحب وإشرافه وتوجيهه، ولا بد أن تساند الدين وتغذيه عاطفة قوية وحب منبعه قلب مؤمن حنون، فإذا تجرد الدين عن العاطفة والحب، أصبح مجموعة طقوس وأوضاع وأحكام لا حياة فيها ولا روح ولا حماسة فيها ولا قوة، يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى موضِّحاً ذلك: (مع قيام الإسلام على العقل، وترحابه بالفكر الجيد والبحث الأصيل، وحضه على الارتباط المادي المعنوي بالكون عملاً وتأثلاً، مع ذلك كله فهو دين يعقد أوثق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة، ويجعل الإيمان عاطفة دافقة بالحب والبر إلى جانب أنه نظر يتسم بالسداد والصواب)<sup>(1)</sup>.

كما تتحدد أهمية المنهج العاطفي بمدى أهمية العاطفة وقوة تأثيرها في المدعوين، فله الأثر القوي في إثارة هذه العواطف وتوجيهها، وهذا الأثر المنبعث من لشعور الداخلي أعمق وأرسخ في النفوس من أي أمر آخر يقوم به الإنسان، فالشعور العاطفي ينشأ عنه الإقناع العاطفي ومن ثم يكون التطبيق العملي مستمراً، وهذا ما يهدف الدعاة الوصول إليه أن يكون التغيير جذرياً حقيقياً أو صورياً.

#### 5- صلاحيته لجميع المدعوين

تكمن أهمية المنهج العاطفي صلاحيته لجميع المدعوين، ولعلاقته القوية بالمنهج الفطري، والفطرة موجودة لدى الإنسان فلكل إنسان عواطفه ومشاعره وأحاسيسه<sup>(2)</sup>، ولكل إنسان لا بد له من أسلوب مناسب ومنهج محدد، والمنهج العاطفي كفيل ما هو كامن من هذه العواطف ومن ثم توجيهها الوجهة الصحيحة البعيدة عن الريبة<sup>(3)</sup>، إذن فهو يصلح لجميع المدعوين ففيهم الكبير

(1) - محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب (دار الشروق، د، ط، د، ت)، ص 95.

(2) - يُنظر: علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، المرجع السابق، ص - ص 30، 32.

(3) - محمد عبد العمري، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في السنة النبوية، المرجع السابق، ص 16.



والصَّغِير، والحاكم والمحكوم، والذكر والأنثى، والمسلم وغير المسلم، والعاصي والمؤمن، والأعجمي والعربي، والمتقف والعامي، هؤلاء يتفاوتون بلا شك من جهات شتى فيحتاج كل واحد منهم إلى خطابٍ يخصُّه به، والمنهج العاطفي يشمل الجميع، لأنَّه مرتبط بالقلب وهو يوجد في أيِّ إنسان بالقوَّة.

## 6- كثرة وروده في القرآن الكريم والسنة النبوية

تجلى أهمية المنهج العاطفي كثرة وروده في القرآن والسنة، وكلاهما تراثٌ ضخمٌ ومحرزٌ زاخرٌ بعباءٍ لا حدَّ له، وقد تحدَّثنا عن المنهج العاطفي بشكلٍ مثيرٍ للانتباه، حيث لا نجدُ صفحة من صفحات كتاب الله إلا واشتمل الحديث عن العاطفة أو أحد لوازمها وأثارها<sup>(1)</sup>، وهنا يؤكِّد عِظَم أهميته الكبرى في الدَّعوة إلى الله وفي القرآن والسنة، ممَّا استوجب على الدَّعاة اليوم الاعتماد على هذا المنهج، ونظرًا لمكانته العالية وأثره الواضح والبلغ في نجاح الدَّعوة، فقد ظهر بقوَّة في مصاف دعوة النبي ﷺ والأنبياء السابقين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

## المطلب الثاني: ملازمة المنهج العاطفي للمناهج الدَّعوية الأخرى

لقد تناولتُ سابقًا مفهوم المنهج العاطفي في اللُّغة والإصطلاح، وأهميته في الدَّعوة إلى الله، وأوضحتُ الفرق بين المنهج والأسلوب، وذكرتُ أنَّ منهج الدَّعوة إلى الله يقوم على العقل والعاطفة، والتي أطلق عليها العلماء بمناهج الدَّعوة، وهذه المناهج استخدمها الأنبياء عليهم السلام والدَّعاة من بعدهم في تبليغ الحق وبيانه للنَّاس على اختلاف مشاربهم وأحوالهم وأصنافهم، فهي تتنوع من حيث ركائزها تبعًا لتنوع الفطرة الإنسانية، وتتميز بترابطها مع بعضها البعض، بحيث لا يمكن الفصل بينها نظرًا لتلازم وترابط الرُّكائز الأساسية القلب والعقل والحس<sup>(2)</sup>.

وممَّا يقتضي ممَّا في هذا المطلب تبيان تفاصيل هذا التَّرابط وهذا التَّلازم بعد تقديم سطور مُضيئة لمفهوم المناهج الدَّعوية من الناحية اللُّغوية والإصطلاحية، ما عدا المنهج العاطفي فقد سبق تعريفه لكونه المعنى بالدراسة.

(1) - محمد عبد العمري، الدَّعوة إلى الله بالمنهج الحسِّي في السنة النبوية، المرجع السابق، ص - ص 15، 16.

(2) - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السابق، ص 198.



## أولاً: التعريف بالمنهج الدعوي

الدعوة إلى الله بطبيعتها ربّانية وشرعية، قدسيّة التوجّه والوسيلة والغاية، منذ أن انطلق بها الدعاة الأوائل من الأنبياء عليهم السلام إلى النبي محمد ﷺ، وظلّت على مدار التاريخ تسلك طريقها إلى عقول وأفئدة زبائنهم تخلّلتها عروض متعدّدة الأساليب ومتنوّعة الوسائل من قبل دعاة ومصلحين تركوا بصمات ساطعة على صفحات الدعوة.

وعلى غرار صفحات الدعوة قديماً وحديثاً، رُسمت معالمٌ وتجاربٌ أسهمت في نجاح الدعوة، ممّا جعل مُنظريّ الدعوة يتخذوا هذه المعالم مناهج ومركّزات أساسيّة حديثة يمكن للدعاة أن ينحوا حذوها.

وهذه المناهج لها سمة خاصّة عند أهل الدعوة المختصّين، فهي الطُّرق والخطط الواضحة البيّنة الموضوعية على أسسٍ راسخة متينة، مستمدّة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والتي ترسم خطاها وسلك سبيلها ونهج نهجها الأنبياء والمرسلين والتّابعين ومن تبعهم<sup>(1)</sup>، ولذلك فقد عمد هؤلاء المنظّرون في علم الدعوة إلى تقنين هذه المناهج الدعوية، مصدرهم في ذلك الكتاب والسنة المطهّرة، فجاءت على النّحو التالي:

## أ- المنهج العقلي

المنهج العقلي مصطلح مركّب من مفردتين الأولى: المنهج وقد سبق تعريفه، والثّاني: العقل سيسبق التعريف به لاحقاً وهو كالآتي :

### - العقل لغةً

- يُعرّفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (هو الحجر والمنتهى)<sup>(2)</sup>.
- ويُعرّفه العلامة الجرجاني بالقول: (العقل جوهر مجرّد يدرك الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة)<sup>(3)</sup>.

(1) - خالد بنُ محمد الحافظ العلمي، منهج أمهات المؤمنين في الدعوة إلى الله (المدينة المنورة: مكتبة دار الزّمان للنشر والتّوزيع، ط3، 1437هـ/2016م)، ص 28.

(2) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة عقل، ج11، المصدر السّابق، 485. وابنُ منظور، لسان العرب، دار صادر، ج5، المصدر السّابق، ص 65.

(3) - الجرجاني، التّعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)، ص 152.

- ويعرفه العلامة الفيروز آبادي بالقول: (يطلق على العلم بصفات الأشياء من حسن وقبح، وكمال ونقصان، أو هو العلم بخير الخيرين وشر الشرّين، أو هو قوّة يكون بها التّمييز بين القبح والحسن)<sup>(1)</sup>.

#### - العقل اصطلاحاً

للمكانة التي يتولّاها العقل وضرورته للإنسان، جعل إهتمام عدد كبير من العلماء الذين نقّبوا عن ماهية العقل بغية التعرّف عليه، وبحثوا في إهتماماته وآثاره وحاولوا تقصّي جلّها، ومن ثمّ عمدوا إلى وضع تعريفات للعقل، فكانت متباينة تبعاً لما استقر لدى كلّ واحد بحسب معرفته وعلمه ومن هؤلاء:

- يعرفه العلامة الرّاعب الأصفهاني رحمه الله وقد قسّمه إلى قسمين :

الأوّل: يطلق على القوّة المتهيّئة لقبول العلم، والثّاني: العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة، وما كان مبتدأ في النفوس<sup>(2)</sup>.

- ويُعرفه الحافظ الماوردي بالقول: (العقل هو العلم بالمدرّكات الضّرورية، وذلك نوعان: أحدهما ما وقع عن درك الحواس<sup>(3)</sup> يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46] دلّت الآية إلى أمرين أحدهما أنّ العقل علم، والثّاني محلّه القلب، ولفظه يعقلون بها تأويلان أحدهما يعلمون بها، والثّاني: يعتبرون بها، فهذه جملة القول في العقل الغريزي وهو أحد أنواع العقل<sup>(4)</sup>.

- ويعرفه العلامة ابنُ الجوزي رحمه الله بالقول: (العقل غريزة كائنات نور يُقذفُ في القلب فيستعد لإدراك الأشياء، فيعلم جواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، ويتلمح عواقب الأمور)<sup>(5)</sup>.

- وعرفه الشّيخ ابنُ العثيمين رحمه الله استناداً للآية، ذاكراً أنّ محلّ العقل القلب استناداً ليقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] فيقول: (فتأمّل قوله سبحانه: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ حيث جعل القلوب آية العقل، ثم أكّد أنّ المراد به القلب الحقيقي الموجود في الصّدور لقوله:

(1) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي، مادة عقل (مؤسّسة الرّسالة، ط8، 1426هـ/2005م)، ص 1033.

(2) - يُنظر: الرّاعب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المصدر السّابق، ص 342.

(3) - يُنظر: أبو الحسن الماوردي، أدب الدّين والدّنيا (بيروت: دار إقرأ، ط4، 1405هـ/1985م)، ص 9.

(4) - يُنظر: المرجع نفسه، ص 10.

(5) - ابنُ الجوزي، ذم الهوى (دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت)، ص 13.

﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فدلّ هذا على أنّ القلب هو الذي يُصير المعاني ويميّز بينها ويعقلها، وقال ﷺ: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً... الحديث»<sup>(1)</sup> فجعل مدار تصوّف الجسد كلّهُ على القلب<sup>(2)</sup>.

وبناءً على المفاهيم السابقة جاء العقل بمعانٍ عدّة: هو غريزة محلّها القلب، وهو محلّ الإدراك للأشياء والمحسوسات، وهو القوّة والجوهر الذي يميّز به بين الخير والشرّ والنّافع والضّار. وأمّا المنهج العقلي من حيث الاستخدام في الدّعوة إلى الله تعالى، هو قدّم يرجع إلى بداية خلق الإنسان ونشاطه على وجه الأرض، لأنّه مرتبط ارتباطاً وثيقاً به وهو موجود فيه، وعليه فلم أقف على محاولات تعريفه سوى ما اعتمده الدكتور محمّد أبو الفتح البيانوني حيث عرّفه بتعريفين:

- هو النظام الدّعوي الذي يركّز على العقل ويدعو إلى التّدبّر والتّفكّر والإعتبار.
- مجموعة الأساليب الدّعوية التي تركّز على العقل وتدعو إلى التّفكّر والتّدبّر والإعتبار.
- وذلك لأنّ النظام الدّعوي لا يظهر إلّا بمجموعة أساليبه المطبّقة له<sup>(3)</sup>.

وعلى هذا فإنّ "المنهج العقلي" يعتمد أساساً على الجانب العقلي في مخاطبة المدعوين باستخدام الاستدلال والجدل والمناظرة، ويستخدم في هيئة مناهج متعدّدة متفرّعة منه:

**كالمنهج الاستدلالي** الذي عرّفه الدكتور عبد الرّحمان بدوي بالقول: (بأنّه البرهان الذي يبدأ من القضايا المسلّمة وينتهي إلى قضايا تنتج عنها بالضرورة دون اللّجوء إلى عملية التّجربة)<sup>(4)</sup>.

والجدلي الذي هو مجموعة الأساليب الجدلية المستخدمة لإثبات قضيّة ما أو نفيها أو لبيان صحتها أو كذبها<sup>(5)</sup>.

## ب- التعريف بالمنهج الحسيّ

يتميّز المنهج الحسيّ لكونه خطاباً موجّهاً للعقل والعاطفة أو كلاهما معاً من خلال الاعتماد على الحواس، وهذا يعكس عظم أهمّيّته في مخاطبة شرائح واسعة من المجتمع الإنساني، وقبل الوقوف على تطبيقات هذا المنهج في دعوات الأنبياء عليهم السلام، سأبيّن مفهوم هذا المنهج، وهو كالآتي:

(1) - تمّ ترجمته سابقاً، يُنظر الصفحة، ص-ص 63، 64.

(2) - العثيمين، إزالة السّتار عن الجواب المختار لهداية المختار، د، ط، د، ت، ص 70.

(3) - محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة، المرجع السّابق، ص 208.

(4) - عبد الرّحمان البدوي، مناهج البحث العلمي، المرجع السّابق، ص 5.

(5) - المرجع نفسه، ص 7.

– الحسُّ لغة

– يعرفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (من حسَّ بالشَّيء يحسُّ حسًّا شعر به، ويقال: حسَّنتُ بالشَّيء إذا وجدته وأبصرته وعلمته وعرفته وأيقنت به، والحسُّ والحسيس الصَّوتُ الخفي)<sup>(1)</sup>.

– الحسُّ اصطلاحاً

– يعرفه العلامة الجرجاني بالقول: (هو القوَّة التي ترسم فيها صورة الجزئيات المحسوسة)<sup>(2)</sup>.  
– وفي تعريف آخر هو: (القوَّة التي بها تُدرك العوارض الجسمية)<sup>(3)</sup>، والحسُّ يدرك به العلم الواقع عن الحواس، وهو علم ضروري غير مكتسب، لأنَّ دخول الشكِّ عليه غير جائز)<sup>(4)</sup>.

وبناءً على التعريفات السابقة يمكن القول أنَّ الحسُّ بمعنى: إدراك الأشياء بالمحسوس، وهو علم غير مكتسب يعتمد على الحواس.

وأما "المنهج الحسي" فلم أعثر على تعريفٍ له، سوى ما إعتمده الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني حيث عرَّفه بتعريفين :

- النظام الدَّعوي الذي يركّز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتَّجارب.
  - مجموعة الأساليب الدَّعوية التي تركز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتَّجارب.
- وذلك لأنَّ النظام الدَّعوي لا يظهر إلَّا بمجموعة أساليبه المطبَّقة له<sup>(5)</sup>.

ثانياً: أساليب المناهج الدَّعوية

أ – أساليب المنهج العقلي

كلُّ أسلوبٍ لمنهج دعوي يتميَّز به عن غيره من المناهج الأخرى، ومن أبرز ما تميَّز به المنهج العقلي من أساليب مُتنوِّعة ومن أهمّها :

(1) – يُنظَر: ابنُ منظور، لسان العرب، مادة حسس، المصدر السَّابق، ص- ص 170، 171.

(2) – الجرجاني، التَّعريفات (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، ص 117.

(3) – المناوي، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف (القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ط1، ج1، 1410هـ/1990م)، ص 139.

(4) – أبو بكر الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرَّحمان (المملكة العربية السُّعودية: دار ابنِ الجوزي، ط1،

مج2، 1417هـ/1996م)، ص 37.

(5) – محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 214.

## - أسلوب المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها :

هذا الأسلوب هو أحد خصائص التفكير المنطقي التي تعمل بصيغة المجادلات التي قد تكون صائبة أو خاطئة، وقد استخدم النبي ﷺ أقيسة بجميع أشكالها بما فيها:

- قياس الأولى: ما جاء في قوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة لَمَّا قال له الصَّحَابِي الجليل معاوية بنُ حيدة ؓ: «يا نبيَّ الله إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: فالله أحقُّ أن يُستحيَّ منه من النَّاسِ»<sup>(1)</sup>.

- والقياس المساوي: كقياس إتلاف مال اليتيم على أكله، فلا يوجد دليل خاص من الكتاب والسنة يُجرِّم إتلاف مال اليتيم، وقد أنزل تعالى آيةً يُحرم فيها أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِمِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: 10] وقد قاس العلماء إتلاف الأموال على أكلها، والإتلاف يتساوى مع الأكل، وقياس بالخلف ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: 22].

- والقياس الضمني: جاء في قوله ﷺ للصَّائم: «إذا نسي فأكل وشرب، فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»<sup>(2)</sup>.

## - أسلوب الجدل والمناظرة والحوار

وهو أسلوب دعوي فطري، استعمله كلُّ الأنبياء عليهم السلام والدُّعاة في إثبات وحدانية الله ونفي الأضداد عنه ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَنْشُرُونَ ۝١١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: 21-22] فكان حوار الأنبياء لأقوامهم والمخالفين لدعوتهم لإقامة الحجَّة عليهم وبيان المحجَّة الواضحة.

وتلك الأساليب الثلاثة - الجدل، والمناظرة، والحوار - تشمل نقاش بين طرفين متخاصمين إلا أنَّها تختلف في مفهوماتها الاصطلاحي.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، رقم الحديث 2769، ج5، المصدر السابق، ص 97، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ. وفي سنن ابنِ ماجه، كتاب النِّكاح، باب التَّسْتُرُ عند الجماع، رقم الحديث 1920 (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، د، ت)، ص 333. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، وذكر حكم الألباني: حديث حسن.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّوم، باب الصَّائِم إذا أكل أو شرب ناسيًا، رقم الحديث 1923، ص 464. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّيَام، باب أكل النَّاسِي وشربه، رقم الحديث 1155، ص 809.

فالمناظرة هي توجه المتخاصمين في النسبة بين الشَّيْعين إظهاراً للصَّواب، والمجادلة هي المنازعة لا لإظهار الصَّواب بل لإلزام الخصم، وقد لاحظنا القرآن يأمر بالجدل<sup>(1)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وكان ممَّا تميَّز به المنهج العقلي إعماده على العلم وإقامة الأدلة لإقناع وإفحام الخصم، وقد أبانها القرآن إذ تقع على الدَّاعية ضرورة الجدل فالزمه المولى عزَّ وجلَّ أن يكون بالتّي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾: [النحل: 125] وكان ممَّا تميَّز به المنهج العقلي إعماده على العلم وإقامة الأدلة لإقناع وإفحام الخصم.

#### - ضرب الأمثال بأنواعها

الصَّريجة أو الكامنة جاءت قوله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة... الحديث»<sup>(2)</sup> وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21] وفيه تقريع للبشر إذ لم تتحرك خشيتهم فتُسيل في أعينهم دُموعاً أو تُحدث في قلوبهم زلزالاً وقشعريرة مقارنة مع جبل أصمَّ تصدَّع من خشية الله.

#### - الأسلوب القصصي

الذي يغلب عليه الجانب العقلي يقول تعالى: ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

#### ب- أساليب المنهج الحسِّي

للمنهج الحسِّي مكانته العظيمة في الدَّعوة إلى الله تعالى، وذلك لتعدُّد أساليبه الدَّعوية في مجال التبليغ والتعليم والتطبيقات، ممَّا يشكِّل زاداً رافداً للعاملين في حقل الدَّعوة، خاصّة لما تميَّز به من خصائص ميّزته عن بقية المناهج الأخرى كسرعة التأثير واتساع دائرته يقول تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذَّاريات: 20].

(1) - أحمد أحمد غلوش، الدَّعوة الإسلامية، المرجع السَّابق، ص 380.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يُقرع في القسمة والإستهمام فيه؟، رقم الحديث 2493، ص

ومن تلك الأساليب التي إتفق عليها علماء الدعوة هي كالآتي: <sup>(1)</sup>

#### - أسلوب المعجزات الحسية الخارقة

وهي التي أيد الله بها الأنبياء عليهم السلام، لأجل لفت انتباه الناس وحملهم على الإهتمام بما جاءوا به ثم تصديقهم، كعصا موسى عليه السلام، وناقة صالح عليه السلام، وكنز خاصية الإحراق من النار التي أُلقي فيها إبراهيم عليه السلام، ومعجزات عيسى عليه السلام كانت معجزات حسية، هذا إلى جانب معجزات النبي ﷺ فقد أيد الله بمعجزات حسية، شاهدها الصحابة، كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، والبركة في الطعام، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وردّ عين أبي قتادة رضي الله عنه وغير ذلك من المعجزات الحسية، بجانب المعجزة المعنوية الكبرى: القرآن الكريم وهذا يؤكد على أهمية المنهج الحسي في الدعوة إلى الله.

#### - وأسلوب لفت الحواس وتنبيهها للنظر فيما حولها من مخلوقات

هذا الأسلوب يقود بالمدعو إلى معرفة الخالق سبحانه فيقول تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53] يذكر الإمام العلامة ابن كثير رحمه الله في معنى الآية: (أي: سنظهر لهم دلالاتنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية .. ودلائل في أنفسهم .. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما للإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التّشريح الدّال على حكمة الصّانع تبارك وتعالى) <sup>(2)</sup>.

وهناك أساليب أخرى كان لها الأثر في الإلتزام بقيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه منها :

#### - أسلوب التّعليم التّطبيقي

على وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به والمدعو إليه، كما فعل النبي ﷺ في دعوته لتعلم الصّلاة والحج فيقول عليه السلام: «صلّوا كما رأيتموني أصلي» <sup>(3)</sup> وقال - ﷺ - : « خذوا عني مناسككم» <sup>(4)</sup>.

(1) - يُنظر: محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة، المرجع السّابق، ص - ص 214، 217.

(2) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السّابق، ص 187.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، رقم الحديث 7246، ص 1791.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحجّ، باب إستحباب رمي جمرة العقبة يوم التّحرر ركباً وبيان قوله ﷺ «لتأخذوا مناسككم»، رقم الحديث 1297، ص 943.



### - أسلوب القدوة العملية

هذا الأسلوب يعدُّ من أرقى أنواع الدَّعوة إلى الله، فهو يدعو إلى الإِمثال بالعمل قبل القول، ولذلك أحياناً يكون تأثيرها أبلغ من القول أو المقال، وقد بيّن القرآن الكريم القدوة في شخصية النَّبي ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] حتَّى قالت عنه السيِّدة عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»<sup>(1)</sup>، فكان له دور في نشر الإسلام ونجاح الدَّعوة، فقد كان عليه الصَّلَاة والسَّلام قدوة للمسلمين خاصَّة، والأَمْوِج الأَمْثَل والحجَّة القائمة على كلِّ داعية، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (القدوة، والأسوة ما يتأسَّى به، أي: يقتدى به في جميع أحواله)<sup>(2)</sup>.

كما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ وهو ينقل من تراب الخندق حتَّى وارى جلدته بطنه وكان كثير الشَّعر<sup>(3)</sup>، وعندما حاول أسامة بنُ زيدٍ ﷺ أن يشفع في امرأة مخزومية كان يرُدُّه: «والله لو أن فاطمة بنت محمَّد سُرقت لقطعت يدها»<sup>(4)</sup>.

### - وأسلوب التَّمثيل المسرحي

وذلك بعرض قضايا وأمور دعوِيَّة على خشبة المسرح أو سيناريوات التَّمثيل، والذي أصبح فنّاً يعوّل عليه في تصوير الواقع وطرح أموراً وقضايا اجتماعيَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة لمعالجتها، أفضل من التَّعبير عنها، لذلك نجد التَّمثيل وسيلة فاعلة ومؤثِّرة في ترسيخ القناعات وتعزيز القيم والإيمان بالفكرة، وأكثر الأساليب إثارة وجذباً، وأكثر نجاحاً في إمتلاك القلوب وأسرها، ذلك لما يتضمَّنه من أساليب التَّشويق والإثارة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17].

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة اللَّيْلِ ومن نام عنه أو مرض، رقم الحديث 746، ج 1، ص 512.

(2) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي -، ج 8، المصدر السَّابق، ص 1237.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث 4106، ص 1009.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السَّارق الشَّريف وغيره والتَّهْي عن الشَّفاعة في الحدود، رقم الحديث 1688، ص 1313.



وقال النبي ﷺ: «مثلي ومثلي الأنبياء كمثلي رجل بنى بُنياناً فأحسنه وأجملته، فجعل الناس يطوفون به، يقولون: ما رأينا بُنياناً أحسنَ من هذا، إلا هذه اللبنة، فكُنْتُ أنا تلك اللبنة(\*)»<sup>(1)</sup>. ولكي يكون هذا التمثيل هادفاً وبنّاءً، يجب أن يكون منضبطاً بضوابط شرعية دون الإخلال بقيم الإسلام ومبادئه.

### - أسلوب تغيير المنكر

أُعتبر درء المنكرات ودفع المعاصي وتغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، من الأمور المقررة شرعاً، ينبغي على الأمة ودُعائها القيام بهذا الواجب يقول النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكراً؛ فليُغيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(2)</sup> وقد استخدم النبي ﷺ اليد في تغيير المنكر يوم فتح مكة، حيث حطّم الأصنام التي كانت حول الكعبة، بأن طعنها بعود في يده فتساقطت على وجهها، واستخدام نبي الله إبراهيم عليه السلام اليد في تحطيم الأصنام: ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: 93] فاشترك حاسة اللسان مع جارحة اليد مع مشاعر القلب بالكرهية لمرتكي المنكر إبرازاً لفاعلية المنهج الحسني<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: ملازمة المنهج العاطفي للمناهج الدعوية الأخرى

تناولت سابقاً بنوع من التفصيل التعريف بمناهج الدعوة إلى الله، وقد جمعها الله تعالى في آية واحدة جاء في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئاً وَفَرْدَى ثُمَّ تَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46] فالموعظة من خلال الآية جاءت مخاطبة للعاطفة ومنه نستنبط المنهج العاطفي، أمّا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ﴾ فهو مخاطبة للعقل، أمّا المنهج الحسني يستنبط من قوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ بمعنى أن هذا محمد ﷺ أمامكم، وقد عاش فيكم قبل الدعوة أربعين سنة لم يعرف عنه جنون ولم يصبه مرض.

(\*) - اللبنة: بفتح اللام وكسر الباء، ويجوز إسكان الباء مع فتح اللام وكسرها، كما في نظائرها، واللبن كما جاء في المنجد هو المضروب من الطين مربعا للبناء (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم الحديث 2286، ص 1790).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم الحديث 2286، ص 1790.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، رقم الحديث 49، ص 69.

(3) - أصول الدعوة و طرقها، ج2، المرجع السابق، ص 192.

يذكر الدكتور السيّد وكيل في تعليقه على الآية وهو يوضّح مدى الارتباط بين العاطفة والعقل والحسّ قائلاً: (ولمّا كان المنهج العاطفي لا يحقّق تلك الغاية إلّا إذا كان مرتبطاً بالعقل موصولاً بالواقع، فإنّ الإسلام قد حرص على أن يوثّق صلته بالعقل، وأن يربطه ربطاً محكماً بالواقع)<sup>(1)</sup>.

لذلك نجد حسب آراء علماء الدّعوة والباحثين، أنّ المنهج العاطفي وثيق التّربط بكلّ من المناهج الأخرى العقلي والحسّي، وقد أودع الله في الإنسان قوّتين :

- قوّة مدركة ظاهرة واعية واضحة العقل الذي يدرك ما تنقله إليه الحواسّ من العالم الخارجيّ المحيط بالإنسان، ويتأثّر بعوامل كثيرة، كالعلم والتّجارب والعادات والتّقاليد وشئى جوانب الحياة.
- قوّة مدركة باطنة مُبهمّة، وهي قوّة الإدراك الشعوريّة الوجدانيّة داخل النّفس البشريّة، التي تُدرك بها الأمور الباطنة، كالألم والجوع والعطش والفرح والحزن، وتدرك بها الرّضا والقبول، والإرتياح لشيء ما، وتدرك بها الثّفور والرّفص لشيء آخر، وهذا إدراكٌ باطنيّ مبهم، تقبل به الشّيء أو نرفضه وجداناً وشعوراً، وقد لا يكون لدينا مسوّغ واضح لهذا القبول أو الرّفص، سوى الشعور بالإرتياح أو الاستياء<sup>(2)</sup>.

وهذه القوّة لها علاقة وهي المحرّك والدّافع ترتكز عليها المناهج الثّلاث :

- المنهج العاطفي يرتكز على القلب والقوّة الشعوريّة.
  - المنهج العقلي يرتكز على العقل ويدعو إلى التّفكّر والتّدبّر والاعتبار<sup>(3)</sup>.
  - والمنهج الحسّي يرتكز على الحواس ويعتمد على المشاهدات والتّجارب.
- وبالتالي فإنّ هذه المناهج متداخلة فلا يمكن الفصل بينها، لأنّ النّفس البشريّة بطبيعتها مكوّنة من خليط من المشاعر والأحاسيس، وتحديد المنهج المناسب تكون بحسب ما يغلب على طبيعة المدعو.

وعليه يُعدّ التوجّه إلى العاطفة مؤازراً في أساليب الإقناع والتأثير للتّوجه إلى العقل، فإذا كان العقل لا يسهّل القيادة في بعض الأحيان مهما وضّحت الحجة وعلّت في صحتّها وقطعيّتها، فإنّ العاطفة تكون حينئذٍ عوناً على استمالة المدعو وإجتذابه، فهما أسلوبان يدخل منهما نور الهداية ومعاني الخير والرّشاد لكن بطريقتين مختلفتين شكلاً، متّفقين هدفاً<sup>(4)</sup>.

(1) - حامد بن أحمد بن العامري، الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، المرجع السّابق، ص 138.

(2) - أصول الدّعوة وطرقها، مناهج الدّعوة، المرجع السّابق، ص 221.

(3) - محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة، المرجع السّابق، ص 208.

(4) - إبراهيم بن صالح الحميدان، الإقناع والتأثير دراسة تأصيليّة دعويّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كليّة الدّعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب (مجلة جامعة الإمام، العدد 49، 1426هـ)، ص 287.

وعليه فالعلاقة بين العاطفة والعقل علاقة توازن ومقارنة، وترجيح، والدّاعية إلى الله عندما يخاطب العواطف ويثيرها فإنّه في الوقت ذاته يُنبّه العقول لتقارن بين الطيّب والخبث، والمعروف والمنكر، وعندما ترتبط العاطفة بالعقل فإنّها حينئذٍ تكون محكمة، محفوظة من الثّورة الهوجاء والحماسة العمياء، والبعد عن التّورط في الحكم على الأشياء لمجرد التّأثر بها<sup>(1)</sup>.

ويمكن أن يكون كلُّ منهج منها قائماً بنفسه مستغنياً عن المناهج الأخرى، لكنّ الملاحظ أنّه في بعض الأحيان من الصّعب الفصل بينها فصلاً تاماً نظراً لتلازم وترايط الرّكائز الفطرية في النّفس البشرية، ولكن قد يغلب منهجٌ على آخر وذلك حسب إستخدامه، والدّاعية مطالب أن يتخيّر المنهج الأنسب لمقتضى الحال، بهدف تغليه على بقية المناهج، دون أن يعني ذلك إسقاط المناهج الأخرى، وبقي أن نشير هنا أنّ بعض الباحثين كالّدكتور علي جريشة جعل منهجاً جديداً أسماه المنهج الفطري<sup>(2)</sup>، ولَمّا كان القلب والعقل والحسُّ يرتكزون على الفطرة، فإنّه ليس سائغاً أن نفصل المنهج الفطري عن تلك المناهج الثلاثة<sup>(3)</sup>.

وبالتّالي نستطيع القول بأنّ المنهج العاطفي أحياناً يحتاج إلى إعمال العقل الرّاجح حتّى يضبطها وإلاّ طغت وجرت صاحبها إلى ما لا يُحمد عُقباه، فكم من مواقف وقفها صاحب العاطفة ولم يحكّم فيها عقله فندم عليها، فالعقل إذن لجام للعاطفة، والعاطفة مسرح للعقل ومخفّعة من غلوائه وسطوته، فكلاهما نافذتان يدخل منهما نور الهداية ويستقرّ في الوعي وينقاد المرء لما يتجهان إليه ويبصرانه به وفي تكافلهما لا شكّ حفاظاً من الزّلل، وفي مناجاتهما توفيراً لأسباب الرّشد وحيطة في التّوجيه وفي حسن التّربية<sup>(4)</sup>، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحجّ : 46] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

تبين الآيتان أنّ العقل غريزة فطريّة، يولد الإنسان مزوداً بها تنمو شيئاً فشيئاً، ومحلّ هذه الغريزة هو القلب، فيتّضح إذن أنّ العقل مكانه القلب، يقول الإمام البنّا رحمه الله: (ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنبروا أشعة العقول بلهب العواطف)<sup>(5)</sup>.

(1) - سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدّعوة من أمثال النّبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 154.

(2) - يُنظر: علي جريشة، مناهج الدّعوة وأساليبها، المرجع السّابق، ص-ص 28، 37.

(3) - يُنظر: محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة، المرجع السّابق، ص 219.

(4) - محمّد محمود الشريف، العاطفة الإيمانية وأهمّيّتها في الأعمال الإسلامية، المرجع السّابق، ص 103.

(5) - مجموعة رسائل الإمام حسن البنّا، pdf، د، ط، د، ت، ص 127.

وقد ظهر تلازم المنهج العاطفي للمناهج الأخرى من خلال حديث النبي ﷺ للأنصار: «أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله ﷺ إلى رحالكُم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكُنْتُ امراً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً، وسلكَت الأنصار شِعْباً لسلكَت شعب الأنصار»<sup>(1)</sup>.

لننظر كيف ظهر أثر المنهج الحسِّي على استعمال النبي ﷺ عند إثارتِهِ لعواطف الأنصار ببيان محبَّتِهِ لَهُمْ ومكانتِهِمْ عنده بالموازنة بين ذهاب النَّاس بالشاة والبعير، وذهابهم برسول الله ﷺ، والموازنة بين أمرين لو قدَّر حدوثهما وهما أنَّه لو سلك النَّاس جميعُهُم وادياً أو شِعْباً، وسلكَ الأنصار وادياً وشِعْباً آخر، لسلكَ طريق الأنصار وذهب معهم في واديهِم وشعبِهِم.

وعندما سلك النبي ﷺ في دعوته إلى الجمع بين هذه المناهج، ما حدث في طريق رجوعه من غزوة حمراء الأسد إلى المدينة أخذَ أبا عَزَّةَ الجمحي<sup>(\*)</sup> وهو الذي كان قد منَّ عليه من أسارى بدر؛ لفقره وكثرة بناته، على ألاَّ يظاهر عليه أحداً، ولكنَّه نكث وغدر فحرَّض النَّاس بشعرِهِ على النَّبيِّ ﷺ والمسلمين، وخرج لمقاتلتهم في أُحُد، فلمَّا أخذه رسول الله ﷺ قال: يا مُحَمَّد، ألقني، وأمننَّ عليَّ، ودعني لبناتي، وأعطيك عهداً ألاَّ أعود لمثل ما فعلت، فقال ﷺ: «لا تمسح عارضيك بمِكة بعدها وتقول: خدعْتُ مُحَمَّدًا مرَّتَيْنِ، لا يُلدغ المؤمنُ من جحرٍ مرَّتَيْنِ، ثم أمر الزُّبير أو عاصم بن ثابت فضرب عنقه»<sup>(2)</sup>.

ففي هذا الموقف كان إعمال العقل هو الأصوب للنبي ﷺ، وقد أبان القاعدة التي يدور عليها وهي أنَّه لا يلدغ مؤمن من جحرٍ مرَّتَيْنِ، فتقرير العقل هنا كان أقوى من نداءِ العاطفة المرتكز على فقر الرجل وكثرة بناته، فعامله ﷺ بالعدل لا بالإحسان إذ أحسن إليه من قبل.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، رقم الحديث 4330، ص 1059. ورقم الحديث 4333، ص 1060. السيرة النبوية لابن هشام، علَّق عليها وخرج أحاديثها وصنف فهارسها عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1410هـ/1990م)، ص-ص 137، 138.

(\*) - أبو عَزَّةَ الجمحي: الكافر قتله النبي ﷺ يوم أحد صبراً، مذكور في كتاب السير من المختصر والمذهب، اسمه عمرو بن عبد الله، وكان شاعراً يحرض بشعره على قتال المسلمين، وعَزَّةَ بفتح العين وتشديد الزَّاي وبعدها هاء، وكان النبي ﷺ منَّ على أبي عَزَّةَ هذا يوم بدر، فذهب إلى مِكة وقال: سخرت بمُحمَّد، فلمَّا كان يوم أُحُد حضر وحرَّض بشعره على قتال المسلمين (يحيى الدين شرف النووي، تهذيب الأسماء واللُّغات، حرف العين، بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، ج2، د، ت)، ص 132.

(2) - صفى الرحمان المباركفوري، الرِّحيق المختوم، (الجزائر: شركة الشَّهاب للنَّشر والتَّوزيع، 1408هـ/1987م)، ص 336.

وعندما بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سِرِّيَّةً اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ فغضب فقال: «أليس أمركم النبي ﷺ أن تُطِيعُونِي؟ قالوا: بلى، قال: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا فَجَمَعُوا فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقِدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقُولُونَ فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ فَسَكَنَ غَضَبُهُ فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»<sup>(1)</sup> فحكم العاطفة المجردة يقول إنه يجب عليهم أن يطيعوا أميرهم أيًا كان نوع هذه الأوامر، ولكن صريح العقل يقول: إنما الطاعة في المعروف ليس في الباطل.

فالمنهج العاطفي إذن ملازم للمناهج الدعوية الأخرى، باعتبارها جميعها قائمة على الفطرة، والفطرة السليمة ما اكتمل فيها العاطفة والعقل والحواس جميعًا.

### المبحث الثالث: المنهج العاطفي ومدى ارتباطه بدعوات الأنبياء عليهم السلام

النبوة منحة إلهية لا تنال بمجرد التشهي والرجبة، ولا تنال بالمجاهدة والمعاناة، وقد أخطأ الفلاسفة فيما ذهبوا إليه حينما زعموا أن النبوة تنال بمجرد الكسب والجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات والدأب في تهذيب النفوس وتنقية الخواطر وتطهير الأخلاق ورياضة النفس والبدن<sup>(2)</sup>، فالنبوة هي نعمة ربانية إلهية بينها الله تعالى في أكثر من آية فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ﴾ [مريم: 58] وحكى الله تعالى قول يعقوب لابنه يوسف ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: 06].

فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام اصطفاهم الله من بني البشر ليكونوا هداة مهديين، يبلغون ما أرسل إليهم من العزيز الحكيم فيقول عنهم تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75].

والله تعالى حين اصطفى الأنبياء وأعدّهم لحمل رسالته وتبليغها للناس فقد اصطبغهم بصبغته ومن أحسن من الله صبغة، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124] وقوله تعالى لنبي الله موسى ﷺ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41].

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي، ويقال: إنها سرية الأنصار، رقم الحديث 4340، ص 1062.

(2) - عمر سليمان عبد الله الأشقر، الرُّسل والرِّسالات (الكويت: دار النَّفائس، ط2، 1403هـ/1983م)، ص 59.

ففي الأنبياء المدرسة الإصلاحية الكاملة ذات المنهج الإلهي والقدوة النبوية التي تحتضن التربية الإلهية الكاملة للخلق وتعمل على إنمائها وتعميمها بين الناس، ليعم الخير والسلام من ينابيع الحكمة ومحاسن الأخلاق<sup>(1)</sup>.

ودعوتهم عليهم السلام - الأنبياء - في حقيقتها تضمنت أصولاً كبرى على رأسها الدعوة إلى توحيد الله، فقال كلٌّ منهم لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59] فقد تميّزت دعواتهم بوسائل وأساليب أثارت خطابهم وارتقت بهم أن بنى منها الدعوة آفاق ومعالم استطاعوا من خلالها تبليغ الدين ونشره بين الناس، عن طريق إلتماس العواطف واستحاشة القلوب، وإعمال العقول إلى الفكر والتدبر، ولهذا صار منطلقاً أساسياً لكل داعية.

وبناءً على هذه التوطئة التي توحى بضرورة الحديث في مناهج دعوات الأنبياء عليهم السلام فإنّ هذا المبحث يتضمن مطلبين :

**المطلب الأول:** المناهج الدعوية في دعوات الأنبياء عليهم السلام - بشكل مختصر -.

**المطلب الثاني:** المنهج العاطفي في دعوات الأنبياء عليهم السلام.

**المطلب الأول:** المناهج الدعوية في دعوات الأنبياء عليهم السلام

**أ- المنهج العقلي في دعوات الأنبياء عليهم السلام**

من يطالع دعوات الأنبياء عليهم السلام يجد أنّ دعوتهم قد قامت على أداء مهمّات ووظائف تحدّد الغرض الدعوي الذي توحّدوا لأجله من لدن آدم عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ فيقول: «والأنبياء إخوةٌ من علاّتٍ(\*)، وأُمّهاتهم شتىٌ ودينهم واحدٌ(\*)»<sup>(2)</sup> والتي لا تقف أساساً على مهمّة

(1) - محمد الصّباحي عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء (بيروت: دار إقرأ، ط4، 1413هـ/1993م)، ص 23.

(\*) - إخوة من علاّتٍ: هم الإخوة لأب من أمّهاتٍ شتى، وقال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم وشرائعهم مختلفة فيأثمّ متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع مختلفة فوقع فيها إختلاف (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث 2365، ص 1837).

(\*) - ودينهم واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعاً (رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث 2365، ص 1837).

(2) - المرجع نفسه، ص 1837، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم الحديث 3443 ص 853.



البيان والتبليغ والدعوة فقط، بل لأجل الغاية الكبرى وهي تحقيق العبودية لله وحده وإقامة الدين وتبليغ شرائعه للناس يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: (أي: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت، قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم أن إعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له بالطاعة وأخلصوا له العبادة)<sup>(1)</sup>. ويقول الشيخ العلامة السعدي رحمه الله: (وما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له)<sup>(2)</sup>.

لقد تصدى الأنبياء ﷺ لجميع ما يعترضهم في دعوتهم من شبهات ومفتريات يُطلقها أقوامهم من افواههم الأفأكة بما هو حجة عقلية دامغة مقنعة، لنقض الأسس التي استند عليها أقوامهم في إلقاء الشكوك والدعايات المغرضة حول دعوتهم ومن هؤلاء على سبيل المثال :

#### - منهج نبي الله نوح ﷺ

فدعوة نوح ﷺ من أكثر الدعوات الإلهية في إمتدادها الزماني، أبانها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14] وقد تعرّضت هذه الدعوة لجملة تحديات وافتراءات، ظلّ ﷺ يردّ على المعارضين لدعوته ويبيّن لهم فساد اعتقادهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانيةً، فقال تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: 21] فكانوا يضربونه بالعصي والنعال ويقذفونه بالحجارة عندما كان ينهاتهم عن عبادة الأوثان ويدعوهم إلى عبادة الله وحده فقال لهم: ﴿قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [نوح: 2].

لوحظ من خلال السياق القرآني ردّ نبي الله نوح ﷺ على اعتراضات قومه والشبهات التي أحيكت في شخصه ودعوته في كونه ليس رسولاً، وأنّ دعوته لا يكون أتباعها إلا من الأراذل والضُعفاء وغيرها من الشبهات الأخرى<sup>(3)</sup> فقالوا: ﴿مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا

(1) - ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج14، المصدر السابق، ص 13.

(2) - السعدي، تفسير السعدي تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المّنان، المرجع السابق، ص 440.

(3) - يُنظر: معن محمود عثمان ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، جامعة النّجاح الوطنية، كلية الدّراسات العليا، رسالة ماجستير،

الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا زَيَّ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ [هود: 27]  
فكان جوابه على قولهم أن بين لهم أنه بشر مثلهم في بشرته ولكن الله يمشي على من يشاء من عباده  
برسالات أشار إليها القرآن: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ  
لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم: 10].

ثم تأتي مهمّة الإنذار والتذكير تقتضي أن يكون النبي رجلاً من أفراد قومه، فذلك ما يقتره العقل  
وليس فيه ما يدعو إلى العجب يقول تعالى: ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ  
وَلِتُنقِذُوا وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: 63] وأن الأدلة المثبتة لنبوته موجودة وهي في المعجزة  
والكتاب الذي يتضمن وحي الله إلى عباده وإنما حجت عنهم هذه الأدلة بسبب كبرهم وجحودهم،  
وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ  
عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكُومَهَا وَاسْمُهَا كَرِهُونَ ﴾ [هود: 28] وهذا منهج عقلي واضح في دعوة نوح عليه السلام أن  
دعاهم إلى التعقل والتفكير أمام الآيات والبيّنات والمعجزات التي سخرها الله لتكون حجة له.

ويُتضح استخدام نبي الله نوح عليه السلام للمنهج العقلي، من خلال ما دار بينه وبين قومه من حوار  
وجدل ونفي ما جاء به، إذ أنه لم يرد عليه عندما نفى عن نفسه جميع التهم بأسلوب الشتيمة بل  
كان في غاية اللين والتلطّف والحكمة قائلاً لهم: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾ [١١] أَبْلَغَكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مَنَ اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ [الأعراف: 61-62].

واستعمل نوح عليه السلام التدرّج مع قومه في وسائل الإقناع فتارة يدعوهم إلى التفكير في أنفسهم  
وأطوار نشأتهم، وتارة يذكرهم بقدرة الله وآياته الكبرى في الآفاق والكون<sup>(١)</sup> قائلاً: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ  
وَقَارًا ﴾ [١٣] وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ  
سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾  
لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح: 13-20]، وكذلك تدرّجه مع المدعوين وتدرّجه في الأساليب،  
فتارة يختار أسلوب الإسرار، وتارة أسلوب الجهر وتارة بالموعظة، وتارة بمخاطبة العقل بالحجة

(١) - فريق من المتخصصين، الدراسات الاجتماعية والوطنية 1، النظام الفصلي للتعليم الثانوي، كتاب الطالب، الرياض، وزارة  
التعليم، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، 1436هـ/2016م، ص 20.



والبرهان، وتارة بالجدال والمناظرة بينه وبين الملأ من قومه فما كان يشعروهم بالصُّعف والهروب من الجدال بل واجههم<sup>(1)</sup>، وتحذّوه بطلب المعجزات: ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَنْبِئَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ۝٣٢﴾ [هود: 32].

لقد صبر نبيّ نوح عليه السلام واحتمل أذاهم خلال سنين طويلة وتنوّع في تجاوز هذه الاعتراضات، فكان إذا اشتدّت أذى القوم ووتيرة الإضطهاد توجه متضرّعا بالدُّعاء أن يفتح بينه وبين قومه الضّالين، فكان صبره خارقاً وكان آية خلقية كبرى في الصّبر، ولَمَّا يَسَسَ مِنْ هَدَاهُمْ دَعَا عَلَيْهِمْ فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٣٦﴾ [نوح: 26] فأهلكم الله بالطوفان.

#### - منهج نبيّ الله إبراهيم عليه السلام

استخدم نبيّ الله إبراهيم عليه السلام مناهج دعوية متنوّعة جمعت بين خطاب العقل وخطاب العاطفة اتّخذ منها وسائل وأساليب مقنعة ومؤثّرة تجسّدت في الجانب الأخلاقي والدعوي لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد تحدّث عنه القرآن الكريم، ويبيّن أنّه اعتمد في دعوته على الحجّة التي تقوم على ما يتقبّله العقل فيقول عنه تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ﴾ [الأنعام: 83].

فكان يوجه العقول إلى الحقائق ويهيب بها إلى التأمّل في الكون لرؤية مظاهر عظمة الخالق في الإبداع والإتيقان التي تدلّ على وجود الخالق جلّت قدرته<sup>(2)</sup>.

واتّبع عليه السلام في منهجه أسلوب المساءلة فقد بدأ مع قومه بكلامٍ يحتوي كثيراً من الأسئلة الموهمة لهم، وذلك لاستثارة عقولهم ليحثّها على التفكير السليم عن حال أصنامهم هل تنفع أو تضرّ أو تغني عنكم شيئاً، فما وجد منهم إلّا الإصرار والعناد والإلحاد الفكري والعقدي الشائع في عصره ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤﴾ [الشُّعراء: 69-74] فقصد عليه السلام إلى إبطال حجّتهم بالبرهان القويّ.

(1) - كائنات محمود عدوان، محاضرة بعنوان التحدّيات المواجهة للدعوة من خلال سورة نوح عليه السلام، مؤتمر الدّعوة الإسلامية ومتغيّرات العصر، غزة، الجامعة الإسلامية، كليّة أصول الدّين، 1426هـ/2005م، ص 1024.

(2) - محمّد أمين بني عامر، أساليب الدّعوة، المرجع السّابق، ص 29.

وكان من منهجه أنه استطاع أن يحاجج قومه بطريق الإستدراج، فلم تكن دفعة واحدة بل تدرج في أسلوبه بين اللين والشدّة والحكمة والإقناع<sup>(1)</sup>.

وقد تناول القرآن الكريم منهجه الذي أظهر فيه الجانب العقلي في سور عديدة جاءت في سورة الأنعام والأنبياء والشعراء والصفّات ومريم وغيرها، وفيها تقرير منهج شامل لجميع الأنبياء عليهم السلام يسعهم ويسع الدعاة من بعدهم، فكان منهجه الدّعوي درس وعبرة لكل داعية.

ومما يلفت الإنتباه في منهج نبي الله إبراهيم عليه السلام محاجته لأبيه وقومه عند استخدامه للمنهج العقلي في الرد على اعتراضاتهم له، بأن جادلهم بالأدلة العقلية المقنعة، وفي مناظرة إستدراجه محاولاً أن يلفت أنظارهم إلى حقائق قد غفلوا عنها، فاستدرج عقولهم وقلوبهم ليهديهم إلى الحقيقة الكبرى وهي إقامة التوحيد ونقض الخرافات والتزّهات التي أقامها عبدة الكواكب والشّمس، فأراهم أن ما كانوا يعبدونه لا يغني من الحق شيئاً<sup>(2)</sup>، بأسلوب موافق لهم حتى يكونوا هم الحاكمين على أنفسهم بضلال ما هم عليه من اعتقادات لا سند لها ولا برهان، فيقول عنه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۖ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأٰ كَوْكَبًا ءَالِهَةً قَالِ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّ أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفْلٰكِ ۖ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّ رَأٰ ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالِ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّ أَفَلَ قَالِ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۖ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّ رَأٰ ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالِ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّ أَفَلَتْ قَالِ يَقُولُمُ إِنِّي بُرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۖ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ خَافِئًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۖ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّه قَوْمُهُ قَالِ ٱنْحَبِطْ فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدٰنِ وَلَا خَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ؕ ۖ ؕ إِلَّا أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ ؕ عَلَيْكُمْ سُلْطٰنُنَا فَاۓِنَّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ٱلْإِيمٰنَ بِظُلْمٍ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ۖ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرٰهِيْمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ؕ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۖ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ؕ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسٰى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: 74-82].

(1) - محمد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير (القاهرة: دار الصّابوني للطباعة والنّشر، ط1، ج1، 1417هـ/1997م)، ص-ص 372، 373.

(2) - بتصرف: أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، ج1، المرجع السابق، ص 463.

تمثلت مناظرة نبي الله إبراهيم عليه السلام لأبيه حينما دعاه بأدبٍ ورفقٍ راجياً هدايته مبيّناً خطأه في عبادته للأصنام، فكانت كلماته تفيض حناناً وشفقةً وتندفق عطفاً ورقّةً، إذ بيّن له أن ما يعبد من أصنام فاقداً لأوصاف الربوبية والألوهية، ثم أعلمه بشدّة خوفه عليه من أن يمسه عذاب الرحمن فيكون للشيطان ولياً، وأمام هذه الدّعوة الحانية المتّزنة يرُدُّ عليه الأب بعبارات قاسية غليظة نابية، فلم يواجهه إلّا بالتي هي أحسن قائلاً له: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ [مریم: 47] ووعدته بالإستغفار.

ومناظرته للملك التمرود في إثبات مبدأ الألوهية في إحياء الموتى، هذه المناظرة وقعت بعد نجاة سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار التي ألقى فيها، وكانت معجزة للفتت أنظار الناس فتعجبوا من نجاته من النار، فيبادر الملك ليوقعه في الحرج ظناً منه الغلبة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

أوضح الإمام ابن كثير رحمه الله معنى الآية في قوله: (استدل إبراهيم عليه السلام على وجود الخالق قائلاً: إنّ ربّي الذي يخلق الحياة والموت في هذه الأجساد، ولكن الطّاغية إعرض إبراهيم عليهم السلام وقال: أنا أحْيِي وأمِيتُ، وذلك بقتله من يشاء وتركه من يشاء، وعند ذلك إنتقل إبراهيم إلى حجة أقوى، وهي أن الله يأتي بالشّمس من المشرق فأريد أيّها التمرود أن تأتي لي بها من المغرب، فبهت الذي كفر حتّى وقف حائرًا لا حول له ولا قوّة<sup>(1)</sup>).

ورغم اعتراضات قومه تواصلت محاولات إبراهيم عليه السلام بالأدلة العقلية القاطعة قائلاً لهم: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي كَرِهْتُ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] أي: أنا برئ من عبادتكم وموالاتكم، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعاً ثم لا تنظرون<sup>(2)</sup>، فأبطل نبي الله إبراهيم كلّ المعبودات بالأدلة والحجج العقلية في الحوار الذي دار بينه وبين أبيه آزر في سورة مريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم: 42] ثم أثبت رسالته فقال: ﴿يَتَّبِعْنِي فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ [مريم: 43].

(1) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، المصدر السابق، ص 318.

(2) - المصدر نفسه، ج3، ص 292.

يقول الإمام الشَّهرستاني رحمه الله: (كانت الحجَّة في دعوة الخليل وما جرى بينه وبين قومه من عبدة الأوثان والكواكب من أظهر ما يتصور حيث قال لهم: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ [الصافات: 95]<sup>(١)</sup>)

وبناء على ذلك فقد تجسَّدت حجَّة سيِّدنا إبراهيم عليه السلام من خلالِ المواجهة والمُحاجة التي جرت بينه وبين قومه، فاعتمدَ على الهداية والعقل، وقد قال عنه تعالى أَنَّ حجَّته هي حجَّة العقل، وهي الجديرة بأن تنسب إلى الله وقد نسبها تعالى إليه فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٨٣﴾ [الأنعام: 83] أي: وفَّقناه للحجَّة يخاصم بها قومه بإلهام الفطرة السَّليمة والعقل الحصيف الذي لا يميل إلَّا للحقِّ ولا يتَّجه إلَّا إليه، وكانت هذه الحجَّة قويَّة انتصر بها على قومه وقامت الحجَّة عليهم<sup>(٢)</sup>.

وعليه تعتبر دعوة نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام خطوة في التَّرقية العقلية، وحركة أوسع في إتجاه الدعوة العالمية<sup>(٣)</sup>.

فقد كان هذا المشهد الدَّعوي الرِّفيع بما فيه من أسلوب بديع وأخلاق راقية سردها القرآن في قالب حوارٍ فصيح فيها من العبر والعظات والنُّبوءات الشَّيء العظيم، فحرَّيَّ على الدَّاعية المطالعة وتكثيف البحث في مناهج دعوات الأنبياء عليهم السلام فهي مصدر النَّظر والتَّطبيق.

#### - منهجُ نبيِّ الله موسى عليه السلام

ذكر القرآن الكريم منهج نبيِّ الله موسى عليه السلام العقلي، وأساليبه في الدعوة إلى الله من خلال آيات كثيرة، فكانت حجَّته قويَّة في دعوة قومه عند إظهاره للحقِّ، وبيان ما هم عليه من الباطل والزَّيف، وقد تحدَّث عنه القرآن الكريم وبيَّن أنَّه اعتمد على الحجَّة والبرهان في بيان صدق رسالته والتي تقوم على ما يتقبله العقل ويلتمسه الوجدان يقول تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّى﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْبُتُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَارِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَّى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى

(١) - محمَّد بن عبد الكريم أبو الفتح الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ج 1، ط 1، 2004م)، ص 150.

(٢) - أبو زهرة، زهرة التَّفاسير (دار الفكر العربي، د، ط، ج 5، 1987م)، ص 2571.

(٣) - أحمد أحمد غلوش، الدَّعوة الإسلامية (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط 2، 1407هـ/1987م)، ص 137.

جَنَاحَكَ تَخْرِجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَازِلُونَ آخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ ﴿طه: 17-36﴾ هذه الحجة يجب أن تتوافر فيها عناصر الفصاحة والوضوح، فموسى عليه السلام حينما بعثه إلى فرعون لإبلاغ دعوته سأله أن يحلل عقدة لسانه ويشرح صدره ليكون بيانه مقرونًا بالبرهان والحجة الصحيحة القائمة على أعمال العقل نحو التفكير والتدبر في لا معبود غير الله.

فامتثل منهجه العقلي حينما عرض على الملأ من قومه وفرعون العقيدة الصحيحة وأتبعها بالحجج الدالة على ثبوتها ليقمهم على الإقناع لا الإكراه، ومن الحجج العقلية والبيانية التي سلكها نبي الله موسى حين كان فرعون يسأل وموسى يجيب بشجاعة دون خوف لأن مهمته تتطلب البيان والتوضيح فقال لله فرعون سائلاً: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿طه: 49-54﴾ كان جواب موسى عليه السلام لفرعون قائم على الثقة والكمال وقوة إيمان ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾﴾ ﴿طه: 50﴾.

ظهر جواب موسى عليه السلام من أروع الكلام وألطفه تجلّت في محاوره بين داعية مؤمن مع ملحد كافر، فيعلق عنه الشيخ الصّابوني قائلاً: (وهذا جوابٌ في غاية البلاغة والبيان لا اختصاره على جميع الموجودات بأسرها)<sup>(١)</sup> ويقول الإمام الزّمخشري رحمه الله: (ولله در هذا الجواب ما أخصر هو أجمعه وأبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف)<sup>(٢)</sup>.

ومن منهج سيّدنا موسى عليه السلام العقلي استخدامه أسلوب الحوار الذي هو عبارة عن عملية إلقاء مجموعة من الأسئلة المختارة بعناية، بحيث تؤدي تلك الأسئلة إلى معلومات جديدة تزيل الأوهام

(١) - محمد علي الصّابوني، صفوة التّفسير، ج2، المرجع السابق، ص 217.

(٢) - الزّمخشري، تفسير الكشّاف (بيروت: دار المعرفة، ط3، ج16، 1430هـ/2009م)، ص 657.

عن عقول المدعويين فهو لغة العقلاء يحلّون بها مشكلاتهم فيبيدي كل واحد منهم وجهة نظره ويدعمها بالأدلة والبراهين، ويحكمون عقولهم فيما يعرضونه ويستمعون إليه<sup>(1)</sup>.

وفي سياق الحديث عن منهج سيّدنا موسى عليه السلام كان غرضه من أجل إثارة مشاعرهم وتحريك عقولهم ليتفكروا وليتدبروا في قدرة الله فيأتي سؤال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) ﴿الشُّعْرَاءُ: 23-28﴾ استدللّ بالمخلوقات وهدايتها على موجدتها وخالقها، فالتأظر والمتأمل والمتدبر يدرك أن موحداً واحداً وهو الله المستحق للعبادة، فهذه المخلوقات جميعها آيات كونية أشارت إليه الآية، وفي هذا دلالة عقلية ضرورية في الاستدلال على ربوبيته تعالى، بأنّه المستحق للعبادة وحده دون سواه.

لذا فإنّ دعوة الأنبياء عليهم السلام لا تجد حرجاً في خوض العقل في محاجة أقوامهم مهما بلغت من الحساسية أو شدة الإنكار وموسى عليه السلام سلك طرقاً متنوّعة للإفهام، ووسائل شتى للإقناع.

— منهج نبي الله عيسى عليه السلام

وعيسى عليه السلام عندما احتجّ قومه إلى الله حين اتّخذوه إلهاً كانت حجّته فيها من البيان والكمال يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)﴾ [المائدة: 116-117] وهكذا أخذ الله سبحانه وتعالى حججاً على الأنبياء ومن سار على نهجهم من الدعاة.

— منهج نبي الله شعيب عليه السلام

وشعيب عليه السلام كان منهجه منهج الأنبياء عليهم السلام جميعاً يدعو قومه بحبٍّ وحرص، جسّدته الآية من سورة هود حين قال لقومه: ﴿قَالَ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ أَنْتُمْ وَرَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

(1) - سلمى محمد سالم القرعان، منهج النبي موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله، دراسة تربوية، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم أصول الدين، 1423هـ/2002م، ص 74.



أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [هود: 88] فقد ﷺ كان خطيباً بارعاً في إقامة حجة الله ودحض حجة الباطل، وكان سيِّداً عابداً كريماً مضيافاً صالحاً زاهداً حليماً رشيداً، فسَمَّاهُ المفسِّرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه في إقامة الدعوة الإلهية<sup>(1)</sup>، أتى إلى قومه قائلاً: (يا قوم إعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الأصنام، فإنَّ الله أرسلني إليكم لأُهاكم عن معصيته وأحذركم من نعمته، وأُهاكم عن بخس الكيل والميزان، فأمن به فريق وكذب به فريق آخر فقال المكذِّبون: يا شعيب لا نترك ما كان يعبد آباؤنا ولنا أن نفعل في أموالنا ما نشاء، ولئن لم تنته عمَّا تقول لنخرجنَّك من أرضنا وسنتركك بعض الوقت إلى عقلك لعلَّك ترجع عمَّا أنت فيه من سفه)<sup>(2)</sup>.

وقف نبيُّ الله شعيب ﷺ خطيباً مصعقاً، فأقام حجة الله بأسلوب قويٍّ رصين فقال: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ۚ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۚ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: 84-85-86] فما كان رُدُّهم: ﴿قَالُوا يَشُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: 87] وحذَّروهم من الغشِّ في الكيل والوزن الذي إنتشر وشاع بينهم ودعاهم إلى الصدق في البيع والشراء فقال: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: 85] وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هود: 84].

(1) - محمد الصباحي عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء ﷺ، المرجع السابق، ص 164.

(2) - المرجع نفسه، ص - ص 164، 165.



ولَمَّا أخرج شعيب عليه السلام قومه وأعجزهم بالحجة المفحمة، ولمَّا رأوا أَنَّهُ قد غلبهم بالحجة والبرهان وقهرهم بالبيان، وعزَّهم في الخطاب مبيناً لهم فساد اعتقادهم وباطل أعمالهم، لجأوا إلى المراءغة في القول ولم يجدوا سبيلاً إلى مواجهته ومجادلته بغير الشتم والتَّهديد<sup>(1)</sup> فقالوا: ﴿يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ [هود: 91] فما آل به أن تعامل معهم بتواضع وصبر يبيِّن لهم الحق بحكمة ومع ذلك لم يؤمن به إلا قليل.

#### - المستفاد من المنهج العقلي في دعوات الأنبياء عليهم السلام

إنَّ الدَّعوة إلى الله عمومًا ودعوات الأنبياء عليهم السلام على وجه الخصوص متأصلة علميًا في حياة الدُّعاة إلى الله وتطبيقاتهم في المجال الدعوي، وهي مصدرًا أساسيًا ومرتكزًا من مرتكزات الدَّعوة يرجعون إليه في أيِّ زمان ومكان، ليقْتبسوا منها العبر والعظات، إلَّا أنَّ الالتفات إليها من حيث هي علم والعناية بمناهجها وأساليبها يعطي آمالاً في تطوُّر هذه الدَّعوة وتقدُّمها وتعمُّق جذورها. وعليه من باب الوفاء لهذه الدَّعوة أقفُ إلى ما توصَّلت إليه في مجال الاستفادة من المنهج العقلي للأنبياء عليهم السلام وهو كالآتي :

- إنَّ دراسة المنهج العقلي في دعوات الأنبياء عليهم السلام يكشف عن ضرورة إهتمام الدَّاعية بمنطقه وبيانه لتكون حجَّته قويَّة وواضحة، لأنَّ قوَّة التَّعبير وفصاحة اللِّسان من أسس الحوار النَّاجح، وضعف الحجَّة ورداءة الأسلوب يضعف من شخصية الدَّاعية وعمله في الدعوة إلى الله.

- على الدَّاعية أن يكون حكيماً في بيانه للحقِّ، بالأدلة المقنعة والحجَّة النَّاصعة على حسب لغة المدعو وعرفه، ولا ريب أن هذا يتطلَّب منه التزوُّد من علوم الدِّين من فقه وعقيدة والعلم بأحكام الشَّريعة، والمعرفة بأحوال المدعوين.

- على الدَّاعية عند إستخدامه لأسلوبَي الجدال والمناظرة، يجب أن تكون بالتي هي أحسن، وبحسن خلق ولطف ولين الكلام مع تحسينها بالأدلة العقلية والتَّقليية، ولا يكون القصد من ذلك بمجرد المغالبة فلا بدَّ أن يكون القصد هو تحقيق الغاية المرجوة.

- كما على الدَّاعية أن يتحلَّى بالصَّبر في مواجهة أذى النَّاس القولي والعملِي، فطبيعة أعداء الدعوة يقابلون الإحسان بالإساءة والتُّفور واللامبالاة، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم: ﴿لَتُجْلِبُوا فِي

(1) - محمَّد الصباحي عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء عليهم السلام، المرجع السَّابق، ص 167.

أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلِتَسْمَعُوا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ [آل عمران: 186] في الآية نكت لطيفة ينبغي لفت نظر الدعاة إليها حينما وصف الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين، ولا سيما مع جميع أهل الكفر والوثنية من الملائم والقوم بالكثرة، وهذا يدل على أنَّ حربًا كلامية وإعلامية ستشُنُّ على أهل الإيمان وأهل الدعوة تحديداً، أسلحتها التشويه والتشويش والدس والإفتراء والتحريف، شعارها الغاية تبرر الوسيلة، أكذب حتى يصدقك الناس، فعلى الداعية الصبر على تجرُّع غصصها حتى يأتي الله من عنده الفرج والنصر<sup>(1)</sup>.

- على الداعية أن يجادل من خالفه بالتي هي أحسن كما جادل الأنبياء ﷺ أقوامهم، وكما جادل النبي ﷺ قريش واليهود والنصارى، وجادل نوح الملائم من قومه، وكما جادل إبراهيم ﷺ أبيه وقومه.

- على الداعية وهو يواجه عواصف الإفتراءات والشبهات والأكاذيب التي يحسبونها حججاً لهم في مواجهة الدعوة إلى الله ودعاتها بأن يجمعونها بالأدلة القطعية والمقنعة، والحجة والبرهان الساطع لنفي ما ضرب من إتهامات وأكاذيب ليس لها قرار، ويحصر جداله لغرض الدعوة لا لغرضه الشخصي، فالداعية الحقيقي لا ينتصر لنفسه بل لدعوته ولدينه، فلا يغضب ولا يتعنف بل يصبر ويتحلى بالحلم والأناة كما حلم الأنبياء وصبروا على أقوامهم.

#### ب- المنهج الحسي في دعوات الأنبياء ﷺ

استطاع الأنبياء ﷺ بالمنهج الحسي هداية الكثير من الناس الذين فأكدوا لهم صدق دعوتهم وما جاءوا به من العلم والآيات، والبراهين ومنهم على سبيل المثال :

#### - منهج نبي الله سليمان ﷺ

مع الملكة بلقيس حيث آمنت بدعوته - ﷺ - حينما رأت من المشاهد ما أخذ لبُّها، حيث جعلها ترى قصرًا عظيمًا يفوق ملكها، وهو الأمر الذي جعلها تسلم مع سليمان لله رب العالمين: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [النمل: 41] يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: (والغرض أن سليمان اتخذ قصرًا منيعًا من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه، فلمَّا رأت ما أتاه الله، وجلالة ما هو فيه وتبصّرت في أمره إنقادات مدعنة لأمر الله تعالى، وعرفت أنه نبيُّ

(1) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1415هـ/1994م)، ص - ص 205، 206.

كريم ومملك عظيم، وأسلمت لله وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44] أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً<sup>(1)</sup>.

#### - منهج نبي الله موسى عليه السلام

لم يقتصر نبي الله موسى عليه السلام في دعوته على المحاجة العقلية بل أقام حجته بالملاموسات الحسية التي أيده الله بها ومن سار معه من النبيين عليهم السلام، فكانت المعجزة منهج حسّي للإقناع كمعجزة العصا التي ألقاها فإذا هي حية تسعى، ممّا دفع السحرة أمام هذه المعجزة إلى الإيمان حيث قال: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [٦١] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبُجًا قَالُوا﴾ [طه: 69-70].

ومعجزة اليد التي نزعها من جيبه فإذا هي بيضاء للتأطرين من غير سوء، عندها لجأ فرعون إلى تخويف موسى بالسجن ليقطع دعوته من أصلها قائلاً: ﴿قَالَ لِيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [٢٩] ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [٣٠] ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٣١] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٣٢] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ﴾ [٣٣] [الشعراء: 29-33].

ولمّا سأل موسى عليه السلام رؤية الله تعالى، فبيّن الله له عدم قدرته على ذلك، حيث تجلّى للجبل وهو أعظم خلقاً من موسى عليه السلام، فلم يصمد أمام ذلك بل أصبح دكاً، فلمأ رأى موسى عليه السلام بعينه خراً صعباً يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَبَجَّلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٢٣] [الأعراف: 143].

ومعجزات أخرى كثيرة توضح دلالة صدق دعوته وهي إنفلاق البحر والطوفان والقمل والضفادع والدم والجراد والسنين<sup>(2)</sup> ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى إِسْعَاءَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ لِلْبُيُوتِ إِسْرَءِيلُ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ [١٠١] [الإسراء: 101].

(1) - إِبْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 178.

(2) - بَتْرُوفٌ: إِبْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ج 3، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 67.

### - منهج نبي الله إبراهيم عليه السلام

تجلى المنهج الحسني في دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام عند سؤاله أن يريه الله كيف يحي الموتى كي يرتقي بإيمانه إلى أعلى درجات الطمأنينة فيرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين، فيرى ذلك مشاهدة الأمر فأمره الله أن يأخذ أربعة أنواع من الطيور فيذبحها ويقطعها ثم يوزع أجزائها على الجبال من حوله ثم يأمرها فتأتيه سعيًا، وقد دبَّت فيها الحياة بعد أن ذقت الموت<sup>(1)</sup>، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260].

فالبيان العقلي والحسني منهج دعوي من شأنه أن يظهر الحق ويبطل الباطل، لكنه لما جادل عباد الأوثان وبين لهم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع دعاء ولا تستجيب لداع، وأن الركود إلى الأصنام ضلال، استخدم الدليل المعتمد على الحواس بكسر الأصنام ليثبت لعبدها أنها لا تنفع نفسها، فكيف تؤله وتعبد فتوجه إليها فكسرها يمينه وأهانها<sup>(2)</sup>، وهي لا تحس ألمًا ولا تعي ما يفعل بها ﴿فَرَأَوْهُمُ صَرَبًا بِأَلْيَمِينٍ﴾ [الصافات: 93] غير عابئ بما قد يناله من عابديها أو صانعيها، وهذا شأن أصحاب الدعوات الذين يضحون بكل ما يملكون من أجل دعوتهم وعقيدتهم ولا يخافون في الله لومة لائم.

وتجلى دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام في استخدام له أسلوب المناظرة في دعوته للملك وذلك فيما حكاه الله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

هذه المناظرة وقعت بعد نجاة سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار التي ألقى فيها فكانت المعجزة التي لفتت إليه الأنظار وتعجب الناس من ربه الذي نجاه فيبادر الملك إلى مناظرته ليقعه في الحرج ظنًا منه الغلبة، يذكر الإمام ابن كثير رحمه الله مفصلاً هذه المناظرة بالقول: (فقد استدلل إبراهيم عليه السلام على وجود الخالق قائلاً إنَّ ربي الذي يخلق الحياة والموت في هذه الأجساد، ولكنَّ الطاغية اعترض إبراهيم وقال: أنا أحى وأميت، وذلك بقتله من يشاء وتركه من يشاء، وعند ذلك انتقل إبراهيم إلى حجة

(1) - بتصرف: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج1، المصدر السابق، ص 31.

(2) - أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص 136.

أقوى وهي أَنَّ الله يأتي بالشَّمْس من المشرق فأريد أيُّها التَّمرود أن تأتي لي بها من المغرب، فَبُهِتَ الذي كفر حتَّى وقف حائرًا لا حول له ولا قوَّة) (1).

#### – الاستفادة من المنهج الحسني في دعوات الأنبياء ﷺ

عند عدم نفع الجدال مع المعاندين والمعتضين لهذه الدَّعوة ولم تؤثر فيهم الحجَّة والبرهان على الدَّاعية أن يتحوَّل إلى استخدام الوسائل المتاحة التَّقليدية منها والتَّقنية والإعلامية لتغيير القناعات شكلاً ومضموناً، فتلفت إنتباههم وتثير عواطفهم، كما استخدم موسى ﷺ العصا، وأستخدم إبراهيم اليد في تحطيمه للأصنام بعدما يأس من هدايتهم، يقول ابنُ باز رحمه الله: (في وقتنا الحاضر يسر الله عزَّ وجلَّ أمر الدَّعوة أكثر، بطرق لم تحصل لمن قبلنا فأمور الدَّعوة اليوم متيسِّرة أكثر، وذلك بواسطة طرق كثيرة، وإقامة الحجَّة على النَّاس اليوم ممكنة بطرق متنوِّعة، مثلاً عن طريق الإذاعة، وعن طريق التلفزة، وعن طريق الصَّحافة، وهناك طرق شتى) (2).

#### المطلب الثاني: المنهج العاطفي في دعوات الأنبياء عليهم السلام

إنَّ دعوة الأنبياء ﷺ لا تكتفي بقوة الحجَّة فقط بل تحتاج إلى المنهج العاطفي الذي يألفه الذَّوق ويتلَمَّسُه الوجدان، والذي هو مجموعة الفضائل التي يمكن أن يستعطف بها قلب المدعو، وأقصر طريق للإقناع ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ﴾ [طه: 134] والذي سيكون محل الحديث في المطلب الموالي.

ولمَّا كانت غاية الأنبياء عليهم السلام هي الدَّعوة إلى الله تعالى، فقد راعوا في ذلك طبيعة قومهم الفكرية والعقلية والعاطفية، وكان الأمر الرِّباني للأنبياء عليهم السلام أن بلَّغوا هذه الدَّعوة بما يتناسب مع حالهم وواقعهم، فامتثلوا إلى المنهج العاطفي وأساليبه الدَّافقة الجياشة الممزوجة بمشاعر الرَّأفة والرَّحمة والحبِّ، والرَّفق بهذه النفوس النَّافرة التي إصطبغت بمظاهر الكره والحقد والمكر والخداع. وعليه نجد جميع دعوات الأنبياء عليهم السلام قد إصطبغت بالتَّبشير والإنذار، وتقويم الفكر المنحرف والعقائد الرَّائفة الشَّائعة آنذاك، فكان كلُّ نبيٍّ أُيِّطَ بتقويم الانحراف الموجود في عصره، فنوح ﷺ أنكر على قومه عبادة الأصنام، وكذلك إبراهيم ﷺ، وهود ﷺ أنكر على قومه

(1) – ابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم ج1، المصدر السابق، ص 318.

(2) – ابنُ باز، مجموعة فتاوى ومقالات متنوِّعة (الرياض: دار القاسم، ط1، ج8، 1420هـ)، ص 403.

الإستعلاء في الأرض والتجبر فيها، وصالح عليه السلام أنكر عليهم الإفساد في الأرض وإتباع المفسدين، ولوط حارب جريمة اللواط التي إنتشرت في قومه، وشعيب عليه السلام قاوم في قومه جريمة التطفيف في المكيال والميزان وهكذا<sup>(1)</sup>، فارتكز كلٌّ منهم على العلل والأمراض التي إشتهر بها أقوامهم.

وقد خصّصتُ في هذه الجزئية التركيز على المنهج العاطفي في دعوات هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، والذي صار إستخدام هذا المنهج سنّة حسنة لمن أتوا من بعدهم من الدعاة والمصلحين، ليقيموها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن من غير تجريح أو إصطدامٍ لعواطفهم، ويظهرون مشاعر الحرص والشفقة والتواضع لأقوامهم فيقدّرون في ذلك أحوالهم النفسية والعاطفية، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كأنّي أنظر إلى النّبّيِّ صلى الله عليه وآله يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدمّوه فهو يمسخ الدّم عن وجهه، ويقول: ربّ اغفر لقومي، فإنّهم لا يعلمون»<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام النووي رحمه الله معلّقاً على الحديث: (فيه ما كانوا عليه - صلوات الله وسلامه عليهم - من الحلم والتّصبر والعفو والشفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والعُفْوان، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم: بأنّهم لا يعلمون، وهذا النّبّيُّ المشار إليه من المتقدّمين، وقد جرى لنبيّنا صلى الله عليه وآله مثل هذا يوم أُخذ)<sup>(3)</sup>.

ويصف الشّيخ الغزالي رحمه الله حال الأنبياء عليهم السلام وأخلاقهم فيقول: (كانوا أجود نموذج في جذب النّاس إلى الله بطيب أنفسهم، ونقاء معدنهم، وصفاء سريرتهم، ووصولهم في مدارج الكمال الإنساني إلى ذروة تزرع الإعجاب في القلوب وتذر الأتباع عشاقاً لشمائلهم، فهم يضحون تحت أقدامهم بالنّفس والنّفيس عن رغبة عميقة وعن رضا كبير)<sup>(4)</sup>.

وعليه سينشغل التركيز في هذه الجزئية على تطبيقات المنهج العاطفي في دعوات بعض الأنبياء خلال فترة تجاوزهم للتحدّيات العصبية التي واجهوها واعتزضت طريق دعوتهم، فكانت مواجهتهم لها بحكمة وعاطفة إيمانية، فساقني التركيز على دعوة نبيّ الله نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وشعيب عليه السلام ولوط عليه السلام كنماذج إحترتها لما كان لهم الحظّ الأوفر من قصصهم في آي الذكر الحكيم

(1) - عمر سليمان عبد الله الأشقر، الرّسل والرّسالات، المرجع السّابق، ص 51.

(2) - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث 3477، ص 861. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، رقم الحديث 1792، ص 1417.

(3) - النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إشتداد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وآله، ج 6، رقم الحديث 3347، ص 249.

(4) - محمّد الغزالي، نظرات في القرآن (القاهرة: شركة نخضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط6، 2005م)، ص 76.



ثمَّ لكونهم من سادة النبيين والمرسلين، ولما تميَّزوا به من الهمة العظيمة في الدعوة، والصبر على ما نالهم من أذى قومهم.

#### أولاً: المنهج العاطفي في دعوة نوح عليه السلام

من المتعارف عليه أنَّ الأنبياء عليهم السلام أكثر الخلق رحمةً ورأفةً على أقوامهم، والمتَّبِع لسيرهم في القرآن الكريم يرى من ذلك العجب ...، فظهرت عاطفة نوح عليه السلام في ابنه جليَّة حين قال عنه القرآن: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ [هود: 45] فرَّد الله عن نوح عليه السلام بأنَّ الكفر لا تلتقي معه عواطف الأبوة أو القرابة: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 46] وهذا الأمر له دليل مثله حينما قتل أبو عبيدة عامر بن الجراح أباه في عزوة بدرٍ ثمَّ أصبح حزيناً لما يرى أنَّه قتل عاطفة الأبوة في نفسه، فأنزل الله قرآناً يطمئنه: ﴿لَا تَحْجِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

#### أ- استخدام أسلوب الترغيب

دعا نبيُّ الله نوح قومه إلى عبادة الله وحده موطئاً أساليب ترغيبية محببة إلى نفوس القوم كالنزال الأمطار لزروعهم ومواسيهم لانتعاش إقتصادهم ومعاشهم، وهذا مشروط على أن يُدْعُوا إلى الحق مستغفرين ربَّهم يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل لكم أنهاراً ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 10-14] وكان من ضمن المرغبات التي وعدهم الله بها :

- محَا الله بعضاً من ذنوبهم فيغفر ما بينه وبين العبد إلا ما يتعلق بحقوق العباد وقيل بل جميعها.
- يُطِيل في أعمارهم إلى أقصى مدى وبيارك لهم فيها، يقول ابنُ عباس عليه السلام: (أي: يُنْسِئ في أعماركم، ومعناه أنَّ الله تعالى كان قضى قبل خَلْقِهِمْ أنَّهم إن آمنوا بارك في أعمارِهِمْ، وإن لم يؤمنوا



عُوجِلُوا بالعذاب، وقال مقاتل: (يؤخَّركم إلى منتهى آجالكم في عافية، فلا يعاقبكم بالقَحْطِ وغيره، فالمعنى على هذا يؤخَّركم من العقوبات والشَّدائد إلى آجالكم)<sup>(1)</sup>.

- بسط الرِّزْق، وتكثير المال والأولاد والبنين والبنات، فجمع لهم مع الحظِّ الوافر في الآخرة الغنى في الدنيا.

- إنزال الأمطار الكثيرة المتتابعة يقول الشاعر :

إذا نزل السَّماء بأرضٍ قومٍ \*\*\* رعيناه وإن كانوا غضابًا.

هذه الآية دليل على أنَّ الاستغفار مِنْ أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الأرزاق<sup>(2)</sup>، ولهذا

قال: ﴿وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح : 12].

### ب- استخدام الكلمات اللطيفة والأسلوب اللين

ظهر اللطف في لسان سيِّدنا نوح عليه السلام في دعوته لقومه بألفاظٍ شتَّى أظهرها على سبيل المثال حين ردَّ عليهم بقوله: ﴿يَقَوْمُ﴾ هذه الكلمة اللطيفة كعادة الأنبياء عليهم السلام، فيها كثير من التودُّد والعطف لمن هم هدف دعوته، إذ نَسَبَهُمْ لنفسه يقرِّبهم منه ويجعلهم أهله وعشيرته.

ولم يستخدم معهم أسلوب ردِّ الشتيمة بمثلها ولم يقل للذين إتهموه بالضلال بل أنتم ظالمون أو نحوها من العبارات<sup>(3)</sup> فنوح عليه السلام كان يدرك خطورة هذه الاتِّهامات والشُّبهات وأنواع الأذى الذي ألحقه الملاء ضده، فاهتم بدفعها بإعطائه الصورة الحقيقية لشخصيته النبوية، فكان يتوجَّه بخطابه مباشرة إلى عامة قومه بلين ورقُّ قائلاً: ﴿يَقَوْمُ لَيْسَ بِي ضَالَّةٌ﴾ [الأعراف: 61].

يقول عنه سيِّد قطب<sup>(\*)</sup> رحمه الله في "الضلال": (فقد تلقَّى نوح كلَّ الاتِّهام والإعراض والاستكبار في سماحة النبي وفي استعلائه وفي ثقته بالحق الذي جاء به وإطمئنانه إلى ربِّه الذي أرسله

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وآخر (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، ج18، 1438هـ/1964م)، ص 299.

(2) - الشُّوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (بيروت: دار المعرفة، ط4، ج29، 1428هـ/2007م)، ص 1534.

(3) - عبد الرَّحمان جَبَّكَ الميداني، فقه الدَّعوة (دمشق: دار القلم، ط1، ج1، 1417هـ/1996م)، ص 639.

(\*) - سيِّد قطب: من عمالقة الفكر الإسلامي، من مواليد 1906م بقرية موشا محافظة أسيوط، كاتب، شاعر، أديب مصري، مؤلَّف كتاب الضلال، عضو سابق في مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمون، يعدُّ أكثر الشخصيات الإسلامية والفكر الإسلامي، حكم عليه بالإعدام وتمَّ تنفيذه 1966م (يُنظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب، دمشق: دار القلم، ط5، 1431هـ/2010م)، وعبد الله عزَّام، عملاق الفكر الإسلامي (باكستان: مركز الشهيد عبد الله عزَّام الإعلامي للنشر والتوزيع، ط1، د، ت).

وفي وضوح طريقه أمامه وإستقامة منهجه في شعوره، فلا يشتم كما شتموا، ولا يتهم كما اتهموا، ولا يدعي كما إدعوا، ولا يحاول أن يخلع على نفسه مظهرًا غير حقيقته ولا على رسالته شيئًا غير طبيعتها<sup>(1)</sup>.

وبالتأمل في السورة التي سميت باسمه أظهرت منهج سيدنا نوح عليه السلام العاطفي عند موعظته للناس، وما تحمله هذه الموعظة من عبارات لطيفة وألفاظ تناسب مقامهم بينها القرآن الكريم في أكثر من موضع حين تحدت إليهم: ﴿يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنبُوتٍ مِّن رَّبِّيْ وَءَاثَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: 28] حاول نبي الله نوح عليه السلام بشئ الوسائل والأساليب إثارة مشاعر قومه وإشعارهم بالشفقة والرحمة، لأن الموعظة الحسنة هي التي تدخل إلى القلوب برفق وتعمق في المشاعر بلطف، فلا تكون بالزجر والتأنيب في غير موجب فدعاهم بقوله: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59] فأظهر نوح عليه السلام حرصه وشفقته بقومه من أن ينالهم عذاب الله، وهذه الشفقة تعبر عن الرقة والعطف والرحمة، يصحبها الخوف والحرص على سلامة المنصوح<sup>(2)</sup>.

يصف سيد قطب رحمه الله في معنى الآية وأبعادها النفسية والعاطفية في الدعوة إلى الله فيقول: (في سماحة ومودة بندائهم ونسبتهم إليه ونسبة نفسه إليهم، أنكم تعترضون فتقولون ما نراك إلا بشراً مثلنا فما يكون رأيكم عن كنت على اتصال بربي، بين في نفسي مستيقن في شعوري، وهي خاصية لم توهبها وإن كان الله آتاني رحمة من عنده باختياري للرسالة أو آتاني من الخصائص ما استحق به حمل الرسالة - وهذه الرحمة ولا شك عظيمة - ما رأيكم إن كانت هذه وتلك فخفيت عليكم خفاء عماية، لأنكم غير متهيئين لإدراكها وغير مفتوح البصائر لرؤيتها (أنلزمكموها) أنه ما كان لي وما أنا بمستطيع أن ألزمكم الإذعان لها والإيمان بها وأنتم لها كارهون)<sup>(3)</sup>.

وفي خطاب نوح عليه السلام العاطفي بمثل قوله لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59] وقوله: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 62] أشارت الآيات مكانة القوم في نفس نبي

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، المرجع السابق، ص 1873.

(2) - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي مادة شفق، (مطبعة حكومة الكويت، د، ط، ج25، 1409هـ/1989م)، ص 508.

(3) - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج12، المرجع السابق، ص1873.

الله نوح عليه السلام وما يحمله عليه السلام من مشاعر الحب والشفقة والحرص الكبير على هدايتهم، فهذا النوع من الخطاب الدعوي في أصله يجب أن تحتوي مفرداته على الترغيب والتحفيز وإبراز ملامح الجمال وجوانب الرحمة عبر مخاطبة الوجدان علّه يحقق الهدف والغاية، ويأخذ بالدّاعية إلى الأفق السامي الوضيء من الآداب النفسانية والأخلاق العالية مع الله تعالى أولاً ومع أقرب الناس إليه ممن هم في طائفة الكفر.

وموقفه مع ابنه الكافر برز فيه معاني الرّفق والشفقة والرحمة كما سلف ذكره.

بهذا التلطّف وهذه العبارات اللطيفة والمؤثرة، وهذه الرحمة أراد بها نبيّ الله نوح عليه السلام توجيه أنظار قومه ولمس وجدانهم، وإثارة أحاسيسهم لإدراك القيم الخفية عليهم والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرّسالة والاختيار لها<sup>(1)</sup>.

#### د- التذكير بنعم الله

وأما التذكير بنعم الله منهج عاطفي آخر سلكه جميع الأنبياء عليهم السلام، فما من نبيّ بعث في قومه إلّا وذكرهم بنعم الله عليهم ليوحّدوه ولا يشركوا به شيئاً، ونوح عليه السلام كان يذكر قومه بنعم الله عليهم وعجيب خلقه، فقد استخدم أساليب الوعظ والتذكير حينما بيّن لهم كيفية خلقهم، وموتهم، ثمّ معادهم، كما ذكرهم بنعم الله عليهم الكثيرة ومنها جعل الأرض بساطاً لهم<sup>(2)</sup>، يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۚ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۚ ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح: 13-20] بهذا الأسلوب يستطيع الدّاعية أن يوقظ القلوب الغافلة ويهدي العقول الشّاردة لحصول الشّكر لله الذي يعدّ من مقتضيات التّوحيد.

#### و- التدرّج في دعوته عليه السلام

استخدم نبيّ الله نوح عليه السلام أسلوب التدرّج في دعوة قومه من اللّيل إلى النّهار، ومن السرّ إلى الجهر ليقيم الحجّة عليهم، فتارةً تكون دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارةً يخاطب العقل بالحجّة

(1) - المرجع نفسه، ص 1873.

(2) - بتصرّف: يحيى بن محمّد زمزمي، بحث حول الحوار القرآني في سورة نوح عليه السلام دراسة تحليليّة، د، ط، د، ت، ص-ص 21،

والدليل، وتارةً يخاطب الوجدان بالترغيب والترهيب الذي يحمل العواطف الإقبال على المرغبات بكل رضى وقناعة حينما يبين لهم عاقبة الإيمان بالله تعالى وثماره الطيبة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُمْ يَخُفَّ عَمَلَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ حُزْنٌ وَلاَ غَمٌّ وَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [نوح: ٢٠] ﴿يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَذِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤٠] [04-03] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢] ومع الدأب على الدعوة والإصرار على المواجهة، إتبع نوح عليه السلام كل الأساليب فجهر بالدعوة تارةً، ثم زاج بين الإعلان والإسرار تارةً، وفي أثناء ذلك كله أطمعهم في خير الدنيا والآخرة، أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور وهو المطر الغزير، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها والأموال التي يطلبونها<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ما سبق فقد أخذ نوح عليه السلام بكل السبل الترغيبية والترهيبية لكي يترك قومه العبادة الوثنية التي ظلوا بها سنوات، لكن أكثرهم لم يؤمن بل أصرُّوا على كفرهم وعنادهم فنصبوا له ولمن آمن به العداوة وتوعدوهم بالرحم: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] [60] فقابل سفه قومه بالحلم قائلاً: ﴿يَقَوْمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢].

في هذا الرد الهادئ نستشعر شخصية نوح عليه السلام الحقيقية وما يحمله من صفات الكمال والخصال النبيلة والتي لا يحملها بشرٌ عدا الأنبياء عليهم السلام، تمثلت في مشاعر الرفق والشفقة وتحمل الأذى وعدم الطيش والسفه مع مدعويه، فكان عليه السلام في قمة الحلم وسعة صدر عالية يعفو عن أهانه، ويتسامح مع من ضربه وتوعد به بالأذى من بني قومه.

فشخصية نوح عليه السلام في دعوته ظهرت في صورة مجسمة و مترجمة لحقيقة المنهج العاطفي الذي يعطي للدعاية أسسه التي تقف عليها الدعوة، فترسم له الأسلوب الأمثل في محاجة الناس من مختلف الأطياف والعقائد والفكر، ومن عوام الناس وخواصهم، يتحلى بالصبر ويتعامل معهم برفق، ويتمسك بالأدب واللين، ويظهر في حديثه العاطفة بالحرص على هدايتهم، بأنه لا يريد لهم إلا الخير، يخاف

(١) - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج29، المرجع السابق، ص 3713.

عليهم من مزالق الشَّيْطَان لهم في الدُّنْيَا فيكون طريقًا إلى عذاب الله في الآخرة، والتي من خلالها يعلم الدَّاعِيَةُ أَنَّ اللَّيْنَ يفتح مغاليق القلوب، ويذيب تصخُّر الطَّبَاع، فتصل الدَّعْوَةُ إلى القلب مباشرة.

### ثانيًا: المنهج العاطفي في دعوة نبي الله لوط عليه السلام

سلك نبيُّ الله لوط عليه السلام في منهج دعوته مسلك الأنبياء في مخاطبة أقوامهم ومداراتهم بالتي هي أحسن، إذ رُزِيَء لوط عليه السلام في قومه الذين إخرفوا عَنِ الفِطْرَةِ التي فطر النَّاس عليها، فبعث الله نبيَّه لوطاً لينتشل منهم فساد عقولهم وخُبث أنفسهم من إتيانهم الفاحشة التي لم يسبق بها أحد من العالمين، ويغرس في أنفسهم الفضيلة والآداب العامَّة والحياء وحسن الخلق، فجاء على لسان حاله يوجِّههم بالرَّفْق واللِّين: (يا قوم إِنَّ هذه الفاحشة هي الأولى من نوعها في تاريخ البشر وهي جناية على الفطرة الإنسانية ومفسدة للشَّباب، وإذلال للرِّجال، وتعطيل للنَّسل، ومفسدة للنَّساء فطالبهم في أدب بالطَّاعة وقابله قومه في هذه الموعظة اللَّيِّنة وذلك الأسلوب الهادئ<sup>(1)</sup> بقولهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشُّعْرَاء: 167] فلم يقابل لوط عليه السلام هذا التَّهديد بمثله ولكنه قال لهم: ﴿قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشُّعْرَاء: 168] أي: أنكرُ صنيعكم وأبغض عملكم ثم لجأ إلى الله تعالى أن ينجيه هو وأهله من عقوبة عملهم فأجاب الله دعوته<sup>(2)</sup>.

### ثالثًا: المنهج العاطفي في دعوة نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام

سيدنا إبراهيم عليه السلام كغيره من الأنبياء - عليهم السلام - استخدموا المنهج العاطفي في دعوته بأساليب يكتنفها جمالُ الرَّفْق واللِّين، نظراً للسمات اللطيفة التي إتَّصف بها من حكمة بالغة ومبادئ عالية، ومن تواضع جمٍّ ورحمة وجدالٍ دون تجريح أو سخرية أو طعن أو إحتقار. ويمكن تصنيف أساليبه كالآتي :

#### أ- أسلوب التَّبْشِير والإِنْذَار

وكان ممَّا يلفت النَّظْر في منهج سيِّدنا إبراهيم عليه السلام العاطفي شأنه شأن مناهج دعوة الأنبياء عليهم السلام هو أسلوب التَّبْشِير والإِنْذَار اللَّذين من خلاهما توقظ بهما العواطف وتحركها نحو الخير وترهبها من غيلاء الشُّرْكَ، وقد بيَّنها القرآن الكريم في بعض آياته فكان عليه السلام مبشراً ومنذراً: ﴿وَقَالَ

(1) - محمد الصباحي عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء، المرجع السابق، ص 119.

(2) - المرجع نفسه، ص 120.

إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَثْقَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ  
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ [العنكبوت: 25].

وقد أوضح العلامة الزمخشري رحمه الله منهج نبي الله إبراهيم عليه السلام مفصلاً بالقول: (أنظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العميم والإرتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء، كيف رتب الكلام معه في أحسن إتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعماله المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصباً في ذلك بنصيحة ربه عز وجل، فطلب منه أولاً أن يبين العلة من عبادته لهذه الأصنام طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه وذلك ... ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترقياً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجاهل المفرط ولا نفسه بالعالم الفائق ولكنه قال: إنَّ معي طائفة من المعلم وشيئاً منه ليست معك فاتبعني أنجك من أن تضلّ وتتيه ثم ثلث بتشيطه ونهيه عما كان عليه بأن بين له أنَّ الشيطان عدو له لا يريد به إلاَّ كل الهلاك وخزي ونكال، ثم ربح بتخويفه سوء العاقبة وعما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال، ولم يخل من ذلك من حسن الأدب، حيث لم يصرح بأنَّ العقاب لا حق له وأنَّ العذاب لا صق به ولكنه قال: أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمسّ ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أتباعه وأوليائه أكبر من العذاب، وقد صدر كل نصيحة من هذه النصائح الأربع بقوله: يا أبت توسلاً إليه واستعطافاً)<sup>(1)</sup>.

وهكذا فقد كان منهجه عليه السلام في دعوة أبيه وقومه برفق ولين فلم يقس عليهم ولم يتعنّف معهم في الخطاب، بل كان يحاورهم بأدبٍ ووقارٍ وبألطف العبارات، وبالرغم من ذلك فلم يستجيب له إلاَّ القليل وقوبل بالجحود والنكران والتّهديد.

#### ب- إظهار الرحمة والشفقة على أبيه وقومه

تجسّد هذا المنهج في أسلوب سيدنا إبراهيم عليه السلام وطريقته في الجذب والإستماع والتأثير، كما وتجسّدت في مشاعره التي انبثقت من قلبه الرّحيم تجاه أبيه آزر حين توجه إليه بأسلوب ملئ بالحنو والعطف لقوله تعالى: ﴿يَتَابَتِإِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ [مريم: 43-45].

(1) - الزمخشري، الكشاف، ج16، المرجع السابق، ص 637.



فلم يستعمل ﷺ معه الغلظة والشدة رغم إشراكه، وإنما أورد عليه الدلائل والحجج والبراهين بأسلوب هين لين أن صدر منه نداء لطيف: ﴿يَتَابَت﴾ فكرّر استخدامها مرات عديدة وفي مواضع مختلفة، هذه الكلمة مرققة تدل على التودّد والتّراحم واستمالة للعاطفة الأبوية ليبين له شدة حبه له ورغبته في نجاته من العقاب.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (في الآية بيان إشفاق إبراهيم ﷺ على أبيه من النار ووعظه له فيه إنذار له من عذاب الله سبحانه فهو يدعو إلى الهداية وإلى صراط المستقيم، الذي فيه السعادة له في الدنيا والآخرة، ويخاف عليه من عذاب الله سبحانه فينذره كي لا يقع في سخط الله وعقابه)<sup>(1)</sup>.  
ثم تتجلى العاطفة والحرص في قوله: ﴿يَتَابَت لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾<sup>(٤٢)</sup> [مریم: 42].

فلننظر إلى هذه العاطفة الموجهة إلى العقل والإقناع والفتوة السليمة، ولننظر إلى هذا اللطف في الخطاب، فهو يصدر عند كل دعوة بقوله: ﴿يَتَابَت﴾ ومع ذلك فهذه الدعوة اللطيفة لم تصل إلى القلب القاسي حيث قابلها بالاستنكار وأشدّ أنواع التهديد، فكان ردّ أبيه الذي أشرب حبّ الأصنام، وقدّم ما وجد عليه آباؤه تجاه هذا الخطاب اللين المؤدب الوعيد والتهديد<sup>(2)</sup> قائلاً له: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابَرِهِمْ لَنْ لَمْ تَنْتَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾<sup>(٤٦)</sup> [مریم: 46].  
ومع ذلك فإنّ سيّدنا إبراهيم ﷺ لم يخرج عن أسلوبه اللين، ولم يفقد عطفه وبرّه بأبيه، ولم يقابل التهديد والوعيد بالمثل ولكن قال له: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾<sup>(٤٧)</sup> وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا<sup>(٤٨)</sup> [مریم: 47-48].

ومع هذه العاطفة لم يغفل نبي إبراهيم ﷺ أيضاً عن طبيعة العلاقة بين الشّرك والتّوحيد التي تقوم على البراء فقال: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾<sup>(٤٨)</sup> [مریم: 48] وما كان استغفاره لأبيه إلّا إنفاذاً للوعد الذي وعد أباه<sup>(3)</sup>، إنّ هذا النوع من الخطاب تعبيراً عن الأخلاقيات الكبرى التي اتّسم بها نبي الله إبراهيم ﷺ التي ينبغي على الدّاعية

(1) - يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ج11، 1427هـ/2006م)، ص 117.

(2) - أحمد بن محمد بن حاسن القرشي، الاستهزاء بالدّين أحكامه وآثاره (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ/2005م)، ص 162.

(3) - أحمد بن محمد بن حاسن القرشي، الاستهزاء بالدّين أحكامه وآثاره، المرجع السابق، ص 162.



أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا وَيَتَرَجَّمَهَا عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ حَتَّى تَنْتَشِرَ دَعْوَتُهُ بَيْنَ النَّاسِ وَتَقْبَلَ، جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَا خَلِيلِي حَسَنَ خَلْقِكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ تَدْخُلُ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ فَإِنَّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَنَ خَلْقُهُ أَنْ أَظْلَهُ فِي عَرْشِي وَأَنْ أَسْكُنَهُ حُضِيرَةَ قَدْسِي وَأَنْ أَدْنِيهِ مِنْ جَوَارِي)<sup>(1)</sup>.

#### رابعاً : المنهج العاطفي في دعوة نبيِّ الله موسى عليه السلام

ذكر القرآن الكريم قصّة موسى عليه السلام وأبان منهجه في دعوة ملك مصر وقومه إلى الإيمان، فكانت الغاية تصحيح العقيدة التي ظلَّ عنها قومه ومجاهدة حاكم طاغية كفرعون ممَّن أدعى الربوبية والألوهية، فخاطبه بأساليب متعدّدة استطاع من خلالها الوصول إلى قلب فرعون أن أنصت إليه ومن ثمَّ سأله.

#### أ - استخدام القول اللَّيِّن

عرض القرآن منهج نبيِّ الله موسى عليه السلام في أربع بيانٍ وأبسط أسلوبٍ فيقول عنه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَقَرُّونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٢٥﴾ [غافر: 23-25] هدّد فرعون موسى تهديداً صارخاً بالقتل فقال على صريح لسانه: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ۝٢٦﴾ [غافر: 26] فما كان على نبيِّ الله أن يقابل هذا التهديد القاسي بردٍّ برئ وهادئ: ﴿إِنِّي عَدْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝٢٧﴾ [غافر: 27].

(1) - أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وآخر، رقم الحديث 6502 (القاهرة: دار الحرمين، د، ط، ج 6، د، ت)، ص 313. أبو محمّد بن نور التلمساني، طراز الكم المذهب في الأذكار الواردة من الكتاب والسنة، تحقيق: أبي عمر الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، رقم الحديث 164، باب حسن خلقك لو مع الكفار تكن في ظل الله)، ص 91. رواه الطبراني في معجمه الوسط حدثني محمّد بن داود بن أسلم الصّدفي حدثنا عمر بن سوار السروجي حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن به وابن عدي في الكامل من حديث مؤمل بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثّقفيّ حدثنا أبو أمية بن يعلي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى إبراهيم ... فذكره إلى آخره وابن مؤمل بن عبد الرحمن وقال عامّة حديثه غير محفوظ». ورواه أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتابه نوارد الأصول في الأصل الثاني والثلاثين بعد المائتين، فقال: حدثنا عمر بن أبي عمر يرفعه إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يا إبراهيم حسن خلقك ولو مع الكفار» - إلى آخره وهذا معضل.

هذا الموقف يجسّد صورة حيّة للمنهج العاطفي الذي سلكه نبيّ الله موسى عليه السلام وكان جليّاً واضحاً حين إستخدامه القول<sup>(\*)</sup> اللّين مع ألدّ أعداء الإسلام وطاغية عصره الملك فرعون لعله يتعظ أو يخشى، والتزاماً للأمر الربّاني الذي دعاه إلى ذلك أن يخاطبه بلين: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾<sup>(٤٣)</sup> فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ [طه: 43-44].

يقول الإمام السّمعاني رحمه الله: (معنى فقولا له قولاً لّيناً أي دارياه - بالرفق - وارفقا به)<sup>(١)</sup> وخرج المفسّرون من هذه الآية بفوائد ونتائج مفيدة للدعوة إلى الله كالإمام بن كثير رحمه الله قائلاً: (هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أنّ فرعون في غاية العتوّ والإستكبار، وموسى عليه السلام صفوة الله من خلقه، إذ ذاك ومع هذا أمر أنّ لا يخاطب فرعون إلّا بالملاطفة واللّين، كما قال يزيد القرشي عند هذه الآية: يا من يتحبّب إلى من يعاديه، فكيف بمن يتولّاه ويناديه)<sup>(٢)</sup>.

والقول اللّين في الدّعوة إلى الله لا يكون بالملق أو المداهنة، وإنّما يكون باللّين والرفق حتى لا يصدّم في أمره بالجفوة، ومن القول اللّين ألا يخاطبه بما لا يمسّ سلطانه، فإن طواغيت الدنيا لا يجدون شيئاً أعزّ عليهم من سلطانهم في الأرض، فيصابون في حسّهم إذا مُسّ ولو من بعيد، وأن اللطف في الدّعوة من موسى لفرعون يقتضي الرفق في القول، لأنّه ربّاه صغيراً ورعاه، وكانت له به محبة فكان له مثل حقّ الأبوة<sup>(٣)</sup>.

وعليه فإنّ القول اللّين مهمّ في الدّعوة إلى الله تعالى وهو الكلام الدّال على معاني التّغريب والعرض واستدعاء الإمتثال بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرّأي ما يتقبل به الحق ويميّز به بين الحقّ والباطل مع تجنّب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجاهله، فشبهه الكلام اللّين المشتغل على المعاني الحسنة بالشّيء اللّين<sup>(\*)</sup><sup>(٤)</sup>.

(\*) - القَوْل: هو الأصل في تبليغ الدّعوة إلى الله وهو الوسيلة الأصلية في إيصال الحقّ للنّاس، وهي من أبسط الوسائل استعمالاً وأسهلها تناولاً، وأسرعها استجابة وأكثرها انتشاراً وأعظمها نفعا (يُنظَر: عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة، المرجع السّابق، ص 447، يوسف القرضاوي، تعامل الدّاعية مع المستجذبات الفقهيّة، المرجع السّابق، ص 66).

(١) - أبو المظفر السّمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: أبي بلال غنيم بن عبّاس بن غنيم (الرّياض: دار الوطن، ط 1، مج 3، 1418هـ/1997م)، ص 331.

(٢) - ابن كثير، تفسير بن كثير، ج 5، المصدر السّابق، ص 260.

(٣) - يُنظَر: أبو زهرة، زهرة التّفاسير، ج 9، المرجع السّابق، ص 4730.

(\*) - اللّين: حقيقة من صفات الأجسام، وهو رطوبة ملمس الجسم وسهولته، وضدّ اللّين الخشونة، وإستعان اللّين لسهولة المعاملة والصّفح (أبو زهرة، زهرة التّفاسير، ج 9، المرجع نفسه، ص 4730).

(٤) - معتز محبوب محمّد البخاري، منهج أولى العزم من الرّسل في الدّعوة عليهم السلام، جامعة الرّباط الوطني، كليّة الدّراسات العليا والبحث العلمي، رسالة ماجستير في الدّراسات الإسلامية، 2015م، ص 47.

فلين القول أحد الأسباب التي جعلت فرعون يسمع لكلام موسى وهارون عليهما السلام ويسألهما عن ربهما، حتى تمكنا من إيراد الحجج والبراهين الدالة على صدق دعوته فيقول عنه الإمام القرطبي رحمه الله: (فإن كان موسى عليه السلام أمر بأن يقول لفرعون قولاً لئنا، فمن دونه أخرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه)<sup>(1)</sup>.

وقد أكثر نبي الله موسى عليه السلام من ذلك في دعوته حيث كان يحاور فرعون في كل شيء مستخدماً المنطق السليم والحجج المنطقية، ومع أن فرعون كان يحاوره بالتهديد والجهل والتباهي بالقوة والطغيان إلا أن ذلك لم يمنع موسى عليه السلام من القول والحوار بأسلوب مؤدب ولين.

### ب- إظهار الشفقة والرحمة على قومه

شهدت مواضع نبي الله موسى عليه السلام بالشفقة على قومه وخوفه عليهم من الضلال، فكان ذا قلب ينبض بالرحمة والعطف والحنان، يعظهم بأسلوب لطيف ومؤدب، يحمل في مكنوناته الخوف عليهم من عقاب الله إن ظلوا على كفرهم، فكان لا يتوانى عن إقناعهم وإرشادهم إلى الإيمان، ومواقفه معهم تثبت ذلك بأن دعاهم إلى توحيد الله لأن في ذلك نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۚ﴾ (٣٨) يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوةُ ٱلدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۚ﴾ (٣٩) مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَٰلِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُوفٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا فَبِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ﴾ (٤٠) وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ ۖ﴾ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ۚ مَا لِيَ بِهِ ۖ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ ۖ﴾ (٤٢) لَآ جُرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْآخِرَةِ وَأَن مَّرَدَّنَا إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ ۖ﴾ [غافر: 38-43] وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلنَّارِ ۖ﴾ (٣٢) [غافر: 32].

### ج- تذكيرهم بنعم الله

في إطار تنوع نبي الله موسى عليه السلام في أساليب الإقناع والتأثير، كان يذكّرهم بنعم الله عليهم عندما رأى ترددهم في دخول الأرض المقدسة ونكوصهم على الأعقاب إشفافاً عليهم، لأنه كان يعلم بأن وراء ذلك التردد الخسران الأكيد<sup>(2)</sup> فقال لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ج14، المصدر السابق، ص 65.

(2) - بتصرف: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، المرجع السابق، ص 869.

اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُورُ أَدْخُلُوا  
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ [المائدة: 20-21]  
ودعاهم إلى شكر الله على نعمه وعدم الجحود بها مبيناً جزاء الشكر مع الإحسان فقال: ﴿ وَإِذْ  
تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لَمَّا شَكَّرْتُمْ لَا زَيْدَ لَكُمْ وَلَٰكِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7] يذكرهم  
إن شكرتم الله لكم الزيادة من عنده وإن كفرتم بنعمة الله وجحدتموها فإنه سوف يسلبها منكم  
ويعاقبكم على جحودها<sup>(1)</sup>.

مواقف موسى عليه السلام العاطفية مع قومه كثيرة، تدلُّ على حبه لهم وتشجيعهم على الإقبال إلى  
الله تعالى والإيمان به وترك ما هم عليهم من الكفر والضلال.

خامساً: منهج نبي الله شعيب عليه السلام

أ- استخدام الألفاظ اللطيفة

اتَّبَعَ شعيب عليه السلام في دعوته منهج التدريج في إقناع قومه وإرشادهم إلى صواب الحق، فكان شأنه  
شأن بقية الأنبياء - عليهم السلام - جميعاً أن بدأ دعوته بالمنهج العاطفي كما بدأ به هود وصالح  
عليهما السلام، طلباً لإقبال أذهانهم وتمهيداً لقبول نصحه فهو لا يريد لقومه إلا ما يريد لنفسه أن  
قال لهم مترففاً بهم ومستميلاً إياهم: ﴿ يَنْقُورُ ﴾ استعمل نبي الله شعيب عليه السلام هذه الألفاظ المحببة  
في محادثته قومه لإستمالتهم في تجاوز الأزمنة الطويلة عليه من الصبر والكفاح، وليجمعهم في موطن  
واحد تحكمهم عقيدة واحدة ورسالة واحدة، فكانت ألفاظه كلها ذات مودّة ورحمة، لم يتكبر أو  
يتعالى عليهم، لأن طبيعة الألفاظ القاسية والنائية والغليظة تجرُّ إلى الثُغُور والعصيان، فخاطبهم بهذه  
الكلمة التي إتفقت عليها كلُّ الرِّسالات النبوية، ولم يحاكيهم بلفظ الكفر أو الإجماع بل بالانتساب  
والتعاطف يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ  
غَيْرِهِ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ  
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: 85] ثم استخدم أسلوب الطلب الصريح في دعوتهم إلى عبادة الله وحده بقوله:

(1) - بتصرف: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، المصدر السابق، ص 291.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وخبرهم بعدم وجود إله غيره<sup>(1)</sup> قائلاً لهم بكل لطفٍ وحبٍّ: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهذا حكم قطعي ينفي الألوهية لغير الله.

#### ب- استخدامه أسلوبَي التَّغْيِيبِ والتَّهْذِيبِ

عمد نبي الله شعيب عليه السلام في دعوته استخدامه لأسلوبَي التَّغْيِيبِ والتَّهْذِيبِ والتَّذْكِيرِ والتَّخْوِيفِ من العذاب الذي أصاب أمماً سابقةً مصرحاً بالقول: ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طُغِيَ مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾ [هود: 89] وذكرهم بنعم الله الكثيرة<sup>(2)</sup> في قوله: ﴿إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [هود: 84] وقال: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86].

وحذَّره من نعمة الله بهم إن خالفوا ما أرشدهم إليه ودَّهَّم عليه فرغَّبهم في الكسب الحلال فيه وإن قلَّ، فالحرَّام لا يجدي وإن كثر<sup>(3)</sup> ولهذا قال: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 86] ورغَّبهم في الإخلاص لله وحده والبعد عن الرِّياء ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود: 86].

كلُّ هذا تحريضٌ على الإيمان وإغراءٌ لهم باستنفاذ أنفسهم من الهلاك، وهذا من خيرة ما يدعو إليه الدَّاعية مدعويه، أن يبيِّن لهم أنَّهم على جانب من الخير، وفيهم بذرة طيِّبة، وعليهم أن يستمروا على هذا الخير الموجود عندهم.

واستعمل أسلوب التَّهْذِيبِ حين بصَّره بعواقب الرِّغْبِ عن الحقِّ إلى الباطل بأسلوب هادئ أظهر فيه الخوف والشفقة عليهم من سوء العاقبة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: 84] أي: في الدَّار الآخرة<sup>(4)</sup>.

(1) - أحمد أحمد غلوش، فقه الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 141.

(2) - ابن كثير، تفسير ابن كثير (دار طيبة، ط2، ج6، 1420هـ/1999م)، ص 159.

(3) - يُنْظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، المصدر السَّابق، ص 447.

(4) - المصدر نفسه، ج4، ص 342.

### ج- إظهار الشفقة لقومه

كما سلك نبي الله شعيب عليه السلام في منهجه العطف والإحترام لعلية القوم أثناء محاورتهم بما يتناسب مع حالهم أو مقامهم، لأنَّ الحديث مع أشرف القوم يختلف الحديث مع الآخرين لذلك يتطلب مزيداً من ضبط النفس والحكمة والثبات على الحق، والتمسك بلغة الحوار الجيد معهم، وهو ما حدث مع نبي الله شعيب والملا من قومه، حيث واجهوه بلغة القوة والتهديد والاستهزاء وواجههم باللطف واللين: ﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴾ [الأعراف: 88] ليرد عليهم نبي الله شعيب برداً مناسب: ﴿ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: 89].

وعليه يتعين على الداعية الاستفادة من المنهج العاطفي في دعوات الأنبياء عليهم السلام كالآتي:

### - تنمية وترسيخ قاعدة الإخلاص

الأصل في المنهج العاطفي إقامته على أعمال قلبية وأساليب عاطفية، وجُلُّها لا تقوم لها قائمة إلا بالإخلاص الذي محلُّه القلب والذي يعبر عن حقيقة الدِّين وجوهره وصفائه، وقد بدا قوياً في كوامن الأنبياء عليهم السلام وظاهر أعمالهم، فنجدهم لا يبتغون سمعة ولا رياء ولا ثناء الناس ولا مدحهم، وإنما كانوا يبتغون محبة الله ورسالته، فحريٌّ على الداعية أن يسلك مسلكهم في هذه القاعدة القلبية التي يتصفون بها، فالإخلاص هو تخلص القلب من الشوائب وتصفية الأعمال من الكدورات<sup>(1)</sup> وهو روح عمل الداعية وأهم صفاته، فبدونه يكون جهد الداعية وعمله هباءً منثوراً<sup>(2)</sup> وهو جوهر الدعوة ولبُّها، ولولا الإخلاص لما استمرت الدعوات وبلغت الآفاق، وأعظم الناس مطالبة بهذه الخصلة، وأشدُّ حاجة إليها الداعية إلى الله، فعليه أن يكون مهموماً بالآلام أمته كما حملها الأنبياء من قبلهم، وأن يكون واعياً دارساً لواقعهم، بصيراً بأحوالهم، وممن يمكنون لهذه الدعوة من شبهات ودعايات مغرضة، فطناً لأساليبهم واعياً لما تضرره نفوسهم من كيدٍ وحقدٍ لهذه الدعوة

(1) - الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، باب الألف (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، د، ط، د، ت)، ص 15.

(2) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح، المرجع السابق، ص 271.



الكرامة، يقول الشيخ الغزالي(\*) رحمه الله منكرًا على المسلمين جهلهم بواقعهم وانشغالهم بأمور صغيرة واهتماماتٍ حقيرة: (تُرى ماذا يشغل فقهاءنا ومفكرينا إذا كانت حياة الدّين كلّها في مهبط العواصف؟ وما هي القضايا الأهم التي تشدّ انتباههم ويبدؤون فيها ويعيدون، وإذا كان المسلمون حملة دعوة عالمية فهل درسوا العالم حولهم وعرفوا ما يسوده من ملل ونحل؟ وهل عرفوا العدو والصديق؟)<sup>(1)</sup>.

فلابدّ من الدّاعية أن يصل بإخلاصه منزلة الأنبياء والمرسلين ﷺ، يكون مخلصًا صادقًا في دعوته مجرّد قلبه من حبّ الدّنيا وطلب الشهرة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وقد جرت عادة الله التي لا تبدّل، وسنته التي لا تُحوّل، أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونّيّته ومعاملته لبرّه، ويلبس المرائي اللابس ثوب الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به، فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء)<sup>(2)</sup>.

وبناءً على ما عرض في هذا المبحث من الحديث عن المنهج العاطفي والمناهج الأخرى في دعوات الأنبياء عليهم السلام تبين لنا أنّ ما أصيب به الأنبياء ﷺ من إعتراضات وتحديات ضخمة في مسارهم الدعوي، قد تجاوزوها بروح إيمانية وعقيدة ساحخة بسماحةٍ ورحمةٍ وصبرٍ، وبدون كلل أو ملل، وتقتضي سنّة الله في خلقه أن يتعرّض الدّعاة أيضًا في كلّ زمانٍ ومكانٍ إلى إعتراضات النّاس لفكرتهم ودعوتهم، ممّا يستوجب عليهم الاستفادة من مناهج الأنبياء، والتّعرّف على كميّات معالجة الأمراض العقائدية والنّفسيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة المنتشرة في عصره، وكلّ ما يتعلّق بجوانب الحياة العامّة، مع مراعاة أحوال النّاس وما جبلوا عليه من غرائز وميول يجب التّعامل معها بحكمة ورويّة، لأنّ هذه الدّعوة تحتاج إلى داعية له فقه عميق في النّفس البشريّة وخصوصيّاتها، وفقه كبير في دراسة الواقع وقضاياها.

(\*) - محمّد الغزالي : ابنُ أحمد السّقا، من أكبر مفكّري الإسلام ودعاته، ولد سنة 1335هـ بقرية في مصر، اشتهر بالغزلي لأن والده رأى الإمام الغزالي في المنام فأخبره أنّه سيرزق بمولود وأشار عليه أن يسمّيه الغزالي، تعلّم بالأزهر وانضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمون، وأعتقل ثم أفرج عنه، درّس بعدة جامعات في العالم العربي، وعيّن وكيلًا لوزارة الأوقاف بمصر، نال جائزة الملك فيصل العالمية، توفي بالرياض سنة 1416هـ، له عدو مصنّفات (يُنظر: أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، جدّة: دار المنارة للنشر والتّوزيع، ط1، 1418هـ/1998م)، ص-ص 192، 194.

(1) - محمّد الغزالي، هوم داعية (القاهرة: شركة نخضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط6، 2006م)، ص 49.

(2) - ابنُ القيم، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، ج4، 1411هـ/1991م)، ص 200.



فالمنهج العاطفي من المناهج المؤثرة في دعوة الأنبياء عليهم السلام فلا تخلو دعواتهم من أساليبه العاطفية وألفاظه المؤثرة، فهي تعبر أساساً عن المحبة والألفة تجاه المدعويين، لها تأثيرها الواضح في النفوس، ولهذا استخدمه الأنبياء الكرام مع أحب الناس إليهم من آبائهم وأبنائهم وعشائهم وأقوامهم، وقد اهتم به القرآن الكريم وكرّره في أكثر من آية، وأشاد بدورها في أكثر من قصة، مما يتحتم على الداعية الأخذ بعين الاعتبار تطبيق هذا المنهج، وعليه نلخص جملة "الأساليب" التي يجب على الداعية تطبيقها في واقع الحياة وواقع الدعوة هي كالاتي :

### – التلطف مع المدعويين

التلطف بمعنى الترفق<sup>(1)</sup>، وقد لاحظنا من خلال قصص دعوات الأنبياء ﷺ في القرآن الكريم تطبيقات هذا الأسلوب عندهم تجاه أقوامهم، فوجدناها في الغالب مع القوم الكافرين المكذّبين الذين لم يؤمنوا بما جاء به الأنبياء والرسل الكرام، وذلك لغرض تليين قلوبهم وترويض نفوسهم وتأليفها بلطف وقصد هدايتهم وإيمانهم بالرجوع عن غيهم وعنادهم، فكان الأنبياء عليهم السلام المثل الأعلى لحب الإنسانية والإنسان، وكان كل منهم يدعو قومه إلى طرق الهداية والسعادة بتوحيد الله وإتباع شرعه، لإنقاذهم من الضلالة إلى نور الهدى، ومن الانحراف إلى الاستقامة، بلطف ورحمة، ومع ذلك كان القوم يقابلون الإحسان بالإساءة، والمعروف بالإعراض والإنكار، والجحود والعداوة<sup>(2)</sup>.  
مما يتحتم على الداعية التمسك بهذا الأسلوب في مخاطبة الناس والاستفادة من طريقته، وذلك باستعمال الألفاظ اللطيفة واللينة التي تساعد على جذب القلوب وأسرها، ومن ثم يسوقها إلى الإصغاء وقابلية الدعوة، كأن يناديه بقوله: يا أخي، يا ابن جلدتنا، يا ابن عشيرتنا، إخوة الإيمان، أيها الأحباب ... وغيرها من الكلمات الاستعطافية الأخرى.

وأما التلطف مع الكفرة والعصاة من المسلمين أسلوب معترف به منذ أن انطلق الأنبياء بدعوتهم، قد أقره القرآن وأمر الله تعالى به أنبياءه، يذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لسورة النحل الآية 125 والتي تبين المنهج الصحيح والأساليب المحكمة والمؤثرة قائلاً: (حينما أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة أو تعنيف ولو مع كفار قريش وهذا ما يسعى إليه أن يكون عليه الواعظ والمرشد من المسلمين إلى يوم القيامة)<sup>(3)</sup>.

(1) – زين الدين الرّازي، مختار الصحاح، ج1، المصدر السابق، ص 282.

(2) – يُنظر: وهبة بن مصطفى الرّحيلي، التفسير الوسيط (دمشق: دار الفكر، ط1، مج1، 1422هـ)، ص 680.

(3) – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ج10، المصدر السابق، ص 200.

والتلطف مع المدعويين لا يعني المداهنة ولا التفاق، وإنما مراعاة النفسيات والتعاطف معها، ومن ثم تشويقها وإثارتها حتى تقبل بهذه الدعوة، إذن فهو خلق حسن وأسلوب حكيم يظهر حقيقة الدّاعية الإسلامي النّاجح.

والدّاعية لإقامة علاقات مع مدعويه يجب أن تكون على أساس العقيدة وحدها، فرابطة العقيدة هي أخلد الروابط وأدومها وأعظمها، وقد رأينا ذلك واضحاً في دعوة الأنبياء عليهم السلام.

### - الشّفقة على المدعو والنّصح له

يعرّف ابن القيم الشّفقة بالقول: (الإشفاق رقة الخوف، وهو خوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف، نسبة الرّأفة إلى الرّحمة، فإنّها لطف الرّحمة وأرقّها)<sup>(1)</sup>.

ومقارنة ما صدر من الأنبياء - عليهم السلام - من ليونة أخلاقهم ومرونة تعاملهم وبساطة أسلوبهم والتي أنتجت مشاعر الشّفقة والرّحمة البارزتين، على الدّاعية أن يمثل إلى هذه الرّحمتين، ويتعد عن روح الاستعلاء عن النّاس واحتقارهم والتكبر عليهم، فيخاطبهم بروح المشفق المخلص في دعوته.

### - استخدام الكلام الطيّب أو القول اللين

الكلمة الطيّبة في نظر الإسلام كائن حي له تأثيره الطيّب على النّاس، لذلك أخبر به النبي ﷺ بالقول: «الكلمة الطيّبة صدقة»<sup>(2)</sup> فليس المهم توصيل الحقيقة إلى النّاس فقط، ولكن الأهم من ذلك الأسلوب والطريقة التي يصل بها، فإذا كان النبي ﷺ يقول: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»<sup>(3)</sup> لكي يتشوّق السّامع وينجذب إليه فيؤثر فيه فكيف بكلام الدّاعية ؟ ألا يحتاج إلى تزيين<sup>(4)</sup>.

والكلام الطيّب ليس مدهنة ولا نفاقاً بل هو مراعاة النفسيات كما تراعى المصالح والمقاصد، فقد كان أحد الصّالحين ناصحاً للدّعاة: (كونوا كالشّجر: يرمى بالحجر فيلقى بالثمر، يرمونكم

(1) - ابن القيم، دارج السّالكين، تحقيق: ناصر بن سليمان السّعوي وآخرون (الرياض: دار الصّميعي، ط1، ج1، 1432هـ/2011م)، ص 514.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب طيب الكلام، رقم الحديث 6023، ص 749.

(3) - العراقي وآخرون، تخرّيج أحاديث إحياء علوم الدّين، كتاب آداب تلاوة القرآن، رقم الحديث 838 (الرياض: دار العاصمة للنشر، ط1، ج1، 1408هـ/1987م)، ص 698. قال العراقي: رواه أبو داود والنّسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح من حديث البراء بن عازب، 1هـ.

(4) - علي بن نايف الشّحوذ، الخلاصة في فقه الدّعوة (ماليزيا: دار المعمور، ط1، 1430هـ/2009م)، ص 106.

بالتهكم والشحيرة والاستهزاء والتكيل والإخراج، وأنت ترميهم بالرّفق واللّين والصّبر على الإيذاء لأنّ الله يحبُّ الرّفق في الأمر كلّهُ<sup>(1)</sup>.

ومّا لا يخفى على كلّ جماعةٍ مسلمة فالدّعوة بحاجة ماسّة إلى نوع معيّن من الدّعاة ممّن يحملون في ثنايا قلوبهم وعمق وجدانهم هذه التّعابير وهذه العواطف وتلك الصّفات الرّقيقة، وبحاجة إلى من يحسنون فنّ التعامل والتّواصل مع المدعوين وكيفية الوصول إلى قلوبهم، فمن أكبر المشكلات التي أبتلي بها بعض الدّعاة قد نقول القلّة منهم أساءوا الفهم الصّحيح لهذا الدّين وطبيعته ومقاصده الحقيقية وما يدعو إليه، ولأنّ الفهم الخاطي تكون نتائجه عكسية وضارة للدّعوة<sup>(2)</sup>.

فغياب المعاني النبيلة في الدّعوة إلى الله عند البعض يشكّل ضرراً كبيراً، فنجد على لسان أحدهم التّكفير والتّضليل بدلاً من المرونة واللّين، لدرجة أنّ بعضهم ينقّر عن الإسلام بدلاً من أن يؤلّف قلوب الناس عليه<sup>(3)</sup>، فيجب أن تكون دعوة الدّاعية المخلص واضحة لا غموض فيها ولا التباس، وقديماً شكى الإمام ابن القيم رحمه الله: (من أن بعض المدرّسين والمفتين والقضاة غلب عليهم جفاف الطّبع وقسوة القلب، وإن كانت براعتهم النّظرية في ميدان العلم لا مطعن فيها)<sup>(4)</sup>.

فجميع الأنبياء عليهم السلام بدأوا في دعوة أقوامهم بالمنهج العاطفي علّه يثير العواطف ويوقظ المشاعر ويحقق طمأننتهم لهم والارتياح النّفسي بما قد يعرضونه عليهم من الآيات والحكم والبيّنات، فكان كلّ واحد منهم مترقّقاً بقومه ومستميلاً إياهم فيقول: ﴿يَقْوَمُ﴾ ثمّ توجّهوا إلى المناهج الأخرى العقلي والحسي للفت الأنظار وتوجيه العقول إلى التّفكّر والتدبّر والتأمّل، يقول الشّيخ الغزالي رحمه الله: (مع قيام الإسلام على العقل، وترحابه بالفكر الجيّد والبحث الأصيل، وحضّه على الارتباط المادي المعنوي بالكون عملاً وتأملاً، مع ذلك كلّهُ فهو دين يعقد أوثق العلاقات بالقلب يقظان والمشاعر الجياشة، ويجعل الإيمان عاطفة دافقة بالحبّ والبرّ إلى جانب أنّه نظر يتسم بالسّداد والصّواب)<sup>(5)</sup>.

(1) - علي بن نايف الشحوذ، الخلاصة في فقه الدّعوة، المرجع السابق، ص 107.

(2) - محمّد موسى الشّريف، العاطفة الإيمانية، المرجع السّابق، ص، ص 56.

(3) - عودة عبد الله عودة عبد الله، الكلمة الطيّبة وأثرها الدّعوة إلى الله من منظور قرآني، المرجع السّابق، ص 3.

(4) - محمّد موسى الشّريف، العاطفة الإيمانية، المرجع السّابق، ص 40.

(5) - محمّد الغزالي، الجانب العاطفي في الإسلام، المرجع السّابق، ص 6.

### - المواجهة بالأخلاق الفاضلة

استخدم الأنبياء عليهم السلام النفس الطويل في دعوتهم والثقة الكاملة بنصرة دعوتهم فلا يخشوا بأس سلطان ولا بطش القوم، والدّاعية عليه أن يتعلّم من الأنبياء، فهم المنارة الأولى والمنبع الصّافي الذي يستقي منه الحكم والأخلاق والآداب، كما عليه أن يقابل أذى النّاس وسفاهتهم بصدرٍ واسعٍ وحلمٍ كبيرٍ كما قابل الأنبياء إعتراضات أقوامهم وسفاهتهم بالحلم والإعفاء والتلطّف والرّحمة، ويتحلّى بالحلم والتّغاضي عن جميع التّهم والأكاذيب والإفتراءات وكل أنواع الأذى المعنوي والجسدي واللفظي إقتداءً بأئمة الدعاة أنبياء الله الكرام.

### - التنوّع في الأساليب

لم يلتزم الأنبياء - عليهم السلام - بطريقة واحدة في دعوتهم، بل تنوّعت أساليبهم، فاستخدموا أسلوب التّغيب، وأسلوب التّرهيب والتّخويف إذا تطلّب الأمر لذلك، وأسلوب لفت الأنظار إلى التدبّر والتّمعّن في آيات الله والتّصديق برسالة الأنبياء - عليهم السلام -.

### رابعاً: الاستفادة من تطبيقات مناهج الدعوة في دعوات الأنبياء ﷺ

من جملة ما يستفاد من مناهج دعوات الأنبياء عليهم السلام ما يلي :

#### أ- دعوات الأنبياء ﷺ مرجعاً تاريخياً

تعتبر قصص دعوات الأنبياء عليهم السلام مرجعاً تاريخياً يعود إليه الدّعاة على مرّ الأزمنة، لينهلوا منها الطّرق والأساليب والمناهج المناسبة في دعوة جميع صنوف النّاس، فإذا ضاق بالداعية ما يكر به أهل الفتن والمترصدين لدعوته فلينظر في سير ومنهج ما سبقه من الأنبياء - عليهم السلام - فهو ليس أفضل ممّا أصيبوا به.

#### ب- التدرّج في استخدام المناهج

من خلال الحديث في مناهج دعوات الأنبياء عليهم السلام نجد أنهم قد تدرّجوا في استخدامهم لهذه المناهج مستخدمين كلّ الأساليب الممكنة، فتارة استخدموا المنهج العاطفي، وتارة العقلي، وتارة الحسّي، وبدأوا بالأهمّ قبل المهمّ، ابتدأوا بالدّعوة إلى إقامة التّوحيد وتثبيت العقيدة في النفوس، ثم انتقلوا إلى مجادلهم ومحاورتهم ثم إنذارهم.

### ج- أخلاق الأنبياء زاد للدّاعية إلى الله

مِنَ الضَّرورة الملحة أَنْ يتحلَّى لداعية إلى الله بالأخلاق الفاضلة ويتزَيَّن بها إلى جانب علمه وأسلوبه وطريقته، ليكون له النصيب الأوفى من إرث الأنبياء عمومًا والنبي ﷺ على وجه التحديد علمًا أخلاقًا، وحينئذ تجتمع القلوب على محبته كما اجتمعت على محبة الأنبياء عليهم السلام والتأسي بهم، وقد قدّمت دعوات الأنبياء عليهم السلام أخلاقًا رفيعةً تشكل زادًا في طريق الدعوة إلى الله، والذي لا يستهان به لكونه طريق مخوف بالعقبات والتحديات والفتن والابتلاءات، وقد كان العنصر الإيماني المحرك والدافع الأصلي في تحقيق هذه الأخلاق، والتي في حقيقتها ليس ما ينطق به اللسان وإنما ما يعمل بها ويطبّقها في واقع الحياة<sup>(1)</sup>، كالحلم والثقة بالنفس والصبر وغيرها كثير، وخلو الداعية وجفاء قلبه قد تعرضه إلى عقبات أشدّ خطورة. يقول الدكتور سعيد حوى<sup>(\*)</sup>: (نحن في عصر مادي ويقتضي منا أن نقابله بفكر مكافئ وبجوية روحية عالية، ونحن في عصر شهواني جاهلي وهذا يقتضي منا أن نقابله بأشواق روحية راقية)<sup>(2)</sup>، وقال أيضًا: (إنّ عصرنا عصر الشهوة، وعصر النزوة، وعصر المادية، ولا بدّ أن نقابل هذه الأشياء فيه بما يكافئها ويقابلها ... فالشهوة لا يحل مشكلتها المقال وحده ... بل لابد من البيئة والتربية، والمادية لا يكافئها الكلمة وحدها بل لابدّ من الشعور والدّوق والإحساسات الإيمانية مع المقال، والتّمرّد لا يعالج بالكلمة وحدها بل يعالج بالإحباط لله والتّقوى والورع والأدب)<sup>(3)</sup>.

وفي إطار الحديث عن الأخلاق فقد اهتمّ الأنبياء عليهم السلام بالآفات الأخلاقية والإقتصادية والإجتماعية الشائعة في زمنهم وبين قومهم، ومتابعتهم لكافة الأحداث التي يعاني منها كل مجتمع، كالتطّيف في الكيل والبخس في الميزان وآفة اللّواط وغيرها من المشاكل الأخرى، ولا يخفى على كل داعية اليوم وهو يجاهر بدعوته السّعي في محاربة العديد من الأمراض والآفات كالتّي واجهها الأنبياء -عليهم السلام- فنجد غشّ في البيع، واحتكار السّلع، والرّشوة والرّبا والقروض

(1) - سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدّعوة من أمثال النبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 71.

(\*) - سعيد حوى: سعيد بنُ محمّد ديب حوى، أبو محمّد عالم مجاهد، ولد سنة 1354 بحماة في سوريا وتعلّم فيها وفي كلية الشريعة بجامعة دمشق، والتحق بجامعة الإخوان المسلمون حكم عليه بالإعدام ثمّ عفي عنه، وانتقل إلى العراق والسّعودية، ثم عاد إلى دمشق فسجّن خمس سنوات، ثمّ خرج من السّجن إلى الأردن، أصيب بشلل جزئي فلزم بيته حتّى توفي سنة 1406هـ رحمه الله تعالى وله عدّة مصنّفات (يُنظر: أحمد العلّاونة، ذيل الأعلام، المرجع السّابق، ص- ص 93، 94).

(2) - سعيد حوى، تربيّتنا الرّوحية (القاهرة: دار السّلام للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط6، 1419هـ/1999م)، ص 7.

(3) - المرجع نفسه، ص 13.

المحرمة، وآفة الزنا التي أصبحت لها مراكز وبيوت منتشرة في العديد من المجتمعات الإسلامية، فيقتضي منه اليقظة والحزم ومواجهتها بمثل ما واجهها الأنبياء -عليهم السلام-، بالدراسة في مناهجهم وأساليبهم ووسائلهم والطرق الممكنة للمعالجة.

كما على الداعية استخدام كل الأساليب والوسائل الممكنة والمتاحة لإيصال الدعوة إلى قلب المدعو وعقله، وهو ما فعله الأنبياء عليهم السلام وقد وفقوا في دعوتهم.

### - شخصية الداعية إلى الله

كان مجال الحديث بيان لمناهج الأنبياء -عليهم السلام- في الدعوة إلى الله، والذي يستدعي من الداعية التأسي بهم في أساليبهم وطريقتهم في الدعوة، والسعي في أن يجعل من شخصيته قريبة من شخصية الأنبياء عليهم السلام، فلا يتأثر بالبيئة أو المجتمع الفاسد وأهله، بل يثبت ويساهم في إصلاحه لدرجة أن يكون هو المؤثر فيه، وليس المتأثر به، ويستحضر في ذهنه مناهج الأنبياء وطريقتهم في الدعوة<sup>(1)</sup> يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90] يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: (الإسلام المكتمل ليس نظرية علمية أو اقتصادية، وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والاستدلال، إنه قلب انفتحت أقفالها، وانفسحت أرجاؤه، وأشرق معنى الحب في جوانبه، فهو متعلق بربه، متبّع لآثاره في كونه، عاشق للخير مبغض للشر، يمتدُّ مع كل شيء حسن، وينكمش مع كل شيء قبيح ...) (2).

ويقول صاحب "تفسير المنار" محمد رشيد رضا رحمه الله: (وموافقة رسول لمن قبله في أصول الدين وبعض فروع لا يسمّى إقتداءً ولا تأسيًا، وإنما يكون التأسي في طريقته التي سلكها في الدعوة إلى الدين) (3).

فقد قدمت دعوات الأنبياء عليهم السلام مناهج متعددة أوضحت الطريق الصحيح والأساليب المناسبة في إقناع القوم والتأثير فيهم.

(1) - عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، ج1، 1419هـ/1998م)، ص 208.

(2) - محمد الغزالي، ركائز بين الإيمان والعقل، المرجع السابق، ص-ص 193، 194.

(3) - محمد رشيد رضا، تفسير المنار (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د، ط، د، ج، 1990م)، ص 85.

### - تنويع الدّاعية في المناهج والطُّرق

إنّ المنهج العقلي والحسّي من أهمّ المناهج المستخدمة في الدعوة إلى الله، ولا يمكن للأنبياء - عليهم السّلام- أن يستقلّ بمنهج عن الآخر في العملية الدّعوية، فكلاهما مكملّين لهذه العملية، فمن خالهما حقّق الأنبياء - عليهم السّلام- نتائج وآثار إتمسناها من النصوص القرآنية، والداعية النّاجح هو ذلك الذي يستثمر كلّ موقف وكل فرصة تخدم دعوته وتقوّي دعائمها وتعمّق جذورها من خلال مخاطبة العقل وإثارته تارة، والتّوجّه إلى الحسّ وإثارته تارة أخرى، لأنّ التّنويع يكون له عمق ورسوخ في الأذهان والنّفوس.



## الخلاصة

- هذا الفصل يناقش المنهج العاطفي من جانبه النظري والتطبيقي في واقع دعوة الأنبياء عليهم السلام، وقد تبين لي من خلاله الوقوف على بعض النتائج المستوحاة منها نذكرها كالآتي :
- من خلال ما عرض عن المنهج العاطفي تبين أثره البالغ في النفوس، وسرعته في انصياح المدعوين للحق، مما جعلني أشعر بأهمية هذا المنهج وعظمته، ولا سيما الاستفادة منه في الوقت المعاصر والذي أشبه ما نسّميه بعصر المادية، كثرت فيه الفتن وتعددت فيه العصبية واختلقت فيه المذاهب والاتجاهات بشكل مثير للانتباه، يقتضي مقابله بفكر مكافئ وبحيوية روحية عالية وبأشواق روحية راقية.
  - المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله عمومًا وفي دعوة الأنبياء - عليهم السلام - على وجه التحديد من أكثر المناهج حضورًا وتأثيرًا في النفس البشرية، لأنه بطبيعته يخاطب العاطفة الإنسانية التي تحدد الميول وتساهم في صياغة القناعات، والناس في الأصل تحكمهم العواطف ويتأثرون بالأسلوب اللين والكلمة الطيبة، ويتضجروا ويفزعوا من منهج الرهبة والندارة.
  - المنهج العاطفي لكونه أصيل له مكانة مرموقة في دعوات الأنبياء - عليهم السلام - لصبغتهم الرقيقة التي إصطبغوا بها، كشفت عن معدنهم وجوهر قلوبهم، والشواهد في ذلك كثيرة حتى أننا لا نمرُّ على سورة أو آية إلا وذكر هذا المنهج.
  - إنَّ المنهج العاطفي من أفضل المناهج تأثيرًا وقوة، كونه ينبع من رحمة الإنسان، يحاكي القلوب ويفتح مغاليقها، ولأنَّ الداعية بغير هذا المنهج يكون عاجزًا عن إيصال هذه الدعوة على أمتها.
  - دعوة الأنبياء عليهم السلام هي الدعوة التي تقدّم للدعاة إلى الله في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أبرز المناهج والمعالم والأخلاق، وقد خاطب الأنبياء - عليهم السلام - أناس كثير وجماعات مختلفة، وكان لكل منهم معتقداته وأفكاره وعاداته، ومن أجل ذلك تعددت المناهج والأساليب والوسائل لتتلاءم طبائع المدعوين واتجاهاتهم، فكانوا أنموذجًا يمتلكون جميع القوى العقلية والروحية والوجدانية والعلمية، والتي ساهمت في تنقية وتصفية المجتمعات آنذاك من المعتقدات الوثنية الشائعة في كل قوم.
  - للمنهج العاطفي أساليب كثيرة يشتمل كل منها على صور وأشكال متعددة، راعى فيها الأنبياء - عليهم السلام - أحوال المدعوين وظروفهم.

- طريق دعوات الأنبياء عليهم السّلام مخفوف بالعقبات والتّحدّيات، وقد تجاوزوا عناد أقوامهم وتمرّدهم عن الحقّ بصبر وثبات وبلطف وشفقة، وكلّهم يقين بعودتهم إلى الإيمان، فكذلك طريق الدّعاة اليوم نجده أيضاً مخفوف بالأشواك والمتاعب وهذا من سنن الله في خلقه، عليهم أن يتمسّكوا بهذا المنهج، ولا يعني ذلك التّخلي عن الدّعوة كأن يصرفه أذى النّاس عن دعوته، بل عليه مواصلة الطّريق للمضي بها قدماً نحو تحقيق أهدافها واستراتيجياتها البعيدة المدى.
- عناية الدّعوة بالمنهج العاطفي تأصيلاً وعلماً أمر مهمّ، لأنّ الدّعوة في ضوء هذا المنهج تستجيب لها القلوب وتأسر به النفوس، وتجيش العواطف، وذلك لما فيه من عنصر الإثارة والتّشويق.

# الفصل الثاني

## أساليب المنهج العاطفي

### في دعوة النبي ﷺ

المبحث الأول: أسلوب الموعظة الحسنة

المبحث الثاني: أسلوب إظهار الرحمة والرأفة بالمدعوين

المبحث الثالث: أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات

## تمهيد

على غرار ما سبق ذكره مِنْ مناهج دعوات الأنبياء عليهم السَّلام والذي أبان لنا على شكل أساليبٍ مستخدمة يجمعها نظامٌ واحد، هذه الأساليب تمثِّل طرق وكيفيات تطبيق هذا المنهج في الواقع الدَّعوي، منها ما تختصُّ بتحريك العقل فتدعوه إلى التَّفكُّر والتَّدبُّر متمثِّل في المنهج العقلي، ومنها ما تعتمد على الحسَّ والتَّجارب الإنسانية متمثِّل في المنهج الحسِّي، ومنها ما تحرِّك الشُّعور والوجدان مُتمثِّل في المنهج العاطفي.

وقد زوَّد القرآن الكريم والسَّنة المطهَّرة مِنْ هذه الأساليب، فتنوَّعت تبعاً لتنوُّع النفوس والعقول، فأسلوب دعوة العالم مثلاً يختلف عَنْ أسلوب دعوة الجاهل وأدوات التَّعبير التي يفهمها كلُّ واحد منهما، تتباين في مستوياتها، فالعالم يفهم مِنْ الإشارة في حين يحتاج الجاهل إلى تفصيل وبيان في تلقِّيه الدَّعوة، ولعلَّ مجموعة أموراً اتَّصف بها النَّبي ﷺ ساهمت في إنجاح دعوته، وهذه الأمور حتَّ عليها القرآن وأمرَ بها وقد راعى فيها مستويات الفهم للمدعوين<sup>(1)</sup>، فكان الأمر الرِّبَّاني للنَّبي ﷺ أن يراعي تلك المستويات بما يناسبها مِنْ أساليب تبينها الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

وعليه كانت حكمة الدَّاعية إلى الله في هذا المجال التَّأثير في النَّفس ومحاصرتها مِنْ جميع مداخلها العقلية والعاطفية والنَّفسيَّة.

فجاء هذا الفصل يعالج أساليب المنهج العاطفي مِنْ الجانب التَّطبيقي في دعوة النَّبي ﷺ، ومحاولة الإطاحة بها مِنْ جميع جوانبها، هذه الأساليب تحلَّى فيها عمق شخصية النَّبي ﷺ ومعالمها والصفات التي تحلَّى بها أهلته ليكون داعياً ومريئاً عظيماً.

ولخصر جميع أساليبه والمواقف الدَّالة عليه أمراً صعباً لتنوُّعها وكثرتها فلا يكاد يخلو منها نصُّ قرآني أو حديث نبوي، فجاء بعضها نصّاً صريحاً مباشراً واكتفى بعضها بالإشارة إليها، ولتحديدتها تبين بَعْد التَّقْصِّي والبحث تحديد ثلاثة أساليب وهي كالآتي:

(1) - جنان محمد مهدي العقيد، لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النَّبوي، مجلَّة العميد فصلية محكمة، العدد

**أسلوب الموعظة الحسنة:** وأشكالها كثيرة ومتنوعة منها التَّغْيِب والتَّهْيِيب، والتَّذْكِير بنعم الله على عباده المستوجبة للشُّكر، والقصص العاطفية المؤثِّرة والمدح والذم، والكناية، والإشارة وغيرها من أساليب تدخل في باب الموعظة الحسنة.

**وأسلوب إثارة منابع الرَّحمة والرَّأفة** بالمدعوين والتي تكون بالكلمة الطيِّبة المؤثِّرة، والرَّفْق واللِّين والرَّحمة، والقول اللِّين، والمشاركة الوجدانية في موقف أو بمساعدة شخصية في أزمة، وغيرها من الأساليب الأخرى.

**أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات:** يتنوع هذا الأسلوب بتنوع الحاجات المطلوبة، والمساعدات المقدَّمة مادِّية كانت أو معنويَّة، والخدمات المؤسَّسة لخدمة المدعو والمجتمع في جميع المجالات وغيرها كثير.

وبهذا سأجعل لكلِّ أسلوبٍ مبحثاً خاصاً أبين فيه تعريفه، ومظاهره وأشكاله وأهميَّته وبعض المسائل الدَّعوية المتعلِّقة به، والأمثلة التَّفصيلية لكلِّ شكلٍ من أشكاله وتطبيقاته في دعوة النَّبي ﷺ.

## المبحث الأوَّل: أسلوب الموعظة الحسنة

قبل الحديث عن أسلوب الموعظة الحسنة وتطبيقاتها في دعوة النَّبي ﷺ يتوجَّب التَّعريف بالأسلوب أولاً، حتَّى يتَّضح المعنى أكثر.

### المطلب الأوَّل: مفهوم الأسلوب

اختلفت المفاهيم الإصطلاحية للأسلوب إختلاف تنوع في اللفظ لا إختلاف تضاد<sup>(1)</sup>، وهذا الإختلاف بحسب الفنِّ أو العلم المضاف إليه، فهناك أسلوب أدبي وبلاغي ودعوي، وكلُّ مصطلح يحمل معنى خاصاً ولكنَّه يدور حول معنى واحد وهي الطَّريقة المتَّبعة، وعليه سأحاول تقديم بعض المفاهيم التي جمعتها تعالج الموضوع وتناسبه بدءاً بالمفهوم اللُّغوي وهو كالآتي :

**أولاً: لغة**

- يعرفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (هو الطَّريق والمذهب يقال: سَلَكَتُ أُسْلُوبَ فُلَانٍ في كذا: على طَريقَتِهِ ومَذْهَبِهِ، والأسلوب هو الفن، يقال: أَخَذْنَا في أسَالِيْبٍ من القول: فُنُوناً مَتَنُوعَةً، ويقال هو على أُسْلُوبٍ من أسَالِيْبِ القوم، أي: على طَريقٍ من طَريقِهِمْ، وجمع أُسْلُوبٍ أسَالِيْبٌ)<sup>(2)</sup>.

(1) - محمَّد الزُّرقاني، مدخل العرفان في علوم القرآن (بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، ج2، 1416هـ/1996م)، ص 199.

(2) - يُنظَر: ابنُ منظور، لسان العرب، مادة سلب، مج4، المصدر السَّابق، ص 2058، والفُيُومي المقرئ في المصباح المنير، مادة سلب، مج4، المصدر السَّابق، ص 1228.

- ويعرّفه العلامة الفيروز آبادي بالقول: (الأسلوب هو الطَّرِيقُ، وعُنُقُ الأسد، بأنّه الشُّموخ في الأنْف) <sup>(1)</sup>.

- ويعرفه العلامة الزُّبيدي بالقول: (هو الطريق، الوجه، المذهب، يُقال: هُم في أسْلُوب سُوءٍ وَيَجْمَع على أساليب، وقد سلك أسْلُوبه: طَرِيقُهُ وَكَلَامُهُ على أساليب حَسَنَةٍ، والجمع أساليب) <sup>(2)</sup>.  
وَمِنْ خلال هذه المفاهيم اللُّغوية تَبَيَّن أَنَّ "الأسلوب" في اللُّغَةِ جاءَ بمعنى: الطَّرِيق، والفنّ، والمذهب.

#### ثانيًا: إصطلاحًا

مِنْ خلال ما تقدّم مِنْ معْنَى لغوي للأسلوب وَمِنْ خلال ما إطلعتُ عليه مِنْ مضامين تتعلّق بهذا الجانب، يمكنُ لي التّعبير عَنْ هذا المصطلح مِنْ المفهوم الإصطلاحي، وَقَدْ تناوله علماء في الدّعوة وباحثين في علوم أخرى باهتمام في دراساتهم نذكرُ منهم كالآتي :

- يعرفه الدُّكتور أحمد بُنْ مُحَمَّد أبَا بطين بالقول: (عرَض ما يراد عرضه مِنْ معانٍ وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم وما يجب لكلِّ مقامٍ من مقال) <sup>(3)</sup>.

- ويعرّفه الدُّكتور حمد ناصر العمار بالقول: (وطابع الكلام أو فنّه الذي انفرد به المتكلّم) <sup>(4)</sup>.

- وفي تعريفٍ آخرٍ له: يُعرّف الأسلوب بـ: (الطَّرِيقَةُ الكلامية التي سلكها المتكلّم في تأليف كلامه واختيار مفرداته) <sup>(5)</sup>.

- وفي دراسة بلاغية للأسلوب يُعرّف بـ: (جملة الصِّيغ اللُّغوية التي تعمل عملها في إثراء القول وتكثيف الخطاب، وما يتبع ذلك من بسط لذات المتكلّم، وكشفٍ عن سرّائه، وبيانٍ لتأثيره على السّامع، وهو طريقة التّعبير أو طريقة الكتابة أو الإنشاء أو طريقة إختيار الألفاظ وتأليفها للتّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتّأثير أو الضّرْب من النّظم والطَّرِيقَة فيها) <sup>(6)</sup>.

(1) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة سلب، المصدر السّابق، ص 98.

(2) - المرتضى الزُّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، باب سلب (مطبعة الكويت، ط2، ج3، د، ت)، ص 71.

(3) - أحمد بُنْ مُحَمَّد أبَا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة (الرّياض: دار عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، 1412هـ/1991م)، ص 523.

(4) - حمد ناصر العمار، أساليب الدّعوة المعاصرة (الرّياض: دار اشبيليا، ط1، 1412هـ/1991م)، ص 28.

(5) - فهد بُنْ عبد الرّحمان بُنْ سليمان الرُّومي، خصائص القرآن الكريم (الرّياض: مكتبة الحرمين، ط9، 1417هـ/1997م)، ص 18.

(6) - أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (القاهرة: مطبعة السّعادة، الناشر مكتبة التّهضة المصرية، ط7، 1396هـ/1976م)، ص 44.

وأخْتِمْ المفاهيم بتعريف شارل بالي "مؤسَّس علم الأسلوب" حيثُ يتمثَّل الأسلوب عنده بالقول: (في مجموعة من العناصر الجمالية في اللُّغة، يكون بمسْتَطاعها إحداث تأثير نفسي عاطفي على المتلقِّي)<sup>(1)</sup>.

وبما أنَّ البحث يتناول موضوعاً دعويّاً فالأجدر بنا تقديم مفهوم الأسلوب في الدَّعوة :

- يعرفه الدكتور محمَّد أبو الفتح البيانوني بالقول: (الأسلوب هو طريقة الدَّاعي في دعوتِه أو كيفية تطبيق مناهج الدَّعوة)<sup>(2)</sup>.

- ويعرِّفه الدكتور علي عبد الحليم محمود بالقول: (أسلوب الدَّعوة هو الطَّريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الدَّاعي إلى الله ليحقِّق بذلك أهداف الدَّعوة)<sup>(3)</sup>.

- ويعرفه الشَّيخ سعيد القحطاني بالقول: (العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التَّبليغ وإزالة العوائق عنه)<sup>(4)</sup>.

- وفي تعريف آخر له: (هو أنَّ الأساليب الدَّعوية هي كَيْفِيَّات وطرق تطبيق تلك النُّظم والخطط الدَّعوية، وهذه الأساليب قد تكون بَيَّائِيَّة - لفظيَّة - وقد تكون سلوكيَّة - معنويَّة - تأتي ضمن صورة من صور التَّعامل مع الآخرين أثناء دعوتهم، وهذا خلافاً لبعض الباحثين الذين يؤكِّدون على أنَّ المراد بالأسلوب الدَّعوي هو: الصُّور اللُّغوية والبيانية التي تَرُدُّ على ألسنة الرُّسل والأنبياء ﷺ في دعوتهم من كونها خبراً أو إنشاءً - أمراً أو نهياً أو استفهاماً - حواراً، أو قصصاً، وما إلى ذلك)<sup>(5)</sup>.

والأسلوب بطبيعته نوعان: إمَّا أن يكون شاذّاً أو حسناً، ودراستي تُعنى بالأسلوب الحسن الذي يكون ملائماً لأفهام النَّاس وفطرتهم ومداركهم، فتكون الفكرة واضحة، والكلمة فصيحة، والعبارة متناسقة والتركيب قوياً، ويكون هناك انسجاماً بين المعنى واللُّغة وسلاسة في الأسلوب، ممَّا يحدث تأثيراً جمالياً في النَّفس، وهو أحد العوامل الحسَّاسة التي توفِّر على الدَّاعية الوقت والجهد وتصل به إلى الغاية المنشودة بأقلِّ التَّكاليف وأيسرها<sup>(6)</sup> يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الرُّم: 23].

(1) - سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية (بيروت: منشورات عويدات الدولية، ط1، 1991م)، ص 35.

(2) - محمَّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 47.

(3) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة إلى الله (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، ج1، 1410هـ/ 1990م)، ص 215.

(4) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدَّعوة إلى الله (الرِّياض: مكتبة الملك فهد، ط1، 1425هـ)، ص 125.

(5) - حسين عبد عواد الدَّليمي، أسلوب الرِّفق في دعوة إبراهيم ﷺ لأبيه، جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد 16، مج4، 2013م، ص 561.

(6) - محمَّد خير رمضان يوسف، الدَّعوة الإسلامية والوسائل والأساليب (مطابع الفرزدق التَّجارية، ط1، د، ت)، ص 67.



أما التعريف الإجرائي للأسلوب والمتعلق بالدراسة هو كالاتي :

هو طريقة من طرق الدعوة المؤثرة والمنقعة التي يسلكها الداعية في دعوته لتبليغ تعاليم الدين بما فيها عقيدة أو شريعة أو أخلاقاً، وبما يتلاءم مع أحوال المدعوين.

المطلب الثاني: مفهوم الموعظة الحسنة وأهميتها في الدعوة إلى الله

أولاً: مفهوم الموعظة الحسنة

قبل الحديث عن تطبيقات الموعظة الحسنة في دعوة النبي ﷺ إرتأيت أن أعرض المفهوم اللغوي والإصطلاحي للموعظة :

أ- لغة

- يعرفها العلامة ابن فارس رحمه الله بالقول: (الوعظ والعين والظاء كلمة واحدة؛ الوعظ التخويف، والعة الاسم منه، قال الخليل: هو التذكير بالخير وما يرق له قلبه)<sup>(1)</sup>.

- ويعرفها العلامة الزاغب الأصفهاني بالقول: (الوعظ زجر مُقْتَرَنٌ بِتَخْوِيفٍ)<sup>(2)</sup>.

- و عند الأزهري يقول الليث: (والعة الموعظة، وكذلك الوعظ، والرجل يتعظ إذا قبل الموعظة حين يذكر الخير ونحوه، مما يرق لذلك قلبه. يقال: وعظته عظة. ومن أمثالهم المعروفة: لا تعظيني وتعظ عظمي، أي: اتعظي ولا تعظي. قلت: وقوله: تعظ عظمي، وإن كان كمكرر المضاعف، فإن أصله من الوعظ، كما قالوا: خضخض الشيء في الماء وأصله من خاض)<sup>(3)</sup>.

و من هذه المفاهيم اللغوية تبين أن "الموعظة" في اللغة جاءت بمعنى: التخويف والإنذار، والتذكير بالخير، وتذكير الإنسان بما يُلِيئُ قلبه.

ب- اصطلاحاً

توسّع العلماء والمفسّرون في تقديم مفهوم للموعظة، لاسيما الموعظة الحسنة، التي كانت أساساً لدعوة الأنبياء - عليهم السلام - والمرسلين وهذه مفاهيم بعض العلماء للموعظة :

(1) - أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب الواو والعين وما يثلاثهما (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج6، د، ت)، ص 126.

(2) - الزاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دار القلم، 1430هـ/2009م)، ص 564.

(3) - محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، ج3، 2001م)، ص 93.

- يَعْرِفُهَا الإمام الطَّبري رحمه الله بالقول: (هي التَّذْكِير والتَّخْوِيف والتَّرْهيب مما سيَحِقُّ بالمقصود بالموعظة إذا ما تَعَنَّتْ وأبى أن يستجيب)<sup>(1)</sup>.
- وَيَعْرِفُهَا العَلَّامة الجرجاني بالقول: (هي التي تُلِيْنُ القلوب القاسية، وتُدْمِعُ العيون الجامدة، وتُصْلِحُ الأعمال الفاسدة)<sup>(2)</sup>.
- وَيَعْرِفُهَا الإمام الشُّوكاني رحمه الله بالقول: (الموعظة هي المقالة المستعملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السَّامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار إِنْتِفَاع السَّامع بها، وقيل هي الحُجَجُ الظَّنِّيَّةُ الإقناعية الموجبة للتَّصديق بمقدِّمات مقبولة)<sup>(3)</sup>.
- وَيَعْرِفُهَا الدُّكتور مُحَمَّد أمين حسن بالقول: (هي النَّصْح والتَّذْكِير بالخير والحقَّ على الوجه الذي يرقُّ له القلب، وَيَبْعَثُ على العمل)<sup>(4)</sup>.

أَمَّا "الموعظة الحسنة" ككلمة مركَّبة، فَقَدْ عَرَفَهَا علماء الدَّعوة والباحثون بتعاريفٍ مختلفةٍ نذكر منها وهي:

- التَّارْغِيب والعرض المشوِّق المبني على المنطق والعقل السَّليم بالرفق والمدارة ولين الكلام والتَّعْرِضُ دون التَّصْرِيح والتَّنْبِيهِ دون الزَّجْر، فَإِنَّ الرِّفْقَ في الموعظة كثيرٌ ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلِّف بين القلوب المتنافرة)<sup>(5)</sup>.
- وَيَعْرِفُهَا الشَّيْخ البيضاوي رحمه الله في تفسيره بالقول: (بأنَّها الخطابات المقنعة والعبر النَّافعة، فالأولى لدعوة خواصِّ الأُمَّة الطَّالِبِينَ للحقائق، والثَّانية لدعوة عوامهم)<sup>(6)</sup> بمعنى أَنَّ دعوة النَّاس وتوجيههم تكون بقدر عقولهم ومستوياتهم، فتصطبَّح بالكلمات الواضحة البَيِّنة والحجَّة المقنعة المزيِّلة للشُّبهة.
- وَيَعْرِفُهَا الإمام إِبْنُ الْقَيِّم رحمه الله بالقول: (بأنَّها الأَمْر والتَّنْهِي المقرون بالتَّارْغِيب والتَّرْهيب)<sup>(7)</sup>. وهو ما على الدَّاعية إلى الله أن يستخدم الأسلوب المناسب الذي يكون أدعى لِإِسْتِجَابَةِ النَّاسِ، فبعضهم

(1) - إِبْنُ جَرِير الطَّبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطَّبري (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، ج2، 1415هـ/1994م)، ص 172.

(2) - الجرجاني، معجم التَّعْرِيفَات، باب الميم، ج1، المصدر السَّابِق، ص 199.

(3) - الشُّوكاني، فتح القدير الجامع بين فَنِّي الوَايَةِ والدَّرَايَةِ من علم التَّفْسِير، تحقيق: عبد الرَّحْمَان عَمِيرَة (دار الوفاء، ج3، د، ت)، ص 281.

(4) - مُحَمَّد أمين حسن محمد بني عامر، أساليب الدَّعوة والإرشاد (الدَّعوة والدَّاعية، المدعو)، المرجع السَّابِق، ص 78.

(5) - عوده عبد عوده عبد الله، الكلمة الطَّيِّبة وأثرها في الدَّعوة إلى الله من منظور قرآني، المرجع السَّابِق، ص 5.

(6) - مُحَمَّد الشَّيرَازي البيضاوي، تفسير البيضاوي (بيروت: دار إحياء الثَّرَاث العربي، ط1، د، ت)، ص 254.

(7) - التَّفْسِير القَيِّم لِابْنِ الْقَيِّم، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت)، ص 344.

يحتاج حاله إلى الموعظة بالترغيب، وبعضهم يحتاج إلى الموعظة بالترهيب، وبعضهم يحتاج إليهما معاً، وذلك بحسب الحال والمقام.

- ويعرفها الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني بالقول: (الترغيب بالعاقبة الحسنة، والسعادة الخالدة لمن اتبع سبيل ربّه، والترهيب من العاقبة السيئة الوخيمة والشقاوة والتعاسة لمن أبى أن يتبع سبيل ربّه، بشرط عرضها بأسلوب حسن جميل مقبول لا تنفر منه الطباع السيئة)<sup>(1)</sup> وعليه فالموعظة الحسنة في أصلها معالجة دعوية تدور في فلك الترغيب والترهيب.

- وفي تعريف آخر لها: (هي المقالة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسه حسنة باعتبار ارتفاع السامع بها، والحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة، وهو أسلوب يدخل إلى القلوب برفق لا بالزجر والتأنيب، فالرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب ويؤلف بينها ويشرح صدور كثير من الملحدّين، وقد ساعد النبي ﷺ في تبليغ الدعوة حلمه وصبره وسعة صدره حتى استطاع أن يؤلف القلوب ويطفىئ نار الحروب بين المسلمين ويحقق دماءهم<sup>(2)</sup>، يقول عنه تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وفي تقييد الموعظة الحسنة من خلال الآية 125 من سورة النحل، يفهم أنه ليس كل موعظة حسنة بل من المواظ ما هو قبيح وسيئ، فالسيئ حينما يشتمل على تعنيف المدعو أو فضحه أو تعييره، والحسن أسلوبه أن يكون هادئاً ليناً رقيقاً ومؤدباً يدعو إلى الحماد وينهى عن المقابح<sup>(3)</sup> متجنباً في ذلك الألفاظ النابية والقاسية والعبارات السيئة بعيداً عن الرّياء والمداهنة، يستعمل فيها القول اللطيف والكلام الملين بما فيه من ترغيب وترهيب فيحمل السامع إذا ما اتعظ وقيل الموعظة وأثر فيه<sup>(4)</sup>.

وعليه تبين من خلال المفاهيم السالفة أن دعوة الناس وتوجيههم يجب أن تكون بأسلوب يشتمل على مواظ تحرك القلوب، وتثير العواطف بالرفق واللين دون فضاضة أو غضاضة، يحقق على

(1) - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله (دمشق: دار القلم، ط2، ج1، 1417هـ/1996م)، ص 609.

(2) - مها عيسى إبراهيم صيدم، نحو خطاب دعوي مؤثر من خلال قصة إبراهيم عليه السلام، بحث متطلب لمشروع تخرج 5499 في تخصص التربية الإسلامية، رفح، جامعة القدس المفتوحة، 2010م، ص 20.

(3) - محمد الجوهري، الموعظة الحسنة وأثرها في الدعوة، المرجع السابق، ص-ص 1، 2.

(4) - عبد الحميد بن باديس، الدور الغالية في آداب الدعوة والدعاة (دار المنار، د، ط، د، ت)، ص 32.

إثرها الأهداف والغايات المرجوة فيزيل بها العلل ويُرَكِّي بها الأنفس، ويقضي على جميع الإحَنِ القلبية والأخلاقية والإجتماعية المستوطنة في النَّفس والخلق والطَّبَاع.

أمَّا المفهوم الإجرائي الذي وضعته للموعظة الحسنة والمتعلِّق بالدراسة هو: مجموعة من الأقوال اللطيفة التي تخرج من في الدَّاعية بإخلاص وصدق، يراد بها إستمالة القلوب بالإقناع والتأثير، فتلامس مشاعرهم وتخالط سويداء قلوبهم وتأخذ بزمامهم إلى جادة الحق والصَّواب.

ثانياً: أهمية الموعظة الحسنة في الدَّعوة إلى الله

تظهر أهمية الموعظة الحسنة كونها أمرٌ إلهي وضرورة دعوية لإصلاح الأمة وتقومها، بحيث لا تستكمل الدَّعوة دعائمها إلا بالموعظة الحسنة، وقد كان الأمر الربَّاني في آي ذكره جلياً حيث على استخدامها فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] وقوله تعالى: ﴿وَعَظَّمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: 63] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44].

وقال: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنْثِي بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120] واستخدمها جميع الأنبياء عليهم السَّلام في دعواتهم، فقد أخبر عن نوح عليه السَّلام أنه قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: 62] وعن هود قال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68].

وتظهر أهمية الموعظة الحسنة كونها الكلمة الطيبة التي يوجَّهها الدَّاعية إلى المدعوين ليصل بها إلى سويداء قلوبهم، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: 24] وهي بلسم شافٍ الذي يداوي الجراح ويخفف الآلام، كما أنَّها تأخذ بأيدي النَّاس إلى طريق الحق والصَّواب، وتبعدهم عن طريق الشرِّ والعقاب، خاصَّة وأنَّ النَّاس تصيبهم غفلة ونسيان بما تفتَحهم على قلوبهم شهوات تنسيهم الآخرة والعمل لها فينعمون في الدُّنيا وينسون الآخرة والعمل لها، وهنا تأتي مهمَّة الدَّاعية في تنبيه النَّاس وإيقاظهم من غفلتهم وربطهم برَّبهم من جديد<sup>(1)</sup>.

(1) - محمد أمين حسن محمد بني عامر، أساليب الدَّعوة والإرشاد، المرجع السَّابق، ص 78.

والموعظة الحسنة إختصت أساساً لمخاطبة العواطف والمشاعر قبل العقول، لهذا يكمن سرُّ تفاعلها، ولعظم أهميتها في الدعوة إلى الله فهي تُعنى بالدرجة الأولى المدعو، إذاً فهي السَّيَّاح الآمن له من جميع الآفات والرذائل التي تُفسد صلاحه وأمنه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثَّقافي. فتخلق الموعظة الحسنة تمايزاً للأمة المؤمنة عن بقية المجتمعات الأخرى فيقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: 2].

### المطلب الثالث: أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة النبي ﷺ

استخدم النبي ﷺ الموعظة الحسنة في توجيه أصحابه وكُلِّ من خالطه على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم، مراعيًا حالهم وموظفًا وسائل وأساليب كان لها الأثر البالغ في معالجة قلوبهم وتعديل سلوكهم وتزكية نفوسهم فامتثلت مع ما يلي:

أولاً: موعظة النبي ﷺ لأصحابه

فقد كانت بأحاديث ومواعظ تستفز عواطفهم لدرجة تهيج أعينهم بالبكاء، ومن ثم استعدادهم إلى التَّضحية بأرواحهم في سبيل الدِّفاع عن النبي ﷺ ودعوته، ويتَّضح ذلك من خلال أحاديثه المثيرة التي كان فيها النبي ﷺ القدوة المثلى المتميزة في معالجة نفسيات شتى، ومما لا يغيب عنه ﷺ مراعاة مدى استعداد النفوس للموعظة، فيتخير الفرص والزَّمن المناسب مخافة أن تكون السَّامة حائلاً دون غائية، جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السَّامة علينا»<sup>(1)</sup>.

وكان يأتيهم ﷺ بمواعظ هادفة ومؤثرة، يراعي في ذلك أحوالهم، فلا يُثقل عليهم بالمواعظ ولا يطيل عليهم الكلام، لأنه يعلم أثره السَّلبي على النَّفس كالملل والسَّامة والشُّعور بحالة التَّشُّبع بالتكاليف، ومن ثمَّ فإنَّ مداومة الحديث وكثرة الوعظ والإطالة على النَّاس وإتيانهم في غير الوقت المناسب يكون له أثراً عكسياً، جاء عن أبي نجيح العرياض بن سارية رضي الله عنه: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ وعظنا يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إنَّ هذه موعظة مودِّع يا رسول الله»<sup>(2)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدَّعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، رقم الحديث 6411، ص 1957.

(2) - رواه الترمذي في سننه الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسَّنة واجتناب البدع، رقم الحديث 2676، ج4، المصدر السابق، ص 341.

مَّا سبق مِنْ موعظته ﷺ للصَّحب الكرام نستشفُّ أنَّ موعظته -ﷺ- كانت تخاطبُ الجانب العاطفي بالدرجة الأولى، مَّا جعلهم يشعرون وكأنَّه يودِّعهم، فوجلت قلوبهم وعلى صفحات العيون رسمت حروفاً من الدُّموع.

والمُتأمل في موعظته ﷺ يجدُّها تُبعثُ إلى الإرتياح النَّفسي والأنس والقبول، فيقول عنه الحافظ ابنُ حجر رحمه الله معلِّقاً: (وفيه رفقُ النَّبي ﷺ لأصحابه وحسن التَّواصل إلى تعليمهم وتفهمهم ليأخذوا عنه بنشاطٍ لا عَنْ ضجرٍ ولا ملل)<sup>(1)</sup> يقول تعالى في هذا الشَّأن: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذَّاريات: 55] ويقول الإمام ابنُ جرير الطَّبْرِي رحمه الله في الآية: (وعظُ يا مُحَمَّد مَنْ أرسلت إليه، فَإِنَّ العظة تنفع أهل الإيمان)<sup>(2)</sup>.

وعليه يمكن للدَّاعية أن يستفيدَ من هذا الأسلوب النَّبوي كالآتي:

- أن يسلك مسلك النَّبي ﷺ في التماسِ الموعظة التي تستقرُّ في القلب.
- يقتفي أثره ويسلك منهجه، فيتعلَّم منه كيفية التَّأثير والوصول إلى القلوبِ عَنْ طريقِ الموعظة الهادفة
- أن يسلك مسلك الموعظة الحسنة حتَّى يحقِّق بها نجاحًا ويدفع بعجلة الدَّعوة قُدِّمًا.
- كما على الدَّاعية مراعاة أحوال النَّاس بعدم الإكثارِ عليهم والإطالة في موعظتهم، فهي مِنَ الآفات التي تصيب النَّفس الملل والسَّامة، والتي تورث حالة التشبُّع بالتكاليف وتقاصر الهمم عَنْ الحضور، فبعض الدَّعاة يبالغ في حديثه فإذا تكلم لا يسكت حتَّى يُقال عنه ليتهُ سكت، وبعض الدَّعاة إذا سكت يقول النَّاس عنه ليتهُ لم يسكت، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ مداومة الحديث والإطالة وإتيان النَّاس في غير الوقت المناسبِ يكون سببًا في إملالهم.
- كما على الدَّاعية أن يختار الموعظ المؤثِّرة في مضمونها وطريقة عرضها، بشرط أن لا يطيل الكلام الذي يسبِّب التَّفور والملل خصوصًا في الخطب المنبريَّة، والخطابات الجماهيرية، وفي المحاضرات والندوات، والإحتفالات العامَّة ...
- على الدَّاعية أن يُنظر في مواطن الرِّحمة عند معاملته للنَّاس وتوجيههم بالتي هي أحسن، يراعي في ذلك ظروفهم وأحوالهم ومستواهم الفكري والعقلي والعلمي، إلَّا أنَّ المُتأمل في واقع الدَّعوة يلاحظ

(1) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النَّبي ﷺ يتخوَّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث 68، ج1، ص 162.

(2) - ابنُ جرير الطَّبْرِي، تفسير الطَّبْرِي جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج21، المصدر السَّابق، ص 533.

وقوع بعض الإشكالات التي تنتاب الممارسين لها عند فئةٍ من الدعاة، نجدهم عند مباشرتهم للدعوة بمعزل عن التفاعل مع المدعو بدراسة أحواله واختيار الوقت الملائم لموعظته، والمدعو هنا هو العنصر الرئيسي الذي تقوم عليه الدعوة، له أحوال خاصة يتأثر بها.

- ومن ناحية أخرى يجب أن تكون موعظة الداعية إلى الله مثيرة، يختار الألفاظ الجزلة والكلمات الواضحة، وهذا طبعاً على حسب الموضوع، فإن كان يريد أن يعظ الناس للمشاركة في محاربة الفساد الأخلاقي والسياسي والاجتماعي يجب أن تكون موعظته حماسية، وإن كان لعمل الآخرة تكون مرفقة للقلوب وهكذا.

إذاً فالموعظة في الدعوة إلى الله تشكّل قاعدة كبرى، لها وقع في النفس وتأثير في القلب إذا صدرت من قلب صادق ناصح سليم، ذو عاطفة إيمانية قوية مؤثرة، وبدون شك سيحدث من خلالها الداعية توافد الناس إليه، فينبسطون لمواعظه، ويستريحون لسماعه، فيكون بذلك مفتاح الاستجابة إن شاء الله.

### ثانياً: موعظة النبي ﷺ للأعرابي الجاهل

لقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في العديد من المواقف، فقد كان يعظ الصّغير والكبير والذكر والأنثى والحرّ والعبد، وما كان يخص به النساء يعلمهنّ أمور دينهنّ، ووعظه لأصحابه وحثّهم على أعمال الخير ونهيهم عن الشر<sup>(1)</sup> فكانت موعظته - ﷺ - للأعرابي مثالاً على ذلك، كانت بمثابة الدرس العملي عن كيفية أداء الموعظة لأجلاف الناس، جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه مه، قال: قال رسول الله لا تزرموه<sup>(\*)</sup> دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القدر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن»<sup>(2)</sup>.

(1) - فواز بن مبيريك حماد الصّعيدي، الأساليب التّربوية النّبوية المتبعة في التّوجيه وتعديل السّلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة التّأهيلية بنين، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التّربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أمّ القرى، كليّة التّربية، قسم التّربية الإسلامية والمقارنة، 1430هـ/2009م، ص 184.

(\*) - لا تزرموه: أي: لا تقطعوا عليه بوله. يُقال زرمَ الدمع والبول إذا انقطعَا، (يُنظر: ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي وآخر (بيروت: المكتبة العلمية، د، ط، ج 2، 1399هـ/1979م)، ص 301.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطّهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النّجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم الحديث 285، ص 144.



والتأمل في الحديث يستوحي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعاطفته الفذة منع صحابته من تعنيف الأعرابي لَمَّا شرع يبول في المسجد على الرُّعْمِ أَنَّهُ مُنْكَرًا تستقبُّهُ الطَّبَاعُ السَّليمة، لِيُلْقِي موعظته ﷺ فتسرَّب إلى سويداء قلبه وذلك مراعاة لصحَّة الأعرابي وتقديرًا لمصلحة الدَّعوة .

فالعبْرَةُ مِنْ هَذَا الأسلوب النَّبوي - عند توظيفه في موعظة النَّاس وتوجيههم - أَنْ يَكُونَ بِرَفْقٍ وَلِينٍ دُونَ اللَّجْوَةِ إِلَى الغلظة والخشونة التي تسبَّب النَّفور والإعراض.

ونظرًا لعظمة هذا الحديث الذي جرى بين النَّبِيِّ ﷺ والأعرابي وما يحويه مِنْ مزايا جليلة للدَّعوة إِرْتَائِيْتُ أَنْ أَقِفَ عَلَى بَعْضِ الْحِكَمِ وَالْأَسَالِيبِ الْعَاطِفِيَةِ الْمُسْتَوْحَاةِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ كَالآتِي :

### أ- تأليف قلب الرَّجُل

أسلوب التَّأْلِيفِ مِنْ الْأَسَالِيبِ الْمُهَمَّةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ نَافِعَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، إِسْتَحْدَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ كَثِيرًا، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: عِنْدَمَا زَارَ أُمُّ حَرَامٍ فِي بَيْتِهَا فِي قَبَاءٍ، وَطَعَمَ وَنَامَ وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ وَقَالَ: «عَرَضَ عَلَيَّ أَنَاْسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ الْأَخْضَرَ كَالْمَلُوكِ عَلَى الْأُسْرَةِ، فَقَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ (\*) : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَادَعْ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مِنْهُمْ»<sup>(1)</sup>.

وَالدَّاعِيَةُ تَبَعًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَدَوْتُهُ ، يَجِبُ أَنْ يَنْوَّعَ فِي تَأْلِيفِ مَدْعُوِّهِ تَارَةً بِالْدُّعَاءِ، وَتَارَةً بِالرَّغِيبِ وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مَبِينًا دَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمُشْرِكِينَ: (...كَانَ تَارَةً يَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَتَارَةً يَدْعُو لَهُمْ، فَالْحَالَةُ الْأُولَى حَيْثُ تَشْتَدُّ شَوْكَتُهُمْ وَيَكْثُرُ أَذَاهُمْ، وَالْحَالَةُ الثَّانِيَةُ حَيْثُ تَوْمَنُ غَالَتُهُمْ وَيَرْجَى تَأْلَفُهُمْ ...) <sup>(2)</sup>.

بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الْقَوْلِي إِسْتَطَاعَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ بِقَلْبِ الْأَعْرَابِيِّ، أَنْ أَشْفَقَ عَلَيْهِ عِنْدَ إِرْتِكَابِهِ الْخَطَأَ دُونَ تَوْبِيخِهِ أَوْ زَجْرِهِ أَوْ إِحْتِقَارِهِ، فَمَا آلَ بِهِ ﷺ أَنْ صَارَحَهُ بِقَوْلٍ: أَخْطَأْتَ، دُونَ مَهَاجَمَتِهِ

(\*) - أُمُّ حَرَامٍ: هِيَ الْأَنْصَارِيَّةُ أُمُّ حَرَامَ بِنْتِ مَلْحَانَ مَالِكِ بْنِ خَالِدِ بْنِ غَنَمٍ مِنْ بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَارِ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَأُمُّهَا مَلِيكَةُ بِنْتُ مَالِكٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ، وَأُمُّ حَرَامٍ هِيَ خَالَةُ الصَّحَابِيِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَأَخْتَهَا أُمُّ سَلِيمٍ وَقَدْ كُنِيَتْ أُمُّ حَرَامٍ لِأَخِيهَا الصَّحَابِيِّ حَرَامِ بْنِ مَلْحَانَ، تَزَوَّجَتْ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ، وَوُلِدَتْ لَهُ قَيْسًا وَعَبْدُ اللَّهِ، وَبَعْدَ إِسْتِشْهَادِ زَوْجِهَا وَابْنِهَا قَيْسٌ تَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ ﷺ فَوُلِدَتْ لَهُ مُحَمَّدٌ (يُنْظَرُ: شَرْحُ الزُّرْقَانِيِّ عَلَى مَوْطَأِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ التَّارِغِيبِ فِي الْجِهَادِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1026، ج 3، ص - ص 55، 57)، وَ(عَبْدُ الصَّبُورِ شَاهِينَ وَآخَرِ، مَهَاجِرَاتُ أَنْصَارِيَّاتِ رَوَايَاتٍ، نَحْضَةُ مِصْرَ لِلطَّبَاعَةِ وَالتَّوْزِيعِ، ص 236).

(1) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ غَزْوَةِ الْمَرْأَةِ فِي الْبَحْرِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2877، ص 710.

(2) - سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ الْقُحْطَانِيُّ، فَهَّ الدَّعْوَةِ فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ (الدَّرَاسَةُ الْعَامَّةُ لِإِدَارَةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ وَالدَّعْوَةِ، ط 1، 1421هـ)، ص 192.

بكلامٍ جارجٍ فضٍّ، ممَّا جعل الأعرابي يردّد مقولته: «اللّهم إرحمني ومحمّداً ولا ترحم معنا أحداً» لأنّ النبي ﷺ كان يعلم يقيناً الثَّمار التي يجنيها أسلوب التَّأليف وأثره على القلب، وذلك أنّ القلب هو وعاءُ العاطفة وهو مصدر الحبِّ، وهو محلُّ الإيمان وبه يكون الإقبال والإدبار، ومنه يكون الإقدام والإحجام، لذلك عمَدَ عليه الصَّلَاة والسَّلَام إلى تأليف قلب الأعرابي بالأسلوب القولي عن طريق الكلمة الطَّيبة، وبالأسلوب العملي بالترفُّق له وإحجامه عن الخطأ بليّنٍ دون إحالته إلى الضَّرب والعقاب.

### فكان التَّنبيه النَّبوي للدَّاعية ما يلي :

– معرفة حال المدعو وظروفه.

– أن يسلك السُّبل التي تربطه بالنَّاس وتؤثّر في قلوبهم، لأنّ القلوب ترتاح لمن يأتيها من المداخل التي تريحها، ويتحقّق ذلك بأسلوب التَّأليف، وقد تجسّد هذا الأسلوب في دعوة النبي ﷺ فكان يتعامل مع كلّ بحسبه، فيعطي محبّي المال شيئاً يتألّف به قلوبهم، ويتعامل مع حديثي العهد بالإسلام بما يرسّخ الإيمان في قلوبهم يؤلّفهم ببذل العطاء العظيم كما فعل في حنين<sup>(1)</sup>.

وكان يتألّف ﷺ النّاس بما يعلم فيه صلاحهم ويتناسب مع حالهم، فإن كانوا ممن يؤثّر المال تألّفهم بالمال، وإن كانوا سوى ذلك تألّفهم بالعفو وهكذا، يقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199].

### ب- الرِّفق و اللِّين

كان النبي ﷺ يربّي أصحابه ويوجّههم بهذا الأسلوب في السَّراء والضَّراء، في الحرب والسَّلم، في البيت والمسجد ولاسيما الأعراب، فقد كان يعاملهم بالمثل، والشَّاهد من الحديث إلى أيّ حدّ كان النبي ﷺ ليناً ورفيقاً بالأعرابي، فصنّعه يُبْعَثُ إلى الغضب، ولهذا غضب الصَّحابة فكادوا أن يقعوا فيه لكنّ النبي ﷺ قال: «دعوه»، وبعد أن فرغ الأعرابي، دعاه النبي ﷺ وأخذ يعلمه في رفقٍ ولينٍ قائلاً له كما في رواية مسلم: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القدر، إنّما هي لذكر الله والصَّلَاة وقراءة القرآن»<sup>(2)</sup>.

(1) – عبد الرَّحمان حسن حبّنة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (دمشق: دار القلم، ط3، ج 2، 1413هـ/1992م)، ص 196.

(2) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النِّجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم الحديث 285، ص 144.

بيَّن الحديث تعامل النَّبي ﷺ مع الأعرابي الجاهل الذي أخطأ وكيف بيَّن له خطأه بلين وبرفق دون غلظة أو ضجر أو تعنف، في حين نجدُ تعامله مع المعاند والمتعمد بأسلوبٍ آخر، فالرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إن كان ممن يُحتاج إلى استئلافه<sup>(1)</sup>.

في هذا درس وعبرة للدُّعاة فإذا رأوا جاهلاً أو معوجاً قَوِّموه بالرفق واللين والرحمة، لا بالعنف والغلظة والتي لا يأتي من ورائها خيرٌ، وما أهون الهدم وما أصعب البناء، والنفس بطبيعتها جبلت على حبٍّ من يُحسن إليها يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

يقول الأستاذ سيّد قطب رحمه الله: (عندما نلمس الجانب الطيب في النفوس نجدُ أنَّ هنالك خيراً كثيراً قد لا تراه العيون أوَّل وهلة ... حتَّى الذين يبدو في أوَّل الأمر أنَّهم شَرِّون فقراء الشُّعور شيءٌ من العطف على أخطائهم، وحماسهم، شيءٌ من الودِّ الحقيقي لهم، وشيءٌ من العناية غير المصطنعة باهتماماتهم وهمومهم ... ثمَّ ينكشفُ التَّبع الخيِّر في نفوسهم حين يمنحونك حبَّهم ومودَّتهم وثقتهم في مقابل القليل الذي أعطيتهم إيَّاه في نفسك، متى أعطيتهم إيَّاه في صدق وصفاء وإخلاص<sup>(2)</sup>).

وبالتَّالي فتوجيه القلوب نحو الإيمان وجادة الصَّواب يحتاج من الدَّعية إلى خبرةٍ بتلك القلوب التي يراد تحريكها ومعرفة الدَّوافع التي جبلت عليها.

وعليه يعدُّ هذا الأسلوب من أعظم الحِكَم التي رسمها النَّبي ﷺ لأُمَّته والدُّعاة من بعده، لتكون لهم طريقاً ونهجاً سلمياً وحجّة وعبرة يقتدى بها عند دعوتهم وتأثيرهم على أفهام النَّاس، وهو ما ترك أثراً كبيراً في حياة الأعرابي ومن على شاكلته، ولتعلم كلُّ داعيةٍ إلى الله كيفية التَّعامل مع الجاهل والغافل بمثل ما تعامل به النَّبي ﷺ مع الأعرابي، وبهذا فإنَّ اللين والرفق بالمدعويين أسلوب لا يخب في تحقيق أفضل النتائج.

### ج- فقه إنكار المنكر

إنَّ الحديث أشار إلى عنصرٍ مهمٍّ في الدَّعوة إلى الله وهو فقه تغيير المنكر، وهذه قاعدة أساسية اتبعها النَّبي ﷺ في مواجهة خطأ الأعرابي الجاهل، وطريقته المثلّية في تغيير هذا المنكر، فنظر في عواقب

(1) - محمد صالح المنجد، الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء (دار الوطن للنشر، د، ط، د، ت)، ص 26.

(2) - سيّد قطب، في ضلال القرآن، ج1، المرجع السابق، ص 1781.

الأمر، بأنَّ الأمر يدور بين احتمالين، إمَّا أنْ يمنعه وإمَّا يتركه، وأنَّه لو منع فإمَّا أنْ ينقطع البول فعلاً فيحصل على الأعرابي ضرر من احتباس بوله، وإمَّا أنْ لا ينقطع ويتحرَّك خوفاً منهم فيزداد انتشار النَّجاسة في المسجد أو على جسد الرَّجل وثيابه، فرأى ﷺ بثاقب نظره أنَّ ترك الأعرابي يبول، هو أدنى المفسدتين وأهون الشرَّين، خصوصاً وأنَّ الرَّجل قد شرع في المفسدة، والنَّجاسة يمكن تداركها بالتَّطهير، فأمر أصحابه: «دعوه لا ترموه» بالكفِّ لأجل المصلحة الرَّاجحة، وهي دفع أعمِّ المفسدين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعمِّ المصلحتين بترك أيسرهما إليه<sup>(1)</sup>.

وبيلغ الأخير مداه حينما يُعلم النَّبي ﷺ الأعرابي الجاهل بالأمر والجواب عليه دون أنْ يصرّحه بقوله: أخطأت، وهذا قَمَّةُ التَّعامل وقَمَّةُ المشاعر التي خصَّها النَّبيُّ في دعوته بل وفي حياته كُلِّها، يحسن التَّصرُّف في مختلفِ المواقف، ويراعي كلَّ أمرٍ بما يناسبه، ويوجِّه المدعوين بما يناسب أحوالهم ومستواهم وإدراكهم، ويختار أفضلِ الطُّرق والأساليب والوسائل الملائمة لواقع الدَّعوة والمدعو. فالموعظة عند النَّبي ﷺ غالباً ما تسوق بالمدعو إلى التَّفكُّر والتَّأمُّل كثيراً، ومراجعة خطئه أو إقراره بالخطأ، فتدفعه أنْ تكون نقطة تحوُّل في حياته، وهو ما وقع فعلاً مع هذا الأعرابي الجاهل، والدَّاعية إلى الله في أمسِّ الحاجة إلى هذا الأسلوب المثالي، يحتمل جهل المخطئ وفي نفس الوقت يرشده إلى الصَّواب برفقٍ دون ضجرٍ.

والمطلَّع على سنَّة النَّبي ﷺ ودعوته وأسلوبه المذهل في تعليم الأعراب والجهلة يرى التَّشابه بين أخطاء الأعراب في العصر النَّبوي وفي العصر الحاضر ممَّا يُظهر لنا أهمِّية الاستفادة من هذا المنهج كالآتي :

- إنَّ النَّبي ﷺ بهذا الأسلوب خطَّ للدُّعاة من بعده منهجاً في التَّعامل مع أخطاء المدعوين خصوصاً ممَّن يقعون في الأخطاء الشرعية والسلوكية والأخلاقية متمثِّل في "المنهج العاطفي"، يتجنَّب فضحه أو تعييره أمام النَّاس بعنف أو إحتقار أو سخرية، وهذا الأخير يتولَّد لدى المدعو المخطئ مكتسبات سلبية تؤثر حتماً على الدَّعوة، أولاً وعلى الذات الشخصية ثانياً.
- إنَّ فضح المدعو ونهيه أمام النَّاس يوقع الشُّعور بالإذلال وضعف الشخصية، وفي هذا يؤدِّي إلى ذوبان حبِّ الذات وعزَّة النفس التي يحملها قلب المدعو خصوصاً المخطئ فتبقية على حالة من التَّشبُّث بالخطأ والإصرار عليه، وهذا يشكِّل خطراً على الدَّعوة ومنهجها.

(1) - محمد صالح المنجد، الأساليب النَّبويَّة في التَّعامل مع أخطاء النَّاس، المرجع السَّابق، ص 51.

- الدَّعوة إلى الله ليس هدفها تصحيح أخطاء المدعوين فقط، وإنما هي عرضٌ لمبادئ الإسلام وأحكامه الشرعية بأساليب مؤثِّرة ووسائل مناسبة لتأسيس التَّصورات وتثبيتها في النفوس.

- إنَّ الدَّعوة إلى الله أحوج إلى مَنْ يمثِّل لأخلاق النَّبي ﷺ العالية، يسعى إلى إصلاح النَّزاع ومعالجة الأخطاء حتَّى ولو كان الأمر بينه وبين صنوف المدعوين كالجهلة مثلاً، بأسلوبٍ حكيم وعاطفة جيَّاشة مراعيًا حالهم وحاجاتهم ومستواهم دون ضجر وتعنُّفٍ، يتحلَّى بالصَّبْر والحلم ويُظهر معالم الحبِّ ويعاملهم بقدر عقولهم.

### ثالثاً: موعظته وموقفه يوم حنين

لقد أبدع النَّبي ﷺ في موعظته للنَّاس بشقَّى الوسائل والطُّرق، فلم يكتفِ بالقول فقط، وإنما كان للعملِ الأثر البليغ في استجابة المدعوين، في محاولةٍ تأليفهم على الحقِّ والأخذ بأيدهم برفقٍ حتَّى يؤمنوا به ويدعنوا إليه، فكان التَّأليف أحدَ أساليب دعوة النَّبي ﷺ، تجلَّت بوضوح عند موقعة حنينٍ حينما رأى ﷺ أن يتألَّف الطُّلقاء<sup>(\*)</sup> والأعراب بالغنائم وذلك لحداثة عهدهم بالإسلام، وكانت غنائم المسلمين حينها كبيرة جدًّا حوالي ستَّة آلاف من النِّساء والأطفال، وأربعة وعشرين ألفاً بغير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضَّة، فأمر النَّبي ﷺ أن يقسِّمها فكان النِّصيب الأوفر للمؤلَّفة قلوبهم<sup>(\*)</sup> أولى النَّاس، فأعطى أباً سفيان مائة من الإبل وأربعين أوقية، وأعطى ابنه يزيداً مثل ذلك، وأعطى حكيمَ بنِ حِزام مائة من الإبل ثمَّ سأله مائة فأعطاه<sup>(1)</sup>، والنَّظَرُ بنُ الحارثة، وغيرهم من أشراف قريش

(\*) - الطُّلقاء: بضمَّ الطَّاء وفتح اللَّام والمدّ، وهم الذين أسلموا يوم فتح مكَّة، وهو جمع طليق، يقال: ذاك لمن أطلق من أسار أو وثاق، قال القاضي في المشارق: قيل لمسلمي الفتح الطُّلقاء من النَّبي ﷺ وعليهم (يُنظَر: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج المسمى بشرح النووي على مسلم، كتاب الزَّكاة، باب إعطاء المؤلَّفة قلوبهم على الإسلام، رقم الحديث 1059، المرجع السَّابق، ص 666).

(\*) - المؤلَّفة قلوبهم: هم السَّادة المطاعون في عشائرتهم ممَّن يرجى إسلامه أو يخشى شرُّه أو يرجى بعطيته قوَّة الإيمان منه أو إسلام نظيره، أو جباية الزَّكاة ممَّن لا يعطيها أو الدَّفْع عن المسلمين، (يُنظَر: ابنُ جرير الطَّبْرِي، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج10، المصدر السَّابق، ص 161. ويعرَّف ابنُ حجر المؤلَّفة قلوبهم بأنَّهم: (ناس من قريش، أسلموا يوم الفتح إسلاماً ضعيفاً، وقيل: كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بنِ أميَّة، وقد اختلف في المراد بالمؤلَّفة قلوبهم الذين هم أحد المستحقِّين للزَّكاة، فقيل: كفار يعطون ترغيباً في الإسلام، وقيل: مسلمون لهم أتباع كفار ليتألَّفوهم، وقيل: مسلمون ما دخلوا في الإسلام ليطمئنَّ الإسلام من قلوبهم) (يُنظَر: ابنُ حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج8، المرجع السَّابق، ص 48).

(1) - يُنظَر: علي محمد الصُّلَّائي، السِّيرة النَّبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط4، 1429هـ/2008م)، ص-ص 788، 789.

فأكثر وأجزل ثم أمر بإحضار الغنائم والنَّاس ففرضها عليهم<sup>(1)</sup> فكان يعطي هؤلاء عطاء من لا يخشى الفقر حتَّى نفدت الغنائم، وكان الهدف من هذا العطاء المجزي هو تحويل قلوبهم من حبِّ الدُّنيا إلى حبِّ الإسلام<sup>(2)</sup> حتَّى عبَّر عنه ابنُ شهاب في حديث صفوان بن أمية قائلاً: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنَّه لأبغض النَّاس إليَّ فما برج يعطيني حتَّى أنه لأحبُّ النَّاس إليَّ»<sup>(3)</sup>.

فالتَّأليف هنا من قبيل الإغراء والتَّشجيع حتَّى يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم ويتذوَّق حلاوته، يوضِّح الشَّيخ الغزالي رحمه الله حقيقة هذا الأسلوب وأثره في الدَّعوة إلى الله في مثالٍ محسوس فقال: (... إنَّ في الدُّنيا أقواماً كثيرين يقادون إلى الحقِّ من بطونهم لا من عقولهم فكما تهدى الدَّواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظلُّ تمُدُّ إليه فمها حتَّى تدخل حظيرتها آمنة، كذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء حتَّى تستأنس بالإيمان وتهشُّ له)<sup>(4)</sup>.

لقد تأثَّر الأنصار من هذا العطاء تأثراً كبيراً بحكم طبيعتهم البشرية، فتردَّدت منهم المقالة عندما أعطى نبيُّ الله محمد ﷺ من تلك العطايا قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ، فكثرت منهم المقالة حتَّى قال قائلهم: «لقيَ واللَّه رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إنَّ هذا الحيُّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفَيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطاءً عظيماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيءٌ، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلاَّ من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلمَّا اجتمعوا له أتاه سعد فقال: لقد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله، وأثني عليه، ثمَّ قال: يا معشر الأنصار، ما قاله بلغني عنكم، وجدَّته<sup>(\*)</sup> وجدتموها على في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله؟ وعالة

(1) - أبو الحسن علي الحسيني السَّدي، السَّيرة النَّبوية (جدة: دار الشروق للنَّشر والتَّوزيع، ط8، 1410هـ/1989م)، ص 355.

(2) - يُنظر: علي محمد الصُّلَّبي، السَّيرة النَّبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، المرجع السَّابق، ص 789.

(3) - النَّووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج المسمى بشرح النووي على مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سُئل رسول الله ﷺ شيءٌ قطَّ فقال: لا وكثرة عطائه، رقم الحديث 2312، المرجع السَّابق، ص 1428.

(4) - محمد الغزالي، فقه السَّيرة (دمشق: دار القلم، ط1، 1427هـ/2006م)، ص 394.

(\*) - جدة: مصدر وجد، أي: وجدتم في أنفسكم شيئاً، (يُنظر: السَّيرة النَّبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1410هـ/1990م)، ص 138



فأغناكم الله؟ وأعداء ألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله آمنٌ وأفضل، ثم قال: ألا تحبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نبخيك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتكم، فصدقتكم ولصدقتكم: أتينا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، أوجدتكم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة<sup>(\*)</sup> من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا<sup>(1)</sup>.

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك ﷺ قال: «قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المئة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس ﷺ: فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ فقال فقهاء الأنصار: أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منّا حديثه أسناهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي ﷺ: إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ فو الله تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم النبي ﷺ: ستجدون أثره شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض، قال أنس ﷺ: فلم يصبروا<sup>(2)</sup>.

بدأ أثر منهج النبي ﷺ العاطفي واضحاً جلياً من خلال موقفه ﷺ مع الأنصار، تمثل في أروع صوره وأبلغ تأثيراته، والذي صدر عنه نوع من الاعتراض في البداية بحكم الطبيعة البشرية، لكن

(\*) - اللعاعة: تعني الخصب، أو شجرة خضراء شبه بها نعيم الدنيا (السيرة النبوية لابن هشام، المرجع نفسه، ص 138) وهي بقلة خضراء وناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعمها. (أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، المرجع السابق، ص 355).

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، رقم الحديث 4330، ص 1059. السيرة النبوية لابن هشام، علق عليها وخرج أحاديثها وصنف فهارسها عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 3، 1410هـ/1990م، ص-ص 137، 138) و(إئذ جري الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، د، ت)، ص 177. (وصفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، المرجع السابق، ص 410).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، رقم الحديث 4331، ص 1059.



النَّبي ﷺ راعى هذا الاعتراض وعَمِلَ على إزالته بحكمة وبرفقٍ، فكانت النتيجة أن إنقادوا طائعين مختارين راضين بقسمة الله تعالى ورسوله.

والأثر الآخر الذي أحدثه خطاب النَّبي ﷺ، لم يتمالكوا أمامه، فانفجر الإيمان في نفوسهم وهزّت المشاعر قلوبهم ممَّا جعلهم يتراجعون عن مطالبهم إلى موقفٍ جعل عيونهم مغرورة بالدموع. لقد اتَّبَعَ النَّبي ﷺ مع الأنصار منهجًا تربويًا فريدًا وخاطبهم خطابًا إيمانًا عقليًا وعاطفيًا وجدانيًا يتأثر له كلُّ قارئٍ على مرِّ العصور والأزمنة عندما يمرُّ بهذا الحدث العظيم<sup>(1)</sup>، فكان حُبُّه للأنصار بارز وفريد، كيف ولا وقد ربط علامات الإيمان في حبِّ الأنصار فقال: «آية الإيمان حبُّ الأنصار»<sup>(2)</sup> فكان بهذا الإيمان القلبي وهذا المنهج العاطفي هدفه هو تأليفهم وتثبيتهم وتحويل قلوبهم من حُبِّ الدُّنيا إلى حُبِّ الإسلام، بعد أن يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، ويتذوَّقون حلاوته، ويتربون في مدرسته<sup>(3)</sup> وقد حدث ذلك.

كما تجلّت أيضًا سمةٌ في أسلوب النَّبي ﷺ في حنين، الصَّبْرُ على جفاء الأعراب، فكان مثلاً للمربي الذي يصبر، يبيّن لهم الدِّين بحكمة ورفق، ويعاملهم على قدر عقولهم، فكان بهم رحيماً ولهم مربيّاً، وعلى أذاهم صابراً، ومع علوّ قدره ومنزلته كان كأحد أصحابه يخاطبونه ويعاتبونه، ولا يحتجُّ عنهم قط.

كما ضرب النَّبي ﷺ للأنصار صورة مؤثِّرة، قومٌ يبشِّرون بالإيمان يقابلهم قومٌ يبشِّرون بالجِمال، وقومٌ يُصحبهم رسول الله ﷺ، يقابلهم قومٌ يصحبهم الشَّاة والبعر، لقد أيقظتهم تلك الصُّور، وأدركوا أنَّهم وقعوا في خطيئٍ ما كان لأمثالهم أن يقع فيه، فانطلقت حناجرهم بالبكاء ومآقيهم بالدموع، وألسنتهم بالرِّضا، فطابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بسياسة النَّبي ﷺ الحكيمة في مخاطبتهم<sup>(4)</sup>.

فالتأليف بالمال والعطايا والهدايا من السِّياسات العاطفيّة الحكيمة التي انتهجها النَّبي، وذلك بهدف تلافي الإحْن، وتجميع القلوب فتجعلها متهيئة للنَّظر في صدق الدَّعوة وصحة العقيدة، يوضح الإمام ابنُ القيم رحمه الله أثر التَّغريب بالعطاء - المال والغنائم - في الدَّعوة إلى الله بالقول: (وهو جائر لما فيه من تقوية الإسلام وإزالة الكفر بجلب قلوب رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا

(1) - أمير بن محمَّد المدري، غزوة حنين دروس وعبر، سلسلة غزوات النَّبي ﷺ دروس وعبر pdf، د، ط، د، ت، ص 32.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حبُّ الأنصار، رقم الحديث 17، ص 17.

(3) - النَّووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج المسمى بشرح النَّووي على مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيء قط فقال: لا وكثرة عطائه، المرجع السَّابق، ص 1428.

(4) - محمَّد علي الصَّلَّابي، السِّيرة النَّبوية، المرجع السَّابق، ص 790.

غضب لغضبهم أتباعهم وإذا رضوا لرضاهم، فإذا أسلم هؤلاء لم يتخلّف عنهم أحد من قومهم، فو الله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أنفعه للإسلام وأهله، ولو وضع الغنائم بأسرها في هؤلاء لمصلحة الإسلام العامة، لما خرج عن الحكمة والمصلحة والعدل، وقد أثرت هذه السّياسة في كثير من أعداء الإسلام، فلانت قلوبهم ورضت نفوسهم فأحبّوا الإسلام ودخلوا فيه<sup>(1)</sup>.

بمثل هذا الأسلوب وقوّته المبهرة في التأثير، يدفع بالدّعوة إلى الله قدماً إلى الأمام، والدّاعية إلى الله بحاجة إلى هذا المنهج الأخلاقي ليحقّق بذلك بقاء الدّعوة الإسلامية نابضة حيّة في القلوب، ومهما بلغت الدّعوات الأخرى في العطاء والأخلاق فلن تبلغ مبلغ دعوة النَّبي ﷺ، وهو ما يستوجب على الدّاعية إقتفاء أثره ﷺ والاستفادة من أسلوبه كالآتي :

- تقسيم الغنائم فائدة خلقية وعملية قام بها النَّبي ﷺ لتحقيق غرض دعوي، وهو تأليف حديثي عهد بالإسلام، وهذا يلمح إلى كرم النَّبي ﷺ وجوده المنقطع الطّير إلى حدّ أن يعطي مئات الإبل لأفراد لم يتقاسموا معهم مشقّات الطّريق، ولكنّها الحكمة النبوية الرّائعة، فالمال بالنّسبة للدّاعية أو القائد الرّبّاني لا يعني له شيئاً وإنما يعنيه مصلحة الدّعوة.

- غنائم حنين مُلهمة لكلّ داعية إلى الله، بأن يتحلّى بخلق العطاء والكرم والسّخاء بمثل ما تخلق به المصطفى ﷺ فكان أجود بالخير من الرّيح المرسلة<sup>(2)</sup> وكان إذا سئل شيئاً أعطاه لا يردّ سائله<sup>(3)</sup>، وقد انتقل إلى الرّفيق الأعلى وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليداً، وترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير<sup>(4)</sup>، وقد ملك جزيرة العرب، فهذا قَمّة العطاء وأرفع الأخلاق وأقربها إلى التأثير في قلوب المدعوين المسلمين منهم أو غير المسلمين، عن أنس بن مالك ﷺ وهو يصف النَّبي ﷺ فيقول: «كان النَّبي ﷺ أحسن النَّاس، وأجود النَّاس، وأشجع النَّاس»<sup>(5)</sup>.

(1) - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (الرّياض: دار البحوث العلمية، د، ط، ج2، د، ت)، ص 192.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصّوم، باب أجود ما كان النَّبي ﷺ يكون في رمضان، رقم الحديث 1902، ص 458. وأخرجه أحمد في المسند، ج5، ص 358. وأخرجه الترمذي في السنن، وصحّحه برقم 1666، ج3، ص 85.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ذكر التّساج، رقم الحديث 2093، ص 504. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ، فقال: لا، رقم الحديث 2311، ص 1805.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النَّبي ﷺ والقميص في الحرب، رقم الحديث 2916، ص 719. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر والسّفر، رقم الحديث 1603، ص 1226.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حُسن الخلق والسّخاء وما يُكره من البخل، رقم الحديث 6033، ص 1512.

- إذا تأملنا موقف الأنصار من النَّبي ﷺ نجدُ هناك حبًّا كبيرًا وطاعة مطلقة له، فرغم أنَّ الغنائم قد جُعِلَتْ لغيرهم إلَّا أنَّهم لم يعارضوا سياسته، ووافقوا رأيه لاعتقادهم الجازم أنَّ ما يفعله النَّبي ﷺ إنما هو وحيٌّ من الله تعالى يقتضي الرِّضا والتَّسليم، وهذا أ نموذجًا فريدًا في الدَّعوة إلى الله نصح فيه النَّبي ﷺ فأسَّس مجتمع شابَّ يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ، يوجَّهه الإيمان العميق في سكناته وحركاته، قدوتهم النَّبي ﷺ ومثالهم الأعلى في تجرُّده وإيثاره وعطاءه<sup>(1)</sup>.

#### رابعًا: موعظة النَّبي ﷺ من خلال الخطب المؤثِّرة

تجلَّت موعظة النَّبي ﷺ في سيرته العطرة من خلال الخطبِ المنبريَّة المؤثِّرة، حيث كان يلامس عقول النَّاس وعواطفهم، ويختار الظروف المناسبة وبما يناسب قدرة أصحابه على تحمُّله، فالخطبة شرعت للموعظة وتذكير ومعالجة الأخطاء التي يقع فيها النَّاس بجدٍّ، وكانت أوَّل خطبة خطبها النَّبي ﷺ عندما أقام بالمدينة واستجمع له إسلام حيِّ الأنصار، وذلك ما ورد عن أبي سلمة بن عبد الرَّحمان رضي الله عنه أنه أقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعدُ، أيُّها النَّاسُ، فقدَّموا لأنفُسِكُم. تعلَّمُوا واللَّه لِيُصْعَقَنَّ أَحَدَكُم، ثُمَّ لِيَدْعَنَّ عَنْهُ لَيْسَ لَا رَاعٍ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ: أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ، وَآتَيْتَكَ مَا لَا وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ؟ فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَلْيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى شَيْئًا، ثُمَّ لِيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقٍّ مِنْ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكْلِمَةً طَيِّبَةً، فَإِنَّ بَهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضَعْفٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»<sup>(2)</sup>.

وصعد النَّبي ﷺ المنبر يومًا، وكان آخر مجلسٍ جلسهُ مُتَعَطِّفًا مُلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ، قد عصب رأسُهُ بِعَصَابَةٍ دَسَمَةٍ، فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ، فَتَابُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ قال: أَمَّا بعدُ، فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، يَقُولُونَ وَيَكْثُرُ النَّاسُ، فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا، فَلْيُقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ»<sup>(3)</sup>.

وكما جاء في خطبة حجَّة الوداع حينما خطب قائلاً: «أَيُّهَا النَّاسُ، اسمعوا قولي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْفَاكُم بَعْدَ عَامِي هَذَا، بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، إِلَى

(1) - عماد الدِّين خليل، دراسة في السِّيرة (بيروت: دار النَّفائس، ط2، ج1، 1425هـ)، ص156.

(2) - عبد السَّلَام هارون، تهذيب سيرة ابنِ هشام (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، دار البحوث العلميَّة، ط14، 1406هـ/1985م)، ص-ص122، 123.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد التَّناء أماً بعد، رقم الحديث 927، ص224.

أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلَغْتُ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا وَإِنَّ كُلَّ رَبٍّ مُوَضَّعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رَبًّا وَإِنَّ رَبَّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُوَضَّعٌ كُلُّهُ، وَإِنَّ كُلَّ دِمٍّ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُوَضَّعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضْعُ دَمِ رِبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلْتُهُ هُذَيْلٌ - فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ .. أَتَيْهَا النَّاسُ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلَهْنَ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِنَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهِنَّ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لَا يَمْلِكَنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، فَاعْقِلُوا أَتَيْهَا النَّاسُ قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيْنَنَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةٌ»<sup>(1)</sup>.

إِنَّ الشَّاهِدَ مِنْ خِلَالِ خُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّمَا كَانَتْ وَسِيلَةً نَاجِحَةً إِسْتَعْدَمَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ، وَكَانَتْ مُؤَثِّرَةً وَبَلِيغَةً فِي حُجَّتِهَا، عَاجَلَتْ قَضَايَا مُتَعَدِّدَةً مِنْ قَضَايَا الْإِسْلَامِ وَالْمَجْتَمَعِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِصْلَاحِ النَّفُوسِ وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ، فَعَرَفَتْ خُطْبَهُ ﷺ بِالْكَلِمَاتِ الْبَالِغَاتِ وَالْعِظَاتِ النَّافِعَاتِ، أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَبَدَائِعَ الْحِكْمِ وَكَمَالَ النُّصْحِ وَحَسَنَ الْبَيَانِ وَفَصَاحَةَ الْقَوْلِ مَعَ رَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ وَحِرْصٍ عَلَى نَفْعِ النَّاسِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ<sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: 10-11].

كما تميَّزت خطبه ﷺ بالوفاء والنُّصح والبيان في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم<sup>(3)</sup>.

(1) - صفي الرحمان المباركفوري، الرَّحِيقُ الْمُخْتَوَمُ (مَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ: رَابِطَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، 1991م)، ص 517.

(2) - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، خطب ومواعظ (المدينة المنورة: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1، 1426هـ/2005م)،

ص 9.

(3) - المرجع نفسه، ص 9.

تمثّل الأثر العاطفي في خطبه ﷺ حرصه على تبليغ ما يصلح أمرهم ويُعلي شأنهم ويُجنّبهم الفُرقة من بعدهم، والتي تمثّلت بوصية مودّع فكانت مؤثرة وبليلة: «فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا» تركت هذه الموعظة وقعاً وأثراً كبيراً في النفوس حينما أظهر خشيته عليهم كخشيته على نفسه، أن ناشدهم للتمسك بمعالم الدين وأركانه وبالشرعية وأصولها. فالتأثير في النفوس يجب أن يكون بأسلوبٍ لينٍ عن طريق الكلمات المؤثرة والألفاظ السهلة اللَّبقة والجزلة الأقدر على التعبير.

#### وعليه فالمستفاد من هذا الأسلوب النبوي - الموعظة الحسنة - كالاتي :

- الموعظة الحسنة من أبلغ أساليب المنهج العاطفي المؤثرة لقدرتها العجيبة والمبدعة في الإقناع وحكمتها البالغة في التأثير، خصوصاً عند استعمال الخطب المنبرية المؤثرة، والتي يجب أن تكون مناسبة تعالج الواقع بقضايها المتعددة والمستجدّة، والتي تحتاج إلى صرح قويّ وعاطفة دقّة وشعور حيّ.

- على الدّاعية أن يكون أهلاً لها، فيكون كفاء يملك قدرات فنيّة وأسلوبية تزيد موعظته قوةً وتأثيراً، وهذه الموعظة لها أثر كبير في نفوس المدعويين، بلطف العبارة ومناسبتها للمقام فتولد المودّة وتغرس المحبّة، وتحاصر المنكرات وتقضي على انتشارها أو المجاهرة بها<sup>(1)</sup>.

- ودعوة إلى أصحاب المؤسسات الدّعوية والتّدريبية والمساهمات الخيرية، السّعي في إعداد دعاة ووعاظٍ وخطباءٍ أكفّاء غايّتهم نفع الناس وإصلاح ما أمكن إصلاحه في واقع حياتهم، بأن يكونوا دواً عواطف دافقة وعقول نابغة تلامس أفئدتهم، فما قيمة دعاة يعظون النّاس ويحدّثونهم عن الأهوال العظام والخشية والتّقوى، وتنبيه الغافل، والتّذكير بالعواقب والتّخويف إلى الله والعمل بالطّاعات والإقبال عليها دون أن تذرف منه دمعة أو تُصيب منه عبّرة، فالواجب الدّعوي أن تكون موعظته متميّزة يثيرها الأسلوب الحسن والكلمة البليغة.

(1) - محمّد صالح وقيع الله، ثقافة الدّاعية وأثرها في الدّعوة، المرجع السّابق، ص 32.

## المطلب الرَّابع: أشكال الموعظة في دعوة النَّبي ﷺ

بناءً على ما سبق ذكره بخصوص موعظة النَّبي ﷺ التَّمسُّتُ تَمَيَّزُ أسلوبه باللُّطف والرِّقَّة في وعظ مخالفه، فلم يَنْهَهُمْ عن شيءٍ بأسلوب الزَّجرِ والغلظة، بلْ كان رَفيقاً حليماً لِيناً، وكانَ يعْظُ النَّاسَ بأشكالٍ متعدِّدة نذكر منها :

### أولاً: أسلوب القِصَّة

#### أ- مفهوم القِصَّة

##### - لغة

تعدَّدت المفاهيم اللُّغوية لمصطلح القِصَّة، واختلفت من معجم لآخر، إذ يَعْرِفُهَا بعضُ علماء اللُّغة كالآتي :

- يَعْرِفُهَا العَلَامَةُ الزُّيْدِي بالقول: (مادتها قَصَصٌ، وقَصَّ أثره أي: يُقْصِه قصاً وقصيصاً، والقَصُّ إِتِّبَاعُ الأَثَرِ ويقال فُلَانٌ قَصَصَ فِي أَثَرِ فُلَانٍ وقَصًّا وذلك اقتَصَّ أثره، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١١] [القصص: 11] أي: تَتَّبِعِي أثره، وقيل القَصُّ تَتَّبِعُ الأَثَرَ شيئاً بعد شيء، ومنهم من خَصَّ فِي القَصِّ تَتَّبِعُ الأَثَرَ بالليل، والصَّحِيحُ فِي أي وقتٍ كان، وقَصَّ عليه الخبر قصاً وقصصاً أَعْلَمَهُ به وأخْبَرَهُ، ومنه قَصَّ الرُّؤْيَا، يقال: قَصَصْتُ الرُّؤْيَا أَقْصَصْتُهَا قِصًّا<sup>(١)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا العَلَامَةُ ابْنُ فَارِسٍ بالقول: (القاف والصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يدلُّ على تَتَّبِعُ الشَّيْءَ، من ذلك قولهم قَصَّ الشَّيْءَ يُقْصِه قِصَصاً، وقصصاً بمعنى: تَتَّبِعُهُ لأمرٍ وغايةٍ يَنْتَهِي إليها، من ذلك التَّتَبُّعُ ومن ذلك قولهم اقْتَصَصْتُ الأَثَرَ إِذَا تَتَّبَعْتَهُ<sup>(٢)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا العَلَامَةُ فَيروز الآبَادِي بالقول: (وتأتي القِصَّةُ بمعنى البَيَانِ ومنه قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3] أي: نَبَيِّنُ لَكَ أَحْسَنَ البَيَانِ، والقِصَصُ من يَأْتِي بالقِصَّةِ<sup>(٣)</sup>.

(١) - يُنْظَرُ: مرتضى الزُّيْدِي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مادة قَصَّ (مطبوعة حكومة الكويت، ج18، 1399هـ/1979م)، ص 98.

(٢) - ابْنُ فَارِسٍ، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هَارُون، مادة قَصَّ (دار الفكر للطباعة ونشر والتوزيع، ج5)، ص11.

(٣) - الفَيروز آبادي، القاموس المحيط (الهيئة المصرية العامة، ط3، ج2، 1978م)، ص 311.

- وجاءت في موضع آخر بمعنى: (قَصَّ خبري فلان على فلان قصصاً، وقَصَّص أثره، وقَصَّ جناح الطائر أي: قَطَعَ)<sup>(1)</sup>.

إذاً تبَيَّن أنَّ المفهوم اللُّغوي المشترك بين المفاهيم لكلمة القِصَّة يدور حول: التَّبُّع لأمر ما، وتَبُّع الأثر، والبيان، والإخبار.

#### - اصطلاحاً

حُظِيَتْ القِصَّة باهتمام كبيرٍ من طرفٍ العديد من العلماء والباحثين من مختلف العلوم، كعلوم القرآن والسُّنة نذكرها كالاتي :

- إضافة إلى المفاهيم اللُّغوية فإنَّ القِصَّة في القرآن الكريم هي: (إخبار عن أحوال الأمم الغابرة، وشأن النبوات السابقة والحوادث الواقعة، وأمور كثيرة أخرى، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وما حدث فيها، وتتبع آثار كل قوم، كما جاء في القرآن الكريم عن الجميع صورة ناطقة كما كانوا عليه في عصورهم وحياتهم)<sup>(2)</sup>.
  - وفي السُّنة النَّبَوِيَّة فمفهومها لا يخرج عن مفهوم القِصَّة في القرآن الكريم وهي: (تتبع الأحداث الماضية وإبراز جوانب العبرة فيها، تتناول أخبار الأقدمين وأحداث الأولين سواء أكانوا من الأنبياء عليهم السَّلام أو من أقوامهم مع التَّحديد الزماني والمكاني، ويُطلق اسم القصص النَّبوي على القصص الواقعة للنَّبي ﷺ في فترة من فترات حياته، تساق في شكلٍ من أمثال وقصصٍ أخرى من عالم الغيب)<sup>(3)</sup>.
- فَقَصَّصُ النَّبي ﷺ لا تحدّد نمطاً واحداً من الأداء، ولكنها تتبلور وتختلف حسب ما يميله مقام الفكرة فطوراً قصيرة وطوراً آخر طويلة<sup>(4)</sup>.

إذن فالقِصَّة النَّبَوِيَّة هي الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً<sup>(5)</sup>.

(1) - أبو إبراهيم الفراء، ديوان العرب (مكتبة لبنان، ط1، 2003م)، ص 689.

(2) - محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن (القاهرة: دار السَّلام، ط2، ج1، 1426هـ/2005م)، ص 106.

(3) - يُنظَر: مأمون فريز حرار، خصائص الفقه الإسلامي (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، 1988م)، ص 113.

(4) - محمد لطفي الصَّبَّاح، التَّصوير الفني في الحديث النَّبوي (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1409هـ/1988م)، ص 499.

(5) - مرفت محمد أحمد حماد، الموعظة في القصص القرآني، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدِّين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1436هـ/2015م، ص 11.



## ب- أسلوب القصة في دعوة النبي ﷺ

تُمثل القصة في السنة المطهرة دورًا في ترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة بشكل لا يخفى على كل ذي لب، والداعية إلى الله عليه أن يتزوّد بزد القصص العاطفية المؤثرة والمناسبة كي يدعم بها قوله إذا أراد تهيج المشاعر تجاه أمر معيّن، فإن أراد حثّ الناس عن الصدقة وترغيبهم فيها، قال: «قَالَ رَجُلٌ: لَا تُصَدِّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا تُصَدِّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ ؟ لَا تُصَدِّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِي غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيَنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ»<sup>(1)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ أول من سلك مسلك القرآن الكريم واتبع خطاه، حيث إنّ أخذ من القصة وسيلة لبلوغ الهدف الدعوي، فهي إقناع للعقل وإمتاع للعاطفة، وقد اعتمد عليها النبي ﷺ كأسلوب من أساليب التأثير، وذلك لتعلق النفس غالبًا بالحدث الذي تقوم عليه القصة وما يصاحبها من مؤثرات وجدانية وعاطفية تقتضي التفاعل والاندماج مع أحداثها، لما فيها من تدريج في سرد الأخبار وتشويق في العرض وطرح للأفكار ممزوجة بعاطفة إنسانية مُرهفة<sup>(2)</sup>.

فشهد عليه الصلاة والسلام العديد من المواقف التي يحكي فيها قصة من القصص، منها ما يتعلّق بالعقيدة ومنها ما يتعلّق بالأخلاق وما إلى ذلك.

## – قصة توبة قاتل المائة نفس

وما قصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين ثمّ أتمّ المائة ثم تاب الله عليه إلاّ أنموذجًا لإستخدام النبي ﷺ للقصة العاطفية والتي تهدف إلى تحضير العصاة للتوبة والإنابة إلى الله مهما عظم ذنبهم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ،

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إذا تصدّق على غنيّ وهو لا يعلم، رقم الحديث 1421، ص 345.

(2) - أيمن محمد عبد العزيز عمرو، أسلوب القصة وأغراضه التربوية في الصحيحين، مجلّة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 9،

فقال: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقال: نعم، ومن يُحَوِّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيِّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ<sup>(1)</sup>.

هذه القصة يذكرها النبي ﷺ كي يأخذ منها أصحابه العبرة والعظة فيقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111].

وجاء عن النبي ﷺ أيضًا في قوله: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وخير الخطَّائين التَّوَّابُونَ»<sup>(2)</sup>.

وقد اتضح المنهج العاطفي من خلال القصة بشكل واضح في بيان صفة من صفات الله تعالى وهي الرحمة والعفو، وكيف ساقها ليبيّن في نفوس صحابته عدم القنوط من رحمة الله مهما كانت المعاصي إذا اتّبع تلك المعاصي توبة صادقة<sup>(3)</sup>، فأراد أن يوضح سعة رحمة الله وعفوه عند لزوم المرء الندم على ما كان منه رجاء مغفرة الله وتكفيره عن سيئاته، وأنّ القتل من أعظم الجرائم والكبائر فقد يُغفر لصاحبه إذا أخلص في التوبة وأناب إلى الله، جاء في الحديث القدسي: «يا ابنَ آدَمَ لو لقيتني بقرابِ الأرضِ خطايا لقيتُك بقرابِها مغفرةً»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة قاتل، رقم الحديث 2766، ص 1268.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه، رقم الحديث 2499، ص 596. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة. أ. هـ، و(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحیحین، کتاب التوبة والإنابة، باب خير الخطائين التوابون، رقم الحديث 7691، دار المعرفة، ط 1، 1418 هـ/1998 م) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم 4251، ص 92.

(3) - أيمن محمد عبد العي عمرو، أسلوب القصة وأغراضه التربوية في الصحيحين، العدد 1، مج 9، 2014 م، ص 9.

(4) - أخرجه الترمذي في سننه، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، كتاب الدعوات، باب 98 (107)، رقم الحديث 3540، ج 5، المصدر السابق، ص 509. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وتحفة الأشراف 102/1، رقم الحديث 253، والمسند الجامع، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، كتاب الذكر والدعاء، رقم الحديث 1091. (بيروت: دار الجيل، ط 1، مج 2، 1413 هـ/1993 م)، ص 216.

كانت هنا لفظة لطيفة تبيِّنُ سعة رحمة الله وعفوه عند لزوم المرء التَّدم على ما بدر منه من كبائر وآفات خلقية وغيرها من المساوئ الكبرى، فيكفِّر عن سيئاته إذا ثبت عنه ذلك شعوره بالذَّنْب؟. وبين أنَّ الله يجازي عبده حسب نيَّته وعزمه بشرط أنَّ يكون صادقاً في نيَّته<sup>(1)</sup>.

كما أشار النَّبي ﷺ إلى رحمة الله الواسعة لعبده وعدم مؤاخذته بذنوبه لأول وهلة وأنه تعالى يمهله أملاً في التوبة فيقول: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: 45].

إنَّها نعمة من الله أن فتح باب التَّوبة والمغفرة قبل وقوع المحذور وهذا ليس شأنه مع العبد مرتكب الكبيرة أو ظلم أو جور وغيرها من المحظورات، وإنَّما شأنه مع أهل الكفر أيضاً، يقول الإمام الرَّازي رحمه الله مبيناً سعة رحمة الله على عباده: (اعلم أنَّه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين لهم أنَّه يمهّل هؤلاء الكفَّار ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً للفضل والرحمة والكرم)<sup>(2)</sup>. فهذه الرحمة سخرها الله تعالى لنبيِّه محمَّد ﷺ وكتبها على قلبه فكان للعالمين رحيماً، فاستخدم هذه القصَّة إذعاناً منه لتحبيبهم في الدِّين والعمل به وقبولهم للحقِّ واستعجال التَّوبة.

فأراد عليه الصَّلَاة والسَّلَام أن يثبت بأنَّ القصَّة ركيزة من ركائز الموعظة أو بالأحرى الدعوة إلى الله، القائمة على الإقناع العاطفي والإطمئنان القلبي والإرتياح النَّفسي بما يعظ به من اليقين برحمة الله وعفوه لعبده حتَّى لمرتكب الكبائر فتغشاه رحمة الله حين العودة إلى التَّوبة.

### – قصَّة من زار أخاً له في قرية محبَّة لله

عن أبي هريرة ؓ عن النَّبي ﷺ: «أنَّ رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها، قال: لا غير أيَّ أحببته في الله عزَّ وجلَّ، قال: فإني رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحبَّته فيه)<sup>(3)</sup>.

(1) – ناصر بن محمَّد الأحمد، قاتل المئة نفس، 1419/05/06 هـ، ص-ص 2، 3.

(2) – فخر الدِّين الرَّازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، ط3، ج20، 1420هـ)، ص 227.

(3) – النَّووي، شرح التَّووي على مسلم، كتاب البرِّ والصِّلَّة والآداب، باب فضل الحبِّ في الله، المرجع السَّابق، رقم الحديث 2567، ص 1539.

لجأ النَّبي ﷺ من خلال القصَّة إلى تنمية عاطفة الحبِّ في الله لدى أصحابه رضوان الله عليهم والحثُّ عليها وبيان فضلها، وأتَّما سبب حبِّ الله تعالى للعبد، والسرُّ الذي ملك به النَّبي ﷺ زمام قلوب صحابته رضوان الله عليهم.

إنَّ الحبَّ عاطفة لها تأثيرها القويُّ في نفوس الصَّحابة في بناء علاقاتهم مع الله تعالى، وفيما بينهم، من خلال التَّراور والتَّحاب، فكشف حديث النَّبي ﷺ فضل الزَّيارة وأجرها العظيم، فكان الحامل له على هذه الزَّيارة هو الحبُّ في الله، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

فالقصَّة في هذا الجانب تعتبر من المواعظ العاطفية السامية التي تجلَّى فيها المنهج العاطفي بصورة قوية تَبعث إلى تأليف القلوب ببعضها من خلال سرد أحداث القصَّة التي تثير الشعور وتقربُّ الأفهام وتصغى إليها بتأمل وتفكر، وهنا يقتضي من الدَّاعية بأن يكون حكيماً، في تبليغ دعوته يتنوع في سرد القصص التي تذكر بالتوبة إلى الله تعالى، فلا يجعل قصصه كلّها ترهيباً ولا كلّها ترغيباً بل يتناوب بينها، كما يسعى إلى إختيار القصص الهادفة والمؤثرة التي تلين القلوب وتبعث فيها الأمل بغفو الله ومغفرته للذنوب والخطايا مهما عظم شأنها .

### ثانياً: أسلوب التَّرجيب

في هذه الجزئية سأطرّق بالحديث حول أسلوب التَّرجيب، وليس خفياً علينا مدى تأثيره في النَّفس التي جبلت على حبِّ الخير، يستهويها العطاء ويروقها البذل، وقد وُرد في الدَّعوة في الأغلب الأعمّ منَ المواقع الدَّعوية المتعدّدة من القرآن والسنة، وقد سبق الحديث عليها سابقاً، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90] وخلال هذه التَّوطئة، وقبل التَّفصيل في بيان أثره في دعوة النَّبي ﷺ، يستدعي منَّا التعريف بمصطلح التَّرجيب من الناحية اللُّغوية والإصطلاحية.

### أ- مفهوم أسلوب التَّرجيب

#### - لغة

تعدّدت المفاهيم اللُّغوية لمصطلح التَّرجيب واختلفت من معجم لآخر، إذ يعرفه بعض علماء اللُّغة كالآتي :

- يعرفه العلامة الرَّاغِب الأصفهاني بالقول: (مصدر رَغِبَ تَرْغِيًّا على القياس ككَرَمَ تَكْرِيماً وله معان عدّة منها: إِرَادَةُ الشَّيْءِ: تقول رَغِيتَ في الشَّيْءِ إذا أَرَدْتَهُ)<sup>(1)</sup> يقول تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: 7-8].

(1) - راغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم (دمشق: دار العلم، ط1، 1412هـ)، ص 358.

• ويعرّفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (رَغَبُهُ أَعْطَاهُ مَا رَغِبَ، وَرَغَبَ النَّفْسُ: سِعَةُ الْأَمَلِ وَطَلَبُ التَّفَكِيرِ)<sup>(1)</sup>.

• ويعرّفه العلامة الزبيدي بالقول: (التَّرْغِيبُ مصدر من رَغِبَ الرَّغْبُ والرُّغْبُ، والرَّغْبَةُ هي الحرص على الشَّيْءِ والطَّمَعُ فيه، وهو يعني التَّشْوِيقُ والحثُّ على فعل الشَّيْءِ والرَّغْبَةُ والسَّوَالُ والطَّمَعُ. وأنشد الأعرابي قائلًا:

إذا مالتِ الدنيا على المرءِ رَغِبْتُ ... إليه ومال النَّاسُ حيث يميل<sup>(2)</sup>.

#### - اصطلاحًا

جاء مفهوم التَّريغيب عند بعض علماء الدَّعوة على هذا النحو التَّالي:

• يعرفه الدكتور علي محفوظ بالقول: (هو قوة كبيرة تجذب النَّفس الإنسانية إلى طريق الخير وتستعطفها نحوه بما أعدّه الله لسالكيه من منافع ولذاتٍ وخبراتٍ عظيمةٍ معجلة أو مؤجلة)<sup>(3)</sup>.

• ويعرفها الدكتور جمعة عبد العزيز أمين بالقول: (وهي الحثُّ على فعل الخير وأداء الطَّاعات والاستقامة على أمر الله مقرونًا ببشريات كبيرة في الدُّنيا والآخرة معًا)<sup>(4)</sup>.

• ويعرفه الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله بالقول: (هو تحبيب الإنسان في عبادة الله وفعل الخير وعمل الصالحات ومكارم الأخلاق والقيام بكلِّ ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان نبيّه وقيادته إلى ذلك بزمام الرَّغبة فيما رتب الله على ذلك من حسن الجزاء وجزيل المثوبة في الدنيا والآخرة)<sup>(5)</sup>.

• وفي تعريفٍ آخرٍ له: (التَّريغيب يقصد به كلُّ ما يشوِّق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحقِّ، والدَّعوة عليهم أن يتأسَّوا بدعوة النَّبي ﷺ وأن يبدأوا دعوتهم بأسلوب التَّريغيب وتذكير النَّاس بنعيم الآخرة)<sup>(6)</sup>.

(1) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة رغب، ج3، المصدر السَّابق، ص 352.

(2) - محمَّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (بيروت: دار مكتبة الحياة، د، ط، ج2، 1306هـ)، ص 51.

(3) - يُنظَر: علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة (بيروت: دار الاعتصام، ط9، 1399هـ/1979م)، ص - ص 196، 200.

(4) - جمعة عبد العزيز أمين، الدَّعوة قواعد وأصول (دار الدَّعوة، ط2، 1409هـ)، ص 208.

(5) - يوسف القرضاوي، المنتقى من كتاب التَّريغيب والتَّرهيب للمنزدي (مركز بحوث السُّنة والسَّيرة، د، ط، ج1، د، ت)، ص 1.

(6) - كيلان خليل حيدر، التَّريغيب والتَّرهيب في القرآن الكريم وأهمَّيتها في الدَّعوة إلى الله، بحث في مجلَّة كَلِّية العلوم الإسلامية، العدد 13، مج7، 1434هـ/2013م، ص 5.

فيقول: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ»، قال: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»<sup>(1)</sup>.

• وفي تعريفٍ آخَرَ له: (هو تحبيب المدعو في الإسلام ومبادئه، واستمالة نحو الالتزام له)<sup>(2)</sup>.

وعليه من خلال عرض المفهوم اللُّغوي والإصطلاحي تبين لنا أن التَّغْيِبَ جاء بمعنى: الحثُّ على أعمال الخير، والتَّحْيِيْب والتَّشْوِيق في الطَّاعَاتِ والعبادات، والحرص على الشَّيْء والطَّمْع فيه، ووصف بالقوَّة المؤثِّرة والجاذبة.

أمَّا المفهوم الإجرائي المختار: هو التَّغْيِب من خلال وسائل وأساليب قولية منها وعملية، وخلقية منها أو وعظية، ومشوِّقة ومحبِّبة، بغرض تحبيب الناس وتثبيتهم وترغيبهم في الإسلام.

### ب- الأساليب والوسائل المتاحة للتَّغْيِب في دعوة النَّبي ﷺ

لقد كانت حكمة النَّبي ﷺ في التَّغْيِب إلى الإسلام بكلِّ الوسائل والأساليب المتاحة والمناسبة، فاقتضى أن يرغَّب بما يلي :

#### - التَّغْيِب بالعطاء والمال

النفوس كعادتها تميل إلى من يحسن إليها ويغدق عليها، خاصة ضعاف الإيمان سواء كان بالمعروف أو النصِّح، والنَّبِيُّ ﷺ لما استعمل أسلوب العطاء، كان يهدف ترغيب النَّاس في الإسلام، فكان عطاؤه لا حدَّ له، على سبيل المثال: حينما قدم إليه رجل أعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه قائلاً لهم: «يا قوم: أسلموا فإنَّ مُحَمَّدَ يَعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ»<sup>(3)</sup>، «وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلَّا أعطاه»، وإن كان الرَّجُل ليسلم ما يريد إلَّا الدُّنْيَا فما يلبث إلَّا يسيراً حتَّى يكون الإسلام أحبُّ إليه من الدُّنْيَا وما عليها»<sup>(4)</sup> كان ﷺ يحبِّبهم في الإسلام بالعطاء والإحسان الذي ترتاح له النفوس وتقبل نحو صاحبه بالحبِّ والقرب، فالعطاء له دافعية تأثيرية في دعوة غير المسلم وفي تثبيت ضعيف الإيمان.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصَّلَاة، باب الصَّلوات الخمس كفارة، رقم الحديث 528، ص 139.

(2) - مُحَمَّدُ الجوهري، مقالة في الموعظة الحسنة وأثرها في الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 2.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل عن رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطاءه، رقم الحديث 2312، ص 1805.

(4) - النَّوَوِي، شرح النَّوَوِي على مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطاءه، رقم الحديث 2312، المرجع السَّابق، ص 1427.

وكان ﷺ يؤثر في حديثي الإسلام بالعطايا لتثبيت قلوبهم على الإسلام فعن سعد بن وقاص ﷺ أنه قال: «أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وأنا جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلانٍ فو الله إنّي لأراه مؤمناً؟ فقال: أو مسلماً، فسكت قليلاً ثم غلبي ما أعلم منه فعدت لمقاتلي فقلت: ما لك عن فلانٍ فو الله إنّي لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلماً، ثم غلبي ما أعلم منه فعدت لمقاتلي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: «يا سعد إنّي لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار»<sup>(1)</sup>.

لقد كان النبي ﷺ في منهجه يتألف رجالاً بالعطايا والهبات ليرغبهم في الدين، وأنّ العطاء عنده ليس بحسب لفضائل في الدين وإنما كان عطاؤه لأناس مؤلّقة قلوبهم في إيمانهم ضعيف، خشية إبقائهم على الكفر لو لم يعطهم، يقول الشيخ العيني رحمه الله: (في قوله ﷺ خشية أن يكبه الله في النار على وجهه: أي: أتألف قلبه بالإعطاء مخافة من كفره إذا لم يعط، والتقدير أنا أعطي من في إيمانه ضعفاً لأيّ أخشى عليه لو لم أعطه أن يعرض له اعتقاد كفر به فيكبه الله في النار ... والحاصل أن النبي ﷺ كان يوسّع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفاً)<sup>(2)</sup>.

وقد حفظت سيرته ﷺ مواقف كثيرة في تأليفه للقلوب نقف على إحداها ما رواه المسور بن مخرمة بن نوفل قال: «قدمت على النبي ﷺ أقبية<sup>(\*)</sup> فقال: لي ابنٌ مخرمة: انطلق بنا إليه عسى أن يعطينا منها شيئاً قال: فقام أبي على الباب فتكلّم فعرف النبي ﷺ صوته فخرج ومعه قباء وهو يريّه محاسنه وهو يقول: خبأت لك هذا خبأت لك هذا»<sup>(3)</sup> كشف الحديث أن خلق النبي ﷺ العظيم من الجود والكرم، ولهذا الخلق تأثير خاص في القلب، استخدمه ليرغب الناس ويحببهم للإسلام، يقول

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إدعاء من يخاف على إيمانه، ج2، رقم الحديث 150، ص 73. وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخرف من القتل، رقم الحديث 19، ص 14.

(2) - بدر الدين العيني، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، رقم الحديث 27 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د، ت)، ص 198.

(\*) - أقبية: قوله قدمت أقبية، قوباء من ديباج هو واحد الأقبية وأصله من ذوات الواو لأنه من قبوت إذا ضمنت والأقبية ثياب ضيقة من ثياب العجم معلومة (يُنظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار في شرح غريب الحديث، حرف القاف، بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت)، ص 285.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب القباء وفروج الحرير، رقم الحديث 5800، ص 1468.



القسطلاني رحمه الله: (ما ترك النبي ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ..)<sup>(1)</sup> يظهر هنا دلالة خبرية على أن من ذكر من رقيق النَّبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتقه، ويقول الشيخ العيني رحمه الله معلّقاً: (وقد ذكرنا تاريخنا الكبير أنّه ﷺ كان له عبيد ما ينيف على ستين سنة وكانت له عشرون أمة فهذا يدلّ على أنّ منهم من مات في حياة النَّبي ﷺ ومنهم من اعتقهم ولم يبق عبد بعده ولا أمة وهو في الرّقية<sup>(2)</sup>).

فحكمة هذه العطايا كانت لتلافي ما في قلوبهم من حقدٍ لأنّ الهدايا تذهب الأحقاد، والدّاعية مطالب أن يكون كريماً رحيماً، لأنّ القلوب مجبولة على حبّ من يحسن إليها، وهذا من أعظم أساليب المنهج العاطفي الذي بلا شك له الأثر الكبير في إستمالة القلوب وجذبها يقول أنس بن مالك ﷺ: «إن كان الرَّجلُ ليسلم ما يريد إلّا الدُّنيا فما يسلم حتّى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدُّنيا وما عليه»<sup>(3)</sup>.

ويُتّضح كذلك في غزوة حنين في 8هـ فبعض من خرج من المسلمين من أهل مكّة على كفره وبعضهم كان ضعيف الإيمان ممّن أسلم ولا يزال متأثراً بما كان يقصد بالقتال في الجاهلية من الحصول على الأموال والغنائم حتّى أنّ بعضهم إرتدّ حين هُزم المسلمون من أوّل هذه الغزوة، حيث قال قائل منهم: الآن ترجع العرب إلى دين آبائها، وقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، فلمّا انتصر المسلمون بعد هزيمتهم وغنموا في هذه الغزوة من الغنائم التي لا تعدّ ولا تحصى إشرّبت أعناق قريش إليها وامتدّت أعينهم نحوها، فأراد النَّبي ﷺ أن يؤثّرهم بشيءٍ من هذه الغنائم ليتألّف ممّن أسلم منهم ويرغب في الإسلام ممّن بقي منهم على شركه، فبسط يده في العطاء وأعطاهم كثيراً ممّا إمتدت إليه أعينهم، فقد آتت مواقف البذل والعطاء ثمارها، فألانت هذه الأعطيات قلوب زعماء قريش وأتباعهم، واستمالتهم إلى الإسلام فرضوا به، ودخلوا فيه طائعين، يقول صفوان بن أميّة لما أعطاه النَّبي ﷺ شعباً مملوءة نعمًا وشاة، فقال صفوان: «ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلّا نفس نبي، أشهد أنّه لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله»<sup>(4)</sup>.

(1) - سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدّعوة صحيح الإمام البخاري (المملكة العربية السّعودية: وكالة لشؤون المطبوعات والنّشر بوزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف، ط1، 1461هـ)، ص 61.

(2) - المرجع نفسه، ص 61.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل عن رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، رقم الحديث 2312، ص 1806.

(4) - أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا، وكثرة عطائه، ج4، رقم الحديث 2313، ص 1806.

وما هذا العطاء من النبي ﷺ لأشراف قريش من المرغبات التي ترغّب الضّعفاء في الإسلام وتعاليمه كما ترغّب غير المسلمين في إمعان النظر والفكر في الإسلام.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله مبيّنًا أثر هذا الأسلوب مع صفوان ومن على شاكلته من المؤلّفة قلوبهم مثل حكيم بن حزام: (وحسن إسلام المؤلّفة قلوبهم وسائر المؤلّفة متفاضلون منهم الخير الفاضل المجمع على فضله، كالحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، ومنهم دون ذلك)<sup>(1)</sup>.

وقال مالك: (بلغني أنّ حكيم بن حزام أخرج ما أعطاه النبي ﷺ في المؤلّفة فتصدّق به بعد ذلك)<sup>(2)</sup>.

ويرى العلامة الإمام ابن القيم رحمه الله أثر هذا التّأليف فيقول: (يتعيّن على الإمام أن يتألّف أعداءه لاستجلابهم إليه ودفع شرهم عن المسلمين فيقول: الإمام نائب عن الإسلام والذبّ عن حوزته واستجلاب رؤوس أعدائه إليه، ليؤمن المسلمون شرهم ساغ له ذلك بل تعيّن عليه، فإنّه وإن كان في الحرمان مفسدة فالمفسدة المتوقّعة من فوات تأليف العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين احتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين)<sup>(3)</sup>.

لقد برز أثر المنهج العاطفي في ظاهر الأحاديث السابقة من خلال أسلوب التّرخيب بالعمل بدل القول، وكان الموقف الحكيم والعظيم للنبي ﷺ دلالة على مدى درجة سخائه وغبارة جوده، فكان يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله وترغيباً للناس في الإسلام وتألّيفاً لقلوبهم، ولهذا الأسلوب الأخلاقي أثر كبير في النفوس، أنّ ألانت القلوب، وهزّت الوجدان، وأطربت الرّوح فاستجابت لهدف النبي ﷺ فأعلنت إسلامها.

وهكذا شواهد التّرخيب عند النبي ﷺ كثيرة منها التّرخيب في الطّاعات والعمل الصّالح والتّقوى وغيرها كثير، فالدّعوة تطالب دعاة الإسلام التّنوّع في وسائل وأساليب التّرخيب، باتّخاذ أسلوب العطاء مسلّكاً أساسياً ومهمّاً جعله النبي ﷺ أرقى الأساليب وأعظم الوسائل المؤثّرة والمحبة خصوصاً عند المؤلّفة قلوبهم أو حديثي عهد بالإسلام، دون الإعتداد على القول والألفاظ والكلمات التي قلّما تصلح عند فئة من المدعوين.

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، المصدر السابق، ص 108.

(2) - سليمان بن عبد العزيز أحمد الدويش، أسلوب التّرخيب في دعوة النبي ﷺ، المرجع السابق، ص 58.

(3) - علي محمد الصّلاّبي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، المرجع السابق، ص 790.

### – التَّريغيب بالتَّبشِير بثواب الجنَّة

هناك شواهد كثيرة تناولت هذا النَّوع من التَّريغيب نقف على إحداها وهي من أعظم المشاهد التاريخية في الإسلام لدى فئة الضُّعفاء من المدعوين، ما جاء عن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ مرَّ بعمار بن ياسر وبأهله يعدُّبون في دينهم فقال: «أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»<sup>(1)</sup> فالنَّبي ﷺ كان لا يقدر على عمل شيءٍ لآل ياسر وهم يعدُّبون غير الدُّعاء لهم وتصبيرهم، فيمرُّ عليهم ويشيرهم ببشارة أن رغبهم في الجنَّة بأنَّها موعدهم، فما آل بعائلة ياسر أن يصبروا حتى ولو أذى ذلك إلى موتهم، كان هدفه ﷺ تنبئتهم على الدين وقد انصاغوا لكلام النَّبي ﷺ فمنهم من استشهد ومنهم من ثبَّت، وقد يتخيَّل أحدًا إلى أيِّ حدٍّ وصل الرِّباط الذي يجمع النَّبي ﷺ بأصحابه، فكان رباطًا عاطفيا قويا، ولذلك أظهر الاهتمام بهم وتألَّمه وإحساسه لمصيبة ومحنة آل ياسر، فكانت الشَّفقة بادية على عينيه تفيض حزنا لحال الرِّعية المسلمة في حالات الموت والتعذيب. وكما بشرهم بالثَّواب عند الصَّبر على البلاء ليأخذ بالعواطف إلى التعلُّق بالله وما أعدَّه لهم من جنَّات الخلد ماكنين فيها أبداً، فعُرف عنه ﷺ قدرته العاطفية في إملاكه زمام القلوب، والحكمة التي كانت تلازمه ﷺ في جميع أموره جعلته يهتمُّ لأُمور الرِّعية ويتفقدهم ويدعو لهم.

وعليه لأهمِّية أسلوب التَّريغيب في الدَّعوة إلى الله يتعيَّن على الدَّاعية إقتفاء منهج النَّبي ﷺ والاستفادة منه وتطبيقه في الواقع الدَّعوي كالآتي :

– على الدَّاعية أن يتفقَّد الرِّعية أو المدعو بمعرفة أحواله وظروفه، ومعرفة نقاط الضَّعف والقوَّة لديهم، والمقاييس التي يبنى عليها القبول أو الرِّفض، خصوصاً في الوقت الذي طغى فيه الإعلام الموجَّه للعالم كُلُّه، أن يستغلَّه في تريغيب النَّاس للإسلام باختيار الأسلوب النَّبوي قدوة ومنهجاً ناجح في التأثير والإقناع.

– يشارك النَّاس همومهم مقدِّماً لهم النُّصح والحلول الممكنة محاولاً علاجها وإخراجهم ممَّا فيه، فهو بهذا الأسلوب الوجداني والعملي ينمي في العاطفة الإيمان والشُّعور الدِّيني الحيِّ والأحاسيس الصَّادقة بين النَّاس عموماً أو بين مدعويه على وجه الخصوص، فهو بهذا يكرِّس قاعدة الشُّعور بالآخر.

(1) – سليمان بنُ أحمد بنُ أبو أيوب أبو القاسم البراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بنُ عبد المجيد السلفي (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط2، ج4، 1407هـ/1983م)، ص 303.

## – التَّريغيب بالأعمال الصَّالحة

إنَّ أسلوب التَّريغيب هو أسلوب قرآني يعالج في النَّفس البشرية حبَّها للخير وحرصها عليه والاستكثار منه، ويمكن عرض الدَّعوة إلى الله من خلال هذا الأسلوب لجذب النَّاس إلى الخير العميم الذي ينتظرهم في الدُّنيا والآخرة إذا كانوا حيث أمرهم الله<sup>(1)</sup>، وقد ظهر ذلك في قول صحابة النَّبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لا عيشَ إلَّا عيشُ الآخرة»<sup>(2)</sup> وهذا الأسلوب زاد في نشاط الصَّحابة وشوقهم إلى العمل، ورغبتهم في عيش الآخرة، ولهذه الرَّغبة قالوا:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً<sup>(3)</sup>.

وكان ﷺ بهذا الأسلوب يرغبتهم في الإيمان والأعمال الصَّالحة، عن أبي هريرة ؓ عن النَّبي ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نادى جبريلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ فيحبُّه أهل السَّماء ثمَّ يوضع له القبول في أهل الأرض»<sup>(4)</sup> فينبغي على الدَّاعية العناية بهذا الأسلوب لما فيه النَّفع للمدعوين<sup>(5)</sup>.

إنجلي أثر المنهج العاطفي من خلال هذا الأسلوب التَّريغيب بالدَّعوة إلى الأخلاق الكريمة، والتَّحلي بكمال صفات الإيمان، مبيِّناً فضائل ذلك أن جعله في مصافِّ الذين يحبُّهم الله وملائكته، وهذه من أجَلِّ العواطف وأرفعها مقاماً عند العبد وأكملها إيماناً في قلبه، يذكر الإمام النووي رحمه الله في هذا الشَّأن فيقول: (إنَّ العبد الذي أحبه الله تسقط عليه محبة الملائكة باستغفارهم له وإرادتهم خير الدارين وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعاً لله محباً له ومحبة العباد له إعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشرِّ عنه ما أمكن، وقد تطلق محبة الله تعالى للشَّيء على إرادة إيجادهِ وعلى إرادة تكميله وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لاتحد، وإنما يعرفها من قامت به وجداناً لا يمكن التَّعبير عنه،

(1) – علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 230.

(2) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرِّقائِق، باب لا عيشَ إلَّا عيش الآخرة، رقم الحديث 6413، ص 791.

(3) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب التَّحريض على القتال، رقم الحديث 2834، ص 359.

(4) – ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الميَّة من الله تعالى، رقم الحديث 6040 (المكتبة السُّلفية، ج10، د، ت)، ص 461.

(5) – سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري (الرَّئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، ط1، 1421هـ)، ص 331.

والحبُّ ثلاثة أقسام إلهي وروحاني وطبيعي<sup>(1)</sup> فكان وعدُّ منه تعالى للمؤمنين العاملين بأن يجعلهم محلَّ رحمته وإحسانه وموضع عطف الملائكة وقبول النَّاس أجمعين<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: أسلوب التَّرهيب

في هذه الجزئية سأتطرَّق لأسلوب التَّرهيب، وليس خفياً مدى تأثيره في النَّفس البشرية التي يُخيفها عقاب الله فتسعى إلى استقامة عِوجها رهبةً وخوفاً من هذا الجزاء، وقد استخدمه الأنبياء عليهم السَّلام جميعاً في دعوة أقوامهم ومن يتوجَّهون إليهم بالدَّعوة، ولا سيما في دعوة النَّبي ﷺ الذي وازن بين التَّرهيب والتَّغيب، واللَّين والشَّدة، علَّه يحقِّق الوصول إلى سويداء قلوبهم، وفي سياق الحديث عن التَّرهيب سأحاول استعراض أثره في دعوة النَّبي ﷺ بدءاً بتعريفه أولاً وهو كالآتي :

### أ- مفهوم التَّرهيب

#### - لغة

تعدَّدت المفاهيم اللُّغوية لمصطلح التَّرهيب واختلفت من معجم لآخر، إذ يعرفها بعض علماء اللُّغة كالآتي :

- يعرفها العلامة الفارابي بالقول: (في اللُّغة مشتقة من الفعل رَهَبَ بالكسر، يَرْهَبُ، رَهْبَةً، وَرَهْبًا بالضَّم، وَرَهَبًا بالتَّحريك أي: خاف)<sup>(3)</sup> وأضاف العلامة الزُّبيدي رحمه الله: (مخافة مع تحرَّز واضطراب).<sup>(4)</sup> يقول تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾ [الحشر: 13] وقال أيضاً: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: 32] أي: من الفزع<sup>(5)</sup>.
- ويعرفه العلامة ابنُ منظور في القول: (ورَهَبَ الشَّيْءُ رَهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبَةً، أي: خافه)<sup>(6)</sup>، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

(1) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المَقَّة من الله تعالى، رقم الحديث 6040، المرجع السَّابق، ص- ص 462، 463.

(2) - علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة (بيروت: دار الاعتصام، ط9، 1399هـ/1979م)، ص 196.

(3) - يُنظَر: الفارابي، الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، مادة رهب (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، ج 1، 1407هـ/1987م)، ص 140.

(4) - مرتضى الزُّبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، مادة رهب، ج 1، المصدر السَّابق، ص 280.

(5) - يُنظَر: الرَّاغِب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، حرف الرَّا (مكتبة نزار مصطفى الباز، ج 1، د، ت)، ص 269.

(6) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة رهب (بيروت: دار المعرفة، ج 1، د، ت)، ص 1237.

وعلى ضوء ما سبق نستنتج أنَّ التَّرهيب جاء بمعنى: الخوف، والخوف مع التحرُّز، والإضطراب، والفرع.

هذه المعاني تصبُّ في وعاء واحد، خاصَّة ونحن نعلم أنَّ التحرُّز يسبق الخوف والإضطراب نتيجة الخوف والفرع، وإن كان الفرع يحمل معنى الخوف، إلَّا أنَّه يمثل ثمرة من ثماره، لأنَّ الإنسان إذا خُوف فإنَّه سيفزع.

#### - اصطلاحاً

كما أشرنا سابقاً إلى أنَّ النفوس بطبيعتها تلين وتسارع في الخيرات إن لاقَت ما ينفعها ويلقي بها في طريق الصلاح فيرغبها في عمل الخير، في حين نجدها تنزجر وترتدع إذا علمت بسوء ما وعدت به يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشَّمْس: 7-10] والدَّاعية إلى الله عليه أن يشجّع النَّاس على الخير ويرغبهم إن وجده عليهم، ولا يقنطهم من رحمة الله إن رآهم على معصية فيعظهم، والأهمُّ من ذلك عليه أن يرهب صاحب المعصية بالعقاب الشَّدِيد إن أصرَّ على معصيته فينذره ويعاتبه، وهذا الأسلوب ماثله الأنبياء عليهم السَّلام ويسير على دربهم الدُّعاة في سبيل الله بأن يختاروا الأسلوب الأمثل لدعوة العصاة وأصحاب الفسق وتنفيرهم ممَّا أُجِلُّوا عليه، وهو ما حدث لنبيِّ نوح عليه السلام مع قومه يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [نوح: 1-4].

وقد عرّف بعض العلماء المعاصرين والباحثين التَّرهيب بالقول:

- هو أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية حبَّها للأمن والسَّلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدُّعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب النَّاس حول الحقِّ خوفاً من العقاب وخوفاً من فقدان السَّلامة والأمن<sup>(١)</sup>.
- ويعرّفه أحمد بنُ محمَّد أبا بطين بالقول: (هو عملية دفع المدعو إلى رفض وترك وتقبيح المنكر، وإن كان وفق هواه أحياناً)<sup>(٢)</sup>.

(١) - علي عبد الحليم، فقه الدُّعوة إلى الله (مطابع دار الوفاء، ط3، 1412هـ/1991م)، ص 232.

(٢) - أحمد بنُ محمَّد أبا بطين، التَّرهيب في الدُّعوة في القرآن والسُّنة، المرجع السَّابق، ص 2.

- ويعرفه الدكتور عبد الكريم زيدان بالقول: (التَّرهيب كلُّ ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحقِّ أو عدم الثَّبات عليه بعد قبوله)<sup>(1)</sup>.
  - ويعرفه الدكتور محمَّد أبو الفتح البيانوني في حديثه عن الموعظة الحسنة في إصطلاحها الدَّعوي بأُهمَّ: (ترادف النَّصيحة، ولها أشكال عديدة منها: التَّريغ والتَّرهيب، فهنا جعل التَّرهيب وجهًا أو شكلاً من أشكال النَّصيحة)<sup>(2)</sup>، وكأنَّ الذي يرهَّب المدعويين إنَّما هو ينصِّحهم.
  - أمَّا الشَّيخ محمَّد الغزالي رحمه الله فقد جعل التَّرهيب مرادفًا للخوف، وعَرَّف الخوف بقوله: هو إحساسٌ فطريٌّ يؤدي نتائجه في سهولة... وهذا الخوف كمال نفسي وليس مرضًا ولا شبه مرض)<sup>(3)</sup>.
  - ويقول الإمام ابنُ الجوزي رحمه الله عن الخوف: (الخوف خاصَّة من خواص النَّفس تظهر عند المخوَّف، والخوف لما يستقبل)<sup>(4)</sup>.
  - وعَرَّف الدكتور حسن الشَّرقاوي التَّرهيب فقال: (هو نوع من التَّذكير بما آلت إليه النَّفس من ارتكاسٍ ونكوصٍ ووقوع في الرِّذائل والآثام)<sup>(5)</sup>.
  - وفي تعريفٍ آخرٍ له: (هو تخويف المدعو من التَّمادي في الانحراف، والبعد عن منهج الإسلام اللَّطيف)<sup>(6)</sup>.
- وعليه بعد استعراضي للمفاهيم اللُّغوية والإصطلاحية للتَّرهيب تبَيَّن أنَّها متقاربة في المعنى وهي تحقِّق الهدف الدَّعوي، فجاء بمعنى: التَّخويف، والتَّهديد، والتَّحذير، والتَّذكير، والنُّصح.
- أمَّا المعنى الإجرائي المختار هو:** تنبيه وتحذير المدعو من الوقوع في الآفات والآثام والرِّذائل وفق ما تملِّيه هواه، ودفعه ترهيبًا إلى التَّمسُّك بالحقِّ والطَّاعات لينجو من عقاب الله تعالى.

(1) - عبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 421.

(2) - يُنظَر: محمَّد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 258.

(3) - أحمد بنُ محمَّد أبا بطين، التَّرهيب في الدَّعوة في القرآن والسَّنة، المرجع السَّابق، ص-ص 20، 21.

(4) - ابنُ الجوزي، نزهة الأعين التَّواظر في علم الوجوه والتَّظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط 1، ج 1، 1404هـ/1984م)، ص 279.

(5) - أحمد بنُ محمَّد أبا بطين، التَّرهيب في الدَّعوة في القرآن والسَّنة، المرجع السَّابق، ص 21.

(6) - محمَّد الجوهري، الموعظة الحسنة وأثرها في الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 2.



## ب- أسلوب الترهيب في دعوة النبي ﷺ

### - البدء بندارة الأقربين

بعد نزول الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] عمل النبي ﷺ جاهداً على إنذار أقربائه من خطر الشرك والوثنية، وكان أمراً من الله تعالى، يحكي ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال: «لَمَّا نَزَلَتْ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، لبطن قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: أَرَأَيْتَكُمْ لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَايَ لِهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ ۖ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ ۝٥﴾»<sup>(1)</sup>.

كما نزلت هذه الآية كأمر إلهي للنبي ﷺ لرفع المحاباة والتَّرهيب في دعوة الإسلام بأُتَمَّ الخير كلَّ الخير، فأمر أن يبدأ بدعوة قومه وعشيرته وأقربائه أولاً، عن أبي هريرة ؓ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيشًا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مِرَّةِ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأُبْلُهَا بِبِلَاهَا»<sup>(2)</sup>.

وقال: «يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلِينِي مَا شِئْتِ لَا أَغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 4770، ص 1196.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 348، ج 1، ص 192.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 4771، ص 1196.

فَقَدْ عَمَّ النَّبِيُّ ﷺ خطابه قريشًا وشَمْلها وخصَّ بعض بطونها بأن يشتروا أنفسهم من الله فقال لهم: «أسلموا تُسَلِّموا من العذاب، فإنَّ لكم رحمًا سَأبَلُّها ببلاها»<sup>(1)</sup> أشار النَّبي ﷺ بأنَّ لكم رَحْمًا سَأصِلُها بوضِلِّها الحقَّ، بمعنى إني أعطيكُم ما تسألون، ولكن لا تسألوني دفاعًا عنكم عند الله إن لم تُسَلِّموا وتَعْمَلوا خيرًا، قد يكون المقام هنا مقام التَّخويف والتَّحذير، أو أنَّه أراد المبالغة في الحَضُّ على العمل جاء ذلك في قوله: «لا أغني عنكم من الله شيئًا»<sup>(2)</sup>.

تشير الآية من الجانب الدَّعوي أنَّ الأقربين أحقُّ النَّاس بالنَّصيحة والتَّوجيه، وكان الأمر الرِّبَّاني إنذار الأقرب فالأقرب من قومه، فيبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداة ثمَّ الذي يليه، بمثل ما بدأ النَّبي ﷺ بزوجه خديجة وأبناء عمومته وأصحابه ثمَّ قومه ثمَّ القبائل والأصهار، لأنَّ عامَّة النَّاس غالبًا ما ينظرون إلى قرابة الدَّاعية، فهو محلُّ التَّقد في أعماله وتصرفاته وأهل بيته وأسرته وأقربائه في مدى تطبيقهم لما يدعو إليه، وهنا حَرِيٌّ بالدَّاعية أن يكون قدوة في نفسه أولاً قبل غيره، بحيث عليه أن يبدأ بأقرب النَّاس إليه، يُلزمهم بما يأمر به النَّاس ويدعوهم إليه، ثمَّ يتوجَّه إلى النَّاس، ولأهمِّية ذلك كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إذا صعد المنبر فنهى النَّاس عن شيء جمع أهله فقال: «إني نهيْتُ النَّاس عن كذا وكذا، وإنَّ النَّاس ينظرون إليكم نظر الطَّير إلى اللَّحم، وأقسم بالله لا أجد أحدًا منكم فعله إلَّا أضعفت عليه العقوبة»<sup>(3)</sup> ويقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله في هذا الأمر: (والسرُّ في الأمر بإنذار الأقربين أولاً، أنَّ الحجَّة إذا قامت عليهم تعدَّت إلى غيرهم وإلَّا كانوا علَّة للأبعدين في الإمتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرَّأفة، فيحاييهم في الدعوة والتَّخويف فلذلك نصَّله على إنذارهم)<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 203، ص 192. وأخرجه

البخاري في صحيحه، كتاب التَّفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 4770، ص 1196.

(2) - يُنظر: موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (القاهرة: دار الشُّروق، ط 1، ج 2، 1423هـ/2002م)، ص-ص 41، 45.

(3) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح (المملكة العربية السُّعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1، 1415هـ/1994م)، ص 325.

(4) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري، المرجع السَّابق، ص 87. وإنَّ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التَّفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 4770، 4771، ج 8، المرجع السَّابق، ص-ص 502، 503.

فالقريشيون كانوا واقعيين عمليين فلما رأوا النبي ﷺ وشهدوا عليه بالصادق الأمين هداهم بإنصافهم وذكائهم فأذعنوا إلى تصديقه فقالوا: (نعم)، ولما تحققت شهادتهم أُنذَرهم قائلاً لهم: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»<sup>(1)</sup> كان أسلوب النبي ﷺ هنا موعظة وإنذاراً في حكمة وبلاغة لا نظير لها في التاريخ، فسكت القوم من ذلك ولكن أبا لهب قال: «تباً لك ما جمعنا إلا لهذا، ثم انصرف فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾»<sup>(2)</sup> وفي رواية أخرى: «تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا»<sup>(3)</sup> فكانت النتيجة الصد والإعراض والإيذاء النفسي والجسدي والمقاطعة والحصار الاقتصادي والاجتماعي.

بدأ أثر منهج النبي ﷺ العاطفي بقوة في كلامه ﷺ ومن خلال عاطفته المبدية تجاه عشيرته وحرصه على أن يسلموا لله تعالى قبل أن يحاسبهم وهم على شركهم الوثني، فأوضح إليهم أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الذي جاء من عند الله، فقد دعا قومه إلى الإسلام ونهاهم عن عبادة الأوثان ورغبهم في الجنة وحذرهم من النار، فالتبني لم يضرب لصرخات قريش واستمر يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سرّاً وجهراً<sup>(4)</sup>.

هذا بلا شك أن الداعية إلى الله عليه أن يبدأ أول شيء بنفسه، يمثل لأوامر الله ويحجب نواهيها، قبل أن يدعو الآخرين<sup>(5)</sup>، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88].

وكذلك الله جلّ وعلاه عاب على بني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44] ثم يوجه دعوته إلى عشيرته وأهله أقربائه فإنهم أولى الناس بالدعوة إلى الله، فهي من الصلة والبر، ودلالته على الخير منصفة الإحسان، وأن يعلم حال

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم الحديث 4770، ص 603.

(2) - عمار دحماني، منهج النبي ﷺ في مواجهة التحديات الدعوية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، قسم أصول الدين، 1430هـ/2009م، ص 31.

(3) - علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (بيروت: دار المعرفة، ط7، 1429هـ/2008م)، ص-ص 120، 121.

(4) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، سلسلة الرسائل الدعوية ط1، ص 10.

(5) - إبراهيم بن عبد المطلق، التدرج في دعوة النبي ﷺ (مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، ج1، 1417هـ)، ص 150.

من يدعوهم وأن يستخدم التَّرهيب بأسلوب لين ذو حكمة، كالنَّذارة والتَّحذير دون الوعيد، وهذا يمثل أحد صور المنهج العاطفي في الدعوة يؤدي إلى استمالة القلوب وقبولها للحق وثباتهم على الدِّين.

وكما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: «أنَّ قريشاً أهتمهم شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلاَّ أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ ثمَّ قام فخطب ثمَّ قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ وإني لله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»<sup>(1)</sup> إنَّ ردَّ النَّبي ﷺ لأسامة وشفاعته للمرأة المخزومية التي سرقت في عهده أن يقيم حدَّ السرقة عليها لأسباب يراها النَّبي ﷺ تخدم دعوته ومصالح النَّاس من بعده، وأنَّ الأمر لا ينبغي السُّكوت عليه والتَّساهل في حكم من أحكام الإسلام، فلموقف هنا بحاجة إلى هذا التَّرهيب لأنَّ النَّبي ﷺ نظر في عواقب الأمور التي هي أساس صلاح المجتمع ودوام إستقراره، فقد كان ﷺ يقول: «لو أن أقرب النَّاس إليه فاطمة سرقت لقطعت يدها» فقد جرَّد عاطفة الأبوة أمام حدٍّ من حدود الله، وأراد أن يقول أيُّ أنا رسول الله إليكم لا أملك أمر نفسي فنفسي بيد خالقها يقلبها كيف شاء<sup>(2)</sup>. ولا يعني قطع يد السَّارق ينافي رحمة النَّبي ﷺ بل إنَّه قد شرع في ذلك رحمة بالسَّارق لأمر كثيرة فإن قطع يده في ذلك مصالح عديدة، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «إني لأذكر أول رجل قطعه رسول الله ﷺ أتى بسارق فأمر بقطع يده فكأثما أسف وجه رسول الله ﷺ، أي حزن على الرَّجل عندما قطعت يده فقال: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه؟ قال: وما يمنعني؟ لا تكونوا أعوانا للشَّيطان على أخيكم أنَّه لا ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد إلاَّ أن يقيمه إنَّ الله عفو يحبُّ العفو: ﴿وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾»<sup>(3)</sup> [النُّور: 22].

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث 3475، ص 438.

(2) - أميمة بدر الدِّين، التكرار في الحديث النَّبوي الشريف، مجلَّة جامعة دمشق، كَلِّية الآداب، قسم اللُّغة العربيَّة، المجلد 26، العدد 2، 2010م، ص 90.

(3) - أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، تتمَّة عبد الله بن مسعود، رقم الحديث 4168 (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ج7، د، ت)، ص 232.

### - فتح باب الرَّجاء والملاينة عند التَّرهيب

قَدْ يَرَى بعضُ الدُّعاة اليوم أنَّ أصل أمرهم الدَّعوي قائمٌ على محبَّة النَّاس والعطفِ عليهم فيفتح لهم باب الرَّجاء والأمل فيما عند الله تعالى سواء بأسلوبِ التَّرهيب الذي تطرَّقتُ إليه سابقاً، أو بأسلوبِ التَّرهيب الذي يثير فيهم الخوف والرَّهبة وفقدان السَّلامة والأمن، فالنَّاس بفطرتهم لا يستجيبون إلَّا إذا أخيفوا أو هُدِّدوا، وهذا النَّوع أحياناً لا يمثل المنهج العاطفي في حقيقته فعندما نلاحظ أسلوب النَّبي ﷺ نجده قد استخذه بملاينةٍ ورفعٍ أن دعاهم إلى معرفة الله والتَّعلُّق به فأخوف النَّاس أتقاها عند الله، يقول عليه الصَّلَاة والسَّلام: «إِنِّي لأحشاكم الله وأتقاكم الله»<sup>(1)</sup> وفي رواية عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها: «والله إِنِّي لأعلمهم بالله وأشدَّهم له خشية»<sup>(2)</sup> فالنَّبي ﷺ كان يريد من النَّاس حبَّ الله تعالى ومعرفته حقَّ المعرفة والذي يفتح في قلبه باب الرَّجاء لأنَّه بالرَّجاء يكون العبد أخوف النَّاس وأشدَّ خشية له يقول تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾<sup>(3)</sup> [الأعراف: 154].

فسعى ﷺ جاهداً في التَّقليل من التَّرهيب وفتح باب الرَّجاء للمذنبين، بطريقة لينَّة دون رهبة لأنَّ من خلاله اكتسبت دعوته التَّأييد والنُّصرة، وهذا منهج عاطفي سلكه النَّبي ﷺ في بعض الحالات التي تستدعي الإنابة والتَّوبة، عن أبي هريرة ؓ قال سمعتُ النَّبي ﷺ قال: «إِنَّ عبداً أصاب ذنباً وربما قال: أذنب ذنباً، فقال ربِّ أذنب، وربما قال: أصبت، فاغفر لي فقال ربه: أعلم عبدي أنَّ له ربّاً يغفر الذَّنْبَ ويأخذ به غفرت لعبدي، ثمَّ مكث ما شاء الله ثمَّ أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: ربِّ أذنبُ أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أنَّ له ربّاً يغفر الذَّنْبَ ويأخذ به غفرت لعبدي، ثمَّ مكث ما شاء الله ثمَّ أذنب ذنباً وربما قال: أصاب ذنباً، قال: ربِّ أصبت أو قال: أذنبت آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أنَّ له ربّاً يغفر الذَّنْبَ ويأخذ به، غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء»<sup>(3)</sup>، فالنَّبي ﷺ جمع بين الخوف والرَّجاء لأنَّه يعلم أنَّ النَّفوس بطبيعتها تميل إلى من يراعي حالها ويغدق عليها بالرَّجاء بدل الخوف يقول تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57] فكلاهما له تأثير خاص في النَّفس.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب التَّرهيب في النِّكاح، رقم الحديث 5063، ص 647.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم يواجه النَّاس بالعتاب، رقم الحديث 2101، ص 756.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، رقم الحديث 7507، ص 1852.

ونبيُّنا الكريم - ﷺ - عندما يدعُو النَّاسَ يراعي مشاعرهم ما نسي أنَّ هناك أنفُسًا بحاجة إلى ملاينة لكي لا يتسرَّب إليهم القنوط واليأس إلى أذهانهم، وأنَّ هناك أنفُسًا بحاجة إلى الإستدراج بالتَّخويف حتَّى تنخلع ممَّا تشبَّث به من معاصي، يقول الإمام النَّووي معلِّقًا على ما سبق: (لو تكرَّر الذنب مائة مرة أو ألف مرَّة أو أكثر، وتاب في كلِّ مرَّة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحَّت توبته، وهذا جاء على القاعدة التي ذكرها ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، وييسط يده بالنَّهار ليتوب مسيء اللَّيل، حتَّى تطلع الشَّمس من مغربها»<sup>(1)</sup>).

فأسلوب التَّرهيب هنا إستخدمه النَّبي ﷺ تارة للتَّخويف، وتارة للتَّحذير خصوصًا مع الطُّغاة والكفرة، وهو ما حدث عندما مرَّ ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان فقال أبو جهل: «هذا نبيُّكم يا بني عبد شمس، فقال أبو سفيان: وتعب أن يكون منا نبيُّ فالتَّبي يكون فيمن أقلَّ منا وأذلَّ؟ فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبيِّا، ورسول الله ﷺ يسمع فأتاهما فقال: أمَّا أنت يا أبا سفيان فما لله ورسوله غضبت ولكنَّك حميت الأصل، وأمَّا أنت يا أبا الحكم فوالله لتضحكنَّ قليلاً ولتبكينَّ كثيرًا»<sup>(2)</sup>.

تبَيَّن منهج النَّبي ﷺ العاطفي في موقفه مع كبار المشركين حينما تهجَّموا عليه بكلام جارح غير لائق، فتحلَّى بالصَّبْر وضبط النَّفس بعدم مقارعة القوَّة بالقوَّة حرصًا على حياتهم وخوفًا على الدَّعوة، لأنَّها لا زالت في بدايتها ولم يشتدَّ عودها، فاختار الحكمة في الردِّ حفاظًا على الدَّعوة، والدَّاعية إلى الله رسول دعوته، والنَّبي ﷺ قدوته مطالب أن يسعى إلى إستثمار هذا الأسلوب الوجداني المثمر في النَّفوس، فهو من أنجح الأساليب المنهج العاطفي وأكثرها فاعلية في دعوة المذنبين وأهل السُّوء.

#### رابعًا: أسلوب الإشارة اللطيفة

إنَّ بلاغة الكلام لا تقتصر على الكلام المنطوق وحده، وإنَّما تشتمل على بعض الحركات بغرض التَّواصل مع الطَّرف الآخر، وهذه الحركات متمثِّلة في الحركات الجسمية المختلفة من بينها لغة الجسد والإشارة، إستخدمها البلاغيون ورجال الاتِّصال والدَّعوة في البيان والإقناع، ولمَّا لاشكَّ فيه أنَّ أساليب الموعظة في أمرٍ من الأمور تقتضي ألاَّ يكون على صورة واحدة وإلاَّ أدَّت إلى التَّفور والسَّام،

(1) - النَّووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب التَّوحيد، باب قبول التَّوبة من الذُّنوب وإن تكرَّرت الذُّنوب (بيروت: دار إحياء الثَّراث العرب، ط 2، ج 17، 1392هـ)، ص 75.

(2) - ابنُ كثير، البداية والنهاية، (بيروت: دار المعرفة، ط 4، ج 3، 1419هـ)، ص 81.



لأنَّ النَّفس البشرية تميل إلى التَّجَدُّد والتنوُّع المستمر، وقد تعرضتُ فيما سبق إلى أسلوب التَّريغيب والتَّرهيب والقصَّة، وفيما يلي هنا شكلاً آخر في الموعظة متمثِّل في الإشارة، وهي من أهمِّ الأساليب التي إستخدمها النَّبي ﷺ وكان لها أثر كبير في دعوته، وقبل الحديث في جانبها التَّطبيقي وبيان أثرها في دعوة النَّبي ﷺ يجدر بنا التَّعرف على معنى الإشارة من الجانب اللُّغوي والإصطلاحي.

#### أ- مفهوم الإشارة

تعتبر الإشارة من أكثر الوسائل والأساليب إستخداماً في الدَّعوة من خلال الإتصال غير اللَّفظي، فلا تقتصر على نقل الأفكار والمعاني كاستخدام الكلمات المقروءة أو المنطوقة، بل يتبع ذلك التَّأثير في المدعو من خلال الإشارة بالحركات ليكون أكثر وقعا على القلوب والعقول، فالجسد وسيلة نقل صادقة لحركاته وسكناته، ولمعرفة أثرها في دعوة النَّبي ﷺ يجدر بنا التَّعرف على مفهومها اللُّغوي والإصطلاحي.

#### – لغة

• يعرفها العلامة ابنُ منظور بالقول: (أشار الرَّجل يشير إشارة، إذا أومأ بيده، ويقال: شورت إليه يدي وأشرت إليه أي لَوَّحت إليه، وألحت أيضاً، وأشار إليه باليد أومأ، وأشار عليه بالرَّأي وأشار يشير إذا ما وجَّه الرَّأي، والمشيرة هنا الأصبع التي يقال لها السَّبَّابة، يقول تعالى: ﴿فَاسْأَرَتْ إِلَيْهِ﴾ [مریم: 29]<sup>(1)</sup>.

• ويعرفها العلامة الفيروز الآبادي بالقول: (وَرَدَتْ الإشارة بمعنى الإيماء باليد أو الرَّأس، أي أومأت إليه، وهي ترادف النُّطق في فهم المعنى، كما لو استأذنه في شيء فأشار بيده أو رأسه أن يفعل أولاً يفعل، وشوَّر إليه بيده أومأ ولَوَّح كإشارة ويكون بالكفِّ والعين والحاجب)<sup>(2)</sup>.

• وفي تعريفٍ آخر لها: (وَرَدَتْ الإشارة بمعنى الإيماء باليد أو الرَّأس، وهي ترادف النُّطق في فهم المعنى كما لو استأذنته في شيء فأشار بيده أو برأسه أن يفعل أو لا يفعل، إنَّ فنَّ الإشارة أخذ بعداً جديداً حيث إستخدمه البلاغيون وهو تعبير باللفظ الظَّاهر عن المعنى الخفي كما في قوله تعالى في سورة مریم ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 37] أي: هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلاَّ الله تعالى)<sup>(3)</sup>.

(1) – ابنُ منظور، لسان العرب، مج4، المصدر السَّابق، ص 2358.

(2) – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مج 2، المصدر السَّابق، ص 67.

(3) – محي الدِّين الدرويش، إعداد القرآن الكريم وبيانه (محص: دار الإرشاد للشُّؤون الجامعية، ط3، ج 4)، ص 502.



فإسم الإشارة هو ما وضع ليدل على معين بواسطة إشارة حسّية أو معنوية، وله ألفاظ معينة. وبعضهم عرّفه بأنّه الإسم المبهم، ووجه إبهامه عمومته وصلاحيته للإشارة به إلى كل جنس وإلى كل شخص نحو هذا حيوان، هذا رجل وما إلى ذلك<sup>(1)</sup>.

وعليه من خلال عرض المفاهيم اللغوية جاءت الإشارة بمعنى: الإيماء، والتلويح.

#### - اصطلاحاً

أمّا تعريفها من النّاحية الاصطلاحية فقد وردت فيه تعريفات كثيرة ومتنوّعة منها :

- عرّفها العلامة الجاحظ والذي يُعدُّ أول مَنْ لَقِيَ الأنظار إلى الإشارة وأهميّة استخدامها في الكلام، وقد اشترط بلاغة المعنى توافق الإشارة مع اللفظ وعدم تنافرها، فقال: (وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة أبين وأنور كانت أنفع وأنجع، وقد حدّد الجاحظ أعضاء الإشارة الجسمية بقوله فأما الإشارة فباليد والرأس والعين والخاص والجنب والمنكب)<sup>(2)</sup>.

#### ب- أسلوب الإشارة في دعوة النَّبي ﷺ

مشروعية الدّعوة بالإشارة ثابتة في الكتاب والسّنة، وقد وردت آيات قرآنية على ذلك منها ما جاء قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۖ﴾ [آل عمران: 41] ومعنى قوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إلا إشارة باليد أو الرّأس أو العين أو الخاص أو الجنب وما إلى ذلك، والنّبي ﷺ استخدم أشكالاً مختلفة من الإشارة في أداء الحديث، فإذا أراد أن يبيّن شدّة الأمر ظهر ذلك على ملامحه وفي صوته، وإذا أراد بيان الملازمة جمع بين أصبعيه السّبابة والوسطى، وفي حديث النَّبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة وقال بأصبعيه السّبابة والوسطى»<sup>(3)</sup>.

فاستخدم ﷺ إشارته العاطفية بطريقة عفوية للتعبير عن مشاعره وعواطفه، بيّن فيها منزلة اليتيم عنده والجزاء العظيم من يكفل اليتيم في الدُّنيا، وأنّه سيكون قريب المنزلة من النَّبي ﷺ، وعلوّ منزلته ودخوله الجنة قبل النَّاس وهذه الإشارة لها أثرها الكبير في النَّفس.

(1) - برير محمّد أحمد سنده، أسماء الإشارة دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2007م، ص 31.

(2) - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، المرجع السّابق، ص 77. والحيوان للجاحظ، تحقيق: فوزي عطوري (بيروت: دار الفكر العربي، ج 3، 1982م)، ص 39.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطّلاق، باب اللعان، رقم الحديث 5305، ص 674.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ»<sup>(1)</sup> إشارة عاطفية قويَّة أخرى للنَّبي ﷺ عنايته بالبنات وحسن تربيتهنَّ، وهو ما كان عليه العرب من كراهية البنات في أَنَّ مَنْ قام عليها بالمؤونة والتَّربية كان إلى جانبه في الجنَّة<sup>(2)</sup>.

وباستخدامه ﷺ للإشارة الحسَّية عن سفيان بن عبد الله الثَّقفي ﷺ قال: «قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: قلْ رَبِّي الله ثُمَّ اسْتَقِمْ قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثُمَّ قال: هذا»<sup>(3)</sup>.

كما استخدَم النَّبي ﷺ بيده الشَّريفتين في إبراز بعض المعاني يستخدمها للكتابة والتَّفريق بين الفجر الصَّادق والفجر الكاذب حيناً آخر كما يشير بهما للدَّلالة على أيَّام الشَّهر ومَنْ ذلك قوله: (الشَّهر هكذا وهكذا و هكذا وصفق بيده مرَّتين ثُمَّ عقد بإجماعه في الثَّالثة)<sup>(4)</sup> كان ﷺ يعتمدُ عليها في حديثه، وهو الذي سبق البلاغيِّين في ذلك، فقد جعل الإشارة في بعض المواضع تتقدَّم على اللَّفظ أو تنوب عنه، وبقدر الدَّور الذي تؤدِّيه الإشارة وإثما أبعد بلاغة من الصَّوت قائلاً ومبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصَّوت<sup>(5)</sup>.

فكانت بلاغته ﷺ لم تقتصر على الكلام المنطوق وحده، وإثما كانت تشتمل على بعض الحركات الجسمية بغرض التَّواصل بينه وبين أصحابه، حيثُ كان يدرك الصَّحابة أَنَّ الإشارة في بيان النَّبي ﷺ مقام رفيع لا يقلُّ عن مقام اللَّفظ، فكانوا يقولون: كقول رسول الله ﷺ كذا، وأشار بالسَّبابة الوسطى ... وشبك بين أصابعه ... وخطَّ خطوطاً في الأرض ... وما إلى ذلك<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم الحديث 2631، ص 1216.

(2) - محمَّد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النَّبوي (مكتبة الرُّشد، 1428هـ/2007م)، ص 53.

(3) - أخرجه التَّرمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب الرُّهد، باب ما جاء في حفظ اللِّسان، رقم الحديث 2410 (دار المغرب العربي، ط 1، ج 4، 1996م)، ص 607. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وقد روي من غير وجهٍ عن سفيان بن عبد الله الثَّقفي.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّوم، باب قول النَّبي ﷺ لا نكتب ولا نحتسب، رقم الحديث 1913، ص 237.

(5) - مروءة إبراهيم سعيان قوته، الأحاديث القدسيَّة دراسة بلاغية، رسالة ماجستير في اللُّغة العربيَّة غزّة، الجامعة الإسلاميَّة، كليَّة الآداب، قسم اللُّغة العربيَّة، 1428هـ/2007م، ص 22.

(6) - المرجع نفسه، ص 15.

وكما تقدَّم استخدامه أصابع اليد ودورها في التَّخاطب عند رسول الله ﷺ، لها دلالات مختلفة فتارة يستخدم أصبعاً واحدة، وتارة أخرى يستخدم أصبعين وتارة ثلاثة أصابع، وحيناً يشير بأربع، ومرةً أصابعه الخمسة وكل مرة تحقِّق إشارته ﷺ هدفاً دلالياً كتأكيد المعنى أو الانتباه أو ترسيخ فكرة ما، مما جعل شراح الحديث النبوي لها باباً خاصاً، فتراهم يعنونون لبعض أبوابهم مثل: باب الإشارة في الصَّلَاة، باب الإشارة في الخطبة، باب من أجاب الفتيا ...، ويصف النَّبي ﷺ أنه إذا أشار بكفه كلّها، وإذا تعجَّب قلبها، وإذا تحدّث إتّصل بها فضرب بإبهامه راحته اليسرى<sup>(1)</sup>.

فكان يوظّف الإشارة الجسمية حسب ما يقتضيه المقام مع طبيعة السِّياق، حيث يوضّح الرؤية كاملة في لوحة فنيّة محسوسة.

وعليه تبين استخدام النَّبي ﷺ للإشارة للتعبير والتّصوير الفنيّ والانفعالي، فكانت مطابقة للكلام حسب مقتضى حال السّامع وحسب ما أقرّه البلاغيون، فجاءت إشاراته عفوية قادرة على الإيحاء والتّعبير عن مشاعره وانفعالاته وأفكاره وصوره، وتشكيلها من جميع جوانبها النفسيّة والعاطفيّة والواقعيّة، ممّا كان لها أبعد الأثر على مستمعيه، فأسلوب الخطاب العاطفي يستثير العاطفة من مكائنها، فيقذف فيها التّأثير والإنقياد فتنجذب النّفس إلى الإنابة بالتذكير لها ترغيباً وترهيباً، عن النَّبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النَّبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن أبي وقاصٍ وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلمّا دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النَّبي ﷺ فلمّا رأى القوم بكاء النَّبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إنّ الله لا يُعذّب بدمع العين ولا يحزن القلب، ولكن يُعذّب بهذا -وأشار إلى لسانه- أو يرحم، وإنّ الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه، وكان عمرُ ﷺ يضرب فيه بالعصا، ويُرْمى بالحجارة ويخشي بالثراب»<sup>(2)</sup>.

كان النَّبي يعلم أنّ للقلوب أقفالاً ولأفقال مفاتيح، كما أنّ للقلوب أبواباً ولكل منها مفتاح، فكان يرفق بالمريض لتترجم عيناه بحروف الدّمع حين حضرت وفاة المريض، فكانت حكمة ﷺ في هذا الموقف صادراً عن فعلٍ قوليٍّ وعمليٍّ ليومئ للناس بالحكمة من وراء ذلك.

(1) - مروءة إبراهيم سعيان قوته، الأحاديث القدسيّة دراسة بلاغية، المرجع السابق، ص 16.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، رقم الحديث 1304، ص 315.

والشَّاهد منها أنَّ الإشارة تزيد الكلام قوة وبلاغةً وتأثيرًا في النَّفس، ويكفي دليلاً على أهمَّيتها أنَّ أفصح الخلق نبينا مُحَمَّد ﷺ عبَّر ما في نفسه من معاني جليلة في الدَّعوة بالإشارة، وهذه المعطيات فُرِضَتْ أنَّ تكون الإشارة إحدى أساليب المنهج العاطفي في الدَّعوة.

### فينبغي على الدَّاعية :

- استثمارها واستخدامها في دعوته ومواعظه وخطبه تأسيساً برسول الله ﷺ.
- عندما يخاطب مدعويه ويعظهم وكأنَّه جماد لا يتحرك ولا يظهر عليه أيُّ تفاعل مع كلماته فإنَّ دعوته ستكون جامدة غير مؤثِّرة، لذا ينبغي أن يمتثل إلى أسلوب النَّبي ﷺ بتجسيد كلامه من خلال إظهار الحزن على ملامح الوجه أو الفرح أو الضَّرْب بيده الأخرى أو الإشارة بالإصبع واليد أو الإشارة بها ذات اليمين والشَّمال، بحسب المعاني والكلمات فتكون هذه الإشارات بقدر ما تدعو إليه الحاجة الدعوية لأنَّ الغاية إيصال الدعوة فلا يخرجها عن هذه الغاية.

### خامساً: أسلوب الكناية

لأسلوب الكناية أثره الخاص في عمليات الإقناع والتَّأثير وفي الدعوة إلى الله على وجه التَّحديد، وما يميِّزه عن غيره من أساليب البيان في كونها تعطي الحقيقة بالإقناع والإمتاع، ومتى ما جاء المعنى مصحوباً بدليله كان أشدَّ أثرًا وتأثيرًا وأقوى إقناعاً وأوقع في النَّفس وأعلق بالفؤاد، وأكد للمعنى، وأشدَّ تأثيراً في النَّفوس<sup>(1)</sup>.

فالكناية هي الوسيلة الوحيدة التي تيسِّر للمرء أن يقول كل شيء، وأن يعبِّر بالرمز والإيحاء عن كل ما يجول بخاطره فكانت أبلغ من التَّصريح بالمعنى ذاته<sup>(2)</sup>.

وقبل التَّفصيل في تطبيقات هذا الأسلوب البلاغي في دعوة النَّبي ﷺ أستهلُّ بتقديم المفهوم اللُّغوي والإصطلاحي.

### أ- مفهوم الكناية

#### - لغةً

- يعرفها العلامة ابنُ منظور بالقول: (أن تتكلَّم بشيءٍ وتريد غيره)<sup>(3)</sup>.

(1) - أبو منصور عبد الملك بن مُحَمَّد بن إِسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتَّعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد (القاهرة: دار قباء للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، 1998م)، ص 44.

(2) - المرجع نفسه، ص 44.

(3) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة كنى (بيروت: دار صادر، ط1، ج15، د، ت)، ص 233.

- ويعرفها العلامة ابنُ فارس بالقول: (الكاف والثُّون والحرف المعتلُّ يدلُّ على تورية عن اسم بغيره يقال: كُنت عن كذا، إذا تكَلَّمْتَ بغيره، ممَّا يستدلُّ به عليه)<sup>(1)</sup>. وبناءً على ما تمَّ عرضه من المفاهيم اللُّغوية جاءت الكناية بمعنى: التَّورية، والإيحاء، والتكلم بشيء يريد غيره.

#### - اصطلاحاً

- وَرَدَ مصطلح الكناية في العديد من المؤلفات النِّقدية والبلاغية، واختلف مفهومها حسب رؤية النِّقاد والبلاغيين، إذ عرَّفها كلُّ واحدٍ منهم حسب وجهة نظره، نذكر منهم :
- عرفها العلامة عبد القادر الجرجاني بالقول: (الكناية أن يُريدَ المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللُّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به ويجعله دليلاً عليه)<sup>(2)</sup>.
- وفي تعريفٍ آخر لها: (هي إحدى الصُّور البلاغية المعروفة على مستوى التعبير، ومستوى البحث البياني، والكناية هي ترك التصريح، أي التعبير المباشر غير الخفي، أو أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وهي ذات معنيين إرادة المعنى الحقيقي والمعنى اللازم)<sup>(3)</sup>.
- فمن خلال ما عرض من المفاهيم اللُّغوية والإصطلاحية تبين أن الكناية ظهرت بمعنى: التَّكلم بشيء وتريد غيره، إثبات المعنى دون لفظ، تصريح غير مباشر.

#### ب- أسلوب الكناية في دعوة النَّبي ﷺ

- إنَّ التعبير الذي يتَّخذ شكل الصُّور الكنائية تعبير بليغ أجمل من التعبير المباشر، وقد ذكر ابنُ الأثير بالقول: (الحُدُّ الجامع لها هو أنَّها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والجهاز، والدليل على ذلك أنَّ الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال: كُنت بكذا عن كذا فهي تدلُّ على ما تكَلَّمْتَ به وعلى ما أوردته عن غيره)<sup>(4)</sup>.

(1) - أبو الحسين أحمد بنُ فارس بنُ زكريا، مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السَّلام هارون مادة كنو (دار الفكر، ج5، 1399هـ/1979م)، ص 139.

(2) - عبد القاهر بنُ عبد الرَّحمان بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز، فصل في اللَّفظ يطلق والمراد به غير ظاهره، د، ت، د، ط، ص 66.

(3) - أحمد يوسف علي، البلاغة العربية دراسات ونصوص، د، ط، د، ت، ص 18.

(4) - حميد قبائلي، الصُّورة البيانية في المدحة النَّبويَّة، المرجع السَّابق، ص 90.

وقد ظهرت هذه الكناية في حديث أبي هريرة ؓ عن الأعرابي الذي بال في المسجد حينما سلم عليه النبي ﷺ قائلاً له: «لقد حَجَرْتُ واسِعاً<sup>(\*)</sup>» يريد رحمة الله، فتمثّل الكناية هنا في كلمة واسِعاً، وهي كناية عن موصوف هو رحمة الله فيها جرى القرآن ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

يقول الدكتور أحمد ياسوف<sup>(\*)</sup>: (إنَّ الإسلام يستبعد تضخم الذات على حساب الآخرين ثم إنَّه قلب الرواية ليستنبط من كلّ معناه، ففي كلمة حَجَرْتُ معنى القسوة والشَّدة لإقترانها بالحجر، والأعراب يوسمون بقسوة وتحجّر، ولكنهم لا يؤننون بدناءة نفس أو هبوط حيواني)<sup>(1)</sup>. ومن لطائف الكنايات النبوية قوله لفاطمة بنت قيسٍ لَمَّا حَلَّتْ - أيْ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا - وذكرت أَنَّ معاويةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وأبا جُهمٍ خطباها فقال لها رسول الله ﷺ: «أما أبو جُهمٍ فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مالَ له، إنكحي أسامةَ بْنَ زَيْدٍ فكرهته، ثمَّ قالت: فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتنبت به»<sup>(2)</sup>.

وجاء في حديث أبي هريرة ؓ قال: «قلت يا رسول الله إني رجلٌ شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوَّج به النساء، فسكت عني، ثم قلت: مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت: مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت: مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة! جفَّ القلم بما أنت لاقٍ، فاختص على ذلك أو ذر»<sup>(3)</sup>.

فالعنت هنا كناية عن الزَّنا، وأبا هريرة لم يجد ما يتزوَّج به النساء، فطلب من النبي ﷺ أن يؤذن له بالإختصاء، فكان ردُّه ﷺ بعد أن سكت عليه مرَّات: «لقد جفَّ القلم بما أنت لاقٍ فاختص على ذلك أو ذر» أي: نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به جافاً

(\*) - لَقَدْ تَحَجَّرْتُ واسِعاً: أي ضيقاً ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك، (يُنظر: النِّهاية في غريب الحديث والأثر، مادة حجر، ج 1، المرجع السابق، ص 342).

(\*) - أحمد ياسوف: كاتب معاصر، أستاذ بكلية الآداب بجامعة حلب، (يُنظر: بحث جماليات المفردة القرآنية، مركز القائمية بأصفهان للتحرّيات الكمبيوترية، طباعة دار المكتبي بسوريا، ص 10).

(1) - مصعب حمود، الإختراع في الكنايات النبوية وأثره في كلام العرب، كلية الشريعة، قسم علوم القرآن والسنة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج 26، العدد 1، 2010م، ص 712.

(2) - النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، رقم الحديث 1480، المرجع السابق، ص 936.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يكره التبتل والخصاء، رقم الحديث 5076، ص 1295.

لإمداد فيه لفراغ ما كتب فيه فاختص على ذلك أو ذر، بمعنى إقتصر على الذي أمرتك به أو أتركه وأفعل ما ذكرت من الخصاء، ففي الرواية ليس الأمر فيه لطلب الدفع بل هو للتهديد<sup>(1)</sup> فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (والمعنى إن فعلت أو لم تفعل فلا بد من نفوذ القدر، فإن الذي قدر فلا بد أن يقع وقوعه على ذلك هي متعلقة بمقدر، أي إختص حال إستعلائك على العلم بأن كل شيء بقضاء الله وقدره وليس هذا إذناً في الخصاء بل فيه إشارة إلى النهي عن ذلك كأنه قال: إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله فلا فائدة في الإختصاء)<sup>(2)</sup>.

إستخدم النبي ﷺ الأسلوب الكنائي العاطفي عند موعظته الشباب، فقد راع موقفه عند الإذن منه للقيام بالفاحشة فلم يقابله بردّ جري وبغضب وإنفعال، وإنما إلتزم الصمت والسكون مرات وهو يسأله لأنه كان يراعي حالة الشباب فكان ردّه ﷺ هادئاً ليناً رقيقاً به لأنه يعلم تأثيره في النفس وشدة وقرة في القلب، وهذا من مميزات الكناية وجمالها التي إستطاع النبي ﷺ أن يثبت بها الإيمان بالقضاء والقدر ودفعه من الوقوع في الفاحشة خوفاً عليه.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «... وإعلم أن الأمة لو إجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو إجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»<sup>(3)</sup>.

يقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله: (هنا كناية عن تقدّم كتابة المقادير كلّها، والفراغ منها من أمد بعيد، فإنّ الكتاب إذا فرغ من كتابته ورفعت الأقلام عنه وطال عهده فقد رفعت عنه الأقلام، وجفت الأقلام التي كتب بها من مدادها، وجفت الصحيفة التي كتب فيها، والمداد المكتوب به فيها)<sup>(4)</sup>.

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والإختصاء، رقم الحديث 4888، ج9، المرجع السابق، ص - ص 21، 22.

(2) - بتصرف: ابن حجر العسقلاني، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والإختصاء، رقم الحديث 4888، ج9، المرجع السابق ص 22.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب صفة القيامة، باب 59، رقم الحديث 2516، ص 409. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(4) - مصعب حمود، الإختراع في الكنايات النبوية وأثره في كلام العرب، المرجع السابق، ص 707.



وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: يا جابر ما لي أراك منكسراً؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيلاً لا ودئناً، قال: قال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحي أباك فكلمه كفاحاً، فقال: تمنّ علي أعطيك قال: يا ربّ تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنّه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]»<sup>(1)</sup> فقله كفاحاً أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول، والإنكسار كناية عن صفة الحزن والهم، والصحابي الجليل حزن على موت أبيه واعتلاه الهم من الديون التي تركها له ومسئولية إخوته الصغار، وهي كناية واضحة للزوم وليس لها وسائل فهي نوع من الإشارة والإيماء، وفي الحديث تطيب لخاطر الصحابي الجليل من الابتلاء الذي نزل به، وكان النبي ﷺ دائماً يهتم بتطيب خواطر أهل الابتلاء وأصحاب الهموم، ففي الحديث شرف كبير لوالد الصحابي أن كلمه الله دون حجاب، وبشرى بالثواب العظيم الذي ينتظره في الآخرة حتى أنّه تمّ أن تردّ روحه فيقتل مرة أخرى، كما جاء في الحديث التعبير عن الموت في كنايات الأحاديث القدسية بعدة ألفاظ منها القبض، خروج الروح، لقاء الله واشتمل بعضها على معاني المواساة والتطيب لمن ابتلي بمصيبة الموت أو غيرها من المصائب الأخرى<sup>(2)</sup>.

مثال ذلك عن أبي موسى الأشعري ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»<sup>(3)</sup>.

وعن جابر ﷺ قال: «جاء سراقه بن مالك بن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا اليوم فيما العمل اليوم أفما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما تستقبل؟ قال: لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال ففيم العمل؟ فقال: إعملوا فكلّ ميسر» فالنبي ﷺ لم يزد في الجواب الأوّل على ما قاله سراقه من هذه الكناية تأكيداً واستحساناً وتمكيناً لها في بابها،

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة آل عمران، رقم الحديث 3010، ص 673، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(2) - سوسن محمد عثمان جابر وآخر، بحث حول جماليات الأسلوب الكنائسي في الأحاديث القدسية، مجلّة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية العلوم، قسم اللغة العربية، كلية اللغات 2018م، ص 54.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه، جامع الترمذي، باب فضل المصيبة إذا احتسب، حديث رقم 1021، المصدر السابق، ص 242، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والورع عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث 2516، ص 186. وقال: هذا حديث صحيح.

فاستخدم الكناية لأهداف سامية منها الإيجاز، فقد أوتيَ جوامعَ الكلم ومنها تعليم الأدب والسُّموّ بالألفاظِ إلى غير ذلك، إضافة إلى هدف التأثير فإنَّ للكناية جمالاً لغوياً مثيراً في النفوس والمشاعر والأحاسيس.

فينبغي على الدَّاعية أن لا يغفل هذا الأسلوب المؤثّر، وأن يكون على درايةٍ بالأساليب البلاغية التي تعطي للكلام جمالاً ورونقاً وجذباً بما فيها الكناية التي تعد إحدى أساليب المنهج العاطفي.

#### سادساً: أسلوب المدح

##### أ- مفهوم المدح

##### – لغة

- يعرفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (المدح نقيضُ الهجاء، وهو حسنُ الثَّناء، وقيل الوصفُ الجميل، وعدُّ المآثر)<sup>(1)</sup>.
  - ويعرفه العلامة الفارابي بالقول: (هو الثَّناء الحسن، وقد مدَّحه وامتدَّحه بمعنى واحد، وكذلك المدحة والمديح والأمدوحة، وتمدَّح الرجل تكلف أن يمدح، ورجل مُمدِّح أي ممدوح جداً، وامتدَّح بطنه: لغة في إمدح إذا اتَّسع وتمدحت خواصر الماشية أي: اتَّسعت شعباً)<sup>(2)</sup>.
  - ويعرفها العلامة ابنُ فارس بالقول: (جذر الفعل (م، د، ح) يدلُّ على وصفٍ محاسنٍ لكلام جميل ومدحه مدحاً: أحسن عليه الثَّناء والأمدوحة المدح، ويقال المنقبة أمدوحة)<sup>(3)</sup>.
- ومن خلال عرض المفاهيم اللُّغوية جاء المدح بمعنى: الثَّناء الحسن، وصف محاسن الشَّيء، الوصف الجميل.

##### – اصطلاحاً

المدح من أساليب الدعوة المؤثِّرة، والتي وقف عليها علماء البلاغة الأوائل وفصلوا في الحديث عنها:

- يعرفه العلامة الجوهري بالقول: (بأنه وصفٌ محاسنٍ بكلام جميل، ومدَّحه يمدِّحه مدحاً أحسن عليه الثَّناء، وقد مدَّحه وامتدَّحه، بمعنى وكذلك المَدْحَةُ والمديح والأمدوحة، وأنشد أبو عمرو لأبي ذؤيب:

(1) – يُنظَر: ابنُ منظور، لسان العرب، مادة الميم، ج2، المصدر السابق، ص-ص 589، 590.

(2) – الفارابي، الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، المصدر السابق، ص 403.

(3) – أبو الحسين أحمد بنُ فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللُّغة، كتاب الميم، ج5، المصدر السابق، ص 308.

لو كان مِدْحُهُ حَيَّ مُنْشِراً أَحَداً أَحْيَا أَبَا كُنَّ يَالِيْلَى الْأَمَادِيحُ<sup>(1)</sup>

- ويعرّفه العلامة الجرجاني بالقول: (المدح هو الثناء الحسنُ باللسانِ على الجميلِ الاختياري قصداً، وعبرَ عنه آخرون بأنّه ذكر مناقب شخص أو هيئة إجتماعية أو مزايا عمل من الأعمال في خطاب علني نثراً أو شعراً، فمن البديهي أن يكون المادح راضياً عن الممدوح، وعنده من القبول النفسي ما يدفعه إلى التصريح بالمدح، فأسلوب المدح يظهر على شكل عبارات ثناء يجسدها الكلام، فهو قول يجسد قبولاً نفسياً يحاول من خلاله التأثير في السّامع بأن ينقل كل هذا القبول إليه أو بعضه من خلال إظهار الجوانب الحسنة)<sup>(2)</sup>.

والمدح في هذه الدّراسة هو مدح لغوي مقتصر باللسان أو بغيره كالإشارة مثلاً، وقد نوع النَّبي ﷺ في أسلوب المدح في مواضع عديدة سنذكرها لاحقاً، وقد يكون المدح بإرادة الشّخص المادح وباختياره، في حين نجد الشعراء يمدحون لغاية مقصودة أو مصلحة باختياره الحرّ، والمدح في العادة يكون وصفاً لجميل عندما يكون من البشر غير الأنبياء، أمّا الأنبياء يكون المدح من جهة التّعزير وتوجيه السّلوكة نحو فعل الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْخَمِيرِ وَتَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

#### ب- طريقة النَّبي ﷺ وأسلوبه في المدح

ظهر المدح في أحاديث النَّبي ﷺ بصور متعدّدة، برز فيها أسلوب الدّعوي والعاطفي لمن استحقوا ثناءه، ومدحه لأتباعه والتمسك بما جاء به ﷺ ومن هذه الصّور نذكرها كالاتي :

#### - مدح النَّبي ﷺ نفسه

إنّ مدح النَّبي ﷺ لنفسه يخبر فيها أمّته بتكريم الله له وتفضيله إيّاه عن سائر الأنبياء والرّسل عليهم السّلام، لامتيازهم بأسماء منحها الله إيّاه، فكلُّ اسم يحمل صفة إنقطع نظيرها لغيره من الأنبياء عليهم السّلام، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يسمّي لنا نفسه أسماء، فقال:

(1) - الجوهرى، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، مادة مدح (دار الملايين، ط4، مج6، 1990م)، ص 403.

(2) - عبد العباس حسن الأسدي، معاني القبول والرّفص في القرآن الكريم دراسة في الألفاظ والأساليب، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللّغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، كُلية التّربية للبنات، قسم اللّغة العربية وآدابها، 1430هـ/2009م، ص-ص 149، 150.

أنا مُحَمَّد وأحمد والمقفى والحاشر ونبيُّ التَّوبة ونبيُّ الرَّحمة»<sup>(1)</sup> والمقفى وكأن المعنى هو آخر الأنبياء والمقفى والعاقب معنى واحد، لأنَّه تبع الأنبياء والمقفى المتَّبِع للنبَّيين<sup>(2)</sup>.

استحقاقه ﷺ لهذه الأسماء ليس بغرض التَّباهي بالنَّفس أو الفخر -حاشا رسول الله- فهو سيِّد العالم أجمع ونبَّيَّهم، وإمَّا لبيِّن للنَّاس المكانة الجليلة التي عليها ﷺ وما علَّم عنه من أشرف الصِّفات وأهم المزايا التي لا تليق إلَّا به ﷺ، فهو الذي يحو به الله الكفر، لأنَّه ﷺ بعث والدُّنيا مظلمة بغياه الكفر، فأتى بنورٍ ساطعٍ حتَّى مَحَا الكفر فعلى أثره ﷺ زال الكفر وأهله<sup>(3)</sup>، وعمَّ نور الهداية للأُمَّة، وهو الذي يحشر أناس خلفه وعلى ملَّته فيحشر نبينا الكريم قَبْلَ الناس ويحشر الناس على أثره وعلى نبوَّته وهو خاتم النبَّيين<sup>(4)</sup>.

فكان هدف النَّبي ﷺ من أسلوب المدح هنا ليُعلمهم بأحقَّية ما جاء به، وأنَّه ليس بشراً كعامَّة النَّاس بل نبيٌّ أوجب عليهم الإيمان برسالته لما اشتمل على صفات لم تنسب إلى أحد غيره، يقول الحافظ إِبْنُ حجر رحمه الله: (في معنى أنا مُحَمَّد وأحمد فهي من أشهر أسمائه فهو أحمد الحامدين وأكثر الأنبياء حمداً وأعظمهم في صفة الحمد، ومُحَمَّد من أشهر هذه الأسماء)<sup>(5)</sup>.

وبالمقابل تحذير الدُّعاة من مدح أنفسهم لدرجة المبالغة، فهم بشر يعترفهم الخطأ والضعف، فيعدُّ ذلك أمراً سلبياً قد تساقُ دعوتهم إلى التُّفور والسَّأم والطَّعن في شخصه، فعليهم أن يظهروا أسلوب مدح النَّبي ﷺ فهو القدوة المهداة للعالمين.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب أسمائه ﷺ، رقم الحديث 2355، ص 1829.

(2) - الطَّبَّي، شرح الطَّبَّي على مشكاة المصابيح المسمَّى بالكاشف عن حقائق السنن، باب أسماء النَّبي ﷺ وصفاته (الرِّياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، ج12، 1417هـ/1997م)، ص 3684.

(3) - الطَّبَّي، شرح الطَّبَّي على مشكاة المصابيح المسمَّى بالكاشف عن حقائق السنن، باب أسماء النَّبي ﷺ وصفاته، المرجع السَّابق، ص 3683.

(4) - إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3535، (القاهرة: دار البيان للتراث، ط1، ج6، 1407هـ/1986م)، ص 641.

(5) - إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3535، المرجع السَّابق، ص 641.

وفي الوقت نفسه فقد منع عليه الصلاة والسلام المبالغة في إطرائه ورفعِه أعلى من بشرته روى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُطْرُونِي كما أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»<sup>(1)</sup>.

وقوله نبيُّ الرَّحمة فقد جاء رحمة ومهداة للعالمين، وكانت هذه الرَّحمة من أهمِّ ميزاته، فكان يعامل من حوله برأفةٍ ولطفٍ وإشفاقٍ فيقول ﷺ: «وكان النَّبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّةً، وبعث إلى النَّاسِ عامَّةً»<sup>(2)</sup>.

لعظم شخصية النَّبي ﷺ وثقته بنفسه وتواضعه الجَمِّ فقد أسَرَ به قلوب الموحِّدين، فقرَّب به البعيد وأقنع الملحدِين برسالته لدرجة أنَّ بعض المستشرقين كالـدُّكتور مايكل هارت وهو أمريكي الجنسية قال: (اقرأ في شخصية رسولنا العظيمة وتأثيره الجلي على هذه الأُمَّة فكان أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، فقد أسس أروع حضارة ونشر أعظم الأديان وأصبح أحد الزعماء العاميين السياسيين العظام فإنَّ تأثيره لا يزال قويًّا وعاظمًا حتَّى قيام السَّاعة)<sup>(3)</sup> إنَّ هذا تكريم الله له لما اشتمل عليه من أسماءٍ وصفاتٍ عظام فضَّله بها عن سائر النَّاسِ، كتخصيصه بالرَّحمة ولواء الحمد، وهي أرفع المقامات وأعلى مراتب الأخلاق لأنَّه أحمد الخلائق يأوي إليه الأوَّلون والآخرون.

### – أسلوب الرَّجَز والشَّعر الممدوح

وفي موضوع المدح كان النَّبي ﷺ يمدح الشَّعر ويدعو إلى التَّغني به وإنشاده، ويثني على الشُّعراء فيستمع ويتأثَّر بكلامهم، وذلك ما رواه أبو داود عندما جاء ردَّ النَّبي ﷺ للأعرابي الذي تكلم بكلامٍ فأعجب به فقال: «إنَّ من البيان لسحرًا، وإنَّ من الشَّعر لحكما»<sup>(4)</sup>.

ولمَّا لاشكَّ فيه أن الشَّعر المحمود والرَّجَز الممدوح من أساليب الدعوة التي يجذب بها الدَّاعية بعض المدعوين عند الحاجة إلى ذلك، ولكن لا يستعمل منه إلَّا ما فيه نفع، وحثَّ على الخير

(1) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مریم: 16]، رقم الحديث 3445، ص 854.

(2) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 6]، رقم الحديث 335، ص 93.

(3) – ساجدة أحمد حسين أبو رواع، المدح في السُّنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الأردن، كِلَّة الدِّراسات العليا، 2007م، ص 34.

(4) – أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشَّعر، رقم الحديث 5011 (دمشق: دار الرِّسالة العالمية، ط 1، ج 7، 1430هـ/2009م)، ص 358. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ.

وترغيب في الطَّاعات وتخويف من المعاصي والسيِّئات<sup>(1)</sup>، ولهذا قال عنه النَّبي ﷺ: «إِنَّ من الشَّعْر حكمة»<sup>(2)</sup> فما جاء عنه ﷺ إمَّا أن يكون من باب الرَّجز، وإمَّا أن يكون كلامًا لغيره يتمثَّل ببعضه وإمَّا أن يكون قال ذلك ولم يقصد الشَّعْر ولم يعتنِ به، وإمَّا جاء على لسانه، فاختار الطَّحَاوي رحمه الله بالقول: (إِنَّ ما حكي عن النَّبي ﷺ من الكلام الذي ادَّعي به أَنَّهُ شعْرٌ أو رجزٌ هو من الحكيم التي في الشَّعْر، فتكلَّم به على لسانه على أَنَّهُ حكمة، والله يجري الحكمة على لسانه لا أَنَّهُ شعر أرادَه ممَّا لا حكمة فيه)<sup>(3)</sup> بمعنى أن يكون الشَّعْر قولاً صادقاً ما بقي للحقِّ، فالشَّعْر منه حسن ومنه قبيح، والدَّاعية عليه أن يأخذ بالحسن ويدع القبيح، ولهذا فعله النَّبي ﷺ عند حفر الخندق مع أصحابه لَمَّا سمع هذه الأبيات فقد أثَّرت فيه حتَّى دمت عيناه فقال: «نَصِرْتُ يا عَمْرُو بَنُ سَالِمٍ، ثُمَّ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنان من السَّمَاء فقال: إِنَّ هذه السَّحابة لتستهل بنصر بني كعب»<sup>(4)</sup>.

|                            |                                   |
|----------------------------|-----------------------------------|
| يا ربِّ إِنِّي ناشد محمّدا | حلف أئينا وأبيه الأتلا            |
| قد كنتم ولدا وكنا والدا    | ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا           |
| فانصر هداك الله نصرا أعتدا | وادع عباد الله يأتوا مددا         |
| فيهم رسول الله قد تجردا    | إن سيم خسفا وجهه تريدا            |
| في فيلق كالبحر يجري مزبدا  | إن قريشا أخلفوك الموعدا           |
| ونقضوا ميثاقك الموكدا      | وجعلوا لي في كداء رصدًا           |
| وزعموا أن لست أدعو أحدا    | وهم أذل وأقل عددا                 |
| هم يبتونا بالوتير هجدا     | وقتلونا ركعا وسجدا <sup>(5)</sup> |

اتَّخذ النَّبي ﷺ هذا النَّوع من المدح ليرفع بها الهمم ويقوِّي بها العزائم، وكان أكثر ما يستعمله عند الحرب يقول الإمام الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: (وفيه أن في إنشاد الشعر تنشيطاً في العمل،

(1) - سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري، (الدَّراسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدَّعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ/2001م)، ص 220.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشَّعْر والَّرَّجَز والهداء وما يكره منه، رقم الحديث 6145، المرجع السَّابق، ص 1535.

(3) - سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري، المرجع السَّابق، ص 220.

(4) - ابنُ هشام، السَّيرة النَّبوية (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، ج3، 1410هـ/1990م)، ص 105.

(5) - المرجع نفسه، ص 105.

وبذلك جرت عادتهم في الحرب وأكثر ما يستعملون في ذلك الرّجز<sup>(1)</sup> ولهذا فعله عليه الصّلاة والسّلام في حفر الخندق مع أصحابه، وهذا الرّجز منسوب إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه<sup>(2)</sup>، يقول الإمام العيني رحمه الله: (وفيه استعمال الزجر والشعر إذا كانت فيه إقامة النفوس وإثارة الأنفة ودفع المعرّة)<sup>(3)</sup>.

فالشّعْر من الأساليب المؤثّرة والبليغة التي إستخدمها النبي ﷺ ودعا إلى إستخدامه في الدعوة إلى الله، لما فيه من الحكم والبيان، فلا ينبغي للدّاعية أن يغفل عنه ويستهيّن به، فهو من الأساليب البيانية التي يحظى بها المنهج العاطفي لقدرته على التأثير، فالعرب قديماً تتأثر بالشّعْر أكثر منه من السّرد، وهذا يبين أهميّة هذا الأسلوب عند الحاجة إليه مع الإلتزام بالمحمود منه واجتناب المذموم<sup>(4)</sup> وهناك أحاديث كثيرة ومواقف متنوّعة يمدح فيها النبي ﷺ أصحابه في وجوههم وغيابهم، وذلك لما عرف منهم قوّة الإيمان والتّمسّك الشّديد بالعقيدة الغراء كما أشارت إليه الآية في سورة الفتح.

#### - مدحه وثناءه لأصحابه عليهم السّلام

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمّتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإنّ لكلّ أمة أميناً، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجراح»<sup>(5)</sup>.

قدّم النبي ﷺ من خلال الحديث السّلوک الطيّب لأصحابه الكرام، فخصّهم بالألقاب الحسنة لمن يستحقّها، لكي يكونوا موضع غبطة للمكانة العالية عند النبي ﷺ، حيث ذكر في سنن ابن ماجه

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج7، المرجع السابق، ص 395.

(2) - المرجع نفسه، ص 395.

(3) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدّعوة صحيح الإمام البخاري، المرجع السابق، ص 292.

(4) - المرجع نفسه، ص 329.

(5) - أخرجه الترمذي في سننه الجامع الصحيح، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح، تحقيق: بشار عوا معروف، رقم الحديث 3791 (دار الغرب الإسلامي، ط1، ج6، 1996م)، ص 127. وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وأخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب المقدّمة، أبواب فضائل الصحابة، برقم 154. والألباني في صحيح السّنن وصحيح الجامع، برقم 895، وقال: حديثٌ صحيحٌ.



للرَّاجحي قوله: (أبو بكر اشتهر بالرحمة، وعمر بالشَّلَّة في الدِّين، وعليُّ اشتهر بالقضاء، ومعاذُ ابنُ جبلٍ بالعلم بالحلال والحرام، وأبو عبيدة أمين هذه الأُمَّة<sup>(1)</sup>).

وكذلك قوله ﷺ مادحًا الأنصار: «الأنصار شعارٌ والنَّاس دثارٌ»<sup>(2)</sup>.

ومدحه قبيلة من اليمن قائلًا: «أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة، وألين قلوبًا، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية»<sup>(3)</sup>.

ومدحه للقبائل التي أسلمت من الأعراب، منهم أسلمَ وغَفَارَ وَجُهَيْنَةَ، كانوا حول المدينة، وكانوا من أسبق القبائل للإسلام، فحصلوا على هذه المكانة والشرف بسبب ذلك<sup>(4)</sup> فقال ﷺ عن غِفَار: «أسلمَ سالمها الله، وغِفَارَ غفر الله لها»<sup>(5)</sup>.

لقد استخدم النَّبي ﷺ المدح في مواضع عدَّة، غرضه في ذلك التأثير في المدعو واستمالته على الحقِّ، تجلَّى في إبراز الصِّفات والإشادة بمن يستحقُّها، وبيان المكانة العالية للمسلمين آنذاك في قلبه ﷺ، وهذا فيه تشجيع للمدعو وتفاعله مع الدَّعوة إقتفاءً وإتباعًا، فأسلوب المدح هنا يبعث في النفوس نوعًا من الإرتياح الوجداني، خاصَّة لمن عرفوا بحبِّ المفاخرة والعجب بما فيهم الأعراب والملوك.

فحريُّ بالدَّاعية إلى الله أن يحسنَ استخدام هذا الأسلوب في دعوتِهِ خصوصًا إن كان يريدُ الحديث إلى أصحاب الفساد العقائدي والدِّيني والخلقي والاجتماعي كأن يقول لهم: أنتم من أُمَّة تميَّزت بالأخلاق، وتأدَّبت بأدب القرآن، وترتَّت في مدرسة النبوة، فاحذروا أن تتسرَّب إليكم مثل هذه العادات الدَّميمة والغريبة، وإن أراد الحديث إلى أصحاب الهوى المستسلمين لمداخل الشَّيطان يقول لهم: أنتم من أُمَّة عرفت بالعقَّة والكرامة والصَّبر والثَّبات والشَّجاعة فكيف لا تسيطرون على أنفسكم وهواها.

(1) - ابنُ أبي الدنيا، رسائل بن أبي الدنيا، تحقيق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا، كتاب الحلم، باب طلب العلم والصَّبر عليه، رقم الحديث 3 (بيروت: مؤسَّسة الكتب النَّقَّافية، ط 1، 1413هـ/1993م)، ص 18.

(2) - تمَّ تخريجه سابقًا، يُنظر: صفحة 60.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريِّين وأهل اليمن، رقم الحديث 4388، ص 544.

(4) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 6، المرجع السَّابق، ص 53، 54.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار، رقم الحديث 3513، ص 868.

## سابعاً: أسلوب الذم

### أ- مفهوم الذم

الذمُّ هو قول ناتج عن رفض نفسي فهو مرتبة شديدة من اللوم وكل مذموم مرفوض لم يأت هذا اللفظ بصيغة الفعلية في القرآن الكريم، بل جاء بصيغة إسم المفعول ثلاث مرات، أن تداركه نعمة من ربه قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: 18] أي: يذمُّ عليه ويلام من جهة سوابقه وأعماله السيئة، والذمُّ نقيض المدح يقال: ذمته فهو ذميم، أي: مذموم جداً، وشيء مذموم أي: مُعيب، فأسلوب الذمِّ تعبير صريح عن رفض نفسي للمذموم، لأنَّ عبارات الذمِّ كلام يجسِّد ما في نفس المتكلِّم من رفض<sup>(1)</sup>.

### ب - طريقة النَّبي ﷺ وأسلوبه في الذم

#### - ذمُّ الأخطاء التي تمسُّ الدِّين والعقيدة

استخدم النَّبي ﷺ المنهج العاطفي من خلال أسلوب الذمِّ، وذلك بكشف العيوب والأخطاء خاصة فيما يتعلَّق بانتهاك الحرمات، وأخطاءٍ تتعلَّق بالأخلاق والعبادات والعقيدة، ومثال ذلك ما رواه الإمام مسلم عن عديِّ بنِ حاتمٍ أنَّ رجلاً خطب عند النَّبي ﷺ فقال: «مَنْ يقطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصيهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»<sup>(2)</sup> ممَّا أثار كلام الرَّجل غضب النَّبي ﷺ لأنَّه مسَّ أمراً من أمور العقيدة، أن جعل النَّبي ﷺ ندًّا لله تعالى، فكانت طريقته في معالجة الخطأ بأسلوب حكيم وهادئ، حيث ذكر العيب لمرتكبه صراحة دون أيَّة تعنيف أو ضجر، وهذا أسلوب كان فيه ردُّ النَّبي ﷺ للرَّجل سريعاً. وفي الوقت نفسه فيه دلالة على أنَّ الأمر لا يجب السُّكوت عليه لأنَّ أمره خطيرٌ قد يؤدِّي إلى عواقب وخيمة للدَّعوة.

(1) - فيلة عبد العباس حسن الأسدي، معاني القبول والرفض في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، كُلية التَّربية للبنات، قسم اللُّغة العربيَّة، 1430هـ/2009م، ص 76.

(2) - النَّووي، شرح النَّووي على مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصَّلَاة والخطبة، رقم الحديث 870، ج6، المرجع السَّابق، ص 568.

## - ذم خلق الغضب

لقد كانت توجيهات النَّبي ﷺ لأصحابه وهو يرشداهم إلى أبواب مكارم الأخلاق، وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، ككفِّ النَّفس عند الغضب عن أبي هريرة ؓ قال: «أن رجلاً قال للنَّبي ﷺ أوصني، قال: لا تغضب فردَّد مراراً، قال: لا تغضب»<sup>(1)</sup> ذمَّ النَّبي ﷺ في ظاهر الحديث صفة الغضب التي يأتيها كثير من الرِّجال، وجاء الذمُّ مؤكِّداً على غرار ما ردَّد المستوصي فيوصيه ﷺ مرَّاتٍ عدَّة: لا تغضب، وفعلًا أنَّ الذي استطاع أن يملك زمام نفسه، فهو جدير أن يأخذ بحُطام العُصاة إلى حضيرة الإسلام، وهي من أبرز الخصال التي مارسها النَّبي ﷺ مع قومه المشركين على وجه النَّهي عند إتيانهم الغضب، ودعوتهم إلى التَّحلِّي بالحلم والأناة والعفو، وهي من أبرز الخصال التي مارسها النَّبي ﷺ مع قومه المشركين، ولم يكن غريباً أن يوجَّهه الله فيقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣١) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: 199-200].

فلهذا إقتصر في وصيَّته له على ترك الغضب، فللغضب مفسد كبيرة، ومن عرف هذه المفسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللَّطيفة «لا تغضب» من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسد<sup>(2)</sup>.

وعن أبي ذرٍّ ؓ حينما قال لرجلٍ: يا ابنَ السَّوداءِ<sup>(\*)</sup> فوقع في خصومة بينهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذرٍّ بلغني أنَّك اليوم عيرت أخاك بأُمَّه فقال: نعم، فانطلق أبو ذرٍّ ليرضي صاحبه فسبقه الرَّجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: يا أبا ذرٍّ ارفع رأسك فانظر ثم

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث 6116، ص 1529.

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبه الحمد، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث 6116، (مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط 1، ج 10، 1421هـ/2001م)، ص 536.

(\*) - أبو ذرٍّ: جندب بن جنادة الغفاري صحابي من السَّابِقين إلى الإسلام، قيل رابع أو خامس من دخل في الإسلام، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة النَّبوية. وروى عنه أحاديث كثيرة، مات ؓ، بالريذة سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه ابن مسعود ؓ، ثم مات بعده بيسير، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً ﷺ (يُنظَرُ: حسين حيدر، أبو ذرٍّ الغفاري الثَّائر المُنتفض، دراسة تاريخية، كربلاء: مؤسَّسة دار علوم نهج البلاغة، ط 1، 1437هـ، 2016م).

(\*) - ابنُ السَّوداءِ: وقيل: إنَّ الرَّجل المذكور هو بلال المؤذن مولى أبي بكر ؓ (بدر الدِّين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 1، 1421هـ/2001م)، ص 329.

إِعلم أنَّك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلاَّ أن تفضَّله بعمل، ثم قال: إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد، وإن كنت قاعداً فأتكئ، وإن كنت متكئاً فاضطجع»<sup>(1)</sup>.

وكان نبيُّ الله ﷺ إذا غضبَت السيِّدة عائشة رضي الله عنها أخذَ بأنفِها وقال: «يا عويش قولي: اللَّهُمَّ ربَّ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي...»<sup>(2)</sup>.

دعا النَّبيُّ ﷺ إلى التَّمسك بالحلم وكظم الغيظ الذي هو دلالة كمال العقل واستيلائه وإنكسار قوة الغضب وكان أجمل ما وَرَدَ عنه دُعائه ﷺ المعروف: «اللَّهُمَّ أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتَّقوى، وجملني بالعافية»<sup>(3)</sup>.

هذه الخِصال الرِّفِعة من الحلم وكظم الغيظ والرفق هي الرِّزاد الأساسي الذي يتركز عنه كلُّ داعية فعليه أن يكون :

- حكيماً في ذمِّ أخطاء مَنْ يدعوهم، بصيرٍ دون ضجرٍ ولا تعنيف، يعظهم بسعة صدرٍ وبرفقٍ.
- وإذا واجه من المدعوين ما يثيرُ الغضب عليه أن ينزل منازلهم تأسيّاً بالنبيِّ ﷺ الذي ضرب مثلاً في أسلوب الذمِّ، وتصحيحه لدى المدعو.
- عليه أن يستلهم من خلق النَّبيِّ ﷺ وأساليبه العاطفية التي قد يفتح بها على قلوب غلفه.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلاَّ بالشُّرك، رقم الحديث 30، ص 18. وأبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدِّين، كتاب ذمِّ الغضب والحقد والحسد (بيروت: دار المعرفة، ج 3، د، ت)، ص-ص 173، 176.

(2) - إتحاف السَّادة المُقِين بشرح إحياء علوم الدِّين، كتاب الغضب والحقد والحسد، ج 9، المصدر السَّابق، ص 425. (وأبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدِّين، كتاب الغضب والحقد والحسد (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنَّشر، مج 1، 1998م)، ص 222. وقال: عزاه الحافظ، وفي كنز العمال، 141/7، رقم الحديث 18409 إلى ابن السني (يحيى بن شرف النَّووي، كتاب الأسماء، رقم الحديث 901، الأذكار النَّووية، بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر، ص 303. وقال النَّووي: لفظه عن ابن السني، برقم 449 عن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر، وقال: إسناده حسن).

(3) - سَعلاء الدِّين علي المتقي بن حسام الدِّين الهندي، تحقيق: محمود عُمر الدَّمِيَّاطي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب الأذكار، قسم الأقوال، رقم الحديث 3660 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 1، 2016م)، ص 81. وأبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق: عبد الله الخالدي، كتاب العبادات، باب ذمِّ الغضب والحقد والحسد (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د، ط، مج 1، د، ت)، ص 226. لابن النَّجار عن ابنِ عمر ولم يجد الحافظ له أصلاً.

## ثامناً: أسلوب ضرب الأمثال

### أ- مفهوم المثل

#### - لغةً

- يعرفه العلامة إبراهيم مصطفى بالقول: (المثل: بفتح التاء الشَّبه وقيل: الحديث نفسه ومنه مثل له الشَّيء أي صَوْرُهُ حتَّى كأنَّه ينظرُ إليه<sup>(1)</sup>). والشَّيء بالشَّيء تمثيلاً وتمثالاً شَبَّهه به وقَدَّره على قدره ... الشَّبه والنَّظير<sup>(2)</sup>).

#### - اصطلاحاً

المثل أسلوب أقرَّته السَّنة النَّبوية باعتباره أحد الأساليب الإقناعية العاطفية، لما له الأثر البالغ على عواطف الإنسان وسلوكه، من ترقيق للقلب، ومخاطبة النَّفس واستثارة لعواطفها، ولفت الانتباه وحضور العقل، فاستخدمه النَّبي ﷺ عند موعظته، والموعظة المؤثرة هي التي تفتح طريقها إلى النَّفس مباشرة عن طريق الوجدان فتَهْزِه هزّاً أو تثير كوامنه في لحظة من الوقت<sup>(3)</sup> يقول أحد الباحثين: (إنَّ الأمثال أوقع في نفوس وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر وأقوم في الإقناع، فضرب الأمثال في البيان النَّبوي لم يأت لغاية فنية بجته كغاية الأدباء في تزيين الكلام، وإنما جاء لهدف أسمى وهو إبراز المعاني في صورة مجسمة لتوضيح الغامض وإظهار المعقول في صورة المحسوس، والمتأمل في الأمثال النبوية يجد التنوع صفة ظاهرة فيها فقد ربط المثل في موضوعات متعدّدة الأغراض في أمور العقيدة، العبادة، الأخلاق، العلم، الدَّعوة، التَّربية والتَّهذيب وما إلى ذلك<sup>(4)</sup>).

### ب- ضرب الأمثال في دعوة النَّبي ﷺ

استخدم النَّبي ﷺ ضرب الأمثال في بيان الحقائق وإقامة الحجَّة<sup>(5)</sup> وتربية العاطفة بإثارة الانفعالات المناسبة من خلال ضرب المثل، يقول عنها الشَّيخ محمَّد عبده رحمه الله: (واختير له لفظ

(1) - ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل فصل الميم، ج 11، المصدر السابق، ص 611.

(2) - إبراهيم مصطفى وآخرون، مجلَّع اللُّغة العربيَّة تركيا: دار الدَّعوة، ط 2، د، ت، ص-ص 853، 854.

(3) - صالح بن علي أبو عراد، مقدِّمة في التَّربية الإسلاميَّة (الدَّار الصَّوتية للنَّشر والتَّوزيع، ط 1، 1424هـ/2003م)، ص 74.

(4) - أحمد بني عيسى، المدخل إلى إدارة الإسلام الحديثة (عمَّان: دار اليازوري العلميَّة للنَّشر والتَّوزيع، ط 1، ج 1، 2018م)، ص 102. ومحمَّد أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النَّبوي (مكتبة الرُّشد، د، ط، 1428هـ/2007م)، ص 112.

(5) - سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، الإقناع في التَّربية الإسلاميَّة (جدَّة: دار الأندلس الخضراء، ط 2، 1422هـ/2001م)، ص-ص 107، 108.

الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الإنفعال، كان ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه<sup>(1)</sup>.

كما تستخدم في تربية العقل على التفكير الصحيح، لهذا جعلها النبي ﷺ أهم أساليبه في تربيته لصحابته وموعظتهم.

ففي بعض المواقف يؤثر النبي ﷺ ضرب الأمثال لكونه له طابع خاص، سواء في إصابة المعنى بدقة أم في إيجاز اللفظ مع فصاحته، أم في أداء الغرض الذي سيق من أجله وهو أعظم من أسلوب التلقين لأنه يثير في النفس العواطف والمشاعر، وعن طريق ذلك يعد دافعاً إلى الالتزام بالمبادئ عملياً وتصوير المعاني وتجسيدها في الذهن<sup>(2)</sup>، فيظهر اهتمام النبي ﷺ بالمشاهد التي تمر في حياة الناس فلا يلتفتون إليها ولا يلقون إليها بالاً، ففي بعض المواقف كان يكفيه ﷺ أن يردّ ردّاً مباشراً لكنه أثر ضرب المثل لما يحمله من توجيه تربوي وسرعة في إيصال المعنى المراد به، وقد لا يؤدي غيره دوره في هذا المقام، عن عبد الله ﷺ قال: «نأى رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»<sup>(3)</sup>.

### - ضرب الأمثال بالوصف

من الجوانب التي تبرز شدة اهتمامه ﷺ بالمثل، أنه اتخذ لضربه طرقاً متعددة منها الوصف، فعن حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأئي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين،

(1) - عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع (دمشق: دار الفكر، ط25، 1428هـ/2007م)، ص 202.

(2) - سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، الإقناع في التربية الإسلامية، المرجع السابق، ص-ص 207، 208.

(3) - أخرجه الترمذي في جامع الترمذي مختصر السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، ج4، رقم الحديث 2377، المصدر السابق، ص390. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه، تحقيق: أحمد محمد شاكر آخر (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، ج4، 1395هـ/1975م)، ص 588. وذكر حكم الألباني: حديث صحيح.

قلب أبيض مثل الصِّفا فلا تضرُّه فتنةٌ مادامت السَّمَاوَات والأرض والآخر أسودَ مرَباداً<sup>(\*)</sup> كالكوز مجحَّياً<sup>(\*)</sup> لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب هواه<sup>(1)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أرئيت لو أن نहरًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرَّات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك الصَّلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»<sup>(2)</sup>.

فضرب المثل ضروري في الدعوة إلى الله، لأنَّه يحدث في النَّفس حالة التَّفتات بارعة يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس، إلاَّ أنَّه من المهمَّ أن يكون الممثل به أمرًا معروفًا ومشهورًا لدى الممثل لهم، فكان النبيُّ ﷺ يمثِّل لأصحابه بالنَّخلة والتمرَّة والبعر والشَّوك<sup>(3)</sup>.

ويصوِّر أروع تصوير لصحابته وللمسلمين جميعاً، ويضرب لهم المثل برجلٍ تراكم على جسمه الوسخ فهو يغتسل كلَّ يوم خمس مرَّات، فبالأكيد لا يبقى من درنه شيء، والصَّلوات الخمس تمحو الخطايا والدُّنوب كما يمحو الماء الوسخ، وهذا ترغيب في إقامة الصَّلوات الخمس والمحافظة عليها.

ثمَّ يرغِّب النبيُّ ﷺ في قراءة القرآن لما له الأجر العظيم والثَّواب الجزيل والقرب من الله تعالى فاستخدم المثل عن أبي موسى الأشعري عن النبيِّ ﷺ قال: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل

(\*) - مرَباداً: يكون مريد مسودَّ ومحمَّر (رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنَّه يأزر بيم المسجدين، رقم الحديث 65، ص 76).

(\*) - مجحَّياً: معناه مائلاً، وفُسِّرَ الرَّاوي في الكتاب بقوله: منكوساً وهو قريبٌ من معنى المائل، وكالكوز مجحَّياً: وقال القاضي عياض: قال لي بن سراج: ليس قوله كالكوز مجحَّياً تشبيهاً لما تقدَّم من سواده، بل هو وصفٌ آخر من أوصافه، بأنَّه قُلْبٌ ونُكْسٌ حتى لا يعلق به خيراً ولا حكمة، ومثله بالكوز المجحَّي ويُنَّه بقوله: لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً (المرجع نفسه، ص 76). ومعنى: مائلاً منكوساً مشبهاً من هو خال من العلوم والمعارف بكوز مائل لا يثبت فيه شيء ولا يستقر، وهذا معنى قوله: لا يعرف -القلب- معروفاً ولا ينكر منكراً، والمعنى: لا يبقى فيه عرفان ما هو معروف، ولا إنكار ما هو منكراً إلا ما أشرب -القلب- من هواه (محمَّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الفتن، رقم الحديث 5380، المرجع السابق، ص 378).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنَّه يأزر بيم المسجدين، رقم الحديث 65، ص 76.

(2) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصَّلَاة، باب الصَّلوات الخمس كفارة، رقم الحديث 528، ج 2، المرجع السابق، ص 11.

(3) - أحمد خزعل جاسم، أساليب النبيِّ ﷺ في الدَّعوة إلى العقيدة الإسلامية، مجلَّة الأنبار للعلوم الإسلامية، بغداد، د، ت، ص



الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرُّجانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مرٌّ<sup>(1)</sup>.

فضربُ المثل في الحديث الشريف بأشياء محسوسة ملموسة، يدركها النَّاس ويتذوقون طعمها، ويعرفون عملها، وريحها من جهة الحلو والمر والطيب والخبيث، والنبي ﷺ ضرب الأمثال في موعظة صحابته لأغراض:

- لتقريب الفهم لبيان فضيلة قراءة القرآن في زيادة الإيمان، وطمأنينة القلب، وطيب النَّفس، ورفع قدر حامله وعلو منزلته.

- وبيان لحال خصَّ الحديث صفة الإيمان بالطَّعم، وصفة الرِّيح بالتلاوة وبيان علاقتهما.

يقول الشيخ العيني رحمه الله: (فالتشبيه الوارد والتَّمثيل هو وصف إشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونها لا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إنَّ كلام الله له تأثير في باطن العبد وظاهره والعباد متفاوتون ومن ذلك التأثير هو المؤمن القارئ فكان هذا المثل في أروع صورة للأمثال لم يجد ما يوفقها ولا أحسن منها)<sup>(2)</sup>.

وقد ضرب النَّبي ﷺ المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشَّجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال فإنَّها ثمرات النَّفوس، فخصَّ من يخرجه الشَّجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والرُّجانة بالمنافق<sup>(3)</sup>.

وعليه كان لضرب الأمثال دورٌ في تحريك العاطفة والميل بها، أنْ شوقها إلى حبِّ القرآن والإقبال على حفظه وقراءته، وقد عدّه الإسلام من الأساليب العاطفية التي تثير الانتباه وتوقظ العاطفة، فهو ذو أثر بليغ في النَّفس، والنَّبي ﷺ خصَّه في دعوته بكلماتٍ وألفاظٍ تلفت انتباه المستمع وتحبُّبه لقراءة القرآن والإقبال عليه، وتنبيهها إلى علو شأن المؤمن وارتفاع علمه وتوقيفًا على ضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، رقم الحديث 5427، ص 1381.

(2) - بدر الدِّين العيني، عمدة القرآن شرح صحيح البخاري، كتاب فضال القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم الحديث 5020 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001م)، ص 54.

(3) - بدر الدِّين العيني، شرح صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، ج20، د، ت)، ص 38.

والدَّاعية مطالب لإستثمار هذا الأسلوب في دعوته، فيجعله ديدنه في خطبه ومواعظه، لأنَّها الضَّامنُ الأساسي في إيصالِ الفهم على أكملِ صورةٍ وأبهى حُلَّةٍ.

#### - ضرب المثل في تربيته لأصحابه

تبَيَّن السَّيرة النَّبَوِيَّة تطبيق النَّبي ﷺ لأسلوب ضرب المثل في مواعظه وتربيته لأصحابه ولغيرهم من المنافقين والمشركين تجلَّت في مواقف كثيرة، كان من بينها ما حدث في غزوة بدرٍ حين انتصر المسلمون على المشركين وأسِرَ منهم الكثير، وكان فيمن أسروا أبو عَزَّة الشَّاعر وكان ذا عيال فقال: «يا رسول الله إني ذو عيال وحاجة أنت تعرفها فامنن علي وأطلقني فقال رسول الله ﷺ: أطلقك على ألا تعين علي المشركين بشعرك، فعاهده أبو عزه ألا يقول شعراً فيه إيذاء للنبي ﷺ والمسلمين، فأطلقه النبي ﷺ فلما كان يوم أُحُد دعا صفوان بن أمية أبا عَزَّة للخروج، فقال: إنَّ محمَّد قد منَّ عليَّ وقد عاهدته ألا أعين عليه، ولكن صفوان لم يزل به وكان أبو عَزَّة محتاجاً فأطعمه حتى خرج مع المشركين وأخذ يحرضُ على النَّبي ﷺ وأصحابه، ثم أُسِرَ مع من أُسِرَ، فلما قدِم إلى النَّبي ﷺ رجاه أن يمنَّ عليه، فقال النَّبي ﷺ: «إن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرَّتين، إضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرِبَ عنقه»<sup>(1)</sup> فالنَّبِيُّ ﷺ لم يغيب عنه هذا الأسلوب في تعليم أصحابه ومن كانوا على صلَةٍ به، فكانت من أكثر الأساليب تأثيراً عليهم، تقَرَّب المعاني للأفهام، وتثير المشاعر وتبعث في النَّفس زيادة في العمل.

(1) - عبد السَّلام هارون، تهذيب سيرة ابنِ هشام (بيروت: مؤسسة الرِّسالة، دار البحوث العلمية، ط14، 1406هـ/1985م)، ص-ص 172، 173.

## المبحث الثاني: إثارة منابع الرَّأفة والرَّحمة

إهتمَّ الإسلام بالجانب العاطفي في الإنسان لخصوبة أرضه في مجال الدَّعوة إلى الله، فرسم له أساليب شتى القولية منها والفعلية، تظهر جلياً في قدرات الدَّاعية على التأثير، وهذا الجانب إذا اكتمل بالإيمان عَظُم في النفوس وارتقى بالدَّعوة مبلغ الكمال والجمال، ولا يخفى على كلِّ ذي لبٍّ أن هذه الصِّفة ارتسمت بقوة في شخصية النَّبي ﷺ الإنسانية، وفي كلِّ شؤون حياته، نلمسها من جواهر سيرته وعبق سنته، وكيف تعامل مع كلِّ الأمور والمواقف التي واجهته والعُوص التي أهدته بطريقة فذة أخرجت لنا كنوزاً جمّة من فنون التَّعامل النَّبوي، فبرزَ عنصر الرَّحمة بقوة في دعوته ﷺ، وهو الأسلوب الأكثر رواجاً وتأثيراً في الدَّعوة إلى الله، بل والأقرب إلى النَّفس البشرية وأحبُّها.

وعليه فإنَّ هذا العنصر - الرَّحمة والرَّأفة - يتحقَّق من خلال أشكاله وصوره الوجدانية والتي منها: الرِّفق والقول اللين، الكلمة الاستعطافية، المشاركة الوجدانية.

وسأجتهدُ في هذا المبحث التَّركيز على هذه الأساليب في دعوة النَّبي ﷺ والذي لا يستطيع أحدٌ أن يبلِّغ المقام الأسمى في القلب الأزكى من لدنه ﷺ والذي تتدفَّق منه عينُ الرَّحمة وحنو الرَّأفة، وقبل أن أتحدَّث في هذا الأسلوب من حياة النَّبي ﷺ ودعوته، لابدَّ أن أعرف الرَّحمة والرَّأفة أولاً من الناحية اللُّغوية والإصطلاحية.

### المطلب الأوَّل: مفهوم الرَّأفة والرَّحمة وأهمَّيتها في الدَّعوة إلى الله

للرَّحمة والرَّأفة أهمِّية كبرى في حياة النَّبي ﷺ وأخلاقه، وقد تجلَّت واضحة في مواضع كثيرة في حياته ﷺ، وقبل التَّفصيل في هذا الموضوع إرتأيت تقديم أسطرٍ مُضيئةٍ للتعريف بالرَّحمة والرَّأفة لغة واصطلاحاً نعرضها كالآتي :

#### أولاً: مفهوم الرَّأفة والرَّحمة

##### أ - مفهوم الرَّأفة

##### - لغة

- يعرفها العلامة ابنُ منظور بالقول: (الرَّأفة مأخوذة من رأف: بمعنى الرَّحمة وقيل: أشدُّ من الرَّحمة، ترأَّف به، يرأَّف ورئيفٌ ورؤوفٌ رأفةٌ ورأفةٌ، والرأفة أخصُّ من الرحمة وأرقُّ، وفيه لغات قرئ بها معاً: رؤوفٌ عليّ فعول<sup>(1)</sup>، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: 2] يقول الفراء

(1) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة رأف، ج5، المصدر السابق، ص 82.

رحمه الله: (الرَّأْفَةُ والرَّافَةُ مثل: الكَأْبَةُ والكَأْبَةُ)<sup>(1)</sup> وقال الإمام الرَّجَّاج رحمه الله: (أَيُّ: لا ترحمهما فتُسْقِطُوا عنهما ما أمر الله به من الحَدِّ)<sup>(2)</sup> ويقول كعب الأنصاري ﷺ: «نطيع نبيَّنَا ونطيع ربا هو الرحمان كان بنا رؤوفاً»<sup>(3)</sup>. ورؤوف على فعل.

#### - اصطلاحاً

- ويعرّفها العلامة الألوسي رحمه الله بالقول: (هي المبالغة في رحمةٍ خاصّة، وهي رفع المكروه وإزالته الضّرّ، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [التّور: 2] أَي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجُلْدَ عنهما)<sup>(4)</sup>.
- وفي تعريفٍ آخرٍ لها: (هي رَقَّةٌ خاصّة تقع في النَّفس دون إختيار عند مشاهدة ضُرٍّ بالرؤوف به)<sup>(5)</sup>.
- وفي تعريفٍ آخرٍ لها حسب ما ذهب إليه بعض المفسّرين أَنَّ الرَّأْفَةَ هي: (الرّقَّةُ والرّحمة والشّفقة والعطف)<sup>(6)</sup>.

#### ب- مفهوم الرّحمة

إذا أضفنا إلى ما سبق نجدُ أَنَّ الرّحمة هي الأخرى تعدُّ أمراً ضرورياً في الدّعوة إلى الله، والحديث عنها ضروري هو الآخر، لأهمّيّتها الكبرى في الدّعوة ومكانتها في قلب النَّبي ﷺ، لذلك سيشمل حديثنا في هذه الجزئية بالتركيز على عاطفة الرّحمة في حياة النَّبي ﷺ، والتي تمثّل المرجعية الكبرى لنبيّ الله ﷺ وكيف كانت شاملة لكلِّ النَّاس، حتّى تعدّت البشر فشملت الحيوانات والجمادات وخرجت عن إطار المسلمين وغير المسلمين، وقبل الحديث في هذا العنصر سأقدّم مفهوم الرّحمة من النّاحية اللّغوية والاصطلاحية.

(1) - المصطفوي، التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة رأف (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، ج4، 1430هـ/2009م)، ص 11.

(2) - المرجع نفسه، ص 11.

(3) - ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: محمّد عبد القادر الأرناؤوط، باب غزوة الطّائف (دمشق: دار بن كثير، ط2، ج4، 1431هـ/2010م)، ص 612.

(4) - الألوسي، روح المعاني (بيروت: دار إحياء الثّراث العربي، د، ط، ج2، د، ت)، ص 7.

(5) - محمّد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج7، المرجع السّابق، ص 151.

(6) - يُنظر: محمّد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير (بيروت: دار القرآن الكريم، ط4، مج 2، ج18، 1403هـ/1981م)، ص- ص 325، 326.

– لغة

- يعرفها العلامة ابنُ منظور بالقول: (الرَّحمة بمعنى: الرِّقَّة والعطف)<sup>(1)</sup>. والرَّحْم والرَّحْمَةُ والمرَّحمة بمعنى واحد<sup>(2)</sup>.

وقد ذكرت في آيات كثيرة ترددت في سورة الفاتحة في أكثر آياتها، وأعظم رحمة هي رحمة الله بعباده جعلها إحدى أسمائه الحسنى - الرَّحِيم، الرَّحْمَن - فصرَّحت به آية من سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: 43].

– اصطلاحًا

- يعرفها الإمام العلامة الكفوي رحمه الله فيقول: (هي حالة وجدانية تُعرضُ غالبًا لمن به رِقَّة القلب، وتكون مبدأً للإنعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان)<sup>(3)</sup>.
- ويعرفها الدكتور يوسف خاطر حسن الصُّوري فيقول: (هي حركةٌ قلبيةٌ وعطفٌ وتألمٌ نفسيٌّ وإحساسٌ مرهفٌ ومواساةٌ وانيةٌ، وهي العصبُ الحساسُ الذي يدفع بالدَّاعية ذاتيًا عن رغبة للتخفيف عن الشَّخص الذي يدعوه)<sup>(4)</sup>.
- ويعرفها قديرة سليم بالقول: (هي كمال في النَّفس البشرية تجعل المرءَ يرقُّ لآلام الخلق ... وهي صورة من كمال الفطرة وجمال الخلق تتحملُ صاحبها على البرِّ، كما هي إنفعال يُعرضُ على القلب عند مشاهدة النقص أو الحاجة، فيندفع إلى رفع ذلك كحالة الفقير أو اليتيم أو المظلوم وما إلى ذلك)<sup>(5)</sup>.
- ويعرفها الشَّيخ الدكتور أبو بكر الجزائري رحمه الله بالقول: (الرَّحمة وإن كانت حقيقتها القلب وإنعطاف النَّفس المقتضي إلى المغفرة والإحسان، فإنَّها لن تكون مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها في الخارج، بل إنَّها ذات آثار خارجية ومظاهر حقيقية تتجسَّم في عالم الشَّهادة، فمن آثارها الخارجية العفو عن ذي الزَّلة، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، ومواساة الحزين، وما إلى ذلك)<sup>(6)</sup>.

(1) - ابنُ منظور، لسان العرب، ج1، حرف الرَّا، مادة رحم، المصدر السَّابق، ص 1143.

(2) - ابنُ فارس، معجم مقاييس اللُّغة، ج2، مادَّة رحم، المصدر السَّابق، ص 498.

(3) - الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية، تحقيق: عدنان درويش وآخر، فصل الرءاء (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، د، ط، ج1، د، ت)، ص 471.

(4) - يوسف خاطر حسن الصُّوري، أساليب الرِّسول ﷺ في الدَّعوة والتَّربية، صندوق التَّكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى، د، ت، ص 15.

(5) - قديرة سليم، معنى الرَّحمة والثقافة لغَّةً واصطلاحًا وعلاقتها، pdf، الجامعة العالمية بإسلام آباد، باكستان، د، ت، ص 2.

(6) - أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم (القاهرة: دار السَّلام للنشر والتَّوزيع والترجمة، د، ط، د، ت)، ص 126.

- وفي تعريفٍ آخرٍ لها: (هي عاطفة حيَّة نابضة بالحبِّ للنَّاس والرَّأفة بهم والشفقة عليهم، والنَّبي ﷺ هو الرَّحمة المهداة للعالمين كُلِّهم بل كأن الغاية من دعوته محصورة في الرَّحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فخصَّهم باسمه الرَّحيم، أي: عطفًا وصنعًا<sup>(1)</sup>، فالرَّحمة المذكورة هنا يُقصد بها رحمة العامَّة لكلِّ الخلق تراحمًا عامًّا، ليلقى الدَّاعية النَّاس قاطبةً وقلبه لهم بالعطف مملوء وبالبرِّ مكنونٌ، لأنَّ الرَّحمة الخاصة قد تتوفر في بعض النَّاس كأن يرق قلبه لأولاده حين يلقاها، ويهشُّ لأصدقائه حين يجالسهم، ولكن الرَّحمة المطلوبة من الدَّاعي أوسع من ذلك وأوجب<sup>(2)</sup>، يقول ﷺ في ذلك: «من لا يرحم لا يُرحم»<sup>(3)</sup>.
- ويقول الشَّيخ مُحَمَّد الطَّاهِر بنُ عاشور رحمه الله في تفسيره للآية: (جاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة النَّبي ﷺ، ومزيَّتها على سائر الشَّرائع مزية تناسبُ عمومها ودوامها، وذلك كونها رحمةً للعالمين)<sup>(4)</sup>.
- وفي تعريفٍ آخرٍ لها: (هي كمال في الطَّبيعة تجعل المرء يرقُّ لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنَّى لهم الهدى، والرَّحمة عاطفة حيَّة نابضة بالحبِّ للنَّاس والرَّأفة بهم والشفقة عليهم)<sup>(5)</sup>.
- ويُعرِّفها الدُّكتور عبد الرَّحمان حسن حبنكة الميداني بالقول: (هي منبعٌ كريمٌ يفيضُ بالعطاء والرِّفق، وهي رقة تلامس القلب، وتدفع إلى مشاركة الدَّاعية الرَّحيم لغيره في آلامه ومسراته، والشُّعور بمثل مشاعره، وحبِّ الخير له)<sup>(6)</sup>.
- والدَّاعية عليه أن يعي أنَّ رسالته للنَّاس هي رسالة رحمة، في الأخلاق، وفي المعاملة، وفي التشريع، وفي الأسلوب.
- وعليه بناء على المفاهيم السَّالفة الذِّكر، اللُّغوية والإصطلاحية تبين أنَّ الرَّحمة تجمع بين الرِّقة واللُّطف والرَّأفة والعطف والشفقة.

(1) - بتصرُّف: عمران عزَّت يوسف بحيت، الرحمة الإلهية دراسة قرآنية، جامعة النِّجاح الوطنية، كُلية الدِّراسات العليا، رسالة ماجستير، 2009م، ص-ص 15، 29.

(2) - صالح بنُ عبد الله بنُ حميد، بحث القدوة مبادئ ونماذج، د، ت، ص-ص 13، 14.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، رقم الحديث 5997، ص 1505. وفي باب رحمة النَّاس والبهائم، رقم الحديث 6013، ص 1508.

(4) - مُحَمَّد الطَّاهِر بنُ عاشور، تفسير التَّحرير والتَّنوير، المرجع السَّابق، ص-ص 164، 165.

(5) - صالح بنُ عبد الله بنُ حميد، القدوة مبادئ ونماذج، pdf، د، ت، ص 13.

(6) - عبد الرَّحمان حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج2، المرجع السَّابق، ص 5.

### ج- العلاقة بين الرَّأفة والرَّحمة

بناءً على ما سبق تبَيَّن المفاهيم السَّابقة أنَّ الرَّأفة هي الرَّحمة، وكلاهما معنى واحد، وفي مواضع اقترنت الرَّأفة بالرَّحمة وهي مفسَّرة لها، وخصَّ المحقِّقون من أهل اللُّغة، الرَّأفة بمعنى رحمة خاصَّة، يقول أبو عمرو بنُ العلاء: (الرَّأفة هي رحمة قويَّة)<sup>(1)</sup> وكلاهما مشبَّهتان فيقول الشَّيخ بنُ عاشور رحمه الله: (الرَّؤوف الرَّحيم صفتان مشبَّهتان، مشتقَّة أولاهما من الرَّأفة، والثانية من الرَّحمة، والرَّأفة مفسَّرة للرَّحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللُّغة)<sup>(2)</sup>.

وعليه فإنَّ أسلوب الرَّحمة والرَّأفة أسلوبٌ يحرك فيه الشُّعور والوجدان والعاطفة، وهو أشدُّ تأثيراً في النَّفس وأسرع نتائج في التَّغيير والإصلاح، ممَّا يجعل القلوب توجل، والعيون تذرف، والجلود تلين، وهو يصلح مع جميع المدعوين بكلمة طيبة مؤثرة، يقول تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ [٤١] ﴿[غافر: 41]﴾.

### ثانياً: أهميَّة الرَّحمة والرَّأفة في الدَّعوة إلى الله

لأسلوب الرَّحمة والرَّأفة أهميَّةٌ كبرى في الدَّعوة إلى الله للأثر البالغ الذي أحدثته في دعوة الأنبياء عموماً ودعوة النَّبي ﷺ على وجه الخصوص، لذلك تكمن أهميَّتها في ما يلي :

- الرَّحمة مقصد من مقاصد القرآن الكريم، لأنَّ إرسال النَّبي ﷺ بهذا الكتاب رحمة، وهذا يؤكِّد أنَّ أصول الشَّريعة وفروغها مبناهما على الرَّحمة.
- الرَّحمة خلق شامل لكلِّ قيم السُّلوك في التَّعامل، وهي صفة كريمة وعاطفة إنسانية نبيلة تَبَعَث صاحبها على كلِّ خيرٍ وتَحْبُسُهُ عن كلِّ شرٍّ، فَتَحْمِلُهُ على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف وإعانة المحروم وكف العسف والظلم، ومنع التعدِّي والبغي، وهي بهذا رأس الأخلاق ولُبُّها<sup>(3)</sup>، عن السَّيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءني مسكينة تحمل إبنين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها إبناتها، فشقَّت التَّمرة، التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: إِنَّ الله قد أوجب لها بها الجنَّة، أو أعتقها بها من النَّار»<sup>(4)</sup>.

(1) - محمَّد الطَّاهر بنُ عاشور، تفسير التَّحرير والتَّنوير ج2، المرجع السَّابق، ص 25.

(2) - المرجع نفسه، ص 25.

(3) - خلود شاكر فهيد العبدلي، خلق الرَّحمة ومنهج القرآن الكريم في التَّغريب فيه،، بحث مقدَّم في المؤتمر الدُّولي عن الرَّحمة في الإسلام، كليَّة النَّبوية، قسم الدِّراسات الإسلامية، د، ت، ص 104.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، رقم الحديث 2630، ج 4، ص 2027.



- الرَّحمة من الأخلاق التي أكَدَّهَا القرآن الكريم وحثَّ عليها، وتبيَّن وصيَّة الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ أن قال له: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِمْ لَوْ كُنْتَ قَفْظًا غَلِيظًا لَفُتِقُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] والداعية عليه أن يعي أنَّ رسالته للنَّاس هي رسالة رحمة في الأخلاق، وفي المعاملة، وفي التشريع، وفي الأسلوب.

### المطلب الثاني: صور من رحمة النبي ﷺ

بَرَزَتْ هذه الصِّفة في شخصيَّة النبي ﷺ الإنسانيَّة في جميع جوانب حياته أقوالاً وأعمالاً، حتَّى أنَّه لا يوجد موقعاً أو حدثاً أو زاويةً من زوايا حياته إلَّا غمرتها رحمته ﷺ، حتَّى في مواقع النِّزال والحروب والقتال ومواقف إقامة الحدود والعقاب، فرحمته لم تكن متكلِّفة تحدث في بعض المواقف من قبيل التَّجمل أو الإصطناع، وإنَّما كانت رحمةً طبيعيَّة تلقائيَّة مُشاهدة في كلِّ الأحوال، برغم اختلاف الطُّروف وتعدُّد المناسبات، فرأينا رحمته مع الكبار والصِّغار، ورأيناها مع الرِّجال والنِّساء، ورأيناها مع القريب والبعيد ومع الصَّديق والعدو<sup>(1)</sup>.

ومن رحمته حينما مرَّ أمامه يوماً جنازةً، فقام لها، فقيل له: إنَّها جنازة يهوديِّ فقال: «أليست نفساً»<sup>(2)</sup>.

وَعَضِبَ في إحدى الغزوات لَمَّا وجد امرأةً مقتولة، فكان إذا بعث بعثاً أو جيشاً أوصاهم بعدم قتل النِّساء والصِّبيان قائلاً: «...اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا...»<sup>(3)</sup>.

وذلك لما جُبلَ عليه من التَّرفُّق في المعاملة، والعدل في الغضب والرِّضا، والحلم والأناة التي أضحت من دواعي التَّأثير، ولا غرو فقد زكَّاه الله تعالى من فوق سبع سَمَاوات زكَّى عقله فقال:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضٍ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ زكَّى لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ وزكَّى قلبه فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ وزكَّى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا

طَغَىٰ ۝١٧﴾ وزكَّى صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ وزكَّى خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ۝٤﴾ وزكَّاه كلَّه فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: 107].

(1) - راغب الحنفي السَّرجاني، الرَّحمة في حياة النبي ﷺ (المملكة العربيَّة السَّعودية: المركز العالمي للتَّعريف بالرسول ونصرتة، ط1، 1430هـ/2009م)، ص 52.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، رقم الحديث 1312، ص 317.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمير الأمراء على البعث، ووصيَّته إياهم بأداب الغزو، رقم الحديث 4521، ص 668.

فكانت رحمته ﷺ لأهل الأرض شملت جميع النَّاس المسلم وغير المسلم، يذكر الإمام الطَّبري رحمه الله في هذا الشَّأن فيقول: (إِنَّ الله أَرْسَلَ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِّجَمِيعِ الْعَالَمِ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ، فَأَمَّا مُؤْمِنِهِمْ فَإِنَّ الله هَدَاهُ بِهِ وَأَدْخَلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْجَنَّةَ، وَأَمَّا كَافِرِهِمْ فَإِنَّهُ دَفَعَ بِهِ عَنْهُ عَاجِلَ الْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ بِالْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ رَسُلَهَا مِنْ قَبْلِهِ)<sup>(1)</sup>.

وإثارةً لمنابع الرَّحمة بالمدعوين والرَّأفة بهم أسلوبٌ إختصَّ به النَّبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ حينما أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِّكُلِّ الْأُمَمِ، حيث كانت بعثته رحمة، ودعوته رحمة، وكان صمته رحمة، ونطقه رحمة، وسيرته كُلُّها رحمة، بل إِنَّ رَحْمَتَهُ شَمِلَتْ الْبَشَرَ وَالْحَجَرَ وَالشَّجَرَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] فما كان يغضب يوماً من النَّاس، وكان يستمع لهم بسعة صدر، ويدعوهم دائماً إلى التَّعامل بِالرَّحمة والعطف والحبَّة فيما بينهم، يقول عنه ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (كان مُحَمَّدٌ رَحْمَةً لِّجَمِيعِ النَّاسِ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِهِ سَعِدَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ سَلِمَ مِمَّا لَحِقَ الْأُمَمِ مِنَ الْخُسْفِ وَالْغُرُقِ)<sup>(2)</sup>. فمن الذين شَمِلَتْهُمْ رَحْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ هم كالأتي :

## 1- رحمته بأُمَّته

لَقَدْ نَالَتْ أُمَّتُهُ ﷺ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي قَالَ فِيهِ تَعَالَى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] ولَقَدْ كَانَتْ مَشَاعِرُهُ ﷺ وَأَحَاسِيسُهُ جَيَّاشَةً، فَذَاتَ مَرَّةٍ قَرَأَ قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118] فَاضْ يَنْبُوعُ الرَّحْمَةِ وَاهْتَزَّ قَلْبُهُ ﷺ وَهُوَ يَنَاجِي الله فِي خَشْوَةٍ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبِكِي!!، وَسَرَّعَانَ مَا نَزَلَ الْأَمِينُ جَبْرِيلُ مُهَدِّدًا مِنْ فَرْعِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مَبْلَغًا وَقَائِلًا: إِنَّ الله يَقُولُ لَكَ إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْوُوكَ»<sup>(3)</sup>.

## 2- رحمته ﷺ لغير المسلمين

أظهر النَّبيُّ ﷺ رَحْمَتَهُ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ وَمَا نَالَهُ مِنَ الْأَذَى فِي مَكَّةَ وَالطَّائِفِ مَا نَالَهُ، فَحَضَرَهُ مَلِكُ الْجِبَالِ لِيَأْمُرَهُ بِإِهْلَاكِ ثَقِيفِ الَّذِينَ اسْتَخَفُّوا بِهِ وَأَذَوْهُ، فَتَحَرَّكَتْ رَحْمَتُهُ بِهِمْ قَائِلًا: «لَعَلَّ الله يُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله»<sup>(4)</sup>.

(1) - ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبري، تفسیر الطَّبري جامع البیان عن تأویل آی القرآن، المصدر السَّابق، ص 440.

(2) - مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَمِيلٍ المَطْرِي، نَبِيُّ الرَّحْمَةِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بحث مقدَّم في مسابقة علمية عالمية مخصَّصة للعام المحجري 1428هـ، بصنعاء، ص 19.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاء النَّبي ﷺ لأُمَّتِهِ وبكاه وشفقته عليهم، رقم الحديث 202، ص 114.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال: أحذركم آمين والملائكة في السَّماء آمين، رقم الحديث 3231، ص 798.

وكان ﷺ يحرص على دعوة قومه إلى الإسلام رغم شدة الأذى التي كان يلقاها منهم، رحمة بهم لينقذهم من النار، ولقد ضربوه مرة حتى غشي عليه، وقال أنس بن مالك ﷺ: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعباد من رسول الله ﷺ»<sup>(1)</sup>.

وذات يوم كان عليه الصلاة والسلام يُصلي عند الكعبة فوضع المشركون على ظهره جلد سلا جزور<sup>(\*)</sup> وهو ساجد<sup>(2)</sup>.

ومع إيذائهم الشديد له استمر نبي الرحمة يدعوهم إلى الله حتى قُروا قتله؛ فأمره الله بالهجرة، بعد إقامته بمكة ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ﴾<sup>(١٩)</sup> قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا<sup>(٢٠)</sup> [الجن: 19-20] يقول الحسن: (لَمَّا قام رسول الله ﷺ يقول: لا إله إلا الله، ويدعو الناس إلى ربهم، كادت العرب تلبد عليه جميعاً، وقال قتادة: تلبدت -اجتمعت- الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه)<sup>(3)</sup>.

فقد كانت رحمته لهؤلاء عجيبة ومبهرة وهو يعطف عليهم ويحنو ويبرّ بهم ويدعو لهم، ومن هؤلاء من خصّهم بالدعاء رجلين من ألد أعدائه أبا جهل وعُمَر بن الخطاب ﷺ قبل أن يُسلم فقال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعُمَر بن الخطاب»<sup>(4)</sup> فكان أحبهما إلى الله عُمَر بن الخطاب ﷺ.

(1) - يوسف خاطر حسن الصوري، أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية، المرجع السابق، ص 15.

(\*) - سلا جزور: الجزور من الإبل ما يجزر أي يقطع، وهو بفتح الجيم، والسلى هي الجلدة التي يكون فيها ولد الناقة عندما يولد، يقال لها ذلك من البهائم وأما من الآدميات فالمشيمة (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، رقم الحديث 240، ج 1، المرجع السابق، ص 349).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب إذا لقي على ظهر المصلي قدر أو جيفة، رقم الحديث 240، ص 69.

(3) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، المصدر السابق، ص 257.

(4) - أخرجه الترمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ، رقم الحديث 3681، مج 6، المصدر السابق، ص 57. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، هذه الفقرة لم يجد لها أثراً في السسخ والشروح ولا نقلها إلا عن الترمذي.

### 3- رحمته بالحيوان

امتدَّت رحمته ﷺ لتشمل الحيوان فقال ﷺ: «إِنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبْحَ، وليُحَدِّ أحدكم شَفْرَتَهُ فليرح ذبيحتَهُ»<sup>(1)</sup>.  
وفزع حينما رأى حمرة تحوم على فراخها، وعدَّ ذلك فجیعة للأم بأولادها فقال لهم حاتماً إياهم على إرجاعها: «من فجَّع هذه بولدها»<sup>(2)</sup>.

### 4- رحمته بالجماد

وفوق كلِّ ذلك فقد شملت رحمته ﷺ لمن لا روح فيه أصلاً، كتعاطفه مع جبل أخذ الصَّخر الأصم، وكان لا يريد -ﷺ- للنَّاس أن يتشاءموا منه لحدوث مصیبة المسلمين عنده، فلا يريد لهم أن يكرهوه دون جريرة ولا جريمة، فقال وهو يشير إلى جبل أخذ: «هذا جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه»<sup>(3)</sup> فأیة رحمة وأی عطف من قلب رسول الله ﷺ.

إنَّ هذه الصِّفة الرِّقیقة واللَّطيفة يجب توفُّرها عند كل داعية مسلم، فقاسي القلب لا يصلح أن يكون داعياً لأنَّ الرَّحمة هي حركة قلبية وعطف وإحساس مرهف ومواساة وجدانية يدفع بالداعية ذاتياً وعن رغبة التَّخفيف ومواساة المدعوین<sup>(4)</sup>.

### 5- رحمته بالضعفاء

كان النَّبي ﷺ يتميز بأرقِّ المشاعر وأكبر درجات الشفقة تجاه الضعفاء الذين يعيشون حالات ضعف، لأنَّ الضَّعف لوناً من ألوان الألم في النَّفس، والنَّبي ﷺ كان رحيماً بالنَّاس في كلِّ أحوالهم، وفي حالة ضعفهم أشدَّ رحمةً بهم، لذلك فقد علَّم أصحابه وأُمَّته من بعده الاستعاذة من جميع صور الضَّعف فقال: «اللَّهمَّ إِنِّي أعوذ بك من غلبة الدِّین، وغلبة العدوِّ، وشماتة الأعداء»<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّيِّد، باب الأمر بإحسان الذَّبْح، رقم الحديث 57، ج3، ص 1548.

(2) - أخرجه أبو داود في السُّنن، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو، ج3، رقم الحديث 1622، ص 55، وصحَّحه الألباني في السُّلسلة الصَّحيحة، رقم الحديث 52، ص 291.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أحد جبل يُحِبُّنا ونُحِبُّه، رقم الحديث 4083، ص 1002.

(4) - يوسف خاطر حسن الصُّوري، أساليب الرُّسول ﷺ في الدَّعوة والتَّربية، المرجع السَّابق، ص 15.

(5) - أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، الإستعاذة من غلبة الدِّین، رقم الحديث 5475 (عمان: بيت الأفكار الدولية، د، ط د، ت)، ص 556، وقال النسائي: هذا حديثٌ صحيحٌ، وذكر حكم الألباني: حديثٌ صحيحٌ، وأخرجه الطَّبْراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، رقم الحديث 11882 (القاهرة: مكتبة بُنِّي تيمية، ط2، ج11، د، ت)، ص 323. وذكر حكم الألباني: حديثٌ صحيحٌ.

## 6- رحمته بكبار السنّ

كان النَّبي ﷺ يعظّم قيمة كبير السنّ حتّى أنّه يقدّمه على حامل القرآن والحاكم العادل مع عظم قدرهما وسموّ مكانتهما<sup>(1)</sup>، فجاء شيخ ذات يوم يريد النَّبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسّعوا له، فرقّ له رسول الله ﷺ ورحمه وقال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا»<sup>(2)</sup>.

وما أروع ما قاله للصّدّيق أبي بكر ﷺ يوم فتح مكة حين أُتيّ بأبي قحافة وكان شيخاً مسنّاً ليُسلم بين يدي رسول الله ﷺ في البيت الحرام فقال ﷺ: «هلاًّ تركت الشيخ في بيته حتّى أكون أنا آتية فيه، قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قال: فأجلسه بين يديه، ثمّ مسح صدره، ثمّ قال له: أسلم، فأسلم...»<sup>(3)</sup>.

وعليه كانت حكمة النَّبي ﷺ في أن يعطي كلّ مقامٍ وكلّ صنفٍ حقّه من الرّحمة، فكان بالمؤمنين رحيماً، وبمن يرجو إسلامهم صبوراً حليماً، ويغلظ على الكفّار ممّن انتهكوا حرّماته وظلّوا عن كفرهم وغيّهم.

فكانت رحمته سامخة ترسم للدّاعية الأسلوب العاطفي الأمثل في كسب قلوب النّاس

وذلك من خلال ما يلي:

- الدّاعية إلى الله إذا كان يحمل فكرةً دعوية ليحثّ النّاس عليها، فإنّه بحاجة إلى الأسلوب الأمثل الذي يقدّم من خلاله هذه الفكرة، وإلاّ فإنّه يجذّ نفسه عاجزاً عن إدارتها وتبليغها، حتّى وإن توقّرت لديه جميع الملكات العلميّة والثّقافيّة والفكرية التي بها تكتمل شخصية الدّاعية، وهذا النوع من الأسلوب من توقّرت فيه معاني الرّحمة وما يرافقها من عنصر الإثارة والتّشويق.

(1) - راغب الحنفي السّرجاني، الرّحمة في حياة النَّبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 80.

(2) - أخرجه التّرمذي في سننه، كتاب البرّ والصّلة، باب ما جاء في رحمة الصّبيان، رقم الحديث 1919، وأخرجه أحمد في مسنده، برقم الحديث 6733، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ عبد الرّحمان بن أبي الزناد، ولو أنّه ضعف في رواية البغداديين عنه، وتوبع من رواية المدنيين عنه، وهي صحيحة فيما ذكر ابن المديني كما في شرح علل التّرمذي لابن رجب 605/2، 606. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل الكبير، رقم الحديث 358، ص 79، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وفي صحيح الجامع للألباني، رقم الحديث 5445 (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، مج1، 1408هـ/1988م)، ص 957. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ.

(3) - أبو محمّد عبد الملك المعافري بن هشام، السّيرة النبوية لابن هشام، إسلام أبي قحافة (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، ج2، 2009م)، ص 31.

- فالرحمة المطلوبة ليست تمثيلاً بل هي ممارسة تترجمها الجوارح وعملاً يكمن في القلب من رحمة وحرص لإيصال الخير للمدعوين، مُجَنِّباً إِيَّاهُم التَّشْهِيرَ والتَّعْيِيرَ والتَّنْذِيرَ، يذكر المحاسن، ويتمنى أن تزيد، ويدكر الخطأ ويتمنى زواله<sup>(1)</sup>.
- لكسب قلوب الناس والتأثير فيهم يجب تحقيق طمأنينة القلب، بما يفرشه الداعية من أفرشة المودة وبما يغطي مدعويه بأجنحة المحبة، وهذا هو الانسجام الحقيقي، أمّا عدمه يُلْحِق بالدعوة الثُّقُورَ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مَنْقَرِينَ»<sup>(2)</sup>.
- حاجة الدعوة إلى دعاة يعيشون متفاعلين مع قضايا الناس بأسلوب من الرحمة، كعامله الأب الشفيع الرحيم لأبنائه، بل يؤثرهم على نفسه أحياناً.

### المطلب الثالث: أشكال إثارة منابع الرأفة والرحمة

تعددت أشكال إثارة منابع الرأفة والرحمة بالمدعوين عند النبي ﷺ بأساليب وأشكال متنوعة هي كالآتي:

#### أولاً: القول اللين

بعد استعراض نماذج سابقة لأسلوب القول اللين في دعوات الأنبياء عليهم السلام من خلال القرآن الكريم سأسلط الضوء في هذه الجزئية على هذا النوع من الأسلوب في دعوة النبي ﷺ بشيء من التخصيص والوصف، وقبل ذلك سأبتدئ بتقديم المفهوم اللغوي والإصطلاحي.

#### أ- مفهوم القول اللين

قبل التعريف بالقول اللين ككلمة مركبة، يجدر بنا التعريف بألفاظه على حدّ: القول، واللين، بشيء من التفصيل حتى يتضح المعنى أكثر وهو كالآتي :

#### - مفهوم القول

- يعرفه الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني بالقول: (القول هو كلُّ لفظ مُفْهِمٍ نطق به الإنسان، ويقابله الصمت والسكوت)<sup>(3)</sup>.

(1) - بسام العموش، فقه الدعوة، المرجع السابق، ص 42.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب من شكّا إمامه ذا طول، رقم الحديث 704، ص

(3) - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، المرجع السابق، ص 311.

• وفي تعريفٍ آخرٍ له: (القول هو الكلمة التي تصل إلى المدعو، فإن كانت من القلب دخلت إلى القلب، وإن كانت باللسان لم تتجاوز الآذان، وهي السَّبب الذي يربط بين الدَّاعية والمدعويين، فإن كان السَّبب واهياً كانت الاستجابة أوهى وأخلق)<sup>(1)</sup>.

والقول هو الأصل في تبليغ الدَّعوة إلى الله، وهو الوسيلة الأصلية في إيصال الحقِّ للنَّاس، وهي من أبسط الوسائل استعمالاً وأسهلها تناولاً، وأسرعها استجابة، وأكثرها انتشاراً وأعظمها نفعا<sup>(2)</sup>. استخدمه الأنبياء عليهم السَّلام جميعاً فما من نبيٍّ إلا وقد قال لقومه شيئاً وبَيَّن لهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4].

ولكني يؤدِّي القول وظيفته الدَّعوية لا بدَّ للدَّاعية الالتزام بالضوابط الشرعية له وهي كالآتي: ✓ أن يكون هذا القول مشروعاً صادقاً يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: 116].

✓ وأن يكون لطيفاً حسناً يقول تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ [طه: 44]. ✓ وأن يطابق قوله عمله يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) [البقرة: 8-9].

✓ وأن يكون هذا القول بيِّناً واضحاً يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]. وإلى غيرها من مظاهر الحكمة في القول وآداب البيان والموعظة الحسنة<sup>(3)</sup>.

وبناءً على ما سبق فإنَّ القول يأتي بأشكالٍ عديدةٍ وهي كثيرة منها: الحديث الفردي، والجماعي، والقراءة، والمواظ، والدُّروس، والمحاضرات والخطب...<sup>(4)</sup>.

(1) - محمد الصَّالح وقيع الله، ثقافة الدَّاعية وأثرها في الدَّعوة، بحث مقلَّم لنيل درجة الماجستير في الدِّراسات الإسلامية، جامعة الرِّباط، كَلِّة الدِّراسات العليا والبحث العلمي، 2015م، ص 43.

(2) - يوسف القرضاوي، تعامل الدَّاعية مع المستجدَّات الفقهية، المرجع السَّابق، ص 66، ويُنظر: عبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 447.

(3) يُنظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص-ص 315، 316.

(4) - المرجع نفسه ص 311، ومحمد بن سامي ميناوي، بحث أساليب الدَّعوة ووسائلها، جامعة أمِّ القرى، كَلِّة الدَّعوة وأصول الدين، قسم الدَّعوة والثَّقافة الإسلامية، ص 71.



وهذا يُبرِّزُ لنا أهمَّيته في الدَّعوة إلى الله والتي كانت مِنْ عِدَّة أَوْجِهٍ نذكر منها :

- ✓ مِنْ حيث أَنَّهُ وسيلة فطريَّة متوفِّرة لدى جميع النَّاس، إلَّا مَنْ شَدَّ مِنْهُ بسبب خَرَسٍ أو نحوه.
- ✓ إهتمام القرآن الكريم والسَّنة المطهَّرة بها، فقد وَرَدَ لفظ «قُلْ» في أَكْثَرِ مِنْ ألفي آية، وكثرة أقوال النَّبي ﷺ التي جمعت في كتب السَّنة والتي تمثِّل السَّنة القولية الشَّريفة.
- ✓ إِستخدامه جميع الأنبياء والرُّسل عليهم السَّلام، فما من نبيٍّ إلَّا وقد قال قولاً لقومه،<sup>(1)</sup> يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4] وقال عَنْ بعضِ الرُّسل: ﴿قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [هود: 84].

#### - مفهوم اللَّين

✓ لغة

- يَعْرِفُه العَلَّامة ابنُ فارس بالقول: (مصدر القول لَانَ يَلِينُ، وهو مأخوذ من مادة (ل ي ن) خلاف الخشونة، يقال: هو في لِيَانٍ من عيشه، أي: في نِعْمَةٍ، وفلان مَلِينَةٌ أي لين الجانب)<sup>(2)</sup>.
- وَيُعْرِفُه العَلَّامة الرَّازي في "الصَّحاح": (اللِّينُ ضِدُّ الخَشُونَةِ وَقَدْ (لَانَ) الشَّيْءُ يَلِينُ لِينًا وَشَيْءٌ لَيِّنٌ وَلَيِّنٌ مُخَفَّفٌ مِنْهُ وَلَيِّنَ الشَّيْءَ تَلَيَّنًا وَأَلَيَّنَهُ صَيَّرَهُ لَيِّنًا، وَيُقَالُ: أَلَانُهُ أَيُّضًا عَلَى النُّقْصَانِ وَالتَّعَامِ مِثْلُ أَطَالَهُ وَأَطْوَلَهُ. وَلَايِنُهُ مُلَايِنَةٌ وَلِيَانًا وَاسْتَلَانُهُ عَدَّهُ لَيِّنًا وَتَلَيَّنَ لَهُ تَمَلَّقَ، واللِّين: من الملاينة واللُّطف، وهو الاسم من اللَّيِّن، وإستلان الشَّيْءِ عَدَّهُ لَيِّنًا)<sup>(3)</sup>.
- ويعْرِفُه العَلَّامة ابنُ منظور بالقول: (اللِّينُ ضِدُّ الخَشُونَةِ، يُقَالُ: فلان مَلِينَةٌ: أي: لَيِّن الجانب)<sup>(4)</sup>.

#### - إصطلاحًا

عرَّفَ العديد من العلماء والمفسِّرين اللَّين بتعاريف مختلفة نذكر منهم:

- انطلاقًا مِنْ الآية الكريمة التي يتجلَّى فيها معنى اللَّين يقول تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ﴾ [آل عمران: 159] فقد عَمِدَ العديد من المفسِّرين في إيضاح معنى اللَّين فجاء في قول بعضهم كالآتي :
- يقول الإمام البغوي رحمه الله: (لَنْتَ لَهُمْ: أي: سَهَّلْتَ لَهُمْ أَخْلَاقَكَ وكثرة إِحتمالك)<sup>(5)</sup>.

(1) - يُنْظَر: مُحَمَّد بُنِ سامي منياوي، بحث أساليب الدَّعوة ووسائلها، المرجع السَّابق، ص 71.

(2) - ابنُ فارس، مقاييس اللُّغة، ج5، المصدر السَّابق، ص 225.

(3) - أبو بكر الرَّازي، مختار الصَّحاح، مادة لين (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، ج1، 1420هـ/1999م)، ص 288.

(4) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة لين، ج13، المصدر السَّابق، ص 394.

(5) - البغوي، تفسير البغوي معالم التَّنزيل للبغوي (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2002م)، ص 253.

- وقال الإمام الرّازي رحمه الله: (لِينَهُ مع القوم: عبارة عن حسن خلقه مع القوم)<sup>(1)</sup>.
- ويقول الشيخ العلامة ابنُ السّدي رحمه الله: (...أَلَنْتَ لَهُم جَانِبَكَ وَخَفَضْتَ لَهُم جَنَاحَكَ، وَتَرَقَّقْتَ لَهُمْ، وَحَسَّنْتَ لَهُمْ خَلْقَكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ وَأَحْبَبُوكَ، ... وَعَلَى الضَّدِّ مِنْهَا فِي الْآيَةِ اللَّفْظُ الْغَلِيظُ: أَيُّ: قَاسِيهِ)<sup>(2)</sup>.
- وفي تعريفٍ آخَرٍ: (اللِّينُ بمعنى المداراة وهو ملاينة النَّاسِ وحسن صحبتهم)<sup>(3)</sup>، وهو سهولة الانقياد للحقِّ، والتَّلَطُّفُ في معاملة النَّاسِ ومُحَادَثَتِهِمْ)<sup>(4)</sup>.
- ويعرّفه العلامة الشيخ محمّد الطّاهر بنُ عاشور في تفسيره فيقول: (اللِّينُ حَقِيقَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ، وَهُوَ رُطُوبَةٌ مَلَمَسِ الْجِسْمِ وَسُهُولَةٌ لِيَّهِ، وَضِدُّ اللَّيْنِ الْحُسُونَةُ، وَيُسْتَعَارُ اللَّيْنُ لِسُهُولَةِ الْمُعَامَلَةِ وَالصَّفْحِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ : عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا ... فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ. وَاللِّينُ مِنْ شِعَارِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ)<sup>(5)</sup>.
- وبناءً على التعريفات السابقة تبين لنا أَنَّ اللَّيْنَ ينطبق على الجانب القولي والعملية، أي الأخلاقي والسلوكي فظهر بمعنى: المداراة، وخفض الجناح، والترقُّق، وحسن الخلق، والتلطُّف، والصَّفْح وحسن المعاملة، والقول اللَّيْن.
- وأما مفهوم القول اللَّيْن ككلمة مركّبة - وقد سبقَ التعريفُ بألفاظه - كالآتي :
- ✓ هو القول المتَّسم بالرّفق والذي يتجنّب فيه صاحبه الغلظة والفضاضة وقسوة العبارة ولاسيما في مواجهة العامّة مِنَ النَّاسِ أو عِلْيَةِ الْقَوْمِ وذوي المكانة، فلا يحقرهم ولا يسفّه من شأنهم، وبهذا الأسلوب يمتلك زمام قلوبهم ويضع فيهم ما يريد من أراء وأفكار<sup>(6)</sup>.

(1) - الرّازي، تفسير الفخر الرّازي المسمّى بالتفسير الكبير (دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ج9، د، ت)، ص 63.

(2) - ابنُ السّدي، تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المّان، ج 1، ص 444.

(3) - ابنُ منظور، لسان العرب، ج 14، المصدر السّابق، ص 255.

(4) - إبراهيم بن علي السّلمي، الرّفق واللّين وأثرهما في توجيه النَّاسِ (مكتبة الملك فهم أثناء النّشر، ط1، 1433هـ/2012م)، ص 9.

(5) - محمّد الطّاهر بنُ عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، المرجع السّابق، ص 225.

(6) - عوده عبد عوده عبد الله، الكلمة الطيّبة وأثرها في الدّعوة إلى الله، من منظور قرآني، نشر في مجلّة معهد الإمام الشّاطبي للدراسات القرآنية، 2014م، ص 23.

✓ وفي تعريفٍ آخرٍ له: (هو التَّلَطُّفُ في الحديثِ مع النَّاسِ وأكثر ما يكون ذلك مرغوبًا في مجال الدَّعوة إلى الله)<sup>(1)</sup> والتَّلَطُّفُ بالمدعو هو إظهار البشاشة له ومراعاته دون إخفاء، أو تحسين لباطل، أو تغيير لحقيقة<sup>(2)</sup>.

✓ ولين القول بمعنى المداراة والتي هي لين الكلمة وترك الإغلاظ في القول يقول تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ﴾ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ [طه: 44] فقد أوصى الله نبيّه موسى وأخاه هارون عليهما السَّلام باللَّين والمداراة يقول البغوي رحمه الله: (بمعنى دارياه وإرفقا به، ثم ذكر قول ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تعنفا في قولكما، ثم قال: وقيل: أمر باللطافة في القول لما له من حقِّ التَّربية)<sup>(3)</sup>.

وقال ابنُ السَّعدي رحمه الله: (أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللَّفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فضاضة في الأفعال لعلَّه بسبب القول اللين يتذكَّر)<sup>(4)</sup>. وقال الإمام الشَّيوطي رحمه الله: (فيه الحثُّ على اللَّين في القول والمداراة)<sup>(5)</sup>.

✓ وفي تعريف آخر له: (هو الكلام الدَّال على معاني التَّرجيب والعرض وإستدعاء الإمثال بأن يظهر المتكلِّم للمخاطب أنَّه له من سداد الرأْي ما يتقبَّل به الحق ويميِّز به بين الحقِّ والباطل، مع تجنُّب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيليه، فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشَّيء اللين)<sup>(6)</sup>.

وعليه فقد تبَيَّن لي مِنْ خلال المفاهيم السَّابقة أنَّ مصطلح القول اللَّين يدور في فلكِ المداراة، والتَّرجيب، والرَّفق، والتَّلَطُّف، وإظهار البشاشة، وترك الإغلاظ.

### ب- أهميَّة القول اللَّين في الدَّعوة إلى الله

في سياق الحديث عن القول اللَّين جاء القرآن الكريم بدلائل كثيرة تدلي بمكانته وأهميَّته في الدَّعوة إلى الله عمومًا والأنبياء عليهم السَّلام على وجه الخصوص، منها ما جاء على لسان نبيِّ الله

(1) - إبراهيم بنُ علي السَّلمي، الرَّفق واللَّين وأثرهما في توجيه النَّاس، المرجع السَّابق، ص 15.

(2) - أنس سليم الأحدي، المرونة (الرَّياض: مؤسَّسة الأُمَّة للنَّشر والتَّوزيع، د، ط، د، ت)، ص 4.

(3) - أبو محمَّد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي معالم التَّنزيل للبغوي، المرجع السَّابق، ص 819.

(4) - ابنُ السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان في تفسير كلام المَثَّان، ج 5، المرجع السَّابق، ص 159.

(5) - الشَّيوطي، الإكليل في إستنباط التَّنزيل، تحقيق: سيف الدِّين عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط 1410هـ)،

ص 74.

(6) - محمَّد أحمد مصلح الوكيل، مقال حول القول الحسن في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية، مجلَّة جامعة النَّاصر، العدد

7، 2016م، ص 328.

إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه، فوضّحت ما كانت تنطوي عليه كلماته من أدبٍ ورقّةٍ برغم شركه وعناده، ومن خلال الأمر الربانيّ لنبيّ الله موسى عليه السلام حين أمره بالقول اللّين، وهذا دلالة على عِظَم أثره في الدّعوة إلى الله عمومًا وفي حياة الدّاعية على وجه التّحديد، فعده الإسلام من الأخلاق التي تضع الأمور في نصابها، يصحّح الخطأ، ويقوّم السلوك، ويهدي إلى الفضيلة بالطف عبارة وأحسن إشارة وبطريقة مؤثّرة، وقد أمر الله تعالى عباده إلى حسن الموعظة في الدّعوة إلى الله باستخدام القول اللّين فقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣﴾ [الإسراء: 53] فيأتي الغرض منه عرض الدعوة وإسداء التّصيحة بأسلوب جميلٍ ولطيفٍ وبألفاظٍ وعباراتٍ مؤثّرة تفتح القلوب وتشرح الصّدور وتحمل الآخرين إلى الاستماع وحصول الاستجابة، ولا يتحقّق ذلك طبعًا إلّا بأسلوب اللّين سواء في القول أو المعاملة الحسنة أو الخلق الرفيع.

والتعامل باللّين يسهّل إدارة الدعوة ومع النّاس، والنّاس بفطرتهم ينصرفون عن من كان جافًا أو قاسيًا مهمّا علا شأنه وتعلت قيمته، ويميلون إلى من يرفق بهم ويلين لهم القول، ولهذا بعث الله الأنبياء وأمرهم بالقول اللّين مظنّة التّأثير، فتوجيه موسى عليه السلام لمخاطبة فرعون بالقول اللّين دعوة إلى الأخذ بالأسلوب اللّين في الدعوة إلى الله وتنبية للدّاعية إلى تسلّحه بهذا القول لأثره المذهل في النفوس، ولأنّ في اللّين والرّفق قوّة عاطفية تدفع إلى التّأثير وزيادة الألفة بين الداعية والمدعو، فإنّه من الصّورى مخاطبة النّاس بأجمل الكلمات وألطف العبارات التي هي سمة المؤمنين الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحجّ: 24] يقول طلحة بن عُمَر رضي الله عنه: «قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجلٌ فيّ حدّة، فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل! يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83] فدخل في هذه الآية اليهود والنّصارى، فكيف بالحنيفي؟»<sup>(1)</sup>.

والدّاعية أثناء دعوته يجعل كلامه في ميزان الصّواب فإذا أحكم قوله وسدّد لفظه فقد أوتي من الحكمة بابًا عظيمًا يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨﴾ [النساء: 8] ويقول أيضًا: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ٢٨﴾ [الإسراء: 28] وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وآخر (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط 2، ج 2، 1384هـ/1964م)، ص 16.

أشارت الأدلة إلى مبدأ مهم في التعامل مع المدعو وأثرها في تكوين العلاقات معه، بحيث تكون بالكلمة الطيبة والقول الحسن والأسلوب الجميل، لأنَّ القول الحسن يفتح القلب وينعش الرُّوح ويقوِّي الروابط بين الدَّاعية والمدعو<sup>(1)</sup>، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (وقال أبو العالية: قُولُوا لَهُمُ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ، وَجَارُواهُمْ بِأَحْسَنِ مَا تُحِبُّونَ أَنْ تُجَازُوا بِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ حِضٌّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ قَوْلٌ لِلنَّاسِ لَيْتًا وَوَجْهٌ مُنْبَسِّطًا طَلْقًا مَعَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالسُّبِّيِّ وَالْمُبْتَدِعِ، مِنْ غَيْرِ مُدَاهَنَةٍ، وَمَنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِي مَذْهَبَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى وَهَارُونَ: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا)<sup>(2)</sup>.

### ج- مواقف القول اللين في دعوة النَّبي ﷺ

أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة العطرة إلى ما أثمره القول اللين من نجاح في دعوة النَّبي ﷺ، فلم يكن ﷺ فظاً غليظ القول، بل كان رفيقاً حليماً، وقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في حسن الكلام ولين القول ومن ذلك :

توجيهه ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها حين دخل رهط من اليهود إلى النَّبي ﷺ فقال لها: «يا عائشة لا تكوني فحاشة فإنَّ الفحش لو كان رجلاً لكان رجل سوء»<sup>(3)</sup> في هذا المعنى يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (هو حِضٌّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَيَنْبَغِي عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ لِلنَّاسِ لَيْتًا وَوَجْهٌ مُنْبَسِّطًا طَلْقًا مَعَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ وَالسُّبِّيِّ وَالْمُبْتَدِعِ مِنْ غَيْرِ مُدَاهَنَةٍ وَمَنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِي مَذْهَبَهُ)<sup>(4)</sup>.

تعجب السيدة عائشة ﷺ من موقف رسول ﷺ حين استأذن رجل بالدُّخُولِ عَلَى النَّبي ﷺ فنعتته بقوله: «بئس أخو العشيرة» «فلما دخل أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ»<sup>(5)</sup> يقول العلامة ابن بطال رحمة الله: (الرَّجُلُ هُوَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ وَكَانَ يَقَالُ لَهُ: الْأَحْمَقُ الْمَطَاعُ)<sup>(6)</sup>.

(1) - عودة عبد عودة عبد الله، الكلمة الطيبة وأثرها في الدَّعوة إلى الله، المرجع السابق، ص 14.

(2) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، ج 2، 1427هـ/2006م)، ص 16.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب التَّهْيِي عَنْ إِبْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ، رقم الحديث 2165، ص 1705.

(4) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ص 16.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب المداراة مع النَّاسِ، رقم الحديث 6131، ص 1531.

(6) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النَّبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم الحديث 6031 (المكتبة السلفية، د، ط، ج 10، د، ت)، ص 453.

كان هدفُ النَّبي ﷺ من مداراته لما جُبل عليه من حسن الشَّيم وحسن الخلق بهدف إِتِّقاء شرِّه وفحشه وما عرف عنه من الحمق وسوء الطَّباع، فأظهر له البشاشة والترحيب ولم يجابهه بمكروه، يذكر الإمام الخطابي رحمه الله في هذا الأسلوب: (لم يجابهه بالمكروه لتقتدي به أمته في إِتِّقاء شرِّ من هذه سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شرِّه وغائلته)<sup>(1)</sup>.

ويومَ كانَ رسول الله ﷺ بالموسمِ بمَيَّ يعرض نفسه على القبائل، فجاء إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتَّى أَنه قال: «يا بني عبد الله، إِنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أحسنَ إِسمَ أبيكم»<sup>(2)</sup>.

كان رسول الله ﷺ سهلاً سَمَحاً لَيِّناً، دائم البشر، يواجه النَّاسَ بِإِتِّسامة، ويبادرهم بالسَّلام والتَّحية والمصافحة وحسن المحادثة، فعلم أصحابه وأمته أدب التَّخاطب وعِفَّة اللِّسان فقال ﷺ: «ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا اللَّعَّان ولا الفاحش ولا البذيء»<sup>(3)</sup>.

وكان ﷺ يحاور المخالفين بلين الجانب والهدوء التَّام، فهذا عتبة بنُ ربيعة والذي كان سيِّداً من سادات قومه، طلب من قومه أن يكلم رسول الله ﷺ ويعرض عليه أموراً فأذنوا له، فجاء النَّبي ﷺ حتَّى جلس، وبدأ بالحديث مع النَّبي ﷺ فقال: «قل يا أبا الوليد، والتفتَ إليه بهدوءٍ تام، حتَّى انتهى من كلامه ثم قال: أَقد فرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم»<sup>(4)</sup>.

فهذه أخلاق النَّبي ﷺ مع خصومه وأعدائه، ومنه يتعلَّم الداعية كيفية مواجهة الخصم بهدوء تام وتحكُّم في المشاعر والأحاسيس، وقسمات الوجه وتعبيراته، وعدم الانفعال والغضب، وكيفية محاورته بهدوء، والاستماع إليه بإنصات حتَّى إذا انتهى من كلامه يبدأ بتوضيح فكرته<sup>(5)</sup>.

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النَّبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم الحديث 3132، ص 453.

(2) - ابن هشام، السِّيرة النَّبَوِيَّة (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1410هـ/1990م)، ص 72.

(3) - أخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في اللَّعنة، رقم الحديث 1977، ج3، ص 418. وأخرجه ابنُ حبان في صحيحه، كتاب البرِّ والإحسان، باب ذُكِرَ نَفْيُ اسمِ الْإِيمَانِ عَمَّنْ أَتَى بِبَعْضِ الْخِصَالِ الَّتِي تَنْقُصُ بِإِثْبَانِهِ إِيمَانَهُ، ج1، رقم الحديث 192، ص 421، وقال التَّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وجوَّد إسناده الذهبي في المذهب، ج8، ص 4200، وصحَّح إسناده العراقي في تخريج الإحياء ص 1010. وصحَّح الحديث الألباني في صحيح التَّرمذي 1977.

(4) - يُنظَر: صفي الرَّحمان المباركفوري، الرَّحيق المختوم (قطر: وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلامية، د، ط، 1428هـ/2007م)، ص 107.

(5) - محمد أحمد مصلح الوعيل، مقال حول القول الحسن في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية، المرجع السَّابق، ص 339.

فالقول اللين أحد عوامل الجذب لدخول الناس في الإسلام، والناس بفطرتهم يميلون للعنف وأصحابه، ويألفون الرقة وأهلها، وجانب اللين تجاههم أمر رباني وخلق سامي من أخلاق النبوة وهو ضروري في الدعوة إلى الله تعالى للأثر البالغ في كسب محبة الناس وودهم، وعامل لخروج الأمة من الأزمات التي تعاني منها سواء في حقل الدعوة أو في سائر العلاقات بين الناس، وقد طبق النبي ﷺ هذا الجانب في مواقف عديدة من حياته وفي دعوته، فاتخذ منهجاً إنسانياً في أقواله وفي كل الأحوال والظروف، فقدم الطريقة المثلى في التعامل مع الناس، كان إذا أغلظ بعضهم القول معه كان يدفع بالتي هي أحسن وكان يحسن من أساء إليه، وهذا أحد مقومات الداعية الناجح لأثرها العظيم في قبول الدعوة، والتغاف الناس حولهم وتصديقهم والتلقي منهم.

#### د- الاستفادة من القول اللين في دعوة النبي ﷺ

من خلال ما تم عرضه بخصوص القول اللين في دعوة النبي ﷺ تبين مدى حاجة الداعية وتمسكه بهذا الأسلوب لضمان التقدم والنجاح في دعوته من خلال ما يلي :

— إن طول الزمن قد يُخفف من رقة الشعور، وتطول الأيام قد ينسي بعض القيم، وتقادم العهد قد يغير المشاعر القلبية، ما لم يتعهد المرء نفسه، ويجلو قلبه، ليبقى حاضر الفكر، واعى القلب، يقظ الإحساس، ولأن اللين ظاهرة سلوكية تنبع عن قلب لين، فقد عاتب الصحابة بعد هجرتهم إلى المدينة وجدوا راحة البال وطيب العيش، إذ كونهم وجدوا في الهجرة ملاذاً من أذى قريش فأنزل الله على نبيه ﷺ آيات تعاتبهم عتاباً رقيقاً<sup>(1)</sup>: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: 16].

وحدث ابن مسعود رضي الله عنه فقال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ... إلا أربع سنين»<sup>(2)</sup> فإذا كان الصحابة الكرام قد احتاجوا إلى تلك اللفتة القلبية بعد أربع سنوات من إسلامهم، فكم تحتاج قلوبنا إلى تعهد وتركية؟.

— على الداعية أن يتلطف بالقول فيستعمل في خطابه أو كلامه ما يثير المدعو ويقنع فيه نوازع الثفور، لأنه ينساب في النفس كما ينساب الماء العذب فيحيي مواتها وتثمر ثمراتها، والقول الجافي يصدّها صدّاً، وإن القول اللين يتبعه التأمل والتفكير<sup>(3)</sup>، لذلك قال الله تعالى في فرعون: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: 44].

(1) - بتصرف: محمود محمد خزندار، هذه أخلاقنا، ج1، المرجع السابق، ص 461.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، رقم الحديث 3027.

(3) - أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج9، المرجع السابق، ص 4730.



- القول اللَّيِّن أداة من أدوات التَّبليغ والتَّأثير والدَّاعية عليه أن يوظِّفه في الخطب المنبرية والمحاضرة والدُّروس الوعظية أو في حالة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وفي كل لحظة من حياته.

- التَّلَطُّف في القول لا يعني المداينة والتَّنفاق ولا إخفاء الحقِّ أو تحسين الباطل أو الرضى به، وإنَّما هو التَّشويق للمدعو لقبول الحقِّ وإعانتته على هذا القبول وليس فيه إخفاء مرض المدعو، فإن الداعي كالطَّبيب فكما أنَّ الطَّبيب لا يخفي على المريض علته وضرورة العلاج له فكذلك الدَّاعي<sup>(1)</sup> يقول تعالى حكاية عن بعض رسله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا<sup>(١٥٠)</sup> وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ<sup>(١٥١)</sup> الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ<sup>(١٥٢)</sup>﴾ [الشُّعراء: 150-152].

- بما أنَّ لين القول هو نوع من المداراة الإيجابية، فقد إستنتجنا سابقاً أنَّ المداراة خلق فاضل يحتاجه الداعية على في حياته الشَّخصية والدَّعوية، وأنَّ المداينة خلق رديء يزري بصاحبه وينزل به إلى درك السُّقوط، فإنَّ التَّمييز بينهما ذو أهمِّية كبرى حتَّى يسلك الدَّاعية طريق المداراة وينأى بنفسه عن المداينة، ودون شكَّ فإنَّ الدَّاعية أحوج النَّاس إلى مداراة النَّاس ومدارة زمانه ومدارة مخالفه<sup>(2)</sup>.

- على الدَّاعية أن يجعل من القول اللَّيِّن سلاحه الفتَّاك في قمع العنف والغضب والتَّشدد ليحقق من خلاله تألف المسلمين وتوادهم وتراحمهم، لذلك عدَّه البعض أحد مقوِّمات الداعية النَّاجح لأثرها العظيم في قبول الدعوة، والتفاف النَّاس حوله وتصديقهم والتلقِّي منه.

### ثانياً: الرِّفق

في إطار الحديث عن الأساليب العاطفية، نجد أنَّ الرِّفق أسلوبٌ مؤثِّر وفاعل، تجسَّد أثره في الجانب الأخلاقي للنَّبي ﷺ، والذي يعدُّ من أعظم الأخلاق التي تنبع من فيض رحمته وعاطفته التي لم يمثاله فيها أحدٌ، ولأهمِّية هذا الأمر فقد أثبتَّ التَّجارب الدَّعوية للأنبياء عليهم السَّلام أنَّه كلما كان الأسلوب الدعوي متحلِّياً بالرِّفق أثمر وأنتج، وبالمقابل كلما إتصف الأسلوب بالعنف والخشونة والغلظة كان مدعاة للتَّنفير والإعراض.

وعليه أوَّد أن أشير أنَّ الرِّفق كمنهج عاطفي هو جسر موصلاً إلى القلوب بالقول والعمل وفي السلوك والمعاملة، وأنَّه سبيل إلى توثيق أواصر المحبة والوحدة والتفاهم والألفة والقضاء على الفرقة

(1) - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، المرجع السَّابق، ص 472.

(2) - آلاء بنت عبد الرَّحمان بُن رجب كنكار، أساليب الدعوة ووسائلها، مكَّة المكَرَّمة، جامعة أمِّ القرى، كُلية الدَّعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثَّقافة الإسلامية، ص 16.

والخصومة والعداوة، وقبل الحديث عن الرَّفق في دعوة النَّبي ﷺ حرَّيْ بنا التعريف به من حيث المفهوم اللُّغوي والإصطلاحي حتى يتَّضح المعنى أكثر وهو كالآتي :

#### أ - مفهوم الرَّفق

##### - لغة

- يعرفه العلامة الزبيدي بالقول: (الرَّفَق حسن الإنقياد لما يؤدي إلى الجميل وهو اللُّطْف، والرَّفَقُ لِينُ الجانب، وَلَطَافَةُ الْفِعْلِ. وصاحبه رَفِيقٌ، وَقَدْ رَفَقَ يَرْفُقُ، رَفَقًا، وَمَرْفَقًا، وَرَفَقَ فُلَانٌ فُلَانًا: إِذَا نَفَعَهُ. وكذلك: رَفَقَ بِهِ<sup>(1)</sup>).
- ويعرفه العلامة الفيروز آبادي بالقول: (لَانَ يَلِينُ وَلِيَانًا بِالْفَتْحِ، وَتَلِينُ فَهُوَ لَيِّنٌ، وَاسْتَلَانَهُ: رَأَاهُ أَوْ وَجَدَهُ لَيِّنًا، وَإِنَّهُ لَذُو مَلِينَةٍ: لَيِّنُ الْجَانِبِ، وَهَيِّنَ لَيِّنٌ، وَلَا يَنْهَ مُلَانَةً<sup>(2)</sup> وَلِيَانًا: لِأَنَّ لَهُ<sup>(2)</sup>).
- ويعرفه العلامة الرَّازي بالقول: (الرَّفَقُ ضِدُّ الْعَنْفِ، وَرَفَقَ بِهِ، يَرْفُقُ بِالضَّمِّ رَفَقًا وَرَفَقَ بِهِ أَرْفَقَهُ، وَتَرَفَّقَ بِهِ كُلُّهُ بِمَعْنَى: وَأَرْفَقَهُ أَيْضًا نَفَعَهُ<sup>(3)</sup>).

##### - إصطلاحًا

- تبين من خلال المفهوم اللُّغوي أَنَّ الرَّفق بمعنى اللِّين، وكلاهما يدلَّان على المداراة، والتي تعني الدَّفْع بالرَّفَق واللِّين<sup>(4)</sup>.
  - والرَّفَق ليس من المداهنة التي قال عنها العلامة الجرجاني: (وهي أن ترى منكراً وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلَّة مبالاة في الدين)<sup>(5)</sup>. وإنما هو من المداراة التي تعني:
- ✓ ملاينة النَّاس وحسن صحبتهم، وإحتمالهم لئلاً ينفروا عنك<sup>(6)</sup>.

(1) - يُنْظَر: المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة رفق، ج25، المصدر السابق، ص 346.

(2) - الفيروز الآبادي، القاموس المحيط، مادة لن، المصدر السابق، ص 1232.

(3) - أبو بكر الرَّازي، مختار الصَّحاح، مادة رفق، المصدر السابق، ص 173.

(4) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1415هـ/1994م)، ص 166.

(5) - الجرجاني، التَّعريفات، تحقيق: محمَّد صدِّيق المنشاوي، باب الميم (القاهرة: دار الفضيلة، د، ط، د، ت)، ص 174.

(6) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادة رفق، ج 14، المصدر السابق، ص 255.

✓ درء المفسدة والشرِّ باللِّين من القول وترك الغلظة، أو الإعراض عن صاحب الشرِّ إذا خيف شرُّه، أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له<sup>(1)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصَّلَتْ: 34] ويقول تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب مادحاً لهم: ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22] وقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله موضِّحاً المعنى فيقول: (أي: يدفعون بالإحتمال والكلام الحسن الأذى ... فهو وصف لمكارم الأخلاق، أي: من قال لهم سوءاً لا يُنَوِّه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه)<sup>(2)</sup>.

ومنه قوله ﷺ لمعاذ ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ، تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ»<sup>(3)</sup> فمن الخلق الحسن دفع المكروه والأذى، والصَّبْر على الجفاء بالإعراض عنه ولين الحديث.

وقد فَرَّقَ العلامة ابنُ بطَّال رحمه الله بين المداراة والمداينة حتَّى يزيل الالتباس في نظر البعض فقال: (المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للنَّاس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أسباب الألفة، وقال: وظن بعضهم أنَّ المداراة هي المداينة فهذا غلط، لأنَّ المداراة مندوب إليها والمداينة محرَّمة، والفرق: أنَّ المداينة من اللِّهَان وهو الذي يظهر على الشَّيء ويستتر باطنه، وفسَّرها العلماء بأنَّها معاشرة الفاسق وإظهار الرِّضى بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرِّفق بالجاهل في التَّعليم، والفاسق في التَّهْي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألُّفه ونحو ذلك)<sup>(4)</sup>.

• كما عرَّف الإمام القاري رحمه الله الرِّفق بالقول: (أصل الرِّفق ضدُّ العنف، وهو المداراة مع الرِّقَاء، ولين الجانب، واللُّطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها)<sup>(5)</sup>.

(1) - خالد حسين حمدان، بحث بصائر عقديَّة في حديث «مثل المذَّهَن في حدود الله» دراسة وصفية تحليليَّة، مجلَّة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدِّراسات الإسلامية، مج 18، 2010، صفحته في المجلَّة 136، ص 105 عند تحميله pdf.

(2) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، المصدر السَّابق، ص 298.

(3) - أخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب البرِّ والصَّلة عن رسول الله، باب ما جاء في معاشرة النَّاس، ج 3، رقم الحديث 2053، ص 239، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(4) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع النَّاس، ج 10، المرجع السَّابق، ص 528.

(5) - محمَّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب الرِّفق والحياء وحسن الخلق، بيروت: (دار الكتب العلمية، ط 1، ج 8، 1422هـ/2001م)، ص 463.

• ويعرّفه الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله بالقول: (الرَّفَق هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل والأيسر، وحسن الخلق وكثرة الاحتمال وعدم الإسراع بالغضب، والتَّعْنِيف، والشَّدَّة، والخشونة)<sup>(1)</sup>، فيتمثّل في الرَّفَق بالجاهل في التَّعليم، وبالفاسق في التَّهْي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تألّفه ونحو ذلك)<sup>(2)</sup>.

• وفي تعريف آخر له: (هو التَّدْرُج بالشَّفَقَة والرَّحمة مع جميع المخلوقات لا فرق بين إنسان وحيوان والعطف على البؤساء والضُّعفاء، ومعاملة جميع النَّاس بالرَّأفة ولين الجانب والإبتعاد عن القسوة والغلظة)<sup>(3)</sup>.

وعليه نجد أنَّ اللَّين والرَّفَق جاءا بمعنى: المداراة، وجميعها من مشكاة واحدة.

### ب- أهمّية الرَّفَق في الدَّعوة إلى الله

للرَّفَق أهمّية كبرى في نجاح الدَّعوة إلى الله تعالى، وتجلّى هذه الأهمّية أنَّ عظم شأنه القرآن الكريم وحثّ عليه، وأمر به النَّبي ﷺ وعمل به، فقد بيّنه بفعله بيّنه بقوله فقال: «الرَّفَق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانه ولا ينزع من شيءٍ إلَّا شانه»<sup>(4)</sup> إذن هو سبب لكلِّ خير، وقال ﷺ: «من يحرم الرَّفَق يحرم الخير كلّ»<sup>(5)</sup> وعن السيِّدة عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبي ﷺ قال لها: «إِنَّ مَنْ أَعْطَى حَظَّهُ مَنْ الرَّفَق فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ وَحَسَنُ الْخَلْقِ وَحَسَنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»<sup>(6)</sup>.

(1) - يُنْظَر: إِبْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، فَتَحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الرَّفَقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، ج 10، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 449، و(سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقوّمات الدَّاعية النَّاجح، المرجع السَّابِقُ، ص 167).

(2) - يُنْظَر: إِبْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، فَتَحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الْمَدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ، ج 10، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 528.

(3) - نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج، الرَّفَق وأثره في الدَّعوة إلى الله، رسالة ماجستير، المملكة العربية السُّعُودِيَّة، كَلِيَّةُ الدَّعوة وَأَصُولُ الدِّينِ، قِسْمُ الدَّعوة وَالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، 1429هـ/1430هـ، ص 58.

(4) - النَّوَوِيُّ، صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرَّفَقِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2592 (بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، ط 2، ج 16، 1392هـ)، ص 145.

(5) - الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرَّفَقِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2593، ص 145.

(6) - أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 25135، (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ج 17، 2018م)، ص 554. وَقَالَ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ، تَحْقِيقٌ: بِشَارِ عَوَادٍ مَعْرُوفٍ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّفَقِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2013 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 1، مج 1، 1996م)، ص 542. وَقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وقد دعا النَّبي ﷺ إلى الرَّفق معظَّمًا شأنه في كلِّ الأحوال، فبيّن ذلك بفعله وقوله بيّناً شافياً كافياً لكي تعمل به أمته من بعده، خاصة الدّعاة إلى الله فإنَّهم أولى الناس بالرفق في جميع تصرفاتهم وأحوالهم وعلاقاتهم، يقول السيّد قطب رحمه الله في شأن هذا الأسلوب اللَّطيف وحاجة النَّاس إليه فيقول: (فالنَّاس بحاجة إلى كنفٍ رحيمٍ وإلى رعايةٍ فائقةٍ وإلى بشاشةٍ سمحةٍ، وإلى ودٍّ يسعهم وحلمٍ لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، بحاجة إلى قلبٍ كبيرٍ يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاءٍ، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمٍّ ويجدون عنده دائماً الإهتمام والرَّعاية والعطف والسَّماحة، والودَّ والرِّضا وهكذا كان قلبُ النَّبي ﷺ)<sup>(1)</sup>.

وبالنَّظر إلى أهمِّية الرَّفق فهو سبب لكلِّ خيرٍ، لأنَّه يسهِّل من المطالب ومن الثَّواب ما لا يحصل غيره وما لا يأتي ضده<sup>(2)</sup>.

فالرفق صفة لازمة لكلِّ داعية يخالط النَّاس ويخالطونه، وهو من الأمور التي تزيّن خلق الدَّاعية وتلبسه ثوب الحكمة والوقار والتَّواضع، يوضّح ذلك الدُّكتور عبد الرحمان حبنكة الميداني في "كتابه الأخلاق" بالقول: (على أنَّ الرَّفق في الأمور، والرَّفق بالنَّاس، واللين، والتيسير، من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية، وأتَّما من صفات الكمال، وأنَّ الله تعالى من صفاته أنَّه رفيق، وأنَّه يحبُّ من عباده الرَّفق، فهو يوصيهم به ويرغبهم فيه، ويعدِّهم عليه عطاءً لا يعطيه على شيءٍ آخر، ويُفهم من النُّصوص أنَّ العنف شَيْنٌ خلقي، وأنَّه ظاهرة قبيحة، وأنَّ الله لا يحبُّه من عباده)<sup>(3)</sup>.

والرفق من أهمِّ أساليب المنهج العاطفي التي تعين الدَّاعية في دعوته فإذا لم يستطع بالعمل فبالقول اللين، ولين الجانب يصيب القلوب ويأخذ بأيديها وأحياناً يكون أثرها أبلغ من الفعل، يقول أحد السَّلف: (لا يأمر بالمعروف إلَّا مَنْ كان رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه، فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه)<sup>(4)</sup>.

(1) - سيّد قطب، في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشُّروق، ط17، ج1، 1412هـ)، ص 501.

(2) - سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح، المرجع السَّابق، ص 69.

(3) - عبد الرَّحمان حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (دمشق: دار القلم، ط5، ج2، 1420هـ/1999م)، ص 334.

(4) - ابنُ قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق: زهير الشاويش، كتاب الأمر بالمعروف، جملة، باب المحتسب (بيروت:

المكتب الإسلامي، ط9، 1461هـ/2000م)، ص 160.

### ج- معالم الرَّفق في دعوة النَّبي ﷺ

جُبل النَّبي ﷺ على هذا الأسلوب العاطفي في جميع جوانب حياته القولية منها والفعلية، ومع من لقيه من النَّاس مسلماً كان أم كافراً، فما عاقب أحداً وما قاتل أحداً، وإنما كان يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يترك الإنكار الذي يترتب عليه فتنة وشر، فما ضرب ولا قتل ولا سجن حتى مكَّنه الله من ذلك بعد الهجرة إلى المدينة، كل ذلك ما زاده إلا مهابة وعزة ورفعة بينهم، فالأعراب مثلاً: عُرفوا بقسوة القلب والجفاء والغلظة، والملوك وأسياد القوم عُرفوا بالمكانة التي يتولَّونها من السيادة والرَّعامة وغيرهم كثير، هؤلاء رأى النَّبي ﷺ طريقة استنزال كبريائهم بهذا الأسلوب اللَّين، ليتقبَّلوا بهذه الدعوة أو يتركوا المسلمين وشأنهم، وقد استطاع ﷺ برفقه أن يسوقهم إلى حضيرة الإسلام ومنازل الإيمان.

فحريٌّ بالدَّاعية أن يجعل أسلوب الرَّفق واللِّين والمدارة مع مدعويه ديدنه لأنَّه الأسلوب الأنجع إذ يُعطي الثَّقة والتَّشجيع على المبادرة، ويقضي على روح الخوف والغموض والتردد، يقول الحافظ المناوي رحمه الله: (ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرماً أن يترقَّق في إرشاده ويتلطَّف به)<sup>(1)</sup>.

ويقول العلامة ابن بطَّال رحمه الله: (المدارة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للنَّاس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة)<sup>(2)</sup>.

### - الأخذ بالتَّيسير والسَّماحة في التَّعامل

يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] كان النَّبي ﷺ قد اعتاد التَّيسير والسَّماحة في كلِّ شيء، وكان رفيقاً سهلاً لئناً، حسنَ التَّعامل، يرأف بالنَّاس ويتبغى التَّيسير عليهم ويختار الأرفق بهم، فكان من خلقه ﷺ أنَّه ما خيَّر بين أمرين قطَّ إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، وهذا ما أُخبرت به أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عنِّ حاله ﷺ فقالت: «ما خيَّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قطَّ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم منه»<sup>(3)</sup>.

(1) - أبو عبد الله حمزة النايلى، تذكير المسلمين بأهمية الرَّفق واللِّين (قطر: دار الإمام البخاري، ط1، 1435هـ/2014م)، ص 14.

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المدارة مع النَّاس، رقم الحديث 6131، ج10، المرجع السَّابق، ص 528.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمة الله، رقم الحديث 6786، ص 1680.

في الحديث إشارة إلى أحد أساليب المنهج العاطفي الذي استخدمه النَّبي ﷺ متمثِّل في الأخذ بالأسهل، والحثُّ على العفو والانتصار للدِّين، وأنَّه يستحبُّ للولاء والدعاة التخلُّق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقمون لأنفسهم ولا يهملوا حقَّ الله تعالى.

والنَّبيُّ ﷺ يعلم أنَّ الأصل في الدعوة التَّيسير وأنَّ هناك مواقف لا ينفع معها التَّيسير، وإلَّا لكان ذلك نوعاً من التَّسيب في دين الله، يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: (قوله بين أمرين: أي من أمور الدنيا يدل عليه قوله ما لم يكن إثماً، لأنَّ أمور الدِّين لا إثم فيها وقوله: «إلَّا أخذ أيسرهما» أي أسهلها وقوله: «ما لم يكن إثماً» أي ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم فإنَّه حينئذ يختار الأشد<sup>(1)</sup>).

والدَّعوة بالرِّفق واللِّين ليست هي الصُّورة الوحيدة في الدَّعوة بل هناك أحوال يُعلَى فيها عن الرِّفق فيتحوَّل الأمر إلى الغلظة والشَّدة إذا انتهكت محارم الله وانتشر الفساد في الأرض، والداعية إلى الله إذا اعتاد أن يكون سهلاً ميسراً ورفيقاً شفيقاً، وإذا لمح فيه النَّاس الميل إلى اليُسْر والسَّماحة وكان دائماً يختار الطَّرِيق الأرفق والبديل الأحسن ولو على حساب نفسه، أحبَّه النَّاس وتقرَّبوا إليه وتفاعلوا معه وشاركوه مشاعره، بل ربَّما صار العدو ولياً حميماً بسبب هذا التَّعامل<sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿وَمَنْ

أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

كما عليه أن يتصَّفَّ بعد النَّظر فيما يترتَّب عنه في استخدام أسلوب الشَّدة ومدى تحقُّق المصلحة، وهذا الذي منع فيه النَّبي ﷺ من قتل عبد الله بن أبي بن سلول رأس النِّفاق في زمنه ﷺ، فحكَّمته أنَّه كان يراعي مصلحة الدَّعوة فأعطى لكلِّ مقامٍ حقَّه في التَّعامل، فنجد به بالمؤمنين رحيماً، وبقومه رفيقاً يرجو إسلامهم ويأملُ نجاتهم.

فالمتممَّن في منهج النَّبي ﷺ يجد أنَّ تعامله مع صحابته مبنيٌّ على اليسر والسَّماحة، والشَّواهد أكثر من أن تعدُّ وتحصى، فاكْتفيت على سبيل المثال بسرد حادثة وقعت لأحد الصَّحابة رضوان الله عليهم، جاء إلى رسول الله ﷺ يريد مخرجاً لها، وهو صحابيٌّ فقير لا يملك قوت يومه، وهي تغني عن جميع ما كان يقع للصَّحابة من إحراجات يقول أبو هريرة ؓ: «بينما نحن جلوس عند النَّبي ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال

(1) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود وانتهاك الحرمات، رقم الحديث 6786 (بيروت: دار المعرفة ج12، د، ت)، ص 86.

(2) - عبد العزيز بنُ محمَّد النعيمشي، علم النَّفس الدَّعوي، المرجع السَّابق، ص 273.



رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أوتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر والعرق المكتل، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذها فتصدّق بها، فقال الرَّجل: أعلی أفقر مني يا رسول الله؟ فو الله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك»<sup>(1)</sup>.

وعليه فإنَّ الدعوة أحوَج إلى من يتَّصف بالحرص على المدعو، فيرفق به دون أن يشقَّ عليه، ويأخذ بالتيسير والسَّماحة دون التعسير، وذلك تأسيساً بدعوة النَّبي ﷺ، فقد رفع الله عن أمته الحرج وقد إمتلأت نفسه بالرحمة، فكانت تفيض بالشفقة، وكان يوصي بها أصحابه ويحثُّ عليها أمته، فكانوا أرحم النَّاس بالنَّاس وأحرص النَّاس على هداية النَّاس<sup>(2)</sup>، والنَّاس مفطورون على حبِّ الرِّفق واليسر في أمورهم كلّها، وهذا أحد مظاهر المنهج العاطفي الذي لا يخلو أمراً في حياة النَّبي ﷺ إلاّ وأقامه على الرِّفق واليسر.

وهو السرُّ في نجاح الدعوة إلى الله، والذي يقوم على الاندماج بالمدعو والتغلغل داخل نفسه وأسرها والاستحواذ على شغاف القلب ليسهل بعد ذلك كل ما يريده من مدعويه، فحريّ بأهل الدعوة عموماً أن يكونوا رفقاء في دعوتهم ليحنوا الثمرات الكثيرة التي لا يمكن تحقيقها إلاّ بالرِّفق يقول الشَّاعر:

أحسن إلى النَّاس تستعبد قلوبهم  
فطالما استعبد الإنسان إحساناً  
وإن أساء مسيء فليكن لك في  
عروض زلَّته صفح وغفران<sup>(3)</sup>.

وهكذا تتجلّى معالي أسلوب التيسير والسَّماحة، باعتبارها أهمَّ القواعد الأساسية في التعامل مع النَّاس والتأثير فيهم، وذلك لأنَّ فطرة الإنسان وطبيعته تميل إلى جانب اليسر والتَّسامح والرحمة، وقد أثبتت التجارب كلّما كان الأسلوب الدَّعوي متّسماً باليسر واللين كلّما أثمر ينفعه وكثر نفعه، وبالمقابل كلّما اتَّصف الأسلوب بالتشدد والعنف فإنَّه عين التَّنْفير.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدّق عليه فلْيُكْفَر، رقم الحديث 1936، ص 466.

(2) - محمَّد بن إبراهيم الحمد، الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، المرجع السابق، ص 48.

(3) - أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشَّافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمَّد الأرناؤوط وآخر (دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج 5، 1383هـ/1964م)، ص 295.

### - تجنَّب التشدُّد والجفاء في الدين وشرائعه

يقول النَّبي ﷺ مخبراً عن نفسه: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي مَعْنَتًا لَا مَتَعْنَتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيَّسِّرًا»<sup>(1)</sup> وذكر ﷺ أَنَّ خَاصِيَّةَ الدِّينِ قَائِمَةٌ عَلَى الْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرْجِ إِبْتِدَاءً مِنَ الْعَقِيدَةِ وَإِنْتِهَاءً بِأَصْغَرِ أُمُورِ الْأَحْكَامِ وَالْعِبَادَاتِ بِشَكْلِ يَتَوَافَقُ مَعَ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَةِ وَتَقَبَّلَهُ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ أَوْ تَعْنَتٍ<sup>(2)</sup> فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

فقاعدة اليُسْرِ في الدين من القواعد المهمة التي دعا إليها النَّبي ﷺ فقال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ...»<sup>(3)</sup>.

ويذكرُ الكحلوي عن قول النَّبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ مُشَدِّدًا عَلَى الْغَيْرِ مُلْزِمًا لَهُ مَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ وَلَا طَالِبَ لَزَّتِهِ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيَّسِّرًا»<sup>(4)</sup>.

ولم يكتفِ النَّبي ﷺ بالحديث عن التيسير بل حذَّر من التَّشَدُّدِ وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ، فقال في مجمع الحجِّ للصَّحابة رضي الله عنهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطَّلَاق، باب بيان إنَّ تخيير إمرأته لا يكون طلاقاً إلاَّ بالنيَّة، رقم الحديث 1478، ص 681.

(2) - عبد العزيز بنُ مُحَمَّد النعيمشي، علم النَّفس الدعوي، المرجع السَّابق، ص 274.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدِّين يسر، رقم الحديث 39، ص 20.

(4) - مُحَمَّد بنُ إسماعيل بنُ صلاح بنُ مُحَمَّد الحسني الكحلاني، التَّنوير شرح الجامع الصَّغِير، حرف الميم، الحديث 1770 (الرِّيَاض: مكتبة دار السَّلام، ط 1، ج 3، 1432هـ/2011م)، ص 333.

(5) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب المناسك، رقم الحديث 3029، ج 2، المصدر السَّابق، ص 1008. وأخرجه أحمد في مسنده (1/215، 347)، وأخرجه النَّسائي في السُّنن، كتاب المناسك، باب إلتقاط الحصى، رقم الحديث 4049، 4/178، وذكر حكم الألباني: هذا حديث صحيح. وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: رواه أحمد والنَّسائي وابن ماجه من حديث عوف بنُ ألي جميلة عن زيادة بن حصين عن ألي العالية عنه، وهذا إسنادٌ صحيحٌ على شرط مسلم، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 3/278، رقم الحديث 1283، وقال في تخريج السنَّة لابن ألي عاصم، 1/46: إسناده صحيح. وقد صحَّحه ابنُ خزيمة والحاكم، 1/466، والذهبي والنَّووي وابنُ تيمية.

ومن ذلك التشدد حمل الناس على ما يشق عليهم ويؤذيهم، ويكلفهم ما لا يطيقون، تروي السيدة عائشة رضي الله عنها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»<sup>(1)</sup>.

ظهرت في الأحاديث رفق النبي ﷺ ورحمته بأُمَّته فحذر من التشدد عليها وحملها ما لا تطيق، لأن التشدد لا يأتي بخير على هذه الأمة، بل ينجم عنها الإساءة والفرقة والفوضى، فدعا إلى اليسر والإعتدال الذي ينتج عنه الارتياح النفسي شعوراً بسماحة هذا الدين ويسره.

كما دعا حديث النبي ﷺ إلى أمر هام من أمور الإسلام وهو يتعلق بالولاء والحكام بأن يوفروا عند توليتهم الرفق بالرعية ومراعاة حالها وتوفير شروط الأمن والسلام لها من جميع النواحي دون الاختلاف، وهذا إن وقع أهلك الحث والنسل وأوقع بالأمة ما لا يحمد عقباه، وهذا من المهمات الكبرى التي بدت غالب المصالح لا تتم إلا بالاتفاق<sup>(2)</sup>.

لدرجة أن أوصى سفراءه الذين يرسلهم إلى الأمصار، فأوصى معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن: «يسراً ولا تعسراً وبشراً ولا تنقراً وتطوعاً ولا تختلفاً»<sup>(3)</sup> وقال ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»<sup>(4)</sup> دعا النبي ﷺ في ظاهر الأحاديث إلى التيسير بدل التشدد في ولايتهم، والبشارة بدل التنفير، والتي تأتي ثمارها وتحقق استقرار الأمة في دينها، فقد نجد بعض الدعاة ينتهجون أسلوب التخويف والوعيد لغرض الهداية، وهذا سينعكس سلباً على الدعوة ويضعفها، يقول العلامة ابن حجر رحمه الله: (هو أمر بالتيسير والمراد به الأخذ بالتسكين تارة وبالتيسير تارة أخرى، ومن جهة أن التنفير يصاحب المشقة غالباً وهو ضد التسكين والتبشير يصاحب التسكين غالباً وهو ضد التنفير)<sup>(5)</sup>.

(1) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ج12، رقم الحديث 1828، المرجع السابق، ص 212.

(2) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم الحديث 1743، ج 12، ص 41.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسرّوا ولا تعسّروا»، رقم الحديث 6124، ص 1530.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم الحديث 220، ص 65.

(5) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسرّوا ولا تعسّروا» وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، رقم الحديث 2125، ج10، المرجع السابق، ص-ص 524، 525.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله: (التَّبشِير يعلِّق بالدعوة والتَّيسير بالفتوى، وإذا وُفق العالم المسلم إلى إتِّباع هذا المنهج فقد آوى إلى ركنٍ ركين)<sup>(1)</sup>.

وعليه إستوحيت من خلال الأحاديث منهج النَّبي ﷺ في أرقِّ صوره وأعذبها، تمثَّلت في صفة جليلة إرتسمت في شخصه ﷺ وهي رحمته ورفقه بأُمَّته، فكان يسعى في مصالحها ويشقُّ عليه الأمر الذي شقَّ عليها، يحبُّ لها الخير ويكره لها الشرَّ، ويرحم بأُمَّته أكثر من رحمة الأم بولدها<sup>(2)</sup>، وهذا دعوة إلى مراعاة أسلوب التَّيسير في دعوة النَّاس وتجنُّب التَّشدد عليهم في مخاطبتهم وإقناعهم.

والدَّاعية النَّاجح لا ينبغي أن يكون ذو مشقَّة على النَّاس متشدِّداً في الأحكام والشَّرائع والمعاملات بل يجب أن يختار الأيسر والأسهل من الأقوال وأن يعملوا على التَّبشِير والترغيب لا على التَّشدد والغلو والعنف، فبقدر سعة العلم يكون أقرب للتَّيسير، وكلُّ من اتَّسع علمه اتَّسع عذره للآخرين بخلاف قليل العلم فإنَّه يضيق بالخلاف والمخالف ذرعاً، يقول الإمام ابنُ باز رحمه الله: (هذا العصر عصر الرِّفق والصَّبْر والحكمة، وليس عصر الشَّدَّة، فالنَّاس أكثرهم في جهل وفي غفلة إثَّار للدنيا فلا بدَّ من الصَّبْر، ولا بدَّ من الرِّفق حتَّى تصل الدَّعوة وحتَّى يبلغ النَّاس وحتَّى يعلموا)<sup>(3)</sup>.

فالكلام في هذا الجانب واسع والأدلة عليه كثيرة إلاَّ أنَّني سأذكر اثنين منها فيما يتعلق بإكراه التَّشديد في العبادة على سبيل المثال لا الحصر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النَّبي ﷺ يسألون عن عبادة النَّبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النَّبي ﷺ وقد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر؟ قال أحدهم: أمَّا أنا فأنا أصليَّ اللَّيل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النِّساء فلا أتزوِّج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لَكِنِّي أصوم وأفطر، وأصليَّ وأرقد، وأتزوِّج النِّساء فمن رغب عن سنَّي فليس مِنِّي»<sup>(4)</sup>.

(1) - يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة (القاهرة: دار الشُّروق، ط1، 1424هـ/2004م)، ص 60، وعبد اللطيف مصطفى أحمد الأسطل، مراعاة أحوال النَّاس في ضوء السنَّة النَّبوية، غوَّ، الجامعة الإسلامية، أصول الدِّين، قسم الحديث وعلومه، 1429هـ/2008م، ص 60.

(2) - سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري، المرجع السَّابق، ص 50.

(3) - ابنُ باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوَّعة (الرِّياض: دار القاسم للنَّشر، ط1، 1420هـ)، ص 18.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب التَّرجيب في النِّكاح، رقم الحديث 5063، ص 1292.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جبل ممدود بين السَّاريتين فقال: ما هذا الجبل؟ قالوا: هذا جبل زينب فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»<sup>(1)</sup>.

فالتيسير والرفق في الشرائع من مظاهر الرحمة بالمدعويين، والشدة والعنف من مظاهر القسوة بالمدعويين، والأصل في الدعوة إلى الله ضرورة مراعاة أحوال الناس بأن يكون يسيراً رحيماً بهم.

#### - إجتنب تحقير المدعو وتعييره

ومن الرفق إجتنب التحقير والتعيير واستخدام الألفاظ الجارحة التي تسيء للدعوة والمدعو، ومن شواهد ذلك ما روي عن الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم حينما أخطأ في الصلاة قائلاً: «فو الله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»<sup>(2)</sup>.

هذا الحديث يوضح منهج النبي ﷺ وحكمته السامية التي أوتيها في كل شيء ومع أي أحد، مما أحدثت أثراً في نفس معاوية فزادته حباً لرسول الله ﷺ، لأن النفس بطبيعتها مجبولة على حب من يحسن إليها ويصدق عليها بالشفقة، ومعاوية لم يجد من النبي ﷺ ما لاقاه من الصحابة من استنكار حين تكلم في الصلاة، فلما استدعاه لم يجد ما وجده من الصحابة بل وجد منه العطف والرحمة والخلق الحسن.

وفي موقف آخر عن صفوان بن عسال المرادي قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ناداه أعرابي بصوت له جهوري»<sup>(\*)</sup>: يا محمد، فأجابه رسول الله ﷺ نحواً من صوته: هاؤم فقلنا له: اغضض من صوتك؛ فإنك عند النبي ﷺ وقد هُيئت عن هذا. فقال: والله لا أغضض، قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره في التشديد في العبادة، رقم الحديث 1150، ص 278.

(2) - عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية (الدار العربية للكتاب، د، ط، 1993م) ص 200.

(\*) - جهوري: أي عال (مصطفى العدوي، الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرط الساعة، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ/1991م)، ص 555.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم الحديث 3536، ص 809. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وروى البخاري مثله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (بلفظ) جاء رجل كتاب الأدب، باب علامة الحب، رقم الحديث 6169، ص 1541. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم الحديث 2640، ص 2034.

وجاء أعرابي إلى النَّبي ﷺ يَتَقاضاه دَيْنًا كان عليه، فاشتدَّ عليه حتَّى قال له أحرِّجْ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي فانتَهَرَهُ أصحابُهُ وقالوا: ويحك أتدري من تُكَلِّمُ؟ قال: إني أطلبُ حَقِّي فقال النَّبي ﷺ: «هَلَّا مع صاحبِ الحقِّ كنتم ثمَّ أرسلَ إلى حوْلة بنتِ قيسٍ فقال لها إن كانَ عندك تمرٌ فأقرِّضينا حتَّى يأتينا تمرنا فنقضيكِ فقالت: نعم بأبي أنت يا رسولَ الله، قال: فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه، فقال: أوفيت أوفى الله لك، فقال: أولئك خيارُ النَّاسِ إنَّه لا قدَّست أمةٌ لا يأخذُ الضَّعيفُ فيها حقَّه غيرَ متعَتعٍ(\*)»<sup>(1)</sup>.

لقد خطَّ النَّبي ﷺ للدُّعاة منهجًا في التَّعامل مع من يقعون في الأخطاء شرعيةً أو سلوكيةً، بعدم إنتهارهم وتحقيرهم خصوصاً ممَّن يتَّسمون بالجهالة والقسوة والجفاء، مع تجنُّب احتقارهم أو السُّخرية منهم أو مقابلتهم بعنف والذي يولِّد عنه صفة سلبية للمنكر عليه. والدَّاعية مطالبٌ أن يتودَّد ويتلطَّف مع المدعوين بما يعينه على نشر دعوته يرقِّق القلوب ويلين الأفئدة ويفتح العقول لأجل دعوته، يقول الإمام النَّووي رحمه الله: (وهذا فيه بيان ما كان عليه النَّبي ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، وفيه الرِّفق بالجاهل وحسن تعليمه واللُّطف به وتقريب الصَّواب إلى فهمه)<sup>(2)</sup>.

ويذكرُ الإمام ابنُ الجوزي رحمه الله: (وهذا يعلمُّ المؤدِّبين كيف يؤدِّبون فإنَّ اللُّطف بالجاهل قبل التعليم أنفع له من التعنُّف، ثمَّ لا وجه للتعنُّف لمن لا يعلم إنما يعنف من خالف مع العلم)<sup>(3)</sup>.

#### د- مواقف من رفق النَّبي ﷺ

لقد كانت حياة النَّبي ﷺ مجموعة إبتلاءات وتحديات ومواقف خاض في غمارها تجرَّع مرارتها منذ بعثته إلى وفاته، كانت بدايتها أن أُوذي من أهل مكَّة أشدَّ الإيذاء، ضربوه وعدَّبوهم ورموه بالقاذورات أثناء صلاته وهو صابر محتسب، وبرغم ذلك كان رحيماً رفيقاً تجاه كل من تصدَّى له وسأومه، كيف لا وهو الذي اصطفاه الله وأثنى على خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ ۝٤﴾ [القلم: 4].

(\*) - غير متعنتع: أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه (سنن بن ماجه، كتاب الصَّدقات، باب لصاحب الحقِّ سلطان، برقم 2، ص810).

(1) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب الصَّدقات، باب لصاحب الحقِّ سلطان، رقم الحديث 2426، ج2، المصدر السَّابق، ص 810. وصحَّحه الألباني في صحيح بن ماجه، 55/2.

(2) - النَّووي، شرح النَّووي على صحيح مسلم، كتاب الصَّلَاة، باب تحريم الكلام في الصَّلَاة ونسخ ما كان من إباحته، ج5، المرجع السَّابق، ص20.

(3) - أبو عبد الله حمزة النابلي، تذكير المسلمين بأهمية الرِّفق واللِّين، المرجع السَّابق، ص 16.

فكان سهلاً لِيُنَّا قريباً من النَّاس مجيئاً لدعوة كلِّ من دعاه، قاضياً لحاجة من إستقضاه، جابراً لقلب من سألَه فلا يردُّه خائباً، فإذا عزم على أمر لم يستبدَّ به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، وكان لا يعبس في وجه من جالسه، ولا يغلظ عليه في مقاله ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه ولا يؤاخذ بما يصدر منه من جفوة بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان ويحتمله غاية الاحتمال<sup>(1)</sup>.

فكان يتعامل مع من دعاه وواجهه برحابة صدر وبشاشة وجه وإشراقة محياه، وطيب نفس، وحسن منطق، وعطف وحنان ورأفة لا يمكن أن يحملها إنسان غيره<sup>(2)</sup>، يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في النَّبي ﷺ مرتجراً :

ولو حفظوا سبيلك كان نورا      وكان من النَّحوس لهم حجابا  
بنيت لهم من الأخلاق ركنا      فخانوا الرُّكن فأنهزم إضطرابا<sup>(3)</sup>  
وقال رحمه الله :

لقبتموه أمين القوم في صغر      وما الأمين على قول بمتهم  
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم      بالخلق والخلق من حسن ومن عظم<sup>(4)</sup>.  
فأضحى الرَّفق من أعظم ما تميَّز به النَّبي ﷺ واتَّصف به فشمله في كلِّ شيء ومع أيِّ شخص، ولعظم شأنه ومكانته في دعوته ﷺ فإنَّ له مردود طيب وثرى التمسسته في مواقف كثيرة من سيرته نذكر منها :

#### – رفقهُ بأهل مكَّة – أهل عشيرته –

منَ المواقف التي شهدها النَّبي ﷺ في سيرته العطرة تكذيب قومه له أن تحدّوه في أن يجعل لهم من الصِّفا ذهباً عن ابنِ عَبَّاسٍ ؓ قال: «قالت قريش للنَّبي ﷺ: أدع الله ربُّك أن يجعل لنا الصِّفا ذهباً، ونؤمن بك، قال: أو تفعلون؟ قالوا: نعم، فدعا الله فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إنَّ ربَّك يقرأ عليك السَّلام، ويقول: إنَّ شئت أصبح لهم الصِّفا ذهباً، فمن كفر منهم عدَّبتَه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإنَّ شئت فتحت لهم أبواب التَّوبة والرَّحمة؟ قال: يا رب باب التَّوبة والرَّحمة»<sup>(5)</sup>.

(1) – تفسير السَّعدي، المرجع السَّابق، ص 879.

(2) – حمدان راجح الهجاري، الأسلوب النَّبوي في الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 499.

(3) – أحمد شوقي، الشَّوقيات (بيروت: دار العودة، ج 1، 1988م)، ص 72.

(4) – المرجع نفسه، ص 197.

(5) – مُحَمَّد بُن عبد الله الحاكم النَّيسابوري، المستدرک علی الصَّحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، کتاب التَّفسیر، تفسیر سورة الأنعام، رقم الحديث 3225 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م)، ص 344، وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال في التَّلخيص: هذا حديث صحيح، وأخرجه البيهقي في السُّنن الكبرى، تحقیق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، کتاب السَّیر، باب مبتدأ الفرض على النَّبي ﷺ ثم على النَّاس، رقم الحديث 17732 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، ج 9، 1424هـ/2002م)، ص 15.



ومن رفقهِ ورحمته ﷺ أن إختار الثَّضائية لعلمه بتعنُّتهم ومكرهم فأشفق عليهم الهلاك، واستمر النَّبي ﷺ يدعوهم محاولاً هدايتهم، وتوالى الأذيات له حتَّى بعد الهجرة، ففي غزوة أُحُد شجُّوا رأسه وكسروا رباعيته، فطلب منه أصحابه الدعاء عليهم فأجابهم: «إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً»<sup>(1)</sup> فقد كَانَ النَّبيُّ ﷺ يحمل ما يحمله القلبُ الإنساني مِنْ مشاعر وأحاسيس فذَّة.

### - رفقهِ بمن أذاه من أهل الطَّائِف

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ عَصِيَانُ قَوْمِهِ وَجُحُودُهُمْ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ<sup>(\*)</sup>، فَلَمْ يَجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مُهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ\*، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ الْكَرِيمُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ سَمِعَ

(1) - أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تنمَّة مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث 2166 (مؤسَّسة الرِّسالة، د، ط، ج4، د، ت)، ص 60. وإسناده صحيح على شرط مسلم، عمران بنُ الحكم: صوابه عمران بنُ الحارث السلمي أبو الحكم الكوفي، من رجال مسلم، وباقي رجاله ثقات رجال الشَّيْخين، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة 272/2 من طريقين عن سفيان الثَّوري بهذا الإسناد.

(\*) - ابن عبد ياليل: هو بتحتانية وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام - ابن عبد كلال - بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسمه كنانة، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بنُ عمرو بن عمير بن عوف، ويقال: اسم ابنُ عبد ياليل مسعود وله أخ أعمى له ذكر في السيرة في قذف النجوم عند المبعث النَّبوي، وكان ابنُ عبد ياليل من أكابر أهل الطائِف من ثقيف، وقد روى عبد بنُ حميد في تفسيره من طريق ابنِ أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى على رجل من القريتين عظيم، قال: نزلت في عتبة بنُ ربيعة وابنُ عبد ياليل الثَّقفي، ومن طريق قتادة قال: هما الوليد بنُ المغيرة وعروة بن مسعود، ورواه ابنُ أبي حاتم من وجه آخر عن مجاهد وقال فيه: يعني كنانة. وروى الطبري من طريق السدي قال: هما الوليد بن المغيرة وكنانة بنُ عبد بنُ عمرو بن عمير عظيم أهل الطَّائِف. وقد ذكر موسى بنُ عقبة وابنُ إسحاق أن كنانة بنُ عبد ياليل وفد مع وفد الطائِف سنة عشر فأسلموا، وذكره ابنُ عبد البر في الصَّحابة لذلك، لكن ذكر المديني أنَّ الوفد أسلموا إلَّا كنانة فخرج إلى الرُّوم ومات بها بعد ذلك، وذكر موسى بنُ عقبة في المغازي عن ابنِ شهاب أنَّه ﷺ لَمَّا مات أبو طالب توجَّه إلى الطَّائِف رجاء أن يؤوِّه، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه قومه فردُّوا عليه أقبح ردٍّ، وكذا ذكره ابنُ إسحاق وخديجة (يُنْظَر: ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق رقم الحديث 3059، ص 364)، وفي (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النَّبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث 1795، ص 1421). و(يُنْظَر: محمَّد الزُّرقاني، شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمَّدية، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1996م)، ص 54.

(\*) - قرن الثَّعَالِب: هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير. (النَّووي، شرح النَّووي على مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النَّبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ص 486). وفي (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النَّبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث 1795، ص 1420).

قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إنّ الله عزّ وجلّ قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني أمرَك، وبما شئت، إنّ شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلتُ، فقال له النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً<sup>(1)</sup>.

لقد كان هذا الموقف من أشدّ المواقف على رسول الله ﷺ إيذاءً عندما كان وحيداً، وقد توفّي عمّه أبو طالب وزوجته السيّدة خديجة رضي الله عنها أكثر المناصرين له في دعوته، فأراد نصرة وتأييداً من أهل الطائف وإذا بهم يغرون صبيانهم عليه يرمونه بالحجارة ويصيحون عليه حتى ألجؤوه إلى حائط ظلّ حينها يدعو ربّه ويشكوا إليه، وإذا بالله تعالى يستجيب له من فوق سبع سماوات ويرسل له أمين الوحي جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال يبشرانه بالإنّقام العاجل فإذا به عليه السلام يرفق بهم ويجب قائلاً: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً»<sup>(2)</sup> وكيف ولا وقد خصه الله بمكارم الأخلاق ورباطة جأش فكان لين أجانب رفيقاً متلطّفاً بهم.

#### - رفقّه باليهود

ومن ذلك ما روته السيّدة عائشة رضي الله عنها في شأن الرّهط من اليهود حين دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السّام<sup>(\*)</sup> عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السّام واللّعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إنّ الله يحبّ الرّفق في الأمر كلّهُ، فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت: وعليكم»<sup>(3)</sup>.

(1) - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث 1795، ص 1420، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدهم: آمين والملائكة في السّماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له في ما تقدّم من ذنبه، رقم الحديث 3231، ص 407.

(2) - المرجع نفسه، ص 407.

(\*) - السّام: بمعنى الموت، وهو الذي كانت اليهود تقصده في سلامهم. أما السّام فمعناه أنكم تسأمون دينكم، (يُنظَر: لسان العرب، ج 12، المصدر السّابق، ص 313)، (ويُنظَر: فقه الدّعوة في صحيح الإمام البخاري، باب حديث إنّ الله يحبّ الرّفق في الأمر كلّهُ، ج 1، رقم الحديث 2935، المرجع السّابق، ص 510)، (ويُنظَر: النّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب السّين مع الهمزة، مادة سَم، ج 3، ص 328).

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ج 7، برقم 6030، ص 1511. وكتاب الإستئذان، باب كيف يرُدُّ على أهل الدّمة السّلام؟، حديث رقم 6256، ص 1561. وكتاب الدّعوات، باب الدّعاء على المشركين، برقم 6395، ص 1593، وكتاب الدّعوات، باب قول النبي ﷺ يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا، ج 7، برقم 6401، ص 1594، وكتاب لستابة المرتدّين والمعاندين وقتلهم، باب إذا عرض الدّمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله. "السّام عليك"، ج 8، برقم 6927، ص 65. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السّلام، باب النّهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسّلام وكيف يرُدُّ عليهم؟، ج 4، برقم 2165، ص 1706.

ظهر في الحديث الحضُّ والحثُّ على لين الجانب مع المدعويين بالقول والفعل؛ ولهذا عندما قال اليهود للنبي ﷺ: «السَّام عليك» لم يعاقبهم، ولم يزد على قوله ﷺ: «وعليكم» وأنكر على عائشة - رضي الله عنها قولها: «عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم» فقال ﷺ: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش»<sup>(1)</sup>.

فأية سماحة وأي رفق تلك التي لا تجعله يجازي السيئة بأكثر منها، مع علمه بما يقصد أعداء الله من المكر والضغينة، بل اكتفى بالرد عليهم «وعليكم» ويتوجّه بالسيدة عائشة رضي الله عنها موجّها لها بعدم التكلف في سبّ النَّاس حتّى وإن ابتدروا بأيّ صور الأذى التّفنسي كان أم الجسدي، فقال لها: «يا عائشة أن الله رفيق يحبُّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»<sup>(2)</sup>.

وبين ﷺ أن من حُرِّم الرفق فقد حُرِّم الخير كلّهُ فقال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»<sup>(3)</sup> فقد أرشدها ﷺ إلى الرفق المبني على المداراة وترك المعادة والمعاناة كما قيل:

دارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم<sup>(4)</sup>.

كان هذا من روائع حلمه ﷺ وكمالهِ وحسن خلقه وصفحه وصبره على الأذى في النفس والمال والتّجاوز على جفا من يريد تألفه على الإسلام<sup>(5)</sup>.

#### - رفقه بالأعرابي الذي جذبه من رداءه

كان النَّبي ﷺ يتحمّل جريرة من يخطئون في حقّه من جُفأة الأعراب وذلك تأليفاً لقلوبهم<sup>(6)</sup> دليل ذلك ما جاء عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ بحراي غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبته بردائه جذبة شديدة، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ

(1) - يُنظر: فقه الدّعوة في صحيح الإمام البخاري، باب حديث «إن الله يحبُّ الرفق في الأمر كلّهُ»، ج 1، 89-2935، المرجع السّابق، ص 512.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصّلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث 2593، ج 4، ص 2003.

(3) - المصدر نفسه، رقم الحديث 2592، ج 4، ص 2003.

(4) - يُنظر: محمّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، كتاب الآداب، باب السّلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 8، 1422هـ/2001م)، ص 463.

(5) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقوّمات الدّاعية النّاجح في ضوء القرآن والسّنة، المرجع السّابق، ص 130.

(6) - محمود خليل أبو دف، منهج النَّبي ﷺ في تقويم السّلوكة وكيفية الاستفادة منه في تعلّمنا المعاصر، بحث مقدّم لمؤتمر تطوير برامج كليات التّربية بالوطن العربي في ضوء المستجدّات المحليّة والعالميّة، كليّة التّربية، جامعة الرّفّاق، 2006م، ص 9.

قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبهته، ثم قال: يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء»<sup>(1)</sup>.

فقد أظهر النَّبي ﷺ من خلال هذا الموقف أخلاقه الرّصينة في التعامل مع الأعرابي، جسّد فيها معاني الرّحمة والرّفق والعفو، فلم يعبس في وجهه بل ضحك وأمر له بعتاء تألفاً له، وبَيّن درجة حلمه وصبره في التّجاوز عن جفاء من يُريد تألفه على الإسلام، فليتأسى به الؤّلاة من بعده في خلقه الجميل من الصّفح والإغضاء والدّفْع بالّي هي أحسن<sup>(2)</sup>.

### – رفقه مع من تكلم في الصّلاة

وموقفه مع معاوية بن الحكم السلمي حين قال: «بينما أنا أُصلّي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وأكل أمّية، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ ف جعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّونني، لكّي سكّ، فلما صلّى رسول الله ﷺ، فبأي هو وأمّي، ما رأيت معلماً قبله، ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما كهّرتني ولا ضربتني ولا شتمتني، قال: إنّ هذه الصّلاة، لا يصلح فيها شيءٌ من كلام النّاس، إنّما هو التّسبيح والتّكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، إنّني حديث عهد بجاهليّة، وقد جاء الله بالإسلام، وإنّ منّا رجالاً يأتون الكهّان، قال: فلا تأتّهم، قال: ومنّا رجالٌ يتطيّرون، قال: ذاك شيءٌ يجدونه في صدورهم»<sup>(3)</sup>.

معاوية كان يجهل حكم الحديث أثناء الصّلاة فغضب الصّحابة لكنّ نبيّ الله أوضح خطأه ووعظه بطريقة ليّنة دون تضجّر، وهذا من عظم أخلاق النَّبي ﷺ وأسلوبه الرّصين في معالجة الأخطاء خصوصاً مع يجهل أحكام الإسلام وشرائعه.

وهذا الموقف يعطي للدّاعية درساً في الرّفق مع الجهلة الذي يخطئون في حقّ الله عليهم، فلا يتعلّق الأمر بالمسلم الجاهل فقط، بل حتى مع الكافر الذي يحتاج إلى رده بأفضل الطّرق وأيسرها.

(1) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرّكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، رقم الحديث 1056، ص 465.

(2) – بدر الدّين العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحيرة والشّملة، رقم الحديث 5809 (بيروت: دار إحياء الثّراث العربي، ج 21، د، ت)، ص 312.

(3) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب تحريم الكلام في الصّلاة، رقم الحديث 537، ج 1، ص

### فيأتي التَّنبيه النَّبوي من هذا الموقف كالآتي :

- الرَّفْق من الصِّفَات المهمَّة التي ينبغي أن يتَّصف بها كلُّ داعية إلى الله تعالى، ولهذا رفق النَّبي ﷺ باليهود والأعراب الجُهلة، فلم يقابل قولهم ومقصدهم بالعنف ولا بالفحش، وإنَّما ردَّ عليهم ما قالوا من حيث لا يشعرون بحكمةٍ وبلطفٍ، فينبغي على الدَّاعية أن يكون رفيقاً، ليُنَّا سهلاً؛ لأنَّ الله رفيق يحبُّ الرَّفْق في الأمر كُلِّهِ<sup>(1)</sup>.

- أهميَّة مراعاة الدَّاعية للشُّعور النَّفسي عند تبيان المدعو خطأه<sup>(2)</sup> وهو يوجِّهه بأسلوب عنيف وراذع، ومعاوية كاد أن يفتن لولا رفق النَّبي ﷺ له، فما زجره ولا تعنَّف معه بل استقبله بوجهٍ طلقٍ وأسلوبٍ هاديٍّ.

- كان لأسلوب الرَّفْق أثر في قلب معاوية، ممَّا جعله يسأله عن أمور كان يفعلها في الجاهلية، ومبادرته بإعتاق رقبة مؤمنة.

- الحضُّ على لين الجانب بالقول والفعل.

هذا الموقف أظهر جمالية أسلوب النَّبي ﷺ وتلطُّفه في وعظ مخالفه، فلم ينههم عن شيءٍ بأسلوب الزَّجر والغلظة، بل كان رفيقاً رحيماً ليُنَّا، ممَّا يستوجب على الدَّاعية السَّير على خطى النَّبي ﷺ في حلمه وصفحه ودفع الأذى بالتي هي أحسن.

### - رفقہ بالمرأة التي بكت عند القبر

عن أنسٍ رضي الله عنه قال مرَّ النَّبيُّ ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتَّقِي الله واصبري، فقالت: إليك عني فإنَّك لم تُصَبِّ بمصيتي، ولم تعرفه، فقيل لها، إنَّه النَّبي ﷺ فأتت النَّبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك فقال ﷺ: «إنَّما الصَّبر عند الصَّدمة الأولى»<sup>(3)</sup>.

والمرأة التي مرَّ عليها رسول الله ﷺ وهي تبكي طفلها كما جاء في رواية مسلم أنَّه ﷺ: «أتى على امرأة تبكي على صبيِّ لها»<sup>(4)</sup> فأمرها النَّبيُّ ﷺ بتقوى الله، وأوصاها بالصَّبر على قضاء الله وقدره، فما كان ردُّ المرأة أن أغلظت القول للنَّبي ﷺ جاهلة لشخصه ومكانته، فلم يتضجَّر ﷺ من قولها ولم يتعنَّف معها بالقول، بل أشفق عليها وراعى حالها وهي متأثرة بفراق صبيها، فظهر أثر رفق

(1) - سعيد بنُ علي بنُ وهب القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري، المرجع السَّابق، ص 512.

(2) - يُنظر: نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج، الرَّفْق وأثره في الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 221.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في الصَّبر عند الصَّدمة الأولى، رقم الحديث 926، ج 2، ص 637.

(4) - المصدر نفسه، ص 637.

النَّبي وشفقته وحلمه أن توارت المرأة خجلاً عندما علمت أنه رسول الله ﷺ كما جاء في رواية مسلم: «قيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت»<sup>(1)</sup>.

### - رفقهِ في توزيع الغنائم

وعن ابنِ شهاب قال غَزَا النَّبي ﷺ غزوة فتح مَكَّة ثمَّ خرجَ بمنَّ معه من المسلمين فاقتتلوا بجنين فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من التَّعَمَّ ثمَّ مائة، يقول ابنُ شهاب رحمه الله حدثني سعيد بنُ المسيب أنَّ صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنَّه لأبغض النَّاس إليَّ، فما برج يعطيني حتَّى إنَّه لأحبَّ النَّاس إليَّ»<sup>(2)</sup>.

وهذا دَلَالَةٌ على روائع حلمه ﷺ وكماله وحسن خلقه وصفحه الجميل وصبره على الأذى في النَّفس والمال والتَّجاوز على جفا من يريد تألفه على الإسلام<sup>(3)</sup>.

### هـ- المستفاد من أسلوب رفق النَّبي ﷺ في دعوته

بَعْدَ معاينة شيءٍ من مواقف رفق النَّبي ﷺ ومعاملته في دعوة النَّاس، كان لزاماً بيان إمكانية تطبيق هذا الأسلوب في الوقت المعاصر نعرضها كالآتي :

- إنَّ دَلَالَةَ الأحاديث السَّالفة تبين مواقف رفق النَّبي ﷺ، الذي وجلت له القلوب تائبة مستجيبة، والدعوة إلى الله أحوج إلى من يمثلون إلى هذا الأسلوب العاطفي، يراعون مصلحة الدَّعوة أولى من مصلحتهم، وقد ظهرت ثماره في سير الخلفاء الرَّاشدين كعمر بن الخطاب وأبي بكر ﷺ عند توليتهم حكم البلاد الإسلامية، وسير العديد من الوعَّاظ والدُّعاة وعلى مستوى الحركات الإسلامية الحاملة لواء الوسطية في منهجها كأمثال محمَّد عبده، وأبو الأعلى المودودي، الإمام حسن البنَّا، الذين أنكسروا أعلام دُعاة الغلظة والجفاء والفضاضة.

- فحينما أمر الله تعالى بالرفق والتلطُّف في مخاطبة النَّاس، فهل معنى التلطُّف مع المدعوين تعني المداينة فعلاً؟ فالجواب هنا واضح وقد سبق بيانه، فالتلطُّف في القول هو من المداينة التي تأتي معها النَّتائج والثَّمَر الدَّعوية الياينة، والمداينة والرفق مقترنان بالصدِّع بالحقِّ وتبيين معاملة للنَّاس، ولا يمكن لهما أن ينفكَّا بحال من الأحوال، ويكون هذا على رأي الحكمة لا تكن لئناً فتعصر ولا تكن قاسياً فتكسر، وهذا الأسلوب قام به الأنبياء عليهم السَّلام وقام به النَّبي ﷺ على أكمل وجه<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في الصَّبر عند الصَّدمة الأولى، رقم الحديث 926، ص 637.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطَّ فقال: لا وكثرة عطائه، رقم الحديث 2313، ص 1094.

(3) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح في ضوء القرآن والسُّنة، المرجع السَّابق، ص 130.

(4) - حسين عبد عواد الدليمي، أسلوب الرفق في دعوة إبراهيم عليه السَّلام لأبيه، المرجع السَّابق، ص 578.



وتلطف الدَّاعية إلى الله بالمدعو في القول لا يعني مDAHنة تزكّي باطلاً، فما ينبغي على كلٍّ من يحمل رسالة الله المؤيّد بها عند جميع الأنبياء عليهم السّلام عموماً وخاتمهم النَّبي ﷺ خصوصاً، أن يكونوا مDAHنين للباطل يقول تعالى مخاطباً نبيّه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [١] ﴿القلم: 9﴾.

- إنّ من أهمّ ما يقف عنه كلُّ داعية ذاك الأسلوب الأخاذ من لدنه ﷺ فلم يكن في دعوتِهِ كثير العتاب، وإن عاتبَ فرمّا أبرزها في ثوبٍ دُعابةٍ، فها هو ينكر على الصحابي(\*) خوات بن جبير جلوسه إلى نساء أعجبته، ومحدثته إياهن، ويتأذى رسول الله ﷺ من فعلة خوات، ولكنه مع ذلك يؤدبه، ويعلمه، بأسلوب رقيق ينطوي على حسنٍ مداعبة عالٍ، لدرجة جعلت الحياء والندم يبلغ مداه في نفس خوات رضي الله عنه وأرضاه.

- لقد خطّ النَّبي ﷺ للدَّاعية أسلوباً عظيماً في الرّفق، مبيّناً له عند تولّيه ريادة الدعوة تشبّه بأهم الأخلاق عند دعوته للنّاس وكان من أهمّها: التّخلّي عن كثرة العتاب للعاصين، وإنشغاله بإزالة الجهل لديهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ومراعاة الجوانب النفسيّة والعاطفيّة والاجتماعيّة للفرد المراد توجيهه، وذلك بانتهاج أقل السُّبل الموصلة إلى التّأثير من خلال التبشير واجتناب اللّوم الشّديد والتّقرّيع المفرط<sup>(1)</sup>.

(\*) - تفاصيل الحادثة، يقول خوات بن جبير رضي الله عنه: نزلنا مع رسول الله ﷺ مرّ الظّهْران، قال: فخرجت من خبائي فإذا أنا بنسوة يتحدثنّ، فأعجبني، فرجعت فاستخرجت عيني، فاستخرجت منها حلّة فلبستها وجئت فجلست معهنّ، وخرج رسول الله ﷺ من قبته، فقال: أبا عبد الله ما يجلسك معهنّ؟، فلمّا رأيْتُ رسول الله ﷺ هبتُهُ واختلطت، قلت: يا رسول الله جمل لي شرد، فأنا أبتغي له قيّداً فمضى وأتبعتُهُ، فألقى إلي رداءهُ ودخل الأراك كأني أنظرُ إلى بياض متنيه في حضرة الأراك، فقضى حاجتُهُ وتوضأ، فأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره، أو قال: يقطر من لحيته على صدره، فقال: أبا عبد الله ما فعل شراؤك جملك؟ ثمّ ارتحلنا فجعل لا يلحني في المسير، إلا قال: السّلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراؤك ذلك الجمل؟ فلمّا رأيْتُ ذلك تعجّلت إلى المدينة، واجتنبْتُ المسجد والمجالسة إلى النَّبي ﷺ، فلمّا طال ذلك تحيَّنت ساعة خلوة المسجد، فأتيْتُ المَسْجِدَ فقمْتُ أصلي، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره فجاءه فصلى ركعتين خفيفتين وطوّلت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: طول أبا عبد الله ما شئت أن تطول فلست قائماً حتّى تنصرف، فقلت في نفسي: والله لأعتذرَنَّ إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره، فلمّا قال: السّلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراؤك ذلك الجمل؟، فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم، فقال: رحمك الله ثلاثاً، ثمّ لم يعد لشيءٍ ممّا كان.

(1) - عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التّربية الإسلامية في السّنة النبويّة (الدار العربيّة للكتاب، 1993م)، ص 200.



فالمدعو إذا عومل بالرِّفق وفُهم باللِّين يعي حقيقة تصرّف الدَّاعية ومنبعه، فيعترف بخطئهِ جاء في القول: (إني حديث عهد بكفر، وقد جاء الله بالإسلام وإنَّ منَّا يأتون الكُفَّان! قال فلا تأثم قلنا ومنَّا رجال يتطَيَّرون قال: ذلك شيء يجدونه في صدورهم)<sup>(1)</sup>.

- وفي الوقت الذي تعيشه الدَّعوة في عالم تغيرت فيه المفاهيم وزادت فيه نِسْبُ التوتُّر والانفعال والإضطراب النَّفسي من عنف وتعصب وحبِّ السَّيادة، كان نتيجتها التَّغافل عن المنهج النَّبوي من الإخلاص وأسلوب، فكان لزاما على الدَّاعية أن يسعى جاهداً إلى إشاعة القيم الفاضلة في المجتمع وتفعيلها بين النَّاس، عن طريق الخطب والدُّروس والمواعظ والمحاضرات والملتقيات وعبر وسائل الإعلام السَّمعية كانت أم البصرية والإلكترونية، فيتعامل مع النَّاس باحترام وإنسانية.

- على الدَّاعية إلى الله عند ترفُّقه بمدعويه عليه أن ينزل منازلهم ومراتبهم، يدرس واقعهم ومعتقداتهم ونفسياتهم ويعرف مواطن الانحراف لديهم معرفة جيدة حتى يستطيع أن يحدِّد الدَّاء ويقدم الدواء.

- كما على الدَّاعية أن لا يجعل من أسلوبه الدعوي مدعاة إلى تنفير النَّاس لخشونة طبعه وجهله وأسلوبه العنيف، فعادة بعض النَّاس تغلب الطَّبيعة فيه التطُّبع، فعليه أن يكون سلس القيادة رفيقاً حليماً ليئناً، لا يجعل للعنف والخشونة مجالاً في دعوته، والتي تعمل على إخماد جذوتها ومن ثمَّ إطفاء جمرتها فيجعلها رماداً حينها تضع الكثير من مصالح الأُمَّة وشؤونها، فيلقى بها إلى مزلق خطيرة وتحدّيات عويصة يشقُّ على الدُّعاة معالجتها.

- لقد خطَّ النَّبي ﷺ للدَّاعية أسلوباً عظيماً في الرفق، مبيِّناً له عند توليه ريادة الدعوة تشبُّه بأهم الأخلاق التي يجب التَّمسك بها أثناء دعوته للنَّاس أهمُّها: التَّحلي عن كثرة العتاب خصوصاً العاصين، وانشغاله بإزالة الجهل لديهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ومراعاة الجوانب النَّفسية والعاطفية والاجتماعية للفرد المراد توجيهه، وذلك بانتهاج أقل السبل الموصلة إلى التَّأثير من خلال التبشير واجتناب اللُّوم الشَّدِيد والتَّقريع المفرط<sup>(2)</sup>.

- خطَّ النَّبي ﷺ للدُّعاة منهجاً في التَّعامل مع من يقعون في الأخطاء الشَّرعية، ويتجلَّى ذلك الرِّفق بالمخطئ والأخذ بيده والإشفاق عليه من جريرة خطأه، مع تجنُّب إحتقاره أو سخريته أو مقابله بعنف، اللَّذان يولِّدان عنهما صفتان سلبيتان للمنكر عليه، والدَّاعية مطالب أن يتودَّد ويتلطَّف مع المدعوين بما يعينه على نشر دعوته، يرقِّق القلوب ويلين الأفئدة ويفتح العقول لأجل دعوته، يقول

(1) - أبو عبد الله حمزة النابلي، تذكير المسلمين بأهمِّية الرِّفق واللِّين، المرجع السَّابق، ص 2.

(2) - تمَّ تخرجه سابقاً، يُنظر: صفحة 233.

الإمام النَّووي رحمه الله: (وهذا فيه بيان ما كان عليه النَّبي ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، وفيه الرَّفق بالجاهل وحسن تعليمه، واللُّطف به وتقَرَّب الصَّواب إلى فهمه)<sup>(1)</sup>.

ويذكر الإمام ابنُ الجوزي رحمه الله: (وهذا ليعلم المؤدِّبين كيف يؤدِّبون، فإنَّ اللُّطف بالجاهل قبل التَّعليم أنفع له من التَّعنُّف ثمَّ لا وجه للتَّعنُّف لمن لا يعلم، إنَّما يعنف من خالف مع العلم)<sup>(2)</sup>.

- على الدَّاعية أن يجعل تواضعه لمدعويه الأسلوب الأمثل للنُّزول إلى منازلهم والعيش في واقعهم ليعرف مواطن الانحراف لديهم معرفة جيِّدة ويستطيع أن يحدِّد اللَّاء ويقدِّم الدواء.

- يظنُّ بعض النَّاس أنَّ استعمال الرَّفق ينقص من قدر الإنسان أو يكون علامة على ضعفه وخَوَره، فإنَّ هذا الفهم خاطئ من موروثات الجاهلية، فسلوك الرفق لا يقتضي المداهنة أو التنازل عن الحقوق، وإنَّما يقتضي المداواة، والدَّاعية الرِّفيق يبيِّن شريعة الله ويعامل النَّاس بأسلوبٍ لطيفٍ ومرن.

### ثالثاً: الكلمة الاستعطافية

#### أ - مفهوم الكلمة الاستعطافية

لإيجاد مفهوم لمصطلح الكلمة الاستعطافية لم أعر على مفهوم واضح لها عدًا ما ذكره الباحث أحمد العامري بالقول: (نقصد بها كأسلوب هي طريقة إبلاغ المعاني الدعوية بألفاظ عاطفية تثير مشاعر الإنسان ووجدانه لقبول الحقِّ والاستجابة للهدى)<sup>(3)</sup>.

ومن باب الإجهاد أمكني وضع مفهومًا إجرائيًا لهذا الأسلوب وهو كالآتي :

**الكلمة الاستعطافية هي:** لفظةٌ أو عبارةٌ ينادى بها فردًا أو جماعة قصد استمالته عاطفياً وربطه وجدانياً، يوظفها الداعية للفت النَّظر إلى ما يدعو إليه من عقيدة وشريعة وأخلاق، حيثُ تعبَّر في ثنايا مفرداتها مشاعر الألفة والحبِّ والشَّفقة والقربى.

#### ب- صور الكلمة الاستعطافية في الدَّعوة إلى الله

إنَّ استخدام الكلمات الاستعطافية في مناداة المدعويين ومخاطبتهم من أطف الأساليب القولية في الدَّعوة إلى الله، لها دلالتها في الحبِّ والألفة، وصدق المناصحة وهي كثيرة ومختلفة.

(1) - النَّووي، شرح النَّووي على صحيح مسلم، كتاب الصَّلَاة، باب تحريم الكلام في الصَّلَاة ونسخ ما كان من إباحته، ج5، المرجع السَّابق، ص 20.

(2) - أبو عبد الله حمزة النابلي، تذكير المسلمين بأهميَّة الرَّفق واللِّين، المرجع السَّابق، ص 16.

(3) - أحمد العامري، المنهج العاطفي في ضوء القرآن والسنة المطهَّرة، المرجع السَّابق، ص 72.

كما تعتبر هذه الكلمات إحدى صور الكلمة الطيبة التي تذكر بأواصر القربى ومواطن الحب والشفقة والرحمة، ومثالها قول الداعي: يا أبت، يا بني، يا قوم ... وكذلك على نحو: إني أخاف عليكم، أخشى عليكم ... وهي كثيرة، وهذه الكلمات دورها مهم في الدعوة إلى الله لكونها مقدمات عاطفية سرعان ما تؤلف نكرات القلوب، ولها دلالة في الإقناع وقوة في التأثير.

لذا فهي من أفضل اللهجات التي استخدمها الأنبياء عليهم السلام في مخاطبة آبائهم وأبنائهم وأقوامهم لاستمالتهم واستدراجهم للإيمان ومحاضن الإسلام، ولما لها من عذوبة في الأذان وسلاسة في القلوب، تتجلى فيها أبهى معاني الرقة واللطف والتواضع، وهي تذكر بالصلة الوثيقة بين الداعية والمدعو كأن تكون بين الأب وابنه والعكس أو مع الأقارب أو القوم والعشيرة، ولقد تجلّت الكلمات الاستعطافية بوضوح في دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، بما يحمله قلبه من حب وحرص على أبيه والخوف عليه، فخاطبه بصدق: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْتَنِي أَتَعْذِيبُنِي بِمَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ﴾ (٤٢) يَتَّبِعْتَنِي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۚ﴾ (٤٣) يَتَّبِعْتَنِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۚ﴾ (٤٤) يَتَّبِعْتَنِي إِنْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ﴾ (٤٥) [مريم: 45-42].

لنلاحظ روعة وجمال هذا الخطاب تجلّ فيه أرقى مشاعر البنوة استهلاً بنصائحه الأربعة بلفظة لطيفة ورقيقة على القلب: ﴿يَتَّبِعْتَنِي﴾ توسلاً إليه واستعطافاً<sup>(1)</sup> فخاطبه بدعوة صادقة متمسكاً بالأدب الرفيع والكلام الطيب فقام بواجب البر نحو والده من أجل استمالة قلبه وترقيق فؤاده.

كما لا ننسى أيضاً لقمان الحكيم عند وصيته لابنه بقوله: ﴿يَبْنِي﴾ [لقمان: 17] كلمة استعطافية أخرى لها وقع على القلب فتهزّه هزاً، ولا شك أنّ مثل هذه الألفاظ تعبر عن المحبة والألفة والتودّد، ولها تأثيرها الفعّال في النفوس<sup>(2)</sup> هذه الألفاظ لا شك أنّها لا تصدر إلا من قلوب حانية وعاطفة دافقة بالودّ والمحبة.

وإظهار الرّفق والرحمة بالمدعو تكون بكلمة طيبة ومؤثرة، وتكون بإظهار مثل هذه الكلمات الوجدانية مثل: المناداة بكلمة يا أبت، يا بني .. وكقول الداعي للمدعو إني أحبك، أخاف عليك وما

(1) - عبد الكريم زيدان، الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ج1، 1419هـ/ 1998م)، ص 195.

(2) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، المرجع السابق، ص 94.

إلى ذلك، والدَّاعية عليه أن يتلَطَّف في مخاطبة من يدعوهم من خلال استعمال الألفاظ اللطيفة التي تساعد على إقبال المدعو وإصغائه له، كأن يقول لأبيه: يا أبت، أو لابنه يا بني، أو لأخيه يا أخي، أو يناديه بكنيته كأن يقول: يا أبا فلان، وإذا كان يخاطب جمعًا من النَّاس من الأفضل أن يقول لهم يا قوم، أو يقول لهم يا أبناء عشيرتي، أو يا أبناء محلي ممَّا يشعرهم بأنَّه واحد منهم وليس بعيدًا أو غريبًا عنهم<sup>(1)</sup>.

### ج - مواقف في استخدام النَّبي ﷺ للكلمة الإستعطافية في دعوته

لَقَدْ عَدَّ الْقُرْآن الكريم الكلمة الإستعطافية من أساليب المنهج العاطفي التي جسَّدها النَّبي ﷺ في دعوته، ولهذا يقول الإمام الحافظ إِبْنُ حجر رحمه الله: (وفيه ما كان النَّبيُّ ﷺ مِنْ كَمَالِ الشَّفَقَةِ عَلَى أُمَّتِهِ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ، وَالْفَرَحَ بِمَا يَسُرُّهُمْ)<sup>(2)</sup>.

وقال الإمام إِبْنُ الْقَيِّم رحمه الله: (وفي سرور رسول الله ﷺ بذلك وفرحه به وإستنارة وجهه دليل على ما جعل الله فيه من كمال الشَّفَقَةِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ وَالرَّأْفَةِ حَتَّى لَعَلَّ فَرَحَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ كَعْبٍ وَصَاحِبِيهِ)<sup>(3)</sup>.

فالنَّبي ﷺ قد نَوَّع في استخدام هذه الكلمة بحسب صنف المدعوين وحالهم، كبيرهم كان أو صغيرهم، قلَّ شأنهم أو عظم شأنه، وهذا هو أصل دعوة الأنبياء عليهم السَّلام . كما قَدْ أَحْسَنَ استخدامها فكانت رقيقةً عذبةً من لدنه ﷺ، وهو يشقُّ دعوته أشبه ما تكون بترديدٍ على أكتاف المدعوين مثل أسلوب الكنية نحو: يا أبا زيدٍ، أو كقوله: يا أبا عَمْرٍو ....

### وَقَدْ تَجَلَّتْ فِي عِدَّةٍ مَوَاقِفٍ أَبرزها:

عند مخاطبته لعمِّه لَمَّا حضرته الوفاة فجاءه النَّبيُّ ﷺ فوجد عنده أبا جهلٍ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، لمحاولة إنقاذه من ضلال الشُّرك وهدايته إلى نور الإيمان قائلاً له ﷺ: «يا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كلمة أشهدُ لك بها عند الله ... الحديث»<sup>(4)</sup>.

(1) - عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، المرجع السَّابق، ص 106.

(2) - إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقو الله عزَّ وجل:

﴿وَعَلَى الْاٰثَلٰثَةِ الَّذِيْنَ خَلَفُوْا﴾ [التوبة: 118] رقم الحديث 4418، ج 9، المرجع السَّابق، ص 574.

(3) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري، ج 1، المرجع السَّابق، ص 109.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصَّة أبي طالب، رقم الحديث 3883، ص 950. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدَّلِيل على صحَّة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزاع في الغرغرة ونسخ حوار الإستغفار للمشركين، حديث رقم 39، المرجع السَّابق، ص 54.

إِلَّا أَنَّ عَمَّهُ أَبَى إِلَّا أَنْ يَبْقَى عَلَى مَلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَلَمْ يَتَرَجَعْ، مِمَّا أَثَارَ فِي النَّبِيِّ حَزَنَهُ وَشَفَقَتَهُ لِعَمَّهُ قَائِلًا: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»<sup>(1)</sup>.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: 113].

وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الْقَصَص: 56] وَمَعَ أَنَّ عَمَّهُ ﷺ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَزَنَ لَكُونَ عَمَّهُ كَانَ مُنَافِحًا عَلَيْهِ فِي دَعْوَتِهِ عَلَى الرُّغْمِ مُخَالَفَةً دِينَهُ، فَكَانَتْ عَاطِفَتُهُ ﷺ لِعَمِّهِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ فَاجْتَهَدَ ﷺ مَا فِي وَسْعِهِ لِيَمُوتَ عَمَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ لَكِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَرَامَاتُ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ جَعَلَ شَفَقَتَهُ وَحَزَنَهُ شَفَعَتْ لَهُ حَتَّى خَفَّفَ عَنْهُ الْعَذَابَ فَكَانَ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»<sup>(2)</sup> فَالْنَّبِيُّ ﷺ مِنْ خِلَالِ الْحَدِيثِ يُخَاطَبُ عَمَّهُ بِلُطْفِ الْعِبَارَةِ وَبِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُؤَثِّرَةِ «يَا عَمُّ» لِيُثَبِّتَ لَهُ فِي قَوْلِهِ اللَّطِيفِ حُبَّ الْعَمِيقِ وَخَوْفَهُ الشَّدِيدِ عَلَيْهِ إِنْ مَاتَ عَلَى شِرْكِهِ، لِأَنَّ مَشَاعِرَ الْبُنُوَّةِ طَغَتْ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ بِمَنْظَارِ الْعَقِيدَةِ - بَرِغْمِ شِرْكِهِ - وَإِنَّمَا بِصِلَةِ الْقَرَابَةِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِعَمِّهِ.

وَهَذَا تَعْبِيرٌ عَلَى عَظَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَسَالِيْبِهِ الرَّاقِيَةِ الَّتِي ارْتَسَمَتْ فِيهَا مَشَاعِرُ الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالشَّفَقَةِ.

وَفِي مَوْقِفٍ آخَرَ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٣١٤)</sup> [الشُّعْرَاء: 214] انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ مِنْ جَبَلٍ فَعَلَا أَعْلَاهَا حَجْرًا ثُمَّ نَادَى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاظَا إِيَّيْ نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَاَنْطَلَقَ يَرْبُؤًا<sup>(\*)</sup> أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ يَا صَبَاحًا<sup>(\*)</sup>»<sup>(3)</sup> فَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِالرَّجُلِ الَّذِي يَخْشَى عَلَيْهِمْ وَيَحْرُسُ عَلَى سَلَامَتِهِمْ، فَأَرَادَ أَنْ

(1) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابُ قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 3883، ص 950.

(2) - أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، رَقْمُ الْحَدِيثِ 212، ص 117.

(\*) - يَرْبُؤًا: عَلَى وَزْنِ يَقْرَأُ، مَعْنَاهُ يَحْقُظُهُمْ وَيَتَطَلَّعُ لَهُمْ، وَيُقَالُ لِفَاعِلٍ ذَلِكَ: رَيْثَةٌ، وَهُوَ الطَّلِيعَةُ الَّذِي يَنْظُرُ لِلْقَوْمِ لِفَأْلٍ يَدْهَمُهُمُ الْعَدُوُّ، وَلَا يَكُونُ فِي الْغَالِبِ إِلَّا عَلَى جَبَلٍ أَوْ شَرَفٍ أَوْ شَيْءٍ مُرْتَفِعٍ لِيَنْظُرَ عَلَى بُعْدٍ، (صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رَقْمُ الْحَدِيثِ 207، ج 1، ص 193).

(\*) - يَا صَبَاحًا: كَلِمَةٌ يَعْتَادُونَهَا عِنْدَ وَقُوعِ أَمْرِ عَظِيمٍ، فَيَقُولُونَهَا لِيَجْتَمِعُوا وَيَتَأَهَّبُوا لَهُ. (الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص 193).

(3) - الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص 193.

يذكّرهم برابطة الأهل والعشيرة، ومعلوم أنّها من أقوى الروابط العاطفية وأصلبها، بأنّه لا يريد لهم إلّا ما يريد لأهله وخاصّته.

وقد جاءت في مخاطبته ﷺ لأصحابه بأسلوب الكنية نحو: يا أبا زيد .. يا أبا عمرو .. وذلك ما جاء عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع النَّبي ﷺ في حرّة المدينة فاستقبلنا أُخْدٌ، فقال: يا أبا ذرٍّ! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: ما يسرُّني أنّ عندي مثلاً أُخْدِ هذا ذهباً تمضي عليّ ثلاثة وعندي منه دينارٌ، إلّا شيئاً أرضدّه لدينٍ، إلّا أن أقول به في عبادِ الله هكذا وهكذا وعن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه وقليلٌ ما هم»<sup>(1)</sup>.

وخطابه لأبي موسى رضي الله عنه قائلاً: «يا أبا موسى أو يا عبد الله ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله»<sup>(2)</sup>، واستخدم عبارات استعطافية أخرى كقول: إني أخاف عليكم، أخشى عليكم ... عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأته كلّ في ليلة، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى أن يطول عليك الزّمان وأن تمل قراءته، ثمّ قال: إقرأه في شهر، فقلت: دعني أستمع من قوتي ومن شبابي قال: إقرأه في عشرة، قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي، قال: إقرأه في سبع، قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي فأبى»<sup>(3)</sup> وقال ﷺ: «إنّ أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض، قيل: وما بركات الأرض؟ قال: زهرة الدُّنيا ...»<sup>(4)</sup> وقوله ﷺ: «وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنّ أخاف أن تنافسوا فيها»<sup>(5)</sup>.

وعليه فإنّ مقاييس العظمة ظهرت في شخصية النَّبي ﷺ وبالأحرى في عاطفته التي فاقت كلّ عاطفة في الدُّنيا، ارتسمت فيها نبل نفسه وسمو أخلاقه ورجاحة عقله، لتتجسّد فيها كل معاني الداعية الرّبّاني الحليم الذي عُرف عنه من خلال ألفاظه وتعبيراته عند مواجهته للجهالة التي تعرض لها من قبل عمّه وعشيرته الرّقّة والرّفّة والشفقة، فكانت طريقته في مخاطبة كلّ من يواجهه برفق وبكلمات عاطفية يرقُّ لها الفؤاد، فكان إذا دعا ووعظ أخذ بمجامع القلوب.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرّقائق، باب قول النَّبي ﷺ: «ما يسرني أن لي مثل أحد ذهباً»، رقم الحديث 6444، ص 1605.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدّعوات، باب لا حول ولا قوّة إلّا بالله، رقم الحديث 6409، ص 1597.

(3) - أخرجه ابنُ ماجه في السُّنن، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، كتاب إقامة الصّلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن، رقم الحديث 1346 (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج 1، د، ت)، ص 428. وجاء فيه حكم الألباني: صحيح التعلّيق على ابنِ ماجه.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرّقائق، باب ما يُجذّر من زهرة الدُّنيا، رقم الحديث 6427، ص 1601.

(5) - المصدر نفسه، ص 1601.

كذلك الدَّاعية إلى الله عليه أن يجعل المدعو يُشعره وكأنَّه منه يخاف عليه مثلما يخاف على نفسه، فلا يتجاهل هذا الأسلوب في دعوته لأنَّ تجاهله يعتبر إساءة للدَّعوة وإساءة له في الوقت نفسه، ولأنَّ البديل عندئذ سيكون الغلظة أو الشَّدَّة ومن ثمَّ الثُّفور والعداوة، لذلك فإنَّ للكلمات الاستعطافية أثر بليغ في إحداث التَّقارب بين الدَّاعية والمدعو.

وقد لوحظ - من خلال ما سبق ذكره - أثر هذا المنهج في مجتمع النُّبوة فمنهم من لانت القلوب ومنهم من بقيت متحجرة مشرَّكة، والدَّاعية الحكيم بدوره عليه أن يتعاطف مع النَّاس ويشفق عليهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، وتجاهل هذا الأسلوب في الدَّعوة يعتبر إساءة لها، لكون البديل في غياب هذا الجانب العاطفي عندئذ الثُّفور والعصيان.

#### د- الاستفادة من الكلمة الاستعطافية في دعوة النَّبي ﷺ

- تواجه الدَّعوة الإسلامية صعوبات وعقبات في طريقها كان أهمُّ أسبابها من بعض أبناء هذه الدَّعوة نفسها وبعض المشتغلين في حقلها فهذا الخطر الأكبر، والدَّاعية الذي لا يحسن فنَّ الدَّعوة إلى الله، سيتحوَّل -دون أن يدري- إلى عقبة كؤود أمام دعوته، ويكون سبباً في نفور النَّاس منها، يتعامل بغلظة وجفاء، فينفر ولا يؤلف، ويكره ولا يحبُّب، ويفرق ولا يجمع، ويهدم ولا يبني، ومنهم من لا يجيد الحوار والمناظرة العقلية، فيقف عاجزاً أمام أوَّل شبهة تعترضه، فتصبح نفسه مثلبة في صرح دينه ومسببة سائغة يتلقَّفها المتربِّصون.

- وإذا كان الدَّاعية يدرك أنَّ من البيان سحراً، فعليه أن يستخدم هذه العبارات السَّحرية في دعوته وللتأثير على أفهام النَّاس وإستمالتهم إلى ما يدعو إليه، فهي تشعر باحترام وتقدير الآخرين له، ولهذا كان النَّبي ﷺ كثير الإِستخدام لها.

#### رابعاً: المشاركة الوجدانية

بما أنَّ الإنسان يغلب عنه الطَّابع الاجتماعي فلا غرو أن يجد الدَّاعية ضالَّته في مشاركته في مجتمعه، يبادلهم نفس الشُّعور ليسير بدعوته إلى قلوب مدعويه فتتولَّد علاقة قائمة على الإحترام والعطاء والتَّعاطف مبرئة من علاقات المصالح الضيِّقة والغايات الدَّنيئة، فكفى بالدَّاعية شرفاً أن يكون قدوته سيِّد الدُّعاة ﷺ ليقم هذا النَّوع من العلاقات كالحضور العاطفي والوجداني ومشاركته آلام وأحوال النَّاس وظروفهم من خلال المشاركات الوجدانية، وقبل الحديث عن المشاركة الوجدانية وأثرها في دعوة النَّبي ﷺ أمكن التَّعريف بالوجدان كمصطلح عميق له علاقة بموضوع البحث وهو كالآتي :



## أ- مفهوم الوجدان

### – لغة

- يعرفها العلامة ابنُ منظور بالقول: (الوجدان في اللُّغة ومعاجم قواميسها وَرَدَتْ بعدَّة معاني شبيهة بمعانيها من خلال القرآن والسنة مثل: (الغضب والحزن والشُّكَاية والحبُّ)<sup>(1)</sup>).
  - ونجدها في القرآن الكريم جاءت بمعنى: الخوف، والحزن، والنَّدَم، والفرح، والحبُّ، والخشية والبغض، وما إلى ذلك.
- فلفظ الوجدان لم يرد صراحة في القرآن ومعاجم اللُّغة، بينما في السنة جاء لفظها صراحة يحمل عدَّة معاني منها: الحزن، والغضب، والقلق، واضطراب النَّفس، والحبُّ، وغيرها، جاء عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا، وَلَا تَعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»<sup>(2)</sup>.

### – اصطلاحًا

لَقَدْ كان لأسلوب المشاركة الوجدانية تعاريف مختلفة أشارت إليه العديد من البحوث والمقالات وكتب فيها العديد من الدُّعاة والباحثين، فلم أستطع الإمام بالكثير منها، وإِنَّمَا إقتصر على بعضهم وهم كالآتي :

- يعرفه الأستاذ أحمد أمين بالقول: (هو شعور الإنسان الطَّبِيعي بارتياح من العمل أو النَّفور منه، كالإرتياح والنُّفور الذي يشعر به عند رؤيته شيئًا جميلًا أو قبيحًا فعندما توسوس له نفسه يكذب أو بسرقة يشعر باشمئزاز طبيعي من إتيان ذلك فيحكم عليه بأنَّه شرٌّ، وكذلك عندما يسمع خبر بإغاثة ملهوف أو إحسان إلى فقير أو عدل في حكم يشعر بارتياح طبيعي فيحكم على ذلك بأنَّه خير)<sup>(3)</sup> للوجدان أثر في البناء الشَّخصي والعقدي، وكذا الإجماعي باعتباره أحد مقومات الشَّخصية للداعية وميولاته نحو الخير.
- ويعرفه الدكتور معروف زريق بالقول: (بأنَّها ميل الإنسان إلى مشاركة النَّاس في أحوالهم العاطفية، ويختلف النَّاس في درجة المشاركات الوجدانية حسب الصِّلات التي تربطهم بها والتي من فوائدها أنَّها توثق العلاقات الإجتماعية بين النَّاس، حيث يشارك الإنسان غيره في الأحوال العاطفية عند

(1) – ابنُ منظور، لسان العرب، مادة وجد (بيروت: دار صادر، ج 3، 1988م)، ص-ص 445، 446.

(2) – الألباني، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث 1375 (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، ج3، 1415هـ/1995م)، ص 363.

(3) – أحمد أمين، كتاب الأخلاق (القاهرة: مطبعة دار الكتب العلمية، ط3، 1350هـ/1931م)، ص 28.

الموت والتَّعزية والتَّهنئة في الأفراح وعبادة المريض وإجابة الدَّعوة والسُّؤال عن أحوالهم الاجتماعيَّة والعلميَّة والصَّحيَّة وما إلى ذلك<sup>(1)</sup>.

- ويعرِّفه الشَّيخ النعيمشي بالقول: (هي أن يُحاول الدَّاعية وضع نفسه مكان المدعو ليتصوَّر حالته ومستواه، ويعايش مشكلته ليتعامل معه بما يناسب هذه الظروف)<sup>(2)</sup>.
- ويعرِّفه الباحث حامد بن أحمد بن علي العامري بالقول: (المشاركة الوجدانيَّة كأسلوبٍ هي فعل يجسِّد حقيقة معانٍ يدعو لها الإسلام أو يهتمُّ بها حفاوةً بمشاعر المدعوين وعواطفهم وربطاً له بالدِّين)<sup>(3)</sup>.

- وفي تعريفٍ آخرٍ لها تعني: (مشاركة الغير في الأحوال العاطفيَّة، عند الموت، والتَّهنئة في الأفراح، وعبادة المريض وإجابة الدَّعوة، وكذلك السُّؤال عن الأحوال الاجتماعيَّة والعلميَّة والصَّحيَّة للمدعوين وما إلى ذلك من الأحوال الأخرى)<sup>(4)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في وصفه للنَّبي ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التَّوبة: 128].

ومن صورها إظهار مشاعر الرِّحمة لليتامى وإيقاظ مشاعر الحنان والعطف في قلوب الأوصياء على اليتامى بطريقة عاطفيَّة جياشة قال تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ (٩) [النِّساء: 9]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيراً﴾ (١٦) [الإسراء: 26].

ومواساة النَّاس عند المصائب، فقد وصى الله تعالى المؤمنين بعد واقعة أحد بقوله: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٠) [آل عمران: 140] وغيرها من الصُّور الكثيرة التي حفل بها القرآن الكريم والسَّنة المطهَّرة<sup>(5)</sup>.

(1) - معروف زريق، علم النَّفس الإسلامي، المرجع السَّابق، ص 44.

(2) - عبد العزيز بنُ محمَّد النعيمشي، علم النَّفس الدَّعوي (الرِّياض: دار المسلم للنَّشر والتَّوزيع، ط3، 1432هـ/2011م)، ص 299.

(3) - أحمد بنُ علي العامري، المنهج العاطفي في ضوء القرآن الكريم والسَّنة المطهَّرة، المرجع السَّابق، ص 72.

(4) - أحمد محمَّد أحمد إسماعيل، المنهج العاطفي في الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 13.

(5) - أحمد بن علي العامري، الدَّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسَّنة المطهَّرة، المرجع السَّابق، ص-ص 94، 96.

فالمشاركة الوجدانية من الأسس التي تسعى في بناء العلاقات الطيبة مع المدعو، لأنها تعطي الصورة الصادقة والحقيقية للدّاعية من خلال حرصه ومتابعته وتفقدّه لأحوال المدعو، والإسلام لم يهمل هذا الجانب المهم بل دعا إلى ضرورة التّراحم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2] وقد ورد في النصّ القرآني مشاركة النبي ﷺ الوجدانية لأصحابه حيث كان يشعر بالمؤمنين ويعزّز عليه عنتهم وما يشقّ عليهم، ويحرص على مصالحهم فيقول تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

#### ب- صور المشاركة الوجدانية في الدّعوة إلى الله

من صور المشاركة الوجدانية ما يلي:

- إظهار مشاعر الرّحمة لليتامى، وإيقاظ مشاعر الحنان والعطف في قلوب الأوصياء على اليتامى، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9] وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا﴾ [الإسراء: 26].
  - المواساة، فقد وصى الله تعالى المؤمنين بعد واقعة أحد بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139-140].
  - التّعزية عند الموت.
  - والتّهنئة في الأفراح.
  - وعيادة المريض غيرها من الصّور التي حفل بها القرآن الكريم والسنة المطهّرة<sup>(1)</sup>.
- فقد دعا النبي ﷺ إلى أنّ أساس بناء العلاقات وتوطيدها من خلال المشاركة الوجدانية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حقّ المسلم على المسلم خمس، ردّ السّلام، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وإجابة الدّعوة وتشميت العاطس»<sup>(2)</sup>.

(1) - أحمد بن علي العامري، الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهّرة، المرجع السّابق، ص-94،

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السّلام، باب من حقّ المسلم للمسلم ردّ السّلام، 2162، ص 1704.

- التَّحَابُّبُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَتُؤْمِنُوا، وَلَا تَتُؤْمِنُوا<sup>(\*)</sup> حَتَّى تَحَابُّوْا، أَوَّلَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(1)</sup>.

- وَالسَّلَامُ هُوَ أَحَدُ صُورِ الْمَشَارَكَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ فَهُوَ تَحِيَّةٌ وَدَعَاءٌ يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الْخَزْنَدَارِ: (وَالسَّلَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْإِرْتِيَاخُ الْقَلْبِيُّ الْمُبَادَلُ وَمَا التَّحِيَّةُ إِلَّا مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِهِ)<sup>(2)</sup>.

وَيَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالسَّلَامُ أَوَّلُ أَسْبَابِ التَّأَلُّفِ وَمِفْتَاحُ اسْتِجْلَابِ الْمَوَدَّةِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَلِزُومِ التَّوَاضُّعِ، وَفِيهِ لَطِيفَةٌ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ رَفْعَ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ وَالشَّحْنَاءِ وَفَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ الَّتِي الْحَالِقَةُ)<sup>(3)</sup>.

وَعَلَيْهِ فَلِمَشَارَكَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ مِنَ الْأَسْسِ الَّتِي تَسْعَى فِي بِنَاءِ الْعِلَاقَاتِ الطَّيِّبَةِ مَعَ الْمَدْعُو، لِأَنَّهَا تَعْطِي الصُّورَةَ الصَّادِقَةَ وَالْحَقِيقِيَّةَ لِلدَّاعِيَةِ مِنْ خِلَالِ حِرْصِهِ وَمَتَابَعَتِهِ وَتَفَقُّدِهِ لِأَحْوَالِ الْمَدْعُوِينَ.

وَالْإِسْلَامُ لَمْ يَهْمَلْ هَذَا الْجَانِبَ الْمَهْمَّ بَلْ دَعَا إِلَى ضَرُورَةِ التَّرَاحُمِ: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: 02] كَمَا دَعَا إِلَى إِيقَازِ مِثْلِ هَذِهِ الْوُجْدَانِيَّاتِ وَعَدَمِ إِغْفَالِهَا لِعَظَمِ أَهْمِيَّتِهَا فِي تَكَافُلِ الْمَجْتَمَعِ وَوَحْدَتِهِ وَتَرَاحُمِهِ، فَأَوْرَدَ مِشَارَكَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْوُجْدَانِيَّةَ لِأَصْحَابِهِ حَيْثُ كَانَ يَشْعُرُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنْتَهُمْ وَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَيَحْرُسُ عَلَى مَصَالِحِهِمْ فَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التَّوْبَةُ: 128).

وَحَثَّ عَلَى ضَرُورَةِ تَفْعِيلِ هَذِهِ الْخَاصِّيَّةِ وَأَمَرَ بِهَا مِنْ خِلَالِ الْحِرْصِ عَلَى إِقَامَةِ رَوَابِطِ الْحُبَّةِ وَتَوَطِيدِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَبِالْأُخْرَى بَيْنَ الدَّاعِيَةِ وَالْمَدْعُو، فَأَمَرَ بِبَعْضِ الْحَقُوقِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رُدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»<sup>(4)</sup>.

(\*) - لَا تُؤْمِنُوا: بِحَذْفِ التَّوْنِ مِنْ آخِرِهِ، وَهِيَ لُغَةٌ مَعْرُوفَةٌ صَحِيحَةٌ، وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَتُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوْا» مَعْنَاهُ لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُكُمْ وَلَا يَصْلُحُ حَالُكُمْ فِي الْإِيْمَانِ إِلَّا بِالتَّحَابُّبِ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْإِيْمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 54، ص 73).

(1) - أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْإِيْمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 54، ص 73.

(2) - مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الْخَزْنَدَارِ، هَذِهِ أَخْلَاقُنَا (الرِّيَاضُ: دَارُ طَبِيبَةٍ، ط 5، 1420هـ)، ص 206.

(3) - النَّوَوِيُّ، شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْإِيْمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 54، ج 2، ص 227.

(4) - أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ مَنْ حَقَّ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ رُدُّ السَّلَامِ، حَدِيثٌ رَقْمُ 2162، ص 1034.

يقول الإمام النَّووي رحمه الله: (والسَّلام أوَّل أسباب التَّآلف ومفتاح إستجلاب المودَّة مع ما فيه من رياضة النَّفس ولزوم التَّواضع، وفيه لطيفة أخرى وهي أنَّه يتضمَّن رفع التَّقاطع والتَّهاجر والشَّحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة)<sup>(1)</sup>.

### ج- مواقف المشاركة الوجدانية في دعوة النَّبي ﷺ

إستخدم النَّبي ﷺ هذه الخاصية في دعوته مع مختلف الفئات بما فيهم الصَّغار والكبار والأيتام والمرضى والنِّساء والضعفاء والشُّيوخ ونحوهم، وذلك لحاجتهم إلى معاني الرِّحمة والعطف والشَّفقة والحنان، ومن التَّماذج التي شملتهم مشاركته النَّبي ﷺ الوجدانية :

- **الأطفال:** حيث كان إذا دخل في الصَّلَاة فسمع بكاء الصَّبيِّ، أسرع في أدائها وخفَّفها، عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصَّبي، فأجوز في صلاتي، كراهية أن أشقَّ على أمِّه»<sup>(2)</sup>.

- كما شمل إهتمامه لأمر الضُّعفاء والخدم فأوصى بهم فقال عنهم: «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»<sup>(3)</sup> فكان رضي الله عنه يأتي الضُّعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم، وكان يتَّخذ من هذه الصور وسيلة لتبليغ الحقِّ للنَّاس ودعوتهم للإيمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم النَّبي ﷺ فمرض فأتاه النَّبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم رضي الله عنه فأسلم، فخرج النَّبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النَّار»<sup>(4)</sup>.

فعبادة المريض تعدُّ أحد المشاركات الوجدانية التي جسَّدها النَّبي ﷺ في دعوته، لأنَّ فيها مواساة المريض في أحزانه وهمومه وبلائه، فكان أثره بليغاً في نفس اليهودي وعاطفته، ممَّا نتج عنه أثر الطَّاعة لرسول الله ﷺ.

(1) - النَّووي، شرح النَّووي على صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّه لا يدخل الجنَّة إلاَّ المؤمنون، رقم الحديث 54، ج2، المرجع السَّابق، ص 228.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب من أخف الصَّلَاة عند بكاء الصَّبي، رقم الحديث 707، ص 93.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب قول النَّبي ﷺ: «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون»، رقم الحديث 2545، ص 617.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصَّبي، رقم الحديث 1356، ص 327.

- ولعلَّ أبرز مواقفه مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار فكان لكلِّ رجلٍ من الأنصار أخ من المهاجرين، فآخى بينهم النَّبي ﷺ على المواساة والتَّعاون والتَّآخي، وكان ذلك بعد الهجرة بقليل<sup>(1)</sup> وآخ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشدُّ أزر بعضهم ببعض، فلمَّا عزَّ الإسلام واجتمع الشَّمْل وذهبت الوحشة أنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75].

يقول الإمام الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: (وقد شُرِّعت هذه المؤاخاة لإرفاق بعضهم بعضاً ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فكانوا يتوارثون بهذه الأخوة دون القرابة إلى حين وقعة بدر)<sup>(2)</sup>. فكان أول عملٍ قام به النَّبي ﷺ بناء المسجد لتشريع نظام المؤاخاة، وهي رابطة تجمع بين المهاجريِّ والأنصاريِّ، أُقيمت على أساس العقيدة، وتوثيق مشاعر الحبِّ والمودة، والنُّصرة والحماية، والمواساة بالمال والمتاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75]. وصار التَّوارث بالقرابة والرَّحم وليس بعقد المؤاخاة، فقام الأنصار بحقِّ هذه المؤاخاة خير قيام، فقد واسوا المهاجرين بأموالهم وطيبة نفوسهم بذلك، فكان من مآثرهم ما جاء عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: «قدم علينا عبد الرَّحمان بنُ عوفٍ وأخى النَّبيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الرَّبيع، وكان كثير المال فقال سعد: إني أكثرُ الأنصار مالاً، فأقسِمُ لك نصفَ مالي، وانظرُ أيَّ زوجتي هويتَ نزلتُ لك عنها، فإذا حلَّت، تزوّجتها، قال: فقال له عبد الرَّحمن: لا حاجةَ لي في ذلك هل من سوقٍ فيه تجارة؟ قال: سوقٌ قَيْنَقاعٍ، قال: فعدا إليه عبد الرَّحمن، فأتى بأقِطٍ وسمْنٍ، قال: ثُمَّ تابعَ الغدوّ، فما لبثَ أن جاء عبدُ الرَّحمن عليه أثرُ صُفرةٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: تزوّجتَ؟ قال: نعم، قال: ومن؟ قال: امرأةٌ من الأنصار، قال: كم سُقَّتْ؟ قال: زنة نواةٍ من ذهبٍ -أو نواةٍ من ذهبٍ-، فقال له النَّبيُّ ﷺ: أوْلُمُ ولو بشاةٍ»<sup>(3)</sup>.

(1) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري لصحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النَّبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ج7، المرجع السَّابق، ص 112.

(2) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري لصحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النَّبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ج7، المرجع السَّابق، ص 112، ويُنظر: عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدُّعوة والدُّعاة، ج2، المرجع السَّابق، ص 106.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب الوليمة ولو بشاةٍ، رقم الحديث 5167، ص 1317.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِنَّ الْأَنْصَارَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ - أَيِ الْمُهَاجِرِينَ - النَّخْلَ فَقَالَ ﷺ: لَا، فَقَالَ الْأَنْصَارُ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ: تَكْفُونَا الْمُؤُونَةَ - السَّقْيَ وَالْعَمَلَ - وَتَشْرَكُونَا فِي الثَّمَرِ، فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»<sup>(1)</sup>.

وَكَانَ مِنْ أَرْوَاعٍ مَا قَامَ بِهِ الْأَنْصَارُ أَنْ عَرَضُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَتَوَلَّى قِسْمَةَ أَمْوَالِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ، وَقَدْ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ هِيَ النَّخِيلُ، فَأَبَى عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَرَادَ أَمْرًا تَكُونُ فِيهِ الْمُوَاسَاةُ مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ بِالْأَنْصَارِ، بِزَوَالِ مِلْكِيَّةِ أَمْوَالِهِمْ مِنْهُمْ، فَقَالَ الْأَنْصَارُ لِلْمُهَاجِرِينَ تَكْفُونَا الْمُؤُونَةَ - أَيِ: الْعَمَلَ فِي النَّخِيلِ مِنْ سَقْيِهَا وَإِصْلَاحِهَا - وَنَشْرَكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ، رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ ضَمَنَ سَدًّا حَاجَةً الْمُهَاجِرِينَ، مَعَ الْإِرْفَاقِ بِالْأَنْصَارِ فَأَقْرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا جَمِيعًا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»<sup>(2)</sup>.

وَصَارَتْ عَوَاطِفُ الْإِثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْمُؤَانَسَةِ تَمْتَزِجُ فِي هَذِهِ الْأُخُوَّةِ وَتَمَلَأُ الْمُجْتَمَعَ الْجَدِيدَ بِأَرْوَاعِ الْأَمْثَالِ»<sup>(3)</sup>.

وَمِنْ بَابِ الْإِضَافَةِ فَقَدْ امْتَثَلَ الصَّحَابَةُ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ لَتَوَجِيهَاتِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ لِلْمَسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ خَلِيلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا وَجَدَ طَرِيقًا عَلِمَ أَنَّ فِيهَا خَيْرًا وَأَجْرًا إِلَّا سَلَكَهُ وَمَشَى فِيهِ، فَحِينَمَا وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ هُوَ الْمَجِيبُ، قَالَ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعَنَ فِي إِمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(4)</sup>.

كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ مَالًا وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بِبِرْحَاءٍ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةُ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُوهٗ﴾ [آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب إذ قال: اكفني مؤونة النخل وغيره وتشركني في الثمر، رقم الحديث 2325، ص 559

(2) - علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، المرجع السابق، ص 318.

(3) - المرجع نفسه، ص 314.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم الحديث 1028، ص 711.



إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحاء، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعُهَا حَيْثُ شِئْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخِ ذَاكَ مَالٌ رَابِعٌ، بَخِ ذَاكَ مَالٌ رَابِعٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفَعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ»<sup>(1)</sup>.

إِنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ كَانَتْ مَفْعَمَةً بِالْمُشَارَكَاتِ الْوُجْدَانِيَةِ وَقَدْ سَارَ صَحَابَتُهُ عَلَى مَنَوالِهَا فَآتَتْ أَكْلَهَا فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ فِي خَيْرِ مُقَامٍ وَأَحْسَنِ نَدْيًا بِهَذَا فَقَطْ يَسْتَطِيعُ كُلُّ دَاعِيَةٍ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ بِعَاطِفَةِ وَجْدَانِيَّةٍ يَحَقُّقُ بِهَا أَهْدَافًا قَدْ تَكُونُ صَعْبَةً الْمَنَالِ.

فَالشَّوَاهِدُ الَّتِي تَعَزِّزُ هَذَا الْأَسْلُوبَ الْوُجْدَانِيَّ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَثِيرَةٌ لَا تَعَدُّ وَلَا تَحْصَى، وَمَا ذَكَرْتُهُ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا عَلَى الْحَصْرِ، فَحَرِيٌّ بِالدَّاعِيَةِ أَنْ يَسْتَشْمِرَهَا فِي دَعْوَتِهِ مَقْتَفِيًّا فِي ذَلِكَ أَثَرُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَنَهِجِهِ وَأَسْلُوبِهِ وَمَعَامَلَتِهِ.

#### د- الاستفادة من أسلوب المشاركة الوجدانية

فِي ظِلِّ مَا سَبَقَ ذَكَرُهُ مِنْ صُورٍ وَمَوَاقِفٍ تَعَزَّزَ أُسْلُوبُ الْمُشَارَكَةِ الْوُجْدَانِيَةِ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حَرِيٌّ بِالدَّعَاةِ وَأَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ أَنْ يَتَدَرَّبُوا عَلَى تَفْعِيلِ هَذَا الْأَسْلُوبِ فِي حَيَاتِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا سِيَمَا الدَّعْوِيَّةِ، فَمِنْ حِكْمَةِ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ فِي الْمَنَهِجِ التَّربُويِّ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يَعْيشَ الدَّاعِيَةُ حَالَةَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالْإِجْهَادِ، فَيَتَذَكَّرُ حِينَهَا الْفَقِيرَ وَالْمُحْتَاجَ، وَيَتَصَوَّرُ حَالَتَهُ فَيَرْحَمُهُ وَيُؤَاسِيهِ، وَمِنْ حِكْمَةِ الْحَجِّ التَّجَرُّدِ وَالْبَسَاطَةِ حَيْثُ تَنْزِلُ حَالُ الْغِنَى إِلَى حَالِ مَسَاوِيَةٍ أَوْ شَبْهِ مَسَاوِيَةٍ لِحَالِ الْفَقِيرِ وَالْمَعْوُزِ فِي الْهَيْئَةِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَكَانِ وَالْحَرَكَةِ، وَبِهَذَا يَتَذَكَّرُ وَيَتَصَوَّرُ حَالِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ الضُّعْفَاءِ فَيُؤَاسِيهِمْ وَيَسْعَى فِي حَاجَاتِهِمْ<sup>(2)</sup>، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى ذَلِكَ فِي وَصْفِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، رقم الحديث 4554، 1117.

(2) - عبد العزيز بن محمد النعيمشي، علم النفس الدعوي، المرجع السابق، ص 300.

### المبحث الثالث: قضاء الحاجات وتأمين الخدمات

إنَّ قضاء الحاجات أجراها ونفعها يوافق أجر تأمين الخدمات، والتي تعتبر من أعمال الخير التي لا يهتمُّ لها إلا ذوُّ الوشائج الرَّحْمِيَّة، لذا يجب على الدَّاعية أن يكون له الحظُّ الأوفر في قضاء حاجة المدعوين وإسداء المعروف لهم، وما دلَّ على ذلك النُّصوص الشرعية من الكتاب والسنة النَّبوية التي تدعو إلى البرِّ والبذل والعطاء في سبيل الله بكلِّ الطَّاقات المتاحة قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢﴾ [المائدة: 2].

وقضاء الحاجات بأبها واسعٌ يشمل كلَّ الأمور الحسَّية منها والمعنوية، ففي كلِّ مجتمع فيه المحتاج إلى مساعدة أو قضاء حاجاته من مأكلٍ ومشربٍ ومسكنٍ وما إلى ذلك، فإذا... الداعية بها على أكمل وجهٍ يبتغي بها وجه الله مؤثراً غيره على نفسه فليستبشر يقول تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: 9].

والإسلام رغب في نفع النَّاس وقضاء حوائجهم والسَّعي إلى تفريج كرباتهم، وبذل الشَّفاعة الحسنة لهم، تحقيقاً لدوام المودة، وبقاء الألفة، وزيادة في روابط الأخوة فيقول تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٤﴾ [النساء: 114] ويقول تعالى أيضاً: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ٨٥﴾ [النساء: 85].

ويقول العلامة السَّعدي رحمه الله: (ليعن بعضكم بعضاً على البرِّ، وهو اسم جامع لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، من الأعمال الظَّاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين)<sup>(1)</sup>.

وعلى غرار ما تقدَّم يعالج هذا المبحث أسلوبيْن عمليين كان لهما مساحة كبيرة في دعوة النَّبي ﷺ:

- **المطلب الأوَّل:** أسلوب قضاء الحاجات.

- **المطلب الثَّاني:** تأمين الخدمات.

(1) - السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرَّحمان بن معلَّو اللويحي، ج1، المرجع السَّابق، ص 218.

## المطلب الأول: أسلوب قضاء الحاجات

### أولاً: مفهوم الحاجات

قَبَلَ الحديث في تطبيقاتِ النَّبِيِّ ﷺ لقضاءِ حاجاتِ النَّاسِ، أَسْتَهْلُ بدايةً بتعريفِ هذا الأسلوب من النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيَةِ والإِصْطِلَاحِيَةِ وهو كَالآتِي :

#### أ - لغة

- يَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ عَبَّادُ بِالْقَوْلِ: (اسم مصدر للفعل أحتاج، ويطلق في اللُّغَةِ على عِدَّةٍ معاني منها: الغرض والرغبة والمأربة، وتطلق على الإفتقار إلى الشَّيْءِ كما في تاج العروس، وتطلق الإضطراب إلى الشَّيْءِ، والحاجة من الحوج أحوجه الله، وأحوج الرَّجُلُ: إحتاج وجمع الحاجة: الحاج والحوائج والحاجات، والتحوج طلب الحاجة والحاجة هي الإحتياج)<sup>(1)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ الْأَزْهَرِيُّ بِالْقَوْلِ: (بمعنى المأربة والفقر)<sup>(2)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ مَرْتَضَى الْحُسَيْنِيِّ بِالْقَوْلِ: (الحاجة والحائجة: المأربة قوله تعالى: ﴿وَلْتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [غافر: 80] قال ثعلب يعني الأسفار، والحاجة تطلق على الإفتقار إلى الشَّيْءِ)<sup>(3)</sup>.

جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ [الحشر: 9] وفي هذا الشَّانَ حديث عبد الله بن مسعود ؓ: «فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنْ فِيهِمُ الْمَرِيضُ وَالْكَبِيرُ وَذَا الْحَاجَةِ»<sup>(4)</sup>. وعن السَّعِيدِ بْنِ جَبْرِ ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيُعَجِّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتُضِلُّ الرَّاحِلَةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»<sup>(5)</sup>.

(1) - يُنْظَرُ: إسماعيل بُنْ عباد، المحيط في اللُّغَةِ، تحقيق: مُحَمَّدُ حَسَنُ آلِ يَاسِينَ (عالم الكتب، ط1، 1414هـ/1994م)، ص- ص 142، 143.

(2) - أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بُنْ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللَّغَةِ، بابُ الْحَاءِ (الدَّارُ الْمِصْرِيَّةُ لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّرْجَمَةِ، ج3، د، ت)، ص 134.

(3) - مُحَمَّدُ مَرْتَضَى الْحُسَيْنِيِّ، تَاجُ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ، تحقيق: مُصْطَفَى حِجَازِي، بابُ الْحَاءِ (مطبعة حكومة الكويت، ج5، 1389هـ/1969م)، ص 495.

(4) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْأَذَانِ، بابُ تَخْفِيفِ الْإِمَامِ فِي الْقِيَامِ وَإِتِمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 702، ص 175.

(5) - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بُنْ يَزِيدَ الْقُرُونِيُّ، سَنَنُ ابْنِ مَاجَه، تحقيق: مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدِ الْبَاقِي، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بابُ الْخُرُوجِ إِلَى الْحَجِّ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2883 (مطبعة دار إحياء الكتب، ج1، د، ت)، ص 962.

## ب- اصطلاحًا

عرّفها الدُّعاة والأصوليون بعدّة تعريفات منها :

- يعرفها الإمام الشَّاطبي رحمه الله بالقول: (الحاجيات معناها أنّها مفتقر إليها من حيث التَّوسعة ورفع الضِّيق المؤدّي في الغالب إلى الحرج والمشقّة اللاحقة لفوت المطلوب، فإذا لم تراعى دخل على المكلفين الحرج والمشقّة ولكنه لا يبلغ الفساد المتوقع في المصالح العامة)<sup>(1)</sup>.

- ويعرفها الدكتور مصطفى الزُّرقا بالقول: (الحاجة هي ما يترتّب على عدم الاستجابة إليها عسر وصعوبة)<sup>(2)</sup>.

- وفي تعريف آخر لها: (هي التي يفتر إليها الفرد بعينه أو أفراد محصورون أو طائفة معينة أو فئة مخصوصة، وتتّوّع هذه الحاجة باعتبار عموم النَّاس وخصوصهم إلى الحاجة العامّة أو الخاصّة)<sup>(3)</sup>.

- وفي الدِّراسات النَّفسية عرّفت الحاجة: (بأنّها كلّ حالة من النّقص والإفتقار أو الإضطراب الجسمي أو النَّفسي إنّ لم تلق إشباعًا أثارت لدى الفرد نوعًا من التوتّر والضِّيق، لا يلبث أن يزول متى قضيت الحاجة، أي: متى زال النّقص أو الإضطراب واستعاد الفرد توازنه)<sup>(4)</sup>.

وأما المفهوم الإجرائي الذي وضعته لمصطلح الحاجة هو: تعني إفتقار فئة من النَّاس إلى شيء ذو رغبة فيه، لرفع الضِّيق والحرج، أو جبر النّقص.

فكان الغرض لتعريف الحاجة لتقريب مفهومها لدى القارئ وبيان علاقتها بالموضوع، فهي بمثابة النّشاط الإنساني الذي يمارسه الداعية في حياته الإجتماعية والدعوية تضامناً مع العديد من حالات الإحتياج والعوز والعجز، ممّن تشملهم المعونة والمساعدة سواء أكانت قولية أم فعلية أم ضمنية، وتكون عن طريق البذل والعطاء والكرم والسّخاء، وبهدف رفع الضِّيق والحرج ومساعدة النَّاس والتيسير عليهم.

(1) - الشَّاطبي، الموافقات (المملكة العربية السُّعودية: دار بن عفان، ط1، ج2، 1417هـ/1997م) ص-ص 10، 11.

(2) - أحمد تيجاني هارون عبد الكريم، أثر الضُّرورة والحاجة وعموم البلوى، مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، المؤتمر السنوي الخامس، البحرين، 1428هـ/2007م، ص 6.

(3) - وليد صلاح الدّين الزير، بحث ضوابط الحاجة التي تنزل منزلة الضُّرورة وتطبيقاتها على الإجتهدات المعاصرة، جامعة دمشق، كلّية دمشق، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، مج 26، العدد1، 2010م، ص 678.

(4) - أحمد عزت راجح، أصول علم النَّفس (الإسكندرية: المكتب المصري، ط9، 1973م)، ص 172.

وبناء على ما سبق بيان لمفهوم الحاجة كان من الواجب التَّعرف على معنى أسلوب قضاء الحاجات نوره كالأتي :

### أَمَّا قِضَاءُ الْحَاجَاتِ فَقَدْ:

- عرَّفها الباحث حامد بُنُّ أحمد بُنُّ علي العامري بالقول: (قضاء الحاجات تعني الإحسان إلى ذوي المعروف لهم ونصرتهم إذا احتاجوا، ومساعدتهم لتجاوز محنتهم ليعيشوا حياة كريمة)<sup>(1)</sup>.
- وعبر عنها الدكتور مصطفى البغا بالقول: (كرب الدنيا عديدة وطرق تنفيسها متنوّعة وأنَّ الحياة ملاً بالمتاعب والأكدار وكثيراً ما يتعرض المسلم لما يوقعه في غمّ وضيق وضنك مما يتوجب على المسلمين أن يخلصوه منه)<sup>(2)</sup>.
- وذكر العامري في تعريفٍ آخرٍ له بالقول: (قضاء الحاجات هي طريقة تبليغ الحق ونشر الدعوة عبر المنافع الفردية التي تبذل لسدِّ خلة أهل العوز والحاجة، مثل المساعدات المالية، والشفاعة الحسنة، والنصرة ... وغير ذلك)<sup>(3)</sup>.
- ويعرّفها العلامة السَّعدي رحمه الله بالقول: (ليعن بعضكم بعضاً على البرِّ، وهو اسم جامع لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظَّاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين)<sup>(4)</sup>.
- ومنَّ الملاحظ أنَّ قضاء الحوائج خير العبادات التي يتعدَّى نفعها إلى الغير، فعن أبي هريرة ؓ أن النَّبي ﷺ قال: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(5)</sup>.

(1) - حامد بُنُّ أحمد بُنُّ علي العامري، المنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، المرجع السَّابق، ص 216.

(2) - مصطفى البغا وآخرون، الوافي في شرح الأربعين النووية (دمشق: دار المصطفى للطباعة والنشر، ط2، 1431هـ/2010م)، ص - ص 284، 296.

(3) - المرجع نفسه، ص 75.

(4) - السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان في تفسير كلام المَنَّان، تحقيق: عبد الرَّحمان بن معلا اللُّويحي، ج1، المرجع السَّابق، ص 218.

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والتَّوبة والإستغفار، باب الإجماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، حديث 2699، ص 1242.

ويقول ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مسلماً سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة»<sup>(1)</sup> يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أي) رآه على قبيح فلم يظهره أي على الناس<sup>(2)</sup>.

فالسعي لخدمة الدعوة من هذا الجانب خير من نوافل العبادة، وهي من أسباب دوام النعم على صاحبها دعا إليها النبي ﷺ وبين عظم الثواب والأجر في الدنيا والآخرة فيقول: «من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين»<sup>(3)</sup>.

وبين النبي ﷺ أن نفع الناس من أعظم الأعمال والقربات، عن أبي موسى ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء»<sup>(4)</sup>.

لذلك تتنوع قضاء الحاجات بتنوع حاجات الناس والتي لا يمكن حصرها باعتبارها مطلوبة شرعاً، وشواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: 148] وقوله أيضاً: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77] وقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92].

فدعا القرآن الكريم إلى ضرورة قضاء حوائج الناس كواجب شرعي جاء دليله في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 215] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَاقِي﴾ [الحج: 28].

وعليه يلحظ أن الدعوة إلى الله لا تنحصر في التبليغ بالقول فقط، بل إن التعاون المثمر والتكافل الاجتماعي وتأمين المنشآت الخيرية، وتقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية تعد هي الأخرى دعوة في سبيل الله في إطارها العملي، والداعية إلى الله مطالب في حق دعوته أن يجود بالمال

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث 2368، ج5، المرجع السابق، ص 116.

(2) - المرجع نفسه، ص 386.

(3) - ابن السبكي والزبيدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (الرياض: دار العاصمة للنشر، د، ط، ج3، 1408هـ/ 1987م)، ص 1212.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم ببعض، رقم الحديث 6028، ص 1511.

والجهد من غير كلِّ أو مللٍ، متجنبًا في ذلك مصالحه الشَّخصية لغرض الثناء والمدح من النَّاس، فإنَّ ذلك يتنافى غرضه الخيري الخالص، فينبغي أن يأخذ هذا الواجب نصب عينيه ويستثمره مع الفئة المحرومة والمعوزة، إمتثالاً لأمر الله وما يستوجب عليه في ظلِّ دعوته.

وعليه إستنادًا لما سبق من مفاهيم وأدلة، نطلق على أسلوب قضاء الحاجات بمسمَّيات عدَّة كأن نقول على سبيل المثال: الإستباق إلى الخيرات، البذل والعطاء، والكرم والسَّخاء، والسَّعي لخدمة الآخرين، وإغاثة الملهوف، والتَّعاون على الخير، واصطناع المعروف أو إسداء المعروف سواء من الجانب المادي أو المعنوي وذلك أضعف الإيمان، ... وغير ذلك كثير.

### ثانيًا: صور أسلوب قضاء الحاجات في دعوة النَّبي ﷺ

تبين لي سابقًا أن هذا الأسلوب من أنفع الأساليب وأعمقها أثرًا في القلوب، لأنَّها بمثابة الرِّباط الوثيق بين الدَّاعية والمدعويين، يتجلَّى بوضوح في الجانب التَّكافلي والتَّعاوني، وهو من الصِّفات الأخلاقية والعملية التي إتَّصف بها النَّبي ﷺ قبل البعثة وبعدها.

فكان ﷺ قبل البعثة كما وصفته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «كلا أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدًا، والله إنَّك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»<sup>(1)</sup>.

وبعد البعثة كان أوَّل كلامه عند قدومه للمدينة ما رواه أبو يوسف عبد الله بن سلام ﷺ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أنجفل النَّاس قبله، وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ -ثلاثًا- فجئت في النَّاس لأنظر، فلمَّا تبَّنت وجهه عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أوَّل شيء سمعته تكلم به أن وقال: «يا أيُّها النَّاس: أفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وصلُّوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والنَّاس نيام تدخلوا الجنَّة بسلام»<sup>(2)</sup>.

وقال ﷺ: «أتق الله ولا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن أخاك ووجهك إليه منبسط»<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث 252، ج2، ص 84.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه، ج4، ص 550. وصحَّحه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصَّلَاة والسَّنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، رقم الحديث 1334، ج1، ص 423.

(3) - رواه أحمد من حديث أبي جري الهجيمي، وذكره الألباني في صحيح الجامع، وفي السَّلسلة الصَّحيحة، 337/3، وحكم عليه بالصَّحة.



والقارئ للسيرة النبوية يرى كيف كان النَّبي ﷺ يعود من مرض من أصحابه، ويتبع جنازة من مات منهم، وإذا افتقد أحدهم في صلاة الصُّبح سأل عنه، ومن كان منهم في حاجة إلى المال ساعده بماله، وحثَّ الصَّحابة على مساعدته، وهكذا كان ﷺ حريصاً على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعلى إفشاء روح الحبِّ والتَّعاون والإحترام فيما بينهم.

فكان من صور هذا الأسلوب في دعوة النَّبي ﷺ هي كالآتي :

#### أ- إعانة الملهوف والضَّعفاء من النَّاس

لَمَّا بُعِث النَّبي ﷺ تضاعفت إهتماماته، فكان من هديه الدَّعوة إلى إعانة المحتاج والملهوف عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النَّبي ﷺ: «على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ، فقالوا: يا نبيَّ الله، فمن لم يجد؟ قال: يعملُ بيده، فينفع نفسه ويتصدَّق قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يُعِينُ ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليُمسك عن الشرِّ، فإنَّها له صدقةٌ»<sup>(1)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقاً على قولهم: (يا نبيَّ الله فمن لم يجد ذكر بأنهم فهموا أنَّ لفظ الصدقة العطية فيسألوا عنه ليس عنده شيء، فبيَّن لهم أنَّ المراد بالصدقة ما هو أعم من ذلك ولو بإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف، وقال: من أمكنه أن يعمل بيده فيتصدق، وأن يغيث الملهوف ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمسك عن الشرِّ فيفعل الجميع، والمقصود هنا أنَّ أعمال الخير وإغاثة الملهوف تنزل منزلة الصدقات في الأجر ولاسيما في حق من لا يقدر عليه)<sup>(2)</sup>.

فكان من أروع ما تميَّز به النَّبي ﷺ إذا أعطى كان أجود النَّاس، وإذا شعر كان أرقَّ النَّاس على النَّاس، يرفق بالضعيف ويُعين العاجز، ويؤاسي المصاب، ويجدُّ في الخدمة، ويُلَازم الصَّدق والإخلاص، والتواضع واللين، ويرغب في قضاء الحوائج ومساعدة الآخرين، فكان أحبُّ الأعمال عنده -ﷺ- إعانة النَّاس على نوائب الدَّهر عن ابنِ عُمر رضي الله عنهما: «أنَّ رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال يا رسول الله: أيُّ النَّاس أحبُّ إلى الله؟، وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟، فقال رسول الله ﷺ: أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعهم للنَّاس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سُرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب على كلِّ مسلم صدقة، رقم الحديث 1445، ص 351. وفي كتاب الأدب، باب كلِّ معروف صدقة، رقم الحديث 6022، ص 1510.

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لصحيح البخاري، كتاب الزَّكاة، باب على كلِّ مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، رقم الحديث 1445، ج 3، المرجع السَّابق، ص 308.

من أن أعتكف في هذا المسجد - مسجد المدينة - شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»<sup>(1)</sup>.

وكان ﷺ كما وصفته زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ»<sup>(\*)</sup> وتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ<sup>(\*)</sup> وتَقْرِي الضَّيْفَ وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ<sup>(2)</sup>.

وعندما أقبل الإراشي على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال: «يا معشر قريش، مَنْ رجل يُؤدِّي علي أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي؟ قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس - لرسول الله ﷺ وهم يهزؤون به؛ لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة إذ ذهب إليه فإنه يؤدِّيك عليه، فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبد الله، إِنَّ أبا الحكم بن هشام قد غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي لي قَبْلَهُ، وأنا رجل غريب، ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدِّيني عليه، يأخذ لي حَقِّي منه، فأشاروا لي إليك، فَخُذْ لي حَقِّي منه، يرحمك الله. قال: انطلق إليه. وقام معه رسول الله ﷺ. فلَمَّا رَأَوْهُ قام معه، قالوا لرجل مِّنْ مَّعَهُمْ: إتبعه، فانظر ماذا يصنع، قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه، فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمَّد، فاخرج إليَّ. فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة، قد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حَقَّهُ. قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال: فدخل، فخرج إليه بحَقِّه، فدفعه إليه. قال: ثُمَّ انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: الْحَقُّ بِشَأْنِكَ.

(1) - أبو الحسن الشيخ، تراجمات الألباني (الرياض: دار المعارف، ج 1، د، ت)، ص 31، هذا الحديث جاء بإسناد خير من هذا فرواه إسنُّ أبي الدنيا، في قضاء الحوائج، برقم 36، ص 38، وفي ضعيف الجامع، برقم 5824 وصحيح الجامع برقم 1766، وفي نهاية تخریج الحديث في الضعيفة، رقم 4647، وأخرجه الطبراني في الأوسط، 139/6، برقم 6026، وفي الكبير، 453/1، برقم 13646، وفي الصَّغِير، برقم 861، 106/2، وفي صحيح الجامع، برقم 176، وحسنه الألباني وقال: حديث حسن.

(\*) - تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ: بمعنى فمن تكسب غيرك المال المعدوم، أي: تعطيه إياه تبرعاً، وقيل معناه: تعطي النَّاسَ مالاً يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث 252، ص 141).

(\*) - تَحْمِلُ الْكَلَّ: الكَلَّ أصله الثَّقَل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ [النحل: 76] ويدخل في حمل الكَلِّ الإنفاق على الضَّعِيفِ واليتيم والعيال وغير ذلك، وهو من الكلال وهو الإعياء (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث 252، ص 141).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النَّبي ﷺ إلى المدينة، رقم الحديث 3905، ص 956. وفي كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكرٍ في عهد النَّبي ﷺ وعقده، رقم الحديث 2297، ص 550.

فأقبل الإِراشِي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فَقَدْ والله أخذ لي حَقِّي. قال: وجاء الرَّجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجبًا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: أعط هذا حقَّه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أُخرج إليه حقَّه، فدخل فخرج إليه بحقَّه، فأعطاه إياه، قال: ثمَّ لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط! قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي، وسمعت صوته، فملكت رعبًا، ثم خرجت إليه، وإنَّ فوق رأسه لفحلًا من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا قَصْرته، ولا أنيابه لفحلٍ قطُّ، والله لو أُبَيِّت لأكلي<sup>(1)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «والله الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكِبْدِي على الأرض من الجُوع، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ على بطني من الجُوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يُخْرِجُونَ منه، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فتَبَسَّمَ حينَ رآني، وعرفَ ما في وجهي وما في نفسي، ثُمَّ قال: أبا هِرٍّ، قلتُ: لَبَيْكَ يا رسولَ اللهِ، قال: الحقُّ ومضى، فاتَّبَعْتُهُ، فدخلَ فاستأذَنَ، فأذِنَ لي فدخلتُ، فوجدتُ لَبَنًا في قدح فقال: مَنْ أَيْنَ هذا اللَّبَنُ؟ قالوا: أهْدَاؤُكَ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ قال: أبا هِرٍّ، قلتُ: لَبَيْكَ يا رسولَ اللهِ، قال: الحقُّ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فادْعُهُمْ لي، قال: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضيافُ الإسلامِ، لا يَأْوُونَ على أَهْلِ، ولا مالٍ، ولا على أَحَدٍ، وكان إذا أَتَتْهُ صدقةٌ بعثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وإذا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فسأني ذلك فقلتُ: وما هذا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هذا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فإذا جاءُوا أَمْرِي، فكنْتُ أنا أُعْطِيهِمْ، وما عسى أَنْ يُلْغِي مِنْ هذا اللَّبَنِ، ولم يكنْ من طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسوله ﷺ بدًّا، فَأَتَيْتُهُمْ فدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا واستأذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا بِمَجَالِسِهِمْ مِنَ الْبَيْتِ قال: يا أبا هِرٍّ، قلتُ: لَبَيْكَ يا رسولَ اللهِ، قال: خذْ فَأَعْطِهِمْ قال: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فجعلتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فيشْرَبُ حتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الْآخَرَ فيشْرَبُ حتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وقد رويَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فوضعه على يده، فنظرَ إِلَيَّ فتَبَسَّمَ، فقال: أبا هِرٍّ قلتُ: لَبَيْكَ يا رسولَ اللهِ قال: بَقِيتُ أنا وَأَنْتَ قلتُ صدقتُ يا رسولَ اللهِ، قال: اقْعُدْ فاشْرَبْ فقعدتُ فشربتُ: فقال: اشْرَبْ، فشربتُ، فَمَا زال يقول: اشْرَبْ حتَّى قُلْتُ: لا وَالَّذِي بعثك بالحقِّ ما أَجِدُ له مَسْلَكًا، قال: فَأَرْنِي فَأَعْطِيته الْقَدَحَ، فحمدَ اللهُ تعالى، وسمَّى وشربَ الْفَضْلَةَ»<sup>(2)</sup>.

(1) - ابنُ كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، ج 3، 1412هـ/1991م)، ص 45.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرِّقَاق، باب كيف كان عيش النَّبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدُّنيا، رقم الحديث

فالدَّاعِيَةُ مطالب بقدر ما يملك من البذل والجهد أن يُقدِّم على قضاء حوائج النَّاس مادِّيًّا كان أم معنويًّا، سواء بالمشاركة أو الحثِّ عليها، فيعين على نشر أواصر الرِّحمة وتمكين خُلق التَّكافل بين النَّاس والقضاء على نوائب الفقر والعالَة والعجز، ليعترف بجميل صنيعه وعمله الخيري والمجهودات المقدَّمة في رعايته لذوي الإحتياجات مِنْ مختلفِ أصنافهم، فيلقى الإستجابة والإحترام المتبادل إن شاء الله، يقول النَّبِيُّ ﷺ مبيِّنًا فضائل جهده: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»<sup>(1)</sup>.

ويوضِّح الإمام ابنُ حزم رحمه الله معلقًا: (يفرض على أغنياء في بلد أن يقوموا بحاجة فقرائهم العاجزين عن العمل أو الذين لا يجدون عملاً، ويجبرهم السُّلطان على ذلك، إن لم تقم الزكاة بهم، ولم يكن في بيت مال المسلمين فضل يكفيهم).<sup>(2)</sup>

واستدلَّ بما روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «من كان عنده طعام إثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس أو كما قال»<sup>(3)</sup>.

وقد وَرَدَ من قصص المحتاجين من صحبة رسول الله ﷺ ما رواه مسلم عن عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: «خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ<sup>(\*)</sup> صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ<sup>(\*)</sup> مِنْ صُحُفٍ

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم أخاه المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث 2442، ص 591.

(2) - أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، المحلى بالآثار، المسألة 725 (بيروت: دار الفكر، د، ط، ج 2، د، ت)، ص 157.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3581، ص 882.  
(\*) - أبا اليَسَرَ: اسمه كعب بن عمرو، شهد العقبة وبدراً، وهو ابنُ عشرين سنة، وهو آخر من توفِّي من أهل بدر، رضي الله عنهم، توفِّي بالمدينة سنة خمس وخمسين (صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرِّقَاق، باب حديث جابر الطَّويل، وقصة أبي اليَسَرَ، رقم الحديث 3006، ص 2301).

(\*) - ضِمَامَةٌ من صحف: بكسر الضَّاد، أي: رزمة يضم بعضها إلى بعض، هكذا وقع في جميع نسخ مسلم: ضِمَامَةٌ، وكذا نقله القاضي عن جميع النسخ، وقال القاضي: صوابه إضمَامَةٌ، بكسر الهمزة قبل الضَّاد، وقال القاضي: ولا يبعد عندي صحة ما جاءت به الرواية هنا، كما قالوا: صِبَارَةٌ، وإضِبَارَةٌ لجماعة الكتب، ولقافة لما يلف فيه الشيء، وذكر صاحب نهاية الغريب أنَّ الضِمَامَةَ لغة في الإضمَامَةِ، والمشهور في اللُّغة: إضمَامَةُ الألف (صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرِّقَاق، باب حديث جابر الطَّويل، وقصة أبي اليَسَرَ، رقم الحديث 3006، ص 2301).

وعلى أبي اليسر بُرْدَةٌ وَمَعَاوِيَّ<sup>(\*)</sup>، فقال له أبي: يا عَمَّ إِنِّي أرى في وجهك سَفْعَةً<sup>(\*)</sup> من غضبٍ، قال: أجل كان لي على فلان بن فلان الحَرَامِيَّ مالٌ فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ ثم هو؟ قالوا: لا، فخرج عليَّ بنٌ له جَعْفَرٌ<sup>(\*)</sup> فقلت له: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أُمِّي، فقلت: أخرج إليَّ فقد علمتُ أين أنتَ، فخرج، فقلت: ما حملك على أن إحتبأت مِنِّي، قال: أنا والله أُحَدِّثُكَ ثم لا أُكْذِبُكَ، خشيت والله أن أُحَدِّثَكَ فَأُكْذِبَكَ، وأن أَعِدَّكَ فَأُخْلِفَكَ، وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنت والله مُعْسِراً، قال: قلتُ: الله، قال: الله قلن الله قال، الله قلتُ، الله قال، الله قال، فأتى بصحيفته فمحاها بيده فقال: إن وجدت قضاءً فاقضني وإلا أنت في حلٍّ فأشْهَدُ بِصَرَ عَيْنِي هَاتَيْنِ ووضع إصبعيه على عَيْنَيْهِ وَسَمِعَ أَذْيَ هَاتِي، ووعاه قلبي هذا - وأشار إلى مناطِ قلبه - رسول الله ﷺ وهو يقول: من أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَمَهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ<sup>(1)</sup>.

#### ب- تفقُّد أصحابه من المرضى والمعوزين

وكان من هديه ﷺ مع أصحابه أَنَّهُ كان ذا خلقٍ رفيعٍ، كان يسأل عنهم ويتفقدهم ويتواضع معهم ويزور مرضاهم، ويشهد جنائزهم، ويشفق عليهم، يشعر بالأمهم ويسعى في تفرغ همومهم وقضاء حوائجهم، فكان يقوم على حاجة الأرامل والضُعفاء والأيتام عَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فقال: يَا أُمُّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السَّككِ شِئْتَ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ، فحَلَا معها في بعضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا»<sup>(2)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة وفيه في قِصَّةِ نومهم عن صلاة الفجر...: «قال ودعا بالمِيضَاءَ فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم - أي أصحابه - فلم يعد أن رأى الناس ماء في المِيضَاءَ تكابوا عليها. فقال رسول الله ﷺ: أحسنوا المأْلَ كُلَّكُمْ سيروى، قال: ففعلوا فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ وأسقيهم حَتَّى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ قال: ثم صب رسول

(\*) - معاوي: نوع من الثياب، يعمل بقرية تسمى معافر، وقيل هي نسبة إلى قبيلة نزلت تلك القرية، والميم فيه زائدة (صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرقائق، باب حديث جابر الطَّوِيل، وقِصَّةُ أَبِي الْبَسَرِ، رقم الحديث 3006، ص 2301).

(\*) - سَفْعَةٌ من غضب: هي بفتح السين المهملة وضمها: لغتان، علامة وتغيّر (المصدر نفسه، 2301).

(\*) - الجفر: هو الذي قارب البلوغ، وقيل: هو الذي قوى على الأكل، وقيل: إِبْنُ خمس سنين (المصدر نفسه، ص 2301).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرِّقَاق والزُّهد، باب حديث جابر الطَّوِيل وقِصَّةُ أَبِي الْبَسَرِ، رقم الحديث 3006، ص 1367.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النَّبي ﷺ من النَّاسِ وتبركهم به، رقم الحديث 2326، ص 1097.

الله ﷺ فقال لي: اشرب، فقلت: لا أشرب حتَّى تشرب يا رسول الله قال: إِنَّ ساقِي القوم آخرهم شرباً. قال: فشربت وشرب رسول الله ﷺ قال: فأَتَى النَّاس المَاء جامين رواء»<sup>(1)</sup>.

وكان من هديِّه ﷺ السُّؤال عَمَّنْ غاب من أصحابه رضي الله عنهم، وهذا كثيرٌ جدًّا في سنَّته ﷺ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِفْتَقَدَ ثابت بن قيس، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أنا أعلم لك عِلْمَه، فَأَتَاه فوجَدَه جالسًا في بيته مُنْكَسًا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال ثابت: شرُّ؛ كان يرفع صوته فوق صوت النَّبي ﷺ فقد حبط عمله، وهو من أهل النَّار، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَه أَنه قال: كذا وكذا، فقال: اذهب إليه فقل له: إِنَّكَ لست من أهل النَّار، ولكن من أهل الجنَّة»<sup>(2)</sup>.

مع عظيم انشغاله ﷺ بالدَّعوة وهمومها، لم يغفل غِيَاب ثابت بن قيس رضي الله عنه عن مجلسه وفقدته له، فتحَرَّى خبره ﷺ وفرَّج عنه كربته، وزادَه بشارَةً عظيمة كبيرة.

وعن عائشة بنتِ سعدٍ رضي الله عنها، أَنَّ أَبَاهَا قال: «إِشْتَكَيْتُ بِمَكَّةَ فجاءني رسولُ الله ﷺ يَعُوْذُنِي، ووضَعَ يَدُه على جَبْهَتِي، ثُمَّ مسحَ صَدْرِي وبَطْنِي، ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، وَأَتِمِّمْ لَهُ هِجْرَتَهُ»<sup>(3)</sup>.

وكذلك تَفَقَّده ﷺ للمرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد، أي: تجمع قمامته، يروي عنها أبي هريرة رضي الله عنه: «أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد، ففَقَدَها رسولُ الله ﷺ فسأل عنها، فقالوا: ماتت، قال: أفلا كنتم آذنتُموني؟، قال: فكأنهم صَغَرُوا أمرها، فقال: ذُلُّوني على قبرها، فدلُّوه فصلِّي عليها»<sup>(4)</sup> فلمَّا صَغَّرَ النَّاسُ أمرَ هذه المرأة، أَعْلَى النَّبِيُّ ﷺ من شأنها بصلاته على قبرها، ووفى لها ﷺ بعد موتها.

صفة تمثَّلت في خلقِ النَّبي ﷺ الرَّاسخ وهي أَهْمِيَّةُ الشُّعُور بالآخر والوقوف معه في محنته وأزماته، والعمل على تحقيق حياة أفضل له، ومن البديهي أن يرتبط هذا التَّعاون بالأخلاق العالية والقيم السَّامية، والدَّاعية الذي يبدي تعاونًا طوعيًّا متواصلًا مع الآخرين لاشكَّ أَنَّهُ يعي أَهْمِيَّةَ هذا التعاون

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلَاة، باب قضاء الصَّلَاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم الحديث 311، ص 472.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3613، ص 452.

(3) - الحاكم النِّسَابوري، المستدرک على الصَّحَّيحين، كتاب الجنائز، باب، ج 1، رقم الحديث 1267، ص 492. وقال: هذا الحديث صحيحٌ على شرط الشَّيْخَيْن، ولم يُجَرِّجْاه بهذا اللَّفْظ.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، باب كنس المسجد والتقاط الخِزْق والقذى والعيذان، رقم الحديث 458، ص



والإحساس بالمسؤولية المتبادلة، لأنَّ السَّبيل لتطوير المجتمع واستقراره وأمنه واستمراريته تكمن في مساعدة هؤلاء النَّاس والسعي في قضاء حوائجهم لتذليل كل المصاعب التي قد يتعرض لها الناس. والشَّواهد الدَّالة تصرِّحاً على خلق النَّبي ﷺ العظيم في شفقتِه ومساعدته للضعفاء من النَّاس ذوي الحاجات كثيرة لا يمكن حصرها، فما سئل شيء إلاَّ أعطاه وكان أسرع النَّاس في البذل والعطاء، وقد ربط قبول الأعمال ودوام النعم وغفران الذَّنْب في مساعدة النَّاس وقضاء حوائجهم، والتي لا ينبغي لأهل الدَّعوة تبسيطها والتَّهاون فيها فعليهم أن يستقوا من فيض رحمته ويجعلوا من منهجه وخلقه مثلاً يحتذى به.

وعليه نجد أنَّ الدَّعوة إلى الله لا تنحصر في التَّبليغ بالقول فقط، بل إنَّ التَّعاون المثمر والتكافل الاجتماعي وتأمين المنشآت الخيرية وتقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية تعدُّ دعوة في سبيل الله في إطارها العملي والتَّطبيقي، والدَّاعية إلى الله مطالب في حقِّ دعوته أن يجود بالمال والجهد وبأخلاقه في السَّعي إلى قضاء حوائج النَّاس من غير كلِّل أو مللٍ، متجنِّباً في ذلك مصالحه الشَّخصية لغرض الشَّاء والمدح من النَّاس، لأنَّ ذلك يتنافى غرضه الخيري الخالص، فينبغي أن يأخذ هذا الواجب نصب عينيه ويستثمره مع ذوي الفئة المحرومة والمعوزة، إمثالاً لأمر الله تعالى آخذاً بعين الاعتبار ضميره الإنساني والدَّعوي.

### المطلب الثَّاني: أسلوب تأمين الخدمات

الدَّعوة إلى الله لا تنحصر على الدَّعوة باللِّسان فقط، بل بالأعمال النَّافعة والمشاريع الهادفة التي تحذو حذوها من خلال التَّعاون المثمر وتقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية النبيلة وتأمين المنشآت الخيرية<sup>(1)</sup>، وهي ما دعا إليها القرآن وحثَّ على إقامتها في كثير من الأحيان منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: 148] وهذا دعوة للتنافس في الأعمال الخيرية بتقديم الأفضل في مجال العمل الخيري ثم إنَّ الحديث عن الخير رُبطَ بالعبادة مثلاً توضَّحه آية سورة النحل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، وقوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 92]

(1) - حامد بن أحمد بن علي العامري، الدَّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي من القرآن الكريم والسنة المطهرة، المرجع السَّابق، ص 72.



إنَّ هذا العنصر يتعلَّق بالجانب العملي والحيوي في الدَّعوة إلى الله، ويقصد به الخدمات والمشاريع الخيرية التي يقدمها الدَّاعية لخدمة الفئة المحرومة والمعوزة في المجتمع من الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة وغيرها كثير، والتي بتوافر هذا العنصر يسود الأمن والطُمأنينة وتكرَّس مبدأ الرِّعاية الإنسانية، يكرَّس خلالها قضية التكافل الاجتماعي في أكمل نشاطه الحيوي دون الوعظي. وقبل التَّفصيل في هذا الجانب ارتأيت أن أقدِّم بإيجاز مفهوم هذا العنصر ليتَّضح أكثر لدى القارئ:

### أولاً: مفهوم تأمين الخدمات

#### أ - لغة

- يعرفه العلامة الرَّازي بالقول: (التَّأمين في اللغة الأمان، والأمنَةُ بمعنى، وقد أَمِنَ أماناً وأمنَةً بفتحين فهو آمن وآمنه غيره من الأمن والأمان)<sup>(1)</sup>.
- ويعرفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (وقد أمنت، فأنا آمن وآمنت غيري من الأمن والأمان والأمن ضدَّ الخوف)<sup>(2)</sup>. والمقصود منه طمأنينة النَّفس وسكونها بتوفير أسباب الطمأنينة.

#### ب - اصطلاحاً

- التَّأمين كنظام يقصد به تعاون منظم تنظيمًا دقيقًا بين عدد كبير من النَّاس معرضين جميعًا لخطر واحد، حتَّى إذا تحقَّق الخطر بالنِّسبة إلى بعضهم، تعاون الجميع في مواجهته بتضحية قليلة يبذلها كلُّ منهم يتلافون بها أضراراً جسيمة تحيق بمن نزل الخطر بهم<sup>(3)</sup>.
- وَمَّا لاشكَّ فيه أنَّ الإسلام دعا إلى التَّعاون بين النَّاس وبذل التَّضحيات على أساس من التبرع لا المعاوضة<sup>(4)</sup> يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2] وقد جاء الإسلام بكثير من الصُّور والأنظمة التي تحقِّق نظام التَّأمين نذكر منها :  
 ✓ نظام العاقلة كفالة الغارمين من الزَّكاة: وهم المدينون لمصلحة خاصَّة كالإنفاق على أنفسهم، أو لمصلحة عامَّة كالإصلاح بين متخاصمين.  
 ✓ ونظام كفالة الفقراء والمساكين: وهم الذين لا يجدون ما يسدُّون به كفايتهم من مطعمٍ ومسكنٍ وسائر ما لا بدَّ لهم منه.

(1) - أبو بكر الرَّازي، مختار الصَّحاح، مادَّة أمن، ج 1، المصدر السَّابق، ص 11.

(2) - ابنُ منظور، لسان العرب، مادَّة أمن، ج 13، المصدر السَّابق، ص 22.

(3) - محمَّد عثمان شبير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي (عمان: دار النَّفائس، ط 6، 1427هـ/2007م)، ص 82.

(4) - المرجع نفسه، ص 82.

✓ ونظام كفالة بن السَّبيل من الزَّكاة: وهم الذين إنقطعوا عن أموالهم وأصبحوا محتاجين إلى المال في ذلك الموضع.

✓ ونظام النَّفقات بين الأقارب.

✓ ونظام التَّكافل الاجتماعي بين أبناء الحيِّ الواحد والبلد الواحد، كما يفعل الأشعريُّون، حيث كانوا كما قال عنهم رسول الله ﷺ: «إذا أرمِلوا في الغزو<sup>(\*)</sup>، أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ، ثمَّ اقْتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ، بالسَّوية فهم مني وأنا منهم»<sup>(1)</sup>.

من أهدافه :

يهدف التَّأمين إلى عدَّة أمور منها :

✓ تحقيق التَّحاب والتَّوادد والأخوة وتماسك المجتمع .

✓ تحصين المجتمع من آثارِ المصائب والنَّكبات، فبدلاً من أن يتحمَّلها فرد بعينه أو مجموعة بعينها، فإن أفراد الأُمَّة جميعهم يهبون لنصرة ذلك المصاب وتخفيف أثر المصيبة عليه.

✓ تحقيق طمأنينة النَّفس والسَّعادة، فحينما يشعر الفرد أنَّ كلَّ حاجاته مؤمنة في حالات الطَّوارئ ترتاح نفيه ويطمئنَّ على حياته.

✓ توفير الأموال وإدِّخارها<sup>(2)</sup>.

وأما تأمين الخدمات فقد عرَّفه:

- الباحث حامد بُنُّ أحمد بُنُّ علي العامري بالقول: (تأمين الخدمات يقصد به الأسلوب وطريقة تبليغ الحقِّ ونشر الدَّعوة عبر المنافع والخدمات العامَّة التي تقدِّم إلى الفئات المحتاجة والمنكوبة والمعوَّزة، بهدف تليين قلوبهم وجذبهم لما يدعى لهم، وإقبالهم على الطَّاعات، مثل: تأمين مراكز للصَّحَّة، المدارس، الطُّرق، أعمال الإغاثة وما إلى ذلك)<sup>(3)</sup>.

- وفي تعريفٍ آخرٍ له: (هو سلوك أو عمل أو مجهود شخصي يقوم به الإنسان من ذاته لا يبتغي من ورائه إلا مرضاة الله تعالى، مثل: التبرُّع بالمال لمؤسَّسة أو محتاجين أو إسعاف جريح أو تعليم مجموعة

(\*) - أرمِلوا في الغزو: أي: فنى طعامهم (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة، من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، رقم الحديث 166، ص 1944).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، رقم الحديث 166، ص 1944.

(2) - محمَّد عثمان شبير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، المرجع السَّابق، ص-ص 83، 84.

(3) - حامد بُنُّ أحمد بُنُّ علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي من القرآن الكريم والسَّنة المطهرة، المرجع السَّابق، ص 73.

من الأفراد القراءة والكتابة أو إنشاء مشروع كصرح علمي أو بناء مدرسة أو مسجد أو المساهمة في حل مشكلة معينة أو الإنفاق بالمال في سبيل الله، بإمالة الأذى عن الطريق<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: مبادرات النَّبي ﷺ في تأمين خدمات المجتمع المدني

تجلياتها في دعوة النَّبي ﷺ كثيرة ومتنوعة بحيث لا يمكن حصرها، فاقترنت على أهمها وهي: بناء المساجد والإنفاق لعمارتها، ومشاركته في حفر الخندق وتعاونه في بناء الكعبة، وإسعاف الجرحى، وسعيه في وفرة الأرض للمسجد، وشراء بئر روما وغير هذا كثير.

### أ- بناء المساجد والإنفاق لعمارتها

بعد هجرة النَّبي ﷺ إلى المدينة أوَّل ما أقبل عليه بناء المسجد، أسَّس لغاية دينية واجتماعية وسياسية وقضائية يجتمع فيه المسلمون لأداء الواجبات والتشاور وغيرها من الأعمال الكثيرة، فأمر بذلك أصحابه وشاركهم في البناء لترسيخ خلق التعاون على البرِّ والتقوى عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «لَمَّا قدم النَّبي ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حيٍّ يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثمَّ أرسل إلى ملأ بني النَّجار فجاءوا متقلدين سيوفهم قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر بردفه وملأ بني النَّجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب قال: فكان يصلي حيث أدركته الصَّلَاة في مرابض الغنم، قال: ثمَّ أنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ بني النَّجار فجاءوا فقال يا بني النَّجار ثامنوني<sup>(\*)</sup> حائطكم هذا فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فكان فيه ما أقول لكم كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب وكان فيه نخل فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع، قال فصفوا النخل قبله المسجد قال: وجعلوا عُصَادَتِي حجارة قال: قال جعلوا وأي تقلونك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله معهم يقولون اللَّهُمَّ أَنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الْآخِرَةِ فَانصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ»<sup>(2)</sup>.

(1) - نافذ حماد وآخر، العمل التطوعي ومجالاته الاجتماعية في السنَّة النبويَّة دراسة موضوعية، غزّة، الجامعة الإسلامية، كُلية أصول الدِّين، قسم الحديث،، مجلَّة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدِّراسات الإسلامية، مج 19، العدد 1، ص 45.

(\*) - ثامنوني بحائطكم هذا: أي قرروا معي ثمنه، ويبيعونه بالثمن، ويقال: ثمنت الرجل في البيع أثمانه، إذا ساومته على بيعه واسترائه، وفي مرجع آخر، ثامنوني: ساوموني بالثمن أو أعطوني بالثمن بحائطكم هذا، أي بستانكم (صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصَّلَاة، باب إبتداء مسجد النَّبي ﷺ، رقم الحديث 524، ج 1، ص 373). و(يُنظر: خليل أحمد السَّهَارنفوري، بذل المجهود في حل أبي داود، بيروت: دار الكتب العلمية، ج 3، د، ط، د، ت)، ص 194.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلَاة، باب إبتداء مسجد النَّبي ﷺ، رقم الحديث 524، ج 1، ص

وروى البخاري من روائه ابنُ شهاب: «ثم بنى ﷺ مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن: هَذَا الْحِمْلُ لَا حِمْلَ خَيْرٍ .. هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ»<sup>(1)</sup>.

فكان مسجد رسول ﷺ يقوم مقام الجمعيات الخيرية في جمع الزَّكاة والصَّدقات من الموسرين والمنفقين وتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزَّكاة.

ومما لا يخفى على كلِّ دَّاعية أن يدرك أهميَّة المساجد في ساحة العمل الدَّعوي، ودوره في بناء المجتمع الإسلامي، بأن يسعى ويشجّع على بنائها في كلِّ قرية، وكلِّ مَجْمَع سكاني وتشبيدها سواء بالإنفاق بماله أو المشاركة بالجهد والعمل، فيكون باعثاً على تذكير النَّاس بالعبادة وموعظتهم، ومنحهم مقرأً أو مكاناً يجتمع فيه الدُّعاة والوعاظ لإلقاء مواعظهم وخطبهم العامَّة يقول الإمام النَّووي رحمه الله: (يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ فَضْلَهُ عَلَى بُيُوتِ الْجَنَّةِ كَفَضْلِ الْمَسْجِدِ عَلَى بُيُوتِ الدُّنْيَا قَوْلُهُ فِي الْجَنَّةِ يَتَعَلَّقُ بِنَبِيِّ أَوْ هُوَ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ مِثْلُهُ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى دُخُولِ فَاعِلِ ذَلِكَ الْجَنَّةِ إِذَا الْمُقْصُودُ بِالْبِنَاءِ لَهُ أَنْ يَسْكُنَهُ وَهُوَ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا بَعْدَ الدُّخُولِ)<sup>(2)</sup>.

ومن الأعمال أيضاً المشاركة في الإنفاق بماله في عمارة المساجد والإنفاق لأجل عمارتها كان يتحمَّل المشقة والتعب ويعاون المسلمين في البناء والإنفاق عليه، وذلك لأهميَّتها الكبرى في ساحة العمل الدَّعوي وفضائلها العظيمة التي تعود على الدَّاعية بالنَّفع النَّبوي والأخروي على حدِّ قول عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ يَقُولُ عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ بَنَى مَسْجِداً - قَالَ بُكَيْرٌ: حَسَبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(3)</sup>.

## ب- إنشاء الصَّفة مكان الإيواء والعبادة

كما سعى في بناء الصَّفة التَّابعة للمسجد النَّبوي لاستيعاب أكثر عددٍ ممكن من فقراء المهاجرين<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النَّبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث 3906، ص 959.

(2) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصَّلَاة، باب من بنى مسجداً، رقم الحديث 450، المرجع السَّابق، ص 544.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلَاة، باب فضل بناء المساجد والحثُّ عليها، رقم الحديث 533، ص 241.

(4) - علي محمد الصُّلَّابِي، السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ عرض وقائع وتحليل الأحداث، المرجع السَّابق، ص 388.

والصُّفَّة هو مكان في مؤخرة المسجد النَّبوي مظلَّل أُعِدَّ لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى لهم، وهو مكان يأوي إليه المساكين وعابري السَّبيل<sup>(1)</sup>، وكان من بينهم المهاجرين الذين يقدمون إلى المدينة، فيلتقي بهم رسول الله ﷺ ثمَّ يوجِّههم بعد ذلك إلى من يكفله، فإن لم يجد يستقر في الصفة مؤقتًا، ريثما يجد السَّبيل، كما كان ينزل بها الغرباء من الوفود التي كانت تقدم على النَّبي ﷺ معلنة إسلامها<sup>(2)</sup>.

والصُّفَّة لا تنحصر كونها مكان للإيواء فقط، وإنما فسحت مجالاً لأهل الصُّفَّة لأداء العبادات وقراءة القرآن ومدارسة آياته ويتعلَّموا الكتابة حتَّى أهدى أحدهم قوسه لعبادة بن الصَّامت لأنَّه كان يعلمهم القرآن والكتابة، فقط جاء في حديث عن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: «علمت ناساً من أهل الصُّفَّة القرآن والكتابة، فأهدى إليَّ رجل منهم قوساً فقلت ليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله، فسألت رسول الله ﷺ عنها فقال: إن سرك أن تطوق بها طوقاً من نار فاقبلها»<sup>(3)</sup>.

### ج- بناء سوق بالمدينة

قام النَّبي ﷺ بدراسة الأوضاع الاقتصادية في المدينة، فرأى أنَّ القوَّة الاقتصادية بيد اليهود، وأنَّهم يملكون السُّوق التجاريَّة في المدينة وأموالها، ويتحكَّمون في الأسعار والسِّلَع ويحتكرونها، ويستغلُّون حاجة النَّاس، فعمد إلى بناء سوقٍ للمسلمين ليتنافسوا اليهود على مصادر الثَّروة والاقتصاد في المدينة<sup>(4)</sup>.

### د- حفر الخندق

ومن الخدمات التي قام بها النَّبي ﷺ مشاركته في توفير الأمن والحماية للمدينة بحفر الخندق حولها عن أنسٍ رضي الله عنه يقول: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلمَّا رأى ما بهم من النَّصب والجوع قال: اللَّهُمَّ إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»<sup>(5)</sup>. فكانت دعوات مباركات أحبُّ إلى المهاجرين والأنصار من الدُّنيا وما فيها، فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً،

(1) - إنَّ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الصَّلَاة، باب نوم الرِّجال في المسجد، ج1، ص 536.

(2) - يُنظر: علي محمد الصُّلَّبي، السَّيرة النَّبويَّة عرض وقائع وتحليل الأحداث، المرجع السَّابق، ص 304.

(3) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب التَّجارات، باب الأجر على تعليم القرآن، رقم الحديث 2157، ج2، ص 730.

وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم، رقم الحديث 3416، ج2، المصدر السَّابق، ص 237.

(4) - يُنظر: علي محمد الصُّلَّبي، السَّيرة النَّبويَّة عرض وقائع وتحليل الأحداث، المرجع السَّابق، ص 388.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، رقم الحديث 4098، ص 1007.

فُجِّبِهِمْ ﷺ اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ، فَبَارِكْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ<sup>(1)</sup>.

ويصفُ البراءة ﷺ النبي ﷺ معاوناً أصحابه، رأيته ينقل من تراب الخندق حتَّى وارى عن التُّراب جلدَه وبطنه، وكان كثير الشعر فسمعتَه يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التُّراب.

وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا  
إِنَّ الْأَوَّلَى قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا  
وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ أَبِينَا أَبِينَا<sup>(2)</sup>.

إِنَّ ما فعله النبي ﷺ في حفر الخندق مع أهل المدينة من أروع صور التكافل عبر التاريخ الإسلامي، كان له أثر كبير في رفع الرُّوح المعنوية للصَّحابة وتحريضهم على العمل الجماعي فقوي حماسهم ونشطت نفوسهم يقول العلامة الحافظ ابن حجر رحمه الله: (في مباشرته ﷺ الحفر بنفسه تحريض للمسلمين على العمل ليتأسُّوا به في ذلك)<sup>(3)</sup>.

فأظهر تواضعه ﷺ وهو أفضل البشر وسيّد ولد آدم، ومع ذلك يحفر مع أصحابه الخندق، ويواري التُّراب بطنه ويربط الحجر على بطنه من الجوع، ويقدم بين يديه في هذا المكان الطَّعام الذي له ريح منتن يقول الإمام الرَّاوي رحمه الله: (يؤتون بملء كَفِّي من الشعير فيصنع لهم بإهالة سِنِخة<sup>(\*)</sup>)، وتوضع بين يدي القوم، والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن)<sup>(4)</sup>.

فأراد النبي ﷺ بتواضعه ليكرس قاعدة مهمّة للدُّعاة والقادة أهمية التَّواضع فينزلوا منزلة الرِّعية أو الأفراد أو المجتمع عمومًا، دون كبر أو علو خاصّة في مجالات التَّعاون وتقديم الخدمات التطوعية الجماعية، وما يؤكّد ذلك حديثُ جابرٍ ﷺ عندما واجهت الصَّحابة رضوان الله عليهم صخرة عجزوا عن كسرها أثناء الحفر ضربها النبي ﷺ ثلاث ضربات ففتتها فقال: «إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدِيّةً شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا هذه كُدِيّة<sup>(\*)</sup> عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه

(1) - يُنظر: علي محمد الصُّلّبي، السِّيرة النبوية عرض وقائع وتحليل الأحداث، المرجع السَّابق، ص 392.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، الحديث 4100، ص 1007.

(3) - سعيد بنُ علي بنُ وهب القحطاني، فقه الدُّعوة في صحيح الإمام البخاري، ج 1، المرجع السَّابق، ص 295.

(\*) - والإهالة: بكسر الهمزة تعني الشَّحْم الذَّائِب، والسَّخْنَةُ بالنُّون والحاء المعجمة وهي المتغيِّرة (بحي بن شرف النَّووي، رياض الصَّالحين، باب فضل الجوع وخشونة العيش (دار الرِّيان للتراث، د، ط، د، ت)، ص 162.

(4) - سعيد بنُ علي بنُ وهب القحطاني، فقه الدُّعوة في صحيح الإمام البخاري، ج 1، المرجع السَّابق، ص 295.

(\*) - الكُدِيّة: وهي بضمّ الكاف وتقدم الدَّال على التَّحتانية، وهي قطعة حجر صلبة صمَّاء (ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث 4101، الرِّياض: دار طيبة، ط 1، ج 9، 1426هـ/2005م)، ص 188.

معصوب بحجر، ولبنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النَّبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أُهِيلَ أو أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنَّبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، أفعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتَّى جعلنا اللَّحم في البرمة، ثم جئت النَّبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافيِّ قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيمٌ لي؛ فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثيرٌ طيب! قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التَّنور حتَّى آتي، فقال: قوموا. فقام المهجرون والأنصار، فلمَّا دخل على امرأته قال: ويحك! جاء النَّبي ﷺ والمهاجرون والأنصار معه، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: ادخلوا ولا تضاعطوا، فجعل يكسِّر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتَّنور إذا أخذوا منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسِّر الخبز ويغرف حتَّى شبعوا وبقي بقية قال: كلي هذا وأهدي، فإنَّ النَّاس أصابتهم مجاعة»<sup>(1)</sup>.

## و- الإهتمام بالطُّرقات

وقد حثَّ النَّبي ﷺ على العديد من الخدمات المعنوية والعملية لتوفير الرِّعاية، ودور المجتمع من خلال الإهتمام بالطُّرقات وتأمينها ما روي عن أبي هريرة ؓ عن النَّبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلَّب في الجَنَّة في شجرة قطعها من ظهر الطُّريق كانت تؤذي النَّاس»<sup>(2)</sup> فعلى الدَّاعية أن يقدم خدمة لمجتمعها من خلال إمطة الأذى في الطرقات والمشاركة في بنائها وترميمها.

## هـ- تأمين وجبات لإفطار الصَّائم

ومن بين الخدمات تأمين وجبات الإفطار ما جاء عن أنس ؓ قال: «كنا مع النَّبي ﷺ في السَّفر فمنا الصَّائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده قال فسقط الصَّوَّام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ ذهب المفطرون اليوم بالأجر»<sup>(\*)</sup><sup>(3)</sup>.

وعليه يمكن القول بأنَّ خدمات النَّبي ﷺ لمجتمعه المدني كثيرة لا يمكن حصرها أو عدّها، فاقترنت على بعض منها على سبيل المثال: في السَّفر والحضر، ومع كلِّ طبقات المجتمع المدني

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث 4101، ص 1008.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطُّريق، ص 1212.

(\*) - ذهب المفطرون اليوم بالأجر: وضحاها ابن حجر قوله: أي الوافر وليس المراد نقص أجر الصَّوَّام بل المراد أنَّ المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثل أجر الصَّوَّام لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصَّوَّام، (رندة محمَّد زينو، العمل التطوُّعي في السنَّة النَّبوية دراسة موضوعية، جامعة الإسلامية غزّة، كُلية أصول الدِّين، قسم الحديث وعلومه، 1428هـ/2007م، ص 104).

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّوم، باب أجر المفطر في السَّفر إذا تولَّى العمل، رقم الحديث 1119، ص 499.



والمكِّي، كما لم تقتصر مساعداته على أصحابه فقط، وإنما شملت من يعرفه ومن لا يعرفه، وهذا دليل على نقاء سريره وخلقه العظيم الذي لم يترك باباً من أبواب الخير إلا وطرقها، وكان له نصيبٌ منها في العطاء والبذل والعمل، والمجتمع لا يخلو من أصحاب الحاجات والمعوزين الذي هم بحاجة إلى قضاء حاجاتهم وتأمين العديد من الخدمات التي هم بحاجة إليها.

وعليه نستشفُّ من دعوة النَّبي ﷺ جدية العمل التطوعي وأثره في خدمة الدعوة إلى الله، والداعية بدوره يجب أن يكون سبباً في تقديم مثل هذه الخدمات والأعمال لينتفع بها مجتمعه ولتشمل أيَّ مجال من مجالات الحياة، كما يسعى بحكمته ومداركه وبقصارى جهده العمل في هذا الجانب سواء من الجانب المادّي أو المعنوي، وحثَّ النَّاس وترغيبهم في خدمة مجتمعهم بالمشاركة التطوعية النافعة، لأنَّ في تقديم الخدمات والمساعدات العامة أمرها جليل ونفعها عظيم، فالدور البارز في حقل الإسلام ومعاله تتجلى في البناء والعمل المثمر.

**وبناء لما سلف يتعيَّن على الدَّاعية الاستفادة من دعوة النَّبي ﷺ في تأمين الخدمات  
قضاء الحاجات كالآتي:**

- إنَّ المهمَّة التي اضطلع بها النَّبي ﷺ في مجتمع المدينة مهمَّة إنسانية واجتماعية تحتاج إلى حكمة وحسن تدبير تجلَّت في مهمَّة تأمين خدمات المجتمع آنذاك والسَّعي في خدمة النَّاس وقضاء حاجاتهم المعوزين منهم والفقراء ليتكامل النَّاس ويتساووا في الحياة بحيث يشعر الغني بحاجة الفقير والجار بحاجات جاره، فيوطد العلاقات التي بها تكون بناء مجتمع إنساني يحتاج فيه إلى داعية يحمل من الصِّفات ما حمله النَّبي ﷺ الإنسانية منها والعاطفية والأخلاقية.
- على الدَّاعية التَّأسي بالنَّبي ﷺ في خدمة مجتمعه وتوفير ما أمكن من الوسائل والإمكانات ما يدفع بالناس إلى العيش في مجتمع آمن يسوده التَّكافل والتَّراحم والتَّوُد.
- الدَّعوة إلى الله لا تقتصر على البيان والإيضاح وإنما تقتصر أيضاً على العمل والعطاء، فالإسلام ما وقر في القلب وصدقه العمل ويتجلى هذا العمل من خلال خدمة النَّاس وتوفير حاجاتهم الاجتماعية والمعيشية والاقتصادية، فالمجتمع خليط من النَّاس فهناك الطَّبقَة الضَّعيفة والفقيرة والطَّبقَة المعوزة.
- التُّفوس بطبيعتها جبلت على حبٍّ من يحسن إليها، والميل إلى من يسعى في قضاء حاجاتها، والدَّاعية أولى النَّاس في هذا القيام بهذا الواجب ولا سيما مع أقرب النَّاس إليه، ولذلك يقول النَّبي ﷺ «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»<sup>(1)</sup>.

(1) - أبو عبد الله بنُ يزيد القزويني، سنن ابنِ ماجه، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، كتاب النِّكاح، باب حسن معاشرَة النِّساء، رقم الحديث 1977 (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ج1، د، ط، د، ت)، ص 636.

- على الدَّاعية أن يتفَقَّد أحوال النَّاس، يكون من السَّباقين إلى تقديم المساعدة لهم سواء أكانت ماديَّة أو معنوية، كتقديم مالٍ ليتجاوز به محتته، أو إعانتته على حاجة له أو الجلوس معه وزيارته ومشاركته همومه وغيرها.

### ثالثاً: المستفاد من أساليب المنهج العاطفي في دعوة النَّبي ﷺ

هذا الفصل عريق ومتين قدَّم أروع الأساليب وأجمل المواقف التي سلكها النَّبي ﷺ في دعوته خلال العهد المكي والمدني، باستخدامه للمنهج العاطفي وما يحمله من أسرار عظام لها أبلغ الأثر في تقويم سلوك البشر وتربية عواطفهم، فقد كان ﷺ أسلوبه يرسم أرقى الصور في حياة البشرية عموماً والدَّاعية على وجه الخصوص، حيثُ كان بتصرُّفاته وأخلاقه وأقواله وأفعاله القدوة العليا والمنارة الحقيقية لرسالة الإسلام والتَّاريخ الإسلامي العريق، وهو ما يستوجب على الدَّعاة اليوم أن تؤتي جهودهم في إيصال محاسن الإسلام، إنطلاقاً من الهدى النَّبوي بالتَّأليف والإنجاز ليرسموا الطَّريق الصَّحيح والمنشود الذي من خلاله تعيش البشرية جمعاء حياة الأمن والسَّلام لا عنف ولا تشدَّد ولا تطرّف، فنهوض الأُمَّة المسلمة ورقِّيها معقود بهذه بالأسلوب النَّبوي وطرق التَّعامل مع الآخر.

ولقد حاولتُ من خلال ثنايا هذا الفصل التَّفصيل فيما يتعلَّق بالدَّاعية وما يجب القيام به بالوقوف عند كلِّ جزئية من جزئياته ومدى إستفادته منها وتطبيقها في حياته الدَّعوية، والدَّاعية إذا ما وقف على هذا الجانب من شخصية النَّبي ﷺ وأساليبه العظيمة التي منحها الله به بها قدرات خارقة في التحمل والصبر على الأذى وقوة الثبات على هذه الدعوة والاستمرار بها لتصل إلى الناس جميعاً، فهو بالنَّسبة للدَّاعية إلى الله المثل الأعلى في الاقتداء إذ لا يمكن أن يجد خطوة من خطواته إلا وفيها الكثير من العبر والدُّروس التي لو ترسَّم خطاها لكتب لدعوته النَّجاح والتَّوفيق والنَّصر، فالدَّاعية إلى الله حين يحزُّ به أمر أو تواجهه مصاعب في طريق دعوته، يجب عليه العودة إلى التَّجربة النَّبوية ليجد الدَّلِيل والحلَّ للمناسب، وقد إستوحيت من خلال عرض منهجه ﷺ كان يحمل ما يحمله الإنسان من معاني، فكان يعامل النَّاس برحابة صدرٍ، وبشاشة وجهٍ، وإشراقة محياه، وطيب نفسٍ، وحسن منطقٍ، وعطف وحنان ورأفة لا يمكن أن يحملها إنسان غيره<sup>(1)</sup>.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

ولو حفظوا سبيلك كان نورا      وكان من النحوس لهم حجابا.

(1) - حمدان راجح الهجاري، الأسلوب النَّبوي في الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 499.

بنيت لهم من الأخلاق ركنا      فخانوا الركن فانهدم إضطرابا<sup>(1)</sup>.  
وقال رحمه الله :

لقبتموه أمين القوم في صغر      وما الأمين على قول بمتهم  
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم      بالخلق والخلق من حسن ومن عظم<sup>(2)</sup>.

وكما تعرّفنا عليه سابقاً أنّ للمنهج العاطفي أساليب لها أهميّة بالغة في الدّعوة إلى الله غرضها تحبيب النَّاس في الإسلام وتمكينه في القلوب، والتي نرى إغفال كثير من الدّعاة عنها، والشّاهد من الأحاديث التي وردت في هذا الجانب توحى بخيرية دعوة النَّبي ﷺ وطرق تعامله مع مدعويه تنوّع في الأساليب وأبدع، وارتكازه عليها لأنّها تكسب القلوب وتحدث السرعة في الإستجابة وإقناع المدعو.

وقد برّز هذا المنهج بقوة وبصور لا مثيل لها في شخصية النَّبي ﷺ وحسن إستعماله لأساليب في أعذب صورها وأرقّها في العديد من المواقف ومع جميع أصناف المدعويين، مما يدلّ على أهميّة هذه الأساليب التي جاء بها النَّبي ﷺ من شريعة الله السّمحة لا حرج فيها ولا مشقّة، تسع النَّاس على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وألسنتهم وأحوالهم، وفي أيّ زمانٍ ومكانٍ، يجلب بها المصالح ويكملها ويدفع المفاسد ويقلّلها يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: 164] وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] والدّاعية في هذا الإطار مطالب بالأخذ بالعظة والعبرة من سيّد الأنام باستخدام أساليبه العاطفية.

كما يجب أن يكون في مستوى المسؤولية ليقوم ما فسد من عقائد النَّاس وما إنحرف من معاملاتهم يهذب ما فسد من أخلاقهم متأسياً في ذلك بسيّد الدّعاة نبيّ الله محمّد ﷺ في تعامله بالأساليب العاطفية التي تؤدي الغرض الدعوي وفي واقع الحياة.

وأنّ يوضّح الحقّ ويبينه ويقيم عليه الحجّة وأحياناً لا يكتفي بالإقناع بالحجّة بل يحتاج بدرجة كبيرة إلى استمالة العواطف ومخاطبة المشاعر وهذه الأساليب السّالفة الذكر تحدث هذه الإستمالة من صدى عميقاً في القلوب وأثراً كبيراً في النفوس، وبالمقابل تزيّن الداعية بأعذب الكلام وحسن التعامل.

(1) - أحمد شوقي، الشّوقيات (بيروت: دار العودة، ج 1، 1988م)، ص 72.

(2) - المرجع نفسه، ص 197.

- العاطفة سلاح فتاك يتسلح به الدّاعية لمواجهة الهجمات الشرسة التي تحيط به من كلّ جانب، وصاحب العاطفة يندفع للقيام بالأعمال التي يريدّها في أيّ مجال من مجالات الحياة، خاصّة في مجال الدّعوة إلى الله، مندفعاً بهذه العاطفة بأساليب وكيفيات التأثير في النّاس، ولأهمية العاطفة كان لابدّ من الدّعاة عند مخاطبة النّاس إستثارة عواطفهم وإلهابها حتى يستجيبوا لما يراودهم، مثلاً إذا كان الوقت وقت جهاد يخاطبهم بمقتضى العقول أم بلهيب العواطف؟<sup>(1)</sup>.

والدّاعية عليه التّأسي بالنبي ﷺ وطريقة حديثه لأصحابه، يتمنّ في أسلوبه ويبحث في كميّاته، فكان يستثير عواطفهم لدرجة البكاء أو إلى حدّ التّضحية بأرواحهم في سبيل الله، وهو ما حدث في موقعة حنين ومع الأنصار، وأن يكون مخلصاً في دعوته متجنباً العجب والرّياء وكل ما يفسد عمله، وأن يتزوّد بعلمه الشرعي الذي هو عدّته في نشر الخير والرّأفة بالنّاس، وأن يتحلّى بأسلوب الرّفق واللين، ويتعد عن التّفنير والشّدّة ما لم تدع الحاجة إلى ذلك، يقول الإمام بن باز رحمه الله: (هذا العصر عصر الرّفق والصّبر والحكمة، وليس عصر الشّدّة، فالنّاس أكثرهم في جهل وفي غفلة إثار للدنيا، فلا بدّ من الصّبر، ولا بدّ من الرّفق حتّى تصل الدّعوة وحتّى يبلغ النّاس وحتّى يعلموا)<sup>(2)</sup>.

هذا العصر الذي إنتشرت فيه الشّبهات والدّاعية دائماً يسعى جاهداً إلى إزالتها ومضطر إلى تفنيدها وإظهار زيفها وبطلانها، لأنّها موانع تمنع من رؤية الحقّ كما تمنع من رؤية الدّاء الذي يخرق جسد الأُمّة الإسلامية، والذي لا يمكن إزالته إلّا بالحجّة والبرهان، والوضوح وحسن البيان مع أدب في القول ولين الكلام ورفق الخطاب، وتعرّض الدّاعية للشّبهات لا يستغرب منها ولا يضيق صدره بها، فهي في جوهرها لا تتغيّر ولا تتبدّل، والعامل الأساسي هو التّغيير في الأسلوب والكيفية قال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: 43] والدّاعية قد يتمثّل في الطّعن في شخصه وسيرته وسلوكه كما طعنوا في الأنبياء عليهم السّلام، اتهموهم بالسّحر والجنون، فيقابلهم بمثل ما قابله الأنبياء جرّاء هذه الافتراءات، لا نريد منكم على دعوتنا مالا ولا أجراً لأنّ أجراً على الله وحده، قال نوح عليه السّلام: ﴿وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبَّهُمْ وَلَئِكِنِ آرَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: 29]

(1) - محمّد موسى الشّريف، العاطفة الإيمانية وأهمّيّتها في الأعمال الإسلامية، المرجع السّابق، ص-ص 19، 21.

(2) - ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوّعة (الرّياض: دار القاسم للنّشر، ط1، 1420هـ)، ص 18.

كما على الدَّاعية عدم الخروج عن النَّهج الصَّحيح في الأسلوب، فإنَّ الخروج عنه يؤدي حتمًا إلى الفشل وعدم بلوغ الغاية، ويؤدِّي إلى حقوق الأذى بالعاملين وضياع الجهود بلا طائل كالذي يقيم البناء على غير أسس سليمة، فإنَّ بناءه حتمًا يؤدِّي إلى الزوال مع احتمال إنهدامه، والمنهج الصَّحيح للدَّاعية هو حسن الخلق والترقُّق، فإنَّ كان فظًا غليظ القلب كان سببًا لانصراف الناس عنه وإن كان محمَّدًا في دعوته إذ هو ليس بأحسن حالًا من رسول الله ﷺ حين خاطبه الله تعالى قائلاً: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

وآخرًا إنَّ عودة الدَّاعية إلى المنهج النَّبوي يخلِّصه من كافَّة الأزمات التي تعرقل مسيرة الدَّعوة اليوم، والذي أصاب عمودها الفقري والمتمثل في بعض الدُّعاة وما يحملونه من أساليب وأفكار شاذة تسيء الفهم الحقيقي لدعوة الإسلام، فأودى بها إلى الغرق والهلاك في بحر التَّصادم والشُّعور الغرور والعجب والتعصُّب والحزبيَّة وما شابهها من صورٍ شتى، وما مبعث النَّبي ﷺ إلَّا إعادة الحياة والروح لهذه الدَّعوة واستقرارها، أعطى صورة الإسلام الحقيقة من خلال منهجه العاطفي الذي شمل كل معاني الإنسانيَّة من رفق ورحمة وعطف وحكمة، والذي أصبحت الأُمَّة عمومًا والدَّعوة على وجه التَّحديد بحاجة إلى من يمثِّل للأسلوب النَّبوي.

## الخلاصة

- مِنْ خلال هذه الجولة العلمية والبحثية في أساليب المنهج العاطفي، تبيَّن أنَّ هذا المنهج يوظَّف وسائل وأساليب مثيرة للعاطفة والوجدان، لغرض الوصول إلى قلب المدعو، ممَّا يجعله أكثر إستجابة لَمَّا تغمره مشاعر الطُّمأنينة والإرتياح النَّفسي والسَّكينة، وبهذا المنهج يَحَقِّق الدَّاعية إلى الله نجاحًا كبيرًا على مختلف الأصعدة والدَّوائر التي يتحرَّك فيها، فتكون إنجازاته الدَّعوية سريعة تحقِّق شيوعًا وانتشارًا عند المدعويين.

- لَقَدْ وضع الإسلام لهذه الدَّعوة نظامًا وخططًا مرسومة تحدّد هويَّتها، والمناهج تقرّر الأساليب والكيفيَّات الملائمة لجميع المدعويين، من ضمنها المنهج العاطفي.

- أظهر هذا الفصل أساليب المنهج العاطفي وتطبيقاته في دعوة النَّبي ﷺ، فكانت كثيرة ومتنوعة ساهمت في تحبيب مختلف المدعويين في الإسلام وتمكينه في قلوبهم، والشَّاهد من الأحاديث الواردة توحى بخيرية دعوة النَّبي ﷺ، وبالأحرى منهجه العاطفي الذي يقدِّم كيفيات وطرق التَّعامل مع المدعويين بمختلف أصنافهم، ساهمت في كسب قلوبهم وإحداث الإستجابة المطلوبة.

- كما قدَّم هذا الفصل أروع الأساليب التي تمثِّل المنهج العاطفي في جانبه النَّظري والتَّطبيقي تجلَّت في شخصية النَّبي ﷺ السَّامقة، كان لها أبلغ الأثر في تقويم سلوك البشر وتربية عواطفهم.

- كان النَّبي ﷺ بحكمته ورحابته صدره الدَّاعية المثالي الفدّ، الذي رسم صفات الدَّاعية النَّاجح والمؤثر، فكان بتصرّفات وأخلاقه وأقواله وأفعاله القدوة العليا والمنارة الحقيقية لرسالة الإسلام والتاريخ الإسلامي العريق، وأبان الطَّريق الصَّحيح والمنشود الذي من خلاله تعيش البشرية جمعاء حياة الأمن والسَّلام لا عنف ولا تشدّد ولا تطرّف، فهو ضُ الأُمَّة ورقيها -حسب رأي- معقود بالمنهج النَّبوي، حريٌّ بالدَّاعية أن يُثَمِّر جُهوده في إيصال محاسن الإسلام إنطلاقًا من الهدي النَّبوي والرَّسالة النَّبوية بالتَّأليف والإنجاز.

- برز المنهج العاطفي بقوة وبصورة لا مثيل لها في شخصية النَّبي ﷺ وحسن إختياره للأساليب في أعذب صورها، لا حرج فيها ولا مشقّة، تسع النَّاس على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وألسنتهم وأحوالهم في أيِّ زمان ومكان، يجلب بها المصالح ويُدفع بها المفاصد ويقلِّلها يقول تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: 164].

- لقد حاولتُ من خلال ثنايا هذا الفصل إشارة إلى صفات الدّاعية، والذي مرجعيته الكبرى في شخصية النّبي ﷺ ومنهجه الدّعوي، فإذا ما وقف على هذا الجانب من شخصيته ﷺ ومنهجه في الأسلوب والمعاملة، منحه الله قدرات خارقة في الثّبات على طريق دعوته، والنّبي ﷺ بالنّسبة للدّاعية المثل الأعلى في الإقتداء، إذ لا يمكن أن يجد خطوة من خطواته إلّا وفيها الكثير من العبر والدّروس التي لو ترسّم خطاها لكتب لدعوته النّجاح والتّوفيق والنصر، فحين يحزُّ به أمر أو تواجهه مصاعب في طريق دعوته يجب عليه العودة إلى التّجربة النّبوية ليجد العلاج والحلّ.



## الفصل الثالث

### أصناف المدعوّين بالمنهج العاطفي

#### في دعوة النّبي ﷺ

المبحث الأوّل: المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ لغير المسلمين

المبحث الثّاني: المنهج العاطفي في دعوة النّبي ﷺ للمسلمين

## تمهيد

من خصوصية الرسالة المحمدية تميزها بالعالمية يقول تعالى عنها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] وتميّزت بالشُمولية فجاءت شاملة لكلّ مناحي الحياة ومعاش الثقلين في دنياهم وأخراهم، وقد عبّر عنها أحد العلماء بقوله: (إنّها الدّعوة التي امتدّت طولاً حتّى شملت آباد الزّمن وامتدت عرضاً حتّى انتظمت آفاق الأمم وامتدّت عمقاً حتّى إستوعبت شؤون الدّنيا والآخرة)<sup>(1)</sup> كما تميّزت بالاستمرارية وذلك لصلاحيتها لكلّ زمان ومكان ولكلّ أمة وجيل.

وقد تجلّت خطوات النبي ﷺ المهداة في إنجاء عالمية الدّعوة الإسلامية، فأخذ يدعو النّاس أفراداً وجماعات حكّاماً ومحكومين، فوجّهت إلى كافّة أصناف المدعوين بما يتلاءم مع طبائعهم وبيئاتهم، وخاطبهم بما يناسب مستواهم مستخدماً في ذلك المنهج العاطفي، والذي كان له الأثر الكبير في نجاح دعوته، وقد أرسى حينها أساليب ووسائل أظهرت أحقيّة هذا المنهج وفعاليته في كلّ مرحلة من مراحل الدّعوة، والتي تتراوح بين القوّة والضعف أو السّلم والحرب.

وقد اجتهد المهتمّون بشأن الدّعوة إلى الله في وضع تصنيفات مختلفة للمدعوين، فاعتمد بعضهم على ما جاء في القرآن الكريم، والبعض الآخر على رؤية اجتهادية لا تخلو من الإسناد إلى النصّ القرآني والتّجربة الدّعوية للنبي ﷺ، لكمال سيرته، وحسن خلقه، وجمال آدابه، ورفق معاملته ونبيل هديه، لهذا كان الرّجل المنصف بمجرد أن يراه أحد أو يستمع إلى حديثه يتيقّن صدقه وصدق ما يدعو إليه<sup>(2)</sup>، فكانت علاقته معهم أعلى بكثير علاقة برّ ورحمة بكلّ معانيها.

وقد جعل النبي ﷺ دعوته موجّهة للمسلمين وغير المسلمين، سخّر لها أساليب متنوّعة لمخاطبتهم واستمالتهم لشريعة الإسلام، فاقصر على المنهج العاطفي الذي يطغى عليه جانب اللّين والرّفق والرّحمة والحكمة والموعظة الحسنة لتحريك الدّوافع الفطرية الخيّرة، وإعمال منهج التّرويح والتّرهيب والتدرّج وجانب اللّين ... لدغدغة العواطف ودعمها بالحجج والبراهين التي يستحسن ترصيعها وتضمينها في ثنايا الإثارات الوجدانية أثناء مخاطبة غير المسلمين<sup>(3)</sup>.

(1) - يوسف القرضاوي، الخصائص العامّة للإسلام (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط8، 1414هـ)، ص 105.

(2) - عبد الرزاق عبد المحسن البر، الجامع للبحوث والرّسائل (كنوز إشبيليا للنّشر والتّوزيع، ط1، 1426هـ/2005م)، ص 496.

(3) - حسن عزوزي، التّعريف بالإسلام باللّغات الأجنبية (الإدارة العامّة للثقافة والنّشر، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة 23، العدد 229، 1429هـ/2008م)، ص 51.

فالمدعوون الذين شملتهم دعوة النبي ﷺ كثيرون من شتى الطوائف والقبائل والأجناس والعقائد وسوف أحاول من خلال هذا الفصل تبيان جميع المدعوين الذين شملتهم دعوة النبي ﷺ من المسلمين وغير المسلمين.

### المبحث الأول: المنهج العاطفي في دعوة النبي ﷺ لغير المسلمين

إنَّ صنف المدعوين غير المسلمين هم أهل الكفر، لأنَّ من لم يكن مسلماً فهو كافر<sup>(1)</sup>، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] ويقول أيضاً: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] هؤلاء لم يقبلوا بهذا الدين ولم يدعوا إليه، وهم الذين لم يؤمنوا بدعوة النبي ﷺ، ويسمُّون في المصطلح الشرعي "بالكفار"<sup>(2)</sup>. والكفار صنفان:

**الصنف الأول:** غير المسلمين ظاهراً وباطناً وهم نوعان أصليون :

- النوع الأول: لم يسبق لهم الدُّخول في دين الإسلام، وهم أهل الكتاب، والمجوس، وغيرهم.
- والنوع الثاني: من دخل في دين الله ثم خرج منه.

**الصنف الثاني:** من أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ويسمون "المنافقون"<sup>(3)</sup>.

والكفار على اختلاف أصنافهم وتباين طرائقهم مخاطبون بالدعوة إلى الله لإخراجهم ما كانوا عليه من ضلال الكفر إلى هداية الإسلام ونور الإيمان، وعلى أهل الدعوة أن يبلغوهم رسالة الإسلام ويبينوا لهم حقيقة هذا الدين، ولا سيما في الوقت المعاصر الذي تعددت فيه الوسائل وتنوعت يقول عنها الشيخ ابن باز رحمه الله: (فقد يسر الله الطرق والوسائل لم تحصل من قبلنا، فأمر الدعوة متيسرة أكثر من طرق كثيرة، وإقامة الحجَّة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة ومن طرق شتى)<sup>(4)</sup>. ويقول الأستاذ سيّد قطب رحمه الله: (الحكمة في دعوة غير المسلمين النَّظر إلى أحوالهم وظروفهم والقدر الذي سنبينه لهم في كلِّ مرة حتَّى لا يثقل بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها والتَّنويع في استعمال الأساليب حسب مقتضياتها)<sup>(5)</sup>.

(1) - عبد الرزاق عبد المحسن البدر، الجامع للبحوث والرَّسائل، المرجع السَّابق، ص 484.

(2) - خالد بنُ مُحَمَّد الماحد، بحث حول أحكام التَّعامل مع غير المسلمين pdf، 1425هـ، ص 3

(3) - المرجع نفسه، ص 3.

(4) - عبد العزيز بنُ باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (الرِّياض: دار القاسم، ط 1، 1420هـ)، ص 331.

(5) - سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج 5، المرجع السَّابق، ص 2202.

فالنبي ﷺ نوع في طريقته فدعاهم بشئ الطرق وبمناهج متعدّدة، وبمجموعة من الأساليب التي أثبتت رحمته وعفوه حتى مع ألدّ أعدائه وخصومه، محاولاً تأليفهم على الإسلام فعاملهم وفق أحوالهم ومكانتهم، ممّا كان له الأثر الكبير في نفوسهم.

والدّاعية حريٌّ به حين ممارسته الدّعوة على مستوى أهل الكفر أن يكون خبيراً بنوع ملّتهم ومدرّكاً لعقائدهم المنحرفة، ومن ثمّ يستطيع أن يخاطبهم ويدعوهم للإسلام بالأسلوب المناسب لهم، فكلّ فئة طريقته في التبليغ، يراعي نفسياتهم وأحوالهم والصّورة التي يكونون عليها كأن يكون ذميّاً أو حربيّاً أو أسيراً .. ومعرفة مواقفهم من الإسلام وأهله.

وبعد محاولات البحث في إيجاد أصناف المدعوين الذين شملتهم دعوة النبي ﷺ أستقرّ الرّأي على ثلاثة أصناف لغير المسلمين وهم: **المشركون - أهل الكتاب - المنافقون** ويُفصل ذلك كالآتي:

### المطلب الأوّل: دعوة المشركين بالمنهج العاطفي

قبل فسح مجال الحديث في تطبيقات المنهج العاطفي في دعوة النبي ﷺ للمشركين - وهم من أهل الكفر - كما أوضحنا- يجدر بنا التعريف بمصطلح الكفر والكفار من النّاحية اللّغوية والإصطلاحية حتّى يتّضح المعنى أكثر.

#### أولاً: التعريف بالمشركين

أوضحنا سالفاً بأنّ المشركين هم من أهل الكفر الذين تصدّوا لرسالة الإسلام ولدعوة النبي ﷺ التي تحمل في ثناياها الإسلام ذاته، فحريٌّ بنا قبل التعريف بمصطلح المشركين الإشارة إلى التعريف بمصطلح الكفر - الذي يطلق على صنف غير المسلمين - من النّاحية اللّغوية والإصطلاحية.

#### أ - تعريف الكفر والكفار

- لغة

يُعرّفه العلامة الرّازي بالقول: (الكافُ والفاء والرّاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنى واحد، وهو السِّتْرُ والتَّعْطِية، يقال: لمن غطّى دِرْعُهُ بثوبٍ: قد كَفَرَ دِرْعُهُ، والمكفّر: الرّجلُ المتعطّي بسلاحه، فأما قوله: حتّى إذا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظِلَامُهَا، فيُقال: إنّ الكافر: مَغِيبُ الشَّمْسِ، ويقال: بل الكافر: البَحْرُ وَكَذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُ الْآخِرِ: فَتَذَكَّرْنَا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا ... أَلْقَتْ دُكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرٍ، وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُعْطَى الْحَبَّ بِثَرَابِ الْأَرْضِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَعْجَبَ

أَلْكَفَارَنَابَهُ. ﴿ [الحديد: 20] وَالْكَفَرُ: ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسِتْرُهَا، ﴿ إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ عَلِيمٌ ﴾ [القصص: 48] أَي: جاحدون وقوله تعالى: ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: 89] <sup>(1)</sup>.

#### - اصطلاحاً

- يعرف الإمام ابن تيمية رحمه الله الكفر بالقول: (الكفر هو عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً أو إتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن إتباع الرسالة، وإن الكافر المكذب أعظم كفراً، وكذلك الجاحد المكذب حسداً مع إستياق صدق الرُّسل والسُّور المكيّة كلّها خطاب مع هؤلاء) <sup>(2)</sup>.

- ويعرفه الإمام القرطبي رحمه الله في "تفسيره" فيقول: (والكفر ضد الإيمان وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَآلِزِينَ كُفْرًا وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: 6] وقد يكون بمعنى الجحود للنعمة والإحسان ومنه قوله ﷺ: «تصدّقن فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار، فقل بـ يا رسول الله؟ قال: يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان» <sup>(3)</sup> وجمع كفر كُفْرًا، جاء في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ [الحديد: 20] يعني الزَّرَّاع لأنهم يغطون الحبَّ ورماد) <sup>(4)</sup>.

- ويعرفه الدكتور عبد الرؤوف بن المناوي بالقول: (والكفر تغطية ماحقة الإظهار، والكفران ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية، أو النبوة أو الشريعة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً، والكفارة ما يغطي الإثم، وشرعاً ما وجب على الجاني جبراً لما منه وقع وزجراً عن مثله) <sup>(5)</sup>.

(1) - الرّازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، د، ط، ج5، 1399هـ/1979م)، ص 192.

(2) - ابن تيمية، مجموع فتاوى (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د، ط، ج12، 1425هـ/2004م)، ص 335.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق، ص 86.

(4) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ج1، المصدر السابق، ص 183.

(5) - عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: الدكتور عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990م)، ص 282.

### وأما الكافر

- يعرفه العلامة الرَّاغِبُ الأصفهاني بالقول: (الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحدُ الوحداية أو التُّبُوَّةَ أو الشَّرِيعَةَ أو ثلاثتها)<sup>(1)</sup>.

والكفار على أقسام حدّدها الإمام الحافظ ابنُ حجر رحمه الله فقال: (إنَّ الناسَ إمَّا مسلم وإمَّا كافر، فالكافر إمَّا حربيٌّ ولا يوصى به، وإمَّا ذميٌّ وقد أوصى به، والمسلم إمَّا مهاجري وإمَّا أنصاري أو غيرهما)<sup>(2)</sup>.

وعليه انطلاقاً من التعريفات السابقة، يتَّضح بأنَّ أصناف المدعوين الغير المسلمين المعنيين بالدِّراسة هم من ينطبق عليهم تسميتهم بأهل الكفر، لكونهم ممن تصدّوا لدعوة النبي ﷺ ولشخصه المبجل، وصنف المشركين هم أولهم تصدياً لهذه الدَّعوة الكريمة.

ولمعرفة تطبيقات منهج النبي ﷺ العاطفي في دعوة المشركين، يجدر بنا التعريف بماهية المشركين وأوضاعهم آنذاك وبدايات ظهورهم.

### ب - التعريف بالمشركين

- هم أهل الأوثان والأصنام الذين عبدوا غيرَ الله وأشركوا معه سواء من الأنداد أو الوسطاء يقول

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾

[البقرة: 165] وهؤلاء لا ينكرون وجود الله وخلقه للأشياء، بل يؤمنون بأنَّه الخالق الرَّازِقُ الملهم المدبِّر، لكن جعلوا بينه وبينهم شفعاء يدعونهم ويسألونهم ويستغيثون بهم ويصرفون لهم أنواع العبادة<sup>(3)</sup>، فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ

شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18]

والنبي عليه الصَّلَاة والسَّلَام عاش في بيئتهم، وتكلَّم بالسنتهم فقد راعى أحوالهم وطبائع نفوسهم ممَّا جعل كثيراً منهم يؤمنون برسالته عندما لمسوا فيه الرَّحمة، وعاملهم باللين والرِّفق.

فقد كان يولي قريشاً وأشرافها عناية خاصَّة لمكانتهم عنده، وهم أهل قومه، وكان يتألَّفهم ويخشى عليهم كما يخشى على نفسه محاولاً بيان الحقِّ الذي يحجُّبه الكفر والضَّلَال، يقول الإمام ابنُ كثير رحمه الله: (اجتمع عليه من أشراف قريش ... فبعثوا إليه أنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك

(1) - يُنظر: الرَّاغِبُ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المصدر السابق، ص-ص 433، 434.

(2) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصَّة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان وفيه مقتل عمر بن الخطَّاب، رقم الحديث 3700، ج7، المرجع السابق، ص 84.

(3) - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الجامع للبحوث والرَّسائل، المرجع السابق، ص485.

ليكلّموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنّه قد بدى لهم في أمره بدو وكان حريصاً يحبُّ رشدَهم ويعزُّزُ عليه عنّتهم حتى جلس إليهم<sup>(1)</sup>.

ثانياً: لمحة عن طروء الشُّرك عند العرب وسدّ ذرائعه

أُبتلي العرب بتخلُّف ديني شديد ووثنية سخيصة لا مثيل لها وانحرافات خلقيّة واجتماعية وفوضى سياسية وتشريعيّة، فأشربت قلوبهم زيغاً وانحرافاً وضلالاً، وكان المتسبّب في وقوع القوم في شرك الوثنية زعيمهم آنذاك عمرو بنُ عامر بنُ لحي الخزاعي<sup>(\*)</sup> الذي جلب لأهل مكّة صنماً يدعى هُبَل فأمر الناس بعبادته وتعظيمه وحصل بهذا العمل انحرافاً خطيراً في عقيدة القوم<sup>(2)</sup>.

ومن ثمَّ عبدوا الأصنام فكان لكلّ قبيلة صنم بل ولكلّ بيت صنم يعبدونه ويقدّسونه ويتوسّلون إليه، فكان مجتمعاً جاهليّاً هيمنت عليه عبادة الأوثان والمظالم والأخلاق الدّميمة كالظُّلم والزّنا والرّبا والإستبداد والقهر وسيطرة القويّ على الضّعيف.

وفي ظلّ هذا الجوّ الوثني الصّخب أرسل الله نبيّه هادياً إلى طريق الحقّ والسّداد ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الحقّ، فوجد العداء له من قريش وأكابرها، وأوذي بشتّى أنواع الإيذاء الجسدي والنّفسي والرّوحي فآثمّوه بالسّحر والكذب ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ ﴿٤﴾ [ص: 4] فقابلوا دعوته بالإستهزاء ورمّوه بالجنون: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٦﴾ [الحجر: 6].

إنّ تهمّة النّبي ﷺ بالجنون كان القصد منه تنفير النّاس من دعوته، لأنّ التّضحية بالنّفس وتعريضها للهلاك من أجل المحافظة على المبدأ يعدُّ عندهم ضرباً من الجنون، والواقع المعاش يشهد بذلك، حيث نجد المحسوبين على الإسلام يُنظر إلى دعاة الإسلام الذين يقاومون الباطل ويدافعون

(1) - ابنُ كثير، السّيرة النبوية (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنّشر، ج1، 1395هـ/1976م)، ص-ص 478، 479.

(\*) - عمرو بنُ لحي: أوّل من غير دين إسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان وسبب السّائبة ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى الحامية، وقاتل جرهما بني إسماعيل عليه السلام فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة وتولّى حجابة البيت بعدهم، وفي رواية يذكرها ابن الكلبي حول هذا الأمر منها إنّ عمرو بنُ لحي مرض مرضاً شديداً فقبل له: إنّ بالبقاء من الشّام حمه أن أتيتها برأت، فأتاها فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكّة، ونصبها حول الكعبة وأمر النّاس بطاعتها وعبادتها (يُنظر: حيدر حسن حمزة وآخر، كتاب الأصنام لابن الكلبي، دراسة تاريخيّة تحليليّة، جامعة بابل، كلّية التربية، مجلّة كلّية التربية، العدد 17، 2014م)، ص-ص 43، 45.

(2) - الطيّب برغوث، منهج النّبي ﷺ في حماية الدّعوة والمحافظة على منجّاتها خلال الفترة المكيّة (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416هـ/1996م)، ص-ص 166، 167.



عن الإسلام وهم يتعرّضون لضياح أموالهم والتشريد والسجن والقتل أحيانا على أنهم مجانين لأنّ الدنيا عندهم هو عين العقل وطريق الصواب<sup>(1)</sup>.

فحوصر النبي ﷺ ومن معه من أهله حصاراً لم يشهد له التاريخ مثيلاً، حيث منع البيع لهم والشراء منهم والسّلام عليهم ومواساتهم حتّى من أقرب النّاس إليهم، جرى كلّ ذلك على أيدي قومه بني عمومته وعشيرته فما قابل إساءتهم إلّا بالصّبر فنزلت الآيات لتصبره، يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: 35] وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127].

وقد نال الأذى معه ﷺ أصحابه وخاصّة المستضعفين منهم، فنكل بهم المشركون أشدّ التنكيل وصبّوا عليهم شتى أنواع التعذيب حتّى جعل الله لهم مخرجاً إمّا الشّهادة في سبيل الله أو الهجرة إلى المدينة أو الحبشة، وبرغم كل هذا التّصديّ لدعوة النبي ﷺ - من قبل قومه المشركين - إلّا أنّه ﷺ أثر السّلم والسّماحة والعفو مستخدماً أسلوبه العاطفي شفقة عليهم، أو لعلّ يخرج من أصلابهم من ينصر الدّين الذي بُعث من أجله.

لذلك فقد شهد النبي ﷺ في دعوة قومه مواقف مؤثّرة، وأساليب مدهشة، كان لها الأثر الكبير في تأليفهم إلى لإسلام والإقبال عليه نوردها كآلاتي:

### ثالثاً: مواقف النبي ﷺ العاطفية وأساليبه في دعوة المشركين

#### أ- تأليف القلوب وترغيبها في الإسلام بالحسنى

إنّ ما يحتاجه المدعوون -وهو أصل التّعامل في الإسلام- الرّفق ولين الجانب والسّعي حثيثاً لتأليف قلوبهم والصّبر عليهم، دون استعجال النّتائج والثّمرات، فتأليف القلوب له الأثر البالغ في جلبها للخير وتحبيبها في الإسلام، وقد كان النبي ﷺ الرّحمة المهداة يتألّفهم بالقول والوسيلة والمعاملة، يظهر ذلك في مواقف عدّة منها :

- ما روي في صحيح البخاري أنّه استسقى ﷺ لبعض المشركين عندما جاءه أبو سفيان يطلب منه أن يستسقى لهم فاستسقى لهم<sup>(2)</sup>، فكان ذلك إحساناً منه ﷺ إليهم يتألّف به قلوبهم كما كان يتألّف بغير ذلك.

(1) - عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التّاريخ الإسلامي مواقف من السّيرة النبوية (القاهرة: دار الدّعوة للنّشر والتّوزيع، ط1، ج1، 1418هـ/1997م)، ص 129.

(2) - يُنظر: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط، رقم الحديث 1020، المرجع السّابق، ص 248.

- وكان يستوصي، بأسارى بدر خيراً فأسلم كثيرٌ من هؤلاء على فترات مختلفة قبل فتح مكّة وبعدها منهم العباس، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وخالد بن هشام وغيرهم كثير<sup>(1)</sup>.

- ولمّا هبط عليه في صلح الحديبية ثمانون متسلّحون يريدون غرّته فأسرهم ثم منّ عليهم، كما أنّه أسر ثمانية في موقف آخر فأطلقه فأسلم<sup>(2)</sup>.

فكان موقفه مع هذا الأخير - مع سيّد أهل الإمامة ثمانية بنّ أثال(\*) - عندما أسرَ ورُبطَ بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النّبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمانية فقال: عندي خير يا محمّد إنّ تقتلني تقتل ذا دم، وإنّ تنعم تنعم على شاكِر، وإنّ كنت تريد المال فسلّ منه ما شئت، فترك حتّى كان الغد ثمّ قال له: ما عندك يا ثمانية؟ قال: ما قلت لك إنّ تنعم تنعم على شاكِر، فتركه حتّى كان بعد الغد فقال ﷺ: ما عندك يا ثمانية؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمانية، فانطلق إلى نجّل قريب من المسجد فاغتسل ثمّ دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله...»<sup>(3)</sup>.

بهذه الرّوح الرّاقية العذبة للنّبي ﷺ ضرب المثل لأمتّه طرق التّعامل مع الأسارى، وكان جليّاً مع ثمانية بنّ أثال الأسير، ممّا أعطى دروساً وعبراً يستفاد بها الدّاعية في طريق الدّعوة، فكان من جملة مواقفهم معه كالآتي :

- تخليّة سبيله بلا مقابل، يذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أساليب تعامل النّبي ﷺ مع الأسرى فيقول: «كان النّبي ﷺ يمنّ على بعضهم - الأسرى - ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال،

(1) - سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، المرجع السّابق، ص 267.

(2) - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، فصل في هديه ﷺ في الأسارى، (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط3، 1418هـ/1998م)، ص 100.

(\*) - ثمانية بنّ أثال: سيّد أهل الإمامة، هو أوّل معتمر في الإسلام، وأوّل مسلمٍ يدخل مكّة ملبّيّاً، وهو أوّل من فرض الحصار الإقتصادي في الإسلام نصرة لرسول الله ﷺ، كان أمير بنو حنيّفة، وأحد أشرف بكر بنّ وائل، وسيّد من ساداتهم، من أسارى بدرٍ، كان إسلامه بعد إسلام أبي هريرة ؓ، وهو في سنة سبع، توفّي بعد حروب الرّدة في البحرين. حيث قُتل وهو في طريق العودة إلى الإمامة، فقد كان لابساً خميصة الحطم بن ضبيعة وظنّ أصحاب الحطم إنّ ثمانية هو من قتله، ولم يكن ثمانية هو من قتل الحطم بل اشتراها ممّن غنمها في الحرب، فقتلوه انتقاماً للحطم. (يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (عمان: دار الإعلام، ط1، 1423هـ/2002م)، ص 282.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب وفد بني حنيّفة وحديث ثمانية بنّ أثال، رقم الحديث 4372، ص 1070.

وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة، ففادى أسارى بدر بمال وقال: لو كان المطعم بن عدي حيًا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»<sup>(1)</sup>.

فاعتبرهم النبي ﷺ من ضمن الفئات المستضعفة التي يتوجب على المسلمين إحاطتهم بالرأفة والرحمة، يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِمًّا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ يأمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدّمونهم على أنفسهم عند الغذاء»<sup>(2)</sup>.

- كانت معاملته لثامته وغيره من الأسرى في غاية اللين والرفق والرحمة، وكان يرجى إسلامه وإسلام قومه، فعندما قال ﷺ لأصحابه: «أطلقوا ثامته» وفي رواية ابن إسحاق قال: «قد عفوت عنك يا ثامته وأعتقتك»<sup>(3)</sup> إنقلب بغض ثامته المشرك حبًا، وعداوته صداقة فأسلم وحسن إسلامه، وذلك لما أسداه إليه النبي ﷺ من العفو والمنّ بغير مقابل<sup>(4)</sup>.

هنا يتبين ثمرة الدعوة باللين والملاطفة، وكيف استطاع النبي ﷺ أن يتألف سيّدًا من أسياد القبائل العربية بالدخول في الإسلام، وأحد أسرى بدر الكبرى حتى قال قولته التاريخية: «والله ما كان من الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلّها إليّ، والله! ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحبّ الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد»<sup>(5)</sup>.

ولَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لِأَهْلِهَا: «أَسَلَّمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ! لَا يَأْتِيَكُمُ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حَنْطَةٌ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما من النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يخمس، رقم الحديث 3139، ص 774.

(2) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 295.

(3) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثامته بن أثال، رقم الحديث 4272، ج 8، المرجع السابق، ص-ص 87، 88.

(4) - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرج في دعوة النبي ﷺ، رسالة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، 1414هـ، ص 104.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثامته بن أثال، حديث 4372، ص 542.

(6) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثامته بن أثال، رقم الحديث 4272، ج 8، المرجع السابق، ص 88. وإبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية (الأردن: دار التفائس، ط 1، 1415هـ/ 1995م)، ص 295.

يشير الإمام النووي رحمه الله إلى حكمة نبوية في تأليف ثمانية فقال: (كان النبي ﷺ يتألف القلوب ويلطف من يرى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير)<sup>(1)</sup>. وكثيراً ما أطلق ﷺ سراح الأسرى في سماحة بالغة، رغم أن عددهم بلغ في بعض الأحيان ستة آلاف أسير<sup>(2)</sup>.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل - حلفاء ثقيف - ... فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً... فقال: ما شأنك؟ قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال: هذه حاجتك»<sup>(3)</sup>.

لقد كانت وصية نبي الرحمة ﷺ لأصحابه ﷺ وأمتة من بعدهم صريحة في الإحسان إلى الأسير، وقد ضرب الصحابة مثلاً أعلى في العمل بتلك الوصية التي أفصح عنها أحد الأسرى في الزمن الأول أبي عزيز بن عمير، أخو مصعب بن عمير قال: كنت في الأسارى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيراً وكنت في نفر من الأنصار، وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني الخبز بوصية رسول الله ﷺ إياهم»<sup>(4)</sup>.

ومن الدلائل العملية النبوية في الرحمة بالأسير ما روي عنه ﷺ أنه رأى أسارى بني قريظة موقوفين في قيظ النهار تحت الشمس، فأمر من يقومون بحراستهم قائلاً: «لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح.. قيلوهم حتى يردوا»<sup>(5)</sup>.

بهذا المنهج العاطفي الذي سلكه النبي ﷺ جعل ثمانية يُقبل على الإسلام دون تردد، لأنَّ معاملة المدعو بالإحسان يُزيل الكراهية ويزرع الحب، فيلين القلب وتحدث الاستجابة، يذكر الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله ثمره هذا الإحسان فيقول: (وأنَّ الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب وأنَّ

(1) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الأقضية، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، مج 12، المرجع السابق، ص 89. شرح النووي على مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، رقم الحديث 1764، ص 437.

(2) - محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة الرسالة والإنسان (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط 1، 2007م)، ص 171.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، رقم الحديث 1641، ج 3، ص 1262، والدارمي في سننه، كتاب السير، باب إذا أحرز العدو من مال المسلمين، رقم الحديث 2547، ج 3، ص 1627.

(4) - تمَّ تخرجه سابقاً، يُنظر صفحة 265.

(5) - السرخسي، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، 1417هـ/1997م)، ص 264.

الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، وفيه الملاحظة لمن يرى إسلامه من الأسارى وإن كان في ذلك مصلحة<sup>(1)</sup>.

وعليه نستوحي من حديث النبي ﷺ مع ثمامة "منهجًا عاطفيًا" وخلقًا مهمًا في طريقة التعامل مع الأسير الكافر وهو كالآتي:

- المنّ على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء، لأنّ ثمامة أقسم أنّ بغضه انقلب حبًا في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمنّ بغير مقابل.
- الإحسان والرفق يزيل الكراهية والبغض وينبت الحب.
- الملاحظة لمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكبير من قومه<sup>(2)</sup>.

وظهرت سمة أخرى في دعوة النبي ﷺ متمثلة في تأليف القلوب بالحكمة والقول اللين وإقامة الدليل على صدق رسالته، لما في ذلك من التأثير في الإجابة، فالصديق أبو بكر رضي الله عنه حين عرض عليه النبي ﷺ الحقّ دون تردّد إستجاب له، دليل ذلك قول النبي ﷺ: «إنّ الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله...»<sup>(3)</sup>.

وموقفه التاريخي - سبق الحديث فيه - مع عمّه أبي طالب وهو كبير قريش حيث كان يقول له: «..وأنت أيّ عمّ أحقّ من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحقّ من أجابني إليه وأعاني عليه»<sup>(4)</sup>.

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم الحديث 4372، ج8، المرجع السابق، ص 88.

(2) - المرجع نفسه، رقم الحديث 4272، ص-ص 88، 89.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، رقم الحديث 3461، ص1339.

(4) - ابن هشام، السيرة النبوية (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، ج1، 1410هـ/1990م)، ص 283.

وحين نتأمل في حوار الهادي مع أحد كبار كفار قريش حصين الخزاعي<sup>(\*)</sup> كانت قريش تعظمه فأرسلته تطلب منه أن يكلم محمداً ﷺ في آهتهم، فقالت له: كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ آهَتَنَا وَيُسَبِّحُهُمْ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ، فقال: أوسعوا للشَّيْخِ، وعمران وأصحابه متوافرون، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك؟ إِنَّكَ تَشْتُمُ آهَتَنَا وتذكرهم وقد كان أبوك حصين خيراً فقال: يا حصين، إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ، يا حصين، كم تعبد من إله؟ قال: سبعا في الأرض وواحداً في السَّمَاءِ. قال: فإذا أصابك الضَّرُّ من تدعو؟ قال: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قال: فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟ أرضيته في الشُّكْرِ أم تخاف أن يغلب عليك؟، قال: ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أنني لم أكلّم مثله. قال: يا حصين أسلم تسلم، قال: إِنَّ لِي قَوْمًا وَعَشِيرَةً، فماذا أقول؟ قال: قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَهِدُّكَ لِأَرْشِدِ أَمْرِي، وزدني علماً ينفعني، فقالها حصين. فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى، وقال: بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرِّقَّةِ «فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: قوموا فشيّعوه إلى منزله، فلما خرج من سدة الباب رآته قريش فقالوا: صَبَأًا، وتفرَّقوا عنه»<sup>(1)</sup>.

(\*) - حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، والد عمران، اختلف في إسلامه، فروى أحمد والنسائي بإسناد صحيح عن ربعي، عن عمران بن حصين، أنَّ حصينا أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم ... الحديث. وفيه: ثُمَّ إِنْ حَصِينَا أَسْلَمَ. ورواه النسائي من وجه آخر عن ربعي، عن عمران بن حصين، عن أبيه أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ خَيْرًا لِقَوْمِكَ مِنْكَ ... الحديث، وفيه: فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ قَالَ: مَا أَقُولُ؟ قل: «اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاْعِزِّمْ لِي عَلَى أَرْشِدِ أَمْرِي» فانطلق ولم يكن أسلم، ثُمَّ أَسْلَمَ، فقال يا رسول الله: فما أقول الآن حين أسلمت؟ قال: قل: «اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاْعِزِّمْ لِي أَرْشِدِ أَمْرِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ، وَمَا عَمَدْتُ، وَمَا عَلِمْتُ، وَمَا جَهِلْتُ» وفي رواية للنسائي: فما أقول الآن وأنا مسلم؟ وسنده صحيح من الطريقين. وروى ابنُ السَّكَنِ والطَّبْرَانِيُّ من طريق داود بن أبي هند عن العباس بن زريح، عن عمران بن حصين، قال: أَتَى أَبِي حَصِينَ بْنَ عُبَيْدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَصْنَعُ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَدْرِكْكَ، هَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ فقال: لا .. الحديث. وفيه: قال: فما مضت عشرون ليلة حتى مات مشركاً. وقال الطَّبْرَانِيُّ: الصحيح أَنَّ حَصِينَ أَسْلَمَ، (يُنْظَرُ: أبو عبد الله سيّد بن كسروي بن حسن، هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد، حرف الحاء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 2002م)، ص 301، وفي (الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الحديث 1740، ج2، ص 77).

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، باب (69) (70)، مج 5، رقم الحديث 3483، المصدر السابق، ص 468. وقال: هذا حديث حسن غريب، وقد روي عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه، وفي الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الحديث 1740، ج2، المرجع السابق، ص 77.

كان حوار - ﷺ - الهادئ والمؤثر، له أثراً في قلب حصين، فبعدما دخل كافراً منتقماً خرج مسلماً صادقاً<sup>(1)</sup>.

وما حدث مع فضالة بن عمير بن الملوح<sup>(\*)</sup> الذي فكّر في قتل النبي ﷺ وهو يطوف يوم الفتح فلما دنا من النبي ﷺ قال له: أفضالة؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: ماذا كنت تُحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: «والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه»<sup>(2)</sup> قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحادث إليها فقالت: هلم إلى الحديث فقلت: لا وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت: لا  
لو قد رأيت محمداً وقبيله  
لرأيت دين الله أضحى بيّنا  
والشرك يغشى وجهه الإسلام<sup>(3)</sup>

إنّ سماحة النبي ﷺ ومعاملته الحسنة بالّلين والرّفق حوّلت الكره إلى حبّ، وكافراً حاقداً إلى مسلم، وأثمرت نجاة إنسان من الكفر إلى الإسلام.

كما نوع النبي ﷺ في تأليف المشركين بمصاهرته لبعض بطون العرب، ومن بينها استطاع أن يُوقع بني المصطلق في شراك الحبّ للإسلام، من خلال زواجه بجويرية بنت الحارث لما قدمت إليه تطلب فكاكها عندما وقعت في سهم ثابت بن قيس، فقال لها النبي ﷺ: «فهل لك في خير من ذلك؟»، قالت: وما هو يا رسول الله، قال: أقضي عنك كتابك وأنزّجك»<sup>(4)</sup>.

(1) - يُنظر: صالح بن عبد الله بن حميد، مفهوم الحكمة في الدعوة، المرجع السابق، ص 19.

(\*) - فضالة بن عمير بن الملوح: يعني اللّيثي، والد عبد الله، أدرك الجاهلية، فأراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح (ابن كثير، السيرة النبوية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، 2011م)، ص 443.

(2) - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (دمشق: دار الفكر، ط 25، 1426هـ)، ص 268. والسيرة النبوية لابن هشام، ج 2، المرجع السابق، ص 38.

(3) - محمد بن عبد الوهاب، مختصر السيرة النبوية (الرياض: مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ)، ص 206.

(4) - يُنظر: أبا محمد بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، ج 3، 1975م)، ص-ص 175، 176.



ظهرت حكمة النبي ﷺ في هذه المصاهرة تأليف المرأة وقومها إلى الإسلام، فحينما سارع أصحابه بإعتاق ما في أيديهم وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ دعاهم ذلك إلى الإيمان بالله ورسوله لما رأوه من الكرم وحسن الخلق، فكان الزواج والمصاهرة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، له آثار طيبة أن دخلوا في هذا الدّين قبائل وأقوامًا.

وعليه فلينظر الدّاعية الخير العميم الذي يأتي من وراء الرّفق والملاطفة والقول اللّين، وإنّ المتأمل في الواقع الذي نعيشه يجد كم من أناس يرمون غيرهم بالكفر والإلحاد ويلهبون ظهورهم بالألفاظ الغليظة والكلمات النّابية والأحكام المتعسّفة الجائرة، وكم من كلمة خشنة وأسلوب فظّ أبعد كثيرًا من النّاس عن طريق الحقّ.

والدّعوة الإسلامية منذ التّاريخ لاقت صمودًا من أهل الكفر والإلحاد، فاتّخذت معالم من الحكمة وأسلحة من الصّبر، حيث لم تتعامل معهم قبل أن تخضعهم في رسكلة مع جوانبهم العاطفية تجاه الإسلام، والدّاعية بمثابة رسول الدّعوة عليه أن يتوخّى الحذر ويحتاط في معاملته مع أمثال هؤلاء، يعظّم أمر العفو عن المسيء فيهم، ويحسن معاملتهم دون تعسّف أو تعنّف أو عجلة في الحكم عليهم، فإنّ أظهرهم ولاءهم للإسلام كان ذلك خيرًا وانتصارًا، وإنّ أصروا على إلحادهم جدير بالدّاعية أن يمهّلهم في قبول الدّعوة بشيء محبّب لهم، باعتباره هذا أسلوبًا ومنهجًا عاطفيًا يمهّل النفوس ويلامس القلوب شفقةً ولطفًا بهم.

#### ب- الرّحمة والعفو بكفّار قريش

لقد كانت علاقة النبي ﷺ بالمشرّكين موسومة بالتّسامح والرّحمة، ويظهر منه جليًا في معظم معاهداته وحروبه وعلاقاته، فبرز في صلح الحديبية الذي هو عقد بينه وبين المشرّكين عندما أراد أن يدخل البيت الحرام، وكان الصّلح فيه حيف من جانب المشرّكين، وسماحة من جانب النبي ﷺ فقد أصروا أن يمنعوه من العمرة فقبل الشّروط، وقد كان مع النبي ﷺ جيش يستطيع أن يدكّ عليهم ديارهم حتّى ضجّ بعض المؤمنين ووقف عمر بن الخطّاب ﷺ يقول: «فقيم نعطي الدّنيّة في ديننا»<sup>(1)</sup> فكانت الحكمة النّبوية في إثارة السّماحة وحقن الدّماء ولم يكن قبولاً للدّنية، وقد سمّى الله ذلك الصّلح فتحًا مبينًا حيث قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1] وكان ذلك فتحًا للقلوب ففي أثناء هذه الهدنة أسلم الكثير من قريش وغيرها.

(1) - يُنظر: إبراهيم العلي، صحيح السّيرة النّبويّة، المرجع السّابق، ص 318.

وكم كانت نتائج صفحه وسلمه ﷺ مذهلة في خلال عامين من صلح الحديبية -6 هجري إلى 8 هجري- بلغ عدد المسلمين زهاء مائة ألف مقارنة بعددهم قبل الفتح حيث لا يتجاوز عشرة آلاف ، ثم إن قريشا بعد الصلح لم يعد في وسعها أن تشن حرباً على رسول الله ﷺ فكان هذا الصلح التسامح فتحاً مبيناً<sup>(1)</sup>، فقد روى البخاري في كتاب المغازي عن عمرو بن سلمة قال: «وكانت العرب تلوّث بإسلامهم الفتح، فيقولون: أتزكوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلمّا كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم..»<sup>(2)</sup>.

لقد نبّه جماعة من العلماء إلى الحكمة العظيمة والفوائد الجمّة المترتبة على هذه المصالحة الإمام الزهري رحمه الله بالقول: (ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه - أي من صلح الحديبية - وإنما كان القتال حيث التقى الناس، فلمّا كانت الهدنة ووضعت الحرب وآمن الناس بعضهم بعضاً والتفوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلاّ دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر)<sup>(3)</sup> وقد ساق ابن هشام في السيرة الدليل على صحّة قول الإمام الزهري ودقّته فقال: (إنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف)<sup>(4)</sup>.

وفي قصّة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تحكي عن أمّها المشركة في عهد قريش مع العلم أنّ قريشاً في ذلك الوقت دولة محاربة للنبي ﷺ تستفتيه في أمّها قائلة: يا رسول الله إنّ أمّي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال: «نعم صليها»<sup>(5)</sup>، فالنبي ﷺ يأمر أسماء بنت أبي بكر المسلمة أن تصل أمّها المشركة تعظيماً للعلاقة العاطفيّة بين الأمّ وابنتها، وهذا هو منتهى الرّحمة والتّسامح عند النبي ﷺ الذي يصف حكمه الإمام النووي رحمه الله بالقول: (وهذا دليل جواز صلة الأقارب بالكفّار والإحسان إليهم)<sup>(6)</sup>.

(1) - ناصر محمدي محمّد جاد، التّعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي (الرّياض: دار الميمان للنّشر والتّوزيع، ط1، 1430هـ/ 2009م)، ص 76. (ويُنظر: إبراهيم العلي، صحيح السّيرة النبوية، المرجع السّابق، ص-ص 324، 326).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقدم النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، رقم الحديث 4302، ص 1052.

(3) - أبو الحسن علي الحسيني النّدوي، السّيرة النبوية (جدة: دار الشّروق، ط8، 1410هـ/ 1989م)، ص 282.

(4) - ابن هشام، السّيرة النبويّة (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، ج3، 1410هـ/ 1990م)، ص 255.

(5) - (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لصحيح البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثمّ غدر، رقم الحديث 3183، ج6، المرجع السّابق، ص 218.

(6) - المرجع نفسه، ص 218.

إنَّ مهمَّةَ الدَّاعية هنا تطهير نفسه من الغيظ وشهوة الانتقام من مخالفيه، فيجعل قلبه دائماً وعاءً للحبِّ وإرادة التَّوفيق لهم، ويخرج من حظِّ نفسه فيقول لعلَّ الله يحدثُ بعد ذلك أمراً وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) [الممتحنة: 7].

ومن بين المواقف العظيمة للنبي الكريم شهدت له بالرَّحمة عندما بلغه ما فيه أهل مَكَّة من الحاجة والجذب والقحط، فبعث بشعير من ذهبٍ - وقيل: نوى ذهب - مع عمرو بن أمية الضمري وأمره أن يدفعه إلى أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، ويفرقه ثلاثاً ثلاثاً، فامتنع صفوان وسهيل من أخذه، وأخذه أبو سفيان كله، وفرقه على فقراء قريش، وقال: «جزى الله ابن أخي خيراً فإنَّه موصول لرحمه»<sup>(١)</sup>.

وموقفه في دعوة قومه إلى الإسلام رُغم شدَّة الأذى التي كان يتلقاها منهم لينقذهم من عذاب شديد، ولقد ضربوه مرَّة حتَّى غشي عليه ومرة وهو يصلي عند الكعبة فوضع المشركون على ظهره سلا جزور<sup>(\*)</sup>، وهو ساجد فقال له الصَّحابة رضي الله عنهم: «يا رسول الله أدع على المشركين قال: إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة»<sup>(٢)</sup>.

ومع إيذائهم الشَّدِيد استمرَّ النبي ﷺ في الجهر بدعوته حتَّى قرَّروا قتله حتَّى أمره الله بالهجرة، يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله في هذا الأمر: (لَمَّا قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعوا النَّاس إلى ربِّهم كانت العرب تلبَّدت عليه جميعاً، وقال قتادة: تلبَّدت عليه الجنُّ والإنس على هذا الأمر ليطفئوه لكنَّ الله أبى إلا أن ينصره)<sup>(٣)</sup>.

ومن أعجب ما شهد على النبي ﷺ رحمته في معاملته للأسرى المشركين، فقد كان رفيقاً رحيماً بهم، إذ كان يوصي أمته بهم خيراً فيقول: «استوصوا بالأسرى خيراً»<sup>(٤)</sup> وكان من بين الأسرى عمه العباس، وقد تحرَّكت عاطفته ﷺ وهو في الأسر، وكان ممن خرج مع المشركين يوم بدرٍ فأسر وشدَّ وثاقه، فسهر النبي ﷺ تلك اللَّيلة ولم ينم، فقال بعض أصحابه: ما أسهرك يا نبيَّ الله ؟ قال: أسهرني

(١) - ناصر محمدي محمَّد جاد، التَّعامل مع غير المسلمين في العهد النَّبوي، المرجع السَّابق، ص 88.

(\*) - سلا جزور: أي: الجلدة التي يكون فيها ولد النَّاقة عندما يولد (إبراهيم العلي، صحيح السَّيرة النَّبوية، الأردن: دار النَّفائس، ط1، 1415هـ/1995م)، ص-ص 67، 68. ومحمَّد بن علي بن جميل المطري، نبيُّ الرَّحمة، د، ط، د، ت، ص 26.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّلوة والبرِّ والآداب، باب التَّهْي عن لعن الدَّواب وغيرها، رقم الحديث 2599، ص 1204. لقد سبق تخرجه في الصَّفحات السَّابقة.

(٣) - ابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، المصدر السَّابق، ص 245.

(٤) - تمَّ تخرجه سابقاً، يُنظر صفحة 265.

أنين العباس، فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه فقال النبي ﷺ: «مالي لا أسمع أنين العباس، فقال الرجل: أنا أرخيت وثاقه يا رسول الله، فقال نبي الله ﷺ: فافعل ذلك بالأسرى كلهم»<sup>(1)</sup>.

وعليه ليتأمل أخي القارئ إلى أي حد بلغت رحمة النبي ﷺ من السمو والرفعة، رحمة تذيب الصخر، ومشاعر ارتقت بروحه الطاهرة ﷺ وهو يلقي برحمته منع إيذاء الأسرى، ليأمر بإكرامهم وجعلهم ممن يستحقون البر.

والدّاعية بدوره لا يضيق صدره بما يقول الأعداء من السّفه والجهل ولا بما يدبّرون من المكر والخديعة والكيد، فالتّبي ﷺ تحمّل الأذى من المشركين وعاملهم بالحسنى وبالقول اللين فكان في قمة من الحلم والسّماحة فما لبث أن قال عنهم: «بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(2)</sup>.

وأحياناً لا ينبغي أن يكون الدّاعية متبلد الحسّ مع الذين يطعنون في الدّين ويسبّون رسول الله ﷺ، أو يعيبون على الإسلام وأهله، ويقىمون حرباً شعواء وخططاً دامية عليه، وإنّما يجب الردّ بما يتناسب مع هجومهم وتطاولهم على الإسلام بالمكر والخبث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: 39].

#### ت- احترام كرامة الإنسان والرحمة والرفق به

لم تعرف البشرية محارباً أرحم بأعدائه أثناء الحرب قبلها وبعدها من رسول الله ﷺ، فقد كان يوصي بها صحابته في المعارك التي يخوضونها، وكانت وصاياه تصدّر على أساس احترام كرامة الإنسان في المعركة فمادام المراد كسر شوكة الكفر، فلا يحلّ بعد ذلك وراء القتل من مثله وغيرها، فقد كان يأمر أصحابه بالصدقة وينهاهم عن المثلة<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد بن سعد بن منيع الزهري، كتاب البقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، ج4، 1421هـ/2001م)، ص 12.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، رقم الحديث 3231، ص 799.

(3) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، كتاب الجهاد، باب التّهي عن المثلة، رقم الحديث 2667، ج4، المصدر نفسه، ص 301.

فقال ﷺ: «أعف الناس قتلَ أهل الإيمان»<sup>(1)</sup> أي: أكفهم وأرحمهم من لا يتعدى في هيئة القتل التي لا يحل فعلها من تشويه المقتول وإطالة تعذيبه<sup>(2)</sup>، فكان من مشهور كلامه في وصايا لأمرء الجنود ما جاء في حديث بريدة رضي الله عنه قال: «... إغزوا ولا تغلوا<sup>(\*)</sup>، ولا تغدروا<sup>(\*)</sup>، ولا تمثلوا<sup>(\*)</sup>...»<sup>(4)</sup>.

لقد كان من فيض رحمته ﷺ احترامه لجثث الإنسان ولو كان كافراً، فأمر بدفن جثث المشركين ولم يتركها نبأاً للسباع والوحوش، وأضحى هذا المنهج العاطفي الذي وضعه النبي ﷺ في حياته، يؤكد سمو منهجه وهديه في الحياة كلها حتى في مواقف الحروب والقتال.

وموقفه التاريخي الشامخ تجاه هند بنت عتبة، كانت أشد حقداً على المسلمين قبل إسلامها، وما قامت به بعد موقعة أحد بالتمثيل بجثث المسلمين بمن فيهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ - وكان حدثاً مريعاً - ترك هذا الحدث جرحاً عميقاً في قلب النبي ﷺ وغضبه الشديد ناحية هند<sup>(5)</sup>، وبعد فتح مكة لما عفى عنها النبي ﷺ وخالط الإسلام قلبها قالت لزوجها أبي سفيان: «إني أريد أن أبايع محمداً، فقال: قد رأيتك تكفرين فقالت: أي والله ما رأيت الله تعالى حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، فقال: فإن كان لابد فاذهي برجل من قومك، فذهبت إلى عمر رضي الله عنه، فذهب معها إلى رسول الله ﷺ وأعلنت إسلامها»<sup>(6)</sup> لقد ظهر هنا تأثر هند من خلال عفو النبي ﷺ وسماحته.

(1) - رواه أبو داود في سننه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، كتاب الجهاد، المصدر السابق، رقم حديث 2666، ص 300. وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب أعف الناس قتلَ أهل الإيمان، رقم الحديث 2681، ج 2، ص 895. وذكر حكم الألباني: هذا حديث ضعيف.

(2) - أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح ابن القيم الجوزي، كتاب الجهاد، باب في التهي عن المثلة، رقم الحديث 2649 (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط 2، ج 7، 1388هـ/1968م)، ص 328.

(\*) - لا تغلوا: أي من الغلول، ومعناه الخيانة في الغنم، أي: لا تخونوا في الغنيمة (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم الحديث 1731، ج 3، ص 1357).

(\*) - لا تغدروا: أي: لا تنقضوا العهد (المصدر نفسه، ص 1357).

(\*) - لا تمثلوا: أي: لا تشوهوا القتلى بقطع الأنوف والآذان، (المصدر نفسه، ص 1357).

(4) - المصدر نفسه، ص 1356.

(5) - راغب الحنفي السرجاني، الرحمة في حياة النبي ﷺ (المملكة العربية السعودية: رابطة العالم الإسلامي، ط 1، 1430هـ/2009م)، ص 355.

(6) - سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، أسلوب الترغيب في دعوة النبي ﷺ، المرجع السابق، ص 277.

ومن دلائل إحسانه لقتلى غير المسلمين لمن لا حيلة لهم النساء والولدان، ما قاله لبلال ؓ حين أتاه بامرأتين إحداهما صفيّة بنت الأخطب أم المؤمنين رضي الله عنها وقد مرّ بهما على مصارع قومهما فقال النبي ﷺ الرحمة المهداة: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما»<sup>(1)</sup>.

وقد نهي ﷺ عن قتل النساء والولدان والشيوخ الذين لا يستطيعون حيلة، فقد وجدت امرأة في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة فأنكر وغضب ﷺ من قتل الصبيان والنساء فجاءت في وصاياه: «لا تقتلوا وليدًا»<sup>(2)</sup>.

وقال لجنوده وأمرأه جيشه: «إنطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا، ولا امرأة...»<sup>(3)</sup>.

وروى أحد الصحابة غضب النبي ﷺ واستعظامه للمشهد عندما مرّ على امرأة مقتولة قد اجتمع عليها الناس فقال: «ما كانت هذه تقاتل فيمن تقاتل، ثمّ قال لرجل: إنطلق إلى خالد فقلّ له: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك بقول لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً»<sup>(4)</sup>.

وكان قد منع الغدر في قتال الكافرين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ عن الغادر: «ينصب الله له لواء يوم القيامة، فيقال: ألا هذه غدرة فلان»<sup>(5)</sup> وهذا من رحمة النبي ﷺ حتى في الجهاد.

(1) - ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار المعارف، ط2، د، ت)، ص 14.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم الحديث 1731، ج3، ص 1357. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال، رقم الحديث 1617، ج3، المصدر السابق، ص 260.

(3) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، رقم حديث 2614، ج4، المصدر السابق، ص 256. وقال: الحديث ضعيف، ولكن له شواهد في أحاديث أخرى مثل النهي عن الغلول وغيره، وأسند الحديث قوله حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، إلا الترمذي والنسائي فقد أخرج له في أعمال اليوم والليلة.

(\*) - العسيف: هو الأجير (مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي مجدة، ج7، ص 1748).

(4) - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان، رقم الحديث 2842، ج1، المصدر السابق، ص 948. ورواه أيضًا أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وقال: هذا الخبر سمعه المرقع بن صيفي عن حنظلة الكاتب، وسمعه من جدّه رباح بن الربيع، والخبران محفوظان انتهى.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بأبائهم، رقم الحديث 6178، ص 764.

وفي غزوة الغابة طاردَ سلمة بنُ الأكوع ﷺ المشركين الذين أغاروا على إبل المسلمين وقتلوا الرّاعي، حتّى إستنقذ جميع ما أخذوه، فقال سلمة: يا رسول الله إنّ القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل إستنقذت ما عندهم من السّرح، وأخذت بأعناق القوم - أي غنمنا إبلهم وأسرناهم - فقال رسول الله ﷺ: «يا ابنُ الأكوع ملكت فأسجح»<sup>(1)</sup> يقول الإمام النّووي رحمه الله: (أي: أحسن وإرفق، ولا تأخذ بالشّدّة فقد حصلت النّكاية في العدوّ والله الحمد)<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 6هـ كان المسلمون في الحديبية يريدون أن يدخلوا مكّة معتمرين، فخرج ثمانون رجلاً منهم من الكفّار ليلاً، وحاولوا التسلّل إلى معسكر المسلمين، فاعتقلهم المسلمون جميعاً، فأطلق نبيّ الرّحمة ﷺ سراحهم وعفا عنهم<sup>(3)</sup>.

وبناء على ما سبق كانت الرّحمة ملازمة للنّبي المصطفى ﷺ لم تفارقه في كلّ مرحلة من مراحل دعوته ومع جميع المدعوّين، فنراه يرحم المشركين بعد انتصاره عليهم، ونراه يرحم الأعداء والأسرى في المعركة، ونراه يرحم من ساكنه في دار الإسلام بل يرحم المنافقين الذين كادوا للإسلام بل ويرحم المرتدّ إذا رجع ويعفو عنه ويقبل إسلامه، يقول المستشرق لورد هدي: (إذا رجعنا إلى التّاريخ وحكمناه في هذه المسألة - إتهام الأوربيين النّبي ﷺ بالقسوة - لتبيّن لنا أنّ القسوة لم تكن قطّ من أخلاق محمّد وذلك بدليل معاملته للأسرى بعد غزوة بدر وتسامحه مع أعدائه وصبره على آذاهم وعطفه على الأطفال والمرضى وحقنه للدّماء وعفوه عن أولئك الذين قضوا في محاربتة ثمانية عشر عامّاً وأظهروا له فيها كلّ صنوف العداة وأذاقوه من خلالها أنواع الجور والإضطهاد والظلم)<sup>(4)</sup>.

إنّ هذه الدّلائل مع هذه الفئات الغير المسلمة تعظّم أهميّة الرّحمة والرّفق في قلب النّبي ﷺ تجاه خصومه، ممّن أعلنوا حرباً عليه وعلى الإسلام، فكان عليه الصّلاة والسّلام حين احتدام القتال ضدّ أعدائه يعلنها مدويّة: الرّفق بمنّ ليست لهم اليد الطولى في القتال من ذراري عدوه ونسائه، فإنّ تبيّن من هؤلاء إعتداءهم واستغلال نسائهم، وممّن كان له رأي وصاحب خطط في القتال ولو كان كبير السنّ فإنّ له موقف آخر، إذ يأمر بقتلهم لأنّ هندستهم للحرب على الإسلام أبلغ من المشاركة

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، رقم الحديث 1806، ص 1432.

(2) - يُنظر: النّووي، شرح النّووي على صحيح مسلم، ج 12، المرجع السّابق، ص 174.

(3) - يُنظر: صفّي الرّحمان المباركفوري، الرّحيق المختوم (دار إحياء الثّراث، د. ط، 1396هـ/1976م)، ص 297.

(4) - محمّد فهمي عبد الوهاب، محمّد رسول الإسلام في نظريّ فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه (القاهرة: دار الإعتصام، ط 1، 1395هـ/1975م)، ص 38.



فيها، لذلك أمر بقتل دريد بن الصمة<sup>(\*)</sup> في حنين وكان ابنُ مائة وستين سنة، وقد ذهب بصره، لأنَّه كان ذو رأيٍ وصاحب خطط في القتال عندما أحضره ليستعينوا به وقد أشار عليهم بأن يرفعوا الثقل إلى عليا بدارهم ويلقوا بالمسلمين على متن الخيل<sup>(1)</sup>.

لذلك يتعيَّن على الدَّاعية الاستفادة من رحمة النبي ﷺ كالآتي :

- لرحمة النبي ﷺ دُرٌ كثيرة ومواقف لا تحصى ولا تعدُّ، والدَّاعية إلى الله من الجانب العملي يجعل من النبي المصطفى ﷺ قدوته في كلِّ شيءٍ، في أخلاقه ومعاملاته في السَّراء والضَّراء، في حالات الحرب والسَّلم، وعليه أن يكون على درايةٍ بما جُبلَ عليه النبي ﷺ من أخلاق وعواطف لا يماثله فيها أحد، فكان رحيماً بأعدائه وخصومه، فلا ينتقم لنفسه ولا يقابل عداوتهم بالمثل، بل كان يقابلها بالإحسان والرحمة والدُّعاء لهم.

- كما على الدَّاعية دراسة أخلاق النبي ﷺ الفدَّة وتاريخ دعوته، يطبِّقها ويعلمها شعار حياته، فكم من أناسٍ يحسبون أنفسهم على شيءٍ من سُنَّته، إلَّا أنَّ أسلوبهم وأخلاقهم تُفنِّدُ إدَّعاءهم، تراهم حريصين على بعض الواجب بينما يفتقدون إلى مشاعر الإنسانية، يتعاملون مع النَّاس بـكبر بحكم منصب أو شهرة، وهذه أمراض أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته.

- دعوة إلى كل من يحمل دعوة الإسلام ورسالاتها من أشخاص وحركات وجمعيات وقنوات إعلامية ومؤسسات دينية أن يخصَّصوا حصصاً ولقاءات وشعارات تحاكي الدَّعوة النَّبوية في واقع الحياة الإسلامية اجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً واقتصادياً.

### ج- الصَّبر والحلم عن المكاره

ومَّا سبق ذكره مشركي مكَّة كانوا مع رفضهم للإسلام يستهزئون بالنبي ﷺ ويسخرون منه فضرب ﷺ مثلاً في الصَّبر عن الأذى، وتحمل كل ذلك لنصرة هذا الدِّين، ولكنَّ الدعوة إلى الله تحتاج إلى التَّحلِّي بصفة الصَّبر والحلم كأسلوب عاطفي ثمرته بإذن الله تعالى نصرٌ من الله وفتحٌ للقلوب الغُلْفى ودخول النَّاس في دين الله أفواجاً، فتتساق قلوبهم قبل أعناقهم متأثرين بأخلاق النبي ﷺ العالية وحالته الوجدانية السامقة، لِرقة قلبه، وجمال نفسه والتي تشكل مبدأً للإنعطاف الإنساني الذي هو مبدأ الإحسان والرحمة والتَّسامح والصَّبر والحلم.

(\*) - دريد بن الصمة: شاعر جاهلي، وفارس من قبيلة هوازن قاتل المسلمين فقتل في وقعة حنين، ويرجع نسبه لبنو جشم من هواز، أدرك دريد الإسلام ولكنه لم يسلم وخرج مع قومه لقتال المسلمين يوم حنين شارك مع المشركين وغير مشارك في الحرب ولكنهم أخرجوه معهم تيمناً به وأيضاً للأخذ بمشورته (يُنظر: عمر عبد الرسول، ديوان دريد بن الصمة، القاهرة: دار المعارف، د، ط، د، ت)، ص-ص 9، 11.

(1) - محمد بن عبد الوهاب، مختصر السيرة النبوية، المرجع السابق، ص 204.

فشهد له ﷺ بالحلم حينما أعلن عفوهُ عن مشركي مكة عام الفتح، وعندما اجتمعوا إليه قرب الكعبة ينتظرون حكمه فيهم، فقال لهم يا معشر قريش يا أهل مكة: «ما ترون أُنِّي فاعل بكم؟ فقالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(1)</sup>، فكان هذا الموقف من النبي ﷺ لما نزل من القرآن: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126] فقال: نصبر ولا نعاقب فاختار العفو والصبر تفضلاً واحتساباً، حيث عفا بلا قيد ولا شرط على كل الذين اضطهدوه وعذّبوه فأغنى فقراهم وعفا عن ألد أعدائه<sup>(2)</sup>.

والدّاعية بدوره أحوج من غيره إلى الصبر ومصابرة خصومه، حتّى يصل إلى هدفه وغايته، لأنّه بالصبر يكون أكثر ثباتاً وأقرب إلى نجاح دعوته، وبدون الصبر قد يصيبه الفتور والكسل واليأس، ومن ثمّ القعود عن الدّعوة، والنبي ﷺ كان القدوة والمثل الأعلى يحتذى به على مرّ العصور، فكان يصبر ويعفو في الوقت نفسه، يقول الكاتب الهندي: (كان النبي محمد ﷺ مثلاً يعفو عن مشركي مكة بعد ما فعلوا بهم ما فعلوه، لقد كان هذا العفو فتحاً كبيراً أن انطوت القلوب الكافرة تحت لواء النبي الكريم ﷺ مطيعة مستسلمة)<sup>(3)</sup> فليس غريباً أن يوجّهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين أخبره:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [١١٣] ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 199-200] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34] بمعنى من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان.

وأروع مشهد للصبر، صبر النبي ﷺ على المشركين حين آذوه ورموه بالكذب واتّهموه بالكهانة وأكثروا من السخرية والاستهزاء به والطعن فيه، وأثاروا حوله الشبهات الباطلة، والإفتراءات والدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول ذاته وشخصيته، ومعارضتهم للقرآن بأساطير الأولين وتشغيل الناس بها عنه، بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبّر دعوته، فلقد ذهب النضر بن الحارث إلى الحيرة وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم، و إسفنديار، فكان إذا جلس النبي ﷺ مجلساً

(1) - ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار المعارف، ط2، ج3، د،ت)، ص 61.

(2) - سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، أسلوب الترغيب في دعوة النبي ﷺ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدّعوة والإعلام، قسم الدّعوة والاحتساب، 1416هـ، ص 269.

(3) - محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة والرّسالة والإنسان، المرجع السابق، ص 107.

للتذكير بالله والتحذير من نعمته، خلفه النَّضر بالقول: والله ما محمدٌ بأحسن حديثاً منِّي، ثم يحدِّثهم عن ملوك الفرس ورستم وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسن حديثاً منِّي<sup>(1)</sup>.

وأبو جهل الذي تنوّعت وسائل أذاه للنبي ﷺ وتواترت، ووصل به الأمر إلى محاولة إلقاء الحجر عليه وهو ساجد، ولكن الله منعه من ذلك.

وكان من مواقف إهانات المشركين أن قام عقبة بنُ معيط لإلقاء سلا جزور على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، فلم يرفع رأسه، فجاءت السيِّدة فاطمة رضي الله عنها فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَيْعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَيْعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ أَوْ أَبِي بْنَ خَلْفٍ - شُعْبَةُ الشَّكَاكُ - فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ ..»<sup>(2)</sup>.

وبينما النبي ﷺ يصلِّي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بنُ أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل رفيق النبي أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: <sup>(3)</sup> ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: 28].

وبرغم كلِّ هذه الاعتداءات فلم يقابل تلك العداوة الظَّاهرة بمثلها، بل قابِلها بالصَّبْر والصَّفْح والدُّعاء لهم بالهداية، ولم يك ليقتص لنفسه ولم يحمل لهم كرهاً أو عداوةً بل عفا عنهم ودعا لهم. وأعجب موقف وأرحمه عندما دخل ﷺ مَكَّةَ فاتحاً ويتذكَّر ما فعل به أهل مَكَّةَ من الأذى الشَّدِيد، ولكنه كان ﷺ صاحب القلب الكبير، والعقل الرَّصين، والخلق الرَّفيع، فقال قولته المشهورة: «إذهبوا فأنتم الطُّلقاء»<sup>(4)</sup>.

(1) - منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبويَّة، المرجع السابق، ص 74.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكَّة، رقم الحديث 3852، ص 478.

(3) - المرجع نفسه، رقم الحديث 3856، ص 479.

(4) - أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب السير، باب فتح مكَّة، حديث 18275 (مطبوعة دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط1، ج9، 1356هـ)، ص 118. وفي سنن البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب السير، باب فتح مكَّة، حديث 18275 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج9، 1424هـ/2003م)، ص 200، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (307/3) ضعيف، ورواه ابنُ إسحاق في السيرة، 31/4-32، ونقله الحافظ ابنُ كثير في البداية والنهاية، 300/4-301، ساكتاً عليه، وهذا سندٌ ضعيفٌ مرسلٌ، وقال الحافظ العراقي رحمه الله: رواه ابنُ أبي الدنيا في كتاب الغفو وفي ذمِّ الغضب، ومن طريقه رواه ابنُ الجوزي في الوفاء وفيه ضعف (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، 182/4). وذكره ابنُ السَّكِّي في الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً في إحياء علوم الدين طبقات الشافعية، 323/6، وضعَّه الشيخ الألباني -رحمه الله- بقوله: وهذا سندٌ ضعيفٌ مرسل.

فكان صبره وحلمه أثرٌ كبيرٌ في نجاح دعوته، فلو أنَّ الداعية استسلم لصنوف الأذى وخشي غير الله تعالى، أو تكلم بالباطل إرضاءً لهذا الذي خشي منه ماذا بقي لدعوته؟ وما ذا تنتظر الدعوة من أمثاله؟ هنا حتماً يسقط من صنائع الدعوة، فالنبي ﷺ حينما مات عمّه أبو طالب اشتدَّ إيذاء المشركين له وقابلوه بأنواع العداوة والحقد، فتوجّه إلى الطائف ليجد العون وإذا به يقابلونه أسوأً مقابلة. أحياناً نجد بعض الدعاة يرفع الله من شأنهم ويجعل كلامه مقبولاً يلقي محبته في قلوب الناس، ولكن تجده عجولاً في قطف ثمار دعوته أو متدمراً ممّا يلقي إليه من ردود، ولكنه لا يعلم ماذا تحمّل النبي ﷺ كيف صبر؟ وكم صبر؟ على ملّمات إرضاء الله تعالى.

إنّ هذا يرسم للدعاة منهجاً عظيماً من مناهج الدعوة إلى الله تعالى ألا وهو العفو والحلم تجاه المسيء والإحسان إليه والصبر عليه، وقد بلغ النبي ﷺ في حلمه وعفوه الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر التزام النبي ﷺ لهذا الأمر مع المشركين في غزوات بدر وأحد، والخندق عندما اشتبك معهم في معارك ضارية وحرّمهم حتّى من أبسط حقوقهم كزيارة الكعبة، وأرجعهم إلى ديارهم بعد إبرام معاهدات ذات شروط قاسية، ولكن الله تعالى أنعم عليه ففتحوا لأهل مكّة فما كان منهم إلّا أن دخلوا في دين الله أفواجاً<sup>(1)</sup>.

وفي معركة أُحدٍ، عندما جرح وسقط على الأرض سأله أحد الصّحابة أن يستنزل اللّعة على العدو، فأجاب النبي ﷺ: «أنا لم أبعث لَعَنًا للعالمين، ولكن بعثت هاديًا ورحمة، اللهم إهدِ قومي فأثم لا يعلمون»<sup>(2)</sup>.

واستوصى بأسارى بدر خيراً فأسلم كثيرٌ من هؤلاء على فترات مختلفة قبل فتح مكّة وبعدها منهم العباس وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وخالد بن هشام وغيرهم كثير<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد علي اللاهوري القادياني، حياة محمد ورسالته، ترجمة: محمد يعقوب خان (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1390هـ)، ص 107.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه، رقم الحديث 2599، ص 1204.

(3) - سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، أسلوب التّروغيب في دعوة النبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 267.

وموقفه مع من قال: «كُنَّا أَحَقُّ بِهَذَا عِنْدَمَا بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ اليمينِ بِذُهِيبَةٍ(\*)» في أديمٍ مَقْرُوظٍ(\*)، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ(\*) وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ(\*) وَالرَّاعِ إِمَّا عَلَقْمَةُ(\*) وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ(\*) مُشْرِفُ الْوُجْهَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَةِ كَثُ اللَّحْيَةِ(\*) مَخْلُوقُ الرَّأْسِ(\*) مُشَمَّرُ الْإِزَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ !، قَالَ: وَيَلَكَ أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ قَالَ ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَضْرِبُ عَنْقَهُ قَالَ: لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي، فَقَالَ خَالِدٌ وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشَقَّ بُطُونَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفِّ فَقَالَ: إِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ ضِئْضِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ وَأَظْنُّهُ قَالَ لَنْ أَدْرِكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثُمُودٍ»<sup>(1)</sup>.

(\*) - بِذُهِيبَةٍ: أَيُّ ذَهَبٍ أَيْ ذَهَبٌ (يُنْظَرُ: ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 4351، ج 8، ص 68).

(\*) - أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ: أَيُّ مَدْبُوعٍ بِالْقَرْظِ (المرجع نفسه، ص 68).

(\*) - عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ: وَهُوَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بُنْ حَذِيفَةَ، نَسَبُ لَجْدِهِ الْأَعْلَى (المرجع نفسه، ص 68).

(\*) - وَزَيْدُ الْخَيْلِ: وَهُوَ كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخ: الْخَيْرُ، فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي بَعْدَهَا زَيْدُ الْخَيْلِ بُنْ مَهْلَهْلُ الطَّائِي، وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ زَيْدَ الْخَيْرِ، بِالرَّاءِ بَدَلَ اللَّامِ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ يُقَالُ بِالْوُجْهَيْنِ، كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ زَيْدُ الْخَيْلِ، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْإِسْلَامِ زَيْدَ الْخَيْرِ (المرجع نفسه، ص 68) وَفِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1064، ص 741).

(\*) - عَلَقْمَةُ: هُوَ ابْنُ عِلَالَةَ الْعَامِرِيِّ، أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ عَلَى حُورَانَ، فَمَاتَ بِهَا فِي خِلَافَتِهِ (يُنْظَرُ: ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 4351، ج 8، ص 68).

(\*) - غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ: أَيُّ أَنَّ عَيْنَيْهِ دَاخِلَتَانِ فِي مَحَاجِرِهِمَا، لِاصْقَتَانِ بِقَعْرِ الْحَدِيقَةِ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1064، ج 2، ص 741).

(\*) - كَثُ اللَّحْيَةِ: الْكَثَاثَةُ فِي اللَّحْيَةِ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ دَقِيقَةٍ وَلَا طَوِيلَةٍ، وَفِيهَا كَثَافَةٌ، يُقَالُ: رَجُلٌ كَثُ اللَّحْيَةِ، بِالْفَتْحِ وَقَوْمٌ كُثْ، بِالضَّمِّ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1064، ج 2، ص 741).

(\*) - مَخْلُوقُ الرَّأْسِ: حَلَقُ الرَّأْسِ إِذْ ذَاكَ مُخَالَفٌ لِلْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانُوا يَفْرُقُونَ شَعُورَهُمْ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1064، ج 2، ص 741).

(1) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 4351، ص 1064. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1064، ج 2، ص 741.

إنَّ هذا من أعجب مظاهر حلم النبي ﷺ ومواقفه الحكيمة والرَّاشدة، راعى فيها مصلحة الدعوة بدل الدِّفاع عن النفس، وقد أُوذِيَ فلم يؤمر أن يُنقب على قلوب الناس ولا أن يشقَّ بطونهم، والرَّجل قد استحقَّ القتل لكنَّ النبي ﷺ آثر العفو والصَّبْر لئلاً يتحدَّث النَّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يقتل أصحابه.

وموقفه مع الطُّفيل بُن عمرو الدوسي<sup>(\*)</sup> وقد أسلم قبل الهجرة من مكَّة ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله فأبت عليه وعصت، وأبطأوا عليه، فجاء الطُّفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أنَّ دوسًا هلكَتْ وكفرتْ وعصتْ وأبت، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال النَّاسُ: هلكَتْ، فقال ﷺ بروح عذبة ونفس رحيمة: «اللَّهُمَّ إهد دوسًا وائت بهم اللَّهُمَّ إهد دوسًا وائت بهم»<sup>(1)</sup>، يقول الإمام الكرمانى رحمه الله: (هذا من كمال خلقه العظيم ورحمته بالعالمين، وقد قال الله في حقِّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [107: الأنبياء] وهذا من كمال رحمته ورأفته بأمتِّه ﷺ<sup>(2)</sup>. راعى النبي ﷺ أحوال دوسٍ فلم يدعُ عليهم ودعا على غيرهم من المشركين، فقال عنه الحافظ ابن حجر رحمه الله: (كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى حيث تشدُّ شوكتهم ويكثر أذاهم، والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألُّفهم)<sup>(3)</sup>.

إلى هذا الحدِّ تبلغ درجة حلم النبي ﷺ العالية وتأنُّيه في دعوته، حيث لم يعجل بالعقوبة ولا الدُّعاء على من ردَّ الدعوة إلى الله، ولكنه آثر الدُّعاء لهم بالهداية فاستجاب الله دعاءه وحصل على ثمرة هذا الصَّبْر أنَّ تأثَّر الطُّفيل بخلق النبي ﷺ وموقفه مع دوسٍ فرجع إلى قومه ورفق بهم، فأسلم على

(\*) - طفيل بن عمرو: ابن طريف بن العاض بن ثعلبة بن سليم بن لقيط بن الحارث بن مالك بن فهم بن غنم دوس الدوسي، لحق بالرسول ﷺ بالمدينة بعد معركة أُحد وأقام فيها، استشهد في حروب الردة بمعركة اليمامة. صاحب النبي ﷺ، وكان سيِّدًا مطاعًا من أشرف العرب، ودوس بطن من الأزد، وكان الطُّفيل يلقب ذا الثور، أسلم قبل الهجرة بمكَّة، (يُنظر: مرزوق بن هيب آل مرزوق الزهراني، ط1، 1434هـ/2013م، ص97. و(يُنظر: السيرة النبوية لابن هشام، بيروت: دار الجيل، د، ط، ج2، دت)، ص-ص 226، 227).

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدُّعاء للمشرِّكين بالهدى ليتألَّفهم، رقم الحديث 2937، ص724، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس، رقم الحديث 2524، ص1957.

(2) - سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدُّعوة في صحيح البخاري، المرجع السَّابق، ص529.

(3) - المرجع نفسه، ص530.



يديه خلق كثير، ثمَّ قدم إلى النبي ﷺ وهو بخير فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دُوسٍ، ثمَّ لحقوا بالنبي ﷺ بخير فأسلم لهم مع المسلمين<sup>(1)</sup>، يقول الإمام الكرمانى رحمه الله: (ودعا لهم النبي ﷺ بالهداية في مقابلة العصيان، والإتيان بهم في مقابلة الإباء)<sup>(2)</sup> ويقول الإمام العيني رحمه الله: (كان النبي ﷺ يحبُّ دخول النَّاس في الإسلام، فكان لا يعجلُّ بالدُّعاء عليهم مادام يطمع في إجابتهم للإسلام)<sup>(3)</sup> إنَّ مشهد النبي ﷺ مع الطُّفيل يبعث إلى التعجُّب والتَّعظيم الذي بسببه أسلم خلق كثير. إنَّ مشهد النبي ﷺ مع الطُّفيل يبعث إلى التعجُّب والتَّعظيم لخلق النبي الكريم ﷺ وحلمه الذي بسببه أسلم خلق كثير.

### وهذا يقدِّم للدَّعوة دروساً وعبراً على الدَّاعية إلى الله الإلتزام بها :

- أن لا يستعجل في تحقيق غرض دعوته و نتائجها، بل عليه التحلي بالصَّبر والحكمة.
- كما عليه أن يتحلَّى بكامل صفات الرَّحمة التي تجسَّدت في خلق النبي ﷺ، ونحن نرى موقفه الرَّائع مع دُوسٍ، من حلمٍ وأناة وصبر ودعاء طيِّب الذي جذب القلوب وأسرها.
- عليه من باب الحكمة أن يتَّصف بالحلم والتَّأني في دعوته ولا يجزع إن لم تُقبل، فلا يكون عجولاً ولا كسولاً، فإنَّ الأناة(\*) تعينه على وضع الأمور في مواضعها، بخلاف العجلة فإنَّها تعرِّضه لكثير من الأخطاء والإخفاق والتَّعثر والإرتباك والحرمان من تحقق النتائج التي يريجوها<sup>(4)</sup>.
- ونجده ﷺ في مشهد آخر مع قصَّة الرَّجل الذي يرقى من الرِّيح عندما سمع من أهل مكَّة يقولون: إنَّ محمداً مجنون...وعندما لقي النبي ﷺ قال: «يا محمَّد إنِّي أرقى من هذه الرِّيح، وأنَّ الله يشفي على يدي من يشاء فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أمَّا بعد، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: ما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البرِّ فقال: هات يدك لأبايعك على الإسلام، قال فبايعه فقال له

(1) - الذهبي، سير اعلام النبلاء (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط11، ج1، 1417هـ/1996م)، ص 346.

(2) - سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح البخاري، المرجع السَّابق، ص 526.

(3) - المرجع نفسه، ص 527.

(\*) - الأناة: هي التَّبيُّن والتَّثبُّت في الأمور والتَّبصُّر والتَّأمل، ويقال: تبصر الشيء، وتأمل في رأيه: تُبيِّن ما يأتيه من خير أو شرٍّ (يُنظَر: القاموس المحيط للفيروز الآبادي، باب الرِّاء، فصل الباء، ص 448) والأناة التَّأني والتَّثبُّت وترك العجلة، حتَّى يستبين الصَّواب (سعيد بن علي بن وهب القحطاني، المرجع السَّابق، ص 527).

(4) - سعيد بن علي بن وهب القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح البخاري، المرجع السَّابق، ص 527.



رسول الله ﷺ وعلى قومك فقال وعلى قومي»<sup>(1)</sup> طلب الرجل من النبي ﷺ أن يعالجه من مرض الجنون هو موقف يثير الغضب إلا أنه ﷺ قابله بحلم وهدوء أثار إعجاب الرجل واحترامه له. وعليه نستشف من هذه القصة كَيْفِيَّاتِ التَّائِي في الحديث والصَّبْر والحلم وأسلوب الحوار الهادئ الذي نعتبره من وسائل الدَّعوة والتَّربية النَّاجحة، ممَّا يستوجب على الدُّعاة أن يتحلُّوا بهذه الأخلاق وهذه الأساليب الرَّاقية، فهي خير سلاح لمواجهة أيُّ أسلوب يثبُّت النَّفس ويضعفها.

وما يجدر بالدَّاعية أن يستحضر سياسة النبي ﷺ في تعامله من المشركين من خلال العفو الشَّامل والمعاملة الرَّحيمة الحانية التي كانت سبباً في إسراع أهل مَكَّة إلى الدُّخول في الإسلام طوعاً واختياراً فتوافدوا عليه ﷺ ليباعوه على الإسلام<sup>(2)</sup>، فنبت في الصَّحَّاحين أَنَّ الطُّلقاء من أهل مَكَّة قد خرجوا معه إلى حُنَيْن<sup>(3)</sup>، يذكر الكاتب الهندي محمَّد علي في سياسة العفو عند النبي ﷺ فيقول: (وكان العفو جوهره أخرى بالغة الإشعاع في شخصية النبي ﷺ وجدت فيه تجسدها الكامل ولقد أوصى القرآن الكريم بأن يأخذ بالعفو ويأمر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين)<sup>(4)</sup>.

فيُلتمس هنا أنبل وأسمى معاملة أقرَّها القرآن في معاملة الوثنية إنطلق بها النبي ﷺ لتطبيقها، أمثالاً للوصية الرِّبَّانية اللطيفة التي جاءت في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: 6].

فكان النبي ﷺ أحسن النَّاس عفواً وألطفهم عشرةً، يعفو عن المسيء ويصفح عن المخطئ حتى وصفه الله تعالى بالقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] فانتهج نهج العفو والرحمة في دعوته إلزام لأمر ربِّه أن قال له: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13] فكان يقابل أذى المشركين بالصَّفح الجميل، وهو الصَّفح الذي لا يكون مقرونًا بغضب أو كِبَر أو تذمُّر من المواقف المؤلمة، وإنما كان يقابلهم بالصَّفح الجميل، فيعرض عليهم قائلاً: سلام.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصَّلَاة والخطبة، رقم الحديث 868، ج 1، ص 385.

(2) - ابنُ جرير الطَّبْرِي، تاريخ الطَّبْرِي تاريخ الرُّسل والملوك، المرجع السَّابق، ص 61.

(3) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، ج 3، 1379هـ)، ص 54.

(4) - محمَّد مسعد ياقوت، نبيُّ الرَّحمة والرَّسالة والإنسان، المرجع السَّابق، ص 106.

ولا عجب أن يسخر في الوقت الحاضر أعداء الدَّعوة بالدُّعاة إلى الله بزعة مكائهم في النُّفوس، والدَّاعية عليه أن يكون موقفه الصَّبر والإستمرار في دعوته، فإنَّ من المبطلين من لا يستجيب إلَّا بعد أمدٍ طويلٍ وعنادٍ شديدٍ، فيسعى جاهداً أن يعمَّهم بالعفو والصَّفح، و يتألف قلوبهم باللُّطف تأسِّياً بالنبي ﷺ ومواقفه التي لا يماثل في التَّاريخ صموده وحلمه وصبره أمام كيد الكائدين وأقوال المبطلين شيئا، والذي لا نجد رجلاً ولا قائداً وقف مع الدُّ خصومه بمثل هذا الخلق، أن ألينت قلوبهم واستأمنت برسالته التي عرفوا عنها الصِّدق والولاء والسَّلام.

### وعليه يتعيَّن على الدَّاعية الاستفادة من صبرِ النبي وحلمه مع المشركين

- على الدَّاعية التحلِّي بخلقِي الصَّبر والحلم في دعوته، فالتجرُّد منهما حتما سيؤدي به إلى الإستسلام والضعف والخور، والنبي ﷺ لعظم شأنهما بيَّن فضلها وعظم وجودهما في حياة النَّاس، وتحديدًا في حياة الدُّعاة إلى الله فقال: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا له وأوسع من الصَّبر»<sup>(1)</sup> فالصَّبر نصف الإيمان، وقد اصطبغ بها صحابته الكرام في سلوكهم فحقَّقوا بذلك إنتصارات ونتائج مذهلة استطاع الإسلام أن يصل إلى كافة الأمصار والقبائل.

- على الدَّاعية أن يوفِّر لنفسه طاقة الإحتمال والإستعداد لأية مواجهة أو أذى قد يلحقه، وكظم الغيظ والقدرة على الصبر واحتمال ما يصيبه عند دعوته، وأن يكون صاحب قلب كبير وأسلوب رصين عند مواجهته للأذى بحكمة وعقلانية، وإن إستدعى الأمر الترفُّق في الحوار وعدم التَّنفير أو التَّقبيح أو الزَّجر، لأنَّه من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

- أمام ذكاء النبي ﷺ وفطنته في مواجهة كافة الحروب النَّفسية والجسدية من سخرية واتهامات وغيرها وتشويه للتعاليم والقيم التي جاء بها، على الدَّاعية أن ينتبه إلى مثل هذه الأمور خصوصًا وما يشنُّ اليوم عبر وسائل الإعلام المعاصرة فتناً وحروباً ضدَّ الدعوة الإسلامية من تشويه في قيمها ومبادئها، تستهدف بالدَّرَجَة الأولى الشَّباب المسلم والمرأة المسلمة، فيجب أن يتمتَّع الداعية إلى الله بالوعي والصَّبر وإنشاء البدائل التي بإستطاعتها إجهاض كافة هذه المحاولات.

### د- التَّدْرِج<sup>(\*)</sup> في دعوته للمشركين لحماية الدعوة من المعاندين

أمَّا تدْرِجه ﷺ في دعوة للمشركين هو تبليغ مضامين دعوته عقيدة وشرعية، كتدْرِجه في إتخاذ الوسائل والأساليب المناسبة، فقد بدأ بعرض دعوته بالحكمة والقول اللَّيِّن والجدال بالتي هي أحسن، مراعيًا في ذلك ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصَّة وعامَّة<sup>(2)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، رقم الحديث 1469، ص 185.

(\*) - تمَّ تعريفه سابقاً، يُنظر ص 271.

(2) - محمَّد الطَّاهر بنُ عاشور، تفسير التَّحرير والتَّنوير، ج14، المرجع السَّابق، ص 330.

ومن خلال التأمل في سيرته العطرة ﷺ نجد أن دعوته ﷺ قد جاءت متدرجة<sup>(1)</sup> فبدأ بالتبليغ بالقول والذي أدى دوره في العهد المكي قامت به الحجّة على المشركين ثم شرع الله له القتال لينصر به الحقّ ويقيم به العدل، فاتّخذ من الغزوات والسرايا وسيلة دعوية تقوم على حماية الدعوة<sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتْلُونَ بِإِنِّهِمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39] أي: كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ، حيث كان مشركو مكة يؤذونهم أدّى شديداً، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: إصبروا فإنّي لم أؤمر بالقتال، حتّى هاجر فأنزلت هذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرِجُوا نَبِيَّهِمْ لِيُهْلَكَنَّ، فَنَزَلَتْ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتْلُونَ بِإِنِّهِمْ ظُلُمُوا﴾ [الحج: 39]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَوَّلُ آيَةٍ أُنْزِلَتْ فِي الْقِتَالِ»<sup>(3)</sup>.

من أجل ذلك قاتلهم في بدرٍ حيث خرجوا من مكة بطراً ورياء ومحادة لله ورسوله، وقاتلهم في أحد دفاعاً عن الحقّ وأهله، وقاتلهم في الأحزاب وقد اجتمع أهل الشرك يريدون الإسلام وأهله فأمر بحفر الخندق ودافعهم حتى هزمهم وقتل من قتل من اليهود لأنهم بدأوا بالعداوة ونقضوا العهد معه وآذوه فأراد بهذا القتال حماية الدعوة من شرهم.

وما حدث في قصة كعب بن الأشرف<sup>(4)</sup> نقض عهده مع رسول الله ﷺ فقد قال: «من لكعب بن الأشرف؟ فقد آذى الله ورسوله»<sup>(5)</sup> كان يهجو النبي ﷺ ويحرّض عليه قريشا وشبّب نساء المسلمين، فانتدب عليه بعض أصحاب رسول الله ﷺ فقتلوه<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ج3، المرجع السابق، ص 173.

(2) - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرّج في دعوة النبي ﷺ، المرجع السابق، ص-ص 73، 74.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج، رقم الحديث 3171، ج5، المصدر السابق، ص324.

(4) - كعب بن أشرف: وهو أحد بني نهران من طيء وكانت أمّه من بني النضير، وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار إلى مكة وحرّض على رسول الله ﷺ وبكى أصحاب بدر، وكان يشبّب بنساء المسلمين، وقد آذى النبي ﷺ بالهجاء وركب قريش فاستغواهم، وقدم المدينة يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب، ولم يخرج من مكة حتّى أجمع أمرهم على قتال النبي ﷺ وجعل يشبّب بأُم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين، (يُنظر: البداية والنهاية لابن كثير (بيروت: مكتبة المعارف، د، ط، ج4، 1412هـ/1991م)، ص6.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، رقم الحديث 4037، ص 990.

(6) - يُنظر: إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية (الأردن: دار النفائس، ط1، 1415هـ/1995م)، ص-ص 199، 201.

فالنبي ﷺ لم يقاتل المشركين إلا لأتّهم آذوه وأخرجوه من مكّة واستولوا على أموال المسلمين وقصدوا فتنّتهم في دينهم، ولم يقاتل اليهود إلا لأتّهم بدأوا بالعداوة للمسلمين فلم يكن جهاده للإبادة وإنّما كان كلّهُ رحمة رقيقة حيث لا حرب إلا في ميدان القتال ومع المقاتلين وحدهم<sup>(1)</sup>.

والغريون ينظرون إلى الإسلام يفرض نفسه بحدّ السيف، يأمر المسلم بضرب عنق الكافر أينما لقيه، إلا أنّ هؤلاء لم يصيبوا كبد الحقيقة، فالإسلام لم يكن يوماً يفرض نفسه على الناس إنطلاقاً من الأمر الرباني: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] فرسم القرآن للدّاعية أسلوباً ومنهجاً قائماً على عرض الدّعوة بالحجّة المقنعة، والدّعوة في رفقٍ ولينٍ متقدّماً بدعوته إلى الأفضل والأحسن بأساليب وطرق يكرّم بها الإنسانية عموماً والإسلام خصوصاً في أشخاص غير مسلمين، وقد ورد عن سوسة - وهو كاتب عراقي - قال: (أنّه دعا أتباع موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام أن يراجعوا التّاريخ ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرّقّ بالأطفال والشّيوخ والنّساء وغير المقاتلين بصورة عامّة، ويثبت لنا التّاريخ أنّ المسلمين ساروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم مسّ الأطفال والنّساء والشّيوخ بكلّ أمانة وحرص حتّى في الطّروف التي كان فيها العدو المقاتل يقتل الأطفال والنّساء وغير المحاربين من المسلمين)<sup>(2)</sup>.

لقد كان النبي ﷺ ينبذ العنف واستعمال القوّة في دعوته، فكان يعفو ويصفح ويعطي الفرص لمخالفه حتّى يتبيّن لهم الحقّ، فإنّ اتّبعوه كان ذلك أدعى للنّبي ﷺ رفقتهم وصحبته وإن فاءوا غضب عليهم وأعدّ لهم عدّة القتال حماية لدعوته.

إنّ ما تمّ ذكره بخصوص تعامل النبي ﷺ مع المشركين من مواقف، فيه تنبيه للدّعاة إلى الله:

- لمعرفة المهمّة التي كلّفوا بها وهي هداية النّاس وانتشالهم من وهدة الشّرك وعبادة الخلق إلى عزّ الإيمان ورفعة الإسلام وتحقيق العبودية الحقّة في نفسه، والوقوف أمام من يشكّل حجرة عثرة في طريق انتشار الإسلام ووصله إلى القلوب، والإسلام دين رحمة وتسامح وعدل يفوق كلّ القوانين والنّظم بحكمته وعدله وسماحته وإحسانه، والدّعاة من جهة عليهم أن يستقوا من أخلاق النّبي ﷺ وروحه العذبة وأخلاقه العالية التي تعينه على نوائب الكفر، الصبر أمام مواجهات العصر المحتدمة والتي قلّما يظهر في ساحات الدّعوة من يمثل الدعوة إلى الله على أمّتها.

(1) - أحمد بن أحمد غلوش، الدّعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، المرجع السّابق، ص 45.

(2) - محمّد مسعد ياقوت، نبی الرّحمة والرّسالة والإنسان، المرجع السّابق، ص 62.

- عرض الدعوة بالحجة المقنعة، متقدماً بدعوته إلى الأفضل والأحسن بأساليب وطرق يكرّم بها الإنسانية عموماً والإسلام خصوصاً في أشخاص غير مسلمين، وقد ورد عن سوسة - وهو كاتب عراقي - أن قال: (أنه دعا أتباع موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام أن يراجعوا التاريخ ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرّقق بالأطفال والشيوخ والنساء وغير المقاتلين بصورة عامة، ويثبت لنا التاريخ أن المسلمين ساروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم مسّ الأطفال والنساء والشيوخ بكلّ أمانةٍ وحرصٍ حتّى في الظروف التي كان فيها العدو المقاتل يقتل الأطفال والنساء وغير المحاربين من المسلمين)<sup>(1)</sup>.

- فالغريون بمكرهم يظنون إلى الإسلام يفرض نفسه بحدّ السيف، وبضرب عنق الكافر أينما لقيه، إلّا أنّهم لم يصيبوا كبد الحقيقة، فالإسلام لم يكن يوماً يفرض نفسه على الناس، والنبي ﷺ سلك مسلك القرآن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] فأوصى ﷺ بها أمته والدعاة من بعده أن لا يُكرهوا أحداً في الدخول في الإسلام، لأنّه بيّن جليّ واضح، فجعل من الإقناع وأسلوب التأثير من يسوقهم إليه.

وعليه تجلّت هنا حكمة النبي ﷺ وفطنته من خلال أسلوبه وفيما كان ينتهجه من شئ أنواع الأخلاق الإنسانية التي اشتهر بها، تعود إلى فطنته التي ظهرت بارزة في تعاملاته، وقد أثبتت أساليبه أنّه كان على جانب كبير من معرفة نفسيات من يتعامل معهم ومزاجهم وما إليه يميلون وعنه ينصرون، ولعلّ هذا ممّا عناه الحق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] ليس فقط إزاء أقرابه وقومه فقط، بل تعدّت كذلك المخالفين لدعوته كاليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم.

### المطلب الثاني: دعوة أهل الكتاب بالمنهج العاطفي

#### أولاً: التعريف بأهل الكتاب

هذا الاسم أطلق على اليهود ويشترك معهم فيه النصارى، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم إحدى وثلاثين مرّة، وهم الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة<sup>(2)</sup>.

وكلمة الكتاب مراد بها التوراة ويؤخذ ذلك من القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 53] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48].

(1) - محمّد مسعد ياقوت، نبيّ الرّحمة والرّسالة والإنسان، المرجع السابق، ص 62.

(2) - يُنظر: عدنان أحمد العبد البردني، عقائد اليهود من خلال الحوار مع النبي ﷺ، رسالة ماجستير، غزّة، الجامعة الإسلامية، كلفة أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1431هـ / 2010م، ص 14.

وإن كان النصارى لهم كتاب وهو الإنجيل الذي أنزله الله على عبده ونبيه عيسى عليه السلام، ولكنهم متعبدون بالتوراة إلا ما أحله الله لهم مما حرم فيها على لسان النبي عيسى عليه السلام، وكلمة أهل الكتاب في القرآن تطلق على اليهود والنصارى معاً يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65] فنزلت هذه الآية بسبب دعوى اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على ملته فأكذبهم الله مبيناً أن اليهودية والنصارى كانتا من بعده قائلاً<sup>(1)</sup>: ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65].

وسموا أهل الكتاب لكونهم منتسبين إلى كتبهم السابقة وما اعترأها من تحريف وتغيير وتبديل<sup>(2)</sup>، ويطلق على كل من تدنّى باليهودية أو النصرانية ولو لم يكن من بني إسرائيل الذين أنزلت على رسلهم التوراة والإنجيل، فأهل الكتاب هم اليهود الذين آمنوا بموسى عليه السلام وبكتابه وهو التوراة، ولم يؤمنوا برسالة النبي ﷺ، والنصارى هم الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام وبكتابه وهو الإنجيل، ولهذا قال عنهم النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»<sup>(3)</sup>.

وكانوا يسكنون في المدينة وضواحيها وفي أطرافها، كيهود بني قينقاع ويهود بني النضير ويهود بني قريظة، وهذه المجموعات اليهودية من أشهر قبائل اليهود في المدينة، وقد وادعهم النبي ﷺ بعد قدومه للمدينة وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم<sup>(4)</sup>، لكن اليهود نقضوا العهد وقاموا بأعمال عداوية ضد المسلمين فكان ذلك سبباً لغزوهم وإخراجهم من المدينة فتصدوا لهذه الرسالة التي يعلمون صدقها بالعداء والغدر والخيانة، وكان من أبرزها محاولات قتل النبي ﷺ وسحره فكشفهم الله عن طريق الوحي ونجى الله نبيه، ورغم العداء إلا أنه كان يعاملهم برفق ويحرص على دخولهم الإسلام بكل الأساليب بالموعظة الحسنة والرفق واللين والمعاملة الحسنة.

(1) - محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب (جدة: دار القبة للثقافة الإسلامية، ط1، 1413هـ/1992م)، ص-ص 20، 22.

(2) - عبد الرزاق عبد المحسن البدر، الجامع للبحوث والرسائل، المرجع السابق، ص 485.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان بنبيينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم الحديث 153، ص 80.

(4) - أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية (دمشق: دار ابن كثير، ط4، 1425هـ/2004م)، ص 282.



وكانوا أولى الناس إستجابة بدعوة النبي ﷺ لأنهم أهل علم يعرفون صفة النبي ﷺ ونعته في كتبهم، وقد بشرهم به أنبيائهم بل وأخذوا عليهم الميثاق ليؤمننَّ به إن أدركوا نعته،، ما يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءُ اتَّيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81].

وأخبر الله في كتابه أن عيسى عليه السلام بشر برسالة النبي محمد ﷺ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6].

### ثانياً: مواقف النبي ﷺ العاطفية وأساليبه في دعوة أهل الكتاب

كان النبي ﷺ يحسن معاملة أهل الكتاب، وكان يحرص على دعوتهم وتأليفهم للإسلام، ولا يفوت فرصة يمكن أن يدعُوهم إلّا وفعل، حتّى إنّه ﷺ لم يبدأ حرباً معهم -بسبب غدرهم وخيانتهم- إلّا ويسبقها دعوتهم وتذكيرهم، دليل ذلك ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر عندما أعطاه النبي ﷺ الراية: «نقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا، فقال النبي ﷺ: على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يحبّ عليهم، فوالله لأن يُهدي بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النّعم»<sup>(1)</sup> وهذا التزام للأمر الربّاني بأن يتعامل معهم بالقسط والبرّ وحسن الخلق وأداء الأمانة، حيث قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

ومن برّه ﷺ معاملته لأهل الكتاب بالتّي هي أحسن تشهدها مواقفه المؤثرة والمشاهد الرائعة التي استخدم فيها أساليب عاطفية لمحاولة استمالة قلوبهم وتأليفها لما جاء به من عند الله تعالى نذكر منها ما يلي:

#### أ- تأمين حماية اليهود وموادعتهم

عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة وجد بها يهوداً توطّئوا ومشركين مستقرّين، فلم يتّجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة أو الخصام، بل قبل عن طيب خاطر وجود اليهودية والوثنية، وعرض

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دُعاء النبي ﷺ النَّاس إلى الإسلام والنُّبوة، رقم الحديث 2942،



على الفريقين أن يعاهدتهم معاهدة الندّ للندّ على أن لهم دينهم وله دينه<sup>(1)</sup>، فأصدر ما يسمّى بوثيقة<sup>(\*)</sup> المدينة، والتي وضعها منذ بزوغ فجر الإسلام بالمدينة المنورة، واستكتبها أصحابه، ثم جعلها الأساس المتفق عليه في ما بين المسلمين وجيرانهم اليهود والوثنيين من سكان المدينة.<sup>(2)</sup> وهذه الوثيقة لها مواد زادت عن 50 مادة عن التنوع الديني في إطار الدولة الجديدة التي أرساها النبي ﷺ عن المساواة بين الفرقاء المتنوعين فذكر العلاقة بين المسلمين واليهود: «ويهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم أنفسهم، وإنّ بطانة يهود... دون الإثم»<sup>(3)</sup>، فأقرّ ﷺ من خلال وثيقته الحرّية الدينيّة وهي في ذلك تؤكد هذا المبدأ القرآني: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6].

فقد ضمن لهم النبي ﷺ حقّ حرّية العبادة والحماية مقابل شروط يلتزمون بها، فأظهر مرونته الكبيرة في التعامل معهم ما داموا ملتزمين بما عاهدوا عليه وما قطعوه على أنفسهم من عهود ومواثيق جاء فيها: «...اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم...»<sup>(4)</sup>.

كما إرتكز على رعايتهم وحمايتهم إذا خضعوا للدولة لهم حقّ النصرة على من رامهم أو اعتدى عليهم بغير حقّ، سواء من المسلمين أو غير المسلمين، وحمايتهم من داخل المدينة أو من خارجها

(1) - محمّد الغزالي، فقه السيرة (دمشق: دار القلم، ط1، 1427هـ)، ص 198.

(\*) - وثيقة المدينة: أطلق عليها الرّواة من المحدثين والمؤرّخين الذين جاءوا بعد ابنِ إسحاق باسم الصّحيفة والكتاب، أمّا الباحثون المعاصرون من المسلمين والمستشرقين أطلقوا عليها في كتاباتهم اسم الوثيقة والدستور، وبعضهم أطلق عليها اسم الوثيقة والصّحيفة والدستور والكتاب، وقد وضعها النبي ﷺ منذ بزوغ فجر الإسلام بالمدينة المنورة، واستكتبها أصحابه، ثم جعلها الأساس المتفق عليه في ما بين المسلمين وجيرانهم اليهود والوثنيين من سكان المدينة. (أحمد قائد الشيعي، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006م، كتاب الأمة، العدد 113، السنة 25، 1426هـ، ص-ص، 38، 40) وهذه الوثيقة ضبطت العلاقة بين أفراد المجتمع المدني جميعهم مؤمنهم ومشرّكهم ويهوديهم (سليمان صالح السليمان، حقوق الإنسان في وثيقة المدينة المنورة دراسة مقارنة بالمواثيق الدّولية (الرياض: دار جامعة نايف للنشر، 1437هـ/2015م)، ص 57.

(2) - أحمد قائد الشيعي، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، المرجع السّابق، ص 45.

(3) - ابنُ كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري (دار إحياء الثّراث العربي، ط1، ج3، 1408هـ/1988م)، ص 275.

(4) - علي عبد الله بن غلبون، بحث أسس العلاقات الدّولية في الإسلام من خلال وثيقة المدينة، مجلّة البحوث الأكاديمية، ص 125.

فيقول ﷺ: «وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم....» (1).

فقد أحسن النبي ﷺ مجاورتهم وإعطائهم الأمان فقال: «ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم» (2) والاستجارة والحوار بمعنى الحماية والأمان، اللذين كانت الغاية منهما هو تهيئة الفرص لتمكينهم من معرفة حقيقة الإسلام ومرونته، متخذاً من ذلك وسيلة قوية لدعوته وبيانها للناس فيقول عنه تعالى فيقول عنه تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6] فحوت وثيقته ﷺ قيماً وأخلاقاً مرنة وسامية كحماية الجار والدفاع عنه، وأن للمؤمن الحق في أن يجير من يراه أهلاً للحوار حتى سُموا النصير جازاً. وعليه تجلّت عظمة النبي ﷺ في سماحته حتى مع أعدائه من اليهود، فهو هنا يبيح للأفراد والجماعات من الدول المخاربة أن تتصل بالمسلمين وتدخل ديارهم وتقيم فيها في حماية قانون يعرف باسم الأمان والإسلام يقرر عظمة المستأمنين (3).

وكانت من دلائل عاطفته المرنة مع اليهود ترسيخه لفكرة التسامح معتبراً أن أساس تعامل الدولة الإسلامية مع المجموعات الدينية هو التسامح وإبقاء أهل الأديان دون إلزامهم باعتراف الإسلام، فتضمنت أحد إتفاقياته حينما عاهد - ﷺ - مع قبيلة التغلب سنة 6 من الهجرة، وكان دينه قوي، خضعت له العرب ولكنه أباح لتغلب أن تبقى في العرب على نصرانيتهم، وعاهد نجران ولم يتركهم أحرار في دينهم ولم يتعرض لهم، وإن تأهب للهجوم المفاجئ عليهم، فتأهب عندما ظهر الفساد من عندهم، ومع بني ضمرة وخزاعة الحماية لأنفسهم وأموالهم ويعطيهم السلام في ديارهم (4). وإتفاقيته ﷺ مع ثقيف فقد حافظ على استقلالهم المحلي والسلام الداخلي بمقتضى الأمر الموجه إلى المسلمين، بأن لا يتغولوا على أراضي ثقيف، وأن لا يعبروا واديهم دون إذنهم، وألاً يتعرّضوا لهم بالذم، ووعدهم النبي ﷺ بالنصر ضد أي معتد أو ظالم، وأعطاهم علاوة على ذلك الحق في أن يمنعوا أي فرد لا يرغبون فيه من الدخول إلى سوقهم (5).

(1) - ابن كثير، السيرة النبوية (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج2، 1395هـ/1976م)، ص 321.

(2) - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة تسعى به أدناهم، رقم الحديث 978 (الرياض: مكتبة الرشد، ط2، ج5، 1423هـ/2003م)، ص 350.

(3) - علي عبد الله بن غلبون، بحث أسس العلاقات الدولية في الإسلام من خلال وثيقة المدينة، المرجع السابق، ص-ص 122، 123.

(4) - يُنظر: عون الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ (بيروت: دار الجيل، الخرطوم: دار المأمون المحدودة، ط3، 1411هـ/1991م)، ص-ص 43، 51.

(5) - جنيد أحمد الهاشمي وآخر، بحث حول معاهدات الرسول ﷺ دراسة الأبعاد الإنسانية، 2013م، ص 382.

وعليه فقد أقرّ النّبي ﷺ على أن يهود بني عوف ويهود بني النّجار ويهود بني ساعده ويهود بني أوس ويهود بني ثعلبة مع المؤمنين أمّة واحدة لليهود دينهم وللمسلمين، وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن الجار كالنفس غير مضارّ ولا إثم<sup>(1)</sup>.

فعدّت أوّل ممارسة سياسية تحسّدت في منهجه العاطفي ﷺ أن صدعَ بها فأخرج مجتمع المدينة من دوامة الصّراع القبلي إلى رحاب الأخوة والمحبة والتّسامح، إذ ركّز على الكثير من المبادئ الإنسانية السّامية كنصرة المظلوم، وحماية الجار، وتحريم الجريمة، والتّعاون على دفع الدّيّات، وإفداء الأسرى وغيرها من المبادئ والقيم الأخرى التي يشعر فيها جميع مساكني المدينة بمختلف أجناسهم وأعرافهم ومعتقداتهم أنّهم أسرة واحدة مكلفة بالدّفاع عن الوطن أمام أيّ اعتداء خارجي<sup>(2)</sup>.

هنا نستحضر طلاوة الإسلام وعاطفة النّبي ﷺ البهجة وروحه العالية القائمة على التسامح في أرقى معانيها، يثبّتها عليه السلام ويرسخها من خلال معاهداته مع مساكني المدينة وحتى مع من ما جاورها من اليهود والمجوس والفرس والرّوم وغيرهم، فكانت طريقته مثلى في بناء العلاقات مع جميع الأطراف بكافة عقائدهم الدّينية القائمة على الشّراكة في الأعباء والتّعاون على البرّ وإقرار روح المساواة بينهم، وإقرار إمكانية النّصح والنّصيحة والبرّ بين البشر رغم اختلاف عقائدهم الدّينية في دائرة الشّأن الإنساني المشترك<sup>(3)</sup>.

## ب - ترغيب اليهود والنّصارى في الإسلام

دعا النّبي ﷺ اليهود للإسلام بعد هجرته إلى المدينة، ولم يتّجه لرسم سياسة لإبعادهم ومصادرتهم، بل رضي بطيب خاطرٍ جوارهم، وسجّل في هذا الشّأن معاهدة النّدّ للنّدّ على أنّ لهم دينهم وله دينه<sup>(4)</sup> فعن أبي هريرة ؓ قال: «بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: إنطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتّى جئنا بيت المدراس فقام النّبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود أسلموا تسلموا»<sup>(5)</sup>.

(1) - علي عبد الله بن غلبون، بحث أسس العلاقات الدّولية في الإسلام من خلال وثيقة المدينة، المرجع السّابق، ص 124.

(2) - أحمد قائد الشّعبى، وثيقة المدينة المضمون والدلالة، المرجع السّابق، ص 21.

(3) - السيّد عمر، وثيقة المدينة الدّستور الإنساني المشترك، المرجع السّابق، ص 34.

(4) - ناصر محمدي محمّد جاد، التّعامل مع غير المسلمين في العهد النّبوي، المرجع السّابق، ص 77.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في الحقّ وغيره، رقم الحديث 6944، ص 1719.

ويقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وجه ذلك أنّه بلغ اليهود ودعاهم إلى الإسلام والإعتصام به)<sup>(1)</sup> حتّى ظهر أثر ذلك في مواقف كثيرة مع أشرف اليهود كان من بينهم :

#### - موقفه مع زيد<sup>(\*)</sup> بن سعة أحد كبار اليهود

زيد بن سعة أحد كبار اليهود، وكان حبراً مثل عبد الله بن سلام، عرّف أوصاف النبي ﷺ فقال: «والله ما من شيء من علامات النبوة إلّا وقد رأيته في محمد ﷺ، إلّا أنّي لم أعرف من العلامات علامتين: الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلّا حلماً»<sup>(2)</sup>. بمعنى حلمه أسبق، ولو جهل عليه إزداد بهذه الجهالة حلماً.

حدث ذلك لما جاء زيد بن سعة إلى النبي ﷺ يطلبه ديناً له، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، فنظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقّي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطْلُ، وشدّد له في القول، فنظر إليه عمر ﷺ وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدوّ الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فو الذي بعثه بالحقّ لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر ﷺ في سكون وثؤدة

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب في بيع المكروه ونحوه في الحق وغيره، رقم الحديث 6944، ج12، المرجع السابق، ص 317.

(\*) - زيد بن سعة: من أجلّ اليهود الذين أسلموا، وأحد أبحار يهود ومن أكثرهم مالاً، فحسن إسلامه، وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة، (أبو عبد الله سيّد بن كسروي بن حسن، هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد، المرجع السابق، حرف الرّأي، ص 111)، و(ناصر محمّدي محمّد جاد، التّعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، المرجع السابق، ص 68) و(الحاكم في المستدرک، بيروت: دار المعرفة، ط، ج3، د، ت)، ص-ص 604، 605.

(2) - أخرجه ابن حبان في سننه، كتاب البرّ والإحسان، ذكر الإستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه في الدّين والدّنيا إذا كان قصده فيه النصيحة دون التعيير، رقم الحديث 288، (السّعودية: بيت الأفكار الدّولية، د، ط، د، ت)، ص 99. وأخرجه علي بن أبي بكر الهيثمي نورالدّين، مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدّين القدسي، كتاب علامات النبوة، باب ما كان عند أهل الكتاب من أمر نبوّته، رقم الحديث 13899 (القاهرة: مكتبة القدسي، د، ط، ج8، 1414هـ/ 1994م)، ص 240. ورواه الحاكم في المستدرک (بيروت: دار المعرفة، ط، ج3، د، ت)، ص-ص 604، 605، وابن ماجه بنحوه، كتاب الصّفات، باب لصاحب الحق سلطان، ج 2، ص 810، وقال الذهبي في التّليخيص: هذا حديث صحيح.

(2) - أخرجه ابن حبان في سننه، كتاب البرّ والإحسان، ذكر الإستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه في الدّين والدّنيا إذا كان قصده فيه النصيحة دون التعيير، رقم الحديث 288، (السّعودية: بيت الأفكار الدّولية، د، ط، د، ت) ص 99.

وَتَبَسُّمٍ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَهُوَ يَا عَمْرُ كُنَّا أَحْجُجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عَمْرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحَسَنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَ بِحَسَنِ التَّقَاضِي، إِذْهَبْ بِهِ يَا عَمْرُ فَأَقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عَشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ»<sup>(1)</sup>.

فكان هذا الموقف سبباً في إسلامه، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فالمكسب الذي رغب يد في الدخول للإسلام هو عفو النبي ﷺ وحلمه مما أذى إلى إسلام اليهودي زيد بن سعدة، ثم ترقّيه في منازل الإيمان مُعلنًا تصدّقه بشرط ماله على المسلمين، وكان أكثر اليهود مالاً، ولم يكتف ببذل المال بل حرص على طلب الشهادة في سبيل الله»<sup>(2)</sup>.

فأية أخلاق هذه وأية مشاعر تُحمل في ذات النبي ﷺ تَهْتَرُ لها القلوب وتجيّش لها العواطف حين نسمع أو نقرأ مثل هذه المواقف التي واجهها النبي ﷺ بصبرٍ وحلمٍ، فنجدته يردُّ عليهم برحابة صدر وصفح لا مثيل له، لتأتي ثمرة تعامله سبباً في إسلام زيد، وأية عواطف هذه كالتّي تعامل بها النبي ﷺ مع ألدّ أعدائه وخصومه بشكلٍ لا نظير له، يعفو عند المقدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وهي من أسباب اجتماع القلوب عليه والتّصديق برسالته، فشملت أكابر اليهود والنّصارى، وكان زيد قبل هذه القصّة كان يقول: «لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد إلا اثنين لم أخبرهما منه، يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا...»<sup>(3)</sup> فاختره بهذه الحادثة فوجده كما وصف فأسلم وآمن وصدّق به وبايعه، وشهد مع النبي ﷺ غزوة تبوك مقبلاً غير مدبراً، وشهد عليه النبي الكريم ﷺ على أخلاقه وصدقه<sup>(4)</sup>.

لقد بيّن هذا الموقف ضابط الغضب من خلال السُّلوك السَّامِي للنبي ﷺ والذي لا يفهمه الملوك ولا الأمراء ولا القادة ولا عموم النّاس بتواضعه ورباطة جأشه ممّا جعله يقول لعمر رضي الله عنه: «إنّه

(1) - ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصّة وعزاها إلى الطّبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ وابن سعد، وغيرهم، ثمّ قال ابن حجر رحمه الله: (ورجال إسناده موثّقون... ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث 566/1. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 240/8: (رواه الطبراني، ورجاله ثقا).

(2) - سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، أسلوب التّزغيب في دعوة النبي ﷺ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلفة الدعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب، 1416هـ، ص 296.

(3) - علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدّين، مجمع الزّوائد ومنيع الفوائد، المرجع السّابق، ص 240.

(4) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، رحمة للعالمين محمد ﷺ (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، 1427هـ/2006م)، ص 325. وهناء محمد عباس، أسلوب الحكمة وأثرها في الدّعوة إلى الله، بحث تكميلي لنيل ماجستير في الدّراسات الإسلامية، كلفة الدّراسات العليا والبحث العلمي، 2016م، ص 52.

أحوج إلى نصيحة بحسن الأداء»<sup>(1)</sup> مع أنَّ هذا اليهودي لا يحتاج إلى نصيحة، فالتَّبيُّ كان يحاول تسكين فؤاد اليهودي والتبس معه فأشار إلى منهج عاطفي رائع يرسم للدَّاعية أن يكون منضبطاً بالأخلاق العالية والمبادئ الرَّاقية والاحتجاج على من آذاه، بأن يكون احتجاجاً سلمياً وإنكاراً سليماً دون اللُّجوء إلى الغلظة أو التَّشريع في الردِّ.

وهذا أثر من حينه فدخل اليهودي الإسلام في الوقت الذي كان محاداً لله ولرسوله بسبب حلم النَّبي ﷺ، وكان قد أساء إليه وجهاً لوجه بل تجاوز حتى سبَّ بني عبد المطلب جميعاً، ولكنَّ رحمته ورافته جعلته يتغاضى عن هذا اليهودي المتطرف، فحصل على مرآة ﷺ أن أسلم اليهودي.

يتَّضح عبر هذا الموقف التماس منهج النَّبي ﷺ العاطفي في دعوته لأهل الكتاب، أن عفا عنهم وعاملهم بلين دون كرهٍ أو حقدٍ أو مقابلة النَّدِّ بالنَّدِّ جرأً صنيعهم معه، فكان هذا المنهج قد أثمر ثماراً ملموسة<sup>(2)</sup>، لأنَّ ما فعله النَّبي ﷺ باليهود من أقوى مظاهر هذا المنهج، والذي تجلَّت فيه بوضوح عاطفة النَّبي ﷺ الحيَّاشة، وما تميَّز به من سعة صدرٍ وبشاشة وجهٍ قذفت في قلب اليهودي الإيمان والتَّصديق بنبوته.

فالدعوة إلى الله أحوجُّ إلى من يمثل لهذه الأخلاق العالية ويطبِّقها في الواقع، فينبغي على الدَّاعية أن يتحلَّى بالحلم واللين وضبط النَّفس عند الغضب حتى يكون مثمراً ومثيراً ومؤثراً، في معالجة مثل هذه المواقف.

#### - إسلام اليهودي ابنُ سلام<sup>(\*)</sup>

ما جاء في قصَّة اليهودي عبد الله بنُ سلام يحكي عن نفسه لَمَّا قدِم النَّبي ﷺ المدينةِ الجُفَل<sup>(\*)</sup> النَّاسُ فكنَّت فيمن أجفل فلَمَّا تبَيَّنَت وجهه عرفت له ليس بوجه كذاب، فكان أوَّل شيءٍ سمعته

(1) - أخرجه ابنُ حَبَّان في صحيحه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب البرِّ والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يأمر بالمعروف من هو فوقه ومثله ودونه في الدِّين والدنيا إلَّا كان قصده فيه التَّصحيح دون التَّغيير، رقم الحديث 288 (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، ج1، 1408هـ/1988م)، ص 521.

(2) - بتصرف: محمَّد بنُ سيدي بنُ الحبيب الشَّنقيطي، منهج الرِّسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، المرجع السَّابق، ص 64.

(\*) - اليهودي ابنُ سلام: ابن الحارث .جل من بني إسرائيل،..من اليهود..عالم من علماء اليهود، الإمام الخبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النَّبي ﷺ (يُنظر: محمَّد الصوياني، السَّيرة النَّبوية كما جاءت في الأحاديث الصَّحيحة، مكتبة العبيكان، ج1، د، طد، ت)، ص 298.

(\*) - إنجفل: انقلبوا كلُّهم ومضوا (وقيل: قد قدم ... إلخ) أي: اشتهر بين النَّاس هذا الخبر (سنن ابنُ ماجه، كتاب الأُطعمة، باب إطعام الطَّعام، رقم الحديث 3251، المصدر السَّابق، ص 300).



يقول: «يا أيها الناس، أفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والنَّاس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(1)</sup>.

لقد كانت هذه الكلمات تذوب فيها كلَّ نظريات العدل والمساواة والإصلاح التي ينادي بها البشر، فأَيُّ مجتمع سيولد في المدينة... مجتمع تفشو بين أهله التَّحايا والهدايا والسَّلام.. مجتمع يمدَّ يديه للمحتاج.. ويشقُّ الطُّرقات بين الأقارب والأرحام.. وعندما يهدأ النَّهار ويدلف إلى خبائه.. وتسكن الطُّيور في الأوكار.. تحلِّق أرواح مؤمنة إلى ربِّها تناجي وتخاف وترجو بدموعها رحمة الرَّحيم... فأيقن عبد الله بنُ سلام أنَّ هذا الرَّجل ليس بكذاب.. ولا يأتي كذاب بمثل هذا الحبِّ والسَّلام.<sup>(2)</sup> فأمن به عندما سمع منه<sup>(3)</sup>.

وكان الحوار<sup>(4)</sup> المشهود بين عبد الله بنُ سلام والنَّبي ﷺ نقطة تحوُّل حياة ابنُ سلام، الذي رغبه في الإسلام وصحبة خير الأنام.

وبعد أن شرح صدره للإسلام قال يا رسول الله: «إن اليهود قوم بُهت، ومن بهتاهم: أتهم كذبوا على الله فوصفوه بما لا يليق»<sup>(5)</sup>، وإتهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسلمهم عني بهتوني، فجاءت اليهود إليه. قال ﷺ: أيُّ رجل عبد الله بنُ سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابنُ خيرنا.. وسيِّدنا وابنُ سيِّدنا.. قال ﷺ: أرايتم إن أسلم عبد الله بنُ سلام؟ قالوا: أعادهُ الله من ذلك.. فخرج عبد الله وقال: أشهد أنَّ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، قالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا.. وتنقصوه، قال ابنُ سلام: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»<sup>(6)</sup> يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُودُفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: 181] وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ إِنَّ اللَّهَ مَغْلُولٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

(1) - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، رقم الحديث 3251 (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ج1، د، ت)، ص 1083.

(2) - محمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، المرجع السابق، ص 299.

(3) - المرجع نفسه، ص 299.

(4) - المرجع نفسه، ص 299.

(5) - ابن كثير، البداية والنهاية ج3، المرجع السابق ص 212.

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، رقم الحديث 3938، ص 968.



[المائدة: 64] وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30].

وقد أثنى الله تعالى ونبيه ﷺ على بن سلام، فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على الأرضِ إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام»<sup>(1)</sup> قال: وفيه نزلت الآية وشهد شاهد من بني مثله.

### - ترغيبه لملوك النصارى للإسلام باللين

لقد كان من هديه ﷺ ترغيب ملوك النصارى من خلال مكاتباته لهم يدعوهم فيها للإسلام<sup>(2)</sup> فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل ملك الروم وقيصر وكسرى ملك فارس والتجاشي ملك الحبشة الذي صلى عليه النبي ﷺ والمقوقس ملك مصر وعظيم القبط<sup>(3)</sup> ونصارى العرب كالتنصراني هوزة بن علي، ويحنة بن روبة، وجبله بن الأيهم وغيرهم<sup>(4)</sup>، فكان عليه الصلاة والسلام يتلطف بهم ويراعي مكانتهم وملكتهم وعوائدهم، وكان من منهجه أنه إذا أراد أن يكتب إلى عظيم من عظمائهم تلطف بهم ويدعوهم بحكمة، فقد حاول ﷺ في رسائله لهم على نمطٍ يعهدونه في كتاباتهم التي ترد عليهم والتي يوردونها على غيرهم رغبة منهم في استجابتهم للدعوة على الإسلام، فكانت على نمطٍ واحد قائلاً مثلاً للمقوقس: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد، فإني أدعوك بدعاية

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام ﷺ، رقم الحديث 3812، ص 933.

(2) - يُنظر: محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، المرجع السابق، ص-ص 196، 235.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله تعالى، رقم الحديث 1774، ج2، ص752.

(4) - يُنظر: محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، المرجع السابق، ص-ص 236،

الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين<sup>(\*)</sup> يقول تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَل الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]<sup>(1)</sup>، ومللك الروم قوله ﷺ: «من محمد بن عبد الله إلى عظيم الروم...»<sup>(2)</sup>.

وكان عليه الصلاة والسلام يولي عناية فائقة بذوي المكانة والرياسة وتقديمهم في الدعوة ترغيباً لهم في الإسلام، لما لهم من مكانة وسيادة تجعل أقوامهم تبعاً لهم، فاعتمد على لغة المجاملة في مخاطبتهم، فلم تحمل رسائله تهديداً أو حرباً أو غضباً، بل تضمنت طمأننتهم على مملكتهم إن أسلموا أو تهادنوا، فأمن بعضهم ودخل في الإسلام، يشير العلامة الإمام ابن تيمية رحمه الله في نكتة إلى هذا الشأن فيقول: (وطالب الرياسة - ولو بالباطل - ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقاً)<sup>(3)</sup>.

فأظهر النبي ﷺ الدراية والحكمة في سياسته الخارجية، فكان مثلاً لمن بعده من الأمراء والخلفاء والحكام المسلمين والدعاة المخلصين الذين تحتاج منهم الدعوة أن يكونوا على دراية تامة بعقيدة اليهود وشرائعهم، وأن تكون لهم القدرة على التأثير فيهم وإقناعهم بحكمة وعاطفة متأسين برسول الله ﷺ حتى يستطيعوا مواجهتهم بالحجة والعاطفة.

<sup>(\*)</sup> - الأريسيين: هو جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، وقد تقلب همزته يا، كما جاءت به رواية أبي ذر والأصلي وغيرهما هنا، قال ابن سيده: الأريس الأكار، أي الفلاح عند ثعلب، وعند كراع: الأريس هو الأمير، وقال الجوهري: هي لغة شامية، وأنكر ابن فارس أن تكون عربية، وزاد البرقاني في روايته: الحراثين، وفي رواية المدائني (فإن عليك إثم الفلاحين) وعند أبي عبيد في كتاب الأموال المراد بالفلاحين أهل مملكته، لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح، سواء كان يلي ذلك بنفسه أو غيره، وقال الخطابي: أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له لأن الأصاغر أتباع الأكابر، وورد تفسير الأريسيين بمعنى آخر فقال الليث بن سعد عن يونس فيما رواه الطبراني في الكبير من طريقه: الأريسيون العشارون يعني أهل المكس... (ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب 75، المرجع السابق، ص 39).

<sup>(1)</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم الحديث 1774، ج2، ص 749.

<sup>(2)</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ يَتَاهَل الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: 64] رقم الحديث 4553، ص 564.

<sup>(3)</sup> - أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى، ج10، المرجع السابق، ص 599.

### ج- حلمه وصفحه ولين الجانب باليهود

إنَّ الحلم عن أهل الكتاب والصَّفح عن زلَّاتهم منهج عاطفي حكيم من مناهج دعوة النبي ﷺ لهم وسبب في دخولهم الإسلام حيث أمره الله تعالى بذلك: ﴿أَدْفَعْ بِالنَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١٦) [المؤمنون: 96] وقد إمتثل النبي ﷺ لأمر الله تعالى سواء مع المشرك أو المنافق أو الكتابي، وقد ظهر أثر ذلك في دخولهم للإسلام، وذلك ما رواه الإمام الزَّهري رحمه الله في قصَّة اليهودي الذي أساء الأدب مع النبي ﷺ فصصح عنه ولم يأخذ بزَلَّته فكان سببًا في إسلامه فأسلم وحسُنَ إسلامه، ومات في زمنه ﷺ (١).

وتكرَّر درجة حلمه ﷺ أنَّه لم يعنّف مع اليهود الذين تواطؤوا في إساءته ما جاء في حديث السيِّدة عائشة أم المؤمنين عن الثَّلاثة اليهود الذين دخلوا إلى النَّبيِّ ﷺ في بيته في آن واحد متتابعين يُحيُّونه بتحِيَّةٍ واحدة بقولهم: السَّام (\*) عليكم، فردَّ عليهم النَّبيُّ ﷺ وعليك، فأظهرت عائشة رضي الله عنها غضبها بما تكلمت به، فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ الله لا يحبُّ الفحش ولا التفحُّش، قالوا: قولاً فرددنا عليهم وإنَّ اليهود قوم حسد، وأنَّهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على السَّلام وعلى آمين» (٢).

فالمودَّة والرَّحمة والتَّسامح أساس العلاقات الإنسانية والمسلمون آنذاك لا يجدون ضيراً ولا حرجاً في أن يصاحبهم ويسكنهم من لا يثق معهم في الدِّين، يقول الشَّيخ الغزالي رحمه الله: (إنَّ الإسلام لا يكفُّ لحظة واحدة عن مدِّ يده لمصافحة أتباع كلِّ ملَّة وكلِّ نحلة في سبيل التَّعاون على إقامة العدل ونشر الأمن وصيانة الدِّماء أن تسفك وحماية الحرمات أن تنتهك) (٣).

وأتَّضحت سماحته وحلمه ما كان من اليهود حيث كانوا يتعاطسون عند النَّبيِّ ﷺ رجاء أن يقول لهم يرحمكم الله، فلم يحرمهم من الدَّعوة بالهداية والصَّلاح فكان يقول: «يهديكُم الله ويصلح بالكم» (٤).

(١) - محمد بن سيدي بُن الحبيب الشَّنقيطي، منهج الرُّسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، المرجع السَّابق، ص 64.

(\*) - السَّام: بمعنى الموت (صحيح البخاري، كتاب الطَّب، باب الحَبَّة السوداء، رقم الحديث 5687، ص 1443).

(٢) - أخرجه ابنُ خزيمة في صحيحه، تحقيق: محمَّد مصطفى الأعظمي، باب ذكر حسد اليهود المؤمنين على تأمينهم، رقم الحديث 1585 (المكتب الإسلامي، د، ط، ج 3، 1400هـ/1980م)، ص 38. وأخرجه ابنُ ماجه في سننه (856). وقال: إسناده حسن، والألباني في السَّلسلة الأحاديث الصَّحيحة، رقم الحديث 306 (الرِّياض: مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، ط 1، ج 2، د، ت)، ص 306.

(٣) - محمَّد الغزالي، التعصُّب والتَّسامح بين المسيحية والإسلام (الجيزة: نهضة مصر للطباعة والنَّشر، ط 6، 2005م)، ص 78.

(٤) - محمَّد بنُ إسماعيل بنُ إبراهيم بنُ المغيرة البخاري، صحيح البخاري في الأدب المفرد، تحقيق: الألباني، باب إذا عطس يهودي، رقم الحديث 723/940 (دار الصَّدِّيق للنَّشر والتَّوزيع، ط 4، 1418هـ/1997م)، ص 348.

فالدُّعاء لدى الدُّعاة لغير المسلمين من أعظم صور التَّسامح والرَّحمة في الإسلام من محاسنة الكبرى التي تنظر للإنسان نظرة تكريم وعناية، وهو ظاهرة استمالة لقلب المدعو فكلُّ أحدٍ يتمنَّى من النَّاس أن يدعوا له بالخير، هنا قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: «لو قال لي فرعون: بارك الله فيك قلت: وفيك، وفرعون قد مات»<sup>(1)</sup>.

فأَيَّة أخلاق عالية، وأَيُّ قَمَّة سامقة أن الله يكره الفحش والتفحُّش موقف تدافع فيه عن رسول الله ﷺ والله تعالى يقول: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: 148).

واستمرَّ هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر التَّاريخ الإسلامي وفي الوقت الذي تعيش في البلاد الإسلامية طوائف متعدِّدة من اليهود والنَّصارى في مصر والشَّام وبلاد المغرب العربي لشاهد على سماحة الإسلام وأهله، جعلت المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد يقول: (إنَّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التَّسامح)<sup>(2)</sup> مضيقاً قائلاً أيضاً: (لَمَّا كان المسيحيون يعيشون في مجتمعاتهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التَّسامح الذي منحهم حرِّية التَّفكير الدِّيني تمتَّعوا وخاصة في المدن بحالة من الرِّفاهية والرَّخاء في الأيام الأولى من الخلافة)<sup>(3)</sup>.

فهذا ما نشأت عليه الدُّعوة الإسلامية، خاضت غمار التَّحديات بهذا المنهج السِّلبي والعاطفي والذي أجمعت جميع الآثار لنجاحها واستمراريتها، ممَّا سمحت للدَّاعية إظهار صور التَّسامح والأخذ بالعزائم، يترَفَّق بالمدعوين ولو رموه بالحجر أو بالتهكم أو بالسُّخرية، حيث يقوم الأستاذ حسن البنا رحمه الله: (كونوا كالشَّجر يرمى بالحجر فيلقى بالثَّمَر)<sup>(4)</sup>.

فاللين والرَّفق هو القنطرة بين الدَّاعية والمدعو، فإن أُحكمت وضعها وصل للمدعو ما يريده الدَّاعية، ويرغب فلا يتعجَّل الدَّاعية عرض دعوته على النَّاس قبل أن يضع قنطرتة ويثبتها باللين ويزينها بالرَّفق حتَّى مع أعداء الدعوة.

(1) - مُحَمَّد بنُ إسماعيل بنُ إبراهيم بنُ المغيرة البخاري، صحيح البخاري في الأدب المفرد، باب كيف يدعوا للذمي ؟ رقم الحديث، 852، المرجع السَّابق، ص 430.

(2) - سمير توماس وأرنولد، الدُّعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د، ط، 1971م)، ص 70.

(3) - المرجع نفسه، ص 70.

(4) - مُحَمَّد أحمد الرَّاشد، الرَّقائق (مؤسَّسة الرِّسالة، ط 4، 1410هـ/1981م)، ص 38.

#### د- الرحمة والبر باليهود والنصارى

أسس القرآن الكريم مبدأ من مبادئ التعامل مع غير المسلمين متمثل في أسلوب الرحمة والبر فنص على السماح للمسلمين بأن يتقدموا إلى غير أتباع دينهم بالود والبر والمعاملة بالحسنى إذا لم يشكّل وجودهم ضرراً بهم يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ [المتحنة: 8-9].

وقد شهد على النبي ﷺ من خلال سيرته العطرة أنّه أحسن معاملة من ساكنة في المدينة من غير المسلمين، فعندما أتى إلى اليهود يدعوهم إلى الإسلام نادى: «يا معشر اليهود أسلموا تسلموا، فقالوا: بلغت يا أبا القاسم، فقال النبي ﷺ: إعلموا أنّ الأرض لله ورسوله، وأني أريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أنّما الأرض لله ولرسوله»<sup>(١)</sup> فهنا تصريح النبي ﷺ بدعوته لليهود وإخبارهم بأنّ سلامتهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة في إسلامهم، مؤكّداً لهم بأنّه فعل ما بوسعه بما أمره الله تعالى به لكنّهم ضلُّوا ضلالاً بعيداً، وهذا دلالة حرصه ﷺ ورحمته بهم، برغم خروجهم عن ملّة الإسلام، يقول العلامة الكرمانى رحمه الله: (تسلموا في الدنيا من القتل والجزية، وفي الآخرة من العذاب)<sup>(٢)</sup>.

وعندما جاء رسلُ نصارى نجران إلى المدينة ليفاوضوا النبي ﷺ منحهم جزءاً من المسجد ليؤدُّوا صلاتهم فيه أثناء إقامتهم بالمدينة، إذ لَمَّا قدم هذا الوفد على رسول الله ﷺ دخلوا عليه المسجد بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلُّون فأراد النَّاسُ منهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم»<sup>(٣)</sup>، وعندما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ ضرب عليهم القبة في المسجد فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله إنهم لا يصلون فقال النبي ﷺ: دعهم يا عمر فإنهم سيستحيون ألاَّ يصلُّوا...»<sup>(٤)</sup>.

(١) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره، رقم الحديث 6944، ج 12، المرجع السابق، ص 317.

(٢) - محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، المرجع السابق، ص 70.

(٣) - البيهقي، دلائل النبوة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 5، 1408هـ/1988م)، ص 382.

(٤) - عمر بن شبة بن عبيدة بن رية النميري البصري، تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، باب الوفود (جدة، د، ط، ج 2، 1399هـ)، ص 500.

ومن صور البر عند أول قدومه ﷺ المدينة كان يحب موافقة اليهود في أعمالهم وعاداتهم ليتألف قلوبهم على الإسلام، ولكنه لما رأى عنادهم وجحودهم و مكابرتهم أمر بمخالفتهم، ونهى عن التشبه بهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ فَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ(\*) أَشْعَارَهُمْ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ(\*) رُءُوسَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، بِشَيْءٍ فَسَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ»<sup>(1)</sup>.

ولم يكن ﷺ يترفع عن محاورتهم، بل كان يتواضع لهم، ويجب على أسئلتهم وإن كان مرادهم منها العنت والمجادلة بالباطل، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ(\*) وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ(\*) إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالُوا مَا رَابِكُمْ(\*) إِلَيْهِ؟ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُّوهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]»<sup>(2)</sup>.

قبوله لهدايا اليهود فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم، ... سأله النبي ﷺ عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك، قال: أو قال: علي، قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ<sup>(3)</sup>.

(\*) - يَسْدِلُونَ: قال أهل اللغة : يقال سدل يسدل، وقال القاضي: سدل الشعر إرساله، وقال : المراد به هنا، عند العلماء، إرساله على الجبين واتخاذة كالفصّة، يقال: سدل شعره وثوبه إذا أرسله ولم يضم جوانبه. (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه، رقم الحديث 2336، ص 1817).

(\*) - يَفْرُقُونَ: الفرق هو فرق الشعر بعضه عن بعضه، قال العلماء : والفرق سَنَة، لأنّه الذي رجع إليه النبي ﷺ (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه، رقم الحديث 2336، ص 1817).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه، رقم الحديث 2336، ص 1817.

(\*) - في حَرْث: هو موضع الزرع (المصدر نفسه، ص 1817).

(\*) - عَسِيب: هو جريدة النخل (المصدر نفسه، ص 1817).

(\*) - مَا رَابِكُمْ\* إِلَيْهِ: هكذا في جميع النسخ، أي: ما دعا إلى سؤاله، ما شككتم فيه حتّى إحتجتم إلى سؤاله، أو ما دعاكم إلى سؤال تخشون سوء عقابه (المصدر نفسه، ص 1817).

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ، رقم الحديث 2794، ص 2152. وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما يعنيه، 7297، ص-ص 1801، 1802.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث 2617، ص 635.



وهذا بيان للدّعاة قبول هديّة الكفار بجميع أصنافهم حتّى من أهل الحرب، يقول العلامة ابنُ قدامة رحمه الله في المغني: (يجوز قبول هديّة الكفّار من أهل الحرب، لأنّ النّبي ﷺ قبل هديّة المقوقس صاحب مصر)<sup>(1)</sup>.

وكان يُحسِنُ جوارهم، فهذا عبد الله بنُ عمر رضي الله عنهما، كان له جار يهوديّ، وكان إذا ذبح الشّاة قال : إحملوا منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورثني»<sup>(2)</sup>.

وكان يعود مريضهم، عن أنس بن مالك ﷺ قال: «أنّ غلاماً من اليهود كان يخدم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فمرض، فأتاه النّبيّ ﷺ يَعودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: أَسْلِمَ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ : أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النّبيّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(3)</sup>.

فقد حرص النّبي ﷺ على برّ اليهود والإحسان إليهم، كما حرص على إسداء النّصح لهم بما فيه خيرهم، ما داموا لم يعتدوا على المسلمين ولم يظاهروا على عداوتهم، ولم يقفوا في سبيل الدعوة أو يعطلوا سيرها<sup>(4)</sup>.

ولدرجة سماحة النّبي ﷺ وبرّه باليهود لم يرضى لهم أن ينتهكوا حرّات المسلمين ويتمادوا في حقدهم بمحاولات التّصدّي والكيد لهذه الدعوة، فكان من جملة هذه المحاولات :

- لَمَّا عَظُمَ أَذَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَبَدَأَ يَخُوضُ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَيَشْتَبُّ بِنِسَائِهِمْ فِي شَعْرِهِ، وَارْتَحَلَ إِلَى مَكَّةَ يَحْرُضُ زُعَمَاءَ قُرَيْشٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ بِقَتْلِهِ وَالْقِصَّةَ طَوِيلَةً.<sup>(5)</sup>
- وَلَمَّا تَكَرَّرَتْ مُحَاوَلَاتُ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَسَوْا إِلَى قُرَيْشٍ يَحْضُونَهُمْ عَلَى غَزْوِ الْمَدِينَةِ، وَيَدْلُونَهُمْ عَلَى الْعَوْرَةِ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِجْلَائِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ<sup>(6)</sup> وَأَمَّا يَهُودُ بَنِي

(1) - أبو محمّد عبد الله بنُ محمّد بنُ قدامة المغني، تحقيق: عبد الله بنُ عبد المحسن التركي وآخر، كتاب الجهاد، فصل قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث 1686 (الرياض: دار عالم الكتب، ط1، 1406هـ/1986م)، ص 200.

(2) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ج 3، المصدر السّابق، ص 241.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبيّ فمات هل يُصلّى عليه، رقم الحديث 1356، ص 327.

(4) - ناصر محمدي محمّد جاد، التّعامل مع غير المسلمين في العهد النّبوي، المرجع السّابق، ص 176.

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف، رقم الحديث 1801، ص 1424.

(6) - يُنظر: ابنُ هشام الحميري، السّيرة النّبوية، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد (د، ط، ج3، 1383هـ/1963م)، ص 682.



قريظة فقد قتل النبي ﷺ مقاتلتهم لما غدروا به يوم الأحزاب، وتحالفوا مع قريش والعرب ضد المسلمين، وخانوا العهد معهم، وكان ذلك في العام الهجري الخامس<sup>(1)</sup>.

وقد ورد في أن النبي ﷺ كان يعفو عن كل من أظهر الوفاء بالعهد من اليهود، ولا يعاقب إلا من شارك في الغدر أو أقرّ ورضي، فعاش النبي ﷺ في كنف اليهود بعهد مع المسلمين فكان في غاية البرّ والرحمة إلا أنهم نقضوا العهد وخانوا رسول الله ﷺ، وكان يقربهم ويخصّهم بأشياء دون غيرهم من ملل الكفر تألفاً لهم واستمالة لهم بُغية إسلامهم، فكان هذا المنهج سبباً في قبولهم للإسلام، لأنهم رأوا ﷺ يذنبهم ويقربهم ويخصّهم بأشياء دون سائر الكفار، فكانوا إذا رأوا الموافقة بين شريعته وشرائع الأنبياء قبله صدّقوه فيما أخبر به<sup>(2)</sup>.

كل هذا لرحمته ﷺ بأمتة حتى باليهود الذين هم أشد الناس تنكياً وعداوة له وللمسلمين، فكان في قمة من الرأفة والرحمة والعفو الذي أظهره منهجه العاطفي والذي أثبت دوره الكبير في استعطاف العديد من اليهود ودخولهم في الإسلام.

وعليه يتعيّن على الدّاعية الاستفادة من دعوة النبي ﷺ لليهود وتأليفهم كالآتي :

- بعد هذه الأسطر المستفيضة من منهج النبي ﷺ العاطفي في دعوة اليهود، يستوجب على الدّاعية الحذر من دسائس اليهود وكيدهم الخفي تجاه الدّعوة الإسلامية ورجالاتها، فإنهم قد ألفوا الكيد والوقية بالمسلمين، وليس من طبيعتهم أن يعيشوا في أجواء نظيفة تلك التي وقرها لهم النبي ﷺ ليعيشوا بأمان بعيدين عن الفتن والمتاعب، فلو أدّوا حقوق الجوار، واحترموا العهود والمواثيق لعاشوا آمنين مطمئنين يقول تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۚ﴾ [الأنفال: 30] ورغم ما بذلوه من كيدٍ لمحاربة دعوة النبي ﷺ والسّعي في خدمة أهوائهم ومصالحهم، باءت كلّها بالفشل أمام إرادة الله تعالى التي اقتضت أن يحفظ هذه الدّعوة فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝﴾ [الصف: 8].

- إنطلاقاً ممّا ذكر سابقاً تبين أنّ عاطفة النبي ﷺ لليهود في قمة المشاعر الإنسانية وألّينها، وقد تركت الآثار إسلام طائفة منهم وتأثّرهم بأخلاقه ﷺ وأسلوبه المرن، بينما طائفة أخرى أظهرت حقدّها وغيضها حسداً وكرها للفترة التي نشأوا عليها.

(1) - يُنظر: ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، المرجع السابق، ص 706.

(2) - يُنظر: محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، المرجع السابق، ص-ص 70، 72.

- إنَّ الدعاة قد يقعون في شرك الأعداء أو الحلفاء بسبب النوايا الطيبة، وهذا لا يعفيهم من المسؤولية، فسريّة التخطيط وسرعة البداهة والتعامل في المقابل ببلاهة ظاهرية بجهل مخططات العدو عناصر أساسية في إتقاء شرهم، فالواجب من الدّاعية أن يكون يقظاً وفطناً، يحسن التصرف معهم في جميع الحالات الصّعبة وغير الصّعبة<sup>(1)</sup>، لأنّ الركون والإطمئنان لليهود ليس من السّياسة ولا من الدّين في شيء، فميزتهم أنّهم لا عهد لهم ولا ميثاق<sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَا عَهْدُوا عَهْدًا بَيْنَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100].

- بعض الدّعاة اختصّوا لأنفسهم منهجاً خاصاً للدّعوة إلى الله يختلف عن منهج النبي ﷺ وكيف استطاع إجتياح قلوب اليهود والنصارى وأهل الكفر برغم عنادهم ومكرهم، في الوقت الذي نجدهم انشغلت دعواتهم بأمور جانبية بعضهم إصلاح الحكم والسّياسة وآخرين يهتمون بجانب التّعبد وممارسة الأوراد على نهج المتصوّفة ما يهّمهم استقطاب النّاس معهم دون النّظر إلى عقائدهم، وبعضهم يريدون قيام دولة إسلامية على أرضه بينما نجده لم يحمها في نفسه، فعلى كلّ داعية أو كلّ دعوة حملت لواء الإسلام أن تصحّح مفاهيمها بمراجعة الكتاب وسنة النبي المصطفى ﷺ لمعرفة نهجه الصّحيح في الدعوة إلى الله في زمن اختلط الحابل بالنّابل اختلطت العقائد والمذاهب والطرق.

### المطلب الثالث: منهج النبي ﷺ العاطفي في دعوة المنافقين

#### أولاً: التعريف بالمنافقين

##### - لغة

- يعرفه العلامة ابن فارس بالقول: (التّفاق إسم مأخوذ من مادة (ن ف ق) التي تدلّ على الخروج، فالنّفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، والتّفق المسلك النّافذ الذي يمكن الخروج منه<sup>(3)</sup>، لذلك وصفهم القرآن الكريم بالخارجين عن الشّرع يقول عنهم تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67].

(1) - منير محمّد الغضبان، المنهج الحركي للسّيرة النّبوية، المرجع السّابق، ص 212.

(2) - محمّد سعيد رمضان البوطي، فقه السّيرة، المرجع السّابق، ص 232.

(3) - ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مادة نفق، ج 5، المصدر السّابق، ص-ص 454، 455.

## - اصطلاحاً

• النفاق هو إظهار الإنسان غير ما يضر، والمنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر، يقول تعالى في شأنه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8] وسئل حذيفة بن اليمان عن النفاق فقال: (الذي يصف الإسلام ولا يعمل به)<sup>(1)</sup>.

- وأما المنافق هو الشخص الذي يظهر خلاف ما يبطنه ويخفيه وقد قسمهم إلى قسمين:

✓ **نفاق في العقيدة:** وهو أن يخفي التكذيب بأصول الدين، وهذا النفاق كفر يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145].

✓ **نفاق في غير العقيدة:** وهو إذا كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه وإنما هو شيء من المعصية<sup>(2)</sup> يقول ابن جريح عن المنافق: (يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه)<sup>(3)</sup>.

- والمنافقون جماعة من عرب المدينة وما حولها أظهروا الإسلام وأضمروا الكفر خوفاً على حياتهم<sup>(4)</sup>، فقال عنهم تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَدُّهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة 101] فهم يدخلون في صفوف المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الأعداء، وقد حدث هذا مراراً مع النبي ﷺ، وهذا النوع من الضرر يكون أشد على النبي ﷺ من خصومه أعداء دعوته.

وهم أغلظ الكفار كفراً وأشدُّهم على المسلمين خطراً، وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والفسوق والعصيان<sup>(5)</sup>، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَٰطِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ [البقرة: 14] يذكر الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني خطورتهم فقال: (هم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس وخداعهم لهم

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ط2، ج8، 1373هـ/1954م)، ص 122.

(2) - محمد أمين حسن محمد بني عامر، أساليب الدعوة والإرشاد، المرجع السابق، ص 338.

(3) - ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، المصدر السابق، ص 399.

(4) - ناصر محمدي محمد جاد، التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، المرجع السابق، ص 275.

(5) - عبد الرزاق عبد المحسن البدر، الجامع للبحوث والرسائل، المرجع السابق، ص 486.

حيث يدخلون ظاهرًا بين المؤمنين، ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم<sup>(1)</sup> لذلك جعل الله عقوبتهم أشد العقوبات، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْدِلَهُمْ تَصِيرًا﴾ [النساء: 145] وقال تعالى يصفهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142-143].

وعليه يمكن القول بأن الكفر هو ضد الإيمان، قد يكون ظاهري أو قلبي، فكما أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح، فكذلك الكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

### ثانيًا: دلالة كفر المنافقين

استنادًا إلى الآية الكريمة والتي تبين ماهية كفر المنافقين والحذر منهم يقول تعالى عنهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 89] أي: إنكم تؤذون هداية هؤلاء المنافقين، وهم يؤذون أن تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين في الكفر معهم، وإذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم، ولا تعتبروهم منكم، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين في سبيل الإسلام، وبذلك تنزل منهم صفة النفاق، فإن أعرضوا عن ذلك وانضموا إلى أعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء<sup>(2)</sup>.

### ثالثًا: مظاهر الكفر لدى المنافقين<sup>(3)</sup>

ذكرت سابقًا ماهية المنافقين بأنهم من أهل الكفر في الإسلام، وقد دعا القرآن الكريم إلى أخذ الحيطة والحذر منهم ومن مخططاتهم، وكفرهم هذا يتمثل في عدة أشكال<sup>(4)</sup> نذكرها كالاتي:

- **كفر الشك:** وهو تردّد المنافقين في إتباع الحق أو التردّد في كونه حقًا، وكفر الإعراض: وهو إعراض المنافقين عمّا جاء به رسول الله ﷺ فلا يصدّقونه ولا يكذبونه ولكنّ المنافق يعرض عنه يقول تعالى:

(1) - محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، المرجع السابق، ص 180.

(2) - المنتخب في تفسير القرآن الكريم (بيروت: دار القلم للطباعة والنشر، وشركة دار الأرقم بُن أبي الأرقم، د، ط، 2016م)، ص 125.

(3) - جملات محمود نايف الجرايدة، السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، رسالة ماجستير، غزّة، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم أصول التربية، 2010م، ص 30.

(4) - المرجع نفسه، ص 30.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: 45].

- وكفر التكذيب: وهو اعتقاد المنافقين كذب الرسول ﷺ في كل شيء مما جاء به: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر: 25-26].

- وكفر الجحود: وهو أن يجحد المنافق ما أنزله الله أو يجحد شيئاً مما هو معلوم من الإسلام يقول تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: 33].

- وكفر إباء واستكبار: وهو مثل كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار وهذا مثل حال المنافقين يعلمون أن الإسلام حق ولكنهم يتركونه إباء واستكباراً ويتخذ له ديناً أو مذهباً من صنع البشر<sup>(1)</sup> يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون: 5].

وقد كان موقف القرآن الكريم موقف الموجه والحامي للأمة المسلمة من مخططات أهل الكفر وما يضمرونه من حقد للإسلام والمسلمين، وقد تولَّى ملاحقتهم وتنبيه المسلمين ليأخذوا حذرهم مركِّزاً على عداوة المنافقين قبل غيرهم لشدة خطرهم على الدعوة الإسلامية ودعاتها، فنهى عن موالاتهم وجدالهم فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: 118] وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: 73].

(1) - جملات محمود نايف الجرايدة، السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، المرجع السابق، ص 30.

## رابعاً: ظهور النفاق في العهد النبوي

### أ- النفاق في مكة

لم يكن للمنافقين وجود في العهد المكّي لأنّه عهد ابتلاء وفتنة وتمحيص، إلا أنّ المفسّرين من رأى أنّه كان لهم وجود في مكة استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ لَا دِينَ لَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 49] يقول سيّد قطب رحمه الله بصدد هذه الآية: (قيل أنّهم مجموعة من الذين مالوا إلى الإسلام في مكة ولكن لم تصحّ عقيدتهم ولم تطمئنّ قلوبهم وخرجوا مع النّفير مزعزعين فلمّا رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين قالوا هذه المقالة)<sup>(1)</sup>.

### ب - النفاق في المدينة

بعد هجرة النّبي ﷺ إلى المدينة أصبح للمسلمين قوّة وسلطان وانتشر الإسلام في المدينة فظهر النّفاق والمنافقون<sup>(2)</sup> واستمرّت إلى قرب وفاة النّبي ﷺ ولم تنقطع في أيّ وقت تقريباً، وإنّ تغيّرت مظاهرها ووسائلها بين الحين والحين<sup>(3)</sup>، وقد تمثّل المنافقون الذين كانوا في زمن النّبي ﷺ حدثوا بإيمانهم وكذبوا واؤتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدّين ونصره فأخلفوا وفجروا في خصوماتهم<sup>(4)</sup>، فكان من أشهرهم تمرّد عبد الله بن أبي بن سلول وتبعه من المشركين واليهود وجماعة من الأوس والخزرج جهروا بالعداء والميل وحقدّهم للنّبي ﷺ<sup>(5)</sup>، فعانى من تكثّل المنافقين في المدينة وكثرتهم وازدياد إيذائهم للمسلمين وسعيهم إلى تفكيك وتخذيّل أتباعه ومع ذلك لم يعدهم النّبي ﷺ بقوة عدائيّة بل عاملهم بما أمره الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [التوبة: 74].

(1) - سيّد قطب، في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشّروق، ط1، ج1، 1972م)، ص 1533.

(2) - عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة، المرجع السّابق، ص 382.

(3) - سيّد قطب، في ظلال القرآن (بيروت: دار الشّروق، ط17، ج6، 1412هـ)، ص 3572.

(4) - النّووي، صحيح مسلم بشرح النّووي، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث 59، ج2، المرجع السّابق، ص 61.

(5) - محمّد عبد الباقي الزّرقاني، شرح العلامة الزّرقاني على المواهب المدينية بالمنح المحمّدية (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط2، 1417هـ)، ص 216.



وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [التوبة: 66] وهذا يبيّن معاملة النبي ﷺ بهذه الطريقة وعدم تنفيذ الحكم الشرعي<sup>(1)</sup> يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (إنما منع رسول الله ﷺ قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم لأنّ ما يظهرونه يجب ما قبله، فيقول مالك ﷺ: إنّما كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين لبيّن لأمرته أنّ الحاكم لا يحكم بعلمه)<sup>(2)</sup>.

فيستخلص أنّ علّة ظهور النفاق في المدينة واضحة وهي إسترجاع النبي ﷺ قوّته وكسب أنصار أقوياء من الأوس والخزرج فلم يبق بيت عربي إلّا ودخله الإسلام، ففي هذه الحالة ليس من الهيّن أن يظهروا العداوة الواضحة للنبي ﷺ، لأنّ من حولهم سوف ينفضون عنهم لضعفهم أمام قوّة المسلمين فأظهروا بقاءهم بأنهم مسلمون، فحاولوا بطريقة الجوسسة صدّ الناس عن دينهم بكلّ وسيلة أتاحت لهم، حتّى أنّه إذا دعا النبي ﷺ إلى غزوة إندسوا بين المسلمين فخوّفهم من الحر والقرّ وكبّروا من شأن عدوّهم ليمنعوهم من الخروج، ولهذا الطائفة أوصاف ذميمة وأفاعيل منكرة ما يباعد بينها وبين الإيمان.

فكانوا كثيري الأذى للنبي ﷺ تعاملوا معه بال المكر والخداع والحيلة وقد كشفهم الله في الآية ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141] إلّا أنّ النبي ﷺ لم يقابلهم بالمثل كمقابلة التّدّ بالنّدّ، ولم يحسم أمره معهم، بل قابلهم بالحسنى واللّين والرّفق والعفو.

#### خامساً: مواقف النبي ﷺ العاطفية وأساليبه في دعوة المنافقين

شهد النبي ﷺ مواقف مؤثّرة ومشاهد رائعة في دعوته للمنافقين نذكر بعضها كالآتي:

##### أ- الحكم على المنافقين بظاهر حالهم ومعاملتهم معاملة المسلمين

كان النبي ﷺ يتعامل مع المنافقين وفق ما يظهر له منهم وقد أظهروا الإسلام وقاموا بأداء العبادات فكان يعاملهم معاملة المسلمين ولم يقاتلهم مقاتلة العدو وهذا يتفق مع قوله: أمرت أن أقاتل الناس، حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وقيموا الصّلاة، ويؤتوا الزّكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله تعالى)<sup>(3)</sup>.

(1) - محمّد عزة بُن عبد الهادي دروزة، سيرة الرّسول ﷺ (قطر: إدارة إحياء التّراث الإسلامي، ج2، د، ت)، ص 78.

(2) - ابن كثير، تفسير ابن كثير (الرياض: مكتبة الرّياض الحديثة، ج1، د، ت)، ص 50.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب 17، رقم الحديث 25، ص 16.



وعندما خرج ﷺ إلى أحد ورجع ناس ممن كانوا معه انقسم أصحاب النبي ﷺ إلى فرقتين قال بعضهم: نقتلهم، وقال بعضهم: لا، فنزلت الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكُسَهُمْ﴾ [النساء: 88] وبناء على ظاهر إسلامهم فقد أطلق عليهم النبي ﷺ لفظ الأخوة بقوله: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَحِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»<sup>(1)</sup>.

بين الإمام ابن العربي رحمه الله كيف كان النبي ﷺ يعامل المنافقين فقال: (كان النبي ﷺ يعرض عنهم ويكتفي بظاهر إسلامهم، ويسمع أخبارهم فيلغيها بالبقاء عليهم، وانتصار الفئدة إلى الحق بهم، وإبقاء على قومهم، لئلا تثور نفوسهم عند قتلهم وحذراً من سوء الشنعة في أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فكان لمجموع هذه الأمور يقبل ظاهر إيمانهم، وبادئ صلاتهم وغزوهم، ويكل سرائرهم إلى ربهم، وتارة كان يبسط لهم وجهه الكريم وأخرى كان يظهر التغير عليهم)<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأما سيرته في المنافقين فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة وأمره أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم ونهاهم أن يصلوا عليهم، وأن يقوم على قبورهم وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم)<sup>(3)</sup>.

فالتفاق أصبحت له رؤوس ومنابر، ومنافقو هذا الزمان يتحركون بخطط وتنظيم، ولمواجهتهم وجهادهم يجب أن تكون بقوة وحكمة وتنظيم، وبأساليب يحسن أهل الدعوة التفنن فيها، وهذه الأساليب يجب أن تكون محكمة، إما بالرد على شبهاتهم وإفترائاتهم أو بوعظهم ونصحهم وإرشادهم يقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا لَإِيْضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 120].

#### ب- رحمه النبي ﷺ والعفو عن المنافقين

إن النبي ﷺ قد اتخذ مع هذه الفئة الأساليب اللازمة لحماية المجتمع من التفكك والتصادم فقد كان مع صحابته يتوخون الحذر والحيلة منهم، خصوصاً عند تواجدهم في صفوف المسلمين يثبطون

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق: إبراهيم عوة عوض، كتاب البر والصلة والآداب، باب في تعظيم المؤمن، رقم الحديث 2032، المصدر السابق، ص 378. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد وروى إسحاق بن إبراهيم السمرقندي عن حسين بن واقد نحوه وروي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا.

(2) - أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ج2، د، ت)، ص 444.

(3) - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، ج3، 1418هـ/1998م)، ص 161.

العزائم فقد شهد عليهم الكيد الماكر للمسلمين، إلا أن النبي ﷺ ترك قتلهم لمصلحة تتضمن تأليف القلوب وجمع كلمة الناس عليه، فكان يرى في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة ورسول الله ﷺ أحصر شيء على تأليف الناس وأترك شيء بما ينقّره عن الدُّخول في طاعته<sup>(1)</sup>.

فتجسّدت سماحة النبي ﷺ وعفوه نحو أعدائه بطريقة يعزّ نظيرها في تاريخ العالم، كعفوه عن عبد الله بن أبي العدو اللدود للإسلام، وكيف كان ينفق أيامه ولياليه في وضع الخطط لإيقاع الأذى بالدين وبالنبي ﷺ محرّضاً اليهود تحريضاً على سحق المسلمين، ومع ذلك فيوم توفّي فيه عبد الله بن أبي دعا النبي ﷺ ربه أن يغفر له، بل وقد قدّم رداءه إلى أهله كي يكفّنوه به<sup>(2)</sup>، وقد صلى النبي ﷺ على عبد الله بن أبي واستغفر له إلى أن تُهي عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: 84] يقول الإمام الخطابي رحمه الله: (إنما فعل ذلك مع عبد الله بن أبي ما فعل، لكمال شفقتة على من تعلق بطرف من الدّين، ولتنطبيب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح ولتألف قومه من الخزرج لسبق رياسته فيهم)<sup>(3)</sup>.

فعن عبد الله بن عبد الله جاء إلى رسول الله ﷺ بعد موت أبيه رغب في ذلك وفي أن يكسوه قميصه الذي يلي بدنه، ففعل فلما جاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه قام إليه عمر رضي الله عنه، فقال يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نحاك الله عن الاستغفار لهم؟ وجعل يعدّد أفعال عبد الله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «أخبره عني يا عمر، فلما أكثرث عليه قال: إني خيّرث فاخترت، ولو أعلم أيّ زدت على السبعين يغفر له لزدت»<sup>(4)</sup> فسكت عمر وصلى رسول الله ﷺ على عبد الله، ثم نزلت الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: 84].

(1) - ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، المرجع السابق، ص 497. (ناصر محمدي محمد جاد، التّعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي، المرجع السابق، ص 280).

(2) - محمد علي اللاهوري القادياني، حياة محمد ورسالته (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1390هـ)، ص 269.

(3) - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التّدريج في دعوة النبي ﷺ (وزارة الشؤون الدّينية والأوقاف والدّعوة والإرشاد، ط1، ج1، 1417هـ)، ص 114.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التّفسير، باب ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، رقم الحديث 4671، ص 1152.

وفي حديث آخر: إِنَّ قَمِيصِي لَا يَغْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَسْلَمَ بِفَعْلِي هَذَا أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَسْلَمَ وَتَابَ بَعْدَ هَذِهِ الْفَعْلَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالرَّغْبَةِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَلْفُ رَجُلٍ مِنَ الْخَزَرِجِ<sup>(1)</sup>، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (إِنَّمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنَاءٍ عَلَى الظَّاهِرِ مِنْ لَفْظِ إِسْلَامِهِ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمَّا تُهِى عَنْهُ)<sup>(2)</sup>.

وفي رواية ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَعْدَمَةَ أُذْخِلَ حُفْرَتُهُ، فَأَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ فَوَضَعَهُ عَلَى رَكْبَتَيْهِ وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَانَ كَسَا عَبَّاسًا قَمِيصًا قَالَ سَفِيَانُ: وَقَالَ أَوْ هَارُونَ: وَكَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَانِ، فَقَالَ: لَهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْبَسَ أَبِي قَمِيصَكَ الَّذِي يَلْبِي جِلْدَكَ قَالَ سَفِيَانُ: فَيُرَوْنَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَلْبَسَ عَبْدَ اللَّهِ قَمِيصَهُ مَكَافَأَةً لِمَا صَنَعَ»<sup>(3)</sup> كَانَ ذَلِكَ مَكَافَأَةً لَهُ عَلَى صَنِيعٍ سَبَقَ لَهُ، أَيْ: لئَلَّا يَكُونَ لِمَنَافَقٍ عِنْدَهُ يَدٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا أَخَذَ أُسِيرًا بَيِّدَ لَمْ يَجِدُوا لَهُ قَمِيصًا يَصْلَحُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رَجُلًا طَوَلًا فَكَسَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ<sup>(4)</sup>.

ومربع بن قيطي<sup>(\*)</sup> كَانَ رَجُلًا مَنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ يَحْتَثِي فِي وَجُوهِهِمُ التَّرَابَ وَيَقُولُ: «إِنْ كُنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي فَابْتَدِرْهُ الْقَوْمَ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَقْتُلُوهُ فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ»<sup>(5)</sup>.

(1) - يُنْظَرُ: أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنُ غَالِبٍ بْنُ عَطِيَّةِ الْأَنْدَلُسِيِّ، الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ السَّلَامِ عَبْدِ الشَّامِيِّ مُحَمَّدٌ (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط 1، ج 3، 1422هـ/2001م)، ص 68.

(2) - الْقُرْطُبِيُّ، تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ، ج 8، تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّوْبَةِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 142.

(3) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ هَلْ يَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْقَبْرِ وَاللَّحْدُ لَعْلَةً، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1350، ص 169.

(4) - مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ اللَّاهُورِيُّ الْقَادِيَانِيُّ، حَيَاةُ مُحَمَّدٍ وَرِسَالَتِهِ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 269.

(\*) - مَرْبَعٌ بْنُ قَيْطِيٍّ: مَنَافِقًا وَكَانَ أَعْمَى وَهُوَ الَّذِي سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطَةً فِي حِينِ خُرُجِهِ إِلَى أَحَدٍ فَجَعَلَ يَحْتَثِي التَّرَابَ فِي وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ: إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا فَلَا تَدْخُلْ حَائِطِي. (يُوسُفُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْبَرِّ أَبُو عَمْرٍ، الْاسْتِيعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ، بَابُ الْإِفْرَادِ فِي الْعَيْنِ وَبَابُ غَالِبِ، حَرْفُ الْعَيْنِ وَالْغَيْنِ (حَيْدَرُ آبَاد: مَطْبَعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ، ط 1، ج 3، 1319هـ)، ص - ص 132، 133.

(5) - ابْنُ هِشَامٍ، السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ، ج 2، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 165.

وعندما طلب عمر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ الإذن في قتل عبد الله بن أبي حين قال: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8] رفض النبي ﷺ وقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»<sup>(1)</sup>.

وهكذا كان النبي ﷺ رحمة للمنافقين، فبسبب هذه الرحمة الواسعة اختلطوا بالمسلمين واستفادوا من كل الحقوق كما يتمتع بها المسلمون، فلم يقم بفضحهم وإفشاء أسرار نفاقهم مع أنه يعلم دخائلكم حتى أنه أخبر حذيفة رضي الله عنه بذلك، وكان عمر رضي الله عنه يراقب حذيفة فإن رآه لا يصلّي على جنازة لم يصلها هو كذلك، دون إحداث ضجة أو تشهير بالمنافق الميت<sup>(2)</sup>.

وعندما اختار ﷺ حذيفة كصاحب سر له ﷺ فيه درس وعبرة لكل داعية في مرتبة القيادة أو الإدارة بأن المؤهلات عند الفرد لابد أن تتوفر مع العمل أو المهمة التي يكلف بها، إذ كانت سياسة النبي ﷺ تقوم على إكتشاف مزايا أصحابه والإفادة من طاقاتهم الكامنة، وذلك تكون بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والنبي ﷺ من شدة كيد المنافقين ومكرهم لم يقابلهم بالمثل، ولم يعاملهم معاملة الأعداء المحاربين، ولم يعاملهم بالقتال، فرأى أن يعاملهم بسعة صدر وحلم وصبر حتى النهاية، فكان يرى أن التعنف والقوة معهم قد تفتح في صفوف المسلمين ثغرات واسعة داخلية لاسيما أنه ﷺ كان متيقنا بنصر الله الموعود وبمصير المنافقين في النهاية.

والدعوة قد تعترض في طريقها من يلحق بها الضرر القولي والفعلي لمثل هذا الصنف من المنافقين الذين قد يتسللون في صفوف جماعة الدعوة، فإذا كان هذا حدث مع وجود النبي محمد ﷺ المنزل عليه الوحي فإن حدوثه الآن أقرب احتمالاً وأيسر وقوعاً، فعلى الدعاة أنفسهم قادة أو أعضاء أن يرصدوا المتصفين بصفات المنافقين من خلال ما يبدو منهم من أقوال واتهامات وتهكمات تصيب كيانهم أو تشوّه سمعتهم، أو فيها تثبيط عن أعمال الدعوة أو تشكيك في فائدتها، مما فيه إضعاف لشخصهم ومسيرتهم، بأن لا يتأثروا بها فيقعدهم عن العمل الدعوي، كما ليحذروا بأسلوبهم في تنقيصهم واختلاق العيوب أو تكبيرها وإشاعة سوء الظن بهم.

### ت- استدراجهم بالرفق والخطاب اللين

لقد كان النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة يدعو الناس بالقول اللين والخطاب اللطيف والرفق في المعاملة، ومن ذلك ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما مرّ النبي ﷺ بمجلس عبد الله بن أبي بن سلول

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سواء استغفرت لهم، رقم الحديث 4905، ص 1241.

(2) - محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة والرسالة (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط 1، 2007م)، ص 62.

زعيم المنافقين فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فردَّ عليه ابنُ أبي: «أيتها المرء -يريد النبي ﷺ- لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقًا فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منَّا فاقصص عليه، فقال عبد الله بنُ راحة: إغشنا في مجالسنا فإنَّا نحب ذلك، قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتَّى همُّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثمَّ ركب دابَّته حتَّى دخل على سعد بنُ عبادَةَ، فقال: أيُّ سعد، ألم تسمع إلى ما قاله أبو حباب، قال: كذا وكذا؟»<sup>(1)</sup>.

كان النبي ﷺ يترقَّق به ويعامله بالصَّفح والحلم رغبة في تأليف قلبه، وكان يدعوا المنافقين بأسلوب عاطفي مستخدمًا الكنية فكَيَّ ابنُ أبي بكنيته وهو أبو حباب.

فلقي ﷺ الأذى الكبير والجراح من قبل المنافقين، إلَّا أنَّه أبقى إلَّا أن يعاملهم بلطف وصبر، يقول الإمام النووي رحمه الله<sup>(2)</sup>: (وفي هذا الحديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم والصَّفح والصَّبْر عن الأذى ودوام الدعاء لهم وتألف قلوبهم)<sup>(3)</sup>.

وكان له ﷺ تعاملًا رائعًا في موقف آخر بعد غزوة المصطلق، عندما أتاه عبد الله بنُ عبد الله بنُ أبي بشأن مقتل أبيه فقال: «يا رسول الله إنَّه بلغني أنَّك تريد قتل عبد الله بنُ أبي فيما يلغني عنه، فإن كنتَ لابدَّ فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فما كان جواب النبي ﷺ أن قال له: بل نترقَّق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»<sup>(4)</sup>.

إنَّ عاطفة النبي ﷺ وروعة عفوه هدأت من روعة عبد الله - الابن - وأذهبت هواجسه، وقد أنجلت هذه العاطفة في مراعاته ﷺ:

- عقيدته السَّليمة التي تأبى الرِّضا بما صدر من أبيه، فكان لا يحبُّ أن يقتل مؤمنا أبوه فيدخل النَّار انتقامًا له وحميةً لأبوتِه.

- صعوبة موقف عبد الله - الابن - حيث أمره بالرِّفق والإحسان لأبيه.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب التَّسليم في مجلس فيه إخلال من المسلمين والمشركين، رقم الحديث 6254، ص 1561.

(2) - محمَّد الصالح المنجد، كيف عاملهم محمَّد ﷺ، (المملكة العربية السُّعودية: مجموعة زاد للنشر، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 651.

(3) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج12، المرجع السَّابق، ص 159.

(4) - ابنُ هشام، السِّيرة النَّبوية، تحقيق: محمَّد قطب وآخرون (المكتبة العصرية، ج3، 1429هـ/2008م)، ص 596.

فكان تسامح النبي ﷺ مع عبد الله بن أبي تسانحاً لا مثيل له يفوق كل التصورات، وفي المقابل كان ابن أبي بن سلول كلما أحدث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعفونه، ويعرضون قتله على النبي ﷺ، والنبي ﷺ يأبى ويصفح، فأراد ﷺ أن يكشف لعمر ﷺ آثار سياسته الحكيمة فقال له : «كيف ترى ذلك يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم أمرتني لأرعدت آناف ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته، فقال عمر ك أمر رسول الله أعظم بركة من أمري<sup>(1)</sup> فقال عمر: قد -والله- علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»<sup>(2)</sup>.

### ج- حلم وصبر النبي ﷺ وتواضعه مع المنافقين

تحدثت كتب السيرة النبوية عن أساليب النبي ﷺ في دعوته للمنافقين، تمثلت في إبراز عاطفته في مواقف عدّة، ولقي حينها الأذى المعنوي واللفظي، إلا أنه لم يقابلهم بمثل صنيعهم بل تحلى بالصبر وسعة النفس، وهو ما حدث مع ابن أبي بن سلول، ونذكر منها ما جاء عن أنس ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن سلول، فانطلق إليه النبي ﷺ راكب حملاً فلما أتاه النبي ﷺ قال: «إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك...»<sup>(3)</sup> فالتبى ﷺ أمام هذا الموقف قابل إساءة هذا المنافق بالطف أسلوب وأحسن عبارة وبرحابة صدر، ورباطة جأش، فبقدر إساءة هذا المنافق له بقدر حلمه وصبره ﷺ عليه، فكان متواضعاً ليناً حليماً، وبرغم ما يظهره من مكر وخداع، فقد قدّم ﷺ الأسلوب الأمثل في مواجهة الحاقدين والماكرين، ورسم منهجاً أسّس على مبادئ وقيم وأساليب.

وما حدث يوم حنين عندما آثر أناساً في القسمة لتأليف قلوبهم للإسلام احتجّ أحد المنافقين على قسمته -ﷺ- قائلاً: «والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجهه الله»<sup>(4)</sup> كان ردّه ﷺ -عندما بلغه مقالة هذا الرجل- في غاية اللطف قائلاً: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصبر»<sup>(5)</sup>.

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، رقم الحديث 4905، ج8، ص 650.

(2) - يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، المرجع السابق، ص 596.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ على أذى المنافقين ج1، رقم الحديث 1977، ص 1424. وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، رقم الحديث 2691، ص 657.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، رقم الحديث 3150، ص 777.

(5) - المصدر نفسه، ص 777.



وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في مواضع عدّة في فتح الباري معتمداً على رواية للواقدي في مغازيه: (أنّ القائل هو حرقوص بن زهير كان منافقاً وقيل أنّه تاب)<sup>(1)</sup>.

هذا الرجل احتجّ على قسمة النبي ﷺ، فالذي قاله هو نوع من السبّ، فلم ينتقم منه ﷺ وإنما تحلّى بالصبر.

عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ في قصّة الرجل الذي اعترض رجلاً على قسمة النبي ﷺ لبعض المال وقال له: «يا رسول الله، اتّق الله ! فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟، قال: لا، لعلّه أن يكون يُصلي فقال خالد: وكم من مُصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشقّ بطونهم»<sup>(2)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قال بعض العلماء الصبر على الأذى من باب جهاد النفس وقد جبل الله الأنفس على التآلم بما يفعل بها، ويقال فيها لهذا شقّ على النبي ﷺ نسبتهم له إلى الجور في القسمة، لكنّه حلم عن القائل لما علم جزيل ثواب الصّابرين والصّابرين أعظم أجراً من المنفق لأنّ حسناته مضاعفة إلى سبعمئة أمّا الصّابر فيجزى بغير حساب)<sup>(3)</sup>.

وفي الحديث إشارة إلى بيان جواز الغيبة في حالة إلحاق المضرة للدعوة والمسلمين، فابن مسعود ﷺ عندما أخبر النبي ﷺ بمقولة الرجل، كان غرضه النصّح وإعلامه بمن يطعن فيه ممّن يظهر الإسلام ويبطن النفاق لكي يحذر منه، يقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله مبيناً: (في الحديث جواز إخبار الإمام وأهل الفضل بما يقال فيهم مما لا يليق بهم ليحذروا القائل، وفيه بيان ما يباح من الغيبة والنميمة لأنّ صورتها موجودة في صنيع بن مسعود هذا ولم ينكره النبي ﷺ)<sup>(4)</sup>.

وهذا يبيّن للدّاعية إلى الله تعالى مراعاة أحوال المدعوين على حسب عقولهم وعقيدتهم وأجناسهم ومجتمعاتهم.

(1) - يُنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر عن الأذى، رقم الحديث 6100، ج10، المرجع السابق، ص-ص 511، 512.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخواص وصفاتهم، رقم الحديث 1064، ص 742.

(3) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر عن الأذى، رقم الحديث 6100، ج10، المرجع السابق، ص-ص 511، 512، ويُنظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، فقه الدعوة صحيح الإمام البخاري (المملكة العربية السعودية: وكالة شؤون المطبوعات والنشر، ط1، 1461هـ)، ص 349.

(4) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر عن الأذى، رقم الحديث 6100، ج10، المرجع السابق، ص 512.



وموقفه - ﷺ - عند شفاعته لليهود حينما نقضوا عهدهم وميثاقهم مع رسول الله ﷺ، فلمّا حاصرهم النبي ﷺ نزلوا على حكمه فقام ابنُ أبي دونه يمنعه من إنفاذ حكمه ملحقاً بلاء أدب ولا خجل العفو عنهم قائلاً: «يا محمد أحسن في موالي - كانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فكرّر بنُ أبي مقاتله فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درعه فقال له رسول الله ﷺ: ويحك أرسلني، ومضى المنافق على إصراره وقال: لا والله لا أرسلك حتّى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة! إني والله إمرؤ أخشى الدوائر! فقال رسول الله ﷺ: هم لك»<sup>(1)</sup>.

فالنبي ﷺ في إجابته لمّا ألح عليه ابنُ أبي، أراد أن يقدم للدّاعية درساً في الفقه السياسي، فلعل إجابته «هم لك» من شأنها أن تغسل قلب المنافق وتزيل الغشاوة عنه فتتم هدايته وهداية أتباعه. ممّا ينبغي أن يتعلّمه الدّعاة والأفراد أنّ رجالات الدعوات الإسلامية تبعاً لقياداتها، وليس من حقّ الأفراد أن يتّخذوا موقفاً مناقضاً لقياداتهم أمام الأعداء، بل من الواجب أن يتبنّوا الموقف، والدعوة تحتاج إلى رجال ودعاة أقوياء وأشدّاء يعطونها الرّهبة ويكسبونها القوة أمام عدائها.

### وعليه يتعيّن على الدّاعية الاستفادة من دعوة النبي ﷺ للمنافقين

- سبق الحديث في منهج النبي ﷺ في دعوته لمشركي مكّة، وذكرنا مواقف من تصرفاته التي كانت من أسباب نجاح دعوته، وإكمالاً للفائدة تناولت في هذه الجزئية دعوته - ﷺ - للمنافقين الذين يعدّون الخصم الأشدّ تنكيلاً له ﷺ ولدعوته، وبرغم ذلك كان حريصاً على تمكين الإسلام في قلوبهم، فكان سمحاً ليناً ولطيفاً معهم، يعاملهم بما يبدو من ظواهرهم، وفي الوقت نفسه ألححت من مواقفه ﷺ عدم موالاة المنافقين واستئمانهم استناداً للآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [المائدة: 57].

- يمكن القول المقصود بالدعوة إلى الله تبليغ شرائع الله تعالى إلى الناس عامّة، ولا يتمّ التبليغ التام والمؤثّر إلّا إذا مالت قلوب المدعوين إلى الدّاعي، وسكنت نفوسهم إليه، وذلك إن كان الدّاعية رحيماً كريماً لطيفاً فهو ليس أفضل من الأنبياء عليهم السّلام من أبلغهم الأمر الإلهي بتحسيد هذه الصّفات كسيدنا موسى وهارون عليهما السّلام.

(1) - ابنُ هشام، السّيرة النبويّة المرجع السّابق، ص 10.

- للفائدة لا بدَّ من الدَّاعية إلى الله أنْ يعلم أنَّ دعوته إلى الله محاطة بالأشواك والآلام و المتاعب، قد تقتحم جسده ومشاعره، فهي مهمَّة العظماء، يمتحن فيها أيبصر؟ أم يجزع؟، والأنبياء عليهم السَّلام تولَّوا هذه المهمَّة على أكملها، فنجد سيدنا سليمان عليه السَّلام يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

- تشير مواقف النبي ﷺ مع المنافقين إلى إرادة الخير لهم، ودفع أذاهم بالصَّبر، خصوصاً وما يضمرونه من أخلاق تظهر الكره والحقد لدعوة الإسلام، من فتن وسفه وكذب وتجسس وإشاعات وسخرية واستهزاء فيقول عنهم الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَنَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48] فالصَّبر يجعل النَّفس لا تنهار أمام الشَّدائد جاء في الأثر: (من صبر ظفر، ومن لج كفر، وكلُّ عمل لا يخالطه الصَّبر فهو فاشل)<sup>(1)</sup>.

وبناء على ما سلف يتعيَّن على الدَّعية الاستفادة من دعوة النبي ﷺ في دعوة غير المسلمين كالآتي :

- إنَّ ما لقيه الأنبياء - عليهم السَّلام - عامَّة والنبي ﷺ على وجه التَّحديد من الأذى والصَّبر، يعدُّ سنَّة إلهية في طريق الدعوة إلى الله، والصَّراع قائم ومستمر بين الكفر والإيمان، والذي يتوجَّب على الدَّاعية أن يتحمَّل الكثير لأجل هذه الدعوة وإقامة شريعة الإسلام في نفسه وغيره من المدعوين وبخاصَّة غير المسلمين، ومن ثمَّ في مجتمعه، وفي المقابل يدلُّ التَّصدِّي والإعراض عن هذه الدَّعوة تعبيراً واضحاً عن درجة العداوة التي يظهرها أعداء الإسلام -الغير مسلمين- سواء في العهد النَّبوي وما واجهه النبي المصطفى ﷺ من مواقف صعبة ومحرجة وتحديات عصيبة استطاع معالجتها بالمنهج العاطفي من قول لِيَنَّ ورحمة وتسامح وسعة صدر، أو في الوقت المعاصر الذي اشتدَّت فيه مناخر العداوة على الإسلام، فالدَّاعية عليه أن يسير على خطى المنهج النَّبوي في دعوته.

- لقد كانت الرَّحمة ملازمة للنَّبي المصطفى ﷺ في حياته ودعوته، لم تفارقه في كلِّ مرحلة من مراحل دعوته ومع جميع المدعوين، فكان يرحم المشركين بعد انتصاره عليهم، ويرحم الأعداء والأسرى في المعركة، ويرحم من ساكنه في دار الإسلام بل ويرحم المنافقين الذين كادوا للإسلام، ويرحم المرتدَّ إذا رجع ويعفو عنه ويقبل إسلامه، يقول المستشرق لورد هديلي: (إذا رجعنا إلى التَّاريخ وحكمناه في هذه

(1) - يُنظَر: مُحَمَّد أمين بني عامر، أساليب الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 206.

المسألة - اتَّهام الأوربيين النبي ﷺ بالقسوة - لتبيّن لنا أنّ القسوة لم تكن قطّ من أخلاق محمّد وذلك بدليل معاملته للأسرى بعد غزوة بدر وتسامحه مع أعدائه وصبره على آذاهم وعطفه على الأطفال والمرضى وحقنه للدماء وعفوه عن أولئك الذين قضوا في محاربته ثمانية عشر عامًا وأظهروا له فيها كل صنوف العداة وأذاقوه من خلالها أنواع الجور والاضطهاد والظلم<sup>(1)</sup>.

- أن النبي ﷺ اتخذ أساليب عاطفية متنوّعة في دعوته بما يتناسب مع المدعو وعقيدته، وتلك الأساليب جاءت متدرّجة لمست القلوب فاجتاحتها، فكانت النتيجة الإيمان برسالته، والقاعدة الهامّة هنا في اتّخاذ الدّاعية لهذه الأساليب في الدعوة الله تكون خاضعة لظروف الدعوة والدّاعية الزمانية والمكانية، فكانت دعوة النبي ﷺ قد مرّت بمراحل، وفي كلّ مرحلة من المراحل التي مرّت بها لها منهج في التّعامل مع غير المسلمين لا يخرج عن التزام العدل معهم وتأمينهم في الغدر والخيانة فكان هدفه في كلّ مرحلة هداية النّاس إلى ربّهم.

(1) - محمّد فهمي عبد الوهاب، محمّد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه (القاهرة: دار الاعتصام،

ط1، 1395هـ/1975م)، ص 38.

## المبحث الثاني: منهج النبي ﷺ العاطفي في دعوة المسلمين

كان النبي ﷺ طيلة العهد المكِّي والمدني يمارس دعوته مع صنف المسلمين الذين إستجابوا للرسالة النبوية، فكُون منهم جماعة متميزة بعقيدتها وأخلاقها وسلوكها، فعلمهم الكتاب والحكمة ليزكيهم بها ويظهرهم من أخلاق الجاهلية وعاداتها بترسيخ الإيمان في نفوسهم كلما نزل شيء من القرآن<sup>(1)</sup> يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: 164].

فدعا - ﷺ - أصحابه ورياءهم على المحبة والطاعة، فكانوا أعلى مستوى من الدين والأخلاق والإخلاص والتفاني في سبيل نصرته دعوته، فغذى أرواحهم بالقرآن وأثار نفوسهم للإيمان، وتكونت على إثرهم دولة الإسلام، ثم توالى الانتصارات وعمّ الثور جميع البقاع. ومن الملاحظ أن دعوة النبي ﷺ لم تقتصر على مجتمع الصحابة فقط، وإنما شملت أصناف أخرى من المسلمين، فكان لكل منهم أسلوب يتلاءم مع أعمارهم ومستوياتهم المختلفة من حيث الجنس والسن، سأتناولها في هذا المبحث إن شاء الله.

### المطلب الأول: دعوة المسلمين باعتبار الجنس (ذكوراً وإناثاً)

توجّهت دعوة النبي ﷺ المهداة إلى الناس جميعاً، الكبير منهم والصغير، العالم والجاهل، الحاكم والمحكوم، الغني والفقير، الرجال والنساء على العموم ... يدعوهم إلى الإسلام، وبلاغته وحكمته ﷺ كان يستخدم لكل صنف منهم ما يصلحهم ويتلاءم مع أعمارهم ومستوياتهم، وفي هذا المطلب سأقتصر في بيان دعوة النبي ﷺ لصنف المسلمين باعتبار الجنس - الرجال والنساء - الذين استخدم في دعوتهم المنهج العاطفي.

#### أولاً : دعوة النبي ﷺ للرجال بالمنهج العاطفي

لقد خصّ النبي ﷺ في دعوته الرجال بخطابٍ خاص يدعوهم فيه إلى الله تعالى، مستخدماً في ذلك أساليب عاطفية رائعة شملت قضايا متعددة وفي مجالات مختلفة من حياتهم الشخصية والاجتماعية، إلا أنني لا يمكنني حصرها جميعاً فإكتفيت ببعضها وهي كالآتي:

(1) - التدرُّج في دعوة النبي ﷺ، المرجع السابق، ص 130.

### أ- دعوة النبي ﷺ للرجال إلى الرحمة بالنساء والشفقة عليهن

إهتم النبي ﷺ بالنساء اهتماماً بالغاً وعظيماً، فأحاطهن بكل سبل التربية والرعاية، وصدع بكلمات من الوحي الإلهي بأن النساء شقائق الرجال في الدين والإنسانية منذ أربعة عشرة قرناً فقال ﷺ: «النساء شقائق الرجال»<sup>(1)</sup>.

ولأن النبي ﷺ عاش الكثير من مظاهر الظلم والقسوة التي رزحت المرأة تحت وطأها إبان رسالته، قدحث على الإحسان والرفق بها.

ووجه عموم الرجال الذين كتبت لهم الخيرية بالمعاملة الطيبة للمرأة ولاسيما لأهل البيت، وكان ﷺ القدوة والريادة في هذه المعاملة، فكان أحسن الناس عشرةً، وكان قد عاش مع زوجاته الإحدى عشرة حياة طيبة تمثل تطبيقاً عملياً دقيقاً لقول المولى عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19] والمعروف كلمة جامعة لكل فعل وقول وخلق<sup>(2)</sup>، بيد أن المعروف الذي أشارت إليه الآية يكون بالكلمة الطيبة والفعل الطيب، ويتسع ليشمل كل أمر من شأنه أن يوطد العلاقة الزوجية وينميها ليصبح البيت واحة أمان يستقر فيها الزوجان، وشجرة وارفة الظلال تظلل عليهما، تروي السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا شأن قول النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»<sup>(3)</sup>.

وكان النبي ﷺ المثل الأعلى والرجل المثالي في حياته الاجتماعية والزوجية، فكان حلو المعاشرة لنسائه، يحسن التعامل معهن، ويرفق بهن، ويشفق عليهن، فلو اتبع صنف الرجال في تعاملهم لزوجاتهم يمثل ما تعامل به النبي ﷺ لتخلّصت الأسر الإسلامية من العديد من المشكلات الزوجية الشائعة، ونحن نعجب لواقعنا اليوم حينما نسمع أو نقرأ العديد من المشكلات الزوجية من حالات الطلاق والخيانة وغيرها إلى الحد الخطير.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بلاءً، ولا يذكر احتلاماً، رقم الحديث 113، ج1، المصدر السابق، ص 154. وقال : هذا حديث صحيح، وأخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث أم سليم بنت ملحان برقم 5869، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب الرجل يجد البلة في منامه برقم 204 .

(2) - محمد صالح المنجد، كيف عاملهم النبي محمد ﷺ، المرجع السابق، ص 42.

(3) - أبو عبد الله بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، رقم الحديث 1977 (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ج1، د، ط، د، ت)، ص 636، وقال الألباني: هذا حديث صحيح، في الصحيحه (285).

فبيّن الحديث السّالف دليل عظيم في التّخلص من هذه المشكلات ومن جملتها دعوة إلى "الإحسان بالزّوجة والعيال"، فجعله ﷺ من أفضل الأعمال والقربات، وفاعله من خيرة الناس.

ولأهميّة هذا الخلق في تعظيم شأن المرأة، جعلها النبي ﷺ من أهمّ وصاياه التي أكّد عليها في خطبة حجّة الوداع قائلاً: «استوصوا بالنّساء خيراً فإنّهنّ خلّقن من ضلع، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإنّ ذهبت تقيمه كسرته، وإنّ تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنّساء خيراً»<sup>(1)</sup>.

والتي تمثّل فيها خطاب النبي ﷺ العاطفي بوضوح عند نظرتّه للنّساء بعين الرّحمة والعطف والوصيّة، أن يمسك الرّجل المرأة ويقوم على أمرها، فهي تحت رحمته، ومن ثمّ وجبت عليه الرّحمة بها، ولم يجز له الاستبداد بأمرها، إنّها أمانة الله في يده و عنقه، وليس بعد أمانة الله محرّجة لمن ألقى السّمع وهو شهيد<sup>(2)</sup>.

ويذكر الدّكتور راغب السرجاني معلّقاً على معاني الحديث ومرامه بالقول: (وقد شبّههنّ بالأسيرات لكون القوامة في يد الرجل، وقرار الانفصال أو الطلاق بيده، ولقوّة الرجل وضعف المرأة، مما يجعلها في وضع لا حيلة فيه ولكنّ ذلك استدّرّ عطف الرّجل على ضعفها بهذه الكلمات)<sup>(3)</sup>.

ويقول الإمام النّووي رحمه الله: (في هذا الحديث ملاطفة النّساء والإحسان إليهنّ والصّبر على عوج أخلاقهنّ، واحتمال ضعف عقولهنّ، وكراهة طلاقهنّ بلا سبب، وأنّه لا يطمع باستقامتها)<sup>(4)</sup>.

لقد جمع النبي ﷺ من خلال الحديث بين الوصيّة بهنّ وبيان حقيقتهنّ ليكون ذلك أدعى إلى قبول وصيّته، ولأنّه إذا كان طبعها العوج فإنّ من الواجب على الرّجل أن يصبر عليها ويؤفّق بها، ولا يؤمل أن تكون مستقيمة الطّباع فإنّها تصير إلى ما جبلت عليه، ولذلك كان طلب إستقامتهنّ على النّحو الأعدل مثار تعجّب الشعراء حتّى قال بعضهم:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها      ألا إنّ تقويم الضلوع انكسارها

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النّكاح، باب الوصاة بالنّساء، رقم الحديث 5186، ص 1321.

(2) - نظمي لوقا، محمّد الرّسول والرّسالة (القاهرة: دار الكتب الحديثية، ط2، 1959م)، ص 115.

(3) - راغب الحنفي السرجاني، الرّحمة في حياة النبي ﷺ (المملكة العربيّة السّعودية: رابطة العالم الإسلامي، ط1، 1430هـ/2009م)، ص 91.

(4) - النّووي، شرح النّووي على مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصيّة بالنّساء، رقم الحديث 1468، ج10، المرجع السّابق، ص 57.

وقال آخر:

ومكّلف الأشياء غير طباعها متطلّب في الماء جذوة نار<sup>(1)</sup>.

فالنساء لكونهنّ خلُقنّ من ضلع وكونهنّ ناقصت العقل والدين، فلا تكاد تجد امرأة اجتمعت فيها خصال الخير، وقد تقدّم حديث النبي ﷺ بالقول: «كَمَلْ<sup>(\*)</sup> من الرجال كثير، ولم يكْمُلْ من النساء غير مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون»<sup>(2)</sup> كانت هذه وصايا النبي ﷺ للرجال بالرحمة بالنساء والرفق بهنّ.

والناظر لسيرة النبي ﷺ العطرة يجدّه قد حقّق في حياته الفعلية والقولية نجاحاتٍ يافعة، فكان مثلاً وقدوة لكلّ داعية وكل زوج، يستوجب عليه الاقتداء بمنهجه الذي ظلّ فيه يوصي بالرفق والإحسان بالتّوّجة ومعاملتها بالحسنى، والشّاهد على ذلك في حجة الوداع مستعرضاً أهمّ الوصايا للرجال التي لها ارتباط وثيقاً بقضايا الإسلام، وصيّته بالنساء قال فيها: «...إنّقوا الله في النساء فإنّكم أخذتموهنّ بأمان الله، واستحلّتم فروجهنّ بكلمة الله...»<sup>(3)</sup>.

وما زال النبي ﷺ يكرّر هذه الوصية كلّما حانت الفرصة، ففي حجة الوداع أفرد لها جانباً كبيراً من خطبته العظيمة، لما يعلمه من حالهنّ الذي بيّنه الحديث السابق، وهو الحال الذي قد لا يقدر على تحمّله الرجال الذين لا يملكون أنفسهم عند الغضب، فيحمّله عوج المرأة إلى أن يفارقها فيتفرّق شمله وتشتّت أسرته، لذا أرشدهم النبي ﷺ إلى ما فيه صلاح حاله وأسرته فقال ﷺ: «لا يفرك<sup>(\*)</sup> مؤمن مؤمنة إن كره منها خلُقاً رضي منها آخر، أو قال غيره»<sup>(4)</sup>.

(1) - إصدارات موقع نصرة رسول الله ﷺ نسخة pdf، الرّسول زوجاً، د، ط، د، ت، ص-ص 61، 62.

(\*) - كَمَلْ: يقال: كمل بفتح الميم وضمها وكسرهما، ثلاث لغات مشهورات، الكسر ضعيف، ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في باب، والمراد هنا، التّناهي في جميع الفضائل وخصال البرّ والتقوى (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث 2431، ج4، ص 1886).

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث 2431، ص 1886.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم الحديث 1218، ص 886.

(\*) - لا يفرك مؤمن مؤمنة: قال أهل اللّغة: فركه يفركه، إذا أبغضه، والفرك البغض (صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ج2، ص 1091).

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث 1469، ج2، ص 1091.



يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح معنى الحديث: (ينبغي أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقاً يُكره، وجد فيها خلقاً مرضياً، كأن تكون شرسة الخلق، لكنّها دينة أو جميلة، أو عفيفة، أو رفيقة، أو نحو ذلك)<sup>(1)</sup>.

وإن كان الرّفق مطلوباً في كلّ الميادين ومع جميع الأفراد، فالمرأة أو الزّوجة أحقُّ وأولى بهذا الرّفق، ممّا يدلُّ على أهمّيّته، والنّبي ﷺ أشار من خلال خطبته أن أقبلوا وصيّتي فيهنّ، واعلموا بها وأرفقوا بهنّ فهنا لب لبذل الجهد في التحلي بالرّفق.

وممّا نلاحظه أنّ النّبي ﷺ ذكر أن المرأة خلقت من ضلع أعوج وتخصيصه بأنّها خلقت من أعوج أن أجزاء الضّلّع فيه دلالة على صعوبة الأمر وأنّ تعيّرّها لا يكون بسهولة بل يكون بالرّفق والرحمة واللّين، يقول الإمام النووي رحمه الله معلّقاً: في الحديث الحثُّ على الرّفق بالنّساء واحتمالهن وملاطفة النّساء والإحسان إليهنّ والصّبر على عوج أخلاقهنّ واحتمالهنّ<sup>(2)</sup>.

ولتأكيد على الرّفق بالمرأة فقد ربط النّبي ﷺ بين الإيمان والرّفق بالأهل فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلَطْفُهُمْ بِأَهْلِهِ»<sup>(3)</sup> فالإيمان يعظم ويكمل بكمال الأخلاق ومنه التّلطف والرّفق والإحسان بالأهل - الزّوجة -.

ويقول الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وكان فيه رمزاً بأنّ التّقويم يكون بالرّفق بحيث لا يبالغ فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه، وفي الحديث النّدب على المدارة لاستمالة النفوس وتألّف القلوب وفيه سياسة النّساء بأخذ العفو منهنّ والصّبر على عوجهنّ، وأنّ من رام تقويمهن بهذا الانتفاع بهنّ مع أنّه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الإستمتاع بها لا يتمّ إلّا بالصّبر عليهن)<sup>(4)</sup>.

وعليه فالنّبي ﷺ بهذا المنهج الدّعوي والعاطفي أعطى طريقة لطيفة للرجال في التّعامل مع النّساء وحثّهم على الصّبر على ما يبدر منهنّ والذي يؤدي إلى خلق روح التفاهم والاستقرار في

(1) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع، باب الوصيّة بالنّساء، رقم الحديث 1469، ج10، ص 47.

(2) - المرجع نفسه، ص 57.

(3) - أخرجه الترمذي في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، رقم الحديث 2612، ج4، المصدر السابق، ص 359.

(4) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنّساء (دار طيبة، طبعة جديدة ومصحّحة، ج11، د، ت)، ص 558.

الأُسرة، ولهذا قال ﷺ: «فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج» يقول الإمام العيني رحمه الله: (أي: تواصلوا أيها الرجال في النساء بالخير، وخصَّ النساء بالذكر لضعفهنَّ واحتياجهنَّ إلى من يقوم بأمرهنَّ يعني إقبلوا وصيتي فيهنَّ، واعملوا بها واصبروا عليهنَّ، وأرفقوا بهنَّ، وأحسنوا إليهنَّ)<sup>(1)</sup>. ويقول الإمام النووي رحمه الله: (في الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهنَّ، والصَّبْر على عوج أخلاقهنَّ، واحتمال ضعف عقولهنَّ، وكراهة خلافهنَّ بلا سبب، وأنَّه لا مع باستقامتها والله أعلم)<sup>(2)</sup>.

فإشتمل الحديث على أسلوب التَّعامل مع النساء من خلال مسارين:

- وصية النبي ﷺ بالنساء خيراً هو أمر منه ﷺ والأصل في هذا الوجوب
- التَّوازن في التَّعامل بالمرأة بين الرِّفق والتَّشدد، والأصل ما برز في الحديث هو التَّعامل بالرِّفق في الأحوال الطَّبيعيَّة، إلّا إذا صدر منها ما يخالف الشَّرع فذلك له شأن آخر.
- ومن صور الرِّفق بالنساء، الرِّفق بالزَّوجة ومُدارأتها قال ﷺ: (... فدارها تَعَشُّ بها) والمداراة يقول عنها الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: (هي بغير همز، بمعنى المجاملة والملاينة)<sup>(3)</sup>.
- والمداراة باعتبارها لوناً من ألوان الرِّفق المطلوبة، وهي في حقِّ الأهلِ مطلوبةٌ بالأوَّل؛ لقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»<sup>(4)</sup>.

وعليه فقد جعل النبي ﷺ معيار خيرية الرِّجال ليس بمالٍ أو جاهٍ أو سلطان وإنما بأمر يغفل عنه الكثيرون وهو المعاملة اللطيفة وفي حسن العشرة بالزَّوجات، وذلك لأنَّ التَّصنُّع والتَّظاهر بمكارم الأخلاق تضعف حين يشعر الإنسان بأنَّ له سلطة ونفوذاً، ثم تشتدُّ ضعفاً حين ما تطول معاشرته

(1) - العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج20، 1421هـ/2001م)، ص 235.

(2) - النووي، شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب النِّكاح، باب الوصاة بالنِّساء، (المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، ج10، 1347هـ/1929م)، ص 57.

(3) - يُنظَر: ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب النِّكاح، باب المداراة مع النِّساء، طبعة جديدة ومصحَّحة، ج11، المرجع السَّابق، ص 556. وأخرجه ابنُ حَبَّان والطَّبْراني في الأوسط ذكره ابنُ حجر في فتح الباري، ص 556.

(4) - أخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب الرِّضاع، باب ما جاء في حقِّ المرأة على زوجها، رقم الحديث 1162، المرجع السَّابق، ص 454. وفي كتاب المناقب، باب فضل أزواج النَّبي ﷺ، رقم الحديث 3895، ص 270. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ من حديث الثوري ما أقل من رواه عن الثوري وروي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن النَّبي ﷺ مرسلاً.

لمن له عليه السُّلطة، فإذا ظلَّ الإنسان محافظاً على كماله الخلقي في مجتمع له عليه سلطة، وله معه معايشة دائمة ومعاملة مادية وأدبية فذلك من خيار الناس أخلاقاً<sup>(1)</sup>.

فنجدُ معايشة النبي ﷺ لأهله مثالية بكلِّ ما تعنيه الخيرية في التعامل الإنساني والأخلاقي من محبة وعدلٍ ورحمةٍ ووفاء وغير ذلك ممَّا تقتضيه الحياة الزوجية في جميع أحوالها.

وفي إطار الحديث عن صور الرِّفق بالنِّساء في حياة النبي ﷺ نجدُها في أعذب صورها تتجلى رفقه بالزَّوجة وخِدْمَتُها وتخفيفُ الأعباء عنها، فعن الأسود قال: «سألتُ عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنعُ في بيته؟ قالت: كان يكونُ في مِهْنَةِ أهله - تعني خِدْمَةَ أهله - فإذا حضرت الصَّلَاةُ خرجَ إلى الصَّلَاة»<sup>(2)</sup>.

والإغضاء عن هفواتها ومساحتها، يقول الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: (شِدَّةُ الوُطْأَةِ على النِّساء مذموم؛ لأنَّ النبي ﷺ أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم، وترك سيرة قومه)<sup>(3)</sup>.

فكان يدعو إلى حسن العشرة بالزوجة والترُّفُّق بها، وكان ﷺ من حسن العشرة مع زوجاته بحيث أن تطلب رضاهم بمنع ما أحله الله له، كرامة لهنَّ وإرضاء لغيرتهنَّ وتنازلاً عن حقِّه الشرعي، وهذا فيه حسن المعاشرة وأدب الأخلاق ما لم تعرف المرأة عِشرة زوجية بالمعروف، كما تعنيه هذه العشرة من كمال لأحد من البشر كما عرفته لنبي الله ﷺ، ولا غرو فلقد كان من أخلاقه مع أهله أنَّه جميل العشرة دائم البشر، يداعبهم ويتلطَّف معهم ويوسعهم من نفقته ويضاحك نسائه، حتَّى أنَّه كان يسابق السيِّدة عائشة رضي الله عنها في البرية في بعض سفراته يتودَّد إليها بذلك فقالت: «سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللَّحم ثُمَّ سابقته بعدما حملت اللَّحم فسبقني فقال: هذه بتلك»<sup>(4)</sup>.

(1) - عبد الرَّحمان حنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية (دمشق: دار القلم، ط5، ج1، 1420هـ / 1999م)، ص-ص

44، 45.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرَّجُل في أهله، رقم الحديث 2039، ص 1513.

(3) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب النِّكاح، باب موعظة الرَّجُل ابنته لحال زوجها، رقم الحديث 5191، ج9، المرجع السَّابق، ص 202.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، برقم، 2578. وذكر حكم الألباني: حديثٌ صحيح.

وكما شملت رحمته ﷺ بالنساء عمومًا حتّى على برّ الأمّ والعناية بها، ويتجلّى ذلك حينما جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: «يا رسول الله من أولى الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال ثمّ من؟ قال: أمك، قال: ثمّ من؟ قال أمك قال ثمّ من؟ قال: أبوك»<sup>(1)</sup>.

ومن رحمته ﷺ نهيّه عن ضرب النساء فقال: «لا تضربوا إماء الله»<sup>(2)</sup> فحثّ على الرفق بهنّ والإحسان في الكلام إليهن، ومعاملتهم معاملتهنّ طيبة، واحترام حقوقهنّ، والاهتمام بمشاعرهنّ وعدم إيذاهنّ بأيّ صورة فقال: «خيركم خيركم لأهله»<sup>(3)</sup> فلم يجعلهنّ أسيرات منازلهن، بل أتاح لهن الخروج وقضاء حاجاتهنّ وزيارة أقاربهنّ وعيادة المرضى، كما سمح لهنّ بالجيء إلى المسجد وحرّم منعهنّ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أنّ عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»<sup>(4)</sup>.

#### ب- ترغيب النبي ﷺ الرّجال في فعل الفضائل وترهيبهم من الرّذائل والكبائر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر»<sup>(5)</sup> جاء في الحديث الحثّ على استباق الخيرات والمبادرة إلى الأعمال الصالحة إنطلاقًا من قول المولى عزّ وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133] إلّا أنّ من أعظم هذه الخيرات الحضور إلى المساجد لأداء الصلّاة التي هي فرضٌ على الرّجال دون النساء، ولا سيما

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أحقّ الناس بحسن الصحبة، رقم الحديث 5971، ص 1500.

(2) - أخرجه أبو داود في صحيحه، كتاب النّكاح، باب في ضرب النساء، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفه، رقم الحديث 2136 (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 274. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ صحّحه الحاكم، ورواه ابن ماجه في السّنن 649/1، كتاب النّكاح، باب في المرأة تؤذي زوجها، برقم 2014.

(3) - تمّ تخرجه سابقًا، يُنظر ص 345.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصّبيان وغيرهم، رقم الحديث 900، ص 218. و أخرجه مسلم في الصلّاة باب خروج النساء إلى المسجد إذا لم يترتّب عليه فتنة رقم 442، ص 327. وأخرجه أبو داود في صحيحه، كتاب الصلّاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، رقم الحديث 565، المصدر السابق، ص 78. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، صححه النووي.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، رقم الحديث 929، ص 117.

صلاة الجمعة، فاستخدم عليه الصلاة والسلام أسلوب التَّغْيِيب لصلاة الجمعة والتَّكْبِير في الإقبال عليها، وبطريقة لإثارة الانتباه وتحريك النفوس حتَّى يثير فيها الرَّغْبَة والإقبال.

فعدَّها من أعظم ما يحصل عليه صاحبها من الخيرات العظام والأجر الكبير، مثيِّرًا في حديثه فوائدها وآثارها الجَمَّة في حياة العبد الدنيوية والأخروية، وذلك لغرض:

- تعظيم شأنها في القلب وتعلُّقه ببيوت الله وتقديمه طاعة الله على هواه فقال: «خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدْخِلَ الجنة، وفيه أُخْرِجَ منها»<sup>(1)</sup>.

- وتعظيم لصلاة الجمعة وأدائها في وقتها، فيها يتضاعف الأجر إلى سبعة وعشرين درجة لتكون دافعاً يثير في النفس حبَّ التعلُّق بالمساجد والتَّكْبِير للصَّلاة فقال في شأنها ﷺ: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ»<sup>(2)</sup>.

فلا يخفى في الحديث وما اشتمل عليه من منهج عاطفي قد أبرز في أسلوب ترغيب النبي ﷺ الرجال التَّكْبِير لصلاة الجمعة وفضلها وأهمَّيتها في الحياة الدنيا والآخرة.

ومن صور دعوة النبي ﷺ للرجال تحذيرهم وترهيبهم من الوقوع في الزَّنا ولاسيما فقد قدم البديل منه التَّحْصِينَ بالزَّوْج، فكانت من أشهر المواقف المخرجة التي واجهت النبي ﷺ موقفه مع الصَّحَابِي ماعز بن مالك الأسلمي حين اعترافه بجريمة الزَّنا وإقامة الحدِّ عليه، وهزال الذي دفع ماعزًا إلى الاعتراف بالجريمة، فلما أصرَّ ماعز على الاعتراف بما رجمه رسول الله ﷺ؛ لأنَّ ماعزًا كان محصنًا، لكنَّ رسول الله ﷺ لم يدع الأمر يمرُّ دون أن ينصح لهزال والأمّصة من بعده قائلاً: «وَاللَّهِ! يَا هَزَالُ لَوْ كُنْتَ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ خَيْرًا مِمَّا صَنَعْتَ بِهِ»<sup>(3)</sup>، فمن الأجدر أن تعرِّج قصته ليرى القارئ أسلوب رسول الله ﷺ في التَّعامل مع خطأ كبير كخطأ ماعز.

وعن بُرَيْدَةَ قال: جاء ماعز بن مالك ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسولَ اللهِ! طَهَّرْنِي فقال "وَيْحَكَ! ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ، قال: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! طَهَّرْنِي، - فقال رسول الله ﷺ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ، وَتُبْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم الحديث 854، ص 585.

(2) - المصدر نفسه، باب فضل التَّهْجِير يوم الجمعة، رقم الحديث 850، ص 586. وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم الحديث 615، ص 156.

(3) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب في السَّتر في أهل الحدود، رقم الحديث 4377 (بيروت: المكتبة العصرية صيدا، ج4، د، ت)، ص 134.

رَسُولُ اللَّهِ طَهَّرَنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِيمَ أَطَهَّرَكَ؟! فَقَالَ: مِنَ الزَّيْنِ فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -وَلَمْ يَكْتَفِ بِاعْتِرَافِهِ: أَبِي جُنُونٌ؟- فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: أَشَرِبَ خَمْرًا؟، فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ -أَيِ يَشْمُ رَائِحَةَ فَمِهِ- فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْنَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، يَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ كَلِمَةٌ لَا، لَكِنَّهُ قَالَ: نَعَمْ -فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ؛ قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِئَتُهُ. وَقَائِلٌ يَقُولُ: (مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَا عَزِرَ؛ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: "اسْتَغْفِرُوا لِمَاعَزِ بْنِ مَالِكٍ". قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعَزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً؛ لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ" (1).

لقد بيّن الحديث موقفًا من أعظم مواقف العقل والحكمة والرحمة في حياة النبي ﷺ مع أنه موقف رجم إنسان وهو أمر شديد لا محالة، ماعز جاء مقرًا بذنبه يريد أن يتخلص منه في الدنيا قبل حساب الآخرة، وقد شعر النبي ﷺ أن الرجل ارتكب ذنبًا عظيمًا كان باديًا على قسماط وجهه ونبرات صوته، ومع ذلك لم يسأله النبي ﷺ عن ذنبه، فقد أراد أن يتكتم عليه لئلا يقيم عليه حدًا، وهذا من شمائل رحمته ﷺ التي لا يماثله فيه أحد، لكن ماعز كان مصرًا.

وقد جمع النبي ﷺ بين الترغيب والترهيب في موقف آخر أن رغب في ستر عورات المسلمين وإمساك الألسنة عن ذكر الفاحشة إن وقعت فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19].

وعن عبادة بن الصّامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والشيخ بالشيخ جلد مائة والرجم» (2) في الحديث أسلوب التهديد الشديد لمن يبادرون في الزنا والتي هي من أقذر الجرائم التي حذر منها ﷺ الرجال من الوقوع فيها، فأمر برجم ماعز عندما أقر وقوعه في الفاحشة.

فلا يعني أن جلد الزاني غير المحصن ورجم الزاني المحصن ينافي رحمة النبي ﷺ وإنما شرع ذلك للإحصان وللعدل والإنصاف والحكمة ليعم الأمان في المجتمع، وقد سعت رحمته ﷺ لمن وقع في

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم الحديث 16951، ص 810.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد الزاني، رقم الحديث 1690، ص 806.

الفاحشة فدعا إلى التَّعافي والتَّسامح والتَّصالح وعدم رفع الأمر إلى الإمام وهذه من توجيهاته ﷺ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ قال: «تعافوا في الحدود قبل أن تأتونني به فما أتاني من حد فقد وجب»<sup>(1)</sup>، فكان التَّحقيق النَّبوي يبحث له عن أيِّ شبهة حتّى لا يقيم عليه الحدّ ومن ذلك قوله: «ويحك إرجع فاستغفر الله وتب إليه، أبه جنون، أشرب خمراً...» وتركه أن تراجع: «هلا تركتموه لعله يتوب فيتوب الله عليه».

فالإسلام حضّ الرجال على التَّحصن من الوقوع في الجريمة وقَدّم له البديل في إخراج هذه الشَّهوة بالزَّواج إستناداً لقول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> وَلَيْسَتَعْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴿[التَّوْر: 32-33].

وعن عبد الله بن مسعود ؓ أنّ النبي ﷺ قال: «يا معشر الشَّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم فإنّ له وجاء»<sup>(2)</sup>. كما أتاح الإسلام الزَّواج لأنّه أحصّ للنفس من عقوبة الحدّ التي حدّدها، فجاء في حديثه ﷺ مبيناً ذلك ورخص للرجل الزَّواج باثنين أو ثلاثة أو أربع بدل إشاعة الفجور في المجتمع، كما رخص ﷺ عدم المغالاة في المهور تيسيراً وتسهيلاً لأمر الزَّواج حتّى لا يشقّ على أمته فيشمّلها العفاف والسَّتر والإحصان .

ولا يخفى على ما يشتمل عليه الحديث من منهج عاطفي قد برز بمجموعة من السّمات أو الأساليب تجلّت في أسلوب النبي ﷺ الرّاقى واللّين في دعوة أحد الرِّبّاة، فلم يغضب أو يتساهل في إقامة الحدّ عليه، فكان التَّرجيب والتَّرهيب والوعد والوعيد متّسماً بأرقّ العواطف والطفها.

### ج- حثّ الرجال للعدل بين النِّساء مع مراعاة العاطفة

لقد أمر الإسلام بالعدل في كلّ أمور الحياة وفي جميع جوانبها، وذلك لِمَا للعدل من أهمّية عظيمة وفائدة كبيرة في حياة المجتمعات، فبالعدل تستقيم الحياة، والعدل في أصله أن يعطى كلّ ذي

(1) - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشَّفاعة في الحدود إذا رفع إلى السلطان، ج12، رقم الحديث 6788، المرجع السَّابق، ص 87.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، الحديث 5065، ص 1292.



حق حقه دون زيادة أو نقصان<sup>(1)</sup>، أو هو المساواة بين الناس في التصرفات المحسوسة دون إنقاص الحقوق وهو ضد الجور<sup>(2)</sup>.

وقد بين النبي ﷺ للرجال أهمية العدل في التعامل مع الناس من خلال عدله مع نسائه فكان إذا أراد سفرًا أقرع<sup>(\*)</sup> بين نسائه فأَيَّتِهِنَّ كان يخرج سهمها يخرج بها معه<sup>(3)</sup>.  
و هذا الفعل مع زوجاته ﷺ يدل على أهمية إتباع الأزواج المعددين سنته، وتحقيق العدل في الحياة الزوجية الخاصة وفي تعاملهم مع الناس.

بحيث لم يقتصر ﷺ الأمر عن هذا التعامل بل إنه في آخر حياته حينما شعر بدنو أجله استأذن أزواجه -وهو في مرضه- بأن يُمرَض في بيت عائشة رضي الله عنها<sup>(4)</sup>.

وبما أن الإنسان ذو غرائز وميول قد ينحرف به عن المسار الصحيح كأن يميل أكثر إلى هواه وتغلبه غريزته النفسية بأن يميل مع الواحدة دون الأخرى، يؤتى به يوم القيامة بشق مائل يعرضه إلى خطر السقوط عند مروره على الصراط، فحثَّ النبي ﷺ على العدل بين الزوجات وحذر مخبراً عن مصير ومآل من صدر منه حيف أو ظلم في حقهنَّ فقال: «من كانت له امرأتان يميل مع إحداها على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيي ساقط»<sup>(5)</sup>.

(1) - عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج1، المرجع السابق، ص 622.

(2) - يُنْظَر: ابنُ منظور، لسان العرب، مادة عدل، ج11، المصدر السابق، ص430. فيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة العدل ج4، المصدر السابق، ص 13.

(\*) - أقرع: قرع: فيه لَمَّا أتى على مُحسَّر قرع نافته، أي: ضربها بسوطه، القرع: المختار، واقرعتُ الإبل إذا اخترتها، ويُقرع منكم أي: يُختار منكم (يُنْظَر: ابنُ الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطاحي (المكتبة الإسلامية، د، ط، ج4، د، ت)، ص 44.

(3) - غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبغى بذلك رضاء رسول الله ﷺ (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها، رقم الحديث 2593، ص 629)، (وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، في فضائل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث 2445، ج2، ص 1894).

(4) - أخرجه الدارمي في سننه، كتاب النكاح، باب الرجل يكون عنده النسوة، رقم الحديث 2214، ج2، ص 446، وكتاب الجهاد، باب في خروج النبي ﷺ مع بعض نسائه في الغزو، رقم الحديث 2428، ج2، ص 528.

(5) - أبو عبد الله بنُ يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء، حديث 1969، المصدر السابق، ص 633. وقال: هذا حديث صحيح، وذكر صححة هذا الحديث في: الضياء المقدسي أبو عبد الله محمد وآخرون، صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث، تحقيق: حمزة أحمد الزين، حرف الميم (بيروت: دار الكتب العلمية، ج8، 2009م)، ص 215.

وإن كان الميل القلبي بيد الله لا يتحكم فيه الإنسان، إلا أن هناك من الأعمال الكثيرة والأحوال المختلفة التي يستطيع كل زوج فيها أن يراعي الحقوق الشرعية ويستطيع أن يزن تصرفاته فيها بالعدل، وهو ما يحصل الآن من ممارسات سيئة من قبل بعض البعض بأن الخطأ ليس في التشريع وإنما في التطبيق، ولأهمية هذا الضابط في الحياة الزوجية، أشار النبي ﷺ إلى عدم الاستهانة بمشاعر المرأة، وإقتراف الظلم في حقها.

والعدل المأمور به في حديث النبي ﷺ هو التفقة والكسوة وحسن العشرة، أما ميل القلب ليس داخلاً في القسم بين الزوجات، لما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ثم يعدل ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»<sup>(1)</sup> دلالة الحديث هنا -عند أبي داود رحمه الله- عن القلب، وقال الإمام الترمذي: يعني به الحب والمودة<sup>(2)</sup>.

فأشار النبي ﷺ إلى أن الرجل لن يقدر على العدل بين نسائه مهما حاول، لأن للقلب ميول يتأثر بها الرجل تلقائياً دون قصد، فهي في تصرف الله، استناداً لقول المولى عز وجل: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: 129].

وذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره مع الآية: (أي: لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن كان واقع القسم الصوري ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع)<sup>(3)</sup>.

وعليه فإن الرجال مطالبون بالعدل فيما يقدرُوا عليه كالميل والتفقة والهدايا والكلمة الطيبة. ولا يخفى أثر المنهج العاطفي من خلال الاعتبار للعاطفة وملاستها لقلب الرجل وميوله الذي لا دخل له في المساواة، لأنها تحت قدرة الله، وأسلوب التخويف والتحذير لكي يراعي كل زوج حق المرأة العاطفي والمادي والاجتماعي حفاظاً على كيان الأسر.

(1) - سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، البدر المنير في تخریج الأحاديث، تحقيق: ابن صفيّة مجدي بن السيد بن أمين، كتاب النكاح، باب من خصائص الرسول ﷺ، رقم الحديث 34 (دار الهجرة للنشر والتوزيع، د، ط، ج7، د، ت)، ص 481.

(2) - المرجع نفسه، ص 482.

(3) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، ج1، 1418هـ/1997م)، ص 750.

### ثانيًا: دعوة النّبي ﷺ للنّساء بالمنهج العاطفي

إنّ النّاظر لنصوص السنّة والسّيرة النّبوية يرى صورًا مشرقة من خلقه الكريم ﷺ في معاملته للنّاس جميعاً، ولاسيما مع النّساء، وبخاصّةٍ مع أزواجه، له دلالاته وميزته الخاصّة المبنية على سلامة ذوقه، ورقة طباعه، وعمق عاطفته، وقدرته الفدّة على مراعاة مشاعر النّساء وإحترام رغباتهنّ مادامت في حدود الشّرع<sup>(1)</sup> فلن من هديه الرّحمة والرّعاية ما لم تنلّه في أيّ شريعة أو نظام، سواء كانت أمّا، أو أختًا، أو زوجة أو غير ذلك.

وقد شوهد له ﷺ مواقف كثيرة خاطب فيها النّساء خطابًا مباشرًا، وخصّها بخطاب مستقلّ عن الرّجال، وذلك إكرامًا لها ورفعًا شأنها وقيمة مكانتها في المجتمع، باعتبارها دعامة البيت وأساسه من خلال التّربية الصّحيحة للأبناء وتوجيههم الوجهة الصّحيحة، فشمل خطابه بمواعظ بالغة شملت قضايا متعدّدة، فاهتمّ بالقضايا السلوكيّة والأخلاقية والعبادات والمعاملات وغيرها من المجالات الأخرى، وهو أثناء دعوته لمن كان يحرس على إختيار الأساليب المناسبة ولاسيما العاطفية منها وبالوسائل الملائمة وفقًا لظروفهنّ وأحوالهن فكان يعظهنّ ويعلمهنّ.

وقد ترك ﷺ في سيرته منهجًا ومنهلاً عذبًا يستقي منه الدعاة على مرّ الأزمنة ليسيروا على نهجه في دعوتهم للنّساء، ومن ضمن ما خصّه النّبي ﷺ في دعوته للنّساء جملة من الأساليب العاطفية الرّائعة نذكرها كالآتي:

#### أ- رحمة النّبي ﷺ بزوجاته من النّساء

كان النّبي ﷺ يظهر رحمته بالنّساء بأكثر من طريقة وأكثر من موقفٍ وما أعجبها وأروعها، ثمّ إنّ زوجاته كان لهنّ النّصيب الأوفر من هذه الرّحمة النّبوية، فكان - ﷺ - يحنو عليهنّ ويعينهنّ، فيقيم بيته بيده ويحلب الشّاة، ويخز النعل، ويتلطّف إليهن، ويداري غضبهنّ، ويعدل بينهن، ويراعي ما جُبّلن عليه من الغيرة ويحتمل هفواتهنّ، ويرفق بصغيرتهنّ، فلهنّ حياة خاصّة مع النّبي ﷺ نجدها مليئة بالعبّر دافقة بالخير.

فشهد عليه ﷺ مواقف عظيمة أثبتت رحمته بأزواجه وحسن تعامله معهنّ منها:

(1) - يُنظر: أكرم ضياء العمري، السّيرة النّبوية الصّحيحة (مكتبة العلوم والحكم، ط6، مج 2، 1415هـ/1994م)، ص643.

ما قالته السيّدّة عائشة رضي الله عنها: «ما غرثُ على أحدٍ من نساءِ النبي ﷺ ما غرت على خديجة، ولقد هلكْتُ قبل أن يتزوَّجني بثلاث سنين، لما كُنْتُ أسمعُه يذكُرُها»<sup>(\*)</sup>، ولقد أمرُه ربُّه عزَّ وجل أن يُبشِّرَها ببَيْتٍ من قَصَبٍ في الجنَّةِ وإن كان لِيَذْبُحُ الشاةَ ثم يهديها إلى خلائلها»<sup>(1)</sup>.

وجاء في الصَّحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد -أخت خديجة- على رسول الله ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانًا<sup>(\*)</sup> خديجة، فارتاع لذلك، فقال: اللَّهُم هالَةَ، قالت عائشة: غرت<sup>(\*)</sup>»<sup>(2)</sup> فلم يمنعه ﷺ حُبُّه لعائشة رضي الله عنها أن يصرِّح بفضل خديجة ومكانتها في قلبه، ولو في ذلك الموقف الذي ظهرت فيه غيرتها، بل لم يكتفِ حُبُّه لها، وقد مضت على وفاتها أكثر من خمس سنين؟<sup>(3)</sup> فقال لعائشة رضي الله عنها: «إِنِّي رَزَقْتُ حُبُّهَا<sup>(\*)</sup>»<sup>(4)</sup> فما أعظم وفاءه، وأرحب قلبه، وما أجمل ما قاله عن خديجة رضي الله عنها، فالتبَّي ﷺ لا يجدُ غضاضةً في أن يَحِبَّ إمرأته، وأن يصارحها بذلك معبراً عن عاطفة خيرة، بينما يكتفون من الأزواج عواطفهم تجاه أزواجهم لئلاَّ يחדش كبريائهم، أو يقل احترامهم فيما يحسبون وهم في هذا مخطئون<sup>(5)</sup>، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: عائشة»<sup>(6)</sup>.

(\*) - لما كُنْتُ أسمعُه يذكُرُها: أي: يُنَبِّئُ عليها محبَّته لها (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، رقم الحديث 2435، ص 1889).

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج خديجة وفضلها رضي الله عنها، رقم الحديث 3818، ص 935. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، رقم الحديث 2435، ص 1889.

(\*) - استئذان خديجة: أي: صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكَّر خديجة بذلك، (صحيح مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث، 2437، ص 1889).

(\*) - غَرْتُ: الغيرة هي الحمية والأنفة، يقال: رجلٌ غيور و امرأةٌ غيورة، بلا هاء، لأنَّ فعولاً يشترك فيه الذَّكَرُ والأنثى، وما الأولى نافية، والثَّانية مصدرية أو موصولة، أي: ما غرت مثل غيرتي أو مثل التي غرَّتها على خديجة (المصدر نفسه، ص 1889).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، رقم الحديث 3821، ص 934، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث، 2437، ص 1889.

(3) - أكرم ضياء العمري، الرِّسالة والرَّسول (مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 1410هـ/1990م)، ص 99.

(\*) - رَزَقْتُ حُبُّهَا: فيه إشارة إلى أنَّ حُبَّها فضيلة حصلت (مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث 2435، ص 1888).

(4) - المصدر نفسه، ص 1888.

(5) - أكرم ضياء العمري، الرِّسالة والرَّسول، المرجع السَّابق، ص 99.

(6) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث، 2440، ص 1891.

وكان من رحمته ﷺ مراعاة صغر سن عائشة رضي الله عنها ولعبها مع صديقاتها، تزوي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: «كنت أَلعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن<sup>(\*)</sup> منه فيسربهن<sup>(\*)</sup> إلي فيلعبن معي»<sup>(1)</sup>.

وكان ﷺ كثير الترفق والتلطّف معهنّ بالكلام، فقال مرّة لعائشة رضي الله عنها: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبي، قالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أمّا إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا وربّ محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا وربّ إبراهيم، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك»<sup>(2)</sup>.

ومن لطيف معاملته ﷺ أنّه كان يشرب من موضع شرب زوجته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنتُ أشربُ وأنا حائضٌ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضعُ فاه على موضعٍ فيّ فيشرب، وأنعرقُ العرقَ وأنا حائضٌ، ثم أناوله النبي ﷺ فيضعُ فاه على موضعٍ فيّ»<sup>(3)</sup> فقد كان النبي ﷺ جميل العشرة بأهله، يتلطّف ويرفّق بهنّ.

وكان ﷺ يواسي الحزينة من زوجاته ويعطفُ على المريضة منهنّ، فلا يترك واحدة وحدها تعاني ممّا نزل بها، بل يقفُ بجانبها، ويعرف مشكلتها حتّى يجد لها حلاً، فهذه عائشة رضي الله عنها عندما حاضت في الحجّ دخل عليها وهي تبكي، فقال: «ما لك أنfst؟»، قالت: نعم، قال:، إنّ هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاجّ غير أنّ لا تطوين بالبيت»<sup>(4)</sup>.

كانت هذه الكلمات التي واسى بها النبي ﷺ زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أعذب الكلمات وأرقها مواساةً لخاطرهما، وتطيب لفسهما، وتذكيرها بأنّها ليست وحدها يحصل لها هذا الأمر، بل هو شيء قد كتبه الله على بنات آدم، ثمّ بعد ذلك علّمها كيف تعمل حتّى تتمّ نسكها.

(\*) - يتقمعن: أي: يتغيّين حياءً منه وهيبة، وقيل يدخلن في بيت ونحوه، وهو قريب من الأول (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث، 2440، ص 1891).

(\*) - يُسربهنّ: أي: يرسلهنّ (المصدر نفسه، ص 1891).

(1) - المصدر نفسه، ص 1890.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النّكاح، باب غيرة النّساء ووجدهنّ، رقم الحديث 5228، ص 1332. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث. 2439، ص 1890.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، رقم الحديث 300، ص 244.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب الأمر بالنّفساء إذا نفست، رقم الحديث 294، ص 82.

وهذه أم المؤمنين صفية رضي الله عنها كانت معه ﷺ في سفر، وكان ذلك يومها فأبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: «حملني على بعير بطيء، فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويُسكتها»<sup>(1)</sup>.

وأحياناً فاقت رحمة النبي ﷺ رحمة الأب، فأبو عائشة رضي الله عنها -أبو بكر الصديق ﷺ- عندما أراد أن يعاقبها على خطئها، برحمته وحبه لها حجز عنها أباه.

لننظر إلى هذه الرحمت وجمالية مشاعر النبي ﷺ وعواطفه الدافقة، فما أطف عشرته مع نسائه وما أروعها، كانت في غاية من الرفق وقمة في الحب والحنان، وما أحسن خلقه وتعامله معهن خصوصاً أمام المواقف المحرجة، فكان رفيق القلب، سهل المعاملة، بشوش الوجه، حسن المعاشرة مع زوجاته، ولا سيما مع السيدة عائشة رضي الله عنها، فكان إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عرقاً -وهو العظم الذي عليه لحم- أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ في حجرها ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب، ويربها الحبشة وهم يلعبون في مسجده، وهي متكئة على منكبيه تنظر، وسابقتها في السفر على الأقدام مرتين وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة<sup>(2)</sup>.

وكان إذا أراد سفرأ أقرع بين نسائه فأئيهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، ولم يقض للبواقي شيئاً<sup>(3)</sup>.

وإذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل، إنقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل، فقالت عنه عائشة رضي الله عنها: «كان لا يفضل بعضنا على بعض

(1) - أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، أبواب الملاعبة كم تُهجر، تحقيق حسن عبد المنعم شلي، رقم الحديث 9117 (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ج8، 1421هـ/2001م)، ص 261. وحسن إسناد ضياء الدين المقدسي (يُنظر: الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، 106/5).

(2) - يوسف القرضاوي، الورع والزهد (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1431هـ/2010م)، ص 181.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، رقم الحديث 2138 (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 272. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

في مُكْتَبِهِ عِنْدَنَا، فِي الْقَسَمِ، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيَسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ فِي يَوْمِهَا، فَيَبِيتُ عِنْدَهَا»<sup>(1)</sup>.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ الْحَثُّ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ بِالْأَرَامِلِ مِنَ النِّسَاءِ فَكَانَ أَشَدُّ وَأَوْفَى، فَجَدَّه يَرْفَعُ مِنْ قَدَرِ الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِشُؤْنِ الْأَرْمَلَةِ إِلَى مَرَاتِبِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالصَّائِمِينَ فَقَالَ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ»<sup>(2)</sup> فَأَيُّ رَحْمَةٍ هَذِهِ، وَأَيُّ قَلْبٍ هَذَا يَحْمِلُهُ النَّبِيُّ ﷺ، مُشَاعِرٌ لَا يَمَازِلُهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَقَدْ كَانَ أَسْبَقَ النَّاسِ فِي رِعَايَةِ النَّاسِ وَخِدْمَةِ الْإِيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ، يَرْوِي الصَّحَابِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «كَانَ لَا يَأْنِفُ وَلَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، فَيَقْضِي لَهَا حَاجَتَهُمَا»<sup>(3)</sup> وَيَقُولُ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْشِي مَعَ الْمَسْكِينِ وَالْأَرْمَلَةِ ... فِي حَاجَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا أَنْفَةٍ)<sup>(4)</sup>.

وَالْأَجْمَلُ مِنْ دُرَرِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ، رَحْمَتُهُ بِالْإِمَاءِ، وَهَنْ الرِّقِيقِ مِنَ النِّسَاءِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَةُ<sup>(\*)</sup> مِنْ إِمَاءٍ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِتَأْخُذَ بِبَيْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ الْأَمْكَنَةِ، وَلَوْ كَانَتْ حَاجَتُهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ»<sup>(5)</sup> يَعْلُقُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَأْنِ التَّعْبِيرِ بِالْبَيْدِ

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النِّكَاحِ، باب في القسم بين النساء، رقم الحديث 2135، المصدر السابق، ص 273. ومحمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب النِّكَاحِ، باب القسم بين النساء رقم الحديث 1852. (الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط 1 مج 6، 1423هـ/2002م)، ص 352. وقال: إسناده حسنٌ صحيحٌ، وقال الحاكم: صحيحٌ، ووافقه الذهبي، إسناده حدثنا أحمد بنُ يونس: ثنا عبد الرحمن بنُ أبي الزناد عن هشام بنُ عروة عن أبيه، وهذا إسناده حسنٌ، رجاله ثقات رجال الشَّيْخَيْنِ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ أَبِي الزِّنَادِ إِنَّمَا أَخْرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا، وَمُسْلِمٌ فِي الْمَقْدَمَةِ.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التَّفَقُّاتِ، باب فضل التَّفَقُّةِ عَلَى الْأَهْلِ، رقم الحديث 5351، ص 1363.

(3) - أخرجه الدَّارِمِيُّ فِي سَنَنِهِ، الْمَقْدَمَةُ، بَابِ تَوَاضَعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم الحديث 74 (دار الكتب العلمية، ط 1، ج 1، 1996م)، ص 29، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني: حديث صحيح .

(4) - عبد الله بنُ سعيد بنُ محمد عبادي اللَّحْجِي الحَضْرَمِيُّ، مَتْنُهُ السُّؤَالُ عَلَى وَسَائِلِ الْوُصُولِ إِلَى شَمَائِلِ الرَّسُولِ ﷺ (جَدَّة: دار المنهاج، ط 3، ج 2، 1426هـ/2005م)، ص 576.

(\*) - الْأُمَةُ: الْمَرْأَةُ الْمَمْلُوكَةُ، دُونَ الْحُرَّةِ (ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، فَتْحُ الْبَارِي، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الْكِبَرِ، 6072، ج 10، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 490) وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهَا! وَفِي بَعْضِ الْحَوَاشِي أَهْمَا "أَمْ زَفَر" مَاشِطَةٌ خَدِيجَةٌ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ. وَنَوَزَ فِيهِ، وَتَرَدَّدَ الْبَرْهَانُ الْحَلَبِيُّ فِي الْمَقْتَضَى فِي أَهْمَا هِيَ أَوْ غَيْرُهَا، وَجَزَمَ غَيْرُهُ بِأَهْمَا هِيَ، لَكِنْ نَوَزَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ أَيْ: أُرِيدُ أَنْ أَخْفِيَهَا عَنْ غَيْرِكَ، قَالَ الْقَارِي. (يُنْظَرُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ بنُ مُحَمَّدٍ عِبَادِي اللَّحْجِي الْحَضْرَمِيُّ، مَتْنُهُ السُّؤَالُ عَلَى وَسَائِلِ الْوُصُولِ إِلَى شَمَائِلِ الرَّسُولِ ﷺ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 577).

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث 6072، ص 1520.



فيقول: (وهذا إشارة إلى غاية التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست مساعدته في تلك الحالة لمساعدتها على ذلك بالخروج معها، وهذا من مزيد تواضعه ﷺ وبراءته من جميع أنواع الكبر)<sup>(1)</sup>.

#### ب- النهي عن السُّخْرية والغيرة وسلامة الصدر من الأحقاد

حرص النبي ﷺ على سلامة قلب المرأة بأن نهاها عن السُّخْرية والغيبة والنميمة التي تجلب لها الضَّغينة والأحقاد وتدفع عنها الطُّمأنينة والراحة، لكون سلامة الصدر سلوك قلبي عميق ومشاعر إنسانية رقيقة قائمة على الحبِّ والصِّدق والاطمئنان، وقد تجسَّد هذا السلوك بوضوح في حديث السيِّدة عائشة رضي الله عنها أن قالت: «حكيت للنبي ﷺ رجلاً فقال: ما يسرني أني حكيت رجلاً وأنَّ لي كذا وكذا، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنَّ صفية امرأة، وقالت بيدها: هكذا، كأنَّها تعني قصيرة، فقال ﷺ: لقد مزجت بكلمة لو مزجت بها ماء البحر لمزج»<sup>(2)</sup>.

أظهر هذا الحديث موقفاً إنسانياً وأخلاقياً بالدرجة الأولى كان نتيجه تصرُّف السيِّدة عائشة رضي الله عنها تجاه السيِّدة صفية رضي الله عنها، أنكر فيه ﷺ كلامها في ضرِّتها، ووضَّح لها خطورة كلمتها، بأنَّها في الغيبة وهي محرمة.

ومع محبَّته ﷺ لعائشة لم يتعنَّف معها ولم يغضب من تصرُّفها، وإنَّما استخدم معها أسلوب حكيم وهادئ في غاية من الرِّقِّ والشفقة، بأنَّ أبان لها كراهيته للحديث عن النَّاس وخطورة السُّخْرية بهم، جاء في يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: 11].

لهذا زجر النبي ﷺ وغضب حينما أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بيدها قصر صفية، وبين أنَّ فعلها هذا بالقول: «لو مزج به ماء البحر لمزج» والحديث في النَّاس بما يكرهون أو يجرح مشاعرهم وهو نوع من الغيبة.

(1) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث 6072، ص 1520.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في الشَّجاعة، رقم الحديث 2502، ج 4، المصدر السابق، ص 660. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ. وفي سنن الترمذي، تحقيق: رائد يُن صبري بُن أبي علفة، رقم الحديث 2502، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط 2، 1436هـ/2015م)، ص 491.

هذا عند استعمال السيِّدة عائشة بالإشارة فقط فما بال الإشارة بالقول، وقد نهى ﷺ الذكر باللسان لما فيه من يفهم الغير نقصان أخيه وتعريفه بما يكرهه، وكذلك التعريض والتّصريح سواء أكان بالقول أو الفعل كالإشارة أو الإيماء والغمز والهمز وغيرها كثير<sup>(1)</sup>.

فقصد ﷺ بذلك نهيه للنساء عامّة من آفة الغيبة والنميمة والتي تولّد أمراضاً قلبية وعدائية وسلوكية خطيرة، قد تهوي بالعديد منهنّ إلى ما لا يحمّد عقباه.

كما قصد نجّاهنّ من الجزاء الذي أعدّه الله لمرتكي هذا الآفة في اللسان، ومعالجة قلوبهنّ وصدورهنّ من الأحقاد فكان رحمة منه وخشية عليهن.

وأحياناً يقع النبي ﷺ في مواقف محرّجة من غيرة زوجاته، فنجدّه ﷺ يقدّر موقفهنّ ويرحم ضعفهنّ ويعذر غيرتهنّ ولا ينفعل بل يسامح ويعفو، وهو ما حدث من السيِّدة عائشة رضي الله عنها حينما أرسلت إحدى زوجاته فأرسلت بقصعة فيها طعام، فضربت يد رسول الله ﷺ فسقطت القصعة، فانكسرت، فأخذ ﷺ الكسرتين فضمّ إحداها إلى الأخرى، فجعل يجمع فيها الطعام، ويقول: غارت أمكم، كلوا، فأكلوا فأمسك حتّى جاءت بقصعتها التي في بيتها، فدفّع القصعة الصّحيحة إلى الرّسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها<sup>(2)</sup> وهو من العادة المتقرّرة في نفس الضرة من الغيرة، بحيث لا تقدر على دفعها، وهذا لما فيه دلالة على حسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه<sup>(3)</sup>.

يعلّق الإمام ابن العربي رحمه الله عن أسلوب النبي ﷺ وحسن معالجته للموقف قائلاً: (وكأنّه إنّما لم يؤثّر الكاسرة، ولو بالكلام لما وقع منها من التعديّ لما فهم أنّ التي أهدت أرادت بذلك أذى التي هو في بيتها، والمظاهرة عليها، فاقصر على تغريمها للقصعة، قال: (وإنّما يغرمها الطعام)، لأنّه كان مهدي فإتلافهم له قبول في حكم القبول)<sup>(4)</sup>.

(1) - يُنظَر: محمّد جمال الدين القاسمي الدمشقي، موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدّين، تحقيق: عاصم بحجه البيطار (بيروت: دار النَّفّائس، ط1، 1401هـ/1981م)، ص ص 298، 299.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره، رقم الحديث 2481، ص 601.

(3) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره، رقم الحديث 3481، ج5، المرجع السّابق، ص 135.

(4) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره، رقم الحديث 3481، ج5، المرجع السّابق، ص 137.

وفيه ﷺ الإشارة إلى عدم مؤاخذه الغيراء بما يصدر منها، لأنّها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدّة الغضب الذي أثارته الغيرة<sup>(1)</sup>.

كما حرص على تعليم وتوجيه الزّوجة وإرشادها إلى الخير والصّواب بأسلوبٍ لطيفٍ وعاطفي رائع، جاء عن أنس رضي الله عنه قال: «بلغ صفيّة أن حفصة قالت: بنتٌ يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ فقال: ما شأنك؟ قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لبنتٌ نبي وإنّ عمك لنبيّ وإنك لتحت نبي فبم تفخرُ عليك؟! ثمّ قال: اتقي الله يا حفصة ..»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية كنانة قال لها النبي ﷺ: «يا بنت حبي ما يبكيك؟! قلت: بلغني أن حفصة وعائشة ينالان مني ويقولان: نحن خير منها؛ نحن بنات عمّ رسول الله ﷺ وأزواجه. قال: ألا قلت: كيف تكونان خيرا مني وأبي هارون وعمّي موسى وزوجي محمّد»<sup>(3)</sup>.

واجه النبي ﷺ مواقف محرّجة في توجيه نسائه، فتعامل معهنّ بحكمة وروية وهدوء بعيداً عن العصبية والانفعالات والقرارات المتسرّعة، وبالذّات موقف الغيرة بين زوجاته ما بين عائشة وحفصة وصفيّة، إذ لم يزد أن قال لحفصة: «اتقي الله يا حفصة» وهذا الهدوء في التّوجيه والتّنبية غاية في الجمال وغاية في الرّفق، أبانت جمالية أسلوب النبي ﷺ ورقة قلبه وسماحته، إذ لم يتعنّف ولم يتضجّر من موقفهنّ بل عاجل الموقف بمنهج عاطفي رائع.

وهذا المنهج وهذه الرّؤية كفيّلان بوادٍ كثير من الفتن في مهدها والقضاء على الكثير من النزاعات في بدايتها خصوصاً النزاعات الزوجية، والنّبي ﷺ ضرب المثل الأعلى لكلّ الأزواج في كيفيات مواجهتهم لمثل هذه المواقف المحرّجة، وما أكثرها بين الزّوجات، فالحكمة تعني وضع الشّيء في موضعه المناسب، بمعنى أنّ اللّين له وقته والشّدّة لها وقتها، والحكيم هو من يحسن تقدير الموقف وتحديد ردة الفعل المناسبة، فإذا لم يراع ذلك فكانت القوّة على طول الخط هي المسيطرة، وكان اللّين المنهج الوحيد المتّبع أو استخدمهما معاً في موقفٍ آخر لتفاقم المشكلة وقد يُستعصى حلّها.

وعليه فالدّاعية أمام هذا التّعامل النبوي الرّاقى في حلّ المشكلات الزوجية الإستفادة مما يلي:

- يلتزم الهدوء والرّصانة والرّزانة في حلّ مشكلاته الزوجية.

(1) - أميرة بنت علي الصاعدي، بحث: هدي النبي ﷺ في التّعامل مع أهل بيته، د، ت، ص 35.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم الحديث 3894، ج 6، المصدر السّابق، ص

188. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه، ص 187.

(3) - المصدر نفسه، ص 187.

- مجانبة الإنفعال الذي يؤدي إلى تعقّد المشكلة وإزدياد حجم التوتّر بين العلاقات.
- يسعى جاهداً في تخلية المجتمعات من هذه الآفات السلوكية النَّاسفة للودّ، فربّ كلمة لا يلقي لها صاحبها بالاً تحفر في النَّفس خنادق البغضاء والشحناء.
- إلزام أسلوب الحكمة فالنبي ﷺ بروحه العذبة والرّصينة استطاع بحكمته معالجة المشكل بهدوء ولين.
- أن يكون هدفه نزع فتيل الإحن وسلامة الصُّدور وإحسان الظنّ بالآخرين.

### ج- ترغيب المرأة في الإهداء لجارتها والإحسان إليها

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن<sup>(\*)</sup> شاة»<sup>(1)</sup> فقله "فرسن شاة" فيه إشارة إلى المبالغة في إهداء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن، لأنّه لم تجر العادة بإهدائه، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله، بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من العدم، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أي: لا تحقرن أن تهدى إليها شيئاً ولو أنّها تهدى جارتها ما ينتفع به في الغالب وهو كناية عن التّحابب والتّوادد وخصّ النهي بالنّساء لأنّهنّ موارد المودّة والبغضاء ولأنّهنّ أسرع إنفعالاً في كلّ منهما)<sup>(2)</sup>.

فقد دعا النبي ﷺ النّساء إلى التّهادي والتّحابب ولو باليسير، لأنّ الكثير قد لا يتيسّر كلّ وقت، فقد رفع المشقّة ومنح اليسر حتّى لا يمتنع الإهداء ويستمر التّهادي والتّحابب والألفة بين النّاس، وإذا تواصل اليسير صار كثيراً.

ومن جهة أخرى رغبنّ إلى بذل الهبة والهدية عن طريق البذل والعطاء والإحسان بمن هم بجوارهن عن طريق الهدية.

والهدية بدورها لها فعل السّحر في إلانة القلوب وترقيقها، تذيب ما يتراكم في القلوب من مواقف كانت سداً بين أصحابها، فكان ﷺ مواقف تدلي بقبوله للهدية وتعظيمها منها:

(\*) - الفَرْسَن: عظم قليل اللحم، وهو خفّ البعير، الحافر للدّابة، وقد يستعار للشّاة فيقال: فرسن الشاة والذي للشّاة هو الظلّف (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزّاوي، باب الفاء مع الرّاء (المكتبة الإسلامية، ج3، د، ت)، ص 429.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها، رقم الحديث 6018 (القاهرة: دار التّقوى للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1434هـ/2012م)، ص 748.

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا تحقرن الجارة لجارتها، ج4، المرجع السّابق، ص 444.

كان إذا أُتيَ بطعام سأل عنه أهديّة أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة قال لأصحابه: كلّوا، ولم يأكل، وإن قيل: هديّة، ضَرَبَ بيده ﷺ فأكل معهم<sup>(1)</sup>، وقال ﷺ: «تهادوا فإنّ الهدية تذهب وَحَر (\*) الصَّدْر»<sup>(2)</sup>.

وكما فعل ﷺ مع صفوان بن أمية ﷺ قبل أن يُسلم، حينما أعطاه واديّين من الإبل والغنم، فأسلم وحسن إسلامه<sup>(3)</sup>، بل وسخر كل ما يملك في خدمة الإسلام. وكان يقبل ﷺ الهدية من الكفار، كهديّة كسرى، وقيصر، والمقوقس، كلّ ذلك للأثر الذي يحدثه أسلوب التّوَادد بالهدايا والعطايا.

وبالعودة إلى حديث أبي هريرة ﷺ نجد أنّ النبي ﷺ ارتكز على مظهر مهمّ من مظاهر السُّخْرية واحتقار الآخرين والتّقليل من شأنهم، قد تفشى وانتشر بين العديد من النّساء، متمثّل في احتقار الهدية والتّقليل من شأنها، ولتخليص النفوس من هذه الآفة، فقد سهّل ﷺ على النّساء هذا الأمر، وأمرهنّ بعدم التّكلف في الهدية، كما نهى عن عدم احتقارها مهما قلّ شأنها أو رخصت قيمتها، وقد كان ﷺ يقبل الهدية، ويثيب عليها<sup>(4)</sup>، ويدعو إلى قبولها، ويرغب فيها، فقال في شأنها: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى كُرَاع (\*) لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ»<sup>(5)</sup>.

كما في الحديث أسلوب ترغيب النبي ﷺ في الهدية لأثرها الفاعل في النفوس والعواطف، وزرع بذور المحبة وإزالة الأحقاد بين النّاس.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية، رقم الحديث 2576، ص 625.

(\*) - وَحَرَ: وهو الغلّ، والبُغْض (سنن الترمذي، كتاب الولاء والهبة عن رسول الله ﷺ، باب في حثّ النبي ﷺ على التّهادي، رقم الحديث 2130، ج4، المصدر السّابق، ص 442).

(2) - المصدر نفسه، ص 442. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأبو معشر اسمه نجيح مولى بني هاشم وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

(3) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ فقال: «لا، وكثرة عطائه»، رقم الحديث 2311، ص 1805.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب المكافأة في الهبة، رقم الحديث 2585، ص 627.

(\*) - الْكُرَاع: مستدق السّاق من الغنم والبقر العاري من اللّحم (يُنْظَر: فتح الباري، كتاب النّكاح، باب من أجاب إلى كراع، رقم الحديث 4883، ج3، ص 155).

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النّكاح، باب من أجاب إلى كراع، رقم الحديث 5178، ص 1319.

كما دعا النبي ﷺ ترغيبه للنساء في النفقة والهدية للأقارب، لما فيها من الأجر والفضل العظيم، فعن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة في زمان النبي، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو أعطيتها أحوالك كان أعظم لأجرك»<sup>(1)</sup>.

وفي توجيهه لزينب امرأة بن مسعود رضي الله عنها والذي جاء فيه: «زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهما»<sup>(2)</sup>.

وبين ﷺ لمن وسائل حسن معاملة الجيران عن طريق البذل والعطاء والحرص على الإحسان إلى من حولهم لمن هم بجوارهم لتأليف قلوبهم على المحبة، كما أرشدتهن إلى مراعاة الأقرب، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله إن لي جارتين فإلى أيهما أهدي قال: إلى أقربهما منك بابا»<sup>(3)</sup>.

ولما للهدية هبة من فضل كبير وأثر عظيم في النفوس فإنها تعمل على إزالة الضغائن والأحقاد والتقرب إلى الآخر بالموودة والزلفي، لدرجة أن الإمام البخاري بؤب في كتابه كتابا عنوانه: "كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها".

فبعد الإهداء من الخواطر النفسية التي رغب بها علماء النفس من أجل حفز المدعو على قبول ما يراه منه، وهو ما كان يدعو إليه النبي ﷺ ويستخدمه في دعوته، حيث كان يكثر العطاء والإهداء للمسلمين الجدد ولأصحابه كسبا لقلوبهم وتثبيتا لهم على الاستقامة، وإعانة لهم عند الحاجة: (فكم حوّل قلوب عدد من أعدائه من الكره إلى المحبة وبدّل مواقفهم من العداوة إلى الصداقة وبدّل سلوكهم من المعصية إلى الطاعة)<sup>(4)</sup>.

لذا فهي تعتبر من الوسائل الهامة في الدعوة إلى الله لآثارها الواضحة في النفوس تذهب وحر الصدر وحقده وغيضه، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: (الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة... ومن فضل الهدية مع إتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدي إليه رنة في اللقاء والجلوس)<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، رقم الحديث 2592، ص 629.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم الحديث 1462، ص 356.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشفعة، باب أي الجوار أقرب؟، رقم الحديث 2259، ص 276.

(4) - الجوهرة بنت صالح بن حمود الطريفي، بحث: بعنوان الهدية وأثرها في الدعوة إلى الله، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، دت، ص 35.

(5) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، المصدر السابق، ص 184.

لذلك من بين الوسائل التي دعا إليها النبي ﷺ وحثَّ على استخدامها في الدعوة هي وسيلة الهدايا وأسلوب العطاء باعتبارهما مؤدّية إلى غرس مشاعر المودّة والرّحمة والحبّ بين النّاس، ولا سيما بين الدّاعية والمدعو، والنّبي ﷺ بأسلوبه أراد أن يثبت في الأذهان فضائل الهدية وأثارها العظيمة في كسب القلوب واستمالتها والتي لا يمكن الإستهانة بها سواء على المستوى الشّخصي أو الدّعوي أو المجتمعي.

وعليه يمكن القول بأنّ أحاديث النّبي ﷺ ومواقفه السّالفة أشارت إلى مجموعة من العبر التي يستفيد منها الدّاعية في حياته ودعوته وهي:

- التّهي عن الإحتقار الذي يسبّبه الكبر على النّاس والتقليل من شأنهم، والدّاعية إلى الله عليه أن يوضّح هذا الأمر ويطبّقه في واقعه، ويحذّر منه وينهى عنه، وقد نهى النّبي ﷺ عن الكبر فقال: «لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر»<sup>(1)</sup> والكبر هو بطرُ الحقّ<sup>(\*)</sup> وغمط<sup>(\*)</sup> النّاس<sup>(2)</sup>، كان ملمح حديث النّبي ﷺ يشير بأنّ الدّاعية إلى الله لن يصل إلى قلوب النّاس وأفئدتهم إلّا بخفض الجناح ولين الجانب، والتّواضع الذي يزدّه رفعةً وعلوّاً وتمكيناً، يقول النّبي ﷺ عنه: «وما تواضع أحدٌ لله إلّا رفعه الله»<sup>(3)</sup>.

وقال: «ألا أخبركم بأهل الجنّة كلّ ضعيفٍ مُتّضعِفٍ لو أقسم على الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النّار؟ كلّ عُتْلٍ<sup>(\*)</sup> جَوَّازٍ<sup>(\*)</sup> مستكبرٍ»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم الحديث 91، ص 93.

(\*) - بطرُ الحقّ: هو دفعه وإنكاره ترفّعاً وتجبراً (المصدر نفسه، ص 93).

(\*) - غمطُ النّاس: معناه احتقارهم (المصدر نفسه، ص 93).

(2) - المصدر نفسه، ص 93.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب استحباب العفو والتّواضع، رقم الحديث 2588، ص 2001.

(\*) - عُتْلٌ: وهو الشّدّيد الجافي، والفظّ، الغليظ من النّاس (ائتُ الأثير، النّهاية في غريب الأثر، حرف العين، ج 3، المرجع السّابق، ص 180).

(\*) - جَوَّازٌ: الجُمُوع المتّوع: وقيل الكثير اللّحم المختال في مشيته: وقيل القصير البطين (المرجع السّابق، ج 1، ص 316).

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث 6071، ص 1520.



- الدَّعوة إلى التَّهادي ولو باليسير فالهدية تجلب المودة والمحبة وتذهب الشَّحناء والبغضاء وتعمل على إثارة الأحاسيس ودفع المشاعر، والنبي ﷺ لأهميتها في الدَّعوة وفي العلاقات الإجتماعية عَظَم شأنها وأمر بها.

- أن يكون غرضه من الهدية لتأليف القلوب، وجلب المحبة وإدخال السرور على النَّفس خاصَّة وقت الشَّدائد، وتنفيس كربة أو في فرح الإنسان فهي مؤازرة.

#### د- ترهيب النساء من التَّبَرُّج والسُّفور

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَّاطُ كَاذِبَاتٍ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٍ عَارِيَّاتٍ، مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحُهَا لِيُوجِدَنَّ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا »<sup>(1)</sup>.

في الحديث أسلوب ترهيب النبي ﷺ للنساء من التَّبَرُّج والسُّفور الذي يظهر محاسنهنَّ وجميع مفاتنهنَّ فنجدهُ يُعَبِّرُ عن وضعهنَّ بالقول: «ونساء كاسيات عاريات».

فالنبي ﷺ حين ينهى النساء عن التَّبَرُّج فإنه يغرس أهمية التَّسْتُرِّ والاحتشام الذي هو أحسن لهنَّ تجلَّى أمره للمرأة بالاحتشام في الصَّلَاة عند بلوغها بقوله: « لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار »<sup>2</sup> فإذا كانت المرأة عند بلوغها مأمورة بالتَّسْتُرِّ والاحتشام في صلاتها وداخل بيتها فالتَّسْتُرُّ والاحتشام خارج البيت أولى من داخله، ومن ذلك لعدم التَّضَرُّر والوقوع في الفاحشة التي تنجرف ورائها فتن جراء إظهار ما تيسر لهنَّ من الزَّينة فيطمع من في قلبه مرض، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهَا ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ [الأحزاب: 59] فنهيه هنا دلالة على مشاعره الفذة تجاه نساء المسلمين بالخوف عليهنَّ من الوقوع في الفواحش والمفاتن التي جرفت العديد منهنَّ إلى مالا يُحمدُ عقباه، والحرص على عَفَّتِهِنَّ وطهارتِهِنَّ ليعش الأمان والعفاف، ولتجنُّب ذلك أبان عقوبة من كانت في صنف الكاسيات العاريات بغرض قذف الرَّهبة في قلوبهنَّ فيتمسَّكنَّ بالعَقَّة والسَّتر، يقول الشَّيْخ ابنُ باز رحمه الله: (أمر

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزَّينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم الحديث 2128، ص 1021.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، كتاب الصَّلَاة، باب المرأة تصلي بغير خمار، رقم الحديث 641 (الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 86.

الله جميع نساء المؤمنين بإدناء جلايبهنَّ على محاسنهنَّ من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفنَّ بالعفة فلا يفتتنَّ ولا يفتنَّ غيرهنَّ فيؤذيهنَّ<sup>(1)</sup>.

والدعاة مدعوون للاهتمام بفئة النساء والتوقف عند بعض الصفات التي تتصف بها المرأة مراعاة لجنسها وكيانها وضعفها البنيوي، وما تتصف به من العاطفة والرقة والعطاء، فيستدعي منهم تكثيف نشاطهم الدعوي لهداية النساء لأن المرأة لا تزال في نظر عبّاد الشهوات والمال وسيلة لتدمير الأخلاق، وأن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها ومنع لأيّة آثار سلبية تتركها في المجتمع.

### المطلب الثاني: دعوة المسلمين باعتبار السنّ (فئة الضعفاء)

إنّ الحديث عن منهج النبي ﷺ في دعوته أمراً جدير بالاهتمام، لا يمكن الإستهانة به أو التقليل من شأنه، وبالرجوع إلى سيرته العطرة ﷺ نجدّه ترك مساحة كبيرة في دعوته للكبار - الشيوخ والعجائز - والصغار والشباب، فكان أرحم الناس بهم، وكان يخصّهم بما يتلاءم مع طبائعهم ومستوياتهم، وهو ما يوحى لنا بخيرية دعوة النبي ﷺ وشمولية خطابه الدعوي. ودعوة المسلمين في هذه الجزئية باعتبارين وهما:

- الأول: باعتبار كبار السنّ.

- الثاني: دعوة باعتبار الشباب وصغار السنّ.

### أولاً: دعوة النبي ﷺ كبار السنّ بالمنهج العاطفي

لقد حثَّ النبي ﷺ على العناية بكبار السنّ ورعايتهم، فجعلهم محلّ إهتمام وتكريم، وذلك لانتصافهم في هذه المرحلة من العمر بالضعف والعجز الجسدي والعقلي والأخلاقي والنفسي، فيحتاجون إلى من يخدمهم، ويقوم بشؤونهم، ويهتم بمشاعرهم وأحاسيسهم النفيسة التي لا يدركها صغار السنّ.

ومع أنّ كبير السنّ قد ازداد خبرةً ودرايةً وحكمة، يعاني حالة من حالات الضعف في صحته وجسمه، وقد يكون في شكلٍ آخر من أشكال الضعف الأخرى، يقول عنه المولى عزّ وجلّ في كتابه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الرؤم: 54].

(1) - عبد العزيز بن باز، حكم السُّفور والحجاب (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، 1410هـ/1989م)، ص 11.

ومع أنه ﷺ كان حسن الخلق مع جميع الناس، إلا أنه كان أشد عطفاً ورحمةً ورفقاً على كبار السنّ لسماحتهم الخاصة في هذه المرحلة التي كان النبي يتعوّذ منها فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر<sup>(1)</sup>» وأرذل العمر هو أخسُّه وأنقصه، لأنَّ الإنسان تنقص فيه قواه الظَّاهرة والباطنة، حتَّى قواه العقليَّة تنقص، فينسى الإنسان ما كان يعلمه<sup>(2)</sup>.

وقد أولى لهم ﷺ عناية خاصة ظهرت في أقواله وأفعاله على حدٍّ سواء، فعدهم -ﷺ- من خير الناس إذا حسنت أعمالهم، عن أبي بكرة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ قال: «من طال عمرُه وحسن عمله»، قال: فأَيُّ الناس شرُّ؟ قال: من طال عمرُه، وساء عمله<sup>(3)</sup>.

ولهذا كان للنبي معاملة خاصّة مع كبار السنّ فأولاهم الرّعاية والاهتمام، ومنحهم العطف والحنان، ومع أنه ﷺ عرف بخصال رحيمة لم تشهدا البشرية على مرّ التاريخ، فإنّه أرحم الناس بالناس وهو الذي خصّه الرّحمان بالرحمة التي كانت منهجاً عاطفياً سلكه النبي مع كبار السنّ. فشهد للنبي ﷺ مواقف عظيمة في التّعامل مع كبار السنّ نذكر بعضها كالآتي:

#### أ- رحمة النبي ﷺ بكبار السنّ

إنّ حسن التّعامل مع كبار السنّ ضرورة شرعيّة وأخلاقيّة وإنسانيّة بالدرجة الأولى، نظراً لما يطرأ على المسنّ من تغيّرات على المستوى العقلي والنّفسي والجسدي والأخلاقي، ولقد بيّن القرآن طبيعتهم والسّمات التي جبلوا عليها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرّوم: 54].

فكان -ﷺ- ينظر إليهم بعين الرّحمة والرّأفة والإحترام، وكان يرفض أن تطول الصّلاة الجماعية في حضرة كبار السنّ -مع حبّه لها وتعظيمه لقدرها- رحمة بهم بأن لا يشقّ عليهم. وروى أبو مسعود الأنصاري ﷺ أن رجلاً جاء للنبي ﷺ فقال: «والله يا رسول الله إني لا أتأخّر عن صلاة الغداة من أجل فلان ممّا يطيل بنا، فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظةٍ أشدّ غضباً منه يومئذ ثم قال: إنّ منكم مُنقَرِنين؛ فأَيُّكم ما صلّى بالناس فليوجز، فإنّ فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة<sup>(4)</sup>».

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما يُتعوّذ من الجبن، رقم الحديث 2822، ص 698.

(2) - محمّد صالح المنجد، كيف عاملهم النبي ﷺ، المرجع السابق، ص 745.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الرّهد، باب منه، رقم الحديث 2330، ص 463. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، صحّحه الترمذي والحاكم.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الرّكوع والسّجود، رقم الحديث 270، ومسلم، كتاب الصّلاة، باب أمر الأئمّة بتخفيف الصّلاة في تمام، رقم الحديث 466.

وكان ممَّا زحرت به سيرة النَّبيِّ المصطفى ﷺ في تعامله مع كبار السنَّ أحسن معاملة وأحسن استقبال، نجده على سبيل المثال:

- عند استقباله للعجوز التي كانت صديقةً لخديجة رضي الله عنها، ولمَّا دخلت عليه قال لها: «كيف أنتم؟، كيف حالكم؟، كيف كنتم بعدنا؟»، قالت عائشة رضي الله عنها: إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»<sup>(1)</sup>.

- ولمَّا جاءه رجل شيخٌ كبير يدعّم على عصا له، فقال: يا رسول الله إنَّ لي غدرات وفجراتٍ (\*) فهل يغفر لي؟ قال: ألسنتَ تشهدُ أن لا إله إلاَّ الله، قال: بلى بلى وأشهد أنَّك رسول الله، قال: قد غفر لك غدراتك وفجراتك<sup>(2)</sup>.

#### ب- توقير النَّبي ﷺ لكبار السنَّ واحترامهم

التَّوقير كلمة نَبيلة وعظيمة لِمَا تحمله من عواطف ومشاعر جليلة، وتوقير الكبير بمعنى يكون له مكانة في النَّفس ومنزلة في القلب، والنَّبي ﷺ أفاض بالعديد من المواقف التي تدلي بتوقيره لكبار السنَّ، فكان من منطلق إنساني بحت بعيداً عن التَّمييز بين فئات المسنين على أساس الدِّين أو الجنس أو اللون، وهذا المنطلق مبني على أساس أنهم بشر وكلهم خلق الله وعباده.

وقد تجلَّى هذا الإهتمام وهذا التَّعامل بوضوح في دعوة النَّبي ﷺ وحياته الشَّخصية منها عند تعامله مع كبار قريش ومناشدته في إكرام كبير السنَّ وتوقيره<sup>(3)</sup> جاء في قوله: «ما أكرم شاب شيخاً لسنِّه إلاَّ قبيض الله له من يكرمه عند سنه»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، رقم الحديث 6004، ص 1507.

(\*) - فجرات: جمع فجرة، وهي المرة من الفجور، وهو اسمٌ جامع لكلِّ شرٍّ (محمَّد صالح المنجد، كيف عاملهم النَّبي ﷺ، المرجع السابق، ص 751).

(2) - أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث سفيان الثَّقفي رضي الله عنه، رقم الحديث 19325 (القاهرة: دار الحديث، ط 1، ج 14، 1416هـ/1995م)، ص 474. إسناده صحيح، وأشعث بن جابر الحداني موثق وحديثه عند الأربعة، وقال الهيثمي 32/1، رجاله موثقون. وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده.

(3) - هيفاء محمَّد الزبيدي، مقال: حول رعاية المسنين في التشريع الإسلامي، مجلَّة كَلِّية التَّربية جامعة بغداد، العدد 75، 2012م، ص 163.

(4) - أخرجه التَّرمذي في سننه، أبواب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في إجلال الكبير، رقم الحديث 2022، ص 547. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلاَّ من حديث الشَّيخ يزيد بن يَئانٍ، وأبو الرِّجال الأنصاري آخرُ، وفي بعض النسخ حسن.

فكان ﷺ ينظر إليهم بعين الرّحمة والتّقدير، حتّى أنّه يقدّمه على حامل القرآن وعلى الحاكم العادل مع عظم قدرهما وسموّ مكانتهما، فذات مرّة جاءه شيخ يريدّه في أمرٍ، فأبطأ عليه القوم أن يوسّعوا له، فرقّ له رسول الله ﷺ ورجمه، وقال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا»<sup>(1)</sup> فالكبير له توقير واحترام، وله منزلة وقدر، وله شأن يجب أن يُحفظ ويراعى فمن لم يوقّر الكبير فليس من هديه ﷺ ولا على طريقته وسنته<sup>(2)</sup>.

والقصة الرائعة التي رواها الإمام أحمد عن أسماء بنت أبي بكر ؓ عندما دخل النبي ﷺ مكة أتاه أبو بكر ؓ بأبيه، وكان شيخاً كبيراً مسنّاً ليسلم بين يديه ﷺ في البيت الحرام، فقال ﷺ: «هلاً تركت الشيخ في بيته حتّى أكون أنا آتية فيه»<sup>(3)</sup>.

فأيّ وقع يكون لهذا الكلام في النفس، وأيّ أثر يكون له في القلب؟ إنّها حتماً تفتح القلب على مصراعيه، وتجعله متقبلاً ومنشراحاً لما يدعى إليه، ولذا سارع إلى الإسلام دون تردّد<sup>(4)</sup>. وعن أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ قال: «إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشّيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السّلطان المُقسط»<sup>(5)</sup>.

لقد جمع النبي ﷺ من خلال الحديث بين المسنّ وحامل القرآن والسّلطان وقدّم المسنّ كأنّه يقول: وقّر المسنّ كما توقّر السّلطان والرئيس والحاكم، وعظّم المسنّ كما تعظم القرآن الحاذق<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد ناصر الدّين الألباني، السّلسلة الصّحيحة، باب أدب الكبير مع الصّغير، والصّغير مع الكبير، رقم الحديث 156 (مكتبة القدوسية، د، ط، 2009م)، ص 120.

(2) - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، حقوق كبار السنّ في الإسلام (الرّياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنّشر، ط1، 1432هـ/2011م)، ص 13.

(3) - مقبل بن هادي الوداعي، الجامع الصّحيح ما ليس في الصّحيحين (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ج3، 1416هـ/1995م)، ص 293. وقال: هذا حديث حسن، الحديث أخرجه ابن هشام في السّيرة، ج2، ص405. واثبت كثير، جامع المسانيد والسّنن، باب عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام عن جدته أسماء، مسند النّساء إلى عنقودة، رقم الحديث 127465 (بيروت: دار الفكر، ط1، ج15، 1415هـ/1994م)، ص 203.

(4) - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، حقوق كبار السنّ في الإسلام، المرجع السّابق، ص 17.

(5) - أخرجه أبو داود في سننه (4843) وقال الشّيخ الألباني: هذا حديث حسن، يُنظر: حديث 2199 في صحيح الجامع.

(6) - محمد صالح المنجد، كيف عاملهم النبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 746.

### ثانيًا: دعوة النبي ﷺ للشباب

لأهمية هذه المرحلة العمرية في حياة الناس عمومًا وحياة الداعية على وجه التحديد، إهتم النبي ﷺ بمرحلة الشباب أشد الاهتمام، وبين عظم أثرها في الدعوة إلى الله، وأن المغنم الخمس التي ذكرها في حديثه - ﷺ - : «اغتنم خمسًا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»<sup>(1)</sup>.

فرصًا من ذهب، إذا ذهبت لن تعود فيجب استغلالها وتأمينها، لأن حيوية الدعوة ونشاطها مرهون بهذه الفئة، لما تتميز به من خصائص وصفات لا يمكن توفرها في المراحل الأخرى، يعلق عليها الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله بالقول: (والعاقل ينبغي له إذا أمسى لا ينتظر الصبح، وإذا أصبح لا ينتظر المساء، بل يظن أن أجله مدركه قبل ذلك، قال وقوله خذ من صحتك الخ أي أعمل ما تلقى نفعه بعد موتك وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح فإن المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيخشى على من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد ولا يعارض ذلك الحديث الماضي في الصحيح، إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا، لأنه ورد في حق من يعمل والتحذير الذي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في حق من لم يعمل شيئًا فإنه إذا مرض ندم على تركه العمل وعجز لمرضه عن العمل فلا يفيد الندم نوفي الحديث حرص النبي ﷺ على إيصال الخير لأُمَّته والحض على ترك الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه)<sup>(2)</sup>.

والداعية إلى الله بدوره عليه أن يغتنم الفرص والفراغ والصحة والشباب والغنى قبل حصول ما يضاد هذه النعم، فإنها إن اغتنمها كتبت له أعماله عند مفارقة هذه النعم، وأن يدعو الناس إلى أهميتها بما فيها نعمة الشباب واغتنامها في الطاعة وعبادة الله تعالى حق عبادته وما يصاحبها من الأعمال الصالحة، يقول النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث 1077 (المكتب الإسلامي، ط3، ج1، 1408هـ/1988م)، ص243، ويُنظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ج11، المرجع السابق، ص235.

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، رقم الحديث 6416، ج11، المرجع السابق، ص235.

(3) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب ما جاء في الرقائق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث 6412، المرجع السابق، ص229.

وهو السر الذي دفع شباب الصحابة رضوان الله عليهم التخلي عن كل ما يربطهم بأمور الدنيا وملذاتها، والتوجه للفوز بالآخرة، فمصعب بن عمير سعى أن يترك نعيم الدنيا ويبقى شظف العيش، ودفعت عمير بن الحمام فلم يتمالك نفسه حتى يأكل ثمرات في يده والشوق إلى الجنة هو الذي دفع عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة ليقترح من فرسه فيعقرها ثم يقابل القوم فيقتل<sup>(1)</sup>.

فخلال فترة معاشته لهم ﷺ أظهر شدة اهتمامه للشباب، وتربيتهم وإعدادهم لتحمل المهام الكبرى في إدارة الدعوة وتسييرها، فكانوا أنموذج صدق يشهد لهم التاريخ الإسلامي شهد لهم مواقف مليئة بالتضحيات والبذل والعطاء من أجل نصرة دعوة النبي ﷺ.

وما نريد التركيز عليه في هذه الجزئية هو كيف تعامل النبي ﷺ مع الشباب؟ وكيف استخدم معهم منهجه العاطفي في دعوتهم للإيمان قبل البعثة وبعدها، والسيرة النبوية شهدت أروع الأمثلة في علاقات النبي مع الشباب وطريقة معاملته لهم قبل البعثة وبعدها، مما حُببهم إليه وألفهم عليه، وفي نفس الوقت أثبتت مثالية أخلاق النبي ﷺ ومنهجه في دعوة الشباب، وقد تأثر به كل من خالطه وعاش معه.

#### أ- مراعاة النبي ﷺ مشاعر الشباب وعواطفهم

من منهج النبي ﷺ العاطفي مراعاة أحوال الناس ومشاعرهم وبخاصة الشباب، فكان لشدة حبه لعلي ﷺ يدعو به بأحب الأسماء إليه، فعن سهل بن سعد ﷺ قال: «ما كان إسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به»<sup>(2)</sup>.

وكان عليه الصلاة والسلام يغيّر الأسماء إلى أحسن منها، كما غيّر إسم سهل بن سعد من حزن إلى سهل، وعاصية إلى جميلة، وبرة إلى جويرية<sup>(3)</sup>.

وفي موقف آخر فقد راعى مشاعر أبي هريرة ﷺ وسعى في طلبه وقضاء حاجته في أروع مشهد قد تقشعر له الأبدان يرويه أبي هريرة ﷺ فيقول: «كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله: إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اهْدِ أم أبي هريرة، فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ، فلمّا

(1) - سليمان بن قاسم بن محمد العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب (دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م) ص-ص 255، 257.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، رقم الحديث 2140، ص 1686.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم الحديث 2409، ص 1874.



جئتُ فصرت إلى الباب، فإذا هو مجافٌ<sup>(\*)</sup>، فسمعت أمِّي خَشَفَ<sup>(\*)</sup> قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خَضْخَضَةً<sup>(\*)</sup> الماء، قال: فاغتسلت، ولَبِسْتُ دِرْعَهَا، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً، قال: قلت يا رسول الله: ادع الله أن يُجيبني أنا وأمِّي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا قال: فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُيْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أَحَبَّنِي<sup>(1)</sup>.

ونجده ﷺ في إحدى غزواته قد راعي مشاعر شباب الصحابة وأحاسيسهم حيث أمرهم بالرجوع إلى أهلهم، لما رأى شوقهم إلى أهلهم، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتْقَارُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَلَّ أَنَا أَشْتَهِينَا أَهْلِينَا، فَسَأَلْنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِينَا؟ فَأَخْبَرَنَا - وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا - فَقَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»<sup>(2)</sup>.

وعن أبي الحميساء قال: تابعت النبي ﷺ قبل أن يبعث فواعدته مكاناً فنسيته يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث، فقال ﷺ: «يا فتى لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاثة أيام»<sup>(3)</sup>.

وعن ابن عباسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ مِنَ الْعَرَبِ فِيهِمْ شَابٌ فَقَالَ الشَّابُّ لِلْكُهُولِ: اذْهَبُوا فَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَحْفَظُ لَكُمْ رِحَالَكُمْ، فَذَهَبَ الْكُهُولُ فَبَايَعُوهُ ثُمَّ جَاءَ الشَّابُّ فَأَخَذَ بِحَقْوِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَجِيرُكَ مِنَ النَّارِ فَقَالَ الْقَوْمُ: دَعُهُ يَا عَلَامُ

(\*) - مجافٌ: بمعنى مغلق (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم الحديث 2409، ص 1939).

(\*) - خَشَفَ: أي: صوتهما في الأرض (المصدر نفسه، ص 1939).

(\*) - خَضْخَضَةً: خَضْخَضَةُ الماء صوت تحريكه (المصدر نفسه، ص 1939).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة ﷺ، رقم الحديث 2491، ص 1938.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، بابُ تَحْرِيطِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ عَبْدَ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، رقم الحديث 87، ص 34. وكتاب الأذان، باب الأَذَانِ لِلْمُسَافِرِينَ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً وَالْإِقَامَةَ، رقم الحديث 631، ص 159. وكتاب: الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث 6008، ص 1507. وكتاب: أخبار الأحاد، باب ما جاء في إِحَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ، رقم الحديث 7246، ص 1791.

(3) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في العدة، رقم الحديث 4996، المصدر السابق، ص 620. وقال أبو داود: هذا الحديث ضعيف الإسناد.

فَقَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَهُ لَا أَتْرُكُهُ حَتَّى يُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ فَأَتَى جَبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَجِرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَجَارَهُ»<sup>(1)</sup>.

أضف إلى ذلك ما كان يقابلهم به رسول الله ﷺ من السُرور وطلاقة الوجه - وهو سيّد البشر - فيروي جرير بن عبد الله ﷺ فقال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رأني إلاّ تبسّم في وجهي...»<sup>(2)</sup>.

كان النبي ﷺ كثير الابتسامة مع شباب الصّحابة رضوان الله عليهم، ولفظة: (ما رأني) دلالة الاستمرار، ومع أشغاله واهتماماته الواسعة عليه الصّلاة والسّلام إلّا أنّ أصحابه لم يفتقدوه حتّى في تهلّل أسارير وجهه<sup>(3)</sup>، فقال عنه عبد الله بن الحارث ﷺ: «ما رأيت أحداً أكثر تبسّماً من رسول الله ﷺ»<sup>(4)</sup>.

وفي الإطار نفسه نجد النبي ﷺ يشفق على عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عندما أخذه حماس الشّبّاب في قراءة القرآن كاملاً كلّ ليلة، فلما علم بذلك رسول الله ﷺ قال له مشفقاً عليه: «إنيّ أخشى أن يطول عليك الزّمان وأن تمل فاقراه في شهر، فقلت دعني أستمع من قوتي وشبابي، قال: فاقراه في عشرة، قلت: دعني أستمع من قوّتي وشبابي، قال: فاقراه في سبع، قلت: دعني أستمع من قوّتي وشبابي فأبى»<sup>(5)</sup>.

وامتثلت عاطفة النبي ﷺ تجاه شباب الصّحابة مقاسمتهم مشقّة السّفر والمشاركة الوجدانية فيما بينهم يرويها عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: «أنّ رسول الله ﷺ كان زميله يوم بدرٍ عليّ وأبو لبابة فإذا حانت عقبه رسول الله ﷺ قالوا: إركب يا رسول الله حتّى نمشي عنك، فيقول: ما أنتما بأقوى منّي ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»<sup>(6)</sup>.

(1) - شعب الإيمان للبيهقي، باب 11 من شعب الإيمان، في الخوف من الله، رقم الحديث 721 (الرّياض: مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع، ط1، ج2، 1423هـ/2003م)، ص198. وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، رقم الحديث 3822، ص936.

(3) - سعيد بن محمد آل ثابت، المنهج النبوي في التّعامل التّربوي، المرجع السّابق، ص17.

(4) - أخرجه التّرمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في بشاشة النبي ﷺ، رقم الحديث 3641، مج6، المصدر السّابق، ص30. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(5) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب إقامة الصّلاة، باب في كم يستحبُ يختم القرآن، رقم الحديث 1346، ص202. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ.

(6) - أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، مج1، رقم الحديث 3807.

وكان ﷺ يواسيهم ويهون من حزنهم فلما توفي والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وحزن عليه جابر وازداد همه لما ترك والده من عيال ودين، لقيه النبي ﷺ على هذه الحال فقال: «يا جابر، ما لي أراك منكسراً؟ قال جابر ﷺ: قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً، قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي، تمنّ عليّ أعطك، قال: يا ربّ تُحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الربّ سبحانه، إنّهُ سيق منّي أتهم إليها لا يرجعون، قال: يا ربّ، فأبلغ من ورائي، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]»<sup>(1)</sup>.

ليتأمل الدّاعية هذا الموقف كيف أحسن النبي ﷺ بما يحتاجه جابر بن عبد الله ﷺ من دعم معنوي ومادي بعد عودته متعباً من غزوة ذات الرّقاع، وجابر ﷺ أهل لهذه العناية في هذه الأيام بالذّات، فقد قُتل أبوه في معركة أُحُد، وهو سيّد من سادات الأنصار، وقد خلف وراءه تبةً ثقيلة تحمّلها ابنه الأكبر هذا وحده، وترك الأب لولده مهمّة رعاية البنات اليتم، وقد بلغ عددهنّ سبعا، على فقر وشظف، وكان أجدر بغير جابر أن يتخلف عن مثل هذه الغزوة؛ متعللاً بهذه المسؤولية الأسرية الصعبة، ولو تخلف مثل جابر لكان له في ذلك ألف عذر، ولكنها أسرة مسلمة مجاهدة، وربّها مجاهد ابن مجاهد، ومن يشابه أباه فما ظلم<sup>(2)</sup>.

فمن خلال النماذج السّالفة الذّكر اتّضحت خاصيّة فذة ارتسمت في شخصية النبي ﷺ متمثلة في خلق الرّق ورعاية مشاعر الشّباب وعواطفهم، وهم الذين أولى لهم كلّ الاهتمام والرّعاية وهذا سرّ من أسرار نجاح دعوته فقد ساهم في استقطاب أعداد هائلة مثلوا القواعد الصّلبة لبناء بيضة الإسلام. وهو ما يجب أن يعمل به الدّعاة والقادة والعلماء إذا ما أرادوا العزة لهذه الدعوة استقطاب فئة الشّباب، بالعمل على مداراتهم وتحيّتهم وكسبهم نحو التّدين الصّحيح ومنهجه القويم ﷺ.

### ب- معاملة النبي ﷺ الشّباب باللين والألفة

وفي إطار الحديث حول معاملات النبي ﷺ للشّباب وعلاقاته الطّيبة معهم، كانت علاقة ألفة ومحبة في أعلى درجاتها، فنجدّه يقضي حوائجهم، ويتواضع معهم، ويجيب دعوتهم، ويزورهم، ويشهد

(1) - محمّد مسعد ياقوت، السّيرة النبوية صور تربوية وتطبيقات عمليّة (دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، 2010م)، ص 260.

(2) - المرجع نفسه، ص 260.

جنائزهم، ويدعو لهم، ويشفق عليهم ويشعر بآلامهم، فجاءه ذات مرة سلمان الفارسي ﷺ حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب فوضعها بين يديه، فقال له رسول الله ﷺ: « ما هذا يا سلمان؟ قال: صدقة عليك وعلى أصحابك، قال: ارفعها فإننا لا نأكل الصدقة، فرفعها، فجاء من الغد بمثله، فوضعه بين يديه يحمله، فقال: ما هذا يا سلمان؟، فقال: هدية لك، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ابسطوا...»<sup>(1)</sup> ومن ثم قال أنس ﷺ محدثاً عن أثر هذه المعاملة من النبي ﷺ: «إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»<sup>(2)</sup>.

ومن صور معاملته ﷺ مزاحه مع شباب الصحابة رضي الله عنهم، فعندما رأى صهيب ﷺ وهو يأكل تمرًا، وبعينه رمدٌ، فقال ﷺ: «أتأكل التمر وبك رمدٌ؟، فقال صهيب: إنما أكل على شقيّ الصّحيح ليس به رمد، فضحك رسول الله ﷺ»<sup>(3)</sup>.

ومن عناية النبي ﷺ بالشباب ما كان يعاملهم به من التقدير لحقوقهم والإعتراف بمكانتهم، ودليل ذلك ما يرويه سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن نبي الله ﷺ أُتيَ بشاربٍ فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام: لا والله يا رسول الله، لا أؤثر بنصيبك منك أحدًا، قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده»<sup>(4)</sup>.

ليتأمل الداعية قوة هذا الموقف في إبراز ملمح الجمال الروحي والقدّر للنبي ﷺ والذي لم يشهد التاريخ مثله في أخلاقه وطواعية روحه العذبة تجاه من خالطه أو عاشه من الناس، فكان يعلي من شأن أيّ كان منهم، لا يحتقرهم مهما قلّ شأنهم أو ضعف، بحيث نبّجه ﷺ في هذا الموقف المثير والرائع مع غلام صغير -والقصة مشهورة- لم يحتقر هذا غلام لصغر سنّه، بل اعترف له بحقه الذي شرعه له الإسلام، لأنّه عن يمين النبي ﷺ، فاستشاره في تقديم الشراب إلى من هو أكبر منه سنًا، ومن

(1) - أخرجه أحمد في مسنده، ج16، رقم الحديث 22893، ص 493، وقال أحمد: إسناده صحيح، وكذا صحّحه الحاكم 16/2، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد والبخاري ورجاله رجال صحيح، وهو عند الطبراني في الكبير 228/6، رقم الحديث 6070، والبيهقي 321/10.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه، رقم الحديث 2312، ص 1805.

(3) - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب الحمية، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 3443، (دار إحياء الكتب العربية، ج2، د، ت)، ص 1139. إسناده صحيح رجاله ثقات، وقال الألباني: حديث صحيح. وقال الحاكم في المستدرک، ج3، ص 451، ج4، ص 456، هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر، رقم الحديث 5620، ص 1426.

له مكانة عند المسلمين، إلى أفضل هذه الأمة بعد نبئها وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. فأثر الغلام أن يشرب بعد رسول الله ﷺ فأعطاه الرسول ﷺ فشرب.

### ج- ترغيب الشباب بفضيلة الزواج

الزواج سكن ومودة ورحمة وعفة وطهارة واستقرار، وهو الوسيلة والمنفذ الوحيد للحد من الثورة الجنسية التي وضعها الله تعالى في الرجال والنساء من أجل استمرار الحياة وعمارة الأرض، وقد رغب النبي ﷺ الشباب في الزواج خوفاً عليهم من الوقوع في الفساد والزذيلة، فدعاهم إلى التعفف بالزواج، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(1)</sup>، لأن الزواج ليس وسيلة لحفظ النوع الإنساني فحسب، بل هو وسيلة للاطمئنان النفسي والهدوء القلبي والسكون الوجداني فلذلك اعتبر من صرف شهوته بغير سبيل الزواج من المعتدين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 5] ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: 6].

فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصاً في دعوته للشباب يوجِّههم إلى ما ينفعهم ويحذّرهم من الولوج في المحارم والشهوات، ودعاهم إلى التحصن والبعد عن مكائد الشيطان وهوى النفس، مبيناً إلى أن الحل الأمثل لإطفاء جذوة الغريزة هو الزواج، وهو الذي يتوافق تركيبة الإنسان وطبيعته رجلاً كان أم امرأة، وهذا الزواج يحتاج لمؤونة لا يُقدّر عليها الجميع، فأشار إلى أن العلاج الأمثل في هذه الحالة هو الصوم، ففيه تقليل لطاقة الجسم وتخفيف من حدة الشهوة الجنسية يقول الإمام العيني رحمه الله معلّقاً: (ذلك أن الله تعالى أحلّ النكاح وندب نبّيه ﷺ إليه ليكونوا - أي الشباب - على كمال من دينهم وصيانة لأنفسهم من غرض أبصارهم وحفظ فروجهم ثم أعلم أن الناس كلّهم لا يجدون طويلاً إلى النساء وربما خافوا العنت بعقد النكاح فوجَّههم إلى ما يقطع شهواتهم وهو الصيام فإنه وجاء وهو مقنع للانتشار وحركة العروق التي تتحرّك عند شهوة الجماع)<sup>(2)</sup>.

فكان عليه الصلاة والسلام يعلم خطورة الشباب حينما يوقد بنار الشهوة والملذات فأراد أن يدعوهم إلى التعفف من زنى البصر أو السمع أو القلب أو الفرج، الذي اعتبره ﷺ الانتصار عليه،

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم الحديث 5066، ص 1293.

(2) - العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، المجلد 9، المرجع السابق، ص 31.

يضمن للشَّاب دخول الجنة<sup>(1)</sup> والدليل على ذلك ما جاء عن ابنِ عباس وعن أبيه رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «يا معشر قريش احفظوا فروجكم ولا تزنوا إلَّا من حفظ فرجه فله الجنة»<sup>(2)</sup>.

### د- مواقف النبي ﷺ على أساس الزَّواج

كان للنبي ﷺ مواقف رائعة في التعامل على أساس الزَّواج، فجعله وسيلة من وسائل الدَّعوة إلى الله بغرض تأليف خصومه وتقريبهم للإسلام، يُبيِّن ذلك من خلال زواجه من صفية بنت حيي ابنه أكبر أعداء الإسلام فزواجه ﷺ منها كانت له آفاق أبعد وأعمق إذ أنَّه ربط زواجه بأمة كاملة إذ قال: «استوصوا بالقبط خيراً فإنَّ لي فيهم نسباً وصهرًا، وزواجه من ميمونة بنت الحارث الهلالية في تقريب قلوب قريش بعد عمرة القضاء»<sup>(3)</sup> إذا قال لهم عندما جاءوا لإيذائه بالخروج من مكة «وما عليكم لو تركتموني فأعرست ... أرضنا»<sup>(4)</sup>.

وفي موقف آخر منع عليُّ بنُ أبي طالب من زواجه بثانية، لأسباب قد تأثَّر على دعوته وتثير الدَّعايات للمساس بمكانة ابنته فاطمة رضي الله عنها، فأنكر أن تجتمع ابنته فاطمة ببنت أبي جهل العدو اللدود للنبي ﷺ، وذلك مراعاة لمشاعرها وتجنُّب إثارة غضبها وحفاظاً على مكانتها ومنزلتها، وهذا من أروع مظاهر رحمة النبي ﷺ في مناسبات الزَّواج، فلمَّا سمعت بذلك، أتت النبي ﷺ، فقالت له: إنَّ قومك يتحدَّثون أنَّك لا تَغْضِبُ لبناتك، وهذا عليُّ ناكحاً ابنة أبي جهل، فقام النبي ﷺ حين تشهَّد، ثمَّ قال: «أمَّا بعدُ، فإنِّي أنكحُ أبا العاص بنَ الربيع، فحدَّثني فصَّدَّقني، ووعدني فوقَّ لي، وإمَّا فاطمة بضعةٌ مِنِّي يؤذيني ما آذاها، وإمَّا والله لا تجتمع بنتُ رسول الله ﷺ وبنتُ عدوِّ الله عند رجلٍ واحدٍ أبداً»<sup>(5)</sup> فترك عليُّ الخطبة.

(1) - يُنظَر: طالب بنُ عمر بنُ حيدرة الكثيري، وصايا الرسول ﷺ للشَّباب، محاضرة أُلقيت بمسجد الفاروق بسيئون، 1427هـ، ص 8.

(2) - محمد ناصر الدِّين الألباني، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة، رقم الحديث 2696، ج6، المرجع السَّابق، ص 440. والبيهقي في شعب الإيمان، 119/2، عن طريق شدَّاد بنُ سعيد، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم، وأمَّا المنذري فنقل عنه في الترغيب، 197/3، أنَّه قال: صحيح على شرطهما.

(3) - منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسَّيرة النَّبويَّة (الأردن: مكتبة المنار، القسم الثَّالث، د، ط، د، ت)، ص-ص 13، 14.

(4) - رجائي عطية، السَّيرة النَّبوية في رحاب التَّنزيل (دار المعارف، مج4، ط1، 2003م)، ص 309.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درج النبي ﷺ وعصاهُ وسيفه وفدحه وخاتمِه وما ستمعل الحفء بعده من ذلك، رقم الحديث 3110، ص 766. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، رقم الحديث 2449، ص 1904.



وقد ذكر العلماء جملة من الأسباب التي من أجلها منع النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب من هذا الزواج لأربعة أمور:

- أن في هذا الزواج إيذاءً لمشاعر فاطمة التي هي قطعة منه، وإيذاؤها اعتبره إيذاءً للنبي ﷺ، وقد بين ذلك قوله من ظاهر الحديث.

- خشية الفتنة على فاطمة في دينها كما جاء في رواية البخاري في الحديث 3110، «وأنا أتخوّف أن تُفتن في دينها»<sup>(1)</sup> فخشي النبي ﷺ أن تدفعها الغيرة لفعل ما لا يليق بحالها ومنزلتها، وهي سيّدة نساء العالمين.

- تعظيمًا لحقّ فاطمة وبيانًا لمكانتها ومنزلتها في قلبه.

- وعلى للشباب إتخاذ الزواج وسيلة من وسائل تقرب القلوب وتأليفها لما يدعو إليه.

### ثالثًا: دعوة النبي ﷺ صغار السن بالمنهج العاطفي

صغار السن هم الذكور والإناث دون سنّ البلوغ وفوق سنّ التميّز، وهم صنف في غاية الأهمية، لأنهم جيل الأمة الصّاعد ومستقبلها، والنبي ﷺ خصّص لهم مساحات واسعة من دعوته في التربية والتّوجيه والتّعليم، فقدّم منهجًا أمثلًا يشمل كافة الطّرق والأساليب التي خصّها عند التّعامل مع الصّغار، فارتكز أساسًا على رعاية المشاعر ومراعاة الميول، والدّاعية إلى الله مدعوًا لتفهّم هذه النّفسيات وهذه الطّبائع بأسلوب عاطفي يضاهي الأسلوب النّبوي، سيتمّ عرض بعض قبساته بعد ذكر دواعي استحقاق هذه الفئة الناشئة للعناية النّبوية وهي كالآتي:

- لكونهم أئمّة حسّاسون شقّافون يتأثّرون بأبسط الأمور لأنهم محبّون للحوار والقصص.

- أنّهم بحاجة إلى من يقتدون به لأن طبعهم في التقليد.

- أنّه لا يجوز تركهم وإهمالهم<sup>(2)</sup>.

وإذا تدبّرنا دعوة النبي ﷺ لوجدنا أنّه كان شديد الاهتمام بصغار السنّ، من حيث أنّه دعا إلى تهذيبهم وغرس القيم الفاضلة في نفوسهم، وحثّ على رحمتهم والشفقة عليهم، إذ يراهم أحوج النّاس إلى هذه العناية، فيحيي في نفوسهم المحبّة لمن يتودّد إليهم ويداعبهم ويحسن رعايتهم، وكان عليه

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدره وخاتمته وما ستعمل الحفّاء بعده من ذلك، رقم الحديث 3110، ص 766.

(2) - بسّام العموش، فقه الدعوة، المرجع السّابق، ص 71.



الصَّلَاة والسَّلَام قدوة عَزَّ مثلها على الصَّعيد العاطفي مع جميع بني البشر ولاسيما مع صغار السن، فكان على الدَّوام مفعماً بالعاطفة والرَّحمة، فنجدته ﷺ يَرَأف بهم، ويحسنُ مداعبتهم وملاطفتهم، فمبادراته ﷺ ومواقفه مع هذه الفئة كثيرة وممتعة تحتاج إلى تفعيل وتطبيق في واقع الأسر الإسلامية اليوم.

لذا أراد النبي ﷺ من خلال منهجه الدَّعوي والعاطفي تجسيد هذه المشاعر وهذه العواطف في واقع الآباء والأمهات، وحثَّهم على جعلها سلوكاً مستمراً في تعاملهم مع الأبناء، فشوهد عن النبي ﷺ وهو معهم في ساحات اللَّعب، فهذا أنس بنُ مالك ﷺ قال: « ما رأيْتُ أحدًا أرحمُ بالصَّغار من رسول الله ﷺ، وكان ابنه إبراهيم في حضانة مرضعة تقطن التلال المحيطة بالمدينة، فكان النبي ﷺ يذهبُ إليه وكناً نرافقه، وكان يدخل البيت ويرفع ابنه ويقبِّله ثمَّ يعودُ »<sup>(1)</sup>.

ولعلَّ أبرز مواقفه مع أحدِ أحفاده ومع أبناء الصَّحابة رضوان الله عليهم، ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: «قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بنُ علي وعنده الأقرع بنُ حابس، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قَبَّلْتُ أحدًا»<sup>(2)</sup>.

وعليه فقد نَوَّع النبي ﷺ في تعامله مع صَّغار السنِّ بأساليب عاطفية عذبة نذكر منها كالاتي:

#### أ- تعليم الصَّغار ودعوتهم إلى القيم والأخلاق برفق وحكمة

اهتمَّ النبي ﷺ بالصَّغار ولم يغفل هذه الفئة الناشئة فقد سَخَّر لهم مساحة واسعة من رحمته ﷺ، فلم يقتصر على مداعبتهم وممازحتهم وملاطفتهم فحسب، بل تعدَّى ذلك أن اهتم بتعليمهم ودعوتهم إلى ما ينفعهم وبما يتناسب مع أحوالهم وطاقتهم، يروي ابنُ عَبَّاسٍ ﷺ قائلاً: «كنت خلف النبي ﷺ فقال: يا غلام، إنِّي أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصحف»<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ الصَّبيان والعيال، رقم الحديث 2316، ص 1808.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، رقم الحديث 5997، ص 1505.

(3) - ابنُ رجب، جامع العلوم والحكم، تحقيق: ماهر ياسين الفحل (بيروت: دار ابنُ كثير، ط1، 1429هـ/2008م)، ص 432.

لقد تجلّت دعوة النبي ﷺ من خلال هذا الحديث إلى غرس القيم والأخلاق الفاضلة في نفوس الصغار وتربيتهم على فهم أصول الإيمان والعمل بأحكام الدين وتعويدهم على المراقبة والمحاسبة منذ الصغر، مستخدمًا أساليب رائعة ولطيفة في تعليمهم، من خلال تشويقهم وتهيتهم بلطف العبارة ولين الجانب، يقول الإمام ابنُ رجب رحمه الله معلّقًا: (وهذا الحديث يتضمّن وصايا عظيمة وقواعد كَلِيَّة من أهمّ أمور الدين حتّى قال بعض العلماء تدبّرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفي من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه)<sup>(1)</sup>.

إلى جانب معاملة النبي ﷺ العاطفية للصّبيان الصّغار كان لا يمنع من تصويب أخطاءهم وتعليمهم بالتي هي أحسن وبما يتناسب مع سنّهم، عن أبي هريرة ؓ أنّ الحسن بنُ علي ؓ أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ - بالفارسية -: «كخ كخ أما تعرف أنّا لا نأكل الصدقة»<sup>(2)</sup>.

وعن زينب بنت جحش ؓ أنّها دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل قالت: فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي وقال: «وراءك أيّ لكاع»<sup>(3)</sup>.

أراد النبي ﷺ أن يشير إلى أنّ صغر الصّغير لا يمنع من تصويبه وتعليمه، بل ذلك من إحسان تربيته والتي تعدّ من أعظم الواجبات التي حثّ عليها القرآن يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: 6] فاستوقف الحديث على دالتين :

**الحديث الأول:** تعليم الطفل على الورع فقد كان حريصًا على تربية ولده على ترك الحرام والأكل من الصدقات، فلم يقل بأنّه غير مكلف بل أدّبه وربّاه لينشأ على العمل الصّالح، وأنّ تربية الأولاد تحتاج من الوليّ أن يكون رحيماً رفيقاً بهم، يرثيهم على الخير برفقٍ مستصحباً معه حسن الخلق، فهكذا كان النبي ﷺ يربّي ولده برفقٍ فلا يشتمه ولا يؤذيه بالصّراخ ورفع الصّوت، بل كان يلاطفه

(1) - عبد الرّحمن بنُ شهاب الدّين زين الدين أبو الفرج ابنُ رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر (مؤسسة الرّسالة، ط4، ج1، 1412هـ/1992م)، ص 462.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرّكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، رقم الحديث 1491، ص 363.

(3) - سليمان بنُ أحمد بنُ أيوب بنُ مطير اللخمي الشّامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بنُ عبد المجيد السلفي، باب الرّأي، باب زينب بنت أبي سلمة بنُ عبد الأسد المخزومي، رقم الحديث 712 (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، ج24، د، ت)، ص 281. وقال: إسناده حسن.

ويؤانسهُ حتَّى يتعلَّم بحبٍّ، فيشمر التَّعليم قناعةً في قلبه وعقله، عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «صَلَّيتُ مع رسول الله ﷺ صلاةَ الظُّهر، ثمَّ خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله وَلَدَانُ فجعل يمسح خَدَّي أَحَدِهِم واحداً واحداً قال: وأَمَّا أنا فمسح خَدَّي قال: فوجدت لِيَدِهِ بَرْدًا أو رِيحًا كَأَمَّا أخرجها من جُؤْنَةٍ عَطَّارٍ<sup>(\*)</sup>»<sup>(1)</sup>.

– وأَمَّا الحديث الثاني: فيه تعليم الصَّغار الأدب في الإستئذان وعدم الإطّلاع على العورات.

ومن المواقف الرَّائعة قصَّته ﷺ مع الغلام الصَّغير عمر بنُ سلمة ﷺ، فقد روى البخاري عنه قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يديّ تطيش في الصَّفحة فقال لي: «يا غلام سَمَّ الله وُكُلَّ يمينك وُكُلَّ مِمَّا يليك فما زالت تلك طعمتي بعد»<sup>(2)</sup>.

لقد كانت توجيهاته ﷺ للغلام على أخطاءٍ بسيطة وواضحة يسهل حفظها وفهمها، ولقد أثَّرت في نفس الغلام طيلة عمره فقال: «فما زالت تلك طُعْمَتِي بعد»<sup>(3)</sup>.

وفي موقف آخر كان المسلمون في العهد النَّبوي يعلِّقون الثُّمور في المساجد ليأتي إليها الأطفال إلَّا بهدف الأكل وبهذا تتعوَّد أقدامهم السَّير نحو المساجد والصلاة فيها.

والدعاة مدعوون لتفهِّم نفسية وطبائع الصَّغار، يحسنوا التَّعامل معهم في أيِّ موقف أو حدثٍ مهما كان شأنه، يعلمهم الحكمة ويربِّهم على الأخلاق والمبادئ السَّامية، وذلك للأهميَّة التي يوليها الإسلام باعتبارهم ناشئة الجيل القادم، وأن تعليمهم وتربيتهم في الصَّغر هام جدًّا حيث تنطبع المعلومات في ذاكرتهم.

(\*) – جُؤْنَة عطار: "بضم الجيم"، وسكون الهمزة – ويقال: بواو ساكنة، تليها نون، وهاء تأنيث – شبه صندوق صغير مغشَّى بجلد، وزند مستدير يضع العطار فيها عطره، وهو كل ما طابت رائحته، أي: كان ريحها ريح ما أخرج من جُؤْنَة العطار مضمخًا بالعطر، والجملة صفة ريحًا أو مستأنفة، (أحمد شهاب الدِّين بنُ مُحَمَّد الزرقاني المالكي (دار الكتب العلمية، ط 1، ج 5، 1417هـ/1996م)، ص 452، وفي شرح آخر – كأنما أخرجت من جُؤْنَة عطار – هي بضم الجيم وهمزة بعدها، ويجوز ترك الهمزة بقلبها واوا كما في نظائرها، وقد ذكرها كثيرون، أو الأكثرون في الواو. قال القاضي: هي مهموزة، وقد يترك همزها. وقال الجوهري: هي بالواو، وقد تهمز، وهي السقط الذي فيه متاع العطار، هكذا فسَّره الجمهور وقال صاحب العين هي سلية مستديرة مغشاة (أدما) (صحيح مسلم، كتاب الفضال، باب طيب رائحة النَّبي ﷺ ولين مسَّه، ج 4، رقم الحديث 2329، ص 1814).

(1) – المصدر نفسه، ص 1814.

(2) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التَّسمية على الطَّعام والأكل باليمين، رقم الحديث 5376، ص 1370.

(3) – المصدر نفسه، ص 1370.

## ب- رحمة النبي ﷺ بالصغار

الأطفال أحوج الناس إلى الرحمة، فهم يهتمون بمن يوادهم منذ نعومة أظفارهم، وكان النبي ﷺ شديد الرحمة بهم والشفقة عليهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يصف رحمة النبي ﷺ للصغار فقال : «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»<sup>(1)</sup>.

وكان ﷺ لا يصبر على بكاء الطفل ولا على ألمه، رحمة وشفقة عليه، يروي أبو قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها<sup>(2)</sup>.

ومن ذلك مواقفه الرائعة مع أحفاده ومع أبناء الصحابة رضوان الله عليهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً»<sup>(3)</sup> فالأقرع إنايته الدهشة والاستغراب من موقف النبي ﷺ العاطفي تجاه الحسن غير المألوف، فالأقرع كان يظن أنه من الرجولة أن يقسو القلب ويتحجر حتى لا يرحم صغيراً ولا يقبل طفلاً، لكن النبي الكريم ردّ عليه بإيجاز قائلاً: «من لا يرحم لا يُرحم»<sup>(4)</sup>.

وقدّم أعرابي على رسول الله ﷺ فتساءل عما يدفع نبي الله ﷺ إلى مازحة الصغار وإبداء كل هذا الاهتمام بهم فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع من قلبك الرحمة»<sup>(5)</sup>.

من هذا المنهج النبوي يتبين للكبار من الرجال خصوصاً الآباء معاملة الصغار من منطلق الرحمة والرأفة، وعدم الاستهانة بهم، فلها الأثر الكبير على نفسية الأولاد وسلوكهم واستقرارهم العاطفي، فصدق رسول الله ﷺ أن قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا»<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه، رقم الحديث 2316، ص 1808.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، رقم الحديث 543، ص 385.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث 5997، ص 1506.

(4) - المصدر نفسه، ص 1506.

(5) - المصدر نفسه، رقم الحديث 5998، ص 1506.

(6) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم الحديث 1919، رقم الحديث 1920، ج 4، المصدر السابق، ص 479. وقال الترمذي : هذا حديث غريب.

ومن دُرِّه أنه كان ذو قلبٍ حنونٍ وعطوفٍ، شديد التأثير، تجلَّى ذلك عندما رُفِعَ إليه ابنُ ابنته وهو في الموت، فاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله ؟ قال: « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرُّحماء »<sup>(1)</sup>.

وكان ﷺ يحزن كثيراً لوفاة أحدِ أبنائه أو بناته، وهذه ليست دموع جزعٍ من قضاء الله وقدره، وإنَّما هي دموعُ رحمةٍ وشفقةٍ وحزنٍ لفقدان فلذة كبده، مع العلم أنَّ النبي ﷺ ابتُلِيَ بفقد جميع أولاده، ماعدا فاطمة رضي الله عنها والتي بقيت بعد وفاته.

وكان ﷺ شديد الحبِّ لأحفاده حتَّى أنَّ ابنَ عمر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الحسنَ والحسينَ هما رِجائَتاي من الدُّنيا»<sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفةٍ من النَّهار لا يكلمُني ولا أكلمه، حتَّى جاء سوق بني قينقاع، ثمَّ انصرف، حتَّى أتى خباءَ فاطمة، فقال: أتمَّ لكع، أتمَّ لكع، يعني حسناً. فظننا أنَّه إنَّما تحبسه أمُّه لأنَّ تغسله وتلبسه سخاباً، فلم يلبث أن جاء يسعى حتَّى اعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُ فَأَحْبِبْهُ، وَأَحْبَبُ مَنْ يُحِبُّهُ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من الحسن بن عليٍّ بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال »<sup>(3)</sup>.

مشاعر النبي ﷺ تجاه حفيديه -من ظاهر الحديث- دلالة على استحباب ملاطفة الصِّغار ومداعتهم لطفًا ورحمةً وتواضعًا والعمل على إظهارها دون إخفاءها، ونحن نلاحظ في واقعنا اليوم سوء التعامل مع الصِّغار، فكثيرون شغلَّتْهم مصالحهم الدُّنيوية عن أولادهم، فاقتقدوا لتلك الرِّعاية وتلك المداعبة والممازحة، تحكمهم ظروف اجتماعية ومهنية واقتصادية، بحيث نجد العديد من الأسر يتركون أبنائهم طيلة الوقت تحت رعاية دور الحضانة ورياض الأطفال، فيصبح ويمسي الطفل في أحضان امرأة غريبة عنه.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله، رقم الحديث 5998، ص 1506.

(\*) - من الدُّنيا: أي: نصيب من الرِّيحان الدُّنيوي، (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب السَّخاب للصبيان، رقم الحديث 5884، ج 10، ص 427).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم الحديث 3753، ص 921.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب السَّخاب للصبيان، رقم الحديث 5884، ص 1485.

وفي مشهد آخر مؤثر جدًا حزن فيه النبي ﷺ كثيرًا لموت ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عيناه ﷻ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: «وأنت يا رسول الله، فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإننا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(1)</sup>.

فلم تكن مواقف اهتمامه ﷺ ورحمته للصغار بالمواقف العابرة التي تحدثت على فترات متباعدة، بل كانت متكررة جدًا، لدرجة أن الصغار كانوا دائمًا في استقباله إذا جاء من سفر ليلعبهم ويداعبهم، وكأنه ليس أمامه من الهموم والمشاكل غيرهم، يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلِّقِي بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَال: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسَبَقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ قَال: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ ذِي قَعْدَةِ»<sup>(2)</sup>.

وأهم شيء كان ﷺ لا يسخر من مشاعر صغار السن، ولا يُسِفُّه حزنهم، بل يواسيهم ويشاركهم ويضاحكهم، ومن ذلك قصته ﷺ مع ابن أبي طلحة ﷺ يُكَنَّى "أبا عمير"، وكان يمازحه، فدخل عليه فرآه حزينًا، فقال: «ما لي أرى أبا عمير حزينًا؟!»، فقالوا: مات نُعْرُهُ الذي كان يلعب به، قال: فجعل يقول: أبا عُمَيْرُ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟»<sup>(3)</sup> فإذا بالطفل يفرح لحديث النبي ﷺ معه، فنسي العصفور لينتبه للتسمية الجديدة التي سمعها من النبي ﷺ وكأنه يقول له: بأنك كبيرٌ ولا يصلح منك البكاء، وهذا قمة علم النفس النبوي والتربوي، وقد تجلّى فيه قدر الرحمة والتواضع للذين كانوا في قلبه ﷺ ومدى اهتمامه بمشاعر الأولاد وحسن تفقّدهم وتنشئتهم على معاني الرأفة التي يعتاد عليها من الآباء.

كما تجلّت عناية النبي ﷺ للصغار اهتمامه بصغار الأنصار، فقد اعتاد زيارة الأنصار وتحيّة أطفالهم والتربيت على رؤوسهم، بل إنّه دأب على الإقتراب من الصغار ومباركتهم ومضغ التمرات لهم<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «إِنَّا بَكَّ لِحَزُونُونَ»، رقم الحديث 1303، ص 315.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن جعفر ﷺ، رقم الحديث 2428، ص 1137.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، رقم الحديث 6203، ص 1547.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ج 3، رقم الحديث 2144، ص

وكان يرحم بصغير الزنا ويشفق عليه، فلما جاءته الغامدية التي زنت ردها حتى تلد، فلما وضعت وجاءت قال النبي ﷺ: «إِذَا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ يَرْضَعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>.

كما خصَّ النبي ﷺ توليته أهمية خاصة لرعاية البنات -صغيرات السن- وذلك لعلمه أن قلوب الناس تميل بشكل أكبر للذكور، فقد عظم أجر من يتولَّى تربيتهم ورعايتهم والإحسان إليهم بالثواب العظيم والشرف الكبير أن ينال صحبة النبي ﷺ وشفاعته يوم القيامة، فقال ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعُهُ»<sup>(2)</sup>.

### ج- رحمته بالصغار اليتامى

لقد كان بدوره ﷺ من الأوائل الذين لمسوا آلام اليتيم وأحزانه، فاهتمَّ به اهتمامًا بالغًا من حيث تربيته ورعايته ومعاملته، وضمان سبل العيش الكريمة له، حتى ينشأ عضوًا نافعًا، ولا يشعر بالتقص عن غيره من أفراد المجتمع، فيتحطَّم ويصبح عضوًا هادمًا في الحياة فقال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا»<sup>(3)</sup> فقد حثَّ عليه الصلاة والسلام على العناية باليتيم وحسن رعايته، وكفالاته بالقيام بأموره، والسعي في مصالحه، من طعامه وكسوته، وتنمية ماله إن كان له مال، وإن لم يكن له مال أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى بل ضمن لكافل اليتيم غفران الذنوب<sup>(4)</sup>، فإلانة القلب هنا مجبولة برحمته لليتيم وإظهار معاني لعطف والشفقة تجاهه، لَمَّا أتى إليه رجل يشكو قسوة قلبه فأمره بالرحمة تجاه اليتيم.

وفي الإطار نفسه دعوته ﷺ إلى مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْيَتَامَى أو ضمَّه إليه، تشجيعه إلى رعايتهم والعطف عليهم وتحذيرهم من ظلمهم واستغلال ضعفهم وأكل أموالهم بالباطل، فقال: «اجتنبوا الموبقات السبع قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: ... أكل مال اليتيم»<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم الحديث 1695، ص 1323.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب الإحسان إلى البنات، رقم الحديث 2631، ص 1216.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم الحديث 5304، ص 1352.

(4) - محمد الكدي العمراني، فقه الأسرة المسلمة في المهاجر "هولندا نموذجًا"، رسالة دكتوراه (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، 2001م)، ص 156.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، رقم الحديث 2766، ص 684.



وكان يحرص ﷺ كل الحرص على رعاية مشاعر الأيتام وإدخال الشُّرور عليهم، ففي قصّة اختصام أبي لبابة ؓ ويقيم في نخلة، قضى رسول الله ﷺ لأبي لبابة بالنخلة لأنّ الحق كان معه، لكنه ﷺ لمّا رأى الغلام اليتيم يبكي، قال لأبي لبابة: «أعطه نخلتك، فقال: لا، فقال أعطه إياها ولك عذق في الجنة، فقال: لا، فسمع بذلك ابنُ الدحداح، فقال لأبي لبابة: أتبيع عذقك ذلك بحديقتي هذه؟، فقال نعم .. ثمّ جاء رسول الله ﷺ فقال: النخلة التي سألت لليتيم أن أعطيته ألي بها عذق في الجنّة؟! فقال رسول الله ﷺ: نعم، ثمّ قُتل ابنُ الدحداح شهيداً يوم أحد، فقال رسول الله ﷺ: «رُبَّ عذق مذل لابنِ الدحداح في الجنّة»<sup>(1)</sup>.

وكان من منهجه ﷺ مواساة اليتامى ومراعاة أحوالهم ومعاناتهم، من ذلك لمّا مات جعفر بنُ أبي طالب ؓ تعهّد النّبي ﷺ أولاده وأخذهم معه إلى بيته، فلمّا ذكرت أمّهم من يتمهم وحاجتهم، قال ﷺ: «العيلة -يعني الفقر والحاجة- تخافين عليهم وأنا وليّهم في الدُّنيا والآخرة»<sup>(2)</sup>.

لقد بيّنت الأحاديث السّالفة إهتمام النّبي ﷺ بصغار السنّ، ولاسيما بصغار أمته، فكم يُعجب القارئ لسيرته من بروز لطائف ومواقف رحمته بالصّبيان، ويزداد العجب عندما يُنظرُ إلى ثقل المسؤوليات الملقة على عاتقه وهو يدير الدولة ويقود الجيش ويحكم بين الناس ويتفاوض مع الوفود ويشرف على كلّ صغيرة وكبيرة في حياة المسلمين آنذاك، ورغم كل هذا إلّا وهو يرفع من شأن الصغار يداعبهم ويعانقهم<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الصُّلح، باب الإبراء والحطيطة وما جاء في الشفاعة، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، رقم الحديث 11348 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج6، 1424هـ/2003م)، ص 106. وقال البيهقي: رواه البخاري في الصحيح عن عبدان دون قصة أبي لبابة، وكأنّ قصة أبي لبابة ذكرها الزهري مرسلًا، فقد رواها حبيب بن أبي حمزة عن الزهري عن ابن المسيب عن النبي ﷺ مرسلًا.

(2) - أخرجه أحمد في مسنده، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث عبد الله بنُ جعفر بنُ أبي طالب رضي الله عنهما، ج1، رقم الحديث 1753، ص-ص 2، 4 رقم درجته. سنده صحيح، رواه من طريق أحمد كل من الطبراني في المعجم الكبير (105/2)، ورواه النسائي في السُّنن الكبرى (180/5)، أنبأ إسحاق بنُ منصور قال أنبأ وهب، هذا السند: صحيح وهب بن جرير بن حازم بن زيد أبو عبد الله الأزدي البصري ثقة من رجال الشيخين تقريب التهذيب (585) ووالده ثقة تقريب التهذيب (138)، ومحمّد بن عبد الله بن أبي يعقوب التميمي الضبي روى عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي وروى عنه جرير بن حازم -تهذيب التهذيب (253/9)، وهو ثقة -تقريب التهذيب (490) وشيخه الحسن بن سعد بن معبد الهاشمي مولاها الكوفي ثقة - تقريب التهذيب (161). وفي الصحيح من أحاديث السيرة النبوية، محمد بن حمد الصوياني (مدار الوطن للنشر، ط1، ج1، 1432هـ/2011م)، ص 427.

(3) - راغب السرجاني، الرّحمة في حياة النّبي ﷺ، المرجع السّابق، ص 87.

ويقول عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلِّقِي بِصَبِيَّانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُيقَ بِي إِلَيْهِ، فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ، فَأَرَدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأَدْخَلْنَا الْمَدِينَةَ، ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ»<sup>(1)</sup>.

وَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، اسْتَقْبَلَهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْآخَرَ خَلْفَهُ<sup>(2)</sup>.

فقد كان ﷺ يراعى الناحية العاطفية تجاههم، فأوجب الرحمة بهم والعطف عليهم، وألزم الأمة جميعاً بالتضامن والتكافل في رعاية الصغار والعناية بهم، فكان من شدة عنايته بهم أنه إذا مر بهم سلم عليهم وداعبهم بما يدخل السرور عليهم.

وعليه بناء على ما سلف يتعين على الداعية الاستفادة من دعوة النبي ﷺ للمسلمين وغير المسلمين كآلاتي:

بعد معاينة شيء من مواقف النبي ﷺ ومعاملته لمختلف أصناف المدعوين واستنباط موضوع دعوته لهم، والأساليب التي تعامل معهم بها، أصبح لزاماً علينا بيان إمكانية تطبيق هذا المنهج في حياة الدعاة إلى الله:

- إنَّ رَحْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ لشموليتها لامست لجميع أصناف المدعوين الصغار والكبار، المؤمن والكافر، فكل المخلوقات شملتهم هذه الرحمة النبوية، فيقول الشيخ ابن بطال رحمه الله في ذلك: (وفيه الحضّ على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل الكبير والصغير والمؤمن والكافر والبهائم والمملوك وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب)<sup>(3)</sup> ويقول ابن أبي حمزة رحمه الله: (يحتمل أن يكون المعنى من لا يرحم غيره بأي نوع من الإحسان لا يحصل على الثواب)<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن جعفر ﷺ، رقم الحديث 2428، ج4، ص 1885.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمرة، باب استقبال الحاج القادمين، والثلاثة على الدابة، رقم الحديث 1798، ص 433.

(3) - المصدر نفسه، ص 440.

(4) - المصدر نفسه، ص 440.

والدّاعية قدوته النبي ﷺ لا تكنْ دعوته موجّهة إلى الكبار فقط، ويغفل الناشئة الصّغار، فعليه أن يعمّمهم جميعًا بالرحمة ويحيطهم بالحنوّ والشفقة والرّعاية والتّوجيه السّليم والتّربية الصّحيحة، ففيهم يجب بذر بذور الدّين الصّحيح وتأكيد أساسه في نفوسهم بقدر ما يطيقون، ولا بدّ من التّدريب على شعائر الدين وإعطائه القدوة الحسنة.

- إنّ ما ذكر من نماذج ومواقف تعامل النبي ﷺ مع المسلمين وغير المسلمين هو إعراف بسموّ شخصه الكريم ﷺ وبجلالة قدره وعظم أخلاقه وجمال أسلوبه، وعلى الدّاعية إلى الله أن يكون وفيًا لهذا النبي العظيم، ومن وفاء الاقتداء بأخلاقه ومنهجه وفي جميع شؤونهِ ومعاملاته وفي سلوكه ليثبت بأنّه بحقّ أمة الخير والمحبة والسّلام.

- من أجل ما اختصّ به منهج النبي ﷺ العاطفي تحلّيه بأسلوب اللّين والرحمة ومدارة المدعوين، والنّبي أكمل الخلق جمع كل الجوانب العاطفيّة من مشاعر وأحاسيس ورقّة فكان أرقّ القلوب وألينها، وداعية العصر عليه استحكام هذا الأسلوب عند تعامله مع المدعوين، لأنّ القلوب تميل إلى من يرفق في معاملتها بالتّودّد والبشاشة والكلمة الطّيبة والتّعامل الحسن، وخاصّة مع المسلمين أهل الكبرياء وغير المسلمين لتقدّم صورة الإسلام على النّحو الصّحيح، وقد قيل قديمًا: (ليكن وجهك بسطًا، وكلمتك لينة تكن أحبّ إلى النّاس ممّن يعطيهم عطاء)<sup>(1)</sup> والمواقف التي عرضتها والتي لم يسعفنا الحظّ في طرحها وهي كثيرة جدًّا لا تعدّ ولا تحصى، توحى بخيرية دعوة النبي ﷺ وملاينته في جميع المواقف، والتي يمكن على الدّاعية أن يتّخذها معيارًا أساسيًا للسّير بدعوته إلى قمّة النّجاح.

(1) - فضل دهي، من صفات الداعية اللين والرفق، ص 3.

### الخلاصة

في نهاية هذا الفصل الذي يبيّن كيفيات وطرق تعامل النبي ﷺ مع جميع أصناف المدعوين بالمنهج العاطفي، نجدّه ﷺ جمع كامل محاسن الصفات والكمال، فكان جامعاً لكل خير وأسوة حسنة في كلّ شيء، ومثالاً راقياً في الأداء والتعامل مع جميع أصناف المدعوين عمومهم وخصوصهم، صغيّرهم وكبّيرهم، مسلمهم وكافرهم، فكان يلقيهم بوجه طليق باسم، نديّ الطلعة، كريم العطاء، رحيم القلب، حسن الأداء.

ومن جملة ما نستشقه في هذا الفصل من " نتائج " اختصرتها كالاتي:

- قدّم هذا الفصل تعاملات النبي ﷺ مع أصناف المدعوين على تباين صفاتهم وأحوالهم وعقائدهم، فنراه محباً لهم، رفيقاً بهم، يتغاضى عن زلّاتهم ويعفو عنهم ولا يهينهم.
- المنهج العاطفي وما يتفرّع عنه من أساليب ووسائل، يمثّل روح الإسلام وجوهره، وهو منهج قائم على المعاملة اللائقة مع غير المسلمين والمسلمين.
- من لطائف دعوة النبي ﷺ ورحمته أنّه ألزم التعامل بالعاطفة والرحمة حتّى مع غير المسلمين إذ لا يقبل إيذائهم والتّمثيل بهم.
- نظراً للخاصيّة العالمية التي تميّزت بها دعوة النبي ﷺ فقد جعلها موجّهة للمسلمين وغير المسلمين، سخر لها أساليباً متنوّعة لمخاطبتهم واستمالتهم لشريعة الإسلام، فأقامها على المنهج العاطفي لتحريك الدوافع الفطرية الخيرة، وإعمال منهج التّرجيب والتّرهيب والتّدرج وجانب اللين ... ودغدغة العواطف ودعمها بالحجج والبراهين التي يستحسن ترصيعها وتضمينها في ثنايا الإثارات الوجدانية أثناء مخاطبتهم<sup>(1)</sup>.
- امتثلت دعوة النبي ﷺ للمسلمين في إصلاح الأخلاق وترسيخ القيم وبناء مجتمع إسلامي رحيم ومتكافل وقوي على أسس سليمة ودعائم ثابتة، وغير المسلمين إعطاء الصّورة الحقيقيّة للإسلام عن طريق المنهج العاطفي، بأنّ الإسلام ليس كما يزعمونه عنيفاً ومتعطّشاً للدّماء، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على النّاس فرضاً، فموقفه سلمي وهو عدم إكراه النّاس في الدّخول في الإسلام.

(1) - حسن عزوزي، التعريف بالإسلام باللّغات الأجنبية (الإدارة العامّة للثقافة والنّشر، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم،

- لَقَدْ سَجَّلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمَ مَثَالاً فِي طَرِيقَةِ دَعْوَتِهِ لَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، تَجَلَّتْ فِيهَا مَعَانِي الرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ التَّعَامُلَ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِمِثْلِ الْأَسَالِيبِ الْعَاطْفِيَةِ الْمَذْكُورَةِ سَابِقاً أَمْراً لَا غَنَى عَنْهُ، فَأَحْيَاءُ تَكُونُ الْغُلْظَةُ وَالشَّدَّةُ هِيَ الْحُلُّ الْأَمْثَلُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ الْمَعَادِينَ لِلْإِسْلَامِ، وَلَأَنَّ تَرْكُهَا فِي الْوَقْتِ الصَّحِيحِ وَالْمُنَاسِبِ لَهُ عَوَاقِبُ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ. وَالدَّاعِيَةُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ قَوِي الْأَمَلِ لَا يَيْأَسُ مِنْ تَأْثِيرِ دَعْوَتِهِ وَهَدَايَةِ مَنْ يَدْعُوهُمْ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ وَلَوْ اِمْتَدَّ الزَّمَنُ وَطَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ وَلَهُ فِي الرُّسُلِ الْكَرَامِ خَيْرُ أُسْوَةٍ فِي ذَلِكَ.

- بَيَّنَّ هَذَا الْفَصْلُ أَثَارَ الْمَنْهَجِ الْعَاطْفِيِّ فِي دَعْوَةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّجَاحِ وَقَبُولِ هَذَا الدِّينِ، فَقَدْ دَخَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ وَفَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ فِي الْإِسْلَامِ، فَظَهَرَتْ رِسَالَتُهُ لَيْسَ بِقَصْدِ الْإِبَادَةِ وَالْإِرْغَامِ وَإِنَّمَا بِالْإِقْنَاعِ وَالتَّأْثِيرِ الْعَاطْفِيِّ.

## الفصل الرَّابِع

موضوعات دعوة النَّبي ﷺ

### بالمنهج العاطفي

المبحث الأول: في مجال العقائد

المبحث الثاني: في مجال القيم والأخلاق

المبحث الثالث: في مجال الشرائع

## تمهيد

موضوع الدعوة إلى الله من صنو الإسلام يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] والإسلام أشبه ما يكون بكتالوج يسير به الداعية لتبليغه الناس وتعليمهم قولاً وسلوكاً جاء به النبي ﷺ لإخراجهم من عبادة ما سوى الله إلى عبادة الله وحده، إذ يقتضي من المدعوين الاستسلام لسلطان الله وتحكيم منهجه وشرعه فيهم، فتصبح السلطة فيهم خالصة لمنهاج الله أمراً ونهيًا، حتى تحقق لدعوة الإسلام السيادة والريادة<sup>(1)</sup>، والداعية طرف فاعل ومصلح في مجتمعه، عليه أن يسير وفق الهدي النبوي، يبلغ ما أستوجب عليه من تعاليم تتضمن أمور الدين العقائدية والشرعية والأخلاقية.

والحديث في موضوعات الدعوة في السيرة العطرة ليس بغرض التفصيل والإسهاب والإيجاز، وإنما لغرض توضيح جوانب تتعلق بموضوعات دعوة النبي ﷺ بالمنهج العاطفي، وقد استقر الرأي بعد عملية البحث تحديد هذه الموضوعات فكانت في العقيدة والشرعية والأخلاق، بلغها النبي ﷺ لجميع الفئات بما يتناسب مع حال البلاغ وحال المبلّغ، موظفًا أساليب دعوية تمس الجانب العاطفي في شخصيته ﷺ كان من جملةتها الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يقول الدكتور علي عبد الحليم محمود حول ترابط هذه الموضوعات وأثرها في الدعوة إلى الله: (وهذه الموضوعات يقوم عليها بناء الدين الإسلامي وحضارته كلها، وإن بدت للنّظر وكأنّها منفصل بعضها عن بعض، إلّا أنّها في الحقّ مترابطة متماسكة يفضي أولها إلى تاليها، وتاليها إلى ما بعده، فالعقيدة الصحيحة أساس تقوم عليها الشريعة، والشريعة أساس يقوم عليها السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي، وهذا السلوك على المستوى الفردي أو الجماعي إذا جاء وفق ما نادى به العقيدة وما حدّدت ملامحه العبادة فهو العمل الصّالح وليس وراء هذا التّربط والتّماسك ترابط أو تماسك)<sup>(2)</sup>.

ولأهمية هذه الموضوعات في جوانبها العقائدية والتشريعية والأخلاقية، كان هذا الفصل تعبيراً عن وجوب العودة إلى رحاب الهدي النبوي في سدّ بؤرة الاختلافات والمجادلات الحاصلة، ولأجل ذلك جاء هذا الفصل ليؤكد أهمية المنهج النبوي وأثره في إصلاح العقائد وترسيخ القيم الأخلاقية وغرسها في النفوس، فاقتضت الخطة أن تكون في ثلاثة مباحث:

(1) - عبد الله بن محمد الموسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1403هـ/1406هـ، ص 20.

(2) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، المرجع السابق، ص 117.



**المبحث الأول:** في مجال العقائد، والمبحث الثاني: في مجال القيم والأخلاق الفاضلة، والمبحث الثالث: في مجال الشرائع.

وبناءً على هذه الخطّة سأمهّد في توضيح المفاهيم الأساسية والمتعلّقة بكلّ عنصرٍ من عناصر هذا الفصل، وبيان أهمّيّته وتطبيقاته الدّعوية، وتقصّي بعض مواقف النَّبي ﷺ الرَّاشدة والعاطفيّة والتي ساهمت في تضمين هذه الموضوعات قولاً وعملاً، علماً أنّ الأحاديث المقدّمة قد أصلت هذا المنهج - المنهج العاطفي - وجعلت له جذوراً عميقة في الإسلام، كما جعلته من أسس مناهج الدّعوة إلى الله.

### المبحث الأول: في مجال العقائد

يعدّ موضوع العقيدة من أبرز موضوعات الدّعوة إلى الله عموماً ودعوة النَّبي ﷺ على وجه التّحديد، وردت في أحاديث كثيرة ومواقف متعدّدة من حياة النَّبي ﷺ ودعوته العريقة، إذ لا يمكن حصرها لتشعبها، ولأهمّيّة العقيدة في دعوة النَّبي ﷺ فقد علّق عليها بناء جميع الموضوعات الأخرى، فإذا لم تقم هذه الموضوعات على العقيدة الصّحيحة، فإنّها ستكون هباءً منثوراً، يقول تعالى:

﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَاعْمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: 23] وقد استقرّ الرّأي بالتّطرق إلى الأهمّ منها: التّوحيد - وحقيقة البعث - وإثبات النّبوة.

وقبل الشّروع في تطبيقات هذه الموضوعات وأثرها في دعوة النَّبي ﷺ رأيتُ أن أمهّد بتعريف العقيدة من النّاحية اللّغوية والإصطلاحية، وبيان أهمّيّتها في الدّعوة إلى الله عموماً ودعوة النَّبي ﷺ على وجه التّحديد.

### المطلب الأول: مفهوم العقيدة وأهمّيّتها في دعوة النَّبي ﷺ

#### أولاً: مفهوم العقيدة

##### أ - لغة

- يعرفها العلامة ابن منظور بالقول: (عَقَدَ تدل في اللّغة على التّصميم والعزم والصّلابيّة، يُقال: عَقَدْتُ الحبل والبيع والعهد فأنعقد، واعتقد الشّيء أي: اشتدّ وصلب، واعتقد كذا بقلبه والمعاقدة: المعاهدة، والعقد نقيضُ الحلّ، ويُقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنّكاح)<sup>(1)</sup>.

(1) - يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عقد، ج3، المصدر السّابق، ص 296.

## ب- إِصْطِلَاحًا

أَبْدَى العديد من العلماء والدُّعاة إعرابهم لمفهوم العقيدة، فَعَرَّضَتْ مختلفه غرضهم وضع تعريفًا صائب للعقيدة.

- يَعْرِفُهَا الشَّيْخُ العَثِيمِين رَحِمَهُ اللهُ بالقول: (العقيدة هي الحكم الذَّهني الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففساد)<sup>(1)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا الإمام حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ بالقول: (العقيدة هي الأمور التي يجب أن يصدَّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينًا عندك لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك)<sup>(2)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا الدُّكْتُور الفوزان بالقول: (هي ما يصدقه العبد ويدين به، فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رسله الكرام وأنزل به كتبه فهي عقيدة صحيحة، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة)<sup>(3)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا الدُّكْتُور علي محمود عبد الحليم بالقول: (هي ما يجب أن يعتقده المسلم ليقيم عليه عبادته وسلوكه وعمله كلّ، الفردي منه والاجتماعي، مرتكزها ما يلقي في القلوب والعقول من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر)<sup>(4)</sup>.

## إضافة إلى المفاهيم السَّالفة جاء تعريف العقيدة الإسلامية في الإِصْطِلَاح الشرعي كالآتي:

العقيدة الإسلامية هي أركان الإيمان الواردة في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور<sup>(5)</sup>، هذا الحديث الشريف بيّن جوامع الدِّين بأبسط أسلوب وأوضح عبارة، نجده في قوله ﷺ: «فإن جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(6)</sup> يصرّح هذا الحديث - حديث عمر رضي الله عنه - بحقائق الدِّين وهي الإسلام والإيمان، وهذه المراتب عظيمة جدًّا، والله تعالى علّق عليها السَّعادة والشَّقاء في الدنيا والآخرة، وأبدى

(1) - العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط2، 1404هـ/1984م)، ص 14.

(2) - عثمان بن جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، 1414هـ/1993م)، ص 121.

(3) - صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والردّ على أهل الشُّرك والإلحاد (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، ج1، 1412هـ)، ص 6.

(4) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 114.

(5) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، رقم الحديث 8، ج1، ص 23.

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السَّاعة، رقم الحديث 50، ص 17.

ارتباطها الوثيق ببعضها البعض، فربط الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفَسَّر الإيمان بالأعمال الباطنة، من إعتقادات وأعمال القلوب، وكلاهما يكملان بعضهما فلا تقبل الأعمال إلا بالإيمان، ولا يكتمل الإيمان إلا بالأعمال الصالحة، وللعلم أنَّ العقيدة هي الأساس والشريعة هي البناء، ولا بناء من غير أساس، ولا عمل من غير توحيد وإخلاص<sup>(1)</sup>، يقول تعالى في مجمل الآية الكريمة: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

هذه العقيدة التي بعث بها النَّبي ﷺ وبلغها أُمَّته، كانت بمثابة ربط الأرواح بخالقها لترجو ثوابه وتُخاف عقابه، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»<sup>(2)</sup>.

وفي حديث عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»<sup>(3)</sup>.

وأما المفهوم الإجرائي للعقيدة والمتعلق بالدراسة هو: العقيدة هي العزم والعقد على أداء أعمال الإسلام وفق ما يعتقده القلب من أركان الإيمان، إذ هو المحرك الأساسي للجوارح، إن صحَّ التعبير، فإنَّ الإيمان هو الشُّحنة الكهربائية التي تمدُّ الجوارح بالطاقة لتحرك وفقها.

### ثانيًا: أهمية العقيدة في دعوة النَّبي ﷺ

حرص النَّبيُّ ﷺ واجتهد في تبيان العقيدة الصحيحة وترسيخها من خلال أساليبه المختلفة، تميَّزت جميعها باللين والتبسيط والبيان وبحسب فئات المدعوين، فكان كلامه يبين واضحًا كما قالت عنه السيِّدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ»<sup>(4)</sup> فكان ﷺ أفصح الخلق وأعدبهم كلامًا، وأسرعهم أداءً، وأحلاهم منطقًا، حتَّى كان كلامه يأخذ بالقلوب ويسبي الأرواح، وكان من هُديهِ التَّأْنِي والهدوء في الحديث مع توضيح كلامه للنَّاس، حتَّى يفهموا ولا يفوتهم شيء من قوله، وهذا فيه بيانٌ للدَّاعية أن يكون: حسن المنطق يُوضِّح كلامه ويبيِّن ألفاظه وحروفه للنَّاس، ليصل إلى مُرادِهِ في دعوته ويفهم المدعو.

(1) - عمر بنُ عمر بنُ بادحدح، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح، المرجع السَّابق، ص 44.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله دخل الجنة، رقم الحديث 92، ص 55.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، أبواب استقبال القبلة، باب المساجد في البيوت، رقم الحديث 42، ص 63.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، رقم الحديث 4839، ج7، المصدر السَّابق، ص 208.

وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

وفضلاً عن ما كان يسلكه ﷺ العقيدة غرس في نفوس أصحابه، فقد كان يحرص كلَّ الحرص على متابعتهم وتعهُّد الإيمان في قلوبهم، فكانت ضمن الوصايا التي وردت في حديث جندب بن عبد الله ﷺ حين قال: «كُنَّا مع النَّبي ﷺ ونحن فتیان حزاورة(\*) تعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثمَّ تعلَّمنا القرآن فازدَدنا به إيماناً»<sup>(1)</sup>.

فصغارُ الصَّحابة لتأثُّرهم بالنَّبي ﷺ جعلهم حريصين على تعلُّم الإيمان قبل العمل، وتعلُّم القرآن وحفظه، يقول الحسن بن علي ﷺ: «علَّمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولهنَّ في قنوتِ الوتر: اللَّهُمَّ اهْدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولَّني فيمن تولَّيت وبارك لي فيما أعطيت وقني شرَّ ما قضيت فإنك تقضي ولا يُقضى عليك إنَّه لا يُدُلُّ من واليت تباركت ربُّنا وتعاليت»<sup>(2)</sup>.

والعقيدة في حياة النَّبي ﷺ ودعوته هي الشُّحنة القويَّة التي يذكِّي بها عقول النَّاس الذين عقَلَتهم الخرافة ووأدت أفكارهم بالآماد الغابرة والزَّلَّات العابرة، فصنع ﷺ منها نماذج فولاذية قلَّ نظيرها، فلم تكثر للأعراف القبلية أو القربات الدَّموية بل كان يعتبر سلمان ﷺ في قوله: «سلمان منَّا آل البيت»<sup>(3)</sup>، في حين أنَّ عمَّه أبا لهب أنزل القرآن يلعنه.

هذه العقيدة ترفع غرباء وتضع أقباء، فحينما أقبل النَّبي ﷺ بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيراً»<sup>(4)</sup>.

(\*) - حزاورة: جمع حَزُور، والحزُور: وهو الغلام إذا اشتدَّ وقوي وخدم، وقارب البلوغ، قال العلامة الرَّاجز: لَنْ يَغْدَمَ المطيُّ مني مِشْفِراً ... شَيْحاً بِجَالاً وَغُلَاماً حَزُوراً (يُنْظَر: ابنُ منظور، لسان العرب، مادَّة حَزَأ، بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، مؤسَّسة التَّاريخ العربي، ط3، ج3، 1419هـ/1999م)، ص 150.

(1) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب المقدِّمة، باب 9، باب في الإيمان، رقم الحديث 61، ج1، المصدر السَّابق، ص 23. وقال الألباني في سنن ابنِ ماجه: هذا حديثٌ صحيحٌ.

(2) - أخرجه التَّرمذي في سننه، أبواب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، رقم الحديث 464، مج1، المصدر السَّابق، ص 478. وقال التَّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(3) - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النَّيسابوري، المستدرک على الصَّحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب معرفة الصَّحابة، باب ذكر سلمان الفارسي ﷺ، رقم الحديث 2137/6539 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج3، 1422هـ/2002م)، ص 691.

(4) - ابنُ كثير، البداية والنهاية، ج3، المرجع السَّابق، ص 306. ورواه الطَّبْراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، باب من يكتي أبا عزيز، رقم الحديث 977 (القاهرة: مكتبة ابنِ تيمية، د، ط، ج22، 1983م)، ص 393، ورواه الطَّبْراني في الصَّغير، 146/1، وقال: إسناده حسن، ويُنظر: سيرة ابنِ هشام 288/2، وذكر الحافظ في الإصابة واسطة مجهولة بين نبيه بن وهب وأبي عزيز من طريق ابنِ إسحاق فالحديث ضعيف، وقال الهيثمي في مجمع الزَّوائد، ج 6، ص 115: إسناده حسن.

وأبو عزيز بن عمير بن هاشم - أخو مصعب بن عمير (\*) ﷺ لأبيه وأمه - في الأسارى، يقول: «مرَّ بي أخي مُصعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يأسرني فقال: ضدَّ يدك به، فإنَّ أمَّه ذات متاع لعلَّها تفديه منك، قال أبو عزيز: فكنت في رَهْط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصُّوني بالخبز وأكلوا التَّمَر لوصيَّة رسول الله ﷺ إيَّاهم بنا، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبز إلَّا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردها عليَّ ما يمسه، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنَّه أخي دونك، فسألت أمَّه عن أغلى ما فُدي به قرشيَّ فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف، ففَدَتْهُ بها»<sup>(1)</sup>.

فالعقيدة سرٌّ من أسرار حياة الأُمَّة وريقها وأمنها، وما عداها من العقائد والشُّعارات التي ترفع اليوم في ساحات البلاد الإسلامية وفي بلاد أخرى هي خُداج - باطلة -، ينبغي على الدَّاعية تحمُّلُ مسؤولية الحفاظ عليها والدِّفاع عنها خصوصًا أمام الحملات المغرضة التي تحاك في دياجير ظلمة التشكيك قصد التشهير والتفكيك، والدَّعوة بدورها تسعى جاهدة في ترسيخها وتثبيتها وجمع الأُمَّة على عقيدة واحدة كما كان يدعو إليها النَّبي ﷺ.

(\*) - أبو عزيز بن عمير بن هاشم: الصَّحابي كان من السَّابِقين إلى الإسلام مَن شهد بدرًا وأُحُدًا، وكان حامل اللِّواء فيها، ومَن هاجر المَجرِتين الأولى إلى الحبشة، والثَّانية إلى المدينة، أسلمَ على يديه العشرات، وكان أوَّلَ سفير في الإسلام، ويقال: إنَّه أوَّلَ مَن صلَّى الجمعة في المدينة. أنت أمُّه من أغنى أهل مَكَّة، تكسوه أحسن الثَّياب، وأجمل اللباس، وكان أعطر أهل مَكَّة، فلمَّا أسلم إنخلع من ذلك كلِّه، وأصابه من التعذيب والبلاء ما غيَّر لونه، وأهلك جسمه، بعثه رسول ﷺ مع مصعب بن عمير ﷺ مع النَّفر الإثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى، يُفَقِّه أهلها ويُقرئهم القرآن، فكان منزله على أسعد بن زرارة، وكان إمَّا يسمَّى بالمدينة المقرئ، يُقال: إنَّه أوَّلَ مَن جمع الجمعة بالمدينة، وأسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وهما سيِّدا قومهما، وكفى بذلك فخراً وأثراً في الإسلام (يُنظَر: محمَّد حسن بريغش، مصعب بن عمير الدَّاعية المجاهد، جلد: دار البشير، دمشق، دار القلم، ط6، 1420هـ/1999م).

(1) - عبد الملك بن هشام، سيرة بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ج1، المرجع السَّابق، ص 645.

## المطلب الثاني: دعوة النَّبي ﷺ في ترسيخ عقيدة التَّوحيد

قبل التَّفصيل في بيان تطبيقات دعوة النَّبي ﷺ في تثبيت عقيدة التَّوحيد أَسْتَهْلُ بِتَقْدِيمِ مفهومه من النّاحية اللُّغوية والإِصطلاحية لِيَتَّضِحَ معناه أَكْثَرُ.

### أَوَّلًا: مفهوم التَّوحيد

لِلتَّوْحِيدِ مفاهيم متعدّدة ومختلفة أشار إليها أهل اللُّغة وعلماء الدَّعوة، وبالأحرى العلماء المتخصِّصين في العقيدة، وقد لوحظَ جميعها مختلفة من حيث الألفاظ والكلمات لكنّها تشترك في المعنى نعرضها كالآتي:

#### أ - لغةً

- يَعْرِفُهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ مَنْظُورٍ رحمه الله بالقول: (التَّوْحِيدُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ذُو الْوَحْدَانِيَّةِ وَالتَّوْحِدُ، ثُمَّ قَالَ: فَالْوَاحِدُ مُتَّفَرِّدٌ بِالذَّاتِ فِي عَدَمِ الْمِثْلِ وَالنَّظِيرِ)<sup>(1)</sup>.

#### ب - إِصطِلَاحًا

- يَعْرِفُهُ الْعَلَامَةُ الصَّنْعَانِيُّ رحمه الله بالقول: (هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ دُونِهِ)<sup>(2)</sup>.

- وَيَعْرِفُهُ الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْكَرِيمِ زِيدَانُ بالقول: (التَّوْحِيدُ هُوَ الْإِقْرَارُ وَالْإِعْتِرَافُ وَالْإِعْتِقَادُ بِأَنَّ الْمَعْبُودَ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ بِاللِّسَانِ وَالْأَفْعَالِ وَالسُّلُوكِ، وَالتَّوْحِيدُ هُوَ لَبِّ الْإِسْلَامِ وَأَسَاسِهِ، وَمِنْهُ تَنْبَثِقُ سَائِرُ نِظْمِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَوَامِرُهُ وَمَنْاهِجُهُ وَكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ عِبَادَاتٍ وَأَحْكَامٍ يَرْسُخُهُ وَيَقْوِيهِ وَيُثَبِّتُهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ)<sup>(3)</sup>.

- وَيَعْرِفُهُ الْبِيْجُورِيُّ بالقول: (التَّوْحِيدُ إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعِبَادَةِ مَعَ إِعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِهَا ذَاتًا وَصِفَاتًا وَأَفْعَالًا)<sup>(4)</sup>.

(1) - ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ وَحْدٍ، ج 3، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 450.

(2) - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّنْعَانِيُّ، تَطْهِيرُ الْإِعْتِقَادِ عَنْ أَدْرَانَ الْإِلْحَادِ وَيْلِيهِ شَرْحُ الصُّدُورِ فِي تَحْرِيمِ رَفْعِ الْقُبُورِ، تَحْقِيقُ: عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ حَمْدِ الْعِبَادِ الْبَدْرِ (الرِّيَاضُ: مَطْبَعَةُ السَّفِيرِ، ط 1، 1424هـ)، ص 18.

(3) - عَبْدُ الْكَرِيمِ زِيدَانُ، أَصُولُ الدَّعْوَةِ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص - ص 22، 23.

(4) - عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ حَاشِيَةُ الْإِمَامِ الْبِيْجُورِيِّ، تَحْقِيقُ: عَلِيِّ جَمْعَةِ مُحَمَّدٍ لَشَّافِعِي (الْقَاهِرَةُ: دَارُ السَّلَامِ لِلنَّشْرِ وَالطَّبَاعَةِ وَالتَّوْزِيعِ، ط 1، 1422هـ/2007م)، ص 38.

- ويعرّفه الدكتور عثمان بُنُ جمعة بالقول: (التَّوْحِيد هو الاعتقاد أنَّ الله تعالى واحد في ربوبيته، فلا ربَّ سواه، وواحد في ألوهيته، فلا يستحقُّ العبادة سواه، وواحد في أسمائه وصفاته، متفرّد بصفات الكمال التي لا تنبغي إلَّا له، فلا شبيه له ولا نظير)<sup>(1)</sup>.

وبناءً على المفاهيم السَّابقة تعيَّن لي المفهوم الإجرائي المختار هو كالاتي: التَّوْحِيد هو ما وقر في القلب من اعتقاد جازم بوحداية الله تعالى وإفراده بالعبادة.

#### ثانيًا: أهمّية البدء بالتَّوْحِيد

إنَّ أصل الأديان كلّها التَّوْحِيد، فما من نبيٍّ إلَّا بُعث لقومه ليعبدوا الله مخلصين له الدِّين، فأوصوا به أبناءهم وآباءهم وأصحابهم، مثال ذلك ما جاء على لسان نبيِّ الله يعقوب عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِنَّا إِبراهيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133] .

ونبيُّ الله يوسف عليه السلام مع أصحابه في السَّجن يقول: ﴿يَصْحَبِي السَّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: 39] سيدنا يوسف عليه السلام لم يُثْنِ السَّجن في الدَّعوة إلى التَّوْحِيد، فقد سعى في تصحيح العقيدة مستخدمًا الحجّة العقلية المقنعة والعاطفية المؤثّرة. وكان النَّبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ امتدادًا للبناء الرِّبَّاني الذي أنيط به المرسلون من الأنبياء، لأنَّهم جميعًا جاءوا برسالة واحدة ابتدأت بها دعواتهم فقال: «إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(2)</sup>.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله لَمَّا ذكر الأنبياء هنا: (هؤلاء كلّهم مجتمعون على التَّوْحِيد، فالأُمَّة هنا بمعنى الدِّين الذي هو الإسلام)<sup>(3)</sup>.

ويقول الشَّيخ الطَّيْبِي رحمه الله معلقًا عن معنى الحديث: (... شَبَّهَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَا بَعَثُوا بِهِ الْهُدَى وَالْعِلْمَ وَإِرْشَادَهُمُ النَّاسَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِقَصْرِ شَيْدِ بَنِيَانِهِ وَأَحْسَنَ بِنَاؤِهِ، وَلَكِنْ

(1) - عثمان بُنُ جمعة ضميمية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، المرجع السَّابق، ص 216.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيّين، رقم الحديث 3535، ج6، ص 558. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيّين، رقم الحديث 2286، ج4، ص 1790.

(3) - القرطبي، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وآخر (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، ج11، 1384هـ/1964م)، ص 338.



ترك منه ما يصلحه وما يسدّ خلله من اللَّبنة، فبعث نبيّنا مُحَمَّد ﷺ ليسدّ ذلك الخلل مع مشاركته إياهم في تأسيس القواعد ورفع البنيان ... ويضيف، إذاً حاصل الكلام تعجّبهم من الموضع إلّا موضع تلك اللَّبنة، وليس ذلك المصلح إلّا ما اختص به من معنى المحبة وحقّ الحقيقة الذي يعتنيه أهلُ العرفان<sup>(1)</sup>.

فجميع الأنبياء عليهم السّلام اتخذوا المنهج العاطفي مسلّكاً هامّاً في دعوتهم إلى التّوحيد، لينساب به الحقّ إلى سويداء القلوب، وينشرح القلب ويسقى بماء الحقّ الزّلال فتطفو معاني وحدانية الله امتثالاً وانقياداً وظاهراً على الجوارح، يقول الأستاذ سيّد قطب رحمه الله: (التّوحيد هو القاعدة والأساس، فإذا وضعت تلك القاعدة وأقيم الأساس جاءت التّكاليف الفردية والاجتماعية ولها في النّفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد)<sup>(2)</sup>.

وقد تبين أهميّة البدء<sup>(3)</sup> بالدّعوة إلى التّوحيد من وجوه:

أ- بقاءه ﷺ طيلة حياته يدعو إلى التّوحيد، ويركّز عليه دون غيره، يدلّ على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «قال عمرو بن عبسة السلمي: قال: كنتُ وأنا في الجاهليّة أظنُّ أنّ النّاس على ضلالةٍ، وأنّهم ليسوا على شيءٍ، وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجلٍ بمكة يُخبر أخباراً، فقعدتُ على راحلتي، فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مُستخفياً جُزءاً عليه قومه، فتلطّفتُ حتّى دخلتُ عليه بمكة، فقلتُ له: ما أنت؟ قال: أنا نبيّ قلتُ: وما نبيّ؟ قال: أرسلني الله فقلتُ: وبأيّ شيءٍ أرسلك؟ قال: أرسلني بصلّة الأرحام، وكسر الأوثان، وأنّ يوحد الله لا يُشرك به شيءٌ...»<sup>(4)</sup>.

ومما يؤكّد أهميّة البداية بالتّوحيد استمراره ﷺ طيلة فترة دعوته يبدأ بعرض التّوحيد أولاً، يدلّ على ذلك إرشاده لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن أن يبدأ بالدّعوة إلى التّوحيد، وتبّه الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى الحكمة في ذلك فقال: (ووقعت البداية بهما - أي الشّهادتين - لأتّهما أصل الدّين الذي لا يصحّ شيء إلّا بهما)<sup>(5)</sup>.

(1) - الطّبي، شرح الطّبي على مشكاة المصابيح المسمّى بالكشاف عن حقائق السُّنن، كتاب الفضائل والشّمائل، باب فضائل سيّد المرسلين عليه صلوات الله وسلامه، تحقيق: عبد الحميد هنداي، رقم الحديث 5745 (الرياض: مكتبة نزار مصطفى، ط1، مج 1، 1417هـ/1997م)، ص 3634.

(2) - سيّد قطب، في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشُّروق، ط32، مج1، 1423هـ/2003م)، ص 2123.

(3) - يُنظر: إبراهيم بن عبد الله المطلق، التّدريج في الدّعوة، المرجع السّابق، ص - ص 38، 39.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم الحديث 832، ص 569.

(5) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الزّكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتردّها في الفقراء حيث كانوا، رقم الحديث 1425، ص 419.

ب- ولأوه ﷺ وبرأؤه من أجله، فقد أحبَّ قومًا وهم من أبعد الناس عنه نسبًا من أجل التَّوحيد، وأبغض آخرين وهم من أقرب الناس إليه نسبًا من أجله، مقتديًا في ذلك بنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ يقول الله عنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْتُمْ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَعْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَتُعَلِّمُنَا لَكَ الْإِسْلَامَ وَتُعَلِّمُنَا لَكَ الْإِسْلَامَ﴾ [الممتحنة: 4].

فموالاة الله بعبادته والبراءة من كلِّ معبود سواه هو معنى لا إله إلا الله يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِنِّي اتَّبَعْتُ اللَّهَ فَقَدْ فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۖ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزحرف: 26-28] ومما يدلُّ على هذا الولاء والبراء هجرته من مكة إلى المدينة، فقد كانت الحجره واجبة عليه وعلى أصحابه من أجل نصرة الإسلام وموالاة أهله، كما كان برأؤه وولأؤه ﷺ من أجل التَّوحيد،<sup>(1)</sup> مهتديًا بقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71].

ج- عدم تنازله ﷺ عن شيء في التَّوحيد، فحينما عرضت عليه قريش أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة<sup>(2)</sup> نزلت المفاصلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۖ وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُ مَا أَعْبُدُ ۖ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ۖ وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُ مَا أَعْبُدُ ۖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۖ﴾ [الكافرون: 1-6].

### ثالثًا: أساليب النبي ﷺ في إصلاح عقيدة التَّوحيد

لقد كانت الدَّعوة إلى الله أحبَّ إلى النبي ﷺ من كلِّ شيء، فقد كان حريصًا على هداية قومه جميعًا، ليدخلوا في دين الله وينعموا بما أعدَّه الخالق سبحانه وتعالى لهم في الدنيا والآخرة من خير جزيل وأجر عظيم<sup>(3)</sup>، وكان يبذل قصارى جهده يدعوهم إلى الاهتداء والإقتداء، ويحزن حزنًا شديدًا على عدم استجابتهم للدَّعوة حتَّى خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: 41] وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3].

(1) - يُنظر: إبراهيم بن عبد الله المطلق، التَّدْرِجُ في الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 38.

(2) - المرجع نفسه، ص 38.

(3) - الشريف حمدان راجح الهجاري، الأسلوب النبوي في الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 108.

فلم يكن همُّ النَّبِيِّ ﷺ محصوراً في مجرد إقامة الحجَّة عليهم، بل كان همُّه الأكبر هو سوقهم إلى الإيمان والتَّوْحِيد، وكان يسلك في ذلك كلَّ طريق من شأنه أن يَحَقِّق مراده، فالسَّيِّدة عائشة رضي الله عنها تخبرنا: «قلت للنَّبِيِّ ﷺ يوم اِشْتَدَّ عليه عصيان قومه وجحودهم: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحُد، قال: لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابنِ عبدِ ياليلِ بنِ عبدِ كلال<sup>(\*)</sup>، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلَّا وأنا بقرنِ الثَّعالب<sup>(\*)</sup>، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريلُ ﷺ، فناداني، فقال: يا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملكَ الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قد سمع قول قومك لك، وأنا ملكَ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني أمرَك، وبما شئت، إِنَّ شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلتُ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً<sup>(1)</sup>.

لننظر إلى بوارق عظمة العاطفة في نفس النَّبِيِّ ﷺ وعمقها، ومع كلِّ الألم والحزن والإضطهاد والقهر لا يزال يخاف على قومه، ويأخذ قراره دون إنفعال، ومع تعدد صنوف الأذى والمحن التي رآها لم يتغيَّر ولم يتبدَّل عليهم، فقد كان ودوداً بهم رقيقاً رحيماً وليناً وسمحاً .. وبرغم جهالة قومه سعى جاهداً في تخليصهم من أغلال الوثنية والشُّرك، ويدعوهم إلى بَرِّ التَّوْحِيد والإيمان، فاستخدم في ذلك أساليب وطرق عاطفيَّة متنوِّعة كان من جملتها:

#### أ - أسلوب التَّدْرِج

يعتبر التَّدْرِج من أهمِّ الأساليب التي تيسِّر قبول الدَّعوة إلى الله، ويعنى بالتَّقدُّم خطوة خطوة، والبدء بالأهمِّ فالمهمِّ، كما يعنى التَّقدُّم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وفَّق طرق مشروعة مخصوصة<sup>(2)</sup>.

وحسب سنَّة التَّدْرِج، فقد بدأ النَّبِيُّ ﷺ دعوته إلى توحيد الله تعالى، فوجَّه هذه الدَّعوة إلى أهله وأقربائه أولاً، ثمَّ دعا قومه وعشيرته، ثمَّ أرسل الرُّسل والبعوث إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام،

(\*) - ابنُ عبدِ ياليل: تمَّ شرحه سابقاً، يُنظر ص 227.

(\*) - قرن الثَّعالب: تمَّ شرحه سابقاً، يُنظر ص 227.

(1) - تمَّ تحريجه سابقاً، يُنظر ص 227.

(2) - يُنظر: التَّدْرِج في دعوة النَّبِيِّ ﷺ، إبراهيم المطلق، المرجع السَّابق، ص 16.

ويأمرهم بعبادة الله وحده وإلى مكارم الأخلاق، وكان النَّبي ﷺ يراعي ما يقتضيه الحال، وبالأهم فالأهم، إذ لا يُمكن بيان ما جاء به دفعةً واحدةً، لاسيما لحديث عهدٍ بالإسلام<sup>(1)</sup>.

وهذا ما يجب أن ينهجه كلُّ داعية إلى الله والشَّواهد على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل

المثال:

– كان التَّوحيد أول شيءٍ أمر به النَّبي ﷺ معاذاً ﷺ بالدَّعوة إليه حينما أرسله إلى اليمن واليًا قائلاً له: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كِرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»<sup>(2)</sup>.

وفي حديث آخر: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْي رَسُولَ اللَّهِ»<sup>(3)</sup> فأمره أن يدعو إلى التَّوحيد قبل غيرها من التَّكاليف الأخرى، وقال له بعد ذلك: «فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاءِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكِرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»<sup>(4)</sup> يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عن رواية روح بن القاسم: (فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله)<sup>(5)</sup> فأخبره ﷺ إنَّ هُم أَطَاعُواكَ لَذَلِكَ وَشَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاعْتَرَفُوا بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ حِينَئِذٍ مُرْهِمٌ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، أَمَّا بَدُونَ أَنْ يَقْرَءُوا بِالتَّوْحِيدِ فَلَا تَأْمُرْهُمْ بِالصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

(1) – التَّدْرِجُ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، إبراهيم المطلق، المرجع السَّابِق، ص 16.

(2) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب ما جاء في دعاء النَّبي ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، رقم الحديث 7372، ص 1820.

(3) – النَّوَوِيُّ، الْمَنْهَاجُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 19، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 98.

(4) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكَاةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَدُّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1496، ص 189.

(5) – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الزَّكَاةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَدُّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1496، المرجع السَّابِقُ، ص 358.

ولجميع الأعمال بدون التَّوحيد، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) [سورة الزُّمَر: 65-66] وهذا الأمر ليس خاصاً بمعاذ فقط، فهذا عام لكل من يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ أن يبدأ بهذا الأصل.

ويذكر الحافظ ابنُ حجر رحمه الله الحكمة من تقديم النَّبي ﷺ وترتيب الصَّلَاة عن الزَّكاة فقال: (إنَّ الذي يقرُّ بالتَّوحيد ويحدد الصَّلَاة، يكفر بذلك، فيصير ماله فيئا، فلا تنفعه الزَّكاة، وأمَّا الخطابي كحدِّ قوله: (إنَّ ذكر الصَّدقة أُخِّرَ عن ذكر الصَّلَاة، لأنها إنما تجب على قوم دون قوم، وأنها لا تكرر تكرار الصَّلَاة فهو حسن وتماه أن يقال بدأ الأهم بالمهم وذلك من التَّلطُّف في الخطاب لأنَّه لو طالبهم بالجمع في أوَّل مرة لم يَأْمَنِ التُّفَرُّقُ)<sup>(١)</sup>.

ويقول الدُّكتور أحمد عمر هاشم: (لم تأخذ الدَّعوة في منهجها في توجيه النَّاس دفعة واحدة بكلِّ ما هو منهي عنه وبكلِّ ما يتَّصل بالعقيدة والعبادات والأخلاق والعادات وغيرها، ولكنها تدرَّجت في الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في كثير من المجالات، وغالب المواقف، فكان لا بدَّ من حسم العقيدة أولاً، ولا سيما في المجتمع الوثني الغارق في جهالة لا تعرف الثَّور والهدى)<sup>(٢)</sup>.

لقد شمل خطاب النَّبي ﷺ لمعاذ التَّدريج في دعوة النَّاس إلى وحدانية الله، والذي يأخذ بالنَّاس تدريجياً إلى تقبُّل الحقِّ وإتباعه، فبرزت عاطفته ﷺ بالنَّاس بأن لا يلقي عليهم الأوامر جملة واحدة حتَّى لا ينفرهم من الإسلام، ولا يلقي عليهم أمور الدِّين كُرْهًا أو إرغامًا حتَّى ينساب الحقُّ إلى سويداء قلوبهم ويكتمل الإيمان في صدورهم، لأنَّهم بهذا لو عرفوا الله وآمنوا به لم يشقَّ عليه الأمر بالعبادات الأخرى وهذا الأسلوب استطاع عليه الصَّلَاة والسَّلام من خلاله تأليف قلوب العديد منهم للإسلام.

وما جاء عن أبي هريرة ؓ أنَّ أعرابياً أتى النَّبي ﷺ فقال: «دُلَّنِي على عملٍ إذا عملته، دخلتُ الجنَّة؟ قال: تعبُد الله ولا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصَّلَاة المكتوبة، وتؤدِّي الزَّكاة المفروضة، وتَصُوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا، فلمَّا ولى قال النَّبي ﷺ: مَنْ سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة، فليَنظُر إلى هذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الزَّكاة، باب أخذ الصَّدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، المرجع السَّابق، ص 359.

(٢) - أحمد عمر هاشم، الدَّعوة الإسلامية منهجها ومعالها (القاهرة: مكتبة غريب، د، ط، د، ت)، ص 17.

(٣) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، رقم الحديث 1397، ص 239.

هذا الحديث ونحوه خُوطِبَ به أعرابٌ حديثو عهدٍ بالإسلام، فاكْتَفَى منهم بفعل الواجب في ذلك الحال؛ لئلاَّ يثقل ذلك عليهم فيملُّوا، حتَّى إذا انشَرَحَتْ صدورهم للفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب المندوبات، سهَلَتْ عليهم<sup>(1)</sup>.

والدَّاعِية إلى الله بدوره إذا صادفت دعوته كافرٍ، عليه أن يتَّخَذَ حديث معاذ ﷺ منهجًا أصيلاً في التدرُّج بالمدعو بأن يقوم ما يقام على الآنية بتخليتها ثمَّ بتخليتها، يفرغها من ظلمات الجهل والوهم ويملأها بنور اليقين والفهم، وإذا وجد نفسه في مجتمع جاهلي يجد فيه النَّاس على جهالة وبُعد عن دين الله أن يبدأ به النَّبي ﷺ، وليس بمعنى أن ينطق بالشَّهادتين، وإنما العمل بمقتضاها. كما على الدَّاعِية أن يسير بدعوته على الأسس التي ارتكز عليها حديث النَّبي ﷺ لمعاذ ﷺ وخاصةً حينما يكون المدعو منحرف العقيدة، أمَّا من كان في قلبه جهالة وبعداً عن جادة الحقِّ فإنَّه يتذكَّر أسلوب النَّبي ﷺ مع أصحابه فقد كان يفرغهم من عادات الجاهلية وحبِّ الدُّنيا ويملئهم بحبِّ الله والإيمان الصَّادق.

#### ب- البراءة من الشُّركيات بالحكمة

إنَّ البراءة من الشُّرك وكسر الأصنام والأضرحة التي يأوي إليها العديد من النَّاس بالنُّذر والحاجات والأدعية من قضايا العقيدة الخطيرة والبارزة قديماً وحديثاً، اعتنى بها النَّبي ﷺ وكَرَّس الكثير من الجهود في سبيل التحرُّر من عبوديتها<sup>(2)</sup>، فأرسل في شأنها علي بنُ أبي طالب ﷺ وأمره أن يسوَّى بالأرض كل قبر ويهدم كل صنمٍ، محدِّراً من متابعة هذه العقيدة الفاسدة فقال له: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا أَلَّا يَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِيَّيْ أَنْهَاجُ عَنْ هَذَا»<sup>(3)</sup>.

وعلى رغم تشدُّد النَّبي ﷺ في أمر العقيدة إلَّا أنَّه بعاطفته يعدلُ عن جوانب معيَّنة ليست أساساً في العقيدة كامتناعه عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام، فقال لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة، لولا أنَّ قومك حديثو عهدٍ بشركٍ، لهدمْتُ الكعبةَ، فألْقَيْتُهَا بِالْأَرْضِ، وجعلْتُ لها بابين: باباً شَرْقيّاً، وباباً غَرْبيّاً، وزدْتُ فيها سِتَّةَ أَذْرُعٍ من الحجر، فإنَّ قُرَيْشاً اقْتَصَرَتْهَا حيث بنت الكعبةَ»<sup>(4)</sup>.

(1) - عبد الله اللحيان، التدرُّج في دعوة المسلم الجديد، المرجع السَّابق، ص 19.

(2) - سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدعوة من أمثال النَّبي ﷺ، المرجع السَّابق، ص 270.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتِّخاذ المساجد على القبور، رقم الحديث 1330، ص

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب فضل مكة وبُنيانها، رقم الحديث 1586، ص 385.



فقد استمرَّ النَّبِيُّ ﷺ في غرس أصول التَّوْحِيد في نفوس أصحابه، ولمَّ يسمح لأحدٍ منهم أن يخذلها، والمثير في هذا الأمر لَمَّا رأى بيدِ عمر بن الخطَّابِ ﷺ ورقة من التَّوراة، وكان عمر ﷺ قد أعجبه ما فيها، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وقال لعمر ﷺ: «أمتهؤكون فيها يا ابن الخطَّاب، والذي نفسي بيده لقد جئتمكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»<sup>(1)</sup>.

وكما حذر النَّبِيُّ ﷺ من نوع آخر للشُّرك وهو التَّوسُّل والرَّجاء لغير الله فقال عنه ﷺ: «الشُّرك أخفى في أمتي من ديبِ التَّمَلُّ على الصِّفا في اللَّيلة الظُّلُماء، وأدناه أن تحبَّ على شيء من الجور أو تُبغِضَ على شيء من العدل، وهل الدِّين إلا الحبُّ في الله والبغضُ في الله؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]»<sup>(2)</sup>.

وورد عن الحارث الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ، أمر يحيى بن زكريا عليهما السَّلام بخمس كلمات يعمل بهنَّ ... ثمَّ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهنَّ وأمركم أن تعملوا بهنَّ أو لهنَّ: أن لا تشركوا بالله شيئاً، فإن من أشرك بالله شيئاً مثله كمثل رجل اشتري عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وعملي فأد عملك، فجعل يعمل ويؤدي عمله إلى غير سيده، فأئبكم يجب أن يكون له عبد كذلك يؤدي عمله إلى غير سيده؟»<sup>(3)</sup> بيَّن النَّبِيُّ ﷺ جانباً مهماً في العقيدة وهو توحيد الله تعالى، وكان عليه الصَّلاة والسَّلام وجميع الأنبياء - عليهم السَّلام - أصل دعوتهم إلى ذلك، والدَّاعية إذا أراد تكميل معاني العقيدة والأخلاق التي تربطها حتَّى تؤثِّر ثمارها يجب الحيلة والحذر لجناب التَّوحيد والإستئناس بسنة المصطفى عليه السلام.

(1) - الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السَّبيل، كتاب الوقف، رقم الحديث 1589 (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، ج6، 1405هـ/1985م)، ص34.

(2) - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصَّحاحين، كتاب التَّفسير، تفسير سورة آل عمران، أخبار القتل عوض الحسين ﷺ سبعين ألفاً وسبعين ألفاً، رقم الحديث 3207 (القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، ج2، 1417هـ/1997م)، ص384.

(3) - أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث الحارث الأشعري عن النَّبِيِّ ﷺ، رقم الحديث 17104، (القاهرة: دار الحديث، ط1، ج13، 1416هـ/1995م)، ص289. وهو حديثٌ صحيحٌ، صحَّحه ابنُ حبانٍ والحاكم وغيرهما، وقال الألباني: هذا حديثٌ صحيحٌ.



ومن صور الحيلة أن رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال: ما شاء الله وشئت، فقال له ﷺ: «أجعلني لله ندًا قل ما شاء الله وحده»<sup>(1)</sup>.

ويوم جاء أعرابيٌّ إلى النَّبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، جهدت النَّفس وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأموال، فاستسق الله لنا، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: ويحك أتدري ما تقول؟ وسبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يسبِّح حتى عرف ذلك في وجه أصحابه، ثم قال: ويحك؟ إنَّه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك...»<sup>(2)</sup>.

### فالدَّاعية عليه:

- أن يكون له النَّصيب الأوفر في تصحيح عقائد النَّاس، وأن يمحو من أذهانهم آثار الجاهلية وأن ينتشل براعم الشُّرك من أصوله.
- كما عليه أن يركِّز على تهديم معالم الشُّرك على مستوى الفكر والاعتقاد قبل اللُّجوء إلى الهدم المباشر، وإنَّ له في رسول الله ﷺ القدوة، فكان صحابته الكرام هم من يعبدوها وبعد الفتح هم من هدموها.
- كما لا يعني إثارة الدَّاعية بالدَّعوة إلى هدم الأضرحة بالقوَّة، وإنَّما يساق إليهم في بيان حقائق الإسلام وجور ما يعتقدونه سوقاً رفيقاً ليناً هادئاً وحكيماً، حتى لا ينصرف عنه النَّاس.
- الإهتمام بصغائر الأمور وكبائرها في أقواله وأفعاله، وينتبه إلى أيِّ عمل يقبل عليه خصوصاً من له علاقة بالعقيدة، يسعى جاهداً تصحيحها وتصفيتها عملاً وسلوكاً.
- كما عليه تنفيذ مهمَّة الدَّعوة بأقصى جهد متاح بالانتصار للتَّوحيد وأهله، والقضاء على بوارد الشُّرك وأهله.

### ج- التَّرهيب والتَّرهيب

لَمَّا دعا النَّبي ﷺ إلى التَّوحيد جمع ما بين أسلوبي التَّرهيب والتَّرهيب، فرغَّب أهله بالتَّوَاب العظيم ورهَّب أهل الشُّرك بالعقاب الشَّدِيد فقال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ

(1) - أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رقم الحديث 1839، ج3، المصدر السابق، ص 339.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنَّة، باب في الجهمية، ج4، رقم الحديث 4726، ص 232. وقال: بإسناد أحمد بن سعيد هو الصَّحيح، وافقه عليه جماعة منهم: يحيى بن معين وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن ابن إسحاق، كما قال أحمد أيضاً: وكان سماع عبد الأعلى وإبنُ المثنى وإبنُ بشار من نسخة واحدة فيما بلغني، وذكر حكم الألباني: ضعيف. وأخرجه الطَّبْراني في المعجم الكبير، باب الجيم، من اسمه جبير بن مُطعم بن عدي، رقم الحديث 1547، ج2، ص 129.

الله، حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(1)</sup> مَبِينًا فِي ذَلِكَ جِزَاءً مَنْ خَالَطَ عَقِيدَتَهُ ضَلَالَةَ الشِّرْكَ بِسُوءِ عَاقِبَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقَوْلِ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ، يُشْرِكُ بِهِ، دَخَلَ النَّارَ»<sup>(2)</sup>.

وأشار النَّبي ﷺ أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا كَمُلَ فِي الْقَلْبِ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ كُلِّيًّا فَقَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»<sup>(3)</sup>.

فَبَيَّنَ ﷺ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الَّذِي إِذَا كَمُلَ فِي الْقَلْبِ حَبَّبَ اللَّهُ لَصَاحِبِهِ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَإِذَا تَحَقَّقَ تَحْقِيقًا كَامِلًا فِي الْقَلْبِ بِإِخْلَاصٍ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ كَثِيرًا وَتَضَاعَفَ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ الطَّيِّبَةُ بِغَيْرِ حِدٍّ وَلَا عَدٍّ، يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَيْسَ لِلْقُلُوبِ سُرُورٌ وَلَدَّةٌ تَامَّةٌ إِلَّا فِي مُحَبَّةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ، وَلَا تَتِمُّ مُحَبَّةُ اللَّهِ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ سِوَاهُ وَهَذَا حَقِيقَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)<sup>(4)</sup>.

تَجَلَّى مِنْهُجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ خِلَالِ مَخَاطَبَتِهِ لِلْعَوَاطِفِ حَرَصًا عَلَى الْعَقِيدَةِ وَعِنَايَتِهِ الْوَاضِحَةَ لَهَا، وَتَعْظِيمِ خَطَرِ مَنْ أَشْرَكَ وَتَهَاوُنِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، حَيْثُ اقْتَرَنَ الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ بِالْدَّعْوَةِ إِلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ رِوَايَةِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَلَاءِ مَعْلَقًا عَنِ الْحَدِيثِ: (إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ وَيَجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْمُرَادَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَوْحِيدَهُ وَبِتَوْحِيدِ الشَّهَادَةِ لَهُ بِذَلِكَ وَبَنِيَّهِ، وَوَقَعَتِ الْبِدْءُ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي لَا يَصَحُّ شَيْءٌ غَيْرُهُمَا إِلَّا بِهِمَا، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ غَيْرَ مُوَحِّدٍ فَلِمَطْلَبَةِ مَتَوَجِّهَةٍ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ عَلَى التَّعْيِينِ وَمَنْ كَانَ مُوَحِّدًا فَلِمَطْلَبَةِ لَهُ بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْإِقْرَارِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْإِقْرَارِ بِالرَّسَالَةِ)<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاسِ حتى يقولوا لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، باب 8، رقم الحديث 23، مع 1، ص 32.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب 40، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار، رقم الحديث 93، مع 1، ص 55.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، أبواب استقبال القبلة، باب المساجد في البيوت، رقم الحديث 42، ص 63.

(4) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (مفهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط 1، 1429 هـ/2008 م)، ص 537.

(5) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الزَّكَاة، باب أخذ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَدُّدِ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رقم الحديث 1496، المرجع السَّابِق، ص 358.

#### د- تعهّد التَّوحيد في القلوب ومقابلة الإساءة بالصَّفح والصَّبْر الجميل

إنَّ العقيدة التي حثَّ عليها النَّبي ﷺ قومه هي الدَّعوة إلى وحدانية الله تعالى، وقد تجلَّت في مواقف كثيرة وبصور مؤثِّرة وبأساليب عاطفيَّة، منها على سبيل المثال: أنَّ قابل إساءات قومه وجحودهم المتأجَّج في كيانهم بالصَّفح الجميل والصَّبْر الجميل، فاجتمعت فيه كامل صفات الحكمة والموعظة بالتي هي أحسن، وعلى إثرها نصرَ الله دعوته بالصَّحابة الكرام الذين تعاهدوا على توحيد كلمته، ونصرة دعوته، كأمثالِ أبي بكرٍ وعمرٍ وعثمان وعلي وسعد وعمار وبلال وصهيب وغيرهم من الصَّحابة الكثير، هؤلاء عملوا على إرساء قواعد دعوته بأمانةٍ وصدقٍ ووفاءٍ، يفدون به بكلِّ ما يملكون ويدافعون عن دينه بكلِّ ما يستطيعون، ومن ضمن هذه المواقف الجليَّة:

يوم أنَّ اجتمع قومه لعمِّه أبي طالب فقالوا له: (إنَّ أراد ابنَ أخيك مالاً جمعنا له ما يعينه، وإنَّ أراد جاهاً أو مُلكاً ملَّكناه علينا)<sup>(1)</sup> فلم تُغره إغراءات قومه ولم تُثنه تهديداتهم فقدَّ زادته ثباتاً وعزماً وحزماً ليقول كلمته الخالدة عن عقيدة وإيمان برسالته: «والله يا عمُّ لو وضعوا الشَّمس في يميني والقمر في يساري على أنَّ أترك هذا الأمر حتَّى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته»<sup>(2)</sup>.

ويزداد الموقف حفاوة وتأثيراً لمَّا قالت قريش هذه المقالة، قال له عمُّه أبو طالب: (يا ابنَ أخي إنَّ قومك قدَّ جاءوني فقالوا لي: كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظنَّ رسول الله ﷺ أنه قدَّ بدا لعمِّه فيه بداء -يريد ظهر له رأي- أنه خاذله ومسلمه، وأنَّه قدَّ ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ قولته «والله يا عمُّ...» قال: ثمَّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثمَّ قام، فلمَّا ولَّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابنَ أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيءٍ أبداً)<sup>(3)</sup>.

فالنَّبي ﷺ لم يبك خوفاً من قومه، فهو موقن بأنَّ الله ناصره ومؤيِّده، لكنَّه بكى رحمةً وإشفافاً بالإنسانية المعذَّبة في الأرض، وتتعدَّد محاولة القوم في إقصاء عمِّه عن حمايته والدِّفاع عنه وخذلانه<sup>(4)</sup>. وفي موقف آخر لمَّا مرض عمُّه أبو طالب، دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا: (أنَّ ابنَ أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه فجاء النَّبي ﷺ

(1) - عبد الملك بن هشام أبو محمَّد، السِّيرة النَّبوية - سيرة ابنِ هشام - (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، ج1، 1375هـ/1955م)، ص 293.

(2) - عبد الملك بن هشام، السِّيرة النَّبوية، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري، ج1، المرجع السَّابق، ص 299.

(3) - سيرة ابنِ هشام، ج1، المرجع السَّابق، ص- ص 284، 285.

(4) - الشريف حمدان راجح الهجاري، الأسلوب النَّبوي في الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 147.

فدخل البيت وبينهم أبي طالب قدر مجلس رجل، قال: فخشى أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما لقومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول، قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، فقال القوم: كلمة واحدة، نعم وأبيك عشرًا وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة واحدة هي يا ابن أخي؟ قال: ﷺ لا إله إلا الله، فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب، قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قومه بل لما يذوقوا عذاب<sup>(1)</sup> فكان صاحب العقيدة الحق لا يقبل بها بدلًا ولا يبيعها بمال.

ولما حضرت الوفاة عمه أبو طالب، حين دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملّة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: سأستغفر لك ما لم أنه عنك، فنزلت: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113] وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [قصص: 56]»<sup>(2)</sup>.

يقول أحد شيوخ الأزهر علي جاد الحق: (فالنبي ﷺ أمضى رسالته يؤصل العقيدة وينبتها وينميها في قلوب المؤمنين، ويجادل عنها ويكشف نورها وحقيقتها أمام المنكرين مجادلًا بالتي هي أحسن مخاطبًا الأفئدة والقلوب مثيرًا للفكر والعواطف إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من عبودية لله<sup>(3)</sup>).

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب من سورة طه، رقم الحديث 3232، المصدر السابق، ص 72. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن الأعمش نحو هذا الحديث، وقال: يحيى بن عمارة حدثنا بNDAR حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان نحوه عن الأعمش، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند بن هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رقم الحديث 2009، ج 1، المصدر السابق، ص 228. وفي المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، تفسیر سورة ص، رقم الحديث 3669، وقال: حديث صحيح الإسناد.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، رقم الحديث 4772، ص 1197.

(3) - جاد الحق علي جاد الحق، الدعوة إلى الله (القاهرة: دار الفاروق للنشر والتوزيع، ط 1، 2005م)، ص 115.

وأضاف قائلاً: (إنَّ العقيدة إذا أُرْسِيتِ إلْتَحَمَت بالقلوب، وطاوعتها الجوارح، فكان السَّير إلى الخير دون رياء أو تظاهر ينطق اللِّسان بالقول الطَّيِّب في غير تصنُّع ونفاق، والعقيدة الرَّاسخة تصنع الخير وتدفع إليه وتبعد عن الشرِّ والتَّهلكة)<sup>(1)</sup>.

وكان عليه الصَّلَاة والسَّلَام يركِّزُ أساساً في إرساء عقيدة التَّوْحِيد بأخلاقه العالية ومشاعره الصَّادقة التي أصاب بها قلوب قومه، فإلتحمت وإنصاعت جوارحهم متأثرين بأسلوبه الرِّصين وبمنهجه العاطفي القويم الذي أثار العواطف وألفت الإلتباه فقال لقومه: «ويحكم يا قريش، إعبدوا ربَّ هذا البيت، الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف»<sup>(2)</sup>.

ولَمَّا خَاطَبَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ مَبِينًا لَهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعَذِّبُ مَنْ أَقَرَّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ: «يا معاذُ هل تدري ماحقُّ الله على عباده؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم قال: حقُّ الله على عباده أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً وَقَالَ: يا معاذُ هل تدري ماحقُّ العباد على الله إذا فعلوه؟، قلت: الله ورسوله أعلم قال: حقُّ العباد على الله أنْ لا يعذَّب مَنْ لا يشرك به شيئاً»<sup>(3)</sup>.

إنَّ هذا الحديث العظيم بيِّن فيه النَّبي ﷺ حقَّ الله على عباده، بأنَّ لا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ أُنْدَادًا ولا ينسبوا لغيره شيئاً مِنْ خِصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، كَأَنْ يَضَاهُتُونَ أَشْخَاصًا أَوْ رُؤَسَاءَ وَهُمْ يَجْرُونَ إِلَيْهِمْ دُونَ عِلْمٍ، وَمَبِينًا أَنَّ حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ تَعَالَى بِحُكْمِ رَحْمَتِهِ وَعَدْلِهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ وَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الظُّلْمَ، يَقُولُ الْحَافِظُ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (اقتصر على نفي الإِشْرَاقِ لَأَنَّهُ يَسْتَدْعِي التَّوْحِيدَ بِالْإِقْتِضَاءِ، وَيَسْتَدْعِي إِثْبَاتَ الرِّسَالَةِ بِاللُّزُومِ، إِذْ مِنْ كَذِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ كَذَبَ اللَّهُ، وَمِنْ كَذِبِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ)<sup>(4)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: (إنَّ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ إِنْجَذَابُ الرُّوحِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى جَمَلَةً، فَمَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ هُوَ إِنْجَذَابُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يَتُوبَ مِنَ الذُّنُوبِ تَوْبَةً نَصُوحًا)<sup>(5)</sup>.

(1) - جاد الحق علي جاد الحق، الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابِق، ص 115.

(2) - أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، من مسند القبائل، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، رقم الحديث 27607 (بيروت: مؤسَّسة الرِّسَالَة، ط 1، ج 45، 1461هـ/2001م)، ص 581.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التَّوْحِيد، باب ما جاء في دعاء النَّبي ﷺ أَمَّتَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ، رقم الحديث 7373، ص 900.

(4) - عبد الرَّحْمَانُ حَسَنُ آلِ الشَّيْخِ، المصنَّف فتح المجيد شرح كتاب التَّوْحِيد، د، ت، بحث قام بتهذيبه وتقريبه وتكميله وإدخال بعض النقول المستحسنة تَمِيمًا لِلْفَائِدَةِ وَتَمِيمًا لِلْمَجِيدِ بِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيد، د، ت، ص 20.

(5) - عبد الرَّحْمَانُ حَسَنُ آلِ الشَّيْخِ، المصنَّف فتح المجيد شرح كتاب التَّوْحِيد، المرجع السَّابِق، ص 30.

وقال ابنُ إسحاق: حدَّثني حسين بنُ عبد الله بنُ عبيد الله بنُ عباس قال: سمعت ربيعة بنَ عبادٍ يحدثه أبي قال: «إني لَغلامٌ شابٌّ مع أبي، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتمنعوني، وتصدقوا بي حتى أبين عن الله ما بعثني به، قال: وخلفه رجلٌ أحولٌ وضيءٌ، له غديرتان، عليه حلَّةٌ حديثة، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنَّ هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجنِّ من بني مالك بن قيس... إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبي: من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه أبو لهب»<sup>(1)</sup>.

وكان ﷺ لاهتمامه بعقيدة التوحيد يربِّي صحابته على التَّربية العقائدية بمواعظ بليغة ومؤثِّرة ممتحنهم في حال ظهور الفتن والمنكرات، يرويهما عبد الله بنُ عمر رضي الله عنهما: حينما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا بقيت في حُثالةٍ<sup>(\*)</sup> من النَّاس؟ قال: قلت يا رسول الله: كيف ذلك؟ قال: إذا مرَّجت عُهودهم<sup>(\*)</sup> وأماناتهم، وكانوا هكذا - وشبك بين أصابعه يصف ذاك - قال: قلت ما أصنع عند ذاك يا رسول الله؟ قال: اتَّقِ الله عزَّ وجلَّ، وخُذْ ما تعرفُ، ودَعْ ما تُنكرُ، وعليك بخاصَّتِكَ وإيَّاكَ وعوامهم»<sup>(2)</sup>.

وهذا كُلُّهُ يُحمَل على أنَّ مَنْ عَجَزَ عن القيام بواجب الدَّعوة أو خاف الضَّرَرَ عموماً، سقط عنه الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر باليدِ واللِّسانِ ويُمكنه أن يُنكره بقلبه.

(1) - السِّيرة النَّبوية لابن هشام، ج2، المرجع السَّابق، ص 24.

(\*) - حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ: بِضَمِّ الحَاءِ الْمُهمَلَةِ وَتَخْفِيفِ التَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَهِيَ زِدْيٌ كُلُّ شَيْءٍ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ (كتاب الفتن، باب إذا بقي في حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، ج24، ص 196).

(\*) - مَرَجَتْ عُهودُهُمْ: مَرَجَ مَرَجاً الأَمْرَ، التَّبَسَّ وَاحْتَلَطَ فَهُوَ مَرِيجٌ، والدِّينُ: إِضْطَرَبَ، الأَمَانَةُ فَسَدَتْ، والأَمْرُ: فَسَدَ واضْطَرَبَ والتَّبَسَّ المَخْرَجُ منه، والعقودُ اختلطت وفسدت وقلَّ الوفاءُ بها، والأصل في معناه القلق والإضطراب أو الخلط (المرجع نفسه، ص 96).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث 479، ص 128. وأخرجه الترمذي في كتاب الملاحم، باب الأمر والنَّهي، برقم 4342، وأخرجه ابن ماجه، في كتاب الفتن، باب الثَّبَتُ في الفتن، برقم 3957، من حديث عبد الله بن عمرو، وفي السُّلسلة الصَّحِيحة، للألباني، ج1، رقم الحديث 206، المرجع السَّابق، ص 416. وقال: إسناده صحيح.



وفي قصَّة أخرى لَمَّا جاءت قريش إلى الحصين وكانت تعظِّمه فقالوا له: «كَلِّمْ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ أَهْلَنَا، وَيَسْبِّهَا، فَجَاءُوا مَعَهُ حَتَّى جَلَسُوا قَرِيبًا مِنْ بَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَوْسَعُوا لِلشَّيْخِ، وَعُمَرَانُ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ فَقَالَ حَصِينٌ: مَا هَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْكَ، أَنْتَ تَشْتُمُ أَهْلَنَا، وَتَذْكُرُهُمْ، وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ حَصِينَةً وَخَيْرًا؟ فَقَالَ: يَا حَصِينُ، إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ، يَا حَصِينُ، كَمْ تَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ؟ قَالَ: سَبْعًا فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: فَإِذَا أَصَابَكَ الضَّرُّ مِنْ تَدْعُو؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مِنْ تَدْعُو؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ وَتَشْرِكُهُمْ مَعَهُ، أَرْضِيته فِي الشُّكْرِ أَمْ تَخَافُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: وَلَا وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ، قَالَ: وَعَلِمْتَ أَنِّي لَمْ أَكَلِمِ مِثْلَهُ، قَالَ: يَا حَصِينُ، أَسْلَمَ تَسْلَمُ، قَالَ: إِنَّ لِي قَوْمًا وَعَشِيرَةً، فَمَاذَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اسْتَهْدِكْ لِأَرْشَدٍ أَمْرِي وَزِدْنِي عِلْمًا يَنْفَعْنِي، فَقَالَهَا حَصِينُ، فَلَمْ يَقُمْ حَتَّى أَسْلَمَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرَانُ، فَقَبَلَ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى، وَقَالَ: بَكَيْتَ مِنْ صَنِيعِ عُمَرَانَ دَخَلَ حَصِينٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ عُمَرَانُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ نَاحِيته، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَضَى حَقَّهُ فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الرَّقَّةِ، فَلَمَّا أَرَادَ حَصِينُ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمُوا فَشِيعُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ سَدَّةِ الْبَابِ رَأَتْهُ قَرِيشٌ، فَقَالُوا: صَبَأٌ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ»<sup>(1)</sup>.

فالذي جعل حَصِينًا<sup>(\*)</sup> يدخل الإسلام بقلبه وقالبه قُوَّةَ حِجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وأسلوبه العاطفي المتميِّز والليِّن، فَاسْرَهُ بِاسْتِقْبَالِهِ الطَّيِّبِ أَنْ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ وَحَاوَرَهُ بِلُطْفٍ دُونَ فَضَاضَةٍ أَوْ كُرْهِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ حَصِينًا مِنْ أَكْبَارِ سَادَاتِ قَرِيشٍ وَمَا كَانَ يَحْمِلُهُ مِنْ كُرْهِ شَدِيدٍ وَإِنْتِقَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ. وقد يعتري الدَّاعِيَةُ مَطَبَّاتُ الدُّنُوبِ فَإِنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ حُرْمَةَ الْعَقِيدَةِ فَلَنْ تَوْثُرَ سَلْبًا عَلَى خَطِّ الرَّجْعَةِ إِلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ

(1) - علي محمد الصُّلَّيْ، السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ عَرْضُ وَقَائِعٍ وَأَحْدَاثٍ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 139.

(\*) - حُصَيْنٌ: إِنَّهُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو نُجَيْدٍ عُمَرَانُ بْنُ حَصِينٍ صَاحِبُ رَايَةِ خِزَامَةِ يَوْمِ الْفَتْحِ. أَسْلَمَ عَامَ خَيْرٍ هُوَ وَأَبَاهُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ سَنَةِ سَبْعٍ، وَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ، وَكَانَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ وَمَعَ نَفْسِهِ، وَرِعًا زَاهِدًا مَحَابِبَ الدَّعْوَةِ، يَتَفَانِي فِي حُبِّ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، كَثِيرُ الْبَكَاءِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، لَا يَكْفُ عَنْ الْبَكَاءِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَمَادًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ، وَلِي قَضَا الْبَصَرَةَ وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ عُمَرُ لِيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ، أَصِيبَ بِمَرَضٍ 30 عَامًا وَمَا تَضَجَّرَ مِنْ قَضَا اللَّهِ فَكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ أَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ، تَوَفَّى عَامَ 52 هـ (يُنْظَرُ: شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، تَحْقِيقُ: شُعَيْبُ الْأَرْزَاوُوطُ، بَيْرُوتُ: مُؤَسَّسَةُ الرَّسَالَةِ، ط 1، ج 2، 1401 هـ/1981 م)، ص 508.



آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(1)</sup>.

وهذا الذي جعل النبي ﷺ يجتهد في غرس مثل هذه المعاني في قلوب أصحابه وكان يدعو في تهجده: «اللَّهُمَّ لك أَسْلَمْتُ، وبك أَمَنْتُ<sup>(\*)</sup>، وعليك تَوَكَّلْتُ<sup>(\*)</sup>، وإليك أُنَبِّئُ<sup>(\*)</sup>، وبك خَاصَمْتُ<sup>(\*)</sup>، أَعُوذُ بِعَزَّتِكَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»<sup>(2)</sup>.

وعليه مما هو واقع في أحوال الأمة اليوم حينما نشأت بينها فروقات أيهم أولى بال العناية ما بين العقيدة والأخلاق، وما دروا أَنَّ الأخلاق هي ترجمان حقيقي للعقيدة، فكَمَا أَنَّ السيَّارة لا يتحرَّك محرَّكها إلاَّ أَنْ توصل بوصلات الكهرباء، كذلك العقيدة هي مَنْ تَمُدُّ الجوارح بشحنات لتقوم<sup>(3)</sup>، أمَّا ما يظهر مِنْ ممارسات الشُّرك بأنواعه فاستُخِفَّ به عند كثير من الدُّعاة، فقد تبلَّد الحسَّ العقدي لديهم، حتَّى ظهر ما حذَّر منه النبي ﷺ - بأسلوب عاطفي رائع - يرويه البرقائي في صحيحه: (وإنَّما أخاف على أُمَّتي الأئمة المضلِّين، وإذا وقع عليهم السَّيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم السَّاعة حتَّى يلحق حيٍّ مِنْ أُمَّتي بالمشرِّكين، وحتَّى تعبد فئة مِنْ أُمَّتي الأوثان، وإنَّه سيكون في أُمَّتي كذَّابون ثلاثون، كلُّهم يزعم أَنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيِّين، لا نبيَّ بعدي، ولا تزال طائفة من أُمَّتي على الحقِّ منصورَة لا يضرُّهم من خذلهم حتَّى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»<sup>(4)</sup> وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(1) - أخرجه الترمذي في سننه في الجامع الكبير، أبواب الدَّعوات، باب 107، رقم الحديث 3540، ج5، المصدر السَّابق، ص 509.

(\*) - أَمَنْتُ: انقدت وبك صدقت، وفيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان، (صحيح مسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب التَّعوُّذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل، رقم الحديث 2717، ص 2086).

(\*) - تَوَكَّلْتُ: أي فَوَّضْتُ أمري إليك، (المصدر نفسه، ص 2086).

(\*) - أُنَبِّئُ: أي أقبلت بهمَّتي وطاعتي وأعرضت عما سواك، (صحيح مسلم، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب التَّعوُّذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل، رقم الحديث 2717، ص 2086).

(\*) - خَاصَمْتُ: أي بك أحتجُّ وأقاتل وأدافع، (المصدر نفسه، ص 2086).

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب التَّعوُّذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل، رقم الحديث 2717، ص 2086.

(3) - علي محمد الصَّلاحي، السَّيرة النَّبوية عرض وقائع وأحداث، المرجع السَّابق، ص 139.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث 4252، ج6، المصدر السَّابق، ص 305. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، وقال: حكم الألباني: صحيح، وفي صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب لا تزال طائفة من أُمَّتي على الحقِّ منصورَة لا يضرُّهم من خذلهم، رقم الحديث 1920، ص 1523.

أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: 24]

### و- تصحيح العقيدة وتقويمها بالحكمة والعطف والود

إنَّ مما يزيد قضايا عقيدة التَّوحيد تأثيراً هو عرضها بأساليب عاطفيّة مؤثِّرة وجذّابة، عن أنس رضي الله عنه قال أبو بكر الصّدِّيق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنهما - بعد وفاة رسول الله ﷺ - : «انطلق بنا إلى أمِّ أيمن رضي الله عنها نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقال لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السَّماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها»<sup>(1)</sup>.

وكان الوحي المعصوم هو المصدر الذي تلقى منه الصَّحابة بواسطة النَّبي ﷺ أصول الدِّين وشرائعه، فأرشدهم إلى منهج المحافظة عليها ونهاهم عن مخالفتها، وما نشأت الفرق وما إنشَقَّ الصفَّ الإسلامي الأوَّل، إلّا بمخالفة نواهي رسول الله ﷺ وهذه النّواهي أجملها ابنُ الزَّبير اليماني في النُّصوص التَّالية:

- التَّواهي عن البدع.
- التَّواهي عن المراء مطلقاً، بخلاف المجادلة بالتي هي أحسن.
- التَّواهي عن المراء في القرآن.
- التَّواهي عن المراء في القدر خاصّة.
- التَّواهي عن التَّفكير في ذات الله تعالى.<sup>(2)</sup>

ولقد كان ﷺ لا يغفل عن سلامة عقيدة أصحابه وقوّة إيمانهم، فعندما يدرك الخطأ يبادر بسرعة في تقويمه بأسلوبٍ حكيمٍ ومؤثِّر، وهو ما حدث لأسامة بنُ زيد يحكي قصّته مع النَّبي ﷺ فقال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة، فصَبَّحْنَا القوم فهزمناهم، ولحِقْتُ أنا ورجلٌ من الأنصار، رجلاً منهم، فلما غَشِينَاهُ، قال: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ، فكفَّ الأنصاريُّ، فطعنُّهُ برمحٍ حتى قتلته، فلما قدمنا

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل أمِّ أيمن رضي الله عنها، رقم الحديث 2454، ص 1907.

(2) - مصطفى حلمي، قواعد المنهج السَّلَفي في الفكر الإسلامي (لبنان: دار الكتب العلميّة، ط 1، 1426هـ/2005م)، ص

بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أَسَامَةَ أَقْتَلْتُهُ بَعْدَمَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يَكْرُرُهَا حَتَّى تَمْنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ <sup>(1)</sup> فَلَمْ تَمْنَعْ مَكَانَةَ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَبَّ لَهُ مَنْ أَنْ يَقِفَ مَوْقِفَ الْمُغْلِظِ عَلَيْهِ، الْمَبِينُ لَهُ خَطَرُ مَا وَقَعَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرُرُ الْإِنْكَارَ، حَتَّى أَدْرَكَ أَسَامَةَ ﷺ فَدَاخَةُ غُلْطَتِهِ، وَخَطَرُ زَلَّتِهِ وَخَشْيَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ، فَيَأْتِي لِيَعْبُرَ عَنْ شِدَّةِ تَأَثُّرِهِ بِهَذَا فَيَقُولُ: « فَلَا وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُ أَحَدًا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بَعْدَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ » <sup>(2)</sup>.

### هـ - استغلال المواقف والأحداث في الدَّعوة وبأسلوب عاطفي

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْتَنِمُ الْفُرَصَ السَّائِثَةَ فِي غَرْسِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ وَبِأَسْلُوبِ عَاطْفِي رَقِيقٍ، مِنْهَا مَا حَصَلَ لِمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ إِذْ يَقُولُ: «بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبِيكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبِيكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: قُلْتُ: لَبِيكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: قُلْتُ: لَبِيكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ الْعِبَادَ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَهُمْ» <sup>(3)</sup>.

لَقَدْ تَلَقَّى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ دَرْسًا بَلِيغًا فِي الْعَقِيدَةِ، وَقَدْ تَأَثَّرَ بِهِ تَأَثُّرًا شَدِيدًا، مِمَّا جَعَلَهُ لَا يَكْتَفِي بِرَوَايَةِ مَا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ يَرَوِي تَفَاصِيلَ حَالِهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْعُ فُرْصَةً تَمُرُّ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ وَبَيْنَ فَنَاتِ الْمَجْتَمَعِ الْمَدِينِيِّ إِلَّا وَيَغْتَنِمُهَا وَيَجْعَلُ مِنْهَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً فِي التَّوْحِيدِ، وَكَثِيرًا مِنْهَا مَا تَدْمَعُ الْعَيُونَ وَتَوَجَّلُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَمِنْ هَذِهِ الْفُرَصِ فِيمَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: « كُنَّا فِي جَنَازَةِ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ <sup>(\*)</sup>، فَنَكَسَ فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا مِنْ

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدِّيَّات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: 32]، رقم الحديث 6872، ص 1700.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم الحديث 160، ص 97.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرِّقَاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، رقم الحديث 6500، ص 1616.

(\*) - مِخْصَرَةٌ: مَا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ كَالْعَصَا وَنَحْوَهُ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْجَرِيدِ عَلَى الْقَبْرِ (شَهَابُ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُسْطَلَانِي، إِرْشَادُ السَّارِيِّ لَشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، بِيْرُوت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط 1، ج 3، 2016م)، ص 459.

نفس منفوسة، إِلَّا كُتِبَ مكانها من الجنة والنَّار إِلَّا قد كُتِبَتْ شقيَّة أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله أفلاً نَتَكَلَّ على كتابنا، ونَدْعُ العمل؟ فمن كان منَّا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان منَّا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: أمَّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأمَّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾﴾ [الليل: 5-6]». <sup>(1)</sup>

وعليه يتعيَّن على الدَّاعية الاستفادة من الأسلوب النبوي كآتي:

- الدُّعاة إلى الله ورثة الأنبياء - عليهم السَّلام -، عليهم أن يأخذوا هذا الإرث النبوي منهجاً وسلوكاً وتكاملاً منسقاً يداً واحدة بعيداً عن التفرقة، فتتوحد جهودهم ليكونوا لبنة بناء قويَّة لا معول هدم وإضعاف للدَّعوة.

- كما على الدُّعاة التدرُّج في الدَّعوة إلى التَّوحيد، يسلكوا سبيل المصطفى عليه السَّلام في طريقته ومنهجه، بادئين بالأهم من التَّوحيد ثمَّ المهم من الشرائع والفرائض والأعمال الصَّالحة، لأنَّ المطلوب منهم إصلاح المجتمع وبذل الوسع في تطهيره من الشُّرك.

- كما على الدَّاعية إلى الله حين يتناول موضوع الوحدانية لله عليه أن يقرِّرها ببيان معجزات الأنبياء عليهم السَّلام، التي تثبت قدرة الله وإستحقاقه العبودية، كما عليه أن يقوم بواجب الدَّعوة بأقصى جهده والانتصار للتَّوحيد والقضاء على الشُّرك وأهله.

- وإنطلاقاً من المواقف السَّالفة الذِّكر وما ترمي إليه من معاني جليَّة وعبر سنِّية نرى أنَّه ﷺ أعدَّ أنموذجاً لكلِّ داعية عبر الأزمنة والأمكنة وفي مختلف مجالات حياة الفرد والمجتمع أو الدَّولة فالدَّاعية المربوط بجبل الرِّبانيَّة يبقى متميِّز لكونه يضع مصالحه الخاصَّة وراءه ظُهيراً وهو يشقُّ مسيرة الدَّعوة مُبجَّلاً مصالح مدعويه أفراداً وجماعات، وينأى بنفسه عمَّا يبحث عنه أصحاب الدَّعاية السِّياسيَّة من تمكين ولو على حساب أعراض وجثث المخالفين.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه عنده، رقم الحديث 1362، ص 329.

## المطلب الثالث: دعوة النبي ﷺ في ترسيخ قضية البعث

قبل الحديث في هذا الموضوع وتطبيقاته في دعوة النبي ﷺ، رأيت ضرورة تقديم سطور إضاءة للتعريف بالبعث من النَّاحيتين اللُّغوية والاصطلاحية ليتَّضح معناها أكثر.

## أولاً: مفهوم البعث

أ - لغة

- يَعْرِفُهُ الْعَلَامَةُ الرَّهْرِي بِالْقَوْلِ: (بمعنى الإرسال كقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١٣]) [الأعراف: 103] أَيْضًا الْإِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ لِلْمَوْتَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٥٦] [البقرة: 56] أَيْ: أَحْيَيْنَاكُمْ<sup>(١)</sup>.

- ويعرفها العلامة الفيروز آبادي بالقول: (بمعنى بعثه كمنعه: أرسله كابتعثه فَإِنْبَعَثَ، والناقة أثارها، وفلاناً من منامه: أهبه... وتبعث منِّي الشَّعرُ إِنْبَعَثَ كأنَّه سال)<sup>(2)</sup>.

ب- اصطلاحًا

إِنَّ الْمَتَأَمِّلَ لِهَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ دَلَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، يَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بَأَنَّ هَذَا لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا وَلَا سُدًى، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) [المؤمنون: 115] والإيمان بالبعث من الإيمان باليوم الآخر، وهو الذي مدح فيه الله تعالى المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ هَدَىٰ لَنَا رَبِّهِمْ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣) [البقرة: 1-3] وقد أوجب الإسلام الإيمان به فيقول تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ (الأنعام: 31).

والمراد بالبعث هو: (إعادة الإنسان روحًا وجسدًا كما كان في الدنيا)<sup>(3)</sup>، يقول المولى عز وجل:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68].

(1) - أبو منصور محمد بن أحمد الزَّهرِي، تهذيب اللُّغة، تحقيق: محمد علي النَّجار، مادَّة بعث (الدَّار المصرية للتَّأليف والترجمة، ج2، د، ط د، ت)، ص 335.

(2) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مادة بعث (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ/2005م)، ص 165.

(3) - سيّد سابق، العقائد الإسلامية (بيروت: دار الكتاب العربي، د، ط، د، ت)، ص 269.

## ثانيًا: مواقف وأساليب النَّبي ﷺ في ترسيخه للبعث

سلك النَّبي ﷺ في ترسيخه لقضية البعث مسلك القرآن الكريم مستخدمًا أساليبًا وطرقًا مختلفة، وقد تجلَّى ذلك في أسلوبه الفطري السَّهل والواضح وفي تناول الإدراك، فعُني بقضية البعث كعنايته بالعقيدة، والأحاديث الدَّالة على ذلك كثيرة أثبتت حقيقة البعث والإيمان باليوم الآخر، دعا إليها النَّبي ﷺ ونوَّع في أسلوبه لتكون شهادة حقَّ وتصديق، فكان من جملتها:

### أ- ترسيخ البعث بالموعظة الحسنة والمؤثِّرة

لقد كانت بعض مواعظ النَّبي ﷺ تحدث إرتباكًا أو خوفًا في قلوب سامعيه في الوهلة الأولى، ثمَّ ييسِّط لهم الأمر لينتشلهم من وحلِّ الفزع، ويبدِّل ألاماهم آمالًا، وقد بدأ هذا الأسلوب جليًّا مع الرَّجل الذي سأله عن السَّاعة ؟ قائلًا: «متى السَّاعة يا رسول الله ؟ قال: ما أعددت لها ؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاةٍ، ولا صومٍ، ولا صدقةٍ، ولكيَّ أحبُّ الله ورُسُوله، قال: أنت مع من أحببت»<sup>(1)</sup>.

كان جواب النَّبي ﷺ سديدًا على سؤال الرَّجل، مفصِّحًا له أهمِّية العمل الصَّالح وأهمُّ من علم السَّاعة عنده، فألَّان له القول في ذلك أن إقترن الفوز والسَّعادة في الآخرة بمحبَّة الله ورُسوله.

- وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «قام فينا رسولُ الله ﷺ بمَوْعِظَةٍ فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104].

فالنَّبي ﷺ بحكمتِهِ ذهب ليقنع العقول بالحجَّة والبرهان ويهزِّ المشاعر ويستهوِي العواطف بسحر البيان وأساليب التَّغْيِيب والتَّهْيِيب بالحَقِّ<sup>(2)</sup>، وهذا تنبيه للغافل لكي يقوِّي زاده الرُّوحي والتَّعَبُّدي ويعدِّ عدَّته قبل أن يدركه الموت.

ولَمَّا أنكر مشرِّكو قريش البعث بعد الموت وإعادة الأبدان بشبهة أنَّ العظام والرُّفَات كيف تعود إلى خلقتها الأولى؟، فأمرَ الله نبيَّه مُحَمَّد ﷺ أن يقول لهم كونوا حجارة أو حديدًا، وهي أعظم من العظام والرُّفَات التي ينكرون إعادتها، فضرب لهم مثلاً بما هو أشدُّ ممَّا ينكرونه، فقال عنهم: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾<sup>(٤٩)</sup> ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾<sup>(٥٠)</sup> أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرَّجل ويليكَ، رقم الحديث 6166، ص 763.

(2) - مُحَمَّد موسى الشَّريف، العاطفة الإيمانية وأهمَّيتها في الأعمال الإسلامية (جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتَّوزيع، ط1،

صُدُّورِكُمْ فَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٤٩﴾ [الإسراء: 49-51] يقول الإمام ابن جرير الطَّبْرِي رحمه الله في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره لنبيه مُحَمَّد ﷺ: قل يا مُحَمَّد للمكذِّبين بالبعث بعد الممات من قومك، كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقًا جديدًا، أو خلقًا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقًا جديدًا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرة)<sup>(١)</sup>.

### ب- ترسيخ البعث بالقصة الوجدانية

لقد تجلَّى هذا الأمر - البعث - من خلال القصة الوجدانية التي أسمعها النَّبِيُّ ﷺ لأصحابه بيَّن فيها قدرة الله تعالى في الإحياء بعد الممات، أخرجها البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ - قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ، قَالَ لِنَبِيِّهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ، قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَرِ (\*) عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا - فَسَرَّهَا قَتَادَةَ: لَمْ يَدَخِرْ - وَإِنْ يَفْدَمَ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبُهُ، فَانْظُرُوا فَإِذَا مِتُّ، فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صَرْتُ فَحْمًا، فَاسْحَقُونِي أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي (\*)، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاتِيْعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ، قَالَ: مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ فَمَا تَلَا فَا هُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ أَوْ كَمَا حَدَّثَ، وَقَالَ مَعَاذَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

(١) - ابن جرير الطَّبْرِي، تفسير الطَّبْرِي جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج 5، المصدر السابق، ص 37.

(\*) - لَمْ يَبْتَرِ: من الإبتثار إفتعال من البار بالباء الموحدة والراء، ومعناه لم يدخر ولم يخبأ، هكذا فسره قَتَادَةُ، وأصله من البئيرة بمعنى الذخيرة والخبئية، قال أهل اللغة: بارت الشيء، وابتارته عبارة وابتثره إذا خبَّأته، ووقع في رواية ابن السكن: لم يأتُر، بتقديم الهمزة على الباء الموحدة، حكاه عياض ومعناه: لم يقدم خيراً يقال: بارتته وابتارته كما ذكرناه، ووقع في التوحيد في رواية أبي زيد المروزي: لم يبتثر - أو لم يبتثر - بالشك في الرأى أو الرأ، وفي رواية الجرجاني بنون بدل الباء الموحدة، والرأى، قيل كلاهما غير صحيح، ويروي في غير البخاري: يبتثر، بالهاء بدل الهمزة وبالراء وبتثر بالميم بدل الباء الموحدة وبالراء (يُنْظَر: عمدة القاري، كتاب الرقائق، باب الخوف من الله، رقم الحديث 6480، المرجع السابق، ص 113).

(\*) - أسْهَكُونِي: من السَّهَك، وقيل السَّحَق وهو دق الشيء ناعماً، والسَّهَك بمعنى واحد، وقيل: السَّهَك دون السَّحَق، وهو أن يفث الشيء أو يدق قطعاً صغيراً (المرجع نفسه، ص 113).

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الخوف من الله، رقم الحديث 6480، ص 1612.



### ج- استخدامه ﷺ لأسلوب المدح

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمَنِي ولم يكن له ذلك، فأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اخْتَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كَفُؤًا أَحَدٌ»<sup>(1)</sup>.

وقال النبي ﷺ في رواية أخرى: «أَرَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَشْتُمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي»<sup>(2)</sup>.

ومع كل هذا فقد خصَّ ﷺ نفسه بالرفعة والمقام الذي يستوجب التوقير، لكونه أوَّل من يدخل الجنة، وبوصفه لنفسه ﷺ سيِّد النَّاس يوم القيامة فقال: «أَنَا سَيِّد النَّاس يوم القيامة»<sup>(3)</sup>.  
إنَّ هذا الحديث -حسب شرح النووي رحمه الله- من قبيل النصيحة بتعريف له ﷺ وإعظام حَقِّهِ وتوقيره وإحياء طريقتِهِ وسُنَّتِهِ، وَبَثُّ دَعْوَتِهِ ونَشْرُ شَرِيعَتِهِ، وَنَفْيُ التَّهْمَةِ عَنْهَا وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا<sup>(4)</sup>.

والدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ بِدَوْرِهِ يَقْتَضِي أثر النَّبِيِّ ﷺ بِإِتِّبَاعِ مَنْهَجِهِ فِي هَذَا الْإِثْبَاتِ، لِيَتِمَّكَنَ مِنْ تَرْسِيخِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي شَأْنِ قَرَبِ نَهَايَةِ الدُّنْيَا وَاقْتِرَابِ السَّاعَةِ، وَمُسْتَشْهَدًا عَلَى صِدْقِ مَا يَقُولُهُ بِشَهَادَاتِ الْعَدُولِ وَالثَّقَاتِ، لِيَقِفَ عَلَيْهَا النَّاسُ مُسْتَقِيقِينَ حَقِيقَةَ وَقُوعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَحْدَاثِهِ الْعَظِيمَةِ، فَاتَّبِعْ بِالْقَوْلِ: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُمْ بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: 117] فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ»<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم الحديث 4974، ص 1271.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم الحديث 4974، ص 1271.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3]، ص 589.

(4) - النووي، شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدِّينَ النَّصِيحَةُ، ج 3، المرجع السابق، ص 38.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، رقم الحديث 4625، ص 1138.

## د- أسلوب التَّرهيب والتَّرجيب

استخدم النَّبِيُّ ﷺ عند محاولات ترسيخ حقيقة البعث أسلوبَي التَّرجيب والتَّرهيب، فبيَّن أحوال النَّاس يوم القيامة وهم يحشرون، مبرِّزاً خشيتَه على أُمَّتِه وأصحابه من هذا الموقف وعِظَم هولِه فيقول ﷺ: «يُعِثُّ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»<sup>(1)</sup> أي: من مات على خير يبعث على حال سارة، ومن مات على شرٍّ يبعث على حال شنيع، وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ ثم يُنزلُ الله من السَّماء ماءً فينبتُّون كما ينبتُّ البقلُ، قال: ليس من الإنسان شيءٌ إلَّا يَبْلَى، إلَّا عَظْماً واحداً، وهو عَجَبُ الدَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخلق يوم القيامة»<sup>(2)</sup>.

و جاء أُنْبِيُّ بَنُ خَلْفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ عَظْمٌ رَمِيمٌ، وَهُوَ يَفْتَتُهُ وَيَذَرُوهُ فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَمِيتُكَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ يَبْعَثُكَ، ثُمَّ يَحْشُرُكَ فِي النَّارِ»<sup>(3)</sup>.

وَمِنْ جِهَةِ بَيْنِ النَّبِيِّ ﷺ حَالِ الْفَائِزِينَ بَعْدَ الْبَعْثِ بِجَنَّاتِ الْخُلْدِ ذَاكِرًا أَوْ صَافِهِمْ، كَحَافِزٍ لِلْإِقْبَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَرْكِ مَا يَشْغَلُهُمْ مِنْ مَوْرِ الدُّنْيَا، بِأَسْلُوبٍ تَحْفِيزِيٍّ يَقْرُبُ إِلَى الْأَذْهَانِ، وَفِي صُورٍ عَاطْفِيَةٍ مُؤَثِّرَةٍ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ»<sup>(\*)</sup> عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ<sup>(\*)</sup> عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بَكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَان، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم الحديث 2878، ص 2206.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن العظيم، باب: ﴿يَوْمَ يُفْعَفُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، رقم الحديث 4935، ص 1253.

(3) - علي محمد الصُّلَاطِي، السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ عَرْضُ وَقَائِعٍ وَتَحْلِيلُ أَحْدَاثٍ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 124.

(\*) - فَاجْتَالَتْهُمْ: اسْتَخَفُّوهُمْ فَذَهَبُوا بِهِمْ، وَأَزَالُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَجَالُوا مَعَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، اجْتَالُ الرَّجُلِ الشَّيْءَ ذَهَبَ بِهِ، وَاجْتَالُ أَمْوَالِهِمْ سَاقَهَا وَذَهَبَ بِهَا. (صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث 2865، ص 2197).

(\*) - فَمَقَّتَهُمْ: المَقْتُ أَشَدُّ الْبَغْضِ، وَالْمَرَادُ بِهَذَا الْمَقْتُ وَالنَّظَرُ مَا قَبْلَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث 2865، ص 2197).

إِذَا يَنْتَلِعُوا<sup>(\*)</sup> رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خَبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاعْزُهُمْ نُعْرَكَ، وَأَنْفَقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعْتُ خَمْسَةَ مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسَطٌ مُتَّصِدٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَنْزَرَ لَهُ، الَّذِي هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يَصْبُحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَذَكَرَ الْبُخْلُ أَوْ الْكَذِبَ وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ...<sup>(1)</sup>.

وفي لقاء بين أبي رزين العقيلي رحمه الله والنبي ﷺ يسأله، كيف يحيي الله الموتى؟ فقال: «أما مررت بالوادي محلاً، ثم تمرّ به خضراً كذلك يحيي الله الموتى»<sup>(2)</sup> كان السؤال صريحاً ومباشراً من أبي رزين العقيلي عندما سأله كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ والنبي ﷺ أثار ذهن الصحابي وأحاسيسه وتفكيره من خلال تصويره لبعث النَّاس وإعادة خلقهم من جديد، وقد سبقه في ذلك سؤال خليل الله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَتْ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: 260].

فالأحاديث السَّالفة توضح أصلاً من أصول الإيمان باليوم الآخر، وقضية هامة من قضايا العقيدة الصحيحة ألا وهي قضية البعث والنشور، عرضها النبي ﷺ بطريقة حوارية مؤثرة ويؤكددها بحجة مقنعة واضحة.

وعليه ظهرت عناية النبي ﷺ بهذا الأمر غاية الاهتمام، وقد استخدم أساليباً عاطفية مثيرة لترسيخ عقيدة البعث في الأذهان وتطويع القلوب نحو الإيمان، كلّها من شأنها أن تغرس في النفوس وتمكّنها في القلوب، وتثبت فيهم الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: 9].

(\*) - يَنْتَلِعُوا: يشدخوه ويشجّوه كما يشدخ الخبز، أي يكسر (صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث 2865، ص 2197).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث 2865، ص 2197.

(2) - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، باب لقيط بن عامر أبو رزين العقيلي، رقم الحديث 470 (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د، ط، ج 19، د، ت)، ص 308.

### وعليه يستدعي من الدَّاعية إلى الله:

- أن يولي الحديث عن الآخرة أهميّة بالغة خصوصًا باستخدام المنهج العاطفي، لأنّه يُهيّج العواطف فيرى الخشية على المحيّا جليّة ومن ثمّ تزيد السّامع عزْمًا على عزْمٍ ويُبْعث فيه الحزْمُ والحزْمُ على فعل الخير وغشيان أبوابه، والابتعاد عن المنكر وسدّ أبوابه، لذا كانت الأدلّة الواردة السّالفة الذّكر أشبه ما تكون بمحسّ يُعيد للقلب خفقانه، وللدّم الفوّار دَوْرانه، كيف لا وهو القرآن منهج النَّبي ﷺ حيث جعله القدوة في تبليغ الرّسالة وبما يتلقون صحابته الكرام من عطفٍ إلى درجة أن يعتصر مكامن أنفُسهم، فإذا ودّق إعجابهم وسنا أرواحهم يشي بهم بما ترقق على العيون من دموع وما رَجفت من رواجفة قلوبهم.

- أن يسلك منهج النَّبي ﷺ في إثباته للبعث بمثل هذه الأساليب المثيرة والطّيبة على النّفوس.

- ينبغي على الدّاعية أن يعتني بدعوة المشركين بالله وأهل الكفر، ويسلك معهم مسالك عدّة منها: إثبات ألوهية الله تعالى وترسيخها في القلوب، والبعث، وصدق النبوة بالأدلّة العقلية والنقلية، ولاسيما بأساليب عاطفيّة راشدة، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وكما كان يدعو النَّبي ﷺ قومه.

- عند بيانه للبعث عليه أن يبيّن عظمة الله وقدرته على البعث ولقاء الله عزّ وجلّ بالأدلّة العقلية، ومن خلال طرق وأساليب تسمح بإثارة العواطف وإلهابها، ويسعى إلى إزالة ما حولها من تساؤلات وتشكيكات من قبل المدعوين.

### و- أسلوب التذكير بنعم الله

أثبت النَّبي ﷺ البعث من خلال وقائع تحدث للإنسان عند البعث بعد الموت، والتي منها تذكيره بنعم الله في الدّنيا والآخرة ونعمة الرُّسل والرّسالات، فعن عدي بن حاتم ؓ قال: «كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: أمّا قطع السبيل: فإنّه لا يأتي عليك إلّا قليل، حتّى تخرج العير إلى مكّة بغير خفير، وأمّا العيلة: فإنّ السّاعة لا تقوم، حتّى يطوف أحدكم بصدقته، لا يجد من يقبلها منه، ثمّ ليَقْفَنَّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يُترجم له، ثمّ ليَقُولَنَّ له: ألم أوتك مالا؟ فليقولن: بلى، ثمّ ليَقُولَنَّ ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلّا النّار، ثمّ ينظر عن شماله فلا يرى إلّا النّار، فليَتَقَيَنَّ أحدكم النّار ولو بشقّ تمرّة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة»<sup>(1)</sup> وقال ﷺ: «يؤتى

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرّكاة، باب الصّدقة قبل الرّد، رقم الحديث 1413، ص343.

بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسُ وَتَرْبُعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أَنَسَاكَ (\*) كما نَسِيتَنِي (2).

صَوَّرَ النَّبِيُّ ﷺ البعث في مشهد حوارٍ رائع يجعل القارئ يعيشه وكأنَّه جزء من هذا المشهد، والذي يكسبه حالة شعور رهيبه تدعوه إلى التَّدَبُّر والتَّأمُّل في مدى النِّعم التي أنساه الشَّيْطَانُ أَنْ يذكرها وبما انصبَّ على القلب مَآسِنُ الغفلة وصديد النِّسيان والتُّكران، وفي إعطائه حقَّ الله تعالى عليه في العبادة والطَّاعة، لبدأ العرض بالمحاسبة ويذكره بالنِّعم الكبيرة التي منحها الله له من مالٍ وجاهٍ، ويأتي كلامه أَنَّهُ لا تقوم القيامة حتَّى يعمَّ الغنى والثَّرَاء فيطوف أحدهم بصدقته لا يجد من يقبلها، وذلك لتواجد المال في أيدي النَّاس، ثُمَّ ليقفَّ أحدهم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب، فيحاسب الشَّحيح على بخله، ويثاب المتصدِّق على صدقته فدعا إلى إلقاء النار ولو بأقلِّ ما عنده ولو بشقِّ تمر أو بكلمة طيبة (3).

ولبراعة أسلوب النَّبي ﷺ ننظر إلى جمال عظمتة اللَّطيفة ﷻ، أَنْ جعل من الكلمة الطيبة ومقدار شقِّ تمر منجاة من النَّار، تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النَّار، فلم يكلفهم الكثير، ولم يعظم لهم هول الحساب، حتَّى أَنَّهُ ﷺ بثَّ في قلب الرِّحلين حبَّ الصَّدقة، وفعل الخير، والأمل في رحمة الله.

### المطلب الرَّابِع: دعوة النَّبي ﷺ في تأكيد النَّبُوَّة

سأتناول في هذه الجزئية منهج النَّبي ﷺ العاطفي في تأكيد النَّبُوَّة وصدق الرِّسالة، وذلك بذكر جملة الأساليب العاطفية المدعاة إلى التَّصديق والتَّأثير، والتي شملت آيات الله الواضحة والبراهين الصَّادقة بأنَّه أوتيَّ له من المعجزات وجمع له من الآيات ما لم يجمع لأحد من الأنبياء قبله، ولم يعط أحد مثله فكان عليه الصَّلَاة والسَّلَام أوضحهم دلالة وأعمهم رسالة، والنُّبُوَّة معاني متعدِّدة قد تتفق

(\*) - الْيَوْمَ أَنَسَاكَ: عند بعض المفسِّرين بمعنى: الْيَوْمَ أَتْرَكْتُكَ فِي الْعَذَابِ، وَفَسَّرَ آخَرُونَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسُوهُمْ﴾ [الأعراف: 51] قَالُوا: إِنَّمَا مَعْنَاهُ الْيَوْمَ نَتْرُكُهُمْ فِي الْعَذَابِ، (أخرجه التِّرْمِذِي فِي سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في العرض، رقم الحديث 2428، ج4، المصدر السَّابِق، ص 619).

(2) - أخرجه التِّرْمِذِي فِي سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في العرض، رقم الحديث 2428، ج4، المصدر السَّابِق، ص 619. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ .

(3) - حمزة مُحَمَّد قاسم، مختصر شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، كتاب الزُّكَاة، باب الصَّدقة قبل الردِّ، رقم الحديث 542 (دمشق: مكتبة دار البيان، ط1، ج3، 1410هـ/1990م)، ص 15.

في المقصد ولكنَّها تختلف في الكلمات، وهو ما أشار إليها كثير من أهل اللُّغة وعلماء الدَّعوة، فاقْتَصَرْتُ على بعضها لأَسْتَهْلَ بها للتَّوضيح، وقبل الحديث في هذا الموضوع أَسْتَهْلُ بتقدِّم مفهوم النَّبوة من النَّاحيتين اللُّغوية والإصطلاحية.

### أَوَّلًا: مفهوم النَّبوة

#### أ - لغة

- يَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ ابْنُ مَنْظُور بالقول: (النَّبي هو المكان المرتفع، وقيل النَّبي ما نَبَا من الحجارَة إذا نَحَلَتْهَا الحوافز، والنَّبي العلم من أعلام الأرض التي يَهْتَدَى بها، قال بعضهم: ومنه اشتقاق النَّبي لأنَّه أَرَفَعَ خَلَقَ اللهُ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ [مریم: 57] وذلك لأنَّه يُهْتَدَى به) <sup>(1)</sup>.

#### ب - اصطلاحًا

- يَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ الْأَصْفَهَانِي بالقول: (النَّبوة هي الرَّقعة والشَّرَف، ومنها النَّبي، وسمِّي بذلك لرفعة محله عن سائر النَّاس) <sup>(2)</sup> يقول تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ [مریم: 57].

- وَيَعْرِفُهَا شَيْخُ الْإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله بالقول: (النَّبوة بَأَتْهَا إِنْبَاءُ اللهِ لِعَبْدِهِ، وَنَبِيَّ اللهِ مَنْ كَانَ اللهُ يُوْحِي إِلَيْهِ وَيَنْبِئُهُ) <sup>(3)</sup>.

- وَيَعْرِفُهَا الشَّيْخُ الْبُوطِي رحمه الله بالقول: (النَّبي إنسان أُوْحِيَ اللهُ إِلَيْهِ بِوِاسْطَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَبْلُغَ عَامَةَ النَّاسِ أَوْ فِتَّةً مِنْهُمْ أَمْرًا مِنْ قَبْلِ اللهِ تَعَالَى) <sup>(4)</sup>.

### ثانيًا: مقام النَّبوة والرَّسول والفرق بينهما

فَرَّقَ الْقُرْآنُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، فَكِلَاهُمَا مُوْحَى إِلَيْهِ، وَالْوَحْيُ الْمَنْزَلُ عَلَى الرَّسُولِ هُوَ رِسَالَةٌ تَشْرِيعِيَّةٌ، أَمَّا الْوَحْيُ الْمَنْزَلُ عَلَى النَّبِيِّ فَلَيْسَ فِيهِ تَشْرِيعٌ جَدِيدٌ، إِنَّمَا يَتَّبِعُ النَّبِيُّ تَشْرِيعَ الرَّسُولِ الَّذِي سَبَقَهُ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّ وَظِيفَةَ الرَّسُولِ هِيَ التَّلَاوَةُ وَالتَّبْلِغُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ أَوَامِرٍ تَشْرِيعِيَّةٍ فَيَكُونُ بِذَلِكَ صَاحِبَ رِسَالَةٍ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: 151] أَمَّا وَظِيفَةُ

(1) - ابْنُ مَنْظُور، لسان العرب، ج 15، باب التُّون، المصدر السَّابِق، ص 301.

(2) - الرَّازِبُ الْأَصْفَهَانِي، المفردات في غريب القرآن، باب التُّون وما يَتَّصِلُ بِهَا (مكتبة نزار مصطفى الباز، ج 2، د، ط، د، ت)، ص 623

(3) - ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَرَانِي، النَّبَوَات، تحقيق: عبد العزيز صالح الطويان (الرِّياض: مكتبة أضواء السلف، ط 1، 1420هـ/2000م)، ص 873.

(4) - مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ رَمْضَانَ الْبُوطِي، كِبَرُ الْيَقِينِيَّاتِ الْكُونِيَّةِ (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط 1، 1417هـ/1997م)، ص 184.

النَّبي فهي الدَّعوة والتَّعليم والقيادة للنَّاس، كون النَّبوة مقامًا علميًا وبذلك يكون النَّبي رسولاً تابعاً، تجلَّى في نبوة موسى وهارون عليهما السَّلام<sup>(1)</sup> ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: 53]. وللعلماء دور في تحديد الفرق بين النَّبي والرَّسول، وتحديد مسمَّى كلِّ منهما، والكلام فيها كثير لا يُسلم من نقد، لكنَّ الأمر الرَّاجح عند كثير من أهل العلم أنَّ هناك فرقاً بين مسمَّى النَّبي ومسمَّى الرَّسول وإن اختلفوا في تحديد المراد بكلِّ منهما، فإنَّ النَّبوة أعمُّ من الرِّسالة، وكلُّ رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً، بمعنى آخر النَّبوة جزء من الرِّسالة إذ الرِّسالة تتناول النَّبوة وغيرها بخلاف الرُّسل فإنَّهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم.

والذي يظهر أنَّ النَّبي ﷺ هو من نبَّأه الله بشرع سابق ينذر به أهل ذلك الشَّرع، وقد يؤمر بتبليغ بعض الأوامر في قضية معيَّنة، أو الوصايا والمواعظ، وذلك كأنبياء بني إسرائيل إذ كانوا على شريعة التَّوراة ولم يأت أحد منهم بشريع جديد ناسخ للتَّوراة، فتكون منزلته حينئذ بمنزلة المجدِّد لتعاليم الرُّسل السَّابقين، أمَّا الرَّسول فهو من بعثه الله بشرع وأمره بتبليغه إلى من خالفوا أوامر، وسواء كان هذا الشَّرع جديداً في نفسه أو بالنَّسبة لمن بعث إليهم، وربَّما أتى بنسخ بعض أحكام شريعة من قبله<sup>(2)</sup>.

وبناء على هذا التَّفريق يمكن أن نخلِّص إلى قول الدكتور جابر طه العلواني: (نبوة محمَّد ﷺ للعرب ورسالته للنَّاس جميعاً كما أخبر ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، فعملية البعث والإرسال أي النَّبوة والرِّسالة معاً كانت لقوم النَّبي ﷺ والعرب ومن عاصره، أمَّا بعد موته ﷺ توقَّفت فاعلية مقام النَّبوة واستمر مقام الرِّسالة الذي يمثِّل في الرِّسالة ذاتها<sup>(3)</sup>).

(1) - طه جابر العلواني، إشكالية التَّعامل مع السنَّة النَّبوية (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1435هـ/2014م)، ص 29.

(2) - عبد الرؤوف محمَّد عثمان، محبَّة الرَّسول بين الإتيان والإبتداع (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدَّعوة والإرشاد، إدارة الطَّبع والتَّرجمة، ط1، ج1، 1414هـ)، ص 16.

(3) - طه جابر العلواني، إشكالية التَّعامل مع السنَّة النَّبوية، المرجع السَّابق، ص 29.



### ثالثاً: الأساليب العاطفية لتأكيد نبوته ﷺ

#### أ- تأكيد النبوة من خلال مشاركاته ﷺ الوجدانية

من الأساليب التي استخدمها النَّبي ﷺ في تأكيد نبوته أسلوب المشاركة الوجدانية، الدَّالة على إعانة المريض وإغاثة الملهوف وإشفاء العليل وهذا الأسلوب كما هو متعارف عليه -وقد أشرنا إليه سابقاً- تميّز بقوة التأثير وسرعة الاستجابة والتَّصديق، والشَّواهد الدَّالة عليه كثيرة وعديدة لاعدّها لها ولا حصر، إلّا أنّي إقتصرت على بعض منها أحدها ما جاء:

عن طفيل العامري جاء إلى النَّبي ﷺ فشكا إليه الجذام، فدعا بركوة ثم تفل فيها وأمره أن يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحاً.

ومساعدته ﷺ لأصحابه وذلك ما حدث لأبي قتادة بن ربعي جاء يوم أحد وقد إقتلعت إحدى عينيه وتعلّقت على وجهه فقال: «يا رسول الله إنّ لي امرأة وأخشى أن ينقصني هذا عندها، فردّها رسول الله ﷺ إلى موضعها فكانت أحسن عينيه»<sup>(1)</sup>.

وأمّ جندب رضي الله عنها قالت: «رأيت النَّبي ﷺ اتَّبَعته امرأة من خثعم ومعها صبيّ لها به بلاء فقالت: يا رسول الله إنّ صبيّي هذا وبقية أهلي به بلاء لا يتكلم، فقال رسول الله ﷺ: إئتوني بشيء من الماء، فأتي بماء فغسل يديه ثمّ ضمّ مضمض فاه ثمّ أعادها فقال: أسقيه منه، وصبيّ عليه منه، واستشفي الله له قالت: فلقيت المرأة فقلت لو وهبت لي منه فقالت إنّما هو لهذا المبتلى قالت: فلقيت المرأة من الحول فسألتهما عن الغلام قالت برأ وعقل عقلاً ليس كعقول الناس»<sup>(2)</sup>.

وعن ابن فديك أنّ أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيّضتان لا يبصر بهما شيئاً، فسأله ما أصابه؟ قال إنّ كنت أمرن جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حية، فأصيب بصري فنفت رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر قال: فرأيتَه يدخل الخيط في الإبرة وأنّه لابن ثمانين وإنّ عينيه لمبيّضتان<sup>(3)</sup>.

أمام هذه الدلائل الخارقة تصنع للدَّاعية نبراساً بالدَّرَجَة الأولى يقوّي همّته ويرفع هامته ؟ أمّا قرّاء سيرة المصطفى ﷺ حتماً سيدركون مقام النَّبي ﷺ الرّفيع الذي أيّده ربّه بخوارق تجلّت لبعض

(1) - محمّد بن عمر الواقدي، المغازي، ج1، المرجع السَّابق، ص 242.

(2) - أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمّد رواس قلعجي وآخر، باب دعاؤه شفاء المريض، رقم الحديث 393 (بيروت: دار النَّفائس، ط2، ج 2، 1406هـ/1986م)، ص 464.

(3) - البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطى قلعجي، باب دعاؤه برد بصر الأعمى، رقم الحديث 393 (بيروت: دار الكتب العلمية، دار الرِّيَّان للتراث، ط1، ج2، 1408هـ/1988م)، ص 397.

أصحابه عين اليقين إستثمرها ﷺ في مشاركته لظروف النَّاس الصَّحِيَّة والاجتماعية يعايش آلامهم وآمالهم، ممَّا يصبُّ إهتمام النَّبي ﷺ في نفوس النَّاس أنسًا وحبًّا، والدَّاعية جدير به أن يستثمر مثل هذا في دعوته، تكون وسيلة في إثبات حقيقة الإسلام مزدان بجبائل المودَّة ويغطيه بشعار القرآن ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

#### ب- تأليف القلوب بمساعدة النَّاس وقضاء حاجاتهم

كان النَّبي ﷺ كما وصفته زوجته خديجة رضي الله عنها يحمل الكلَّ ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الحقِّ مَنْ يعرف ومن لا يعرف، فشهدت نبوَّته مواقف جليلة وأساليب عاطفيَّة أثبتت أحميَّة دعوته منها:

لَمَّا قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها، فأقبل الإراشي حتَّى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فقال: «يا معشر قريش من رجل يعديني على أبي الحكم ابنُ هشام، فإني غريب وابنُ سبيل، وقد غلبني على حقِّي؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك - يهزون به إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، إذ ذهب إليه فهو يعديك عليه، فأقبل الإراشي حتَّى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقام معه، فلما رآوه قام معه قالوا للرجل مَن معهم إتبعه فانظر ما يصنع؟ فخرج رسول الله ﷺ حتَّى جاءه فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال محمدٌ فأخرج! فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم، وقد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرَّجل حقَّه، قال: لا تبرح حتَّى أعطيه الذي له، قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثمَّ أنصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: إلحق لشأنك، فأقبل الإراشي حتَّى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خير، فقد أخذت، الذي لي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال: أعط هذا الرَّجل حقَّه، فقال: نعم! لا تبرح حتَّى أخرج إليه حقَّه، فدخل فأخرج إليه حقَّه فأعطاه ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك مالك فو الله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بأبي وسمعت صوته فملئت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فو الله لو أبيت لأكلني»<sup>(1)</sup>.

(1) - ابنُ كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، فصل أشدَّ ما صنعه المشركون بالنَّبي ﷺ (دار إحياء الثَّراث العربي، ط1،

وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا أَتَيْنِ لَمْ أَخْبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبُدَوِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَرِيبُ بَنِي فَلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ كُنْتُ أَخْبِرْتَهُ أَهْمُ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا وَقَدْ أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ وَقَحَطٌ مِنَ الْغَيْثِ وَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُغِيثُهُمْ بِهِ فَعَلْتُ قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أَرَاهُ عَمَرَ فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمَرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فَلَانٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: لَا يَا يَهُودِيَّ وَلَكِنْ أُبِيعُكَ تَمَرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا وَلَا أَسْمِي حَائِطَ بَنِي فَلَانٍ، قُلْتُ: نَعَمْ فَبَايَعَنِي ﷺ فَأَطْلَقْتُ هِمَيَانِي فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمَرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ وَقَالَ: (اعْجَلْ عَلَيْهِمْ وَأَغْثِهِمْ بِهَا) قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجِنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - بِمُطْلٍ وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعْتُهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عَنْقَكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عَمَرَ فِي سَكُونٍ وَتَوَدَّةٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عَمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ أَذْهَبَ بِهِ يَا عَمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عَشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِ مَكَانٍ مَا رُعْتَهُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَذَهَبَ بِي عَمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عَشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمَرٍ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عَمَرُ؟<sup>(1)</sup> قَالَ: لَا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتُ وَتَفْعَلَ بِهِ مَا فَعَلْتُ فَقُلْتُ: يَا عَمَرُ كُلُّ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا فَأُشْهِدُكَ يَا عَمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَأُشْهِدُكَ أَنْ شَطْرَ مَالِي - فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالًا - صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ عَمَرُ أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لَا تَسْعُهُمْ كُلَّهُمْ

(1) - البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، باب إستبراء زيد بن سَعْنَةَ أحوال النبي ﷺ حتى إذا وقف عليها وأبصر علامات النبوة فيها أسلم وإنقاد، المصدر السابق، ص 278.

قُلْتُ: أو على بعضهم فرجع عمرُ وزيدٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال زيدٌ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، فأمن به وصدَّقه وشهد مع رسولِ الله ﷺ مشاهدَ كثيرةً ثمَّ تويَّ في غزوةِ تبوكَ مُقبلاً غيرَ مُدبرٍ، رحمَ اللهَ زيدًا قال: فسمِعْتُ الوليدَ يقولُ: حدَّثني بهذا كلُّه محمدُ بنُ حمزة عن أبيه عن جدِّه عن عبدِ الله بنِ سلام<sup>(1)</sup>.

### ج- حسن تأليفه والشام كلمته

ذُكر من علامات النبوة عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: «دخل النبي ﷺ مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنمًا فأشار إلى كلِّ صنم بعصا وقال: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾» [الإسراء: 81].

فالنبي ﷺ من خلال هذا المشهد يهين الأصنام إثباتًا لوحداية الله، فكان لا يشير إلى صنم إلا سقط من غير أن يمسه بعصا<sup>(2)</sup> فسقوط الأصنام بهذه معجزة وآية من آيات نبوة النبي ﷺ، يقول عنها الإمام الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: (فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه، مع أنها كانت ثابتة على الأرض، وقد شدَّ لهم إبليس أقدامها بالرصاص، وفعل النبي ﷺ ذلك إذلالاً للأصنام وعابديها، وإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدافع عن نفسها شيئاً)<sup>(3)</sup>.

وذكر ابنُ سعد في معرض حديثه عن علامات النبوة بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ فقال: أخبرنا علي بنُ محمد عن يزيد بنِ عياض عن نافع عن سالم عن علي قال: «أمر رسول الله ﷺ خديجة وهو بمكة فاتخذت له طعامًا، ثمَّ قال لعليّ ﷺ: ادْعُ لي بني عبدِ المطلبِ فدعا أربعين، فقال لعليّ: هلمَّ طعامك، قال عليّ ﷺ: فأتيتهم بشريدة، إن كان الرجلُ منهم ليأكلَ مثلها، فأكلوا منها جميعًا حتَّى أُمسكوا، ثمَّ قال ﷺ: إسقمهم فسقيتهم بإناءٍ هو رأيُّ أحدُهم، فشربوا منه جميعًا حتَّى صَدُرُوا، فقال أبو لهب: لقد سحرهم محمد، ففترقوا ولم يدعهم، فلبثوا أيامًا، ثمَّ صنع لهم مثله، ثمَّ أمرني فجمعتهم فطعموهم، ثمَّ قال لهم: من يؤازرني على ما أنا عليه، ويُجيبني على أن يكون أخي وله

(1) - البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعي، باب استبراء زيد بن سعة أحوال النبي ﷺ حتى إذا وقف عليها وأبصر علامات النبوة فيها أسلم وإنقاد، المصدر السابق، ص 278.

(2) - شمس الدِّين محمد بنُ أحمد بنُ عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام المغازي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1410هـ/1990م)، ص 550.

(3) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الرأية يوم الفتح؟ رقم الحديث 4287، ج8، المرجع السابق، ص-ص 18، 19.

الجنة؟ فقلت: أنا يا رسول الله وإني لأحدثهم سنًا وأحشهم ساقًا، وسكت القوم، ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك؟ قال: دعوه فلن يألو ابن عمه خيرًا<sup>(1)</sup>.

إنَّ ما ذكر يؤكِّد أسلوب النَّبي ﷺ في استدراج ذوي قرابته وعشيرته للإيمان والتَّوحيد، ليحرِّك فيهم دافع الحميَّة - حميَّة القربي - سواء قربي النَّسب أو غير ذلك، كقربي المصاهرة بخفض الجناح والتَّلطف، ونحن نرى قول الله تعالى يأمره بأنَّ يتلطف بهم حال قبولهم أو في حال عصيانهم، فيقول تعالى عنه: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشُّعراء: 216].

في الآية لطيفة بيانية من لطائف الأسلوب القرآني، وقد علَّقت البراءة في الآية بعمل من عصي، ولم تعلق بشخصه وذاته، ولم تقل الآية فقل: إني برئ منكم لأنَّ ارتباط البراءة بالعمل دون ذوات العصاة وأشخاصهم لا يقطع أواصر القربي والبرِّ بها في الدُّنيا والعودة إليها بالإحسان إليها في الدُّنيا والدِّين إذا عادت إلى الإيمان والطَّاعة للرَّسول، وفي هذا تعزيز لمبدأ اجتماعي عظيم تقوم عليه دعائم الحياة الاجتماعية في الإسلام، لأنَّ ربط الموالاتة والنُّصرة بالعمل دون الأشخاص والدُّوات بفتح الأمل أمام الشَّاردين من دعوة الإيمان والطَّاعة لله ورسوله<sup>(2)</sup>.

وما حدث مع الوليد بن المغيرة لمَّا جاء إلى النَّبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنَّه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: «يا عم! إنَّ قومك يروون أنَّ يجتمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليُعْطوكه فإنَّك أنيتَ مُحَمَّدًا لتُعْرِضَ لما قبله، قال: قد علِمْتُ فُرَيْشُ أَيَّ مَنْ أَكْثَرَهَا مالا، قال: فقلَّ فيه قولًا يبلُغُ قومك أنَّك مُنْكَرٌ له أو أنَّك كاريُّ له قال: وماذا أقولُ فو الله ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعار مِنِّي، ولا أعلمُ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، ولا بأشعارِ الجُرِّ، والله ما يُشْبِهُ الذي يقول شيئًا من هذا، والله إنَّ لقَوْلِهِ الذي يقول حلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً وإنَّه لمُشَمِّرٌ أَعْلَاهُ، مُعْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وإنَّه ليعْلُو وما يُعْلَا، وإنَّه ليَحِطُّ ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتَّى تقول فيه! قال: فدعني حتَّى أفكر، فلمَّا فكَرَ قال: هذا سحر يؤثر يآثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾<sup>(3)</sup>.

(1) - ابنُ سعد بُنِّي منيع الهاشمي، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ذكر علامات النبوة بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ، رقم الحديث 433 (بيروت: دار صادر، ط1، ج1، 1398هـ)، ص187.

(2) - الشَّريف حمدان راجح المحاري، الأسلوب النبوي في الدعوة، المرجع السَّابق، ص143.

(3) - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصَّحَّاحين، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر (بيروت: دار التَّأصيل مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط1، ج4، 1435هـ/2014م)، ص493. وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان، 1/287 ودلائل النبوة، 2/198، كما في السيرة لابي كثير، 1/498، وأورده الألباني في صحيح السيرة النبوية، ص159، وشمس الدِّين مُحَمَّد بُنِّي أَحْمَد بُنِّي عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، باب السيرة النبوية، فصل دعوة النَّبي ﷺ وعشيرته إلى الله (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 2010م)، ص83.

وزاد البيهقي عن عكرمة ؓ قال: «جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90] قال: أعد، فأعاد النَّبي ﷺ فقال: والله، إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر»<sup>(1)</sup>.

#### د- حسن تعامله ﷺ مع المواقف الصَّعبة والخارقة

كان أثر أسلوب النَّبي ﷺ في القلوب بليغاً، لا يمكن لأحد إنكاره، ومن تأمل في أساليب غيره لم يجد فيها أسلوباً سنخ أسلوبه، فقد حارت فيه عقولهم وتبلدت أحلامهم، فأثر فيهم تأثيراً لمجرّد أن يسمعوا منه الآيات والشواهد والدلالات يؤمنوا، وقد تجلّت بوضوح في بعض مواقفه الخارقة وكيفيات التعامل معها منها:

ما ظهر في قصّة المرأة اليهودية بخير عندما أهدت شاة مشوية فأكل منها رسول الله ﷺ وأكل القوم فقال: «ارفعوا فإنّ هذه الشاة أخبرتني أنّها مسمومة، ثم قال لليهودية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: إن كنت نبياً صادقاً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحمت منك، فقال: ما كان الله ليسلّطك على ذلك فقالوا: نقتلها؟ قال: لا، فعفا عنها ولم يعاقبها، وجاء الحديث ما روي عن أبي سعيد الخدري ؓ وزاد فيه، فبسط رسول الله ﷺ يديه وقال: كلوا بسم الله، فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر أحد منّا إلّا ما ذكر من موت بشر بن البراء»<sup>(2)</sup>، فكان هذا الموقف له أثر كبير في نفس المرأة اليهودية.

تمثّلت دلالة نبوّته ﷺ في نطق الميّت وذلك أنّ الشاة المسمومة كلّمته بعد أن شويت، وأنهم أكلوا السّم ولم يضرهم وبذلك اعترفت اليهودية وقالت: أردت قتلك، فأراد الله أن يميت أحدهم ليعلم أن الذي أكلوه سمّ، وأن يحيي جميعهم آية لرسول الله ﷺ، ومن آياته في هذه القصّة تأخّر موته بالسمّ دون علّة لازمته نحو عشرين سنة، وهذه كلّها أمور خارقة للعادات<sup>(3)</sup>.

(1) - البيهقي، دلائل النبوة، ج2، المصدر السابق، ص 199.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الدّيات، باب فيمن سقى رجلاً سمّاً أو أطعمه فمات أيقاد منه، رقم الحديث 4512، ص 180. وقال: هذا حديث صحيح، وأخرجه البيهقي في السّنن الكبرى، كتاب الجراح، باب من سقى رجلاً سمّاً، رقم الحديث 16008، ج8، المصدر السابق، ص 83.

(3) - ابن المزيّن، إثبات نبوة محمّد ﷺ، تحقيق: أحمد آيت بلعيد (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت)، ص 155.



وما جاء في شهادة الرضيع والأبكم لنبيِّنا محمد ﷺ فروي عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه أن النَّبي ﷺ أتى بصبيٍّ قد شبَّ ولم يتكلَّم قطَّ قال: «من أنا؟ قال: أنت رسول الله»<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك حديث بُنِّ معقيب عن جدِّه قال: «حججت حجة الوداع فدخلت دار بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه كدارة القمر فسمعت منه عجباً، أتاه رجلٌ من أهل اليمامة بسلام يوم ولد، وقد لقَّه في خرقة، فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام من أنا؟ فقال: أنت رسول الله، فقال له رسول الله: برك الله فيك، ثم إنَّ الغلام لم يتكلَّم بعدها»<sup>(2)</sup>.

لقد كانت هذه الدلالات مثيرة تسعى بدون شك إلى إثارة العاطفة وإلهابها، خصوصاً عندما يقرأ أو يسمع بمثل هذه الخوارق، فكانت بليغة ومؤثرة، والصَّحابة شهدوا بأسماعهم وأبصارهم أمراً معجزاً وحدثاً خارقاً للعادة، والولد الرضيع والأبكم والميِّت جميعهم يشهدون نبوة رسول الله ﷺ، والدَّاعية جدير به أن تزيد فيه إيماناً بالله وحباً لرسوله ﷺ.

#### و- تأكيد نبوته ﷺ بشيعة أخلاقه

ومن دلائل نبوته ﷺ كرم أخلاقه وجميل صفاته، فاشتهر بحسن الخلق وصدق الحديث وعظم الأمانة وهجر ما كان متفشياً في قومه من عبادة الأصنام وشرب الخمر والزنا وغيرها من الموبقات، فمثل هذه الكمالات إنما هي بعض منحة الله له، وهي دليل يقنع العقلاء على نبوته ﷺ، كان لها الأثر الكبير في لفت الأنظار إلى نبوته، وإنَّ له شأن كبير، ممَّا كان من أسباب نجاح دعوته وقبولها لدى النَّاس، وبهذا النوع من الكمالات آمن من سمع عنه وكلٌّ من خالطه من المسلمين قبل أن تظهر على يديه معجزات باهرة، فكان أوَّل أهل الأرض إيماناً به خديجة رضي الله عنها، استدلَّت لنبوة زوجها بما عرفته من كمال أخلاقه وعظيم خلاله<sup>(3)</sup>، فقالت له وقد رجع إليها من غار حراء خائفاً: «كلاً والله ما يخزيك الله أبداً، إنَّك لتصل الرَّحْم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»<sup>(4)</sup>. فجعلت رضي الله عنها من كريم خلاله دليلاً على صدق نبوته.

(1) - البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، باب ما جاء في شهادة الرضيع والأبكم لنبيِّنا محمد ﷺ، ج6، المصدر السابق، ص 60.

(2) - المرجع نفسه، ص 61.

(3) - عبد الله بن محمد الموسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، المرجع السابق، ص 112.

(4) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، باب 73، رقم الحديث 160، مج 1، ص 83.



وملوك الرُّوم وقد رأوا في أخلاقه ﷺ دليلاً كافياً على نبوته، من هؤلاء هرقل الذي بلغه أمرُ النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان - وهو يومئذ على الكفر - عن صفاته وأخلاقه، فلما استبانت له نبوته قال: «فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أيّ أعلم أيّ أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»<sup>(1)</sup>. فكانت أخلاقه درساً وعبرة لكل داعية إلى الله، يستقي منه أجمل الخلال وأعظم الشّمائل، فكانت أخلاقه من الموضوعات التي كان لها الأثر الكبير في نجاح دعوته ﷺ، وشخصه الكريم ﷺ عنوان للأخلاق وموضوعها الأصلي.

ومن أشهر دلائله إشتهاره بالنبوة والمكانة التي تولّاها بين قومه، عن البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا النبي لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب»<sup>(2)</sup> فالنبي ﷺ أثبت بقوله أنه النبي حقاً فلا أزول ولا أفرّ، وأنه ابن عبد المطلب فانتسب إلى جدّه دون أبيه وافتخر بذلك، فكانت شهرته بجدّه أكثر لأنّ أباه عبد الله توفّي شاباً في حياة أبيه عبد المطلب، وكان عبد المطلب مشهور شهرة ظاهرة شائعة وكان سيّد من أسياد أهل مكّة.

وما جاء في حديث همام بن ثعلبة في قوله: «أيكم ابن عبد المطلب» كان مشهوراً عندهم أنّ عبد المطلب بشر بالنبي ﷺ، وأنه سيظهر وسيكون له شأن عظيم، وكان قد أخبره بذلك سيف بن ذي يزن، وقيل أنّ عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي، فأراد النبي ﷺ تذكيرهم وتنبيههم بأنّه لا بدّ من ظهوره على الأعداء، وأنّ له التقوى لنفوسهم، وأعلمهم بأنّه ثابت ملازم للحرب لم يولى مع من ولى، فصرّح بمكانته بين قومه ليس برجل عادياً بل إنه نبي حق لا يمكن الإعراض عنه أو التّصدي له ومحاربتة لأنّ ما جاء به الحق من ربّه<sup>(3)</sup>.

ومن دلائل نبوته ﷺ تواضعه ﷺ بأنّه بشر يعتريه ما يعترى البشر، فعن سلمان ﷺ أنّ رسول الله ﷺ خطب فقال: «أيما رجل من أمّتي سبته سبة أو لعنته لعنة في غضبي، فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنّما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث 6، ص 10.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، رقم الحديث 4315، ص 1054.

(3) - التّووي، صحيح مسلم بشرح التّووي، كتاب الجهاد والسّير، باب غزوة حنين، رقم الحديث 1776، ج 12، المرجع السّابق، ص-ص 120، 122.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنّة، باب في التّهي عن سب أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث 4659، المصدر السّابق، ص 53. وصحّحه الألباني في الصّحيح.

وقال عبد الله ﷺ صلى بنا النبي ﷺ يوماً، فقال إبراهيم لا أدري زاد أو نقص فلماً سلم قيل له: «يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا صليت كذا وكذا، فثنى رجله واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما أقبل علينا بوجهه قال: إنه لو حدث في الصلاة شيء لبأتكم به ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإلا شك أحكم في صلاته فليتحري الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين»<sup>(1)</sup>.

أظهر الحديثان تواضع النبي ﷺ الجسم، فلم يعط لبشريته أكثر مما تستحق، ولم يرفعها فوق كل اعتبار كما يفعل الأمراء والملوك، فأوماً بأنه بشر قد يعتريه النسيان والغضب.

وعند مجادلة المشركين في أمر نبوته لم يكونوا على استعداد في تصديقه أنه نبي من عند الله، ليس لأنهم يكذبونه وإنما هو عنادٌ فعرضوا عليه مطالب غريبة تدل على شدة تعنتهم وعلى أنهم لا يريدون أن يؤمنوا إلا إذا شاهدوا المستحيلات ورأوا الخوارق والعادات، فكان موقفه التعبير عن حزنه وشفقته تجاههم قائلاً لهم وبعبارات عاطفية لطيفة: «ما لهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما يعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»<sup>(2)</sup>.

ومن خلال هذه الشواهد الشاهدة تصدع بصوت الحق بؤها المنهج النبوي العاطفي مقاماً علياً في مدارج دعوته ﷺ، أكسبته عظمة في شخصيته - ﷺ - وزادته عند مواجهة قومه ومعارضتهم وتعنتهم صلابة في الحق على صفحة قلبه، أمّا قلبه فاضت منه أخلاقه الجليلة ومشاعره الرحيمة، فترجمها قولاً لئناً، كلمة طيبة، وحواراً هادئاً، وما شهد عليه أهل الكتاب وأهل الكفر من أخلاق عالية وراقية لا يماثله فيها بشر ولا أحد من العالمين تثبت حقيقة نبوته وقدرته على تثبيت القناعات، وهذه السمائل من خصائص المنهج العاطفي التي عرف عنها بقوة التأثير واستحاشة العواطف والعقول.

#### هـ - عظمة النبي ﷺ وقوته في التأثير بالقرآن

يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122] ويقول تعالى في بعض آياته: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبْتَغِي لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 9].

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة، رقم الحديث 401، ج 1، ص 110.

(2) - محمد علي الصابوني، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث، المرجع السابق، ص 178.

وانطلاقاً من هذه الآيات القرآنية أظهر الله تعالى على نبيِّه مُحَمَّد ﷺ العديد من الآيات والدلائل الباهرة والمعجزات الخارقة للعادة عند التَّحْدِي أكثر من سائر الأنبياء، وأعظمها معجزة القرآن ليخرج به النَّاس من ظلمات الشُّرك إلى نور الإيمان والتَّوْحِيد، فقال: «ما من الأنبياء نبيّ إلاّ أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الذي أُوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

فكان القرآن معجزة مناسبة لحال قوم النَّبي ﷺ لَمَّا كانت العرب أرباب البلاغة والفصاحة والخطابة فجعل الله معجزة النَّبي ﷺ في القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت: 42] وقريش في بادئ الأمر أنكرت رسالة النَّبي ﷺ وبالكتاب الذي جاء به، فأوضح لهم حقيقة ما جاء به بالحجّة القاطعة، فكان من جملتها ما حصل بينه وبين قريش وسائر المخالفين والمنكرين أن تحدّاهم بالقرآن: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88] ثم تحدّاهم في موقف آخر قائلاً لهم: [هود: 13] فسكت المخالفون وعجزوا عن تحدّيهم لنبيّ الله ﷺ وكسره.

فالقرآن الكريم من معجزاته الباهرة جاء بهدايات كاملة تامّة صالحة لشؤون البشر في كلّ زمان ومكان، فجميع مشكلات العالم وعوائصه كفيفة بأن يكون القرآن محبّوها ومُخَبِّرها فهو الأجدد أن يرضى مصالح النَّاس وهدايتهم إلى ما يصلح حالهم، كيف لا وهو كلام رب العالمين ! وهو القائل عن كلامه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت: 42] ويقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

فبهذا كان تأثير القرآن القويّ العامل الحاسم في إيمان من آمنوا في أوائل الدَّعوة، يوم لم يكن للنَّبي ﷺ ودعوته حول ولا طول، كما هو العامل الحاسم في إنجاح الدَّعوة يوم لم يكن للإسلام قوة ولا منعة<sup>(2)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأوّل ما نزل ؟ رقم الحديث 4981، باب 66، ص 1273.

(2) - عبد الله بنُ مُحَمَّد الموسى، أسباب نجاح دعوة الإسلام في العهد النَّبوي، المرجع السَّابق، ص 223.

ويُكفى ذكر نموذجين من قصص الكثير تكشفاً تأثير القرآن منذ اللحظة الأولى:

كقصّة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قرأ الصحيفة التي أعطته إياه أخته حفصة رضي الله عنها فيها سورة طه فقال: «ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إنِّي لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللّهُمَّ أيد الإسلام بأبي الحكم ابن هاشم أو بعمر بن الخطاب»<sup>(1)</sup>.

وحادثة تولي الوليد بن المغيرة<sup>(\*)</sup> عندما سمع شيئاً من القرآن فرق قلبه له فقالت قريش: «يا أبا عبد شمس أقم لنا رأياً نقل به، قال: بل أنتم قولوا اسمع، قالوا: نقول كاهن أو مجنون أو شاعر... قالوا فما: نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق<sup>(\*)</sup>، وإن فرعه لجناة<sup>(\*)</sup> وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلاّ عرف أنّه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته»<sup>(2)</sup>.

دلّ الحديث على عظمة النبي ﷺ وقدرته في التأثير بالقرآن، فالوليد بن المغيرة من أكبر سادات قريش وأشرفها مع ما يحصل عادة من الكبرياء من التكبر والتعاضم، فإنّه تأثر بالقرآن ورق له واعترف بعظمته ووصفه بوصف البليغ يذكره الدكتور الصلّابي حفظه الله بالقول: (لقد كان رسول الله ﷺ عظيم النجاح في دعوته، بليغاً في التأثير، فيمن خاطبه حيث يؤثر فيمن جالسه بحيث يهتته ووقاره قبل أن يتكلّم أو يستمع إليه، ثمّ إذا تحدّث أسر سامعيه بمنطقه البليغ المتمثّل في العقل السليم والعاطفة الجياشة بالحبّ والصفاء)<sup>(3)</sup>.

(1) - عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج1، المرجع السابق، ص 365. والسيرة النبوية للصلّابي، المرجع السابق، ص 154.

(\*) - الوليد بن المغيرة: ابن عبد الله بن عمرو بن عبد شمس، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له العدل لأنّه كان عدل قريش كلّها: كانت قريش تكسو البيت جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشام على شربها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهو كبير قريش ومن أكبر ساداتهم، ومات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (خير الدّين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، ج8، 2002م)، ص 122.

(\*) - لعذق: العذق بمعنى التخلّة (السيرة النبوية للصلّابي، المرجع السابق، ص 154).

(\*) - لجناة: الجناة ما يجنى من التمر (المرجع نفسه، ص 154).

(2) - سيرة ابن هشام، ج1، المرجع السابق، ص - ص 270، 271.

(3) - علي محمد الصلّابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، المرجع السابق، ص 134.

فَقُوَّةُ تَأْثِيرِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ سَحَرَتْ قُلُوبَ الْوَلِيدِ وَأَسْرَتْهُ، فَخَرَجَ مِنْ عَمَقِ رُوحِهِ الْحَقُّ إِلَّا أَهْمًا تَدَخَّلَتْ سَحَائِبُ الْبَاطِلِ فَهَدَدَتْهُ بِنَزْعِ بَسَاطِ الرِّعَامَةِ مِنْ تَحْتِهِ وَحَرَمَانِ الْحُطُوتِ الَّتِي يَتَشَاهَا كُلُّ زَعِيمٍ، لَكِنْ كُلٌّ مِنْ بَدَدِ ظُلُمَاتِ جَهْلِهِ وَكَسَرِ عِظَامِ كِبَرِيَّائِهِ فَحَتَمًا سَتَهْدَأُ بِهِ نَفْسُهُ وَتَفِيضُ بِسَبَبِهِ دُمُوعَهُ.

فَاعْتَرَفَ ابْنُ الْمَغِيرَةِ بِحُجَّةِ الْقُرْآنِ وَقُوَّةِ تَأْثِيرِهِ وَإِعْجَازِهِ الَّذِي لَامَسَ الْقُلُوبَ وَحَرَّكَ الْمَشَاعِرَ وَرَفَّقَ بِالْقُلُوبِ، وَأَيَّقَظَ الضَّمِيرَ فَهَدَأَتْ بِهِ النُّفُوسَ وَفَاضَتْ بِسَبَبِهِ الدُّمُوعُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَرُ: 23].

ويقول الدكتور أبو الأعلى المودودي رحمه الله: (القرآن الكريم ليس كتاب جزئيات، بل هو كتاب المبادئ والقواعد الكلية مهمته الحقيقية أن يعرض الأسس الفكرية والخلقية للنظام الإسلامي بوضوح ثم يثبتها تثبيتاً قوياً بكلا الطريقتين: التَّدْلِيلُ الْعَقْلِيّ والتَّحْرِيزُ الْعَاطِفِي<sup>(١)</sup>).

(١) - أبو الأعلى المودودي، المبادئ أساسية لفهم القرآن (التراث العربي للطباعة، د، ط، د، ت)، ص 63.

## المبحث الثاني: في مجال القيم والأخلاق

كان موضوع الأخلاق ركيزة أساسية من ركائز دعوة النَّبي ﷺ، إعتنى بها عناية فائقة، واهتمَّ بها اهتمامًا بليغاً، حيث أنه لم يكتف بالحث عليها فقط، بل دعا إلى التمسُّك بالقواعد الثَّابتة والمبادئ السَّامية لها، والدَّعوة إلى الله هي دعوة إلى الأخلاق، ولا يمكن أن تكون كذلك إلا أن تكون أخلاقية تتحلَّى بفضائلها وتبتعد عن رذائلها، مثل الغاية تبرِّر الوسيلة والذي أصبح شعار وسلوكًا لدى الكثيرين، فكان موضوع الأخلاق من وصاياه الجلييلة ﷺ والمتكرِّرة لأصحابه، عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: «آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في العُزْر أن قال: أحسن خُلقك للناس يا معاذُ بنُ جبلٍ»<sup>(1)</sup>.

ولذا نجدُ إهتمام النَّبي ﷺ بموضوع الأخلاق بالغ الأهمِّية بعد إهتمامه بالعقيدة، فجاء ليقوِّم عوجهاا ويحدِّر من سيِّئها، ويثبِّت الخلق الحميد ويحثُّ عليه فقال - ﷺ -: «لكلِّ دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء»<sup>(2)</sup>.

وقال - ﷺ -: أيضًا: «ولا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا... إخوانا»<sup>(3)</sup>. هذا الإهتمام النَّبوي يجعل من الدَّاعية إلى الله لا يُقبل على عمل إلا ويقوِّمه أهو حميدًا أم ذميمًا؟ فإن كان حميدًا أقبل عليه، وإن كان ذميم تركه، مصداقًا لقول النَّبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(4)</sup>.

(1) - مالك بن أنس، الموطَّأ، تحقيق: كلال حسن علي، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 1733 (بيروت: مؤسسة الرِّسالة ناشرون، ط1، 1434هـ/2013م)، ص 692.

(2) - المصدر نفسه، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء، رقم الحديث 1734، ص 693.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب 9، باب تحريم الظَّنِّ والتَّحسس والتَّنافس والتَّناجش ونحوها، رقم الحديث 2563، ص 1193.

(4) - أخرجه البيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب الشَّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، رقم الحديث 20782 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، ج10، 1424هـ/2002م)، ص 323 وأخرجه الحاكم، المستدرک في الصَّحیحین، کتاب تواریخ المتقدِّمین من الأنبياء والمرسلین علیهم السَّلام، من کتاب آیات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوَّة، رقم الحديث 4221/231، ج2، ص 670، ورواه البخاري في الأدب المفرد، برقم 273، وإبْنُ سعد في الطبقات وقال: هذا إسنادٌ حسنٌ، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال إِبْنُ عبد البرِّ: هو حديثٌ صحيحٌ متَّصلٌ من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

قصر النَّبي ﷺ أهداف رسالته على الأخلاق، وأنَّه جاء ليتمَّ البناء الأخلاقي الذي بدأت الرِّسالات السَّابقة به، يقول ابنُ الملك في المشكاة: (أي أُرسلني إلى العالم لِيُتَمَّ بِوجودي مكارمَ أخلاقٍ عباده، وليُكَمَّل محاسنُ أفعالهم)<sup>(1)</sup>.

وقال في حديث آخر: «مثلي ومثل الأنبياء كمثلي رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل النَّاس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة، فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»<sup>(2)</sup>.

وعليه فالباحث في موضوع الأخلاق يجد كُماً هائلاً من الأدلَّة الواردة من الكتاب والسنة النبويَّة التي تدعو إلى إثراء القيم الأخلاقية، وبيان آثارها في المجتمع وهذا ما دلَّ عليه عناية النَّبي ﷺ الفائقة في بناء الأخلاق وتزكيته.

والحديث في موضوع الأخلاق عبر مسيرة دعوة النَّبي ﷺ شاسع وعريض لا يمكن حصره، لكن يمكن الإكتفاء بنماذج اشتهر بها النَّبي ﷺ والتي تتمحور في صنفين :

**الأوَّل:** منها ما إمتثل بها النَّبي ﷺ ودعا إليها أصحابه، وهي الأخلاق الحميدة كخلق الحياء والعفة والصَّبر والرَّحمة والتَّعاطف والتَّوَدُّد.

**والثَّاني:** منها ما نبذها النَّبي ﷺ مُحذراً منها مشدداً الإمتثال بها، وهي الأخلاق الذميمة كالتكبر والإساءة والغرور والظُّلم.... إلخ.

إلا أنَّ قبل الحديث في تطبيقات هذه الأخلاق وأثرها في دعوة النَّبي ﷺ يستدعي منِّي بدايةً التعريف بالأخلاق من الناحية اللُّغوية والإصطلاحية، ثمَّ يكون الحديث في مظاهر استخدامه ﷺ للمنهج العاطفي في غرس هذه القيم الأخلاقية.

## المطلب الأوَّل: مفهوم الأخلاق وأهميتها في الدَّعوة إلى الله أولاً: مفهوم الأخلاق

### أ- لغة

- يعرفها العلامة الفيروز آبادي بالقول: (الأخلاق جمع خُلُق، والخُلُق -بضمَّ اللَّام وسكونها- هو الدِّين والطَّبع والسَّجَّة والمروءة، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظَّاهرة وأوصافها ومعانيها)<sup>(3)</sup>.

(1) - محمَّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الفضائل (بيروت: دار الفكر، ط 1، ج 9، 1422هـ/2002م)، ص 3692.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيِّين ﷺ، رقم الحديث 3234، ص 873.

(3) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة خلق، المصدر السَّابق، ص 881.



- ويعرّفها العلامة الرَّاغِب الأصفهاني بالقول: (والخُلُقُ والخُلُقُ في الأصل واحد... لكن خصَّ الخُلُقُ بالهيئات والأشكال والصُّور المدركة بالبصر، وخصَّ الخُلُقُ بالقوى والسَّجَايا المدركة بالبصيرة).<sup>(1)</sup>
- ويعرّفها العلامة إِبْنُ منظور بالقول: (الخُلُقُ بمعنى السَّجِيَّة .. فهو بضمّ الحاء وسكونها، الدِّين والطَّبَع والسَّجِيَّة)<sup>(2)</sup>.

**وإنطلاقاً من المفاهيم اللُّغوية تبين أنَّ الأخلاق جاءت بمعنى: السَّجِيَّة، والمروءة، وهي جانبيْن جانب باطني، وجانب ظاهري سلوكي.**

#### ب- اصطلاحاً

لقد كان لمفهوم الأخلاق تعاريف كثيرة ومختلفة، أشارت إليها العديد من المذاهب والإتجاهات الفلسفية ولاسيما في المنظور الإسلامي، ولا أستطيع جمع الكثير من المفاهيم عن الأخلاق لكثرتها وتشعبها ولكن سأقتصر على بعض ما جمعته بصورة موجزة.

#### - مفهوم الأخلاق عند الفلاسفة

تبلور مفهوم الأخلاق عند الفلاسفة حينما أطلقوا عليها بمجموعة من الأفكار والأحكام والعواطف والعادات التي تتصل بحقوق النَّاس وواجبات بعضهم تجاه بعض، والتي يعترف بها ويقبلها الأفراد بصفة عامّة في عصر معيّن أو في حضارة معيّنة، وقد أشار إليها آدم سميث الذي أثبت في الإنسان غريزة التعاطف الإنساني وجعلها منبع الأخلاق الإنسانية<sup>(3)</sup>. ونظر إليها الإتجاه العقلي لدى سقراط وأفلاطون وأرسطو بأنّها: (نظام للسلوك الإنساني يقوم على أساس من العقل، ويكون له غاية معقولة بدلاً من ذلك النظام الذي يقوم على أساس العادة والعرف)<sup>(4)</sup>.

- وعند المتصوّفة تبلور مفهوم الأخلاق على شكل نقاط تحدّد معنى الأخلاق بإيجاز هي كالآتي:
- الإهتمام الرَّائد بإصلاح الباطن.
- والتّفاني في الإخلاص لله تعالى في جميع الأعمال.

(1) - الرَّاغِب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، مادة خلق (دمشق: دار القلم، ط1، ج1، 1412هـ)، ص 297.

(2) - إِبْنُ منظور، لسان العرب، مادة خلق، ج2، المصدر السَّابِق، ص 244.

(3) - مقداد يالجن محمّد علي، علم الأخلاق الإسلامية (الرِّياض: دار عالم الكتب للطباعة والنَّشر، ط1، ج1، 1413هـ/ 1992م)، ص 46.

(4) - المرجع نفسه، ص 36.

- وتنمية علاقة المودَّة والمحبة والإخاء بين النَّاس.
- والتَّفاني في الفداء والإيثار والثَّبات في الشَّخصية في جميع الطُّروف والأحوال تصديقًا لقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لِأَخَوْفٍ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].
- والإهتمام بالجانب التَّطبيقي للأخلاق<sup>(1)</sup>.

#### وعرفها علماء الدَّعوة بمعاني اصطلاحية متعدِّدة نذكر منها كالآتي:

- يعرفها الدُّكتور عبد الرَّحمان حسن حبَّكة الميداني بالقول: (هي الصَّفة المستقرَّة في النَّفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قيمة الخلق في النَّفس تكون آثارها في السُّلوك)<sup>(2)</sup>.
- ويعرفها الدُّكتور عبد الكريم زيدان بالقول: (إنَّ الخلق مجموعة من المعاني والصِّفات المستقرَّة في النَّفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح ومن ثمَّ يقوم عليه أو يحجم عنه)<sup>(3)</sup>.
- ويعرفها الدُّكتور علي عبد الحليم محمود بالقول: (مجموعة القيم الخلقية والفضائل الإنسانية التي يجب أن تحكم سلوك الإنسان في المجتمع، وهو السُّلوك في المجتمع وما يجب أن يشتمل عليه من صلاح ذاتي ومن الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وعدل وإحسان وجهاد في سبيل الله، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وهي التي جاء بها الوحي من عند الله والتي ترتبط دائماً بما يحقُّ النَّفع للإنسان في معاشه ومعاده)<sup>(4)</sup>.

#### أمَّا الأخلاق في الإسلام لها تعريف آخر وهو:

- يعرف الدُّكتور مقداد يالجن جانباً منها في الإسلام فيقول: (الأخلاق تنظَّم الحياة من النَّاحية العملية من أجل الحياة الخيرة مع الغير، أيَّاً كان هذا الغير إنساناً كان أمَّ حيواناً أو غير حيواناً، من حيث ما ينبغي أن يكون عليه هذا السُّلوك كسلوك إنساني تجاه الغير، وذلك بناء على مكانته في الكون ومسئوليته التي يجب أن ينهض بها، وبناء على ما وضع له خالقه من أهداف في هذه الحياة، والنَّظام الأخلاقي ليس جزءاً من نظام الإسلام العام، وإنَّما هي جوهر الإسلام وروحه السَّارية في جميع

(1) - محمَّد كمال إبراهيم جعفر، في الفلسفة والأخلاق (دار الكتب الجامعية، د، ط، 1968م)، ص 273.

(2) - عبد الرَّحمان حسن حبَّكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المرجع السَّابق، ص 10.

(3) - عبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 75.

(4) - بتصرُّف: علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة الى الله، المرجع السَّابق، ص - ص 117، 477.

جوانبه).<sup>(1)</sup> مصداق ذلك قول النَّبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَبْغُضُ سَفْسَافَهَا»<sup>(2)</sup> قصر النَّبي ﷺ أهداف رسالته في هذا الحديث على الأخلاق، وأنَّه جاء ليتَمَّ البناء الأخلاقي الذي بدأت الرِّسالات السابقة به، يقول ابنُ الملِّك في المشكاة: (أَيُّ أَرْسَلَنِي إِلَى الْعَالَمِ لِيَتَمَّ بَوْجُودِي مَكَارِمَ أَخْلَاقٍ عِبَادَةٍ، وَلِيُكْمَلَ مَحَاسِنَ أَعْمَالِهِمْ)<sup>(3)</sup>.

وفيما يتعلَّق بالحديث عن الأخلاق من خلال المفهوم القرآني يتميَّز بالشُّمول، يذكره الأستاذ محمَّد قطب رحمه الله بالقول: (الأخلاق شيء شامل لكلِّ تصرُّفات الإنسان، وكلِّ مشاعره، وكلِّ تفكيره .. ولا يوجد في الإسلام عمل واحد يمكن أن يخرج عن دائرة الأخلاق)<sup>(4)</sup>.

وعليه بناء على التعريفات السابقة اعتبر البعض الأخلاق بأنَّها: السَّجِيَّة والطَّبع، وبعضها ركَّزت على الأخلاق كسلوك ظاهر وآخر باطني، وبعضها حصرت في المثل والفضائل النَّبيلة، وبعضها اعتبرت الأخلاق مجموعة عواطف وأحكام تتَّصل بحقوق التَّعامل مع النَّاس، وبعضها جعلها عامة لكلِّ جوانب الخير والشرِّ، المذموم والمحمود، ولكن له قواعد ومعايير، وبعضها وصفها بالشُّمول لكلِّ تصرُّفات الإنسان من مشاعر وأفكار وعواطف ...

وأما المفهوم الإجرائي المختار هو: الأخلاق مجموعة الصِّفَات الخُلُقِيَّة تظهر في سلوك الدَّاعية يبرز من خلالها محاسن للإسلام بأجمل عبارة وألطف صورة وأرقَّها. هذه الأخلاق دعا إليها النَّبي ﷺ وحثَّ عليها أصحابه، وكانت ترجمة عمليَّة في حياته ودعوته سمَّيت عند غالبية العلماء والدُّعاة المعاصرين بالأخلاق الحميدة، والتي سأعرض إليها لاحقاً بالوصف والتَّحليل.

(1) - مقداد يالجن محمَّد علي، علم الأخلاق الإسلامية، المرجع السَّابق، ص 47.

(2) - أخرجه البيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب الشَّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم الحديث 20781، ج10، المصدر السَّابق، ص 323، وأخرجه الحاكم، المستدرک في الصَّحَّيحين، كتاب تواريخ المتقدِّمين من الأنبياء والمرسلين عليهم السَّلام، من كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل التَّبوَّة، رقم الحديث 4221، ج 2، ص 670. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال ابنُ عبد البر: هو حديثٌ صحيحٌ متَّصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره، وقال الألباني في السُّلسلة الصَّحيحة، 75/1، رواه البخاري في الأدب المفرد، برقم 273، وابنُ سعد في الطَّبقات وقال: هذا إسنادٌ حسنٌ.

(3) - محمَّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الفضائل (بيروت: دار الفكر، ط1، ج9، 1422هـ/ 2002م)، ص 3692.

(4) - يُنظَر: محمَّد قطب، دراسات قرآنية، (القاهرة: دار الشُّروق، ط3، 1402هـ/1982م)، ص-ص 133، 135.

## ثانيًا: أهميَّة الأخلاق في الدَّعوة إلى الله

ارتكز النَّبي ﷺ على الأخلاق لأهميَّتها الكبرى في الدَّعوة عموماً وفي دعوته ﷺ على وجه الخصوص، فأثبت مكانتها المرموقة من خلال أقواله وأفعاله وتصرفاته ومعاملاته، وعليه يتعيَّن أهميَّتها من خلال كونها:

### أ- من أهمِّ مقاصد بعثته ﷺ

أعلم النَّبي ﷺ الغرض من بعثته هو إتمام الأخلاق فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(1)</sup>، فسعى جاهداً على تقويمها وإشاعة مكارمها، وهو شأن كلِّ الرِّسالات، كان هدفها أخلاقي والدِّين نفسه هو حسن الخلق، كما إهتمَّ الصَّحابة رضوان الله عليهم بالأخلاق إهتماماً كبيراً، وتخلَّقوا بأخلاق النَّبي ﷺ فكانوا المثل والقُدوة الحسنة بعد النَّبي ﷺ فيقول لهم عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «عليكم بسنِّي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديين، عضُّوا عليها بالتَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»<sup>(2)</sup>.

وقد أمتدح الله تعالى نبيَّه ﷺ بحسن الخلق فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] وقال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: 2] يكون ذلك عن طريق الموعظة والنَّصح والإرشاد والتَّوجيه، فأمر بمحاسن الأخلاق التي تسمو بالنَّفْس وتركِّيها فيستقيم عوجها فيصلح بذلك المجتمع وينقله من جاهلية الأخلاق إلى أمة خيرة تفوق الأمم بأخلاقها وآدابها، يقول الشَّيخ الزُّرقاني رحمه الله في شرح الموطأ: (كانت العرب أحسن النَّاس أخلاقاً بما بقى عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام، وكانوا ضلُّوا بالكفر عن كثير منها فبعث ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلُّوا عنه وبما خصَّ به في شرعه)<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البيهقي في سنن الكبرى، كتاب الشَّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم الحديث 19096، وأخرجه الحاكم، المستدرک في الصَّحیحین، کتاب تواریخ المتقدِّمین من الأنبياء والمرسلین علیهم السَّلَام، من کتاب آیات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النُّبوة، رقم الحديث 4221، ج2، ص 670. وقال الألباني في السَّلسلة الصَّحيحة 75/1، رواه البخاري في الأدب المفرد رقم 273، وإثنُ سعد في الطبقات وهذا إسناد حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال إبنُ عبد البر: هو حديث صحيح متَّصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنَّة، باب لزوم السنَّة، رقم الحديث 4607، ج7، المصدر السَّابق، ص 16.

(3) - محمد بنُ عبد الباقي الزُّرقاني، شرح الزُّرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، ج4، 1427 هـ/2006 م)، ص 339.

ويذكر الدكتور الدَّاعية بسَّام العموش أثر الأخلاق في الدَّعوة بالقول: (إنَّ أخلاقية الدَّعوة هي التي دفعت بالمسلمين لإعادة الجزية لأهل حمص يوم طلب إليهم الإلتحاق بالعراق، وبالتالي فإنَّهم لا يستطيعون تقديم الحماية لأهل الكتاب كما أنَّها هي التي دَعَّمت المسلمين للإمتناع عن قتل الأطفال والنِّساء والشُّيوخ والأسرى والرُّهبان، وعدم قطع الأشجار وعدم إتلاف مخطوطات الحضارة اليونانية كما فعل التتار مع حضارة الإسلام وثقافتها)<sup>(1)</sup>.

#### ب- الأخلاق جزء وثيق من الإيمان والعقيدة

للأخلاق أهمِّية نجدها في جانب العقيدة حيث أوثق الله تعالى ونبَّهه الكريم بين الإيمان وحسن الخلق فقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(2)</sup>، وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ إِيمَانًا؟ قال: «أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(3)</sup>.

والنَّاظر في فضيلة الأخلاق يدرك أنَّها ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد، وأيُّ انحراف في السُّلوك ناتج عن خلل في المعتقد، فأحدهما مكمل للآخر، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، يقول الأستاذ سيّد قطب رحمه الله: (والنَّاظر في هذه العقيدة يجد العنصر الأخلاقي بارزاً أصيلاً فيها يقوم عليه أصولها التَّشريعية والتَّهذيبية على السَّواء، والدَّعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطَّهارة والنَّظافة والأمانة والعدل والرَّحمة إلى آخر التَّشريعات في هذه العقيدة التي جاءت لحماية وصيانة العنصر الأخلاقي في الشُّعور والسُّلوك، وفي أعماق الضَّمير، وفي واقع المجتمع وفي العلاقات الفردية والجماعية والدَّولية على السَّواء)<sup>(4)</sup>.

وقد سَمَّى الإيمان برّاً إستناداً لقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177] والبرُّ كلمة جامعة لحِصَالِ الخير في الإنسان، ولا يكون المسلم عموماً والدَّاعية على وجه التحديد برّاً إلاَّ بمجموع حِصَالِ الخير التي أمر الله بها، وهي أعمال وتصرفات قولية وفعلية صادرة عنه، وقد بيَّن ﷺ أن البرَّ ما إطمأنت إليه النَّفس وسكن إليه القلب، فقال للرجل الذي يسأله عن البرِّ: «استفت قلبك، البرُّ ما

(1) - بسَّام العموش، فقه الدَّعوة (عمان: دار النَّفائس، ط1، 1425هـ/2005م)، ص 34.

(2) - إِنْشُ أَبِي شَيْبَةَ، كتاب الإيمان، باب ما ذكر في الإيمان، رقم الحديث 20 (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ/1983م)، ص 21.

(3) - أخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حقِّ المرأة على زوجها، رقم الحديث 1162، ج2، المصدر السابق، ص 454.

(4) - سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج6، المرجع السَّابق، ص 3657.

إِطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَاحَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»<sup>(1)</sup> وجماع حسن الخلق الصَّلَّة، والصَّدَق، واللُّطْف، والمِيزَة، والتحفي، وحسن الصُّحْبَة، والعشرة، والطَّاعَة لله<sup>(2)</sup>، وقال البعض البرُّ: (البرُّ شيءٌ هين، وجه طليق، وكلام لين)<sup>(3)</sup>.

وهو معلم من معالم حسن الخلق يجمع بين الأسلوب والعاطفة وحسن التَّواصل، عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: «سألت النَّبِيَّ ﷺ عن البرِّ والإِثْمِ؟ فقال: البرُّ حسن الخلق، والإِثْمُ ما حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»<sup>(4)</sup>.

### ج- صاحب حسن الخلق أقرب الناس منزلة من رسول الله يوم القيامة

عَظَّمَ الْإِسْلَامُ حَسْنَ الْخَلْقِ فَلَمْ يَعْدهُ سَلُوكًا مَجْرَدًا بَلْ عَدَّهُ عِبَادَةً، جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَسَاسَ الْخَيْرِيَّةِ وَالتَّفَاضُلِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(5)</sup>.

### د- حسن الخلق أثقل الأعمال في ميزان العبد

جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَجْرَ حَسَنِ الْخَلْقِ ثَقِيلًا فِي الْمِيزَانِ بَلْ لَا شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنْهُ يَقُولُ عَنْهُ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خَلْقٍ حَسَنٍ وَأَنَّ اللَّهَ لِيُبْغِضَ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»<sup>(6)</sup> وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ إِلَى التَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَوَعَدَهُمْ بِالْأَجْرِ الْكَبِيرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَحَدَّرَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، فَجَعَلَ أَجْرَ حَسَنِ الْخَلْقِ كَأَجْرِ الْعِبَادَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ الْمَفْرُوضَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَّامِ يَقُولُ ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يَوْضَعُ فِي مِيزَانٍ أَثْقَلَ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حَسَنِ الْخَلْقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»<sup>(7)</sup>.

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصلة والآداب، باب تفسير البرِّ والإِثْمِ، رقم الحديث 2553، ص 1190.

(2) - المصدر نفسه، ص 1980، والقاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وآخر، كتاب البرِّ والصلة، باب تفسير البرِّ والإِثْمِ (بيروت: دار الكتب العلمية، ج 8، 2006م)، ص 17.

(3) - سعيد عبد العظيم، خلق المسلم (الإسكندرية: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، د، ط، د، ت)، ص 8.

(4) - المرجع نفسه، ص 1980.

(5) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البرِّ والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث 2018، ج 3، المصدر السابق، ص 545.

(6) - أخرجه الترمذي في سننه، الجامع الكبير، كتاب البرِّ والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 2002، ج 3، المصدر السابق، ص 535.

(7) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البرِّ والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 2003، المصدر نفسه، ص 536.

وقال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحَسَنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ وَهُوَ عَابِدٌ»<sup>(1)</sup>.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: (فالخلق الحسن صفة سيّد المرسلين، وأفضل أعمال الصّديقين، وهو على التّحقيق شطر الدّين، وثمرة مجاهدة المتّقين ورياضة المتعبّدين)<sup>(2)</sup>.

والنّبي ﷺ لسعة دينه وتشعب نواحي الأعمال والعبادات فإنّه يخبر بأنّ أرجح ما في موازينهم يوم القيامة الخلق الحسن، وهذا دلالة على منزلة الأخلاق في الإسلام، فجعل لها أثراً طيّباً ينعكس على المعاملات والعادات بالإيجاب عند الله تعالى عن يحيى بن سعيد قال: «بَلَغَ أَنَّ الْمَرْءَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ الظَّامِي بِالْهَوَاجِرِ»<sup>(3)</sup>، فكانت أكثر أسباب دخول الجنّة:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

كما نوّه النّبي ﷺ بالخلق الحسن، ودعا إلى غرسه وتنميته في النفوس، حيث جعله الله تعالى سبب تحصيل الجنّة الموعود بها ونيلها، ولقد أبلغ الشّارع الحكيم لحسن الخلق أن جعله وسيلة من وسائل دخول الجنّة، سئل النّبي ﷺ أكثر من يدخل الجنّة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»<sup>(4)</sup>.

ومن جانب آخر تكمن أهميّة الأخلاق في كونها:

- تمثّل زينة الدّاعية وحليته الجميلة، وبقدر ما يتحلّى بها يضيفي على نفسه جمالاً وبهاءً، وقيمة إنسانيته.
- إنّ هدف الأخلاق تحقيق السّعادة في الحياة الفردية والجماعية، ذلك أنّ الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشّرور بجميع أنواعها وصورها، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي، تنتشر الثّقة المتبادلة والألفة والمحبة بين النّاس، وإذا غابت انتشرت الشّرور وزادت العداوة والبغضاء، وتناصر النّاس من أجل المناصب، والمادة، والشّهوات، فلا بدّ من

(1) - ابن أبي الدنيا، كتاب التّواضع والخمول، باب حسن الخلق، رقم الحديث 168، ج1، المرجع السّابق، ص 213.

(2) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدّين، ج3، المرجع السّابق، ص 49.

(3) - مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 6 (بيروت: دار إحياء الثّراث العربي، ط1، ج2، 1406هـ/1986م)، ص 904.

(4) - أخرجه التّرمذي في سننه، الجامع الكبير، كتاب البرّ والصّلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 2004، ج3، المصدر السّابق، ص 536.



القيم الأخلاقية الضَّابطة لهذه النَّوازع، وإلَّا كَثُرَت الشُّرور التي هي سبب النَّعاسة والشَّقَاء في حياة الأفراد والجماعات، ولهذا قال أحد الأخلاقيين الفرنسيين: إن الحياة من غير قيم - وإن كانت حلوة على الشَّفاه - فإنَّها مرَّة على القلوب والنُّفوس<sup>(1)</sup>.

- أنَّها وسيلة للنُّهوض بالأُمَّة، وذلك أنَّ التَّاريخ يخبرنا أنَّ سقوط كثير من الأمم والحضارات كان بسبب إغيار الأخلاق، كما قرر ذلك إِنْ خلدون وغيره، وقد سئل أحد وزراء اليابان ما سرُّ تقدم اليابان هذا التَّقدُّم؟ فقال الوزير: السرُّ يرجع إلى تربيَتنا الأخلاقية<sup>(2)</sup>.

وعليه من جملة الأخلاق الحميدة التي دعا إليها النَّبي ﷺ وحثَّ عليها، والتي كان أثرها بارزاً في دعوته هي الحياء والصَّبْر والتَّعاطف والتَّودد والتَّراحم....

### المطلب الثاني: استخدام النَّبي ﷺ المنهج العاطفي في ترسيخ القيم والأخلاق الحميدة

سبقت الإشارة إلى أنَّ النَّبي ﷺ كان سيِّد الأخلاق ومَلِكها، وكانت تلك طريقتَه في دعوة كافَّة أصناف المدعوين، فقد كان حليماً بهم، رحيماً، رفيقاً، ليناً، متواضعاً، وبدون شكَّ إهتمَّ بها وجاء لِيَتَمَّ مكارمها مستخدماً منهجه العاطفي، لتزكية النَّفوس وتربيَتها على معالي الأخلاق الفاضلة وتنقيتها من رديئها، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

فأصل هذه الأخلاق الحميدة الخشوع وعلوُّ الهمة، وهي التي أقرَّها الشرع ولا يتعارض مضمونها مع العقيدة الإسلامية كالحياء، والصَّبْر، والتَّواضع، والتَّوَدُّد، والمحبة، والمروءة، والحلم، والعفو، والتَّسامح، والصَّدق ... وغيرها الكثير<sup>(3)</sup>.

وقبل الحديث في تطبيقات بعض هذه الأخلاق في دعوة النَّبي ﷺ حريُّ أن أعرج في تقديم مفهوم للأخلاق الحميدة أولاً.

(1) - مقداد ياجن محمد علي، علم الأخلاق الإسلامية، المرجع السَّابق، ص 8.

(2) - المرجع نفسه، ص 9.

(3) - محمد إبراهيم مصطفى الخطيب، القيم الأخلاقية الحمودة والقيم الأخلاقية المذمومة في سورة يوسف ﷺ، عمان، مجلَّة البحوث النَّفسية والتَّربوية، جامعة الإسراء الخاصَّة، كَلِّية العلوم التَّربوية، العدد 3، 2009م، ص 56.

### أولاً: مفهوم الأخلاق الحميدة

أمَّا الأخلاق الحميدة فقد اجتهد العديد من الدُّعاة وعلماء الدَّعوة في وضع مفهوم شامل لها من بينهم:

- يعرفها الدكتور عبد الرَّحمان حَبْنَكَة الميّداني بالقول: (الخلق الحمود: صفة ثابتة في النَّفس فطرية أو مكتسبة، تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء، كالأخذ بالحقِّ أو الخير أو الجمال وإن خالف الهوى وترك الباطل والشرِّ والقبح وإن وافق الهوى أو الشَّهوة)<sup>(1)</sup>.

- ويعرفها العلامة القاضي عياض رحمه الله بالقول: (وأمَّا الأخلاق الحميدة هي الاعتدال في قوى النَّفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها كانت خلق النَّبي ﷺ على الانتهاء في كماليها والاعتدال إلى غايتها حتَّى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]<sup>(2)</sup>.

- ويعرفها العلامة الجاحظ رحمه الله بالقول: (الأخلاق الحميدة وإن كانت في بعض غريزة، فليست في جميعهم، وإن الباقين قد يمكن أن يصيروا إليها بالتدرب والريضة ويترقوا إليها بالاعتقاد والإلف ومع هذه الحال فقد يكون في النَّاس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة، ولا الخلق الجميل وذلك يكون لرداءة جوهره، وخبث عنصره، وهذه الطائفة من جملة الأشرار الذين لا يرجى صلاحهم، وكثير من النَّاس من يقبل كثيراً من الأخلاق المحمودة وينبو طبعه عن بعضها، وليس يعد هذا شريراً ولكن رتبته في الخير بحسب محاسنه)<sup>(3)</sup>.

- وفي تعريف آخر لها: (هي التَّرجمة العملية للعقيدة والإيمان الصَّحيح، لأنَّ الإيمان الصَّحيح ليس مشاعر مكنونة، وإنَّما هو عمل ظاهر وأخلاق عالية<sup>(4)</sup>)، من إنصاف في المعاملة، والرَّفق في المجادلة، والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان في اليسر، والإيثار في العسر، وغيرها من الصِّفات المحمودة<sup>(5)</sup>.

(1) - عبد الرَّحمان حسن حَبْنَكَة الميّداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها (دمشق: دار القلم، ط5، 1420هـ/1999م)، ص16.

(2) - القاضي عياض، الشَّفا بتعريف حقوق المصطفى (دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ج1، 1409هـ/1988م)، ص106.

(3) - أبو عثمان عمرو بنُ بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق (طنطا: دار الصَّحابة للتراث للنَّشر والتَّحقيق والتَّوزيع، ط1، 1410هـ/1989م)، ص-ص14، 15.

(4) - علي محمَّد الصُّلاي، السَّيرة النَّبوية وقائع وتحليل أحداث، المرجع السَّابق، ص114.

(5) - يُنظَر: هيثم جمعة هلال، من وصايا الرُّسول ﷺ للتُّجار (بيروت: دار المعرفة، ط3، 2017م)، ص21.

وقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ إِصْلَاحَ الْعَبْدِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ لَا تَتِمُّ وَلَا تَكْتَمِلُ حَتَّى يُعْطِيَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيَخَالِقَ النَّاسَ بِحَسَنِ الْخَلْقِ وَهَذِهِ طَرِيقَتُهُ فِي التَّعَامُلِ فَقَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(1)</sup> فَوَضَعَ ضَابِطًا لِهَذَا التَّعَامُلِ بِاسْتِحْضَارِ تَقْوَى اللَّهِ عِنْدَ مُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَنْ تَعَامِلَهُمْ اللَّهُ فَتَرْجُو اللَّهَ فِيهِمْ وَلَا تَرْجُوهُمْ فِي اللَّهِ، وَتَخَافَهُ فِيهِمْ وَلَا تَخَافُهُمْ فِي اللَّهِ، وَتَحْسِنَ إِلَيْهِمْ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ لَا لِمُكَافَأَتِهِمْ وَتَكْفُفَ عَنْ ظَلَمِهِمْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ لَا مِنْهُمْ)<sup>(2)</sup>.

وَذُكِرَتْ فِي عِلَامَةِ ذِي الْخَلْقِ الْحَمِيدِ أَشَارَ إِلَيْهَا الدُّكْتُورُ سَعِيدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ بِالْقَوْلِ: (أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ قَلِيلَ الْأَذَى، كَثِيرَ الصَّلَاحِ، صَدُوقَ اللِّسَانِ، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْعَمَلِ، قَلِيلَ الزَّلَلِ، قَلِيلَ الْفُضُولِ، بَرًّا وَصَوْلًا، وَقَوْرًا، صَبُورًا، رَاضِيًّا حَلِيمًا، وَلَا مَغْتَابًا، وَلَا عَجُولًا، وَلَا حَقُودًا، وَلَا بَخِيلًا، وَلَا حَسُودًا بِشَاشًا هَشَّاشًا، يُحِبُّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ، وَيَرْضَى فِي اللَّهِ وَيَسْخَطُ فِي اللَّهِ)<sup>(3)</sup>.  
وَيُمْكِنُ تَمْيِيزُ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ عَنْ غَيْرِهَا: (بَأَنَّهَا كُلُّ سُلُوكٍ فَرْدِيٍّ أَوْ إِجْتِمَاعِيٍّ تَلْتَقِي النَّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ عَلَى إِسْتِحْسَانِهِ، مَهْمَا اِخْتَلَفَتْ أَدْيَانُهَا وَمَذَاهِبُهَا وَعَادَاتُهَا وَتَقَالِيدُهَا وَمُفَاهِمُهَا، وَيَلْحَقُ بِهِ مَا كَانَ أَثَرًا مِنْ آثَارِهِ أَوْ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِهِ)<sup>(4)</sup>.

**وَأَمَّا الْمَفْهُومُ الْإِجْرَائِيُّ الْمَخْتَارُ هُوَ:** الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ هِيَ جَوْهَرُ الدَّاعِيَةِ وَرُوحَةُ السَّارِيَةِ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ مِنْ أَفْكَارٍ وَمَشَاعِرٍ وَعَادَاتٍ وَتَصَرُّفَاتٍ.

قَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ زَعِيمَ الْأَخْلَاقِ وَرَائِدُهَا، حَيْثُ أَنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِالْحَثِّ عَلَيْهَا بِلِسَانِ الْمَقَالِ، بَلْ دَعَا إِلَيْهَا بِلِسَانِ الْحَالِ، فَبَلَغَ دَرَجَةَ بُلُوغِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْخَلْقِ وَإِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ شَهَادَةُ خُصُومِهِ ﷺ حِينَ سَمَّوْهُ الصَّادِقَ الْأَمِينَ، وَذَلِكَ قَبْلَ بَعَثَتِهِ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ دَاعِيَةٍ أَنْ يَنْجَحَ فِي دَعْوَتِهِ مَا لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ أَخْلَاقِهِ النَّاطِقِ الرَّسْمِيِّ وَالْمُتَرَجِّمِ الْأَسَاسِيِّ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، فَإِذَا تَأَمَّلْنَا فِي قَوْلِهِ قَرِيشَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِ: «مَا جَرَبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا»! نَدْرِكُ تَمَامًا أَنَّهُ لَا زَادَ لِلدَّاعِيَةِ بَعْدَ تَقْوَى

(1) - أخرجهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، الْجَامِعُ الْكَبِيرُ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1987، مَج 3، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 527. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) - مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ، كِتَابُ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَصْلُ فِي السَّعَادَةِ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ، (مَجْمَعُ الْمَلِكِ فَهْدٍ، ط 1، ج 1، 1416هـ / 1995م)، ص 51.

(3) - سَعِيدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ، خَلْقُ الْمُسْلِمِ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 8.

(4) - عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَسَنُ حَبْنَكَةَ الْمِيدَانِي، الْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَسْسُهَا، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 16.

الله إلا بالأخلاق، لذا ما تميَّز به النَّبي ﷺ ترسيخه إلى جملة من الأخلاق التي اشتهر بها كفضيلة الحياء، والصَّبر، والتواضع.

### ثانياً: الدَّعوة إلى ترسيخ خلق الحياء

من جملة الأخلاق التي اشتهر بها النَّبي ﷺ فضيلة الحياء، وذلك لما يؤدي إليه هذا الخلق الرَّفيع من سلامة الطَّبع من كثير من الأمراض الخلقية، ومن أنواع الفساد والانحراف الخلقي، والحياء فضيلة جبل الله عليها نبيّه محمداً ﷺ، حتَّى يحرز من الأمراض الخلقية، ويُنشأ على عينه، كيف لا وقد قالت عنه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان النَّبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عَرَفْنَاهُ في وجهه»<sup>(1)</sup>.

وقبل التَّفصيل في تطبيقات هذا الخلق وبيان أثره في دعوة النَّبي ﷺ أستهلُّ بتعريفه من الناحية اللُّغوية والإصطلاحية.

### أ- مفهوم الحياء

#### - لغة

- يعرفها العلامة الفيومي بالقول: (أصله من (ح ي ي)، وقيل: من حيا، وقيل من (ح ي و). وهو مصدر قولهم: حيي، وحيي منه حياء، بالفتح والمد فهو حيي على وزن فعيل، يقال: استحيا الرَّجل يستحي واستحى يستحي معاً، والأوَّل أعلى وأكثر، وقد حيي منه حياء واستحياً واستحى؛ وقد حذفت الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين، واستحياً منه وهو الانقباض والانزواء، قال الأخفش: يتعدى بنفسه وبالحرَف فيقال: استحييتُ منه واستحييتُهُ، وفيه لغتان إحداهما لغة الحجاز وبها جاء القرآن بياءين، والثانية لتمييز بياءٍ واحدة، والحياء على الأصح مشتق من الحياة)<sup>(2)</sup>.

#### - اصطلاحاً

- يعرفه ذو الثَّون بالقول: (الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربِّك، والحب ينطق والخوف يقلق)<sup>(3)</sup>.

- ويعرفه العلامة الجاحظ رحمه الله بالقول: (هو غَضُّ الطَّرَف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهذه العادة محمودة ما لم تكن عن عي ولا عجز)<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، باب 77، رقم الحديث 6119، ص 1529.

(2) - الفيومي، المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير (بيروت: المكتبة العلمية، د، ط، ج 1، د، ت)، ص 160.

(3) - عبد الله بن جابر الله بن إبراهيم الجار الله، بحث في الحياء وأثره في حياة المسلم، 1410هـ، ص 19.

(4) - الجاحظ، تهذيب الأخلاق، المرجع السَّابق، ص 23.

- ويعرّفه الإمام الحافظ إِبْنُ حجر رحمه الله بالقول: (هو خلق يبعث على ترك القبيح<sup>(1)</sup>)، وقد صَنَّف الحياء عند التَّفَقُّه في الدِّين وعند القيام بمهمّة الدَّعوة إلى الله شرعي وغير شرعي، فقال: الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والإحترام للأكابر وهو محمود، وأمّا ما يقع سبباً لترك أمر غير شرعي فهو مذموم وليس هو بحياء شرعي وإنّما هو ضعف ومهانة<sup>(2)</sup>.

- وفي تعريف آخر له: (هو مادّة الحياة للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابُه ذهابُ الخير أجمعه)<sup>(3)</sup> والحياء يحجب الدّاعية عن كلّ مخالفة شرعية ويبعده عن كل إنحراف في معالجته للنّاس يقول الشّاعر سَلَمُ بْنُ عمرو :

لا تسأل المرء عن خلّاقه في وجهه شاهد من الخبر<sup>(4)</sup>.

وقد وصف النَّبي ﷺ الحياء بأنّه زينة المرء وسلوكه فقال: «ما كان الفحش في شيءٍ إلّا شأنه، وما كان الحياء في شيءٍ إلّا زانه»<sup>(5)</sup>، وقال أيضاً ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أدرك النَّاس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»<sup>(6)</sup> فمن تجرّد من الحياء فلا يُتَخِيل أن يكون ذنباً أعظم من فقد الحياء، ثمّ إنّ من ترك الحياء يعمل ما يشاء فلا يردعه عنه رادع، يذكر الإمام إِبْنُ رجب رحمه الله في معنى الحديث فيقول: (ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنّه على معنى الذمّ والنّهي عنه وأهل هذه المقالة لهم طريقتان أحدهما أنّه أمر بمعنى التّهديد والوعيد وله نظائر في القرآن يقول تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فَصَّلَتْ: 40] بمعنى إذا لم يكن عندك حياء فاعمل ما شئت والله مجازيك عن فعلتك<sup>(7)</sup>.

(1) - إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم الحديث 6117، ج10، المرجع السّابق، ص 522.

(2) - المرجع نفسه، رقم الحديث 130، ج1، المرجع السّابق، ص 229.

(3) - إِبْنُ القيم، الدّاء والدّواء، تحقيق: محمّد أجمل الإصلاحي (مكّة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 1429هـ)، ص 168.

(4) - الماوردي، أدب الدُّنيا والدِّين (دار العقيدة، ط1، 1427هـ/2006م)، ص236.

(5) - أخرجه الترمذي في سننه في الجامع الكبير، كتاب البرّ والصّلة، باب ما جاء في الفحش والتفحّش، رقم الحديث 1974، ج3، المصدر السّابق، ص 518. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، رقم الحديث 6120، ص 1529.

(7) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحياء، رقم الحديث 4799 (بيروت: دار إِبْنِ حزم، ط1، ج5،

1418هـ/1997م)، ص 97.

ويقول الإمام الخطابي رحمه الله: (إِنَّ الحياءَ لم يزل أمره ثابتاً واستعماله واجباً منذ زمان النبوة الأولى، وأتته ما من شيءٍ إلا وقد ندب إلى الحياء وحثَّ عليه، وإنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم ولم يبدل فيما بدل منها وذلك أن أمره قد علِم صوابه وبأن فضله، وإتفقت العقول على حسنه وما كان هذا صفته لم يجز عليه التَّسخ والتَّبديل)<sup>(1)</sup>.

ويذكر صاحب الكتاب "هذه أخلاقنا" معلِّقاً عن الحديث بالقول: (ومن الوجوه التي يفهم بها هذا الحديث أنه: حيث تشعر بالخرج، وتخشى التَّأثم، فتوقف، وحيث يطمئن القلب، ولا تشعر بالخرج فاصنع ما شئت)<sup>(2)</sup>.

والحياء مِّيزه النَّبي ﷺ عن سائر الأخلاق في إتياعه لهذا الدِّين الحنيف، فقال: «إِنَّ لكلَّ دين خلق، وخلق الإسلام الحياء»<sup>(3)</sup>.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على رجلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال له رسول الله ﷺ: «دعه فَإِنَّ الحياء من الإيمان»<sup>(4)</sup>.

يقول العلامة أبو عُبَيْدٍ الهُرَوِيُّ معلِّقاً على معنى الحديث: (معناه أَنَّ المستحي ينقطع بحياؤه عن المعاصي وإن لم يكن له تقية فصار كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصي)<sup>(5)</sup>. وقال ﷺ: «الحياء والعِيُ (\*) شعبتان من الإيمان والبَيَانُ (\*) شُعبتان من النِّفاق»<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحياء، رقم الحديث 4799، المصدر نفسه، ص 97.

(2) - محمود محمَّد الخزندار، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً (الرِّياض: دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1416هـ/1996م)، ص 325.

(3) - أبو عبد الله محمَّد بنُ يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمود محمَّد محمود حسن نصَّار، كتاب الرُّهد، باب الحياء، رقم الحديث 4181 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط4، ج4، 1439هـ/2018م)، ص 502. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، ورواه مالك في الموطَّأ، ابنُ أبي حاتم في علل برقم الحديث 2368، والطَّبراني في المعجم الكبير 12/1.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الايمان، باب الحياء من الايمان، رقم الحديث 24، ص 16.

(5) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، ج10، المرجع السَّابق، ص 522.

(\*) - العِيُ: قلة الكلام (أخرجه الترمذي في سننه في الجامع الكبير، كتاب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في العِي، رقم الحديث 2027، ج3، المصدر السَّابق، ص551).

(\*) - البَدَاءَةُ: هو الفحش في الكلام، والبَيَانُ: هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصصون فيه من مدح النَّاس فيما لا يرضى الله. (المصدر نفسه، ص 551).

(6) - المصدر نفسه، ص551. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ إمَّا نعرفه من حديث أبي غسان محمَّد بنُ مطرف.

بَيَّن النَّبي ﷺ أَنَّ حَيَاءَ الْمَرْءِ مُقْتَرَنٌ بِإِيمَانِهِ، فَإِنْ كَانَ حَيِّياً فَيُدْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَى التَّحَلِّي بِكُلِّ مَا هُوَ جَمِيلٌ وَمُحْبُوبٌ، وَالتَّحَلِّي عَنْ كُلِّ مَا هُوَ قَبِيحٌ وَمَذْمُومٌ، وَقَدْ كَانَ ﷺ مَثَلاً حَيِّاً وَغُودِجاً نَفِيساً اسْتَوْجِبَ اسْتِحْقَاقَهُ شَهَادَةَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ مَدَحَهُ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي الْحَيَاءِ، وَأَشَدُّ مِنَ الْعِذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، نَظَرًا لِلْمَكَانَةِ الْجَلِيلَةِ وَالْقِيَادَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَوَلَّاهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

#### ب- مظاهر الحياء في دعوة النَّبي ﷺ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً، وَمِنْ حَيَائِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلَا مُتَفَحِّشاً وَلَا سَخَاباً\* (1) فِي الْأَسْوَاقِ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَنَافِي الْكَمَالَ، وَهُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ذُو هِمَّةٍ عَالِيَةٍ تَطَّلِعُ إِلَى كُلِّ كَمَالٍ (1)، فَكَانَ إِذَا سَمِعَ شَيْئاً يَكْرَهُهُ وَيَخْشَى حَيَاءَهُ، تَغَيَّرَ لَوْنُ وَجْهِهِ، فَعَرَفَ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ يَكْرَهُ هَذَا الشَّيْءَ (2) فَشَهِدَ لَهُ بِكَمَالِ خُلُقِهِ ﷺ حِينَمَا أُعْطِيَ كُلَّ ذَلِكَ الْحَيَاءِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعِذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا، إِذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ» (3).

وَمِنْ شِدَّةِ حَيَائِهِ ﷺ ضَرْبُ الْمَثَلِ فِي ذَلِكَ، فَيُخْبِرُنَا ﷺ لَيْسَ خَاصّاً بِهِ لَوْحَدِهِ، بَلْ إِنَّهُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الَّتِي جَاءَ بِهَا رَسُلُ اللَّهِ جَمِيعاً، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْتَسِلُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَرَاتِ وَمَا رَأَى أَحَدٌ عَوْرَتَهُ قَطَّ» (4).

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ امْتَثَلَ حَيَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَظَاهِرِ عِدَّةٍ أَهْمُهَا:

#### - حَيَاؤُهُ ﷺ مِنَ اللَّهِ

تَجَسَّدَ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْحَيَاءِ فِي دَعْوَتِهِ ﷺ وَذَلِكَ لَمَّا طَلَبَ مِنْهُ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنْ يَرِاجِعَ اللَّهَ تَعَالَى فِي تَخْفِيفِ فَرَضِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي» (5). وَلَمَّا خَاطَبَ ﷺ أَصْحَابَهُ آمِراً لَهُمْ بِأَنْ يَسْتَحُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَائِلاً لَهُمْ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكُم، وَلَكِنْ مِنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ

(\*) - سَخَاباً: صَيَّاحاً (عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَبْنُكَةُ الْمِيدَانِي، الْأَخْلَاقُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَسْسُهَا، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 513).

(1) - الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص 513.

(2) - أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْفَتْاحِ زَوَاوِي، شَمَائِلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (الْإِسْكَانْدَرِيَّةُ: دَارُ الْقَمَّةِ، ج 1، د، ط، د ت)، ص 366.

(3) - تَمَّ تَحْرِيجُهُ سَابِقاً، يُنْظَرُ: ص 317.

(4) - ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ 23، ج 7، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 215.

وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(5) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ كَيْفِ فَرَضَتِ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 349، ص 98.



فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء»<sup>(1)</sup>.

فالتجرد من الحياء مدرجة إلى المهالك، والشقوق في مهاوي الردى، يقول الإمام أبو الحسن المازدي عن نفسه: (رأيت رسول الله ﷺ في المنام ذات ليلة، فقلت يا رسول الله، أوصني، فقال: استحي من الله عز وجل حقَّ الحياء... ثم قال: تغير الناس، قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كنت أنظر إلى الصبي فأرى من وجهه البشر والحياء، وأنا أنظر إليه اليوم فلا أرى ذلك في وجهه، ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصوّرتها وأذهلني الشرور عن حفظها ووَدِدْتُ أني لو حفظتها، فلم يبدأ بشيء ﷺ قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل، وجعل ما سلبه الصبي من البشر والحياء سبباً لتغير الناس، وخصَّ الصبي، لأنَّ ما يأتيه بالطبع من غير تكلف)<sup>(2)</sup>.

#### – حياؤه ﷺ مع نساء الصحابة

كان حياؤه ﷺ لم يمنع من أداء رسالته وبيانها، وكان لا يمنعه شدة حيائه أن يجيب على أسئلة نساء الصحابة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟، قال النبي ﷺ: إذا رأت الماء، فغطت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: يا رسول الله أو تحتلم المرأة؟ قال: نعم تريت يمينك، فيم يشبهها ولدها؟!»<sup>(3)</sup>.

وتنقل السيدة عائشة رضي الله عنها مشهداً مثيراً من حيائه ﷺ فتقول: «أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من الحيض؟، فأمرها كيف تغتسل، ثم قال: خذي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فتوضئي ثلاثاً، ثم إن النبي ﷺ استحي فأعرض بوجهه أو قال: توضئي بها، فأخذتها فجذبها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم الحديث 2458، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، وفي المستدرک علی الصحیحین، کتاب الرقاق، من استحي من الله حقَّ الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، رقم الحديث 7985، ص 461. وفي مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، 387/1، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم 2458.

(2) - المازدي، أدب الدنيا والدين (دار مكتبة الحياة، د، ط، 1986م)، ص 249.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم الحديث 130، ص 45. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم الحديث 310، ص 250.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض وكيف تغتسل، رقم الحديث

وكان الصَّحابة رضوان الله عليهم يأْنفُون أَنْ يصدرَ منهم ما يكون سبباً في حيائه ﷺ، فقد حدث أَنَّ أبا بكرٍ ﷺ كان عند رسول الله ﷺ وجاء خالد بنُ سعيد بنُ العاصِ ﷺ يستأذن بالدُّخول، فوقف بباب الحجرة ريثما يؤذُنُ له، وكانت امرأة قد سبقته، تعرض أمرها على رسول الله ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة القرظي فطلَّقني فبتٌ (\*) طلاقِي، فتزوَّجت عبد الرَّحْمَنِ بنَ الزُّبَيْرِ، وإنَّ ما معه مثل هدبة (\*) الثَّوبِ، فتبسَّمت رسول الله ﷺ فقال: أترِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إلى رفاعة؟ لا، حتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ ويذُوقَ عُسَيْلَتِكَ، وأبو بكرٍ ﷺ عنده، وخالد بالباب يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤذَنَ له، فنادى: يا أبا بكرٍ! أَلَا تَسْمَعُ هذه ما تَجْهَرُ بِهِ عند رسول الله ﷺ، وكأنَّه طالباً زجر المرأة عن ذلك»<sup>(1)</sup>، لذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهنَّ الحياءُ أَنْ يتفَقَّهْنَ في الدِّينِ»<sup>(2)</sup>.

### - حياء النَّبي ﷺ مع الصَّحابة

عندَ زواجه ﷺ بالسيِّدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، صنع طعاماً كثيراً، ثمَّ دعا النَّاسَ لِيَأْكُلُوا، ذهبوا إلى وليمة النَّبي ﷺ فأكلوا، ثمَّ خرجوا وبقي ثلاثة لم يخرجوا، وزينب جالسة في جانب من البيت تنتظرُ رسول الله ﷺ، فلمَّا جاء النَّبي ﷺ ووجدَ هؤلاء جالسين يتحدَّثون إستحيى منهم وخرج، وبعد مدَّة دخل فوجدهم كذلك، فاستحيى وخرج، وتكرَّر ذلك الأمر مرَّات، فذهب إلى حجرة السيِّدة عائشة فجلس فيها، فلمَّا علم بخروجهم دخل على زينب رضي الله عنها<sup>(3)</sup>.

وعندما أتت امرأة النَّبي ﷺ بِرَدَّةٍ منسوجةٍ فيها حاشيتُها أَتَدْرُونَ ما البُرْدَةُ؟ قالوا: الشَّمْلَةُ قال: نعم قالت: نَسَجْتُهَا بيدي فجئتُ لَأَكْسُوْكَهَا فأخذها النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا فخرج إِلَيْنَا وَإِهَا إِزَارُهُ

(\*) - فبتٌ طلاقِي: أي طَلَّقني ثلاثاً، والبِتُّ القطع (في صحيح مسلم، كتاب النِّكَاح، باب لا تحلُّ المطلقة ثلاثاً لمطلِّقها حتَّى تنكح زوجاً غيره، رقم الحديث 1433، ص 1055).

(\*) - هُدْبَةُ الثَّوبِ: هي طرفه الذي لم يُنسج، شبهوها بهذب العين وهو شعر جفنها، تعنى أن متاعه رخوا كهذب الثَّوب (صحيح مسلم، كتاب النِّكَاح، باب لا تحلُّ المطلقة ثلاثاً لمطلِّقها حتَّى تنكح زوجاً غيره، رقم الحديث 1433، ص 1055).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النِّكَاح، باب لا تحلُّ المطلقة ثلاثاً لمطلِّقها حتَّى تنكح زوجاً غيره، رقم الحديث 1433، ص 1055.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم الحديث 130، ص 45.

(3) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب التَّفْسِير، باب ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ مِثْنٍ وَتَوَوَّى إِلَيْكَ مِنْ نَشَأٍ وَمِنْ أَبْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: 51] ص 1204، ومنصور علي عرابي، قصص في الأنبياء - عليهم الصَّلَاة والسَّلَام -، منبر التَّوْحِيد والجهاد، د، ط، د، ت، ص 7.

فَحَسَنَهَا فَلَانَ فَقَالَ: اِكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ لِبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهِ لِأَلْبِسَهُ إِنَّمَا سَأَلْتُهِ لَتَكُونَ كَفِيَّ قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ»<sup>(1)</sup>.

وَمِنْ حَيَاتِهِ ﷺ أَنَّهُ يَسْتَحْيِي مِمَّنْ يَتَصَفُّونَ بِالْحَيَاءِ، فَقَدْ كَانَ صَاحِبَهُ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَدِيدَ الْحَيَاءِ؛ لَذَا كَانَ ﷺ يَعامِلُهُ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ حَالِهِ، فَعِنْدَمَا كَانَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِهِ، كَاشِفًا عَنْ فَخْذَيْهِ - أَوْ سَاقَيْهِ - فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ فَقَالَ: أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟<sup>(2)</sup> وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَوْقِيرِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنْ لَا يَدُلُّ عَلَى حَظِّ مَنْصَبِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ عِنْدَهُ ﷺ وَقَلَّةِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِمَا لِأَنَّ قَاعِدَةَ الْحُبَّةِ إِذَا كَمَلَتْ وَاشْتَدَّتْ ارْتَفَعَ التَّكْلِفُ، كَمَا قِيلَ إِذَا حَصَلَتِ الْأَلْفَةُ بَطَلَتِ الْكُلْفَةُ<sup>(3)</sup>، يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ: (وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُثْمَانَ وَجَلَالَتِهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّ الْحَيَاءَ صِفَةً جَمِيلَةً مِنْ صِفَاتِ الْمَلَائِكَةِ)<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ، رقم الحديث 1277، ص 309.

(\*) - فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ: يَقُولُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ: هَكَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخ، وَفِي بَعْضِ النُّسخ الطَّائِفَةُ تَهَشُّ هُوَ خِطُّ الْوَرَقِ مِنَ الشَّجَرِ، فَيُقَالُ: مِنْهُ هَشٌّ، يَهْشُ بِضَمِّهَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ [طه: 18] وَقَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: الْهَشَاشَةُ وَالْبَشَاشَةُ بِمَعْنَى طَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَحَسَنِ اللَّقَاءِ (صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، فَضَائِلُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2401، ص 1866). وَالْهَشُّ بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ أَيُّ: لَمْ تَتَحَرَّكَ لِأَجْلِهِ، وَمَعْنَى: الْهَشَاشَةُ وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْإِلْتِقَاءِ (مَرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 6069، ج 9، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 3917).

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2401، ص 1866.

(3) - مُحَمَّدُ الْقَارِي، مَرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 6069، تَحْقِيقُ: جَمَالُ عَيْتَانِي، كِتَابُ الْفَضَائِلِ وَالشَّمَائِلِ، بَابُ فِي أَخْلَاقِهِ وَشَمَائِلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 5832 (بَيْرُوتُ: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط 1، ج 9، 1422هـ/2001م)، ص 3918.

(4) - الْمُنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، فَضَائِلُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2402 (بَيْرُوتُ: دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، ط 2، ج 15، 1392هـ)، ص 168.

وكان ﷺ يستحي أن يواجه أصحابه بما يكرهون عن أنس ﷺ أن النَّبي ﷺ: «كان لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه»<sup>(1)</sup>. لكي لا يجرح مشاعرهم أمام الآخرين، بل كان من خُلُقِه وهدْيِه يواجه كلامه إلى عامَّة من حوله، من غير أن يقصد أحداً بعينه، فكان يقول: «ما بال أقوام يقولون: كذا وكذا»<sup>(2)</sup>.

### - حياؤه مع اليهود والأعراب

من ذلك يروي عليُّ ﷺ: «أنَّ يهودياً كان له على رسول الله ﷺ دنائيرٌ، فتقاضى النَّبي ﷺ فقال له: يا يهوديُّ ما عندي ما أعطيك، قال: فإنِّي لا أُفارقك يا مُحَمَّدٌ حتَّى تعطيني، فقال رسول الله ﷺ: إذا أجلس معك، فجلس معهُ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ والعداءَ، وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتهدَّدونه ويتوعَّدونه، ففطنَ رسولُ الله ﷺ ما الذي يصنعونَ به، فقالوا يا رسولَ الله: يهوديُّ يحبُّسك، فقال رسولُ الله ﷺ: منعي ربي أن أظلمَ معاهداً وغيره، فلمَّا ترجَّلَ النهارُ قال اليهوديُّ: أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأشهدُ أنَّك رسولُ الله، وشطرُ مالي في سبيلِ الله، أمَّا والله ما فعلتُ بك الذي فعلتُ بك إلاَّ لأنظرَ إلى نعتك في التَّوراةِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله مولدهُ بمكةَ ومهاجره بطيبةَ ومُلْكُه بالشَّام، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا مُتزيٍّ بالفُحشِ ولا قولِ الخنا، أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنتَ رسولُ الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله، وكان اليهودي كثيرَ المال»<sup>(3)</sup>.

### وبناء على ما سبق نستشفُّ أنه:

- على الدَّاعية التَّعلُّم من هدي النَّبي ﷺ والتَّخلُّق بأخلاقه الكريمة منها الحياء، يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: (فالخلق الحسن صفة سيِّد المرسلين، وأفضل أعمال الصِّدِّيقين، وهو على

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، رقم الحديث 4219، المصدر السَّابق، ص 79553، وفي مسند أحمد، ج 3، ص 133، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، رقم الحديث 4788، ص 186. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، وفي سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن العشرة، رقم الحديث 4787 (الرِّياض: بيت الأفكار الدَّولية للنَّشر والتَّوزيع، د، ط، د، ت)، ص 522.

(3) - أبو بكر البيهقي، دلائل النُّبوة، باب استبراء زيد بن سَعْنَة أحوال النَّبي ﷺ حتَّى إذا وقفَ عليها وأبصرَ علاماتِ النُّبوةِ فيها أسلم وإنقادَ (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط 1، مج 6، 1405هـ)، ص 278، ومحمَّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الفضائل والشَّمائل، باب في أخلاقه وشمائله ﷺ، رقم الحديث 5832، ج 10، المرجع السَّابق، ص 496.

التَّحْقِيقُ شَطْرُ الدِّينِ، وَثَمَرَةُ مَجَاهِدَةِ الْمُتَّقِينَ وَرِيَاضَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ<sup>(1)</sup> ويقول الدكتور سعيد عبد العظيم: (أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ قَلِيلَ الْأَذَى، كَثِيرَ الصَّلَاحِ صَدُوقَ اللِّسَانِ، قَلِيلَ الْكَلَامِ كَثِيرَ الْعَمَلِ، قَلِيلَ الزَّلَلِ قَلِيلَ الْفُضُولِ، بَرًّا وَصَوْلًا وَقَوْرًا صَبُورًا رَضِيًّا حَلِيمًا وَلَا مَغْتَابًا وَلَا عَجُولًا وَلَا حَقُودًا وَلَا بَخِيلًا وَلَا حَسُودًا بَشَاشًا هَشَاشًا يَحُبُّ فِي اللَّهِ وَيَبْغُضُ فِي اللَّهِ، وَيَرْضَى فِي اللَّهِ، وَيَسْخَطُ فِي اللَّهِ)<sup>(2)</sup>.

- كما على الدَّاعِيَةِ وَكُلِّ مَنْ تَوَلَّى حَكْمَ الرَّعِيَّةِ أَنْ يَكُونَ حَيًّا مَعَ أَفْرَادِهِ حَتَّى يُمَثِّلَ الْقُدُوةَ الْحَسَنَةَ أَمَامَ رَعِيَّتِهِ فَيَتَّبِعُونَ أَثَرَهُ رَغْبَةً دُونَ رَهْبَةٍ وَيَلْقَى التَّقْدِيرَ وَالْإِحْتِرَامَ.

- الْحَيَاءُ خُلُقٌ نَبِيلٌ دَعَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَعَدَّهُ مِنْ دَعَائِمِ الْأُمَمِ وَرَقِيهَا، حَيْثُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي أُمَّةٍ ذَهَبَ حَيَاؤُهَا، وَالدَّاعِيَةُ بِدَوْرِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَيًّا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ دُونَ أَنْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ الْجُرْأَةِ فِي الْحَقِّ، وَمِنْ حَيَاتِهِ عَدَمُ التَّدَخُّلِ فِي شُؤْنِ الْآخَرِينَ، غَضُّ الْبَصَرِ، خَفْضُ الْجَنَاحِ، عَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ، الْقَنَاعَةُ وَمَا شَابَهَهَا مِنْ خِصَالٍ<sup>(3)</sup>.

- الْحَيَاءُ زِينَةُ الدَّاعِيَةِ وَحَلِيتُهُ الْجَمِيلَةُ، وَبِقَدْرِ مَا يَتَحَلَّى بِهِ يَضْفِي عَلَى نَفْسِهِ جَمَالًا وَبَهَاءً، وَقِيَمَةً إِنْسَانِيَّتَهُ.

### ثالثًا: الدَّعْوَةُ إِلَى تَرْسِيخِ خُلُقِ الصَّبْرِ

#### أ- مفهوم الصَّبْرِ

##### - لغة

- يُعَرَّفُ الْعَلَامَةُ الْفَيْئُومِي بِالْقَوْلِ: (هُوَ الْحَبْسُ وَالْمَنْعُ، وَهُوَ ضِدُّ الْجَزَعِ، وَيُقَالُ: صَبِرَ صَبْرًا: تَجَلَّدَ وَلَمْ يَجْزَعْ، وَصَبَرَ: إِنْتَظَرَ، وَصَبَّرَ نَفْسَهُ: حَبَسَهَا وَضَبَطَهَا، وَصَبِرَ فَلَانًا: حَبَسَهُ، وَصَبِرَتْ صَبْرًا: حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَنِ الْجَزَعِ، وَالصَّبْرُ الدَّوَاءُ الْمُرُّ بِكَسْرِ الْبَاءِ فِي الْأَشْهَرِ، وَالصَّبْرُ وَزَانٌ قُفْلٌ وَحِمْلٌ فِي لُغَةِ النَّاحِيَةِ الْمُسْتَعْلِيَّةِ مِنَ الْإِنَاءِ وَغَيْرِهِ وَالْجَمْعُ أَصْبَارٌ مِثْلُ: أَقْفَالٍ وَالْأَصْبَارُ بِالْهَاءِ جَمْعُ الْجَمْعِ وَأَخَذْتُ الْحِنْطَةَ وَنَحَوْتُهَا بِأَصْبَارِهَا أَيْ جُمْتُعَةً بِجَمِيعِ نَوَاحِيهَا)<sup>(4)</sup>.

(1) - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدِّين، ج3، المرجع السابق، ص 49.

(2) - سعيد عبد العظيم، خلق المسلم، المرجع السابق، ص 8.

(3) - فتحي يَكُنْ، ماذا يعني إنتمائي للإسلام (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط15، 1408هـ/1988م)، ص 41.

(4) - الفَيْئُومِي، المصباح المنير في غريب الشَّرْحِ الْكَبِيرِ، كتاب الصَّاد، ج1، المصدر السابق، ص 331.

### - إصطلاحاً

- يعرفه الدكتور القحطاني بالقول: (هو خلق فاضل من أخلاق النَّفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يحسن ولا يحمل، وهو قوَّة من قوى النَّفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها)<sup>(1)</sup>، وهذه القوَّة يمكن للإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشاق والآلام<sup>(2)</sup>.

- ويعرفه خالد بنُ جمعة بنُ عثمان بالقول: (والصَّبر هو حبس النَّفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، كحبس النَّفس عن الجزع و التَّسخُّط والشَّكوى، وعن تشويش الجوارح، وهو أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على معصية الله، وصبر على قضاء الله وقدره على البلاء)<sup>(3)</sup>، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

- وفي تعريف آخر له: (هو القدرة على تحمُّل المصائب والشَّدائد، والقبول بها بنفس راضية من دون خوفٍ أو جزعٍ أو وجل، وهو قوَّة خلقية وجهاد نفسيٍّ يمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لمواجهة المتاعب والمشقات والآلام التي تنزلُ به)<sup>(4)</sup> يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أنَّ أناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثمَّ سألوه فأعطاهم، حتى نفدَ ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يُعِفِّه الله، ومن يستغن يُغْنِه الله، ومن يتصبر يُصْبِرْه الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبر»<sup>(5)</sup>.

فالصَّبر صفةٌ لازمةٌ لكلِّ داعيةٍ، فهو علامةٌ قوَّة شخصيته ودليل إتزانه، يقول الإمام ابنُ الجوزي رحمه الله: (حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلَّا عليها، الصَّبر والعفة والشَّجاعة والعدل)<sup>(6)</sup> إذاً اقتضت سنَّة الله أن يكون لأهل الدَّعوة خصوصاً يتربَّصون بهم، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

(1) - سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، أنواع الصَّبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسنة (د، دار نشر، د، ط، 1422هـ)، ص 4.

(2) - عبد الرَّحمان جبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المرجع السَّابق، ص 305.

(3) - خالد بنُ جمعة بنُ عثمان الحزاز، موسوعة الأخلاق (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ط 1، 1430هـ/2009م)، ص 75.

(4) - عبد الإله ميقاتي، مدخل إلى فقه النُّعمة (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2006م)، ص 224.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرُّكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم الحديث 1374، ص 620.

(6) - ابنُ القيم، مدارج السَّالكين، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغدادي (دار الكتاب العربي، ج 2، 1423هـ/2003م)، ص -

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٢٦﴾ [الفرقان: 31] فعليهم بالصبر في دعوة الناس كما صبر الأنبياء -عليهم السلام- في دعوة أقوامهم، لأن الهداية بيد الله لا بيدهم، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: 48].

فكان الصبر من الموضوعات التي عالجها النبي ﷺ ورَبَّى عليها أصحابه، وكان من أسباب نصر دعوته، وثبات عزيمة أصحابه رضوان الله عليهم، فأظهر ﷺ عنايته بموضوع الصبر عناية فائقة مشيرًا إلى أنه من أعظم الأسباب المثبتة لهداية الناس، له آثار جليلة يحظى بها الصابرون من محو الخطايا وتكفير الذنوب، سأل رجل النبي ﷺ قائلاً: «يا رسول الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»<sup>(1)</sup>

وفي الحديث القدسي بين جزاء الصابرين عند الصدمة الأولى: «يا ابن آدم إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ»<sup>(2)</sup>.

فالصبر الذي أشار إليه النبي ﷺ في هذا الحديث هو الصبر المتجمل بحلّة اليقين بقضاء الله في ساعة العسرة، فيصبر ويحتسب ولا يفقد صوابه، ولا يهذي بلسانه، ولا يجهل بقلبه، يقول الإمام الخطابي رحمه الله: (المعنى أَنَّ الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو)<sup>(3)</sup>.

#### ب- الصبر جنة المؤمن الداعية

الصبر في الدعوة إلى الله من أهم الصفات الخلقية التي يستوجب على الداعية أن يتلبس بها في كل زمان ومكان، فهو عمود الأعمال والواجبات، وهو الدعامة التي لا يفُلُّ عزمها ولا يفُلُّ نجمها، ينبغي على الداعية مرة أخرى أن يُشربها فتكون خلاقه، ولولا الصبر لما وفقت الرسائل وعم الإسلام جميع الأقطار والأمصار، ولهذا فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم الحديث 1885، مج 1، ص 911.

(2) - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر عند المصيبة الأولى، رقم الحديث 1597 (دار إحياء الكتب العربية، ج 2، د، ط، د، ت)، ص 509. وقال: هذا حديث حسن.

(3) - إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، رقم الحديث 1283، ج 3، المرجع السابق، ص 150.



أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿[الأحقاف: 35]﴾ وقال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٧﴾ [ص: 17] يشير الأستاذ سيّد قطب رحمه الله في تفسيره لمعنى الآية فيقول: (إنَّ كلمة أصبر إشارة إلى الطَّريق المطروق في حياة الرُّسل عليهم السَّلام جميعاً، الطَّريق الذي يَضُمُّهم أجمعين، فكُلُّهم سار في هذا الطَّريق، وكُلُّهم عانى، وكُلُّهم أبتلي، وكُلُّهم صبر، وكان الصَّبر هو زادهم جميعاً وطابعهم جميعاً)<sup>(1)</sup>.

والصَّبر هو أحد الأركان الأساسية التي يقوم عليها حسن الخلق بلَّ أنه إذا كان حسن الخلق دثاراً للدَّاعية فإنَّ الصَّبر شعاره، يربِّي المرء على الإحتمال وكظم الغيظ، وكفَّ الأذى، والحلم، والأناة، والرَّفق وترك الطيش والعجلة، عن جابر بن عبد الله ؓ قال: «قيل يا رسول الله: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الصَّبر والسَّماحة، وقيل أيُّ المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً»<sup>(2)</sup>.

ووقف رجل على الشَّبلي فقال: (أيُّ: الصَّبر أشدُّ على الصَّابرين؟ فقال: الصَّبر في الله، قال السَّائل: لا، فقال: الصَّبر لله، فقال: لا، قال: الصَّبر مع الله، فقال: لا، قال الشَّبلي: فيأش هو؟ قال: الصَّبر عن الله، فصرخ الشَّبلي صرخة كادت تتلفُ روحه)<sup>(3)</sup>.

لقد حصَّ النَّبي ﷺ منزلة خلق الصَّبر بالتَّفضيل وإكمال الإيمان، ودعا أصحابه إلى التَّحلِّي به ليكتمل الإيمان في قلوبهم، فجعله سلاح يتجاوزون به جميع المراحل العصيبة التي تواجههم إبان العهد المكي والمدني، فشفيت به صدورهم عن الشُّرك انتصاراً، وعن النِّفاق إظهاراً، يقول عمرُ بن الخطَّاب ؓ: «خيرُ عيشٍ أدركناه بالصَّبر، ولو أنَّ الصَّبر كان من الرِّجال كان كريماً»<sup>(4)</sup>.

### ج- تطبيقات خلق الصَّبر في دعوة النَّبي ﷺ

أمر النَّبي ﷺ بهذا الخلق في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ﴿[المدثر: 7]﴾ وذلك لعظم الرِّسالة التي كُلف بها، فظهر أثره جلياً في تحمُّله

(1) - سيّد قطب، في ظلال القرآن ج 5، المرجع السَّابق، ص-ص 16، 30

(2) - ابنُ أبي شيبة، كتاب الإيمان، باب ما ذكر في الإيمان، رقم الحديث 43 (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ/ 1983م)، ص 25.

(3) - ابنُ القيم، مدارج السَّالكين، المرجع السَّابق، ص 158.

(4) - ابنُ أبي الدنيا، الصَّبر والثَّواب عليه، تحقيق: محمَّد خير رمضان يوسف (بيروت: دار بن حزم، ط1، ج1، 1418هـ/ 1997م)، ص 24، وابنُ القيم، عدَّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين (بيروت: دار ابنِ كثير، ط2، ج1، 1409هـ/ 1989م)، ص95.

وحلمه وأناته، فزاد ونمأ في نفس النَّبي ﷺ بالتَّجارب الكثيرة التي مارسها في حياته، فكان قدوة حسنة للنَّاس في فضيلة الصَّبْر<sup>(1)</sup>.

ومن ضمن التَّجارب التي تعامل بها النَّبي ﷺ بالصَّبْر وحثَّ عليها أصحابه رضوان الله عليهم، نذكر منها كالآتي:

### - صبر النَّبي ﷺ على أذِّيَّات القوم بالصَّفح والعفو

لقد ضرب النَّبي ﷺ أروع الأمثلة في الصَّبْر واحتماله ألواناً من الشَّدائد وصنوفاً من الأذى يصعُبُ على الجبال الرُّواسي حملها، فما كان ذلك لتنوء من عزيمته وهَمَّتْه، بلَّ زاده ثباتاً وإصراراً، فقابل تلك الشَّدائد والإحْن وتلك العداوة بالصَّبْر والصَّفح والدُّعاء، الذي قال عنهم الإمام ابنُ القيم رحمه الله: (وفي الصَّفح والعفو والحلم من الحلاوة والطُّمأنينة والسَّكينة، وشرف النَّفس وعزَّها ورفعته عن تشفُّيها بالانتقام: ما ليس شيءٌ منه في المقابلة والانتقام)<sup>(2)</sup>.

ومن جملة مواقفِه كانت مع:

أبي جهل والذي تنوَّعت وسائل أذاؤه للنَّبي ﷺ وتواترت ووصل به الأمر إلى محاولة إلقاء الحجر عليه وهو ساجد، ولكنَّ الله سلَّم<sup>(3)</sup>.

واجتماع الملائكة من عليَّة قريش وضربهم النَّبي ﷺ، يوم أن اجتمعوا في الحِجْر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: «ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرَّجل قطُّ، سَفَّه أحلامنا، وسبَّ آهتنا، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم، فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذاً وكذاً، لما كان يقول من عيب آهتهم ودينهم، فيقول: نعم، أنا الذي أقول ذلك، ثمَّ أخذ رجلٌ منهم بمجمع رداءه، فقام أبو بكر رضي الله عنه، وهو يبكي، ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربِّي الله»<sup>(4)</sup>.

(1) - عبد الرَّحمان جَبْنَةُ الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج2، المرجع السَّابق، ص 480.

(2) - ابنُ القيم، مدارج السَّالِكين، المرجع السَّابق، ص 303.

(3) - عبد الله بنُ محمَّد الموسى، أسباب نجاح الدَّعوة الإسلامية في العهد النَّبوي، المرجع السَّابق، ص 286.

(4) - ابنُ كثير، جامع المسانيد والسُّنن، مسند عبد الله بنُ عمرو بنُ العاص رضي الله عنه (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج26، 2012م)، ص 7262، البداية والنهاية لابن كثير، ص50، والروض الأنف في تفسير السَّيرة النَّبوية لابن هشام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 2009م)، ص 41.

وكانت امرأة أبو لب - أم جميل - من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة، وتضع الشوك في طريقه والقذر على بابه، إلى أن أنزل الله تعالى سورة المسد، فحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق ﷺ، وفي يدها فهر من حجر، فلما وقفت عليهما قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال ﷺ: لقد أخذ الله ببصرها عني، وكانت تنشد: مذمم أبينا، ودينه قليلنا، وأمره عصينا، وكان رسول الله ﷺ يفرح لأن المشركين يسبون مذمماً\* يقول: ألا تعجبون كيف يُصْرَفُ الله عني\* شتم قريش ولعنهم؟، يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً وأنا محمد\*<sup>(1)</sup>.

وعن عروه بن الزبير قال: «سألت ابن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون بالنبي ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذا أقبل عقبه بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله»<sup>(2)</sup> ترك هذا الصبر أثراً كبيراً في دعوته ﷺ، حيث رقق قلوبهم للإسلام ورغبهم فيه وطمأنتهم إلى سهولة أحكامه وليونة تربيته.

(\*) - مذمماً: أي: ذمهم، والاستفهام للتقرير ثم بين وجه الصرف مستأنفاً بقوله: (يشتمون): بكسر التاء أي: يسبون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد، أي: لا مذمم، والمعنى أن ما ذكروه أوصاف المذمم، وأنا بحمد الله محمد، وقيل: كانوا يسمونه بمذمم، والمعنى أن ما ذكروه أوصاف المذمم، وأنا بحمد الله محمد، قال التوريشي: يريد بذلك تعريضهم إياه بمذمم مكان محمد، وكانت العواء بنت حرب زوجة أبي لب تقول: مذمماً قليلنا ودينه أبينا وأمره عصينا (يُنظر: محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الفضائل، باب أسماء النبي ﷺ وصفاته، رقم الحديث 5778، المرجع السابق، ص 3698).

(\*) - يُصْرَفُ الله عني: أي لعنهم وشتهم فلا يصيبني لأهم يلعنون ويشتمون غيري الذي يسمي مذمماً بينما إسمي محمد ﷺ وكان كفار قريش لشدة كراحتهم له ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون مذمم وهو ليس إسمه ولا معروفاً به، فكان الذي يقع منهم مصروفاً إلى غيره بالبداهة فيحصل ضد قصدهم ويرد الله تعالى كيدهم في نحرهم ليموتوا في غيظهم (فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3533، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2007م)، ص 194.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3533، ص 873.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم الحديث 3852، ص 478.

وكان إذا مرَّ على مجالسهم بمكَّة استهزءوا به، وقالوا ساخرين: ( هذا ابنُ أبي كبشة<sup>(\*)</sup> ) يُكلم من السَّماء، وكان أحدهم يمرُّ على رسول الله ﷺ فيقول له ساخرًا: أما كُلمتَ اليوم من السَّماء<sup>(1)</sup>. ولم يقتصر الأمر على مجرد السُّخرية والاستهزاء والإيذاء النَّفسي بل تعدَّاه إلى الإيذاء البدني، بل وقد وصل بهم الأمر أن يبصُق أُمِّيَّة بنُ خلف في وجه النَّبي ﷺ<sup>(2)</sup>، يقول الإمام القاضي عياض رحمه الله في صبر النَّبي ﷺ على قومه: (من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية، ومصابرته الشَّدائد الصَّعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وهم صاغرون تحت حكمه لا يشكون في استئصال شأفتهم، وإبادة حضرائهم، فما زاد على أن عفا وأصفح فقال لهم: ما تقولون أيُّ فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابنُ أخ كريم، فقال: أقول كما قال أخي يوسف: لا تثرِبَ عليكم اليومَ يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الرَّاحمين اذهبوا فأنتم الطُّلقاء)<sup>(3)</sup> وقد ختم المشركون أذاهم لرسول الله ﷺ بمحاولة قتله في أواخر المرحلة المكيَّة<sup>(4)</sup>.

فلم يقتصر أذى قريشٍ على الاتِّهام الباطل، والتَّكذيب السَّافر والسُّخرية والأذى لرسول الله ﷺ بل تصاعد إلى ذروة العنف، وخاصَّة في معاملة المستضعفين من المسلمين وصحابته الكرام، فنكَّلت بهم لتفتنهم عن دينهم ولتجعلهم عبرة لسواهم ولتنفِّس عن غضبها بما تصبُّه عليهم من العذاب، فنبَّأ الله ﷻ منعه الله بعَمِّه أبي طالب، وأمَّا أبو بكر رضي الله عنه فمَنعه الله بقومه، وأمَّا سائرهم فأخذهم المشركون فصهروهم في الشَّمس وألبسوهم أدرع الحديد<sup>(5)</sup>.

وحَتَّى بعد هجرته إلى المدينة لم تتوقَّف حدَّة الإبتلاء والأذى بظهور أعداء جُدِّد من المنافقين المجاورين بالمدينة، ومن اليهود والفرس والرُّوم وأحلافهم، وبعد أن كان الأذى بمكَّة شتمًا وسخريةً وحصاراً وضرباً صار مواجهةً عسكرية مسلَّحة، فواجهها بصبرٍ وتحدٍّ منقطع التَّظير، وكان ذلك على

(\*) - كبشة: والد النَّبي ﷺ من الرِّضاعة (السَّيرة النَّبوية للصُّلَّابي، المرجع السَّابق، ص 146)، و(جواد علي، المفصل في تاريخ

العرب قبل الإسلام، دار السَّاقبي، ط4، ج11، 1422هـ/2001م)، ص 58.

(1) - المرجع نفسه، ص 58، والسَّيرة النَّبوية للصُّلَّابي، المرجع السَّابق، ص 146.

(2) - علي محمَّد الصُّلَّابي، السَّيرة النَّبوية، المرجع السَّابق، ص 146.

(3) - يُنظر: القاضي عياض، الشَّفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، ج1، المرجع السَّابق، ص-ص، 100، 101.

(4) - يُنظر: أكرم ضياء العمري، السَّيرة النَّبوية الصَّحيحة (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط6، ج1، 1415هـ/

1994م) ص 153.

(5) - أكرم ضياء العمري، السَّيرة النَّبوية الصَّحيحة، المرجع السَّابق، ص 154.

قدر الرِّسالة التي حُمِّلها، إشفافاً على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم الماضية من العذاب والنَّكال، وليكون قدوة للدُّعاة والمصلحين من بعده<sup>(1)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يَغْفِرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يَغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»<sup>(2)</sup>.

فالصَّبْر تدرج تحت قُوَّته أفضل السَّمات وأحلى الصِّفَات فالسَّماحة والحلم والعطاء والبذل والتفائل والصَّفح والرضى والشُّكر، وكلَّ قولٍ جميلٍ وعملٍ طيبٍ ينحصر في دائرة الصَّبْرِ<sup>(3)</sup>.

وهكذا كان النَّبي ﷺ يرسِّخ قاعدة مهمَّة في الأخلاق وأصل من أصولها، والتي إذا تحقَّق ذلك في الداعية تَهون أمامه كلَّ العقبات والتَّحدِّيات بسعة صدر ورجاحة عقل، فهو قُوَّة لا ضعف فيها، لأخذ الحقِّ والدِّفاع عنه وهو صمود وعطاء، فما أُعطي العبد عطاءً خيراً أوسع من الصَّبْرِ، فحريَّ على القائمين على الدَّعوة أن يتحلَّوا بالصَّبْرِ، لأنَّ من شأنه تقوية عود الدَّعوة وعضدها والوصول بها إلى عالم فسيح يسوده الأمن والنَّجاح، ومكسب رهان إستمراريتها والوصول بها إلى مقام القرار وذروة الانتصار.

### – صبر النَّبي ﷺ على مللِّات الحياة

جرت سنَّة الله في خلقه أن أوقع الإبتلاء والاختبار والتَّمحيص في البشر، ولاسيما في حياة النَّبي ﷺ أن بلغ به الأذى ذروته، وهو يُحاصر ﷺ في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ تتوالى عليه الأحزان بموت زوجته السيِّدة خديجة رضي الله عنها، ثُمَّ بموت عمِّه أبي طالب الذي كان يحوطه ويدافع عنه - بالرُّغم من موته على الكفر-، ثُمَّ يخرج مهاجراً من بلده الذي يحبُّه ووصفه بأنَّه أحبَّ البلاد إلى قلبه، ليبدأ عهداً جديداً من الصَّبْرِ والتَّضحية، وحياة فيها الكثير من الجهد والجُهد، حتَّى جاع وإفقر، لدرجة أنَّه ﷺ ربط على بطنه الحجر في ذلك فيقول: «لقد أُذِيتُ في الله وما يُؤْذِي أَحَدٌ، وأُخِفْتُ في الله وما يَخَافُ أَحَدٌ، ولقد أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكله ذو كِبَدٍ

(1) - علي محمد الصُّلاَّبِي، السِّيرة النَّبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، المرجع السَّابِق، ص 146.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرِّكَاة، باب الإستغفار عن المسألة، رقم الحديث 1469، ص 358.

(3) - هيا بنت ناصر بُنِّ عبد الله الرَّاشِد، الصَّبْر جَنَّةُ الْمُؤْمِن (الرِّياض: دار الرِّسالة البيان للنَّشر والتَّوزيع، ط 1، 1435هـ/

إِلَّا شَيْءٌ يُؤَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»<sup>(1)</sup> وَمَنْ صَبْرَهُ أَيْضًا صَبْرَهُ عَلَى فِرَاقِ قَرَّةِ الْعَيْنِ وَكَبْدِ الْفُؤَادِ مَوْتَ أُنْبَاءِهِ، وَهَذَا مِنْ أَشَدِّ الْإِبْتِلَاءَاتِ الَّتِي تَجْعَلُ الْقَلْبَ يَتَفَطَّرُ حَزْنًا وَكَمَدًا.

وَالدَّعَوَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَتَحْدِيدُ الْحَامِلِينَ لَوَاءِهَا جَدِيرٌ بِهِمْ أَنْ يَقَعَ فِيهِمُ الْإِبْتِلَاءُ وَالْإِخْتِبَارُ، كَمَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قَبْلِهِمْ، خُصُوصًا عِنْدَمَا يُوَاجِهُونَ قُوَى طَائِفِيَّةٍ وَعِرْقِيَّةٍ وَعِلْمَانِيَّةٍ فِي مُحَاوَلَاتِ لَوَادِ الدَّعْوَةِ أَوْ تَشْوِيهِهَا وَالْقَضَاءِ عَلَيْهَا، فَتُكْتَشَفُ صِلَابَةُ دِينِهِمْ وَقُوَّةُ إِيْمَانِهِمْ، وَتَبَيَّنَ صِدْقُهُمْ وَإِخْلَاصُهُمْ تَمَامًا، كَمَا يُخْتَبَرُ الْمَعْدُنُ النَّفِيسُ بِالنَّارِ، فَكَلَّمَا زَادَ صَهْرُهُ انْكَشَفَتْ جُودَتُهُ مِنْ خُصَاسَتِهِ<sup>(2)</sup> يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢﴾ [العنكبوت: 3] وَيَقُولُ أَيْضًا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾ [مُحَمَّد: 31] وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: 142] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرُّوم: 60].

فَاللَّهُ تَعَالَى يُوقِعُ الْبَلَاءَ وَالْإِبْتِلَاءَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَمَتَى يَشَاءُ، لِيُمَحِّصَ إِيْمَانَهُمْ وَهَذَا الْإِبْتِلَاءُ أَغْلَبُ مَا يَكُونُ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ، أَوْ فِي الْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ<sup>(3)</sup>، يَقُولُ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَنَّ جَمِيعَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنِّي فَيَقْرُؤُونَ بَعْدُودِي بِوَحْدُونِي بِالرُّؤْيِيَّةِ وَيَصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَالرُّجُوعِ إِلَيَّ فَيَسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِي وَيَرْجُونَ ثَوَابِي وَيَخَافُونَ عِقَابِي، وَيَقُولُونَ عِنْدَ امْتِحَانِي إِيَّاهُمْ بَعْضُ مُحْنِي وَإِبْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا وَعَدْتُهُمْ إِنْ إِبْتَلَيْتَهُمْ بِهِ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَنَا مُمْتَحِنُهُمْ بِهَا: إِنَّا مَمَالِكُ رَبَّنَا وَمَعْبُودُنَا وَنَحْنُ عِبِيدُهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِنَا صَائِرُونَ تَسْلِيمًا لِقَضَائِي وَرِضًا بِأَحْكَامِي)<sup>(4)</sup> وَالِدَّعَاةُ يَكِيدُ لَهُمُ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِمْ إِفْكَأً وَبُهْتَانًا وَيُؤْذُوهُمْ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى إِنْتِصَارًا لِبَاطِلِهِمْ وَحَقًّا عَلَى الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَلَقَدْ أُوذِيَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ أَشَدَّ الْأَذَى، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُهُمُ بِالصَّبْرِ فَيَقُولُ لَأَلْ يَاسِرُ: «صَبْرًا آلُ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ»<sup>(5)</sup>.

(1) - أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ صَحِيحِ الْجَامِعِ، كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالزَّكَاةِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مِنْهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2472، ج 4، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 645. وَقَالَ أَبُو عِيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(2) - مَنِيرُ مُحَمَّدٍ الْغَضْبَانِ، فَهْهُ السِّيَرَةُ (الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ: جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى، ط 2، 1413هـ/1992م)، ص 127.

(3) - عَبْدُ الْكَرِيمِ زَيْدَانُ، أَصُولُ الدَّعْوَةِ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 339.

(4) - إِبْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ، تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، ج 2، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 706.

(5) - صَفِيِّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكْفُورِيِّ، الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 81.



وقَدْ أَوْصَى ﷺ أَحَدَ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِالرَّضَا فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَالْيَسَرَ مَعَ الْعُسْرِ»<sup>(1)</sup> ويقول بعض الحكماء: (بمفتاح عزيمة الصَّبْرِ تعالج مغاليق الأمور، وقال بعض البلغاء: عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج)<sup>(2)</sup>.

وعَلَّمَهُمْ قِيَمَةَ الصَّبْرِ وَبَيَّنَّ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ قُوَّةً وَانْتِصَارًا وَيَقِينًا، وَالْمُشَاهِدَةُ الْمَفْرَعَةُ الَّتِي ابْتَلَيْتْ بِهَا الْأُمَّةَ جَزَاءً مَسَاوِيٍّ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَحْضِرُ فِيهَا الدَّاعِيَةُ تَسْلُطَ كَافَّةِ أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ وَالْأَذَى فِي مُحَارِبَةِ دِينِهَا وَهَوِيَّتِهَا وَمَلَا حَقَّةَ دَعَايَها وَقَتْلَ عِلْمَائِها، فَهَذِهِ الْأَوْضَاعُ يَحْسِمُ أَمْرُهَا حَتْمًا إِذَا مَا تَمَسَّكَتِ الْأُمَّةُ وَرَجَالَهَا وَدَعَايَها بِدِينِهَا وَوَاجَهُوا الْعَدُوَّ بِالصَّبْرِ إِقْتِدَاءً بِنَبِيِّهِمْ ﷺ، فَتَكُونُ الْعَاقِبَةُ النَّصْرَ لَهُمْ، وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ مُخَاطَبًا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

فالخطاب القرآني يبيِّن أَنَّ الصَّبْرَ أَسَاسُ الْأَخْلَاقِ وَعَمُودُهَا، فَلَا تَقُمْ لِلْأَعْمَالِ قَائِمَةٌ بَدُونَ الصَّبْرِ، فَلَوْلَا الصَّبْرُ لَمَا نَجَحَتْ رِسَالَاتُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمَا قَامَ لِلْإِسْلَامِ قَائِمَةٌ إِلَى الْيَوْمِ، فَهُوَ بِمَثَابَةِ الرَّأْسِ فِي الْجَسَدِ فَلَا دَعْوَةَ بَدُونَ صَبْرٍ وَلَا جَسَدَ بَدُونَ رَأْسٍ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟» قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيَتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِذَا كَانَ دِينُهُ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رَقَّةٌ ابْتَلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»<sup>(3)</sup> أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَصْبِرُ أَمَامَ الْإِبْتِلَاءِ وَمَا يَحِلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَائِدِ وَالْمَخَافِ فَإِنَّهُ يَسْتَدْفِعُ مَكَائِدَ الْأَعْدَاءِ، وَإِنْ قَلَّ صَبْرُهُ وَيَشْتَدُّ جَزَعُهُ وَخَوْفُهُ فَيَصِيرُ صَرِيعَ هُمُومِهِ وَفَرِيسَةَ عَدُوِّهِ، يَقُولُ تَعَالَى فِي وَصِيَّةٍ لِقِمَانِ لَابْنِهِ: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

(1) - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ، الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، تَحْقِيقُ: مُصْطَفَى عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، بَابُ ذِكْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 6303 (بِירוْت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط 1، ج 3، 1411هـ/ 1990م)، ص 623.

(2) - التَّنُوخِيُّ، الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ لِلتَّنُوخِيِّ، تَحْقِيقُ: عَبُودُ الشَّالِجِيِّ (بِירוْت: دَارُ صَادِرٍ، ج 1، 1398هـ/ 1978م)، ص 158.

(3) - أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ، الْجَامِعُ الصَّحِيحُ، كِتَابُ الرُّهْدِ، بَابُ 56، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2398، ج 4، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 601. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



كما دَعَا النَّبي ﷺ الأنصار إلى التَّصَبُّر والتَّحُمُّل وجهاد النَّفس بكظم الغيظ والتَّعَفُّفِ عن الحرام والقناعة بما آتاه الله إياه، وتجلَّد على ما ابتلاه الله به حتى يكتسب هذا الخلق العظيم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفَذَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»<sup>(1)</sup>.

هذا الحديث يُنبِّه إلى قاعدة مهمَّة في سنَّة الله في تغيير أخلاق النَّاس وسلوكهم، ومردِّ ذلك بداية الدَّاعية ذاتها، ثُمَّ مباشرته بفطم النَّفس عن الهوى وعن التَّمادي وعن تماذيتها في الشَّهوات وكبح جماح أوامرها بالسُّوء وترويضها على الطَّريق السَّوي، يقول الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: (يصبره الله: أي فإنَّه يقويه ويمكِّنه من نفسه حتَّى تنقاد ويدعن لتحمل الشدَّة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه)<sup>(2)</sup>.

### وممَّا لاشكَّ فيه على الدَّاعية المخلص:

- التَّمسُّك بخلق الصَّبْر، يتحمَّل المشاق والمتاعب لأجل نصرة دعوته وتبليغها، فالصَّبْر من الأخلاق التي بشَّر الله بها أصحابها بالفرج القريب.

- كما على الدَّاعية أن يستحضر النِّيَّة الصَّادقة لهذه الدَّعوة فيغرس جلالتها في وجدانه، فيصبر على المكاره والمخاوف وكل ما يبطل عمله، وفقدان الدَّاعية للصَّبْر كمن فقد درعه يوم الكربة فيقع في حرج شديد خصوصًا عندما يواجه العقول البلهى والوجوه الكلحى، وليعلم أنَّه يواجه عقليات متفاوتة في الإدراك والتَّصوُّر والاستجابة، ويتعامل مع أفراد يختلفون في الطَّبَاع والعقيدة فمنهم المسلم ومنهم الكافر، ومنهم المغفل ومنهم العلماني ومنهم المتطرّف، وهذا ليس بالسَّهل فهو يحتاج إلى طول نفْس وحسن ممارسة وكياسة حتَّى يألفه ويعتاد عليه، فإذا ما تعرَّض إلى كلمات نابية وجارحة في ارض ميدان الدَّعوة، فتحملُه لذلك دليل على السَّيطرة وقوة شكيمة صبره حيث عناه النَّبي ﷺ في حديثه: «ليس الشَّدِيد بالصَّرعة، إمَّا الشَّدِيد الذي يملك نفسه عند الغضب»<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرُّكَاة، باب الإستغفار عن المسألة، رقم الحديث 1469، ص 358.

(2) - (إنَّ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاق، باب الصَّبْر عن محارم الله، رقم الحديث 6470، ج 11، المرجع السَّابق، ص 304.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، باب 76، رقم الحديث 6114، ص 1529.

### - اليقين القلبي للنَّبِيِّ ﷺ وقوّته عند الصَّبْر على البلاء

وما يبعث إلى السَّلوى ويخفّف البلوى حين يبشّر النَّبِيُّ ﷺ أصحاب البلاء والحن الصّابرين بالأجر العظيم الذي ينالهم، كالمرض مثلاً، فإنَّ العبد إذا مرض كتب الله له ما كان يعمل أيام صحته، يكتبه الله ويباركه، ومن ذلك عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقول الله تعالى: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا، فحمدني وصبر على ما ابْتَلَيْتُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجِعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحَفْظَةِ: إِنِّي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ مِثْلَ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ، وَهُوَ صَحِيحٌ»<sup>(1)</sup>.

وقال رضي الله عنه في حديثٍ آخر: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ لَهُ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»<sup>(2)</sup>.

في الحديثين إثارة للعاطفة وحثُّها على الصَّبْر في كلّ الأحوال طلباً لحسن الثواب، الذي تجزى به النَّفس من الأجر العظيم فوجَّهها إلى الإنقياد للصَّبْر واختيار الطَّرِيق الأصوب والأُنفع لها الصَّبْر أم السَّخَط.

فكان الصَّبْر من الموضوعات الهامّة التي عالجها النَّبِيُّ ﷺ في دعوته، وحثَّ عليها أصحابه مبيّناً فضائله وآثاره في حياة الصّابرين:

- **فالحديث الأوّل:** مثَّل النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ يُسَلِّمَ لِقَدْرِ اللَّهِ وقضائه ويحمده على ابتلائه بالمولود الذي لمْ يدنس بجرم وإثم فكذلك من سلّم للقدر فصبر فإنَّ الله يمحو خطايا السَّابِقَة وينقيها منها فيعود طاهراً لا ذنب له.

- **والحديث الثَّاني:** مثَّل المبتلى المؤمن الذي كان يعمل صالحاً حال قوّته وحال صحّته ثمَّ حبسه على ذلك المرض ونحوه، فإنَّ عمله الذي كان يعملُه يكتب له كما في صحّته وهذا فضل الله على المؤمنين الصّابرين<sup>(3)</sup>.

(1) - الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث 2009، ج5، المرجع السَّابِق، ص 20.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسَّير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، رقم الحديث 2996، ص 738.

(3) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسَّير، باب يكتب للمسافر ما كان يعمل، رقم الحديث 2996، ج6، المرجع السَّابِق، ص 136. وسارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدَّعوة من أمثال النَّبِيِّ ﷺ، المرجع السَّابِق، ص 366.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخلتُ على رسول الله ﷺ وه يُوعَكُ وَعْكَاً شَدِيداً، فَمَسِسْتُه بِيَدِي، فَقُلْتُ: يا رسول الله إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكَاً شَدِيداً، فقال رسول الله ﷺ: أَجَلٌ، إِنْ أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فقال رسول الله ﷺ: أَجَلٌ، ثُمَّ قَالَ: رسول الله ما من مسلمٍ يصيبُهُ أذى مرضٍ فما سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهُ»<sup>(1)</sup>.

هكذا النَّبِيُّ ﷺ يصبر على البلاء ويحتسب، ويغتنم الظَّرْفَ الذي يعيشه ترغيباً منه لأصحابه على الصَّبْرِ والإِمْتِثَالِ به، لما فيه من محو الذُّنُوبِ والخطايا، فظهر:

- بأسلوب التَّمْثِيلِ والتَّشْبِيهِ، حيث شَبَّهَ إزالة الذُّنُوبِ ومحوها بتساقط الورق من الشَّجَرَةِ فتظهر بصورة حسنة ونظيفة، هذا الأسلوب يعمل على إثارة الانتباه وتحريك العاطفة إِمْتِثَالاً وترغيباً في الصَّبْرِ والقدرة على التَّحُمُّلِ، وهو ما يجب أن يدركه الدَّاعِيَة ويتحمَّله أَنَّهُ عرضة للبلاء، لأنَّ طريقه طريق الأنبياء تعرَّضُوا لابتلاءات مختلفة فوجوب التحلِّي بالصبر في جميع الظروف الصحيَّة كانت أو الاجتماعيَّة والإحتساب الأجر عند الله تعالى، ومن ذلك نبيُّ الله أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ دَاوَى رَبُّهُ أَفْنَى مَسْنَى الضُّرِّ وَانْتَأَرَحُمُ الرَّحِمِ﴾<sup>(٨٣)</sup> فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ<sup>(٨٤)</sup> وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنْ

الصَّابِرِينَ<sup>(٨٥)</sup> [الأنبياء: 83-85] يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (والحاصل أَنَّهُ أثبت أَنَّ المرض إِذَا اشتد ضاعف الأجر ثُمَّ زاد عليه بعد ذلك أَنَّ المضاعفة تنتهي إِلَى أَنَّ تحطَّ السيئات كلها وقال: شدَّة المرض ترفع الدرجات وتحطُّ الخطيئات حتَّى لَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ)<sup>(2)</sup> ويقول العلامة الماوردي رحمه الله: (وليس لمن قلَّ صبره على طاعة الله تعالى حظٌّ من بَرٍّ وَلَا نصيب من صلاح، ومن لم ير لنفسه صبراً يكسبها ثواباً ويدفع عنها عقاباً كان مع سوء الإختيار بعيداً من الرِّشَادِ حقيقاً بالضَّلال)<sup>(3)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب أشدُّ النَّاسِ بلاءَ الأنبياء ثُمَّ الأمثل فالأمثل، رقم الحديث 5648، ص 1432.

(2) - (إِنَّ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب أشدُّ النَّاسِ بلاءَ الأنبياء ثُمَّ الأمثل فالأمثل، المرجع السَّابِق، ص 112.

(3) - خالد بن جمعة بن عثمان الخزاز، موسوعة الأخلاق، المرجع السَّابِق، ص 76.

وعلى ضوء هذه الصُّور النّاطقة والأمثلة الحيّة من الصَّبْر والتَّحَمُّل يستدعي من الدّاعية:

- أن يدرك بأنّ طريق الدّعوة عرضة للمحن والبلاء، فيحتميه ويمدّه بالقوّة والصَّبْر فهو ليس أفضل من الأنبياء - عليهم السّلام - فقد كانوا أشدّ بلاء وأكثر أذى.

- كما عليه أن يظهر للمدعو الصُّورة المشرقة للدّعوة عندما يجدونه المثل والقُدوة، لا يعرف للسَّخَط طريقاً ولا للضَّجر مَنفذاً فيرضون ويقبلون ما نزل به بنفس مطمئنّة، قيل للشَّعبي في نائبة: (كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين خير منشور وشرّ مستور)<sup>(1)</sup>.

- أن يجعل من موضوع الصَّبْر حظاً من دعوته في ترسيخه لأهمّ قاعدة للأخلاق وأصلاً من أصول الإسلام الرّائدة، كما كان النَّبِيُّ ﷺ يرثمها سلوكاً في سيرته مع أصحابه فينسُخها في أفئدتهم لتنطق بها جوارحهم العاملة قبل أن تُعرب عنها ألسنتهم الكامنة، كيف لا وهو سيّد الأخلاق وأميرها، فإذا تحقّقت في حياة المدعوين فما سواه أيسره، وقد أفصح عليه الصّلاة والسّلام بالخير العميم الذي يناله الصّابرون فيقول: «وما أعطي أحدٌ من عطاءٍ خيراً وأوسع من الصبر»<sup>(2)</sup> وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّهُ خير، وليس ذلك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإنّ إصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له»<sup>(3)</sup>.

- تلبّسه بخلق الصَّبْر الذي يجلبُ للدّعوة الظَّفَر واستمرارية التَّمكين، والإعذار عند الله بما كلّفه ربُّه، ليس على حساب مصلحته الشَّخصية والذّاتية، وإنما لتحقيق مرضات الله في دينه وعبيده.

- كما على الدّاعية إظهار الصُّورة المشرّفة واللائقة للدّعوة وحملها للمدعوين عندما يرون أن أهل الدّعوة يرضون ويقبلون ما حلّ بهم من البلاء بأنفسٍ راضية وقوّة إيمان عالية، لا يعرفون للسَّخَط ولا الضَّجر مكاناً في قلوبهم، سيتعاطفون معهم ويُقبلون عليهم، ولأنّ الواقع يحتم عليهم ذلك، فنجد حقائق ومشاهد أثبتت جدارة بعض حملة الدّعوة من قوّة تحمّل وصبر لائقين وهم يتعرّضون للنَّهب والظُّلم والإعتداء وسلب الحقوق وغيرها.

(1) - الماوردي، أدب الدُّنيا والدِّين، المرجع السّابق، ص 283

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرّكاة، باب فضل التَّعَقُّف والصَّبْر، باب 42، رقم الحديث 1053، ص 465.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرُّهْد والرفاق، باب المؤمن أمره كلّهُ خير، رقم الحديث 2999، ص 1364.

## رابعًا: الدَّعوة إلى التَّحلي بخلق التَّوَدُّد والتَّراحم والتَّعاطف

### أ- مفهوم التَّوَدُّد والتَّراحم والتَّعاطف

هذا الخلق الفضيل يعبر عن معاني الوُدِّ والتَّوَدُّد والمحبة والتَّعاطف، فالوُدُّ كما عرّفه العلامة الجاحظ رحمه الله: (هو المحبة المعتدلة من غير إتباع الشهوة، والودّ مستحسن من الإنسان إذا كان وده لأهل الفضل والتُّبَل، وذوي الوقار والأُبهة، والمتميّزين من النَّاس، وأحسن الودّ ما نسجته بين منوالين متناسبة الفضائل وهو أوثق الودِّ وأثبت، فأما ما كان ابتدأه اجتماعاً على هزل أو لطلب لذّة فليس محموداً وليس بباق ولا ثابت)<sup>(1)</sup>.

ويوضّح الإمام ابنُ أبي حمزة رحمه الله هذه القيم مفرّقا بينها، وإن كانت متقاربة في المعنى لكنّ بينها فرق طفيف - التَّراحم - والتَّوَدُّد - والتَّعاطف:

- فالتَّراحم بمعنى: أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب آخر.

- وأما التَّوَدُّد: المراد به التَّواصل الجالب للمحبة كالترّاور والتَّهادي.

- أما التَّعاطف: إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه<sup>(2)</sup>.

### ب- تطبيقات خلق التَّوَدُّد والتَّراحم والتَّعاطف في دعوة النَّبي ﷺ

جمع النَّبي ﷺ قيماً وأساليب في أجمل صورها وأرقّ معانيها، تجسّد فيها البعد الإنساني بشكل قوي، يدعو إلى تعظيم حقوق المسلمين، والحضّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضاً<sup>(3)</sup>، ومن جملة ما:

### - بيانه قيمة التَّوَدُّد والتَّعاطف بين النَّاس

بيّن النَّبي ﷺ في أحاديث كثيرة قيمة التَّوَدُّد والتَّراحم والتَّعاطف بين النَّاس، فمثّلهم في تبادل الرّحمة والمودة والعطف بالجسد في روابطه العضوية، إذا مرض عضو مرضت باقي الأعضاء فقال ﷺ: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى»<sup>(4)</sup>.

(1) - الجاحظ، تهذيب الأخلاق، المرجع السابق، ص 25.

(2) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمته بالنَّاس والبهائم، المرجع السابق، ص 439. وعُلوي بن عبد القادر السَّقَّاف موسوعة الأخلاق، القسم العلمي بمؤسسة الدُّرر السُّنية، د، ط، د، ت، ص 5.

(3) - فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي، تطرّيز رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزبير آل حمد، باب تعظيم حرّامات المسلمين وبيان حقوقهم، رقم الحديث 224 (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط 1، ج 1، 1423هـ/2002م)، ص 174.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمته بالنَّاس والبهائم، رقم الحديث 6011، ص 1508.

تلكم هي القيم تمثل مدى رقة الأفئدة التي بها يصدق الوجدان قبل معانقة الأمتان -الأجساد- هي وحدة الأجساد بالطفء عبارة وعاطفة بأشد إثارة شبتهم فيها النبي ﷺ بالجسد الواحد المترابطة أجزاء المتوافقة أعضاؤه والتي لا تنفك عنه بحال من الأحوال فيقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: 27] وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] ويقول الإمام النووي رحمه الله معلّقاً على معاني الحديث: (هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين ببعضهم البعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاطف في غير إثم أو مكروه وفيه جواز التشبيه، وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام قوله ﷺ: تداعى لها سائر الجسد، أي: دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك ومنه قوله تداعى الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط).<sup>(1)</sup>

#### ومن جملة الأساليب المستوحاة من الحديث:

- أسلوب الأمثال والذي بدوره منهج عاطفي تجسّد في مواضع كثيرة في دعوة النبي ﷺ، يثير العاطفة بتقريب المعنى وغرس الفهم، - وقد تطرّقنا إليه سابقاً.
- وأسلوب المشاركة الوجدانية والإحساس بالآلام المدعوين لينشأ عن ذلك تقوية روابط التواصل معهم من رافة ومودة وإحساسهم بعدم الاستغناء عنهم، يقول العلامة القاضي عياض رحمه الله: (فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً، وشبه الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أحل المرء بشيء من التكاليف شأن ذلك الإخلال الأصل وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضائه كالأغصان فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها، كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها اهتزت الأغصان كلها بالتحرك والإضطراب).<sup>(2)</sup>

(1) - النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث

2586، ج16، المرجع السابق، ص 139

(2) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث 6011،

ج10، المرجع السابق، ص-ص 439، 440.

وقد أكَّد النَّبي ﷺ هذا المعنى في حديثٍ آخر: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ»<sup>(1)</sup> فأوضح قيمة التَّوَدُّدِ والتَّعَاطُفِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ خِلَالِ أُسْلُوبِ الْأَمْثَالِ، حَيْثُ مَثَّلَ الْمُؤْمِنُونَ فِي التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَشَدُّ الْبَنِيَانِ لِقُوَّةِ أَوَاصِرِ التَّكَافُلِ الْإِجْتِمَاعِيِّ وَالتَّضَامَنِ، وَيَزِيدُ مِنْ قِيَمَةِ الشُّعُورِ بِالْآخَرِ، فَرِطُ التَّحَابِّ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّوَدُّدِ إِلَى النَّاسِ بِالْإِيمَانِ فَقَالَ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَّلًا، أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(2)</sup>.

ويقول الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْخَزَنَدَارُ: (وَالسَّلَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْإِرْتِيَاكُ الْقَلْبِيُّ الْمُبَادَلُ وَمَا التَّحِيَّةُ إِلَّا مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِهِ)<sup>(3)</sup>.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدْعُو إِلَى التَّآخِي وَالْمُودَّةِ فَيَقُولُ: «.. وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(4)</sup> يُبَيِّنُ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْنَى الْأُخُوَّةِ الْمَقْصُودِ مِنْهَا فِي الْحَدِيثِ بِالْقَوْلِ: (اِكْتَسَبُوا مَا تَصِيرُونَ بِهِ كِإِخْوَانِ النَّسَبِ فِي الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْمُوَاسَاةِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَبَيْنَهُمْ عَنْ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ)<sup>(5)</sup> يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم الحديث 471، ص 128، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصَّلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم الحديث 2585، ج 4، ص 1999.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأنَّ محبة المؤمنين من الإيمان وأنَّ إفشاء السَّلَامِ سبب حصولها، رقم الحديث 54، ص 73.

(3) - محمود مُحَمَّدُ الْخَزَنَدَارُ، هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا المرجع السَّابِق، ص 206.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث 2564، مج 1، ص 1986، وفي الموطأ للإمام مالك بُنِّي أَنَسَ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة، المرجع السَّابِق، رقم الحديث 1740، المرجع السَّابِق، ص 694.

(5) - مالك بُنِّي أَنَسَ، موطأ الإمام مالك، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة، رقم الحديث 15، المصدر السَّابِق، ص 908. وابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التَّحَاسُدِ والتَّدَابُرِ رقم الحديث 6064، ج 10، المرجع السَّابِق، ص 483.

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التَّهْيِ عَنْ التَّحَاسُدِ والتَّدَابُرِ، رقم الحديث 6064، ص 1519. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب تحريم الظَّنِّ والتَّجَسُّسِ والتَّنَافُسِ والتَّجَاشِ وَنَحْوِهَا، رقم الحديث 2653، مج 1، ص 1192.



فالمراد ترك الظن الذي يضرّ بالآخر -المظنون به- وما يقع في القلب من غير دليل ومن خواطر تستولي على القلب فتستقرّ في أعماقه فيقلب الخواطر حقائق، يؤيّد هذا حديث النَّبي ﷺ: «تجاوز الله للأمة عمّا حدّث به أنفسها»<sup>(1)</sup> يقول الإمام النووي رحمه الله في معنى الحديث: (أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة في كلِّ حال)<sup>(2)</sup>.

ويقول بعض العلماء: (وفي التّهي عن التّباض إشارة إلى التّهي عن الأهواء المضلّة الموجبة للتّباض)<sup>(3)</sup>.

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني المقصود بهذه الإخوة بقوله: (المعنى كونوا كإخوان النّسب في الشّفقة والرّحمة، والمحبة، والمواساة، والمعاونة والنّصيحة)<sup>(4)</sup>.

**فكانت من جملة المواقف التي شهدت بتوّد النَّبي ﷺ :**

عن حنظلة ؓ - أحد كتّاب رسول الله ﷺ - قال: «لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ؓ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟، قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسُنَا<sup>(\*)</sup> الْأَزْوَاجُ وَالْأَوْلَادُ وَالضَّيِّعَاتِ<sup>(\*)</sup> نَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ ؓ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَنَاطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسُنَا الْأَزْوَاجُ وَالْأَوْلَادُ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان والتّوّد، باب إذا حدث ناسياً في الإيمان، رقم الحديث 6664، ص 1651.

(2) - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث 2558، ج16، المرجع السّابق، ص 173.

(3) - المرجع نفسه، ص 176.

(4) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج12، المرجع السّابق، ص 105.

(\*) - عَافَسُنَا: معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به، أي عالجنا معاشنا وحظوظنا (صحيح مسلم، كتاب التّوبة، باب فضل دوام الذّكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم الحديث 2750، ص 2106).

(\*) - الضّيِّعات: جمع ضيعة وهي معاش الرّجل من مال أو حرفة أو صناعة (المصدر نفسه، ص 2106).

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التّوبة، باب فضل دوام الذّكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم الحديث 2750، ص 2106.

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «كنت أوضئ رسول الله ﷺ ذات يوم فرفع رأسه فنظر إليّ، فقال: يا أنس، أما علمت أنّ من مَوْجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ إِذْخَالَكَ الشُّرُورُ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ، تُنْقِصُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تُفَرِّجَ عَنْهُ غَمًّا، أَوْ تُزْجِي لَهُ صَنْعَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَخْلُقُهُ فِي أَهْلِهِ»<sup>(1)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله إنّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ»<sup>(\*)</sup>، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تَسِفُّهُمْ الْمَلَأُ<sup>(\*)</sup> ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»<sup>(2)</sup> فأَيَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ على تَوَدُّدِهِ إِلَيْهِمْ، وإن لم يجد منهم مقابلاً لما يقوم به، إلاّ الإساءة<sup>(3)</sup>.

وهذه من صفات المروءة التي قال عنها ميمون بن مهران: (المروءة: طلاقة الوجه، والتودُّد إلى النَّاسِ وقضاء الحوائج)<sup>(4)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنّ رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقيل له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله ﷺ: إنّ أبا هذا كان وُدّاً<sup>(\*)</sup> لعمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ أَبْرَ الْبِرِّ: صلة الولدِ وُدَّ أبيه»<sup>(5)</sup>.

(1) - أخرجه ابنُ أبي الدنيا في قضاء الحوائج، تحقيق: مجدي السيّد إبراهيم، رقم الحديث 34 (القاهرة: مكتبة القرآن، د، ط، ج1، د، ت)، ص 45.

(\*) - ويجهلون عليّ: أي: يسيئون، والجهل هنا القبيح من القول وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق آكل الرّماد الحرّ من الألم (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث 2558، ص 1982).

(\*) - تَسِفُّهُمْ الْمَلَأُ: أي: تطعمهم الرّماد الحار (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث 2558، ص 1982). (شرح التّووي على مسلم، 115/16).

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث 2558، ص 1982.

(3) - علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الأخلاق، المرجع السّابق، ص 9.

(4) - المرجع نفسه، ص 11.

(\*) - وُدّاً: صديقاً من أهل موَدَّتِهِ، وهي محبّدته (في صحيح مسلم، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، رقم الحديث 2552، ص 1979)، والودُّ هنا مضموم الواو وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمّن لبرّ الأب وإكرامه، لونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزّوج والزّوجة (موسوعة الأخلاق، ص 10) و(شرح التّووي على مسلم، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ج 16، ص-ص 109، 110).

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، رقم الحديث 2552، ص 1979.

وتجلى أسلوب النَّبي ﷺ مع اليهود ملاينة وتودُّدًا لهم وقد قال تعالى في ذلك: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

فأمن لهم الحرية الدينيَّة وأمنهم على أموالهم ومدَّ لهم يده الكريمة ليدافعوا معاً عن المدينة إذا أغاروا عليها، لكن نيران الحسد التي اشتعلت في قلوبهم أعمَّتْهم عن الحقيقة، فأخذوا في حقدهم وحسدهم أمدًا بعيداً، حيث كانوا يخطِّطون للقضاء على الإسلام وأهله، وبرغم تودُّده ﷺ ودعوته لهم برفقٍ ولينٍ أصرُّوا على موقفهم العدائي له، إلَّا أنَّ هناك من شهد منهم بصدق رسالته ﷺ وهو عبد الله بن سلام - كان حبراً عالماً - قال: «لَمَّا سمعت رسول الله ﷺ عرفت صفته واسمته وزمانه وهيئته، والذي كنَّا نتوكَّف - نتوقع - له، فكنت مُسِرًّا لذلك صامتاً عليه حتَّى قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة، فلمَّا قدِمَ نزل بقاء في بني عمرو بن عوفٍ، فأقبل رجلٌ حتَّى أخبر بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمَّتي خالدة بنتُ الحارثِ تحتي جالسةً، فلمَّا سمعتُ الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرتُ، فقالت لي عمَّتي حين سمعت تكبيري: لو كنت سمعت بموسى بنِ عمران قادماً ما زدت!؟ قلتُ لها: أيَّ عمَّة، هو والله أخو موسى بنِ عمران وعلى دينه، بُعثَ بما بُعثَ به، فقالت لي: أيُّ ابنِ أخ، أهو النَّبي الذي كنَّا نُحِبُّ به أَنه بُعثَ مع نَفْسِ السَّاعَةِ، فقلت: نعم، قالت: فذاك إذا، قال: ثمَّ خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمتُ، ثمَّ رجعتُ إلى أهلِ بيتي فأمرتهم فأسلموا»<sup>(1)</sup>.

وقصة صفيَّة بنتِ حُيَّي بنِ أخطَب رضي الله عنها مع عمَّتها وأبيها وقول عمَّتها لأبيها أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيتُ<sup>(2)</sup>.

وعليه فإنَّ التَّودُّدَ مِنَ الأخلاق التي تعكس الجمال الرُّوحي والوجداني والجانب الأخلاقي الذي تجسَّد في دعوة النَّبي ﷺ عموماً وفي شخصيته على وجه التَّحديد، لتكميله وتعزيزه في المجتمع الإسلامي وعلى مستوى الدُّعاة إلى الله، فاعتُبر من أحسن الأخلاق تأثيراً لكونه وسيلة ناجعة لكسب القلوب وطريقاً موصلاً للحبِّ والألفة، يقوِّي الرُّوابط ويزيد اللُّحمة بينهم، يقول أبو حاتم: (الواجب على العاقل أن يتحبَّب إلى النَّاس بلزوم حسن الخلق وترك سوء الخلق، لأنَّ الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشَّمْسُ الجليد، وإنَّ الخلق السيِّئ ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل،

(1) - سيرة ابن هشام، ج2، المرجع السابق، ص - ص 163، 164.

(2) - المرجع نفسه، ص 166.

وقد تكون في الرَّجل أخلاق كثيرة صالحة كُلُّها، وخلق سيئ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الصَّالحة كُلُّها<sup>(1)</sup>.

#### ب- بيان قوله ﷺ إرحموا ترحموا

لقد كانت الرَّحمة جانباً عظيماً في شخصية النَّبي ﷺ وصورة لنفسه الكريمة، فالبرُّ أمامه والرَّحمة محيطه به من كلِّ جانب، سواء كان ذلك في حال يسره أو عسره أو كان مع موافقيه أو مخالفه<sup>(2)</sup> ولم لا وهو الذي يقول: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»<sup>(3)</sup>.

ويقول أسامةُ بن زيد ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدني على فخذه ويُقعد الحسن على فخذه الأخرى ثمَّ يضمُّهما ثمَّ يقول: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا»<sup>(4)</sup>.

وكان يوصي ﷺ بها أصحابه ويحثُّ أُمَّته على التَّراحم فيما بينهم، حتَّى أنَّه جاء محفَّراً ومرعَّباً للخلق بهذه القيمة النبيلة ثبتت في أحاديث كثيرة جاء فيها مادحاً أهلها وذمَّ من لم يتصف بها، فقال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَانُ، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء»<sup>(5)</sup>، وعن أبي هريرة ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «لا تنزع الرَّحمة إلاَّ مَنْ شقي»<sup>(6)</sup>.

وفي حديث عمرو بن حبيب ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: «خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ»<sup>(7)</sup> وقال: «حَرَّمَ عَنِ النَّارِ كُلِّ هَيْئٍ لَيْسَ سَهْلٌ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ»<sup>(8)</sup>.

لذلك فقد علَّم النَّبي ﷺ أصحابه على هذا الخلق العظيم، وجعله من دلائل الكمال ليتراحموا فيما بينهم، ولتندوِّق قلوبهم نداوة الرَّحمة فقال تعالى عنهم: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾

(1) - علوي بُن عبد القادر السَّقَاف، موسوعة الأخلاق، المرجع السَّابق، ص 11.

(2) - مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الرَّحمة والعظمة في السَّيرة النَّبوية، المرجع السَّابق، ص 49.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث 5997، ص 1506.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب وضع الصَّبي على فخذه، رقم الحديث 6003، ص 1507.

(5) - أخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب ما جاء في رحمة المسلمين، رقم الحديث 1924، ج 3، المصدر السَّابق، ص 483. وقال التَّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(6) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرَّحمة، رقم الحديث 4942، ج 4، المصدر السَّابق، ص 285. وقال: أخرجه التَّرمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(7) - الألباني، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهاها وفوائدها، رقم الحديث 456، ج 1، المرجع السَّابق، ص 818.

(8) - أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، رقم الحديث 3938 (مؤسَّسة الرِّسالة، ط 1، ج 7، 1421هـ/2001م)، ص 52. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ [آل عمران: 157].  
[المائدة: 54] وقال تعالى أيضًا:

وَمَنْ يَنَالَ رَحْمَةَ اللَّهِ الذِّينَ اِمْتَلَأَتْ قُلُوبُهُم بِالرَّحْمَةِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ارْحَمُوا تَرْحَمُوا، وَاعْفُوا يُعْفَى لَكُمْ»<sup>(1)</sup>.  
وفي سنن أبي داود والترمذي قال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مِنَ السَّمَاءِ»<sup>(2)</sup>.

فالنَّبي ﷺ لحرصه كان يَحْتَثُّ عَلَى الرَّحْمَةِ ويدعو إليها لما فيها مِنَ الْآثَارِ الطَّيِّبَةِ التي تنعكس على المعاملات فتحسِّن العلاقات بين النَّاسِ وتنجذب القلوب إليها، فأمر الدُّعَاةَ بهذا الخلق لِأَنَّ دَعْوَتَهُمْ رَحْمَةٌ، وَرَحْمَةُ الدَّاعِيَةِ بِالْمَدْعُوعِينَ وَشَفَقَتُهُ لَهُمْ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ الْجَذْبِ وَالْقَبُولِ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ نَابِعَةً قَلْبُهُ كَخَوْفِهِ عَلَيْهِمْ وَشَفَقَتُهُ وَحِرْصُهُ، هَذِهِ الرَّحْمَةُ تَوْرَثُ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ وَتَوْرَثُ اللَّيْنَ فِي الْقَلْبِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَابْنَ ابْنَتِهِ الْمَتَوِّفِيَّ، رَفَعَ الصَّيِّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَقَعَّقَ فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ سَعْدُ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ»<sup>(3)</sup>.

وعَنْ أَبِي سَلِيمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحَوِيرِثِ قَالَ: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَابَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرُونَ لَيْلَةً، فَظَنُّنَا أَنَّا إِشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَقِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤْمَرْكُمْ أَكْبَرُكُمْ»<sup>(4)</sup>.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَبُلَ عَلَى الْأَخْلَاقِ فَأَخَذَتْ مِنْ صِفَاتِهِ الْقِسْطُ الْأَوْفَرُ، وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ شَفَقَتُهُ ذُرْوَتَهَا عَلَى قَوْمِهِ لِامْتِنَاعِهِمْ فَوْشَى حَزَنِهِ عَلَيْهِمْ، إِلَى الْعِتَابِ الرَّبَّانِيِّ الرَّقِيقِ كَأَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ بِمَا يَشْبَهُ الْعِتَابَ فِي الظَّاهِرِ: (لَمْ كُلْ هَذَا؟ لَيْسَ فِي امْتِنَاعِهِمْ أَثَرٌ، وَلَا فِي الدِّينِ مِنْ ذَلِكَ فِي ضَرَرٍ، فَمَا عَلَيْكَ

(1) - أخرجه أحمد في سننه، مسند عبد بن عمرو بن العاص ﷺ، رقم الحديث 6541، ج 11، المصدر نفسه، ص 99. وإسناده صحيح.

(2) - أخرجه الترمذي في سننه في الجامع الكبير، كتاب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في البرِّ والصَّلة، رقم الحديث 1924، المصدر السابق، ص 483. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النَّبي ﷺ: «يَعَذَّبُ الْمَيِّتُ بَعْضُ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ النَّوْخُ مِنْ سَنَّتِهِ»، رقم الحديث 1284، ص 310.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة النَّاسِ والبهايم، رقم الحديث 2008، ص 1508.

إِلَّا الْبَلَاغُ فَإِنْ آمَنُوا فِيهَا، وَإِلَّا فَكُلُّهُمْ سَيُرُونَ يَوْمَ الدِّينِ مَا يَسْتَحِقُّونَ<sup>(1)</sup> فيقول عنه الإمام ابنُ القيم رحمه الله: (كانت نفسه -ﷺ- ملئت رحمة عليهم حتَّى كادَ يهلك نفسه وهو يدعوهم)<sup>(2)</sup>.

فبيان قوله ﷺ إرحموا ترحموا لم تكتفِ بصنوف النَّاسِ فقط بلْ شملت البهائم والدَّواب عن أبي هريرة ؓ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش، فوجدَ بئراً فنزل فيها فشرب، ثمَّ خرج فإذا كلبٌ يلهثُ يأكلُ الثرى من العطش، فقال الرَّجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ العطشُ مثلُ الذي كان بلغ بي، فنزل البئرَ فملاً خُفَّهُ ثمَّ أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ»<sup>(3)</sup>.

### وأمام هذه الصُّور النَّاطقة نجد:

- أنَّ الدَّاعية إلى الله يحتاج إلى كمٍّ من الأخلاق في سبيل إنجاح دعوته، فهو يحتاج إلى العلم والبصيرة والحلم والرِّفق، واللِّين والصَّبْر، والرَّحمة والعفو، والتَّواضع، والحياء والتَّفاؤل، والقصد والإعتدال وغير ذلك، والدَّاعية الخلق قدوة بذاته، فأخلاقه تكشف المعدن الأصيل من الرِّائف، والنَّاس طبيعياً يميلون للموطئ أكنافاً ممَّن تُونس اليهم النفوس، فهذه الأخلاق تجذب النَّاس كما تجذب الأزهار النحلة.

- على الدَّاعية أن ينظر إلى مدعويه نظرة رحمة وشفقة ومودة فيتلطَّف في دعوتهم، فإن رأى منهم عزوفاً اتخذ كلَّ السُّبل والطُّرق لتوصيل ما ينفعهم ولا يتركهم وشأنهم، يقول الدُّكتور عبد الكريم زيدان: (فالدَّاعي الرِّحيم لا يكفَّ عن دعوته، ولا يسأم من الردِّ والإعراض، لأنَّه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن إعراضهم بسبب جهلهم فهو لا ينفكَّ عن إقناعهم وإرشادهم)<sup>(4)</sup>.

- كما يستوجب عليه أن يقوم بدعوة كل فرد في الأمَّة المسلمة، وكل جماعة، وكل أسرة، وكل مجموعة، إلى التَّمسك بمثل هذه الأخلاق وتأكيد الالتزام بها من أوسع المستويات، لما فيها من تعزيز للانتماء اللبني وسبيل في حلِّ العديد من المشكلات الشَّخصية والإنسانية والاجتماعية، فالحاكم مثلاً: عليه أن يتحاكم إلى منهج الله في كلِّ ما يتصل بحياة النَّاس من حقوق وواجبات، وقضاء للحاجات، وحلِّ للمشكلات الاجتماعية، وتحقيق للعدالة بينهم، فهو مسؤول وراع وهو المنوط به للحفاظ على الأخلاق الإسلامية في الدولة.

(1) - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني (مصر: الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ط3، ج3، د، ت)، ص 6.

(2) - علي بن عمر بن أحمد بادحدح، مقومات الدَّاعية النَّاجح، المرجع السَّابق، ص 34.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة النَّاس والبهائم، رقم الحديث 2008، ص 1508.

(4) - عبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 344.



## المطلب الثالث: استخدام النبي ﷺ للمنهج العاطفي في التحذير من الأخلاق الذميمة

سبق الحديث عن الأخلاق الحميدة التي حثَّ النبي ﷺ أمته على التمسك بها والعمل بمقتضاها، فربَّ أصحابه على التخلُّق بكَمالياتها، وحذَّره من سيئها التي تفضي بهم إلى التشبُّه بأهل النفاق والتَّخلُّق بأخلاقهم، فيستفاد من هذا أنه ﷺ كان حريصاً على إشاعة هذه الأخلاق ومُحذِّراً من ذميمة، والدَّعوة في أصلها هي دعوة إلى ترسيخ قاعدة في الأخلاق لما فيها خير للأُمَّة الإسلامية وصلاحها.

وبالتَّأَمُّل إلى ما يُجلبه سوء الأخلاق من الحسرة والتَّدامة من إتيان البغض والكراهية، جدير بالدَّاعية أن يقصِّر من مساوئ الأخلاق ويتجنَّبها، فيلجأ إلى محاسنها التي تولد التَّفاهم والانسجام، يقول الإمام ابنُ القيم رحمه الله: (ومن عقوباتها أي: سوء الخلق سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه، فإنَّ أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينيه فأسقطه من قلوب عباده، وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك، فعاش بينهم أسوء عيش خامل الذكر ساقط القدر زري الحال، لا حرمة له فلا فرح له ولا سرور فإنَّ خمول الذكر وسقوط القدر والجاه يجلب كل غمٍّ وهمٍّ وحزن ولا سرور معه ولا فرح وأين هذا الألم من لَذَّة المعصية)<sup>(1)</sup>.

وقبل التَّفصيل في أثر الأخلاق الذميمة في دعوة النبي ﷺ وطريقته المثلى في محاربتها وتعديلها، يستدعي منَّا التَّعرُّف على معانيها من النَّاحية الإصطلاحية.

### - مفهوم الأخلاق الذميمة

- يعرفها العلامة الجاحظ مبيِّناً أصناف النَّاس ذوي الأخلاق الذميمة بالقول: (الأخلاق الذميمة هي الأخلاق المكروهة في طباع النَّاس، إلَّا أنَّ فيهم من يتظاهر بها وينقاد لها، وهم شرار النَّاس، وفيهم من ينه بجودة الفكر، وقوَّة التَّمييز على قبحها، فيأنف منها ويتصنَّع لاجتنابها، وذلك يكون عن طبع كريم ونفس شريفة، وفيهم من لا ينتبه لذلك، إلَّا أنَّه إذا نُبه عليه أحسَّ بقبحه، فربَّما حمد نفسه على تركه، وفيهم من إذا تنبَّه لما فيه من النَّقائص أو نُبه عليها، ورام العدول عنها، تعذر عليه ذلك، ولم يطاوعه طبعه، وإنَّ كان مؤثِّراً للعدول عنها مجتهداً في ذلك، وهذه الطَّائفة تحتاج إلى أن تُرشدَ إلى

(1) - خالد بنُ جمعة بنُ عثمان الخزاز، موسوعة الأخلاق، المرجع السَّابق، ص 70.



طريق التدُّرب والتَّعامل على العادات المحمودة حتَّى تصير إليها على التَّدرِج، ومن النَّاس من يَنْتبه على الأخلاق الرَّدِيئة أو يَنْبَه عليها، فلا يَحْنُ إلى تجنُّبها ولا تَسمح له نفسه لمفارقتها، بل يُوْثِر الإصرار عليها مع علمه برداءتها وقبحها، فهذه الطَّائفة ليس إلى تهذيبها إلَّا بالقهر والتَّخويف والعقوبة إنَّ لم يردعها التَّرهيب<sup>(1)</sup>.

- وفي تعريف آخر لها: (الخلق المذموم هو صفة ثابتة في النَّفس فطرية أو مكتسبة، تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء، كالأخذ بالباطل أو الشرُّ أو القبح، وترك الحقِّ أو الخير أو الجمال، إتباعاً للهوى أو الشَّهوة)<sup>(2)</sup>.

ويمكن تمييز الأخلاق الذَّميمة عن غيرها بأنَّها: (كلُّ سلوك فردي واجتماعي تلتقي النَّفوس البشرية على استقباحه واستنكاره، مهما اختلفت أديانها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها ومفاهيمها، ويلحق به ما كان أثراً من آثاره، أو فرعاً من فروعهِ)<sup>(3)</sup> فعاقبة المرأة التي تصوم النَّهار وتقوم اللَّيل ولكنَّها تسوء معاملة جيرانها دليل ذلك، قيل للنَّبي ﷺ: «يا رسول الله إنَّ فلانة تقوم اللَّيل وتصوم النَّهار، وتفعل وتصدَّق وتؤْذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا خير فيها هي من أهل النَّار، قالوا: وفلانة تصلِّي المكتوبة، وتصدَّق بأثوار، ولا تؤْذي أحداً، فقال رسول الله ﷺ: هي من أهل الجنَّة»<sup>(4)</sup>.

ومن أمثلة هذه الأخلاق الغدر والخيانة والظُّلم والغيبَةُ والكبر والكذب والقسوة وغيرها كثير، ممَّا يستوجب على الدَّاعية التَّخلِّي عنها، إذ التَّخلية هنا أهمُّ من التَّحلية، فتأتي دعوة النَّبي ﷺ سامقة: «إذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(5)</sup>. وعليه سأعرض في هذا المطلب تطبيقات بعض الأخلاق التي نَقَر منها النَّبي ﷺ ولم يتعامل بها، وحاربها بحكمة وعقلانيَّة وبعاطفة لا مثيل لها كان من جملتها :

(1) - الجاحظ، تهذيب الأخلاق، المرجع السَّابق، ص 14.

(2) - عبد الرَّحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المرجع السَّابق، ص 16.

(3) - المرجع نفسه، ص 16.

(4) - الألباني، صحيح الأدب المفرد، باب لا يؤْذي جاره، باب 57، رقم الحديث 119 (المملكة العربية السُّعودية: مكتبة الدليل، ط4، 1418هـ/1997م)، ص 69.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإعتصام بالكتاب والسُّنة، باب الإقتداء بسنن النَّبي ﷺ، رقم الحديث 7288، ص 1800، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقير النَّبي ﷺ وترك سألَه عمَّا لا ضرورة اليه، رقم الحديث 1337، ص 1106.

## ثانيًا: التحذير من خلق الكبر

### أ- مفهوم الكبر

#### – لغة

- يعرفه العلامة ابنُ منظور بالقول: (الكِبَرُ: العظمة والتَّجَبُّرُ، كالكِبَرِيَاءِ، وقد تَكَبَّرَ واستَكَبَّرَ وَتَكَابَّرَ، والتَّكَبُّرُ والاستِكْبَارُ: التَّعَظُّمُ، والكِبَرُ بالكسر: إسم من التكبر)<sup>(1)</sup>.
- ويعرفه العلامة الرَّازي بالقول: (ومن الباب الكِبَرُ، وهو الهَرَمُ، والكِبَرُ: العَظَمَةُ، وكذلك الكِبَرِيَاءُ، ويقال: ورثوا المجد كَابِرًا عن كَابِرٍ، أي كَبِيرًا عن كَبِيرٍ في الشَّرَفِ والعِزِّ، وعلتْ فُلَانًا كَبَرَةً، إذا كَبَرَ. ويقال: أَكْبَرْتُ الشَّيْءَ: اسْتَعْظَمْتُهُ)<sup>(2)</sup>.

#### – اصطلاحًا

- عَرَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ في سياق الحديث: «الْكِبَرُ بَطَرٌ (\*) الْحَقُّ، وَعَمَطٌ (\*) النَّاسُ»<sup>(3)</sup> ناهيًا عن التكبر المعروف بالارتفاع على الناس واحتقارهم، فحقيقة الكبر استعظام المتكبر نفسه واستصغار قدر غيره، فيدفعه ذلك إلى رذائل ومهلكات<sup>(4)</sup>.
- ويعرفه العلامة الجاحظ رحمه الله بالقول: (هو استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له)<sup>(5)</sup>.
- ويعرفه الحافظ ابنُ حجر رحمه الله بالقول: (الكبر الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجاب بنفسه وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم ذلك أن يتكبر على الله تعالى، بأن يتمتع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة)<sup>(6)</sup>.

(1) – ابنُ منظور، لسان العرب، مادة كبر، ج5، المصدر السابق، ص 125.

(2) – الرَّازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، د، ط، ج5، 1399هـ/1979م)، ص 154.

(\*) – بَطَرُ الْحَقِّ: بمعنى هو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبُّرًا (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، رقم الحديث 9، ص 93) وجاء بمعنى: جحود الحق مع الإستهانة به والاستعلاء عن قبوله (محمد صالح المنجد، الكبر، جده: مجموعة زاد للنشر، ط1، 1430هـ/2009م)، ص 8.

(\*) – عَمَطُ النَّاسِ: معناه احتقارهم، يقال في الفعل منه عَمَطَهُ يَغْمِطُهُ وَعَمِطَهُ يَغْمِطُهُ (رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، ص 93) والعَمِطُ جاء بمعنى: هو الإحتقار والإزدراء والاستصغار، والترفع عن الثناء عليهم بفضائلهم، وعدم الاعتراف بحقوقهم وصفاتهم الفاضلة (يُنْظَرُ: محمد صالح المنجد، الكبر، المرجع السابق، ص 9).

(3) – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، رقم الحديث 91، ج1، ص 93.

(4) – عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، المرجع السابق، ص 347.

(5) – الجاحظ، تهذيب الأخلاق، المرجع السابق، ص 32.

(6) – ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث 6072، ج10، المرجع

السابق، ص 489.

• وفي تعريفٍ آخرٍ له: (هو خلقٌ ذميم يكسوه صاحبه عن جهل وحمافة، ودلالته على جهله برَّبِّه وبنفسه فلو عرف الله تعالى حقَّ المعرفة لعلم أنَّ الكبرياء لله تعالى وحده، وقد بيَّن النَّبي ﷺ في هذا قائلاً: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِذَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»<sup>(1)</sup>).

ويقول مُحَمَّد بُنُّ الحسین بُنُّ علي: (ما دخل قلب إمريء شيء من التكبر قطَّ إلاَّ نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلَّ أو كثر)<sup>(2)</sup>.

• وفي تعريفٍ آخرٍ له: (هو الإعراض عن الحق وتحقير النَّاس، والتَّواضع هو الإذعان للحق وتوقير النَّاس، وهو المعني بقوله: العَظِيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فمن تكبرَّ على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى في الدُّنيا بالدُّل والهوان، وفي الآخرة بقذفه في أقصى دركات النيران، ومن تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته في الدُّنيا والآخرة)<sup>(3)</sup>.

#### ب- طريقة النَّبي ﷺ في معالجته لمرض الكبر

عندما يكون مجال الحديث في أخلاق النَّبي ﷺ فإنَّنا نجدُها جامع الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وعندما نتحدَّث في الذَّميم من الأخلاق، يقصد بها الأخلاق التي نهى عليها الإسلام، وطبعاً كلُّ خلقٍ حميد يقابله خلقٌ ذميم، مثلاً: عندما نذكر التَّواضع الذي وُصف به النَّبي ﷺ وتخلَّق به مع الكبير والصَّغير، المسلم والكافر، والفقير والغني، الضَّعيف والقوَّي، فهو يغضب وينهى عن عكسه الذي هو الكبر، والسَّيرة العطرة مليئة بأخبار تواضعه ﷺ، فما حفظ عنه أنَّه تكبرَّ على أحد، أو تفاخر على أحد، برغم المكانة التي خصَّها الله تعالى له بها من الرِّفعة والشَّان والمقام. فكانت من جملة الأساليب والطُّرق التي إستخدمها النَّبي ﷺ في محاربته لهذا المرض الخَلقي هو كالآتي:

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث 4090، ج 4، المصدر السَّابق، ص 59. وقال: هذا الحديث حسنٌ صحيحٌ، وذكر حكم الألباني في صحيح أبو داود: حديثٌ صحيحٌ، وفي صحيح الجامع المصنَّف لشُعَب الإيمان للبيهقي، فصل في التَّواضع وترك الرُّهو والصِّلَف والخيلاء والفخر والمدح، باب في حسن الخلق (بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، 2013م)، ص 196، وإبْنِ أَبِي الدُّنْيَا، التَّواضع والخمول، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر أحمد عطا، باب في الكبر، رقم الحديث 195 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 1409هـ/1989م)، ص 244.

(2) - المرجع نفسه رقم الحديث 226، ص 272، وعبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 346.

(3) - مُحَمَّد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب الغضب والكبر، رقم الحديث 5111، المرجع السَّابق، ص 298.

### - استخدام أسلوب الترهيب للتحذير من الكبر

جعل النبي ﷺ عقوبة المتكبر أشدها إيلاماً، لأن تكبره يمنعه من الإنصياح للحق، فيطبع الله على قلبه المرض ويصرفه عن الحق فتكون نتيجة الخيبة والفشل، ونيل سخط الله وعقوبته، بأن يحرمهم من الجنة التي وعدت للمتواضعين، فيقول في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»<sup>(1)</sup>.

ويقول الشيخ الخطابي رحمه الله في الكبر: (الكبر في الحديث فيه وجهان أحدهما أن المراد التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلاً إذا مات عليه، والثاني أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة يقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾<sup>(٤٧)</sup> [الحجر: 47]<sup>(2)</sup> وفي رواية أخرى يقول ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ<sup>(\*)</sup> مستكبر»<sup>(3)</sup>.

وفي حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «احتجّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرث بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم وعجزهم، فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منكم ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها، فتقول: قط قط فهنا لك تمتلئ ويؤزى بعضها بعض»<sup>(4)</sup>.

تجلى منهج النبي ﷺ في ظاهر الأحاديث تحذيره ونهيهِ الصّارم من الكبر باستخدام أسلوب الترهيب، عند بيانه عقوبة المتكبر الذي لا يعطيه الكبر من الدنيا إلاّ الخسارة وسوء العاقبة في الآخرة هذا من جانب، ومن جانب آخر دعا إلى البديل عنه، والذي يضيفي للقلب الطمأنينة والراحة والتّحلية بروح التّواضع ولين الجانب، فقال فيه رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث 91، ج1، ص 93.

(2) - النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث 91، المرجع السابق، ص 91

(\*) - جواظ مستكبر: هو السّمين من التّنعّم وقيل الفاجر بالجيم، ومستكبر أي متكبر عن الحق أو على أهله (يُنظر: محمّد القاري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب الغضب والكبر، رقم الحديث 5106، المرجع السابق، ص 294).

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب، والقلم، رقم الحديث 4918، ص 627.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، باب 13، رقم الحديث 2846، ص 1305.

مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»<sup>(1)</sup> فكان تواضعه ﷺ منأى وملجأ المشتاقين إلى الحنان من النساء والولدان والضُّعفاء.

ويقول عنه أنس بن مالك ﷺ: «إِنْ كَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فتنتطلق به حَيْثُ شَاءَتْ»<sup>(2)</sup>.

فكانت هيئته ﷺ تنخلع لها قلوب الجاحدين وتتطامن لها قلوب المؤمنين، فذات مرّة غلبت رجلاً هذه الهيبة التي خلعتها ربُّ العزّة والكبرياء على عبده حلّة ربّانية<sup>(3)</sup> فتلعثم الرجل فقال ﷺ: «هُوَ عَلَىكَ نَفْسُكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»<sup>(4)</sup>.

وقال عبد الله بن العباس: سمعت عمر بن الخطّاب ﷺ يقول على المنبر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»<sup>(5)</sup>.

وكان ﷺ ينهى أصحابه عن إطرء بعضهم بعضاً في وجهه ويقول: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنْقَ صَاحِبِكَ»<sup>(6)</sup> لأنَّ الإطرء إذا ألفتَه النَّفْسُ ومالت إليه تعاضم عندها شأن ذاتها ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يحثون التُّراب في وجوه المدّاحين والمتملّقين<sup>(7)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب، والقلم، رقم الحديث 4918، ص 627. وفي فتح الباري لابن حجر، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث 6071، ج10، المرجع السّابق، ص 489.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم الحديث 6072، ص 1520.

(3) - عبد السّلام ياسين، الإحسان (الدّار البيضاء، مطبوعات الأفق، ط1، 1998م)، ص 488.

(4) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، كتاب الأطعمة، باب القدید، رقم الحديث 3312، (الرّیاض: دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 511، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، وقال البوصري: هذا إسنادٌ صحيحٌ ورجاله ثقات.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾، رقم الحديث 3445، ص 854.

(6) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يكره من التّماذح، رقم الحديث 6061، ص 1518.

(7) - عبد السّلام ياسين، الإحسان، المرجع السّابق، ص 488.

ويشمل تحذيره ﷺ لأُمَّته مَنْ بعده ولا سيما الدُّعاة إلى الله من بعض الصِّفات المهلكة والتي تجعلهم يعيشون الوهم بكلِّ معانيه، فقال ﷺ: «ثلاث مهلكات شحُّ مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائلٌ مستكبر»<sup>(2)</sup> (\*) يعلّق عليهم شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله فيقول: (هؤلاء الثلاثة: إشتروا في هذا الوعيد، وإشتروا في فعل هذه الذنوب مع ضعف دواعيهم؛ فإنَّ داعية الرِّياء في الشَّيخ ضعيفة، وكذلك داعية الكذب في الملك ضعيفة؛ لاستغنائه عنه وكذلك داعية الكِبَر في الفقير، فإذا أتوا بهذه الذُّنوب - مع ضعف الدَّاعي - دلَّ على أنَّ في نفوسهم من الشرِّ الذي يستحقُّون به من الوعيد ما لا يستحقُّه غيرهم)<sup>(3)</sup>.

ويروي أبو هريرة ؓ عن الرَّجل الذي أتى النَّبيَّ ﷺ وكان رجلاً جميلاً، فقال: «يا رسول الله، إنِّي رجلٌ حُبِّبَ إليَّ الجمالُ، وأُعْطِيتُ منه ما ترى، حتَّى ما أُحِبُّ أنْ يُفُوقَنِي أَحَدٌ، إمَّا قال: بِشْرَاكِ نَعْلِي، وإمَّا قال: بِشَسْعِ نَعْلِي، أفمنَّ الكِبَرِ ذلك؟ قال: لا، ولكنَّ الكِبَرُ من بطر الحقِّ، وغمَطَ النَّاسَ»<sup>(4)</sup> (\*).

(1) - الألباني، صحيح التَّرجيب والتَّرهيب، كتاب الصَّلَاة، باب التَّرجيب في إنتظار الصَّلَاة بعد الصَّلَاة، رقم الحديث 453، مج 1، المرجع السَّابق، ص 218. وقال الألباني: هذا حديثٌ صحيحٌ.

(\*) - عائِلٌ مستكبر: فقير معدوم ومع ذلك يتكبر على النَّاس، كما قيل: (حشفاً وسوء كيئل) ليس عنده ما يدعو إلى التَّكبر أو يجذبه إلى الزَّهو والغرور والعجب ثمَّ هو ينفخ صدره، ويمشي في الأرض مرحاً، فهذا ممقوتٌ، منبوذٌ، ليس له قيمة عند الله عزَّ وجل (عائِلُ القرني، المسك والعنبرُ في خطب المنبر، الرِّياض: مكتبة العبيكان ط 7، 1432هـ/2013م)، ص 393.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب 46، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمنِّ بالعطية وتنفيق السلعة بالخلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، رقم الحديث 107، مج 1، ص 60.

(3) - ابنُ تيمية، مجموع فتاوى، مج 18، المرجع السَّابق، ص 14.

(\*) - لَكِنَّ الكِبَرُ من بطر الحقِّ وغمَطَ النَّاسَ: لكن الكبر، كبر من بطر الحقِّ فأضمر كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ أَمِّنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: 177] أي: لكنَّ البرُّ بُرٌّ من آمن بالله، وقوله: غمط معناه: أزرى بالنَّاس واستخفهم (سنن أبو داود، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط 1، ج 4، 1418هـ/1997م)، ص 228.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث 4092، ج 4، المصدر السَّابق، ص 59. حكم أبو داود: سكت عنه، وقد قال في رسالته لأهل مكَّة: كلٌّ ما سكت عنه فهو صالح.

بَيَّن ﷺ فضاغة أمر المتكبر بأن نفى محبته بأنه أبغض النَّاس مجلساً يوم القيامة، ومتوَعَّده بسوء العاقبة في الدُّنيا فقال: «وإنَّ أبغضكم مِنِّي مجلساً يوم القيامة الثَّرثارون<sup>(\*)</sup> والمتشدِّقون<sup>(\*)</sup> والمتفيهقون<sup>(\*)</sup>.... المتكبرون»<sup>(1)</sup> فطبيعة المتكبر لا يعترف بخطئه ولا بتقصيره ولا سوء عمله لأنَّه معجب بنفسه.

وعن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الرَّجل يذهب بنفسه حتَّى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم»<sup>(2)</sup>.

حذَّر النَّبي ﷺ من إعجاب الدَّاعية بنفسه فلا يزال يترَفَّع ويتعَظَّم حتَّى يكتب من الجبارين، فيصيبه ما أصابهم، والعَاقِل من الدَّعاة عليه أن يخش عاقبة الكبر مهما كان في صغائر الأمور، فقد يتطوَّر هذا المرض وتتدهور حالته فيتطاول على النَّاس، كما عليه أن يظهر التَّواضع الذي يدل على خفض الجناح واللِّين، فلا يتكبر على أحد، ويستسلم للحق ويتواضع للنَّاس ويتَّصف بالانكسار لله تعالى كما اتَّصف به الأنبياء عليهم السَّلام، ضُرب بهم المثل في التواضع وقدَّموها أجمل الصُّور والمواقف كسيدنا سليمان عليه السَّلام، ويوسف عليه السَّلام، وموسى عليه السَّلام، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

وعن ابن عبَّاس عليه السَّلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من آدمي إلَّا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته»<sup>(3)</sup>.

(\*) - الثَّرثار: هو الكثير الكلام بغير فائدة دينية . (ابن القيم، مدارج السَّالكين، ج2، المرجع السَّابق، ص293).

(\*) - المُتَشَدِّق: المتطاول على النَّاس بكلامه الذي يتكلم بملء فيه تفاصُحاً وتَفُحُّماً وتعظيماً لكلامه (المرجع نفسه، ص293).

(\*) - المُتَفِيهِق: أصله من الفَهَق وهو الإمتلاء، وهو الذي يملأ فمهُ بالكلام، ويتوسَّع فيه تكثُّراً وارتفاعاً وإظهاراً لفضله على غيره (المرجع نفسه، ص293).

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث 2018، ج3، المصدر السَّابق، ص545. وقال الألباني: صحيح في الصَّحِيحة 791. وأخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، رقم الحديث 2018، ج3، ص545. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وروى بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة عن حمَّد بن المكندي، عن جابر عليه السَّلام عن النَّبي ﷺ ولم يذكر فيه: عن عبد ربه بن سعيد، وهذا أصح.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، المصدر نفسه، رقم الحديث 2000، ص534، وأخرجه التَّرمذي في سننه، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث 2000، ج3، المصدر السَّابق، ص534، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وفي مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب الغضب والكبر، رقم الحديث 5111، ص298.

(3) - الألباني، صحيح الجامع الصَّغير، رقم الحديث 5675 (المكتب الإسلامي، ج2، 1408هـ/1988م)، ص990.



## - تحلية النَّبي ﷺ بالتواضع بدل الكبر

التواضع فضيلة عظيمة، يكفي فيها قول المولى عز وجل: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: 88) وقول النَّبي ﷺ: «ما زاد الله عبداً إلاَّ عزًّا» (\*) وما تواضع أحدٌ لله إلاَّ رفعه الله (\*)» (1).

وهي صفة نبيلة من صفات الأنبياء عليهم السَّلام والدُّعاة المخلصين، فنبى الله سليمان عليه السلام عندما رأى نعمة الله عليه في تعليمه كلام الحيوان قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: 40) فلم يتكبر على النَّاس بعلمه وغناه، وعكسه قارون الذي افتخر بغناه على خلق الله فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: 78].

ويروى أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى، أتدري لماذا إصطفيتك على النَّاس، واخترتك على بني إسرائيل؟ قال: لا يا ربِّي، قال: نظرت في قلوب بني إسرائيل، فوجدت قلبك يُحِبُّني أكثر من كلِّ قلب، ورأيتك ما جلست مع أحد، إلاَّ شعرت في نفسك أنَّك أوضع منه وأقلُّ منه» (2).

فالواضع هو ترك التَّروُّس وكرهية التَّعظيم والزَّيادة في الإكرام، بأنَّ يتجنَّب الدَّعية المباهاة بما فيه من الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال، وأنَّ يتحرَّز من الإعجاب والكبر، ولا يكون التَّواضع إلاَّ في أكابر النَّاس ورؤسائهم وأهل الفضل والعلم، وأمَّا ما سوى هؤلاء فليس يكونون متواضعين لأنَّ الضَّعة هي محلُّهم ومرتبته فهم غير متصنعين لها (3).

وعندما نقرأ في سيرة النَّبي ﷺ وعُرف أخلاقه وشمائله، نجد قد أعطاه الله الكمال ما لم يعطه لأحد، وبرغم المكانة التي تولَّاهَا، كان أشدُّ النَّاس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر، وحسبك أنَّ الله خيرَه

(\*) - وما زاد الله عبداً إلاَّ عزًّا: فيه وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عُرف بالعفو والصَّفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثَّاني أنَّ المراد أجره في الآخرة وعزه هناك. (صحيح مسلم، البرِّ والصَّلة والآداب، باب إستحباب العفو والتَّواضع، رقم الحديث 2588، ص 2001).

(\*) - وما تواضع أحدٌ لله إلاَّ رفعه الله: أحدهما يرفعه في الدُّنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند النَّاس ويجل مكانه، والثَّاني: أنَّ المراد ثوابه في الآخرة ورفعته فيها بتواضعه في الدُّنيا (صحيح مسلم، البرِّ والصَّلة والآداب، باب إستحباب العفو والتَّواضع، رقم الحديث 2588، المصدر السَّابق، ص 2001).

(1) - المصدر نفسه، ص 2001.

(2) - عائض القرني، المسك والعنبر في خطب المنبر، المرجع السَّابق، ص 394.

(3) - الجاحظ، تهذيب الأخلاق، المرجع السَّابق، ص 27.

بين أن يكون نبياً ملكاً، وبين أن يكون نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً<sup>(1)</sup>، فكان يركب الحمار، ويردف خلفه ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حينما انتهى به المجلس جلس<sup>(2)</sup>، وكان مشغولاً بأمور الناس وكل ما يهتمهم، وهو مع ذلك متبتل إلى الله منقطع عن الدنيا، فهو في الدنيا وليس فيها، لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضي الله، فزاه رسولاً حنيفاً ونبياً معصوماً في السّاعة التي تتصوره فيها فاتحاً للبلاد ظافراً بالأُمم، وإنه ليضطجع على حصير له من خوص، ويتكئ على وسادة حشوها من ليف، حينما يخطر على بالنا أن ندعوه بسلطان العرب وننادي به ملكاً على بلاد العرب ويكون أهل بيته في فاقة وشدة عقب إستقباله الأموال العظيمة آتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية، فتكون في فناء مسجده أكواماً، وتأتيه ابنته وفلذة كبده فاطمة تشكو إليه ما تكابده من حمل القرية، والطحن بالرحى حتى مجت يداها، وأثرت القرية في جسمها والرسول ﷺ يومئذ يقسم بين المسلمين ما أفاء الله عليهم من عبيد الحرب وإمائها، فلا تنال ابنته من ذلك إلا دعاءه لها بكلمات يعلمها كيف تدعو بها ربها،<sup>(3)</sup> حتى جاءه الخليفة عمر رضي الله عنه فأجال بصره في الحجرة فلم يجد إلا حصيراً من خوص قد اضطجع النبي ﷺ عليه وأثر في جنبه، وكل ما في البيت صاع من شعير في وعاء وعلى مقربة منه شئ معلق على وتد، لم يتمالك نفسه من دموع تذرفها عيناه فسأله نبي الله ﷺ: «ما ييكيك يا عمر؟ فقال: ومالي لا أبكي إن قيصر وكسرى يتمتعان بالدنيا وينعمان بنعيمها، وإن رسول الله ﷺ لا يملك إلا ما أرى، فقال له النبي ﷺ: أما ترضى يا عمر أن يكون ذلك نصيب كسرى وقيصر من نعيم الدنيا وتكون لنا الآخرة خالصة من دون الناس؟!»<sup>(4)</sup>.

(1) - إثنُ المزين، إثبات النبوة، تحقيق: أحمد آيت بلعيد - أصل الكتاب رسالة دكتوراه - (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت)، ص 79.

(2) - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الألبسة، باب الإرتداف على الدابة، رقم الحديث 5964، ص 1498، وفي صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على المناققين، رقم الحديث 1798، ص 1422.

(3) - عبد الرحمن بن عبد الكريم الشبيحة، محمد رسول الله ﷺ (الرياض: المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة، د، ط، 1427هـ)، ص - ص 4، 5.

(4) - راجع عبد الحميد كردي، شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي (د، دار ن، ط 2، 1430هـ/2009م)، ص 48.

وما يثبت تواضع النَّبي ﷺ لَمَّا دخل مكة إستشرفه النَّاس، فوضع رأسه على رحله تخشُّعاً<sup>(1)</sup>، وَلَمَّا إنتهى إلى ذي طُوى وقف على راحلته معتجراً<sup>(\*)</sup> بشقَّة بردِ حَبْرَة حمراء، وإن رسول الله ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتَّى عن عُثْنُونه<sup>(\*)</sup> ليكاد يمس واسطة الرَّحْل<sup>(2)</sup>، ولعظمة شأنه كان لا يرضى أن يقابل النَّاس على كبر، عن أبي أمامة ؓ قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ متوكِّئاً على عصا فقمنا إليه فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً»<sup>(3)</sup>.

ويروي أبو هريرة ؓ: «دخلت السُّوق مع النَّبي ﷺ فاشترى سراويل وقال للوازن: زنِّ وارجح وذكر قصته، قال: فوثب إلى يد النَّبي ﷺ يقبلها فجذب يده، وقال: هذا ما تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجلٌ منكم، ثمَّ أخذ السَّراويل فذهبت لأحمله فقال: صاحب الشَّيء أحقُّ بشيئته أن يحملهُ»<sup>(4)</sup>.

(1) - ابنُ عساکر، تاريخ مدينة دمشق، السَّيرة النَّبویة، تحقیق: محبِّ الدِّین أبي سعید العمري، باب ذکر تواضعه لرَّبِّه ورحمته لأُمَّته ورأفته بصحبته (بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، د، ط، ج4، 1415هـ/1995م)، ص 80. وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النَّبوة (بيروت: دار الكتب العلمية، القاهرة، دار الريان، ط1، ج5، 1408هـ/1988م)، ص-ص 68، 69.

(\*) - الإعتجار بالعمامة: أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه، ولا يعمل شيئاً منها تحت ذقنه (يُنظر: محمَّد يوسف الكاندهلوي، حياة الصَّحابة، تحقيق: بشَّار عواد معروف، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، مج3، 1420هـ/1999م)، ص 337.

(\*) - عُثْنُونه: العثنون بمعنى اللَّحية (المرجع نفسه، ص 337).

(2) - يُنظر: ابنُ كثير، البداية والنَّهاية (بيروت: دار المعارف، د، ط، ج4، 1412هـ/1991م)، ص - ص 193، 194.

(3) - أخرجه أبو داود في سننه، أبواب التَّوَم، باب في قيام الرَّجل للرَّجل، رقم الحديث 5230، ج4، المصدر السَّابق، ص358. وقال: حكم الألباني: ضعيف، وأخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب الدُّعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3836، ج2، المصدر السَّابق، ص 1261. وقال حكم الألباني: ضعيف .

(4) - أخرجه التَّرمذی في سننه، كتاب البيوع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الرَّجحان في الوزن، رقم الحديث 1305، ص443. وقال أبو عيسى: هذا حديث سويد حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وأهل العلم يستحبُّون الرَّجحان في الوزن، وروی شعبة هذا الحديث عن سماك فقال عن أبي صفوان وذكر الحديث.

وعندما أحدق النَّبي ﷺ بجيوشه ليفتح مَكَّةَ كان أبو سفيان إلى جانب العباس -عمِّ النبي ﷺ- ينظران إلى المجاهدين من المسلمين تتقدَّمهم الأعلام الكثيرة، وكان أبو سفيان(\*) لا يزال على ما كان عليه من المخالفة للإسلام فراحه ما رأى من كثرة جموع المسلمين ومن إنضوى إليهم من القبائل المسلمة، وإنَّهم يزحفون على بطحاء مَكَّةَ كالسَّيل الجارف لا يصُدُّه صاد ولا يمنعه شيء، فقال لصاحبه: يا عباس إنَّ ابنَ أخيك أصبح ملكاً عظيماً، فأجابه العباس ﷺ وهو - يرى غير الذي يراه أبو سفيان: «ليس هذا من الملك في شيء يا أبا سفيان، هذه نبوة ورسالة»<sup>(1)</sup>.

وكان من شدَّة تواضعه ﷺ أنَّ الدَّاخل للمسجد لا يعرفه من بين أصحابه -رضوان الله عليهم-، يقول أنس بن مالك ﷺ: «بينما نحن جلوس مع النَّبي ﷺ في المسجد، دخل رجلٌ على جملٍ فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيُّكم محمَّد؟ والنَّبي ﷺ متكى بين ظهرائهم، فقلنا: هذا الرَّجل الأبيض المتكى..»<sup>(2)</sup> وذلك لعدم تميَّزه ﷺ عن أصحابه وجلسائه.

وقال له ﷺ ذات مرَّة رجل: «يا محمَّد، أيا سيِّدنا وابن سيِّدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أيُّها النَّاس، عليكم بتقواكم، ولا يستهويَنَّكم الشَّيطان، أنا محمَّد بن عبد الله، أنا عبد الله ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلنيها الله»<sup>(3)</sup>، فكان ﷺ لئن الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلَّة، رقيق القلب، رحيمًا بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم<sup>(4)</sup>.

(\*) - أبا سفيان: هو ابن عمِّ النَّبي ﷺ المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أخو نوفل وربيعة، تلقى النَّبي ﷺ في الطَّريق قبل أن يدخل مَكَّةَ مسلماً، فانزعج النَّبي ﷺ وأعرض عنه، لأنَّه بدت منه أمور في أذية النَّبي ﷺ، فتدلَّل للنَّبي ﷺ حتَّى رَقَّ له، ثم حسن إسلامه، ولزم، هو والعباس عمَّ رسول الله ﷺ يوم حنين إذ فرَّ النَّاس، وأخذ بلجام البغلة، وثبت معه، وقد روى عنه ولده عبد الملك أنَّ النَّبي ﷺ قال: «يا بني هاشم، إياكم والصَّدقة» وكان أخوا النَّبي ﷺ من الرِّضاعة، أرضعتهم حليمة، سماه هشام بن الكلبي، والزيبر: مغيرة، وقال طائفة: اسمه كنيته، وإنما المغيرة أخوهم، وقيل: كان الذين يشبهون بالنَّبي ﷺ جعفر، والحسن بن علي، وقثم بن العباس، وكان أبو سفيان من الشُّعراء، وفيه يقول حسان: ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء (يُنظَر: محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (مؤسسة الرِّسالة، ط1، ج1، 1422هـ/2001م)، ص 203.

(1) - أخرجه البيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب السَّير، باب فتح مَكَّةَ (حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1356هـ)، ص- ص 119، 120، وراجع عبد الحميد كردي، شعاع من السَّيرة النَّبوية في العهد المكي، المرجع السَّابق، ص 48.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، رقم الحديث 63، ص 27.

(3) - عبد الرَّحمن بن عبد الكريم الشَّيخة، محمَّد رسول الله ﷺ، المرجع السَّابق، ص 5.

(4) - ابنُ القيم، مدارج السَّالِّكين، المرجع السَّابق، ص 2242.

وفي موقف آخر للنبي ﷺ لَمَّا جاءته قريش فقالت له: «إِنَّا لَا نَرْضَى أَنْ نَكُونَ إِتْبَاعًا لِهَؤُلَاءِ مِنْ ضَعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ صَهَبٍ وَعَمَّارٍ وَبِلَالٍ وَخَبَابٍ فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ وَلَا تَبْقَهُمْ فِي مَجْلِسِكَ إِذَا دَخَلْنَا عَلَيْكَ، فَإِذَا فَرَعْنَا وَخَرَجْنَا فَأَدْخِلْهُمْ إِنْ شِئْتَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: 28] وقال: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعْرَاءِ: 215].

لهذا كانت حاجة الدَّاعية إلى التَّواضع في غاية الأهمية بدل الكبر الذي يصيب القلب الجحود عن الحقِّ والإصابة بالغرور بما لديه، فعمله الدَّعوي يقتضي القرب من النَّاس لا الإبتعاد عنهم، لأنَّ النفوس لا تستريح لمتكبرٍ أو مغترِّ.

ولرفعة قدره ﷺ وعلو منزلته كان يمرَّ على الصَّبيان فيسلم عليهم، ويكون في بيته في خدمة أهله، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسَّلام، ويحيي الدَّعوة، وقال: لو دعيت إلى ذراع -أو كراع- لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراعٌ -أو كراع- لقبلت، وكان يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار<sup>(1)</sup>، ويحيي دعوة العبد، وينام على الحصير، وكان يخفض جناحه للنَّاس ويجلس بينهم كواحد منهم، وكان يجلس بين ظهري أصحابه فيحيي الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل...<sup>(2)</sup>.

فحلَّة التَّواضع يفتح به الدَّاعية قلوب مدعويه، يوقظ به عواطفهم نحوه احترامًا وتقديرًا، لأنَّ الفطرة الإنسانية بطبيعتها تميل إلى من يرفق بها ويتواضع لها، ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ أثنى عليه ﷺ في حديثه قائلًا: «العزَّ إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعه ذلك عذبه»<sup>(3)</sup> يقول الإمام القاضي عياض رحمه الله وقد سُئِلَ عن التَّواضع: (التَّواضع أن تخضع للحقِّ وتنقاد له، ولو سمعته من أجهل النَّاس)<sup>(4)</sup>.

(1) - إثنُ القيم، تهذيب مدارج السَّالِكين، هذبته: عبد المنعم صالح العلي العزى (طنطا: دار الشير للثقافة والعلوم، ط1، 1417هـ/1997م)، ص ص- 428، 429.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: رائد صبري بُنِّي أبي علفة، كتاب السنَّة، باب في القدر، رقم الحديث 4698، ص 588. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ رواه مسلم، والنَّسائي 4991، وصحَّحه الألباني في صحيح أبو داود 4698، ويُنظر: إثنُ القيم، مدارج السَّالِكين، المرجع السَّابق، ص 2242.

(3) - النَّووي، صحيح مسلم بشرح النَّووي، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب تحريم الكبر، ج16، المرجع السَّابق، ص 1.

(4) - عبد الكريم زيدان، أصول الدَّعوة، المرجع السَّابق، ص 362.

### - تربية أصحابه على التَّواضع بدل الكبر

لتواضعه الجَمِّ ﷺ فقد علَّم النَّبي ﷺ أصحابه التَّواضع بدل الكبر الذي يحتقر التَّعامل ومجالسة الصَّالحين والضعفاء والفقراء، حتَّى تبعه أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ وقال قولته: «لا تحتقرنَّ أحدًا من المسلمين فإنَّ صغير المسلمين عند الله كبير»<sup>(1)</sup>.

والخليفة عمر بن الخطَّاب ﷺ الذي قدَّم أروع صورة في كسر الكبر يرويها عروة بن الزُّبير رضي الله عنهما: «رأيت عمر بن الخطَّاب ﷺ على عاتقه قربة ماء، قلت يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة فأحببت أن أكسرها»<sup>(2)</sup>.

وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: «تقولون فيَّ التَّيِّه<sup>(\*)</sup> وقد ركبت الحمار ولبستُ الشَّملة<sup>(\*)</sup> وقد حلبت الشَّاة، وقد قال رسول الله ﷺ: «من فعلَ هذا فليس فيه من الكبر شيءٌ»<sup>(3)</sup>.

وكان سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ﷺ في إبله، فجاءه ابنُه عُمرُ ﷺ، فلمَّا رآه سعدُ قال: «أعودُ بالله من شرِّ هذا الرَّاكِب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلِك وغنمِك، وتركْتُ النَّاسَ يتنازعون المملَكَ بينهم؟ فضرَبَ سعدُ في صدره، فقال: اسكُتْ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الله يُحبُّ العبدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الحَفِيَّ<sup>(\*)</sup>»<sup>(4)</sup>.

ويروي سهل بن سعد الساعدي ﷺ قائلاً: «مرَّ رجل من فقراء المسلمين على النَّبي ﷺ يوماً، فقال النَّبي ﷺ لأصحابه: ما تقولون في هذا؟، فقالوا: رجل من فقراء المسلمين، هذا والله حريٌّ إنَّ

(1) أبو عبد الله محمود بنُ محمَّد الحداد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدِّين، رقم الحديث 3182 (الرِّياض: دار العاصمة للنَّشر، ط1، ج5، 1408هـ/1987م)، ص 2017.

(2) - ابنُ كثير، البداية والنهاية، ج7، المرجع السَّابق، ص 135، وفي مدارج السَّالِكين لابن القيم، المرجع السَّابق، ص 2246.

(\*) - في التَّيِّه: بمعنى الكبر، أي في نفسي الكبر (محمَّد صالح المجد، الكبر، المرجع السَّابق، ص 60). و(محمَّد صالح المنجد، مفسدات القلوب، الرِّياض: مجموعة زاد للنَّشر، ط1، 1438هـ/2017م)، ص 379.

(\*) - لبست الشَّملة: هو كساء يتغطَّى به ويتلفف فيه (المرجع نفسه، ص 379).

(3) - أخرجه التَّرمذِي في سننه الجامع الكبير، أبواب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في الكبر، رقم الحديث 2001، ص 535. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(\*) - إنَّ الله يُحبُّ العبدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الحَفِيَّ: المراد بالغنى غنى النَّفس، هذا هو الغنى المحبوب، وأما الحَفِيَّ: فبالحاء المعجمة، وهو الموجود في النَّسخ، والمعروف في الرِّوايات، معناه الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه، وقال الإمام مسلم: وفي هذا الحديث حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط، (صحيح مسلم، كتاب الزُّهد والرقائق، رقم الحديث 2965، ص 2277.

(4) - المصدر نفسه، ص 2277.

خطب أن لا يزوّج، وإن شفع أن لا يشفع، ثم مرّ رجل آخر من الأشراف، فقال: ما تقولون في هذا؟، قالوا: رجل من أشراف القوم هذا والله حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفع، فأشار النَّبي ﷺ على الرَّجل الفقير الأول فقال: والله هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا<sup>(1)</sup>.

أعلن النَّبي ﷺ في ظاهر كلامه رفضه المطلق التفاضل بين النَّاس، فتراهم يقدمون الغنيّ صاحب الجاه ولو كان عاصياً فاسقاً، ويؤخّرون النّقي التّقي لفقره وعدم وجاهته، فيكون سبباً في تقديم من لا يستحقّ التّقديم فيقع في إحتقار الآخرين والترفّع عنهم<sup>(2)</sup>.

#### رابعاً: التحذير من خلق الإساءة

##### أ- مفهوم الإساءة

##### – لغة –

- يُعرّفها العلامة الزّبيدي بالقول: (الإساءة مصدر أساء الرَّجل إساءة: خلاف أحسن، وأساء الشّيء، أفسدّه ولم يُحسن عمله، ويُقال: أساء به، وأساء إليه، وأساء عليه، وأساء له ضدّ أحسن، وقوله سيّئ: يسوء)<sup>(3)</sup>، ويقول العلامة ابنُ منظور: (يقال: أساء إليه إذا ظلمه)<sup>(4)</sup>.

##### – اصطلاحاً –

- يعرفها الشّيخ المناوي رحمه الله بالقول: (الإساءة تأتي بمعنى الكفر، وهو غاية الإساءة)<sup>(5)</sup>.
- وفي تعريف آخر لها: (هي خلق ذميم، وسلوك مشين وطريق موصل إلى غضب الله وسخطه، وهي فعل أمر قبيح جار مجرى الشرّ، يترتب عليه غمّ لإنسان في أمور دينه ودنياه، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد أو قنية)<sup>(6)</sup>، وأعظم الإساءة: الإستهزاء بآيات الله خوفاً ولعباً، وسبّ الله العظيم، وسبّ آياته وشريعته، وهذا هو أعظم الجرم، وهو الكفر البواح)<sup>(7)</sup>.

(1) – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النّكاح، باب الأكفاء في الدّين، رقم الحديث 5091، ص 1298.

(2) – محمّد صالح المنجد، الكبير، المرجع السّابق، ص 15.

(3) – الزّبيدي، تاج العروس، مادة سوء، ج 1، ص 274، ويُنظر: الرّغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، مادة سوء (بيروت: دار القلم، ط 1، 1412هـ)، ص 441.

(4) – ابنُ منظور، لسان العرب، مادة أساء، ج 1، المصدر السّابق، ص 95.

(5) – المناوي، التّيسير بشرح الجامع الصّغير، ج 2، المرجع السّابق، ص 754.

(6) – صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، نظرة التّعيم في مكارم أخلاق الرّسول الكريم (جدة: دار الوسيلة للنّشر والتّوزيع، ط 4، ج 9، د، ت)، ص 8383.

(7) – خالد بن جمعة بن عثمان الخزّاز، موسوعة الأخلاق، المرجع السّابق، ص 121.



## ب- طريقة النَّبي ﷺ وأسلوبه في محاربة خلقِ الإساءة - مقابلة الإساءة بالإحسان

الإحسان له مراتب إيمانيَّة أعلاها الشُّعور بمراقبة الله، لكن الإحسان ما بين العباد فأولى النَّاس به هم الدُّعاة إلى الله، وقد أمر الله تعالى مقابلة الإساءة بالإحسان في آي ذكره فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: 96] وقال النَّبي ﷺ: «لا يدخل الجنة إلاَّ أري مقعده من النَّار لو أساء ليزداد شكرًا، ولا يدخل النَّار أحد إلاَّ أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة»<sup>(1)</sup>. ومشهد الإحسان هو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان، فيحسن إليه كلُّما أساء هو إليه، ويهون هذا عليه علمه بأنَّه قد ربح عليه، وأنَّه قد أهدى إليه حسناته، ومحاسنها من صحيفته، وأثبتها في صحيفة من أساء إليه<sup>(2)</sup>، ولقد ضرب الله أروع الأمثلة في عفو وصفح رسله وأنبيائه عليهم السَّلام فهذا نبيُّ كمقابلة نبيِّ الله يوسف ﷺ مع ما فعله إخوته من الإضرار به وإلقائه في البئر، أن أحسن إليهم وجهَّزهم بجهازهم ولم يبخسهم شيئاً منه، وموسى ﷺ لما ورد ماء مدين وجدَّ عليه أمة من النَّاس يسقون، ووجد من دونهن إمراةين مستضعفتين أحسن إليهما ورفع الحجر عن البئر وسقى لهما حتَّى رويت أغنامهما، فالإحسان إلى النَّاس من صفات الأنبياء عليهم السَّلام، وقد حدث النَّبي ﷺ على مقابلة الإساءة بالإحسان، عن معاذ بن جبلٍ ﷺ: «أنَّ النَّبي ﷺ بعثه إلى قوم، فقال: يا رسول الله، أوصني قال: إفش السَّلام وإبذل الطَّعام... وإذا أسأت فأحسن<sup>(\*)</sup>، ولتحسن خلقك ما استطعت»<sup>(3)</sup>.

وقال العلامة الملا علي القاري: (وإذا أسأت فأحسن، وهو يحتمل معنيين، أحدهما: أنَّه إذا فعل معصية، يحدثها توبة، أو طاعة، وإذا أساء إلى شخص، أحسن إليه)<sup>(4)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: 34].

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرِّقَاق، باب صفة الجنة والنَّار، رقم الحديث 6569، ص 1630.

(2) - ابنُ القيم، مدارج السَّالِكين، المرجع السَّابق، ص 304.

(\*) - وإذا أسأت فأحسن: وهو يحتمل معنيين، أحدهما أنَّه إذا فعل معصية، يحدثها توبة أو طاعة، وإذا أساء إلى شخص، أحسن إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: 34] (أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري، مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الإمارة والقضاء، رقم الحديث 3713 (بيروت: دار الفكر، ط 1، ج 6، 1422هـ/ 2002م)، ص 2416.

(3) - الألباني، سلسلة الأحاديث الصَّحيحة، رقم الحديث 359، ج 7، المرجع السَّابق، ص 1518.

(4) - أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري، مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الإمارة والقضاء، المرجع السَّابق، ص 2416.

ولوقوع إساءة الأرحام يقول النبي ﷺ: «صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك»<sup>(\*)</sup>، وقل الحق ولو على نفسك»<sup>(1)</sup> وفي رواية أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال ﷺ: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»<sup>(2)</sup>، ويقول النبي ﷺ: «من سرّه أن يُيسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره<sup>(\*)</sup> فليصل رحمه<sup>(\*)</sup>»<sup>(3)</sup>.

فالصلة نوع من التوحيد لأن الألفة اجتماع والإجماع إتحاد، والقطيعة إفتراق والإفتراق كثرة والكثرة ضدّ التوحيد فلذلك قطع الله قاطع الرّحم لأن الله واحداً لا يصل إلا واحداً متصفاً بالتوحيد<sup>(4)</sup>، ومن هذا قول الغزالي في فيض القدير: (رأيت في الإنجيل قال عيسى بن مريم لقد قيل لكم من قبل إن السنّ بالسنّ، والأنف بالأنف والآن أقول لكم لا تقاوموا الشرّ بالشرّ، بل من ضرب خدك اليمين فحول إليه اليسار، ومن أخذ رداءك فأعطه إزارك، ومن سخرك معه ميلاً فسِر معه ميلين، وكلّ ذلك أمر على الصّبر على الأذى)<sup>(5)</sup>.

(\*) - صل من قطعك: دفعاً بالتي هي أحسن كما أمر الله تعالى في كتابه، وأحسن إلى من أساء إليك، وهذه من أشرف الخصال ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 35] وقل الحق ولو على نفسك كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: 135]. (يُنظر: محمّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمّد الحسني، الكحلاني ثمّ الصنعاني، التّوير شرح الجامع الصّغير، تحقيق: محمّد إسحاق محمّد إبراهيم، برقم 4987 (الرياض: مكتبة دار السلام، ط 1، ج 6، 1432هـ/2011م)، ص 586.

(1) - يُنظر: جلال الدّين بن أبي بكر السيوطي، الجامع الصّغير، رقم الحديث 5004 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 9، ج 1، ج 2، 2017م)، ص 309. وصّحه الألباني في صحيح الجامع الصّغير برقم الحديث 3769، 704/2. وفي فيض القدير للمناوي، حرف الصّاد، رقم الحديث 5004 (بيروت: دار الكتب العلمية، ج 4، 1422هـ/2001م)، ص 252.

(2) - النّووي، شرح النّووي على مسلم، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحرّم التّحاسد والتّباغض والتّدابير، رقم الحديث 2558، المرجع السّابق، ص 1535.

(\*) - ينسأ: أي: يؤخّر، وأثره الأثر هو الأجل، لأنّه تابع للحياة في أثرها (في شرح النّووي على صحيح مسلم، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحرّم قطيعتها، رقم الحديث 2557، ج 16، ص 114) وفي (صحيح مسلم، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحرّم قطيعتها، رقم الحديث 2557، ص 1982).

(\*) - الرّحم: الرّحم التي توصل وتقطع وتبرّ إنما هي معنى من المعاني ليسن بجسم، وإنا هي قرابة ونسب تجمعهم رحم والده ويتّصل بعضه ببعض، فسَمّي ذلك الاتصال رحماً، ولتعظيم شأنها وفضيلة وأصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم، ولذلك سمّي العقوق قطعاً، والعقّ الشق، كأنّه قطع ذلك السبب المتّصل (صحيح مسلم، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحرّم قطيعتها، رقم الحديث 2557، ص 1982).

(3) - المصدر نفسه، ص 1982.

(4) - محمّد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصّغير، المرجع السّابق، ص 252.

(5) - المرجع نفسه، ص 252.

لقد كان النَّبِيُّ ﷺ ينهى عن القطيعة ترهيباً وتخويفاً، ودعاً إلى مقابلتها بالحلم والتودُّد والإحسان، وبكافَّة الطُّرُق والأساليب، واحتساب أجرها على الله تعالى، فقال: «صلِّ من قطعك، وإعف عَمَّن ظلمك، وأحسن إلى من أساءَ إِلَيْكَ»<sup>(1)</sup>. ويقول الشَّيْخ السلمي في وصيَّته: (وقابل القطيعة بالصِّلَّة، والإساءة بالإحسان، والظُّلم بالصبر والغفران)<sup>(2)</sup>.

وما يثبت فضلها وآثارها يقول فيها الإمام النَّووي رحمه الله: (هو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرِّماد من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه)<sup>(3)</sup>.

كما نبّه النَّبِيُّ ﷺ من الإساءة في حقِّ الآخرين كأن يأخذ أموالهم بغير حقٍّ أو يطالهم بالضرب والسُّخْرية وغيرها من المظالم الأخرى، فجاء ﷺ ليخلص النَّاس من هذه المظالم باسترضاء أصحابها وطلب صفحهم ومسامحتهم أو بتمكين المظلوم من أخذ مظلمته حتَّى لا يأتي يوم القيامة من المفلسين الذين قال فيهم النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»<sup>(4)</sup> بيَّن ﷺ حقيقة المفلس، الذي أخذت حسناته يوم القيامة من قبل كلِّ غريم من غرماء الدُّنيا الذين لم يأخذوا حقَّهم في الدُّنيا، فاعتبرها من الأخلاق الذميمة التي تلحق بالآخرين الظُّلم والإساءة، وقد فسَّر الإمام النَّووي رحمه الله ذلك قائلاً: (هو الهالك الهالك التَّام والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرماته فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم أُلقي في النَّار فتَمَّت خسارته وهلاكه وإفلاسه)<sup>(5)</sup>، وقال العلامة المازري رحمه الله في بيانه لأسباب العقوبة: (يعاقب المفلس بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليهم من حسناته،

(1) - تمَّ تخرجه سابقاً، يُنظر: ص 362.

(2) - أبو عبد الرَّحْمَنِ السلمي، وصيَّة الشَّيْخ السلمي، تحقيق: مجدي فتحي السيّد (طنطا: مكتبة الصَّحابة، ج 1، 1408هـ)، ص 49.

(3) - النَّووي، صحيح مسلم بشرح النَّووي، كتاب البرِّ والصِّلَّة والآداب، باب صلة الرِّحم وتحريم قطيعتها، ج 16، المرجع السَّابق ص 115.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلَّة والآداب، باب تحريم الظُّلم، رقم الحديث 2581، ج 4، ص 1997.

(5) - النَّووي، شرح النَّووي على مسلم، كتاب البرِّ والصِّلَّة والآداب، باب تحريم التَّحاسد والتَّباغض والتَّدابر، رقم الحديث 2558، المرجع السَّابق، ص 1544.

فلَمَّا فرغت وبقيت بقية قوبلت على حسب ما إقتضته حكمة الله في خلقه وعدله في عباده فأخذ قدرها من سيئات خصومه فوضع عليه فعوقب به في النَّار، فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه<sup>(1)</sup>.

لقد كان النَّبِيُّ ﷺ مضرب المثل في هذا الخلق، فكان يقابل إساءة قومه بالإحسان مراعاة مشاعرهم وأحاسيسهم، وكان دومًا ﷺ يزن نفوس قومه بميزان المعدن الثمين، فيبعد عنهم كل ما يחדش كرامة أو يلحق إهانة، ويتأكد الأمر عند أصحاب النفوس المتوترة وحديثي عهد بالإسلام، فقد ترك النَّبِيُّ ﷺ هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم عليه السلام إجتنبًا للفتنة، فكانوا قوما حديثي عهد بجاهلية، فقال لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لولا حدائثُ عهد قومك بالكفر، لنقضتُ الكعبة وجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشًا حين بنت البيت استقصرت<sup>(\*)</sup> وجعلت له خلفًا»<sup>(2)</sup>.

وقال: «ولولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم ذلك، لنظرتُ أن أدخل الحجر في البيت، وأن ألزق بابه بالأرض»<sup>(3)</sup>.

وبزيادة عند الإمام مسلم: «ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض، شرقًا وغربًا، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: لا، قال: تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها، يدعونه يرتقي، حتى إذا كان أن يدخل دفعوه فسقط»<sup>(4)</sup>.

كان موقف النَّبِيِّ ﷺ العاطفي في قمة التسامح، فلم يرد إساءة مشاعرهم والمساس بعاداتهم فمراعاته ﷺ هذا الجانب المهم في نفوس قومه، كان حقيق أن يؤدي إلى مصلحة عظيمة لا تقارن بالمفسدة المرتقبة حال قيامه بتعديل بناء الكعبة.

(1) - النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابير، رقم الحديث 2558، المرجع السابق، ص 1544.

(\*) - استقصرت: أي قصرت عن تمام بنائها واقتصرت على هذا القدر، لقصور النفقة بهم عن تمامها (أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم الحديث 1333، ص 968).

(2) - المصدر نفسه، ص 968، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم الحديث 1585، ص 385.

(3) - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم الحديث 1585، ص 385.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم الحديث 1333، ص-ص 969، 970.

وقصته ﷺ مع عمير بن وهب (\*) لَمَّا اجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر فقال لصفوان بن أمية: «لولا عيالي ودين علي لأحببت أن أكون أنا الذي أقتل محمداً بنفسي فقال صفوان: فكيف تصنع فقال: أنا رجل جَوَادٌ لا ألحق آتيه فأغترته ثم أضربه بالسيف ثم ألحق بالجبل ولا يلحقني أحد فقال له صفوان: فعيالك ودينك علي فخرج فشحذ سيفه وسمه ثم خرج إلى المدينة لا يريد إلا قتل محمداً ﷺ فلما قدم المدينة رآه عمر بن الخطاب فقال له ذلك وشق عليه وقال لأصحاب رسول الله ﷺ إني رأيت وهباً قدم فرايتي قدومه وهو رجل غادر فأطيفوا بنبيكم ﷺ فأطاف المسلمون بالنبي ﷺ فجاء وهب فوقف على النبي ﷺ فقال: أنعم صباحاً يا محمد، فقال: قد أبدلنا الله خيراً منها، فقال: عهد لي بك تحدثت بها وأنت مُعَجَّبٌ فقال له النبي ﷺ ما أقدمك قال: جئت أفدي أسراكم، قال: ما بال سيف، قال: أما إننا قد حملناها يوم بدر فلم نُفْلِحْ ولم نَنْجَحْ، قال: فما شيء قلت لصفوان وأنتما في الحجر لولا عيالي وديني لكنت أنا الذي أقتل محمداً بنفسي، فأخبره النبي ﷺ الخبر فقال وهب: هاه كيف، قلت: فأعاد عليه، قال: وهب قد كنت تحبنا خير أهل الأرض فنكذبك فأراك تُخبر خبر أهل السماء أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، فقال: يا رسول الله أعطني عمامتك فأعطاه النبي ﷺ عمامته ثم رجع راجعاً إلى مكة، فقال عمر بن الخطاب: لقد قدم وإنه لأبغض إلي من الخنزير ثم رجع وهو أحب إلي من ولدي»<sup>(1)</sup>.

### ج- مقابلة الإساءة بالحلم والعفو والصَّفح

من خلق النبي ﷺ أنه رهيء الحس رقيق الوجدان محباً للفضيلة والتُّبَل، مراعيًا للقيم الروحية والإنسانية، وكانت لا تستفزّه سخافة الأجلاف من الأعراب المخطئين ولا تؤزّه حقارة اليهود. وخبثهم.. بل كان يقابل إساءتهم حلمًا ما لم تكن جسارة رعناء يُتَّهَك فيها الدين القيم، ومن سخافاتهم إدعائهم: أن الله عز وجل هجر وبغض نبيه محمداً، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَمَّا نزل على النبي ﷺ القرآن، أبطأ عنه جبريل أياماً فغبر بذلك، فقال المشركون: ودَّعه ربّه وقلاه، فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الصُّحَى: 3]<sup>(2)</sup>.

(\*) - عمير بن وهب: الجمحي القرشي الكناني الصَّحابي الجليل، كان من أشد أعداء الإسلام في الجاهلية، أسلم في العام الثاني للهجرة بعد غزوة بدر، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر (يُنْتَظَر: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، المرجع السابق، ص 660).

(1) - ابن هشام، السيرة النبوية، (جدة: مؤسسة علوم القرآن، د، ط، ج 1، د، ت)، ص 661.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة الصُّحَى، رقم الحديث 4950، ص 1261.

وسأل رجلُ النبي ﷺ يوماً فقال: «يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت رسول الله ﷺ، فأعاد الرجل السؤال كم أعفو عن الخادم؟ فقال ﷺ: كل يوم سبعين مرة»<sup>(1)</sup>.

والدّاعية إلى الله لا يواجه أخطاء غيره بالإساءة والصّراخ والتضجّر والتأفف، بل يجب أن يكون حليماً رصيناً مصفحاً معهم، التزاماً لقول النبي ﷺ: «من كظم غيظاً، وهو قادرٌ على أن يُنفذه، دعاهُ الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»<sup>(2)</sup> وهذا الجزاء لكظم الغيظ، لأنّه قهر لشهوة النفس التّوّاقة للغلبة والأمانة بالسوء.

ويذكر الإمام الطّبري رحمه الله في تاريخه، قصّة عن صفح النبي ﷺ لإساءة قريش فقال: (لم يزل النبي ﷺ مقيماً مع قريش بمكّة يدعوهم إلى الله سراً وجهراً، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به حتّى كان بعضهم يطرح عليه رحم الشّاة وهو يصلي، ويطرحها في برمته إذا نصبت له حتّى إنّخذ رسول الله ﷺ منهم فيما بلغني حجراً يستتر به منهم إذا صلى)<sup>(3)</sup>.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج بذلك إذا رمى به في داره على العود فيقف على بابه، ثمّ يقول: يا بني عبد مناف أيّ جوار هذا، ثمّ يلقيه في الطّريق»<sup>(4)</sup>.

ونظراً للعاطفة الحيّاشة التي تميّز بها النبي ﷺ فقد كان حسنَ المعاملة مع خصومه ولاسيما مع منافقي المدينة، وكان يدفع إساءتهم بالتي هي أحسن وبحلم وصبر وشفقة، يروي أسامة بن زيد رضي الله عنه

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النّوم، باب في حقّ المملوك، رقم الحديث 5164، ج7، المصدر السّابق، ص 470. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، وذكر حكم الألباني: حديث صحيح، وأخرجه التّرمذي كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب ما جاء عن العفو عن الخادم، رقم الحديث 1949، ج3، ص500، كذلك وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، قال وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الله بن وهب بهذا الإسناد، وقال عن عبد الله من عمرو وذكر بعضهم أن أبا داود أخرجه من حديث عبد الله بن عمر.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنّة، باب من كظم غيظاً، رقم الحديث 4777، ج7، المصدر السّابق، ص 157 وقال أبو داود: قال التّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، هذا آخر كلامه، وسهل بن معاذ بن أنس الجهني: ضعيف، والذي روى عنه هذا الحديث أبو مرحوم عبد الرحيم بن ميمون الليثي مولاهم المصري ولا يحتج بحديثه، وفي رياض الصّالحين للتّوحي، كتاب المقدمات، باب الصّبر، رقم الحديث 47، وعند ابن أبي الدنيا في كتاب ذمّ الغضب من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً)، ص 108.

(3) - ابن جرير الطّبري، تهذيب تاريخ الطّبري، تهذيب: رجب محمود إبراهيم بخيت (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ط1، 2017م)، ص 56.

(4) - المرجع نفسه، ص 56.



عن النَّبي ﷺ: «أنَّهُ ركب على حمارٍ على قطيفة(\*) فَدَكِيَّةٌ(\*)، حتَّى مرَّ بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلَمَّا غشيتِ المجلسَ عَجَاجَةُ الدابة حَمَّرَ عبد الله بنُ أبي أنفه بردائه، ثمَّ قال: لا تُعبِّروا علينا، فسَلَّمَ رسول الله ﷺ عليهم ثمَّ وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بنُ أبي بنُ سلول: أيُّها المرء، إنني لا أحسن ممَّا تقول إن كان حقًّا، فلا تؤذِنَا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك، فَمَنْ جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بنُ رواحة: بلى يا رسول الله، فاعشِنَا به في مجالسنا، فإنَّا نحبُّ ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتَّى كادوا يتشاورون، فلم يزل النَّبي ﷺ يَحْفُضُهُمْ حتَّى سكنوا، ثمَّ ركب النَّبي ﷺ دابته، فسار حتَّى دخل على سعد بنِ عبادة ؓ فقال له النَّبي ﷺ: يا سعدُ، ألم تسمع ما قال أبو حباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا، قال سعد بنُ عبادة ؓ: يا رسول الله، اغفُ عنه واصفح، فو الذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحقِّ الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَةِ على أن يتوجَّوه فيُعَصِّبُوهُ بالعصاة، فلَمَّا أبى الله ذلك بالحقِّ الذي أعطاك الله، شَرِقَ بذلك، فذلك فَعَلَ به ما رأيت، فعفا عنه رسولُ الله ﷺ»<sup>(1)</sup>.

ومحاولات الطَّعن في عرض النَّبي ﷺ بالإفراء والكذب عن السيِّدة عائشة ؓ في حادثة الإفك<sup>(2)</sup>، والذي كان القصد منه النيل منه ﷺ ومن أهل بيته الأطهار، وإحداث الفتنة في المجتمع الإسلامي آنذاك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «كُنَّا في عَزَاةٍ - قال سُفْيَانُ: مرَّةً في جَيْشٍ - فَكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ فقال: ما بَالُ دَعْوَى الجاهليَّةِ، قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ، فَسَمِعَ بذلك عبد الله

(\*) - قطيفة: دثار مجمول، جمعها قطائف وقطف (المنهاج في شرح صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النَّبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث 1798، ص-ص 1162، 1163). وفي (صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النَّبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث 1798، ص 1422).

(\*) - فدكيَّة: منسوبة إلى فذك، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة (المصدر نفسه، ص 1422).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النَّبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث 1798، ص 1422. وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب التَّسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، رقم الحديث 6254، ص 1561.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، رقم الحديث 4141، ص 1016.



بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لُيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فبلغ النَّبي ﷺ فقام عُمَرُ فقال: يا رسول الله: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فقال النَّبي ﷺ: دَعُهُ، لا يتحدثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وكانتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بعد، قال سُفْيَانُ: فحفظُهم من عَمْرٍو، قال عَمْرٍو: سَمِعْتُ جَابِرًا: كُنَّا مَعَ النَّبي ﷺ»<sup>(1)</sup>.

ومحاربتهم للنَّبي ﷺ بتأسيس مسجد ضرار بقرب مسجد قباء، والذي كان من وراءه التَّيْل للنَّبي ﷺ وتحقيق أهدافهم الماكرة، فقد حاولوا أَنْ يُؤَسِّسُوا مَسْجِدًا وَيُصَلِّيَ لَهُمُ النَّبي ﷺ فيه حتَّى يروج لهم ما يريدونه من الفسادِ والفكر والعناد، فطلبوا منه ﷺ الصَّلَاة فيه ليكون مسجدًا قد باركه النَّبي ﷺ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْلَعَهُ عَلَى حَقِيقَةِ هَذَا الْبِنَاءِ وَعَلَى أَسْرَارِهِمْ وَمَا أَرَادُوهُ مِنْ تَأْسِيسِ هَذَا الْمَسْجِدِ، وَلَوْلَا إِعْلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ بِهَذَا الْمَخْطُوطِ الْمَاكِرِ لِأَقْبَلِ النَّاسِ يَصَلُّونَ فِيهِ وَاخْتَلَطَ الْمُنَافِقُونَ بِضِعَافِ الْمُسْلِمِينَ، لِيَنْفَرِدُوا بِهِمْ وَقَدْ يُؤَثِّرُونَ عَلَيْهِمْ بِالشَّائِعَاتِ، لِذَلِكَ أَمَرَ النَّبي ﷺ بِهَدْمِ هَذَا الْمَسْجِدِ، وَإِسْقَاطِ أَيِّ عَمَلٍ يَرَادُ مِنْهُ الْإِضْرَارُ بِالْمُسْلِمِينَ.<sup>(2)</sup>

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «قاتل رسول الله ﷺ محارب بن خصفة، قال: فرأوا من المسلمين غرّه فجاء رجل حتَّى قام على رسول الله ﷺ بالسَّيْفِ فقال: من يمنعك مِنِّي، قال: الله، فسقط السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيْفَ فقال: من يمنعك مِنِّي؟ قال: كن خير آخذ قدر، قال: أتشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأني رسول الله، قال: لا، غير أُنِّي لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى سبيله فجاء أصحابه فقال: جئتمكم من عند خير النَّاسِ»<sup>(3)</sup>.

وقصته ﷺ مع اليهودي الذي سحره فقابل إساءته بالصَّفْحِ والعفو دون مقابل عن زيد بن أرقم ﷺ قال: «سَحَرَ النَّبي ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقْدًا فِي بئرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَخْرَجُوهَا، فَجِيءَ

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ [المنافقون: 6]، رقم الحديث 4905، ص 1241.

(2) - يُنْظَرُ: إِنْ كَثُرَ، الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ، فَصْلُ قِصَّةِ مَسْجِدِ ضَرَارٍ (بيروت: مكتبة المعارف، ط6، ج5، 1409هـ/1988م)، ص

21.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرِّقَاعِ، رقم الحديث 4136، ص 1015، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف رقم الحديث 843، ص 576، وفي جامع المسانيد، لابن كثير، مسند جابر بن عبد الله ﷺ، رقم الحديث 121 (بيروت: دار الكتب العلمية، ج24، 2012م)، ص 6636.

بها، فقام رسول الله ﷺ كأنما نُشطَ من عِقَالٍ<sup>(\*)</sup>، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي، ولا رآه في وَجْهِهِ<sup>(\*)</sup> قَطَّ حَتَّى مات<sup>(1)</sup>.

لقد مَلَكَ النَّبي ﷺ لمن أساءوا إليه شغافَ قلوبهم، بعفوه وصفحه، وبُحْسَن خلقه، ولطف معاملته، حتى دعاهم هذا الخلق العظيم إلى قبول الحقِّ والدُّخول في الإسلام، وكفَّ الشرَّ عن المسلمين.

### لقد أظهر منهج النَّبي ﷺ العاطفي:

- لا ينتصر لنفسه أبداً في ما يلقيه من إساءة النَّفس أو المال أو العِرْض، بل يقابلهم بالإحسان والمعاملة بالتي هي أحسن.

- كما أظهر عنايته ﷺ بحفظ النَّفس وحمايتها، مبيِّناً بنوع من الرَّهبة تغليظ عقوبة المعتدي في النَّار، فالإعتداء على النَّفس والإساءة إليها ليس بالأمر الهين، ولا ينبغي أن يسكت عليه الدَّاعية حفاظاً على المجتمع وعلى كرامة الإنسان، يقول تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32].

- جدير بالدَّاعية إلى الله أن يولي عنايته بالنَّفس ليدرك النَّاس حقيقة الإسلام بشأنها، خصوصاً وما يشهده الواقع المعاش من تنوُّع أشكال الإعتداء في أفطع صوره.

### وعليه يتعيَّن على الدَّاعية الاستفادة من دعوة النَّبي ﷺ إلى الأخلاق كالآتي:

- إنَّ هدف الأخلاق تحقيق السَّعادة في الحياة الفردية والجماعية، ذلك أنَّ الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي، تنتشر الثَّقة المتبادلة والألفة والحبَّة بين النَّاس، وإذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء، وتناصر النَّاس من أجل المناصب، والمادة، والشَّهوات، فلا بدَّ من القيم الأخلاقية الضَّابطة لهذه التَّوازع، وإلا كثرت الشرور التي هي سبب التَّعاسة والشَّقَاء في حياة الأفراد والجماعات،

(\*) - عِقَالٍ: أي حل من رباط، وقال ابن الأثير في التَّهامة: فكأنما أنشط من عقال، وكثيراً ما يجيء في الرواية، فكأنما نشط من عقال، وليس بصحيح (يُنظر: محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصَّحابة، المرجع السَّابق، ص 318).

(\*) - وَلَا رَأَهُ فِي وَجْهِهِ قَطَّ: أي ما رأى اليهودي أثر غضب النَّبي ﷺ في وجهه ﷺ (المرجع نفسه، ص 318).

(1) - أخرجه النَّسائي في سننه، تحقيق: رائد بن صبري (ابن أبي علفة، تحريم الدَّم، باب سحرة أهل الكتاب، رقم الحديث 4080 (الرِّيَاض: دار الحضارة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 557. وقال النَّسائي: هذا حديثٌ صحيحٌ، وقال الألباني: هذا حديثٌ صحيحٌ، صحيح الإسناد.

ولهذا قال أحد الأخلاقيين الفرنسيين: إن الحياة من غير قيم - وإن كانت حلوة على الشفاه - فإنها مرّة على القلوب والنّفوس<sup>(1)</sup>.

- الأخلاق التي أراد النَّبي ﷺ ترسيخها وبيانها تلك الأخلاق لا تقتصر على السُّلوك الظَّاهري فحسب من أعمال وأقوال وتصرفات، بل تؤخذ بعين الاعتبار النِّيَّات والمقاصد، بخلاف الدِّيانات الأخرى التي يراعي فيها السُّلوك الظَّاهري قد يعاقب عليه أو لا يعاقب من سرقة أو شرب خمر أو الإضرار بالآخرين لسبب ما ..، بينما الأخلاق التي تجسدت في دعوة النَّبي ﷺ ودعا إليها، تلك النّابعة من القلب والنّيّة والإخلاص، كالجود ومساعدة الآخرين والصّبر عليهم والتحمّل والشفقة والرّحمة والتّواضع ... فجميعها ليس لغرض منفعة أو مصلحة شخصيّة، بل لمصلحة إنسانيّة وشرعيّة ودينيّة.

- بيّنت الأدلّة الواردة بأنّ الأخلاق من الصّفات التي تثير انتباه النَّاس وتؤثّر فيهم، ويدركون بها صلاح الدّاعية أو فساده، فعن كعب الأَخْبَار أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَانْظُرُوا مَاذَا يَتَّبَعُهُ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ»<sup>(2)</sup> والنّاس لا يرون عقيدة الشّخص كما لا يرون عباداته، ولكنهم باستطاعتهم أن يروا أخلاقه التي تتيح لهم تقييم دينه وإيمانه بناء على تعامله، كما أنّ أيّ مجتمع من المجتمعات لا يسوده السّلام والأمان دون أن تربط بين أفرادها روابط خلقية متينة، ومتى فقدت الأخلاق في مجتمع ما، تفكّك المجتمع وعمّت الشُّحْناء والتّصارع.

- يقول الدُّكتور إبراهيم الحاربي: (ينبغي للرّجل إذا سمع شيئاً من آداب النَّبي ﷺ أن يتمسّك به)<sup>(3)</sup> وكانت دعوة النَّبي ﷺ إلى التّمسّك بالأخلاق صريحة وواضحة، يجب توفّرها عند كلّ داعية وأيّ مسؤول في الدّعوة إلى الله، خصوصاً ممّن وليّ الحكم أو المشورة والقيادة، وهو يواجه أصناف النَّاس، ومن البديهيّ أنّ الذي يتصدّى للقيادة لو افتقد هذه الخصلة الهامّة، وافتقر إلى روح السّماحة وصفة اللّين وعامل من حوله بالخشونة والعنف والفظاظة، سيواجه الهزيمة وسرعان ما تصاب مشاريعه وبرامجه بنكساتٍ ماحقةٍ تبدّد جهوده وتذري مساعيه أدراج الرّيح.

(1) - مقداد بالجن محمّد علي، علم الأخلاق الإسلامية، المرجع السّابق، ص 8.

(2) - مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 5 (بيروت: دار إحياء الثّراث العربي، ط 1، ج 2، 1406هـ/1985م)، ص 904.

(3) - خالد بن جمعة بن عثمان الخزّاز، موسوعة الأخلاق، المرجع السّابق، ص 30.

- كما على الدَّاعية أن يتَّخذَ الحذرَ لمراقبة المدعوين له، فإنَّ لاحظوا فيه ما لا يتناسب مع أخلاق الإسلام تصدَّوا عنه وابتعدوا ورفضوا دعوته، بل ربَّما يعيونه ويناوئونه، ومن أجل ذلك يجدر به الاقتداء بالنَّبي ﷺ المهتدى القدوة العظمى حتَّى يلقي الاستجابة والالتفاف الفردي أو الفتوي، ولم لا الجماهيري الذي يثبت فيه الكفاءة والجدارة في جذب الجماهير فيكون أداةً لنجاح دعوة الإسلام، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأحزاب: 21] ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾ [الصف: 2-3].

- الأخلاق وسيلة للنُّهوض بالأُمَّة، وذلك أنَّ التأريخ يخبرنا أنَّ سقوط كثير من الأمم والحضارات كان بسبب إغيار الأخلاق، كما قرر ذلك ابنُ خلدون وغيره، وقد سئل أحد وزراء اليابان ما سرُّ تقدم اليابان هذا التَّقدُّم؟ فقال الوزير: السرُّ يرجع إلى تربيته الأخلاقية<sup>(1)</sup>.

- أبان النَّبي ﷺ للدَّاعية قضية هامة من قضايا الدَّعوة تتعلَّق بحقوق المسلمين فيما بينهم، مبرزاً مكانته العميقة وأثرها في القلوب، مشيراً إلى أنَّ قوَّة الدَّاعية في دعوته من خلال التزامه وتشبُّهه بالأخلاق النَّبيلة وعلى رأسها الحياء، والرَّحمة، والمودَّة، والعطف، والودِّ، وتفعيل أسلوب المشاركة الوجدانية من خلال الإحساس بآلام النَّاس وهمومهم، ممَّا يساهم في بناء جسور المودَّة فينشأ عنها دافعية الشُّعور الإيجابي نحو الخير والتَّضامن، كما يشعروهم بالتَّبعية والانتماء إليهم يخشى عليهم كما يخشى على نفسه، ويشعروهم بعدم الاستغناء عنهم كالجسد الذي لا يستغني عن الرأس، عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: «أنَّ رجلاً جاء إلى النَّبي ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ النَّاس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال ﷺ: أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعهم للنَّاس، وأحبُّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف كربه أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً، ولأنَّ أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتَّى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تَزول الأقدام»<sup>(2)</sup>.

(1) - مقداد يالجن محمَّد علي، علم الأخلاق الإسلامية، المرجع السَّابق، ص 9.

(2) - أبو القاسم الطَّبْراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد الله المجيد، عمرو بن دينار، عن ابنِ عمر، رقم الحديث 13646 (القاهرة: مكتبة إِبْنِ تَيْمِيَّة، ط2، ج12، د، ت)، ص 453. وأخرجه ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا في قضاء الحوائج، تحقيق: مجدي السيّد إبراهيم، رقم الحديث 36 (القاهرة: مكتبة القرآن، د، ط، ج1، د، ت)، ص 45.

فكلّما كثر نفع الدّاعية لمدعوّيه، كلّما ازدادت محبّة الله تبارك وتعالى له ومحبة المدعوين له، وكلّما نقصت منفعة الدّاعية لغيره كلّما نقصت محبة الله عزّ وجلّ له ومحبة المدعوين له، وبهذا نلتمس من الهدي النبوي إلى ما يحوط المجتمع من الكثير من مظاهر الشّقاق وسوء الظّنون أحدثت الفرقة واللامبالاة، وضعفت العواطف وقست القلوب وتحجّرت، والذي لو تعرّضت له القلوب الخيرة من الأمّة لأفقدتها أهمّ قوى الجذب والاستقطاب في مجتمع إسلامي يطالب أن تشيع في أوساطه قيم التكافل والتّراحم والمودّة ... فيحفظ ألفتهم ومودّتهم ويحقق معاني الأخوة بينهم يقول تعالى:

﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63].

## المبحث الثالث: في مجال الشرائع

عند النظر في دعوة النبي ﷺ نجدها شاملة وكافية، فما من موضوع يعالج الحياة الإسلامية إلا ولها نصيباً من أحكام الإسلام وشرائعه، فبعد قبول التوحيد عرض النبي ﷺ شريعة الإسلام بما فيها أركانه الخمس التي لا يصلح حال الأمة إلا بتمسكها بهذه الأركان، ونظراً لتشعب موضوعات الشريعة اكتفيت بعرض جانباً مهماً فيها وهي العبادات، على غرار الموضوعات الأخرى من معاملات وسياسة وقانون وفي أمور الحكم وغيرها كثير نظراً لتشعبها، وقبل التفصيل في هذا الموضوع أستهل بتقديم مفهوم الشريعة وبيان أهميتها في الدعوة إلى الله.

### المطلب الأول: مفهوم الشريعة وأهميتها في الدعوة إلى الله

#### أولاً: مفهوم الشريعة

##### أ - لغة

- يعرفها العلامة الرّازي بالقول: (الشريعة بمعنى الماء، وهي مورد الشاربة، وبمعنى الطريقة يقول تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨] [الجاثية: ١٨] <sup>(١)</sup>.

##### ب - اصطلاحاً

إن مفاهيم الشريعة كثيرة ومتعددة عرفها علماء الفقه والدعوة وفصلوا فيها، فصنّفها البعض إلى معنيين يشملان الشريعة من مفهومها الواسع وهي كالآتي:

- يعرفها الإمام القرطبي رحمه الله بالقول: (هي الأحكام التي شرعها الله لعباده سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن أو بسنة النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير) <sup>(٢)</sup>.

- ويعرفها الدكتور عبد الله ناصح علوان بالقول: (الشريعة الإسلامية هي كل ما جاء به النبي محمد ﷺ عن الله عز وجل، سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل البشري من رق الوثنية والخرافات ... أو ما يتعلق بإصلاح الأخلاق لتحرير الإنسان من زيغ الأهواء وفتنة الشهوات وما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفساد) <sup>(٣)</sup>.

(١) - الرّازي، مختار الصحاح، مادة شرع (بيروت: مكتبة لبنان، د، ط، 1986م)، ص 140.

(٢) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، المصدر السابق، ص 38.

(٣) - عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها (دار السلام، ط 3، 2007م)، ص 6.

- وفي تعريفٍ آخر لها: (هي توحيد الله بالعبادة وعدم الشُّرك به، والإيمان به وبرسله وكتبه واليوم الآخر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشُّورى: 13].

فالذي شرع هذا الدِّين الذي له مقاليد السَّمَاوَات والأَرْض أودع آثار صفاته العُلا في شرعه، فشرع لهم ما شرع لأقوام الأنبياء والرُّسل عليهم السَّلَام مبيِّناً قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ [الشُّورى: 13] وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرَّجل بإقامته مسلماً ولم يُرد الشَّرائع التي هي مصالح الأُمم على حسب أحوالها<sup>(1)</sup>، يقول العلامة السَّعدي رحمه الله: (أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدِّين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البرِّ والتَّقوى، ولا تعاونون على الإثم والعدوان، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾ أي: ليحصل منكم الاتِّفق على أصول الدِّين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرِّقكم المسائل وتحزِّبكم أحزاباً وتكونون شيعاً، يعادي بعضكم بعضاً، مع إتفاقكم على أصل دينكم)<sup>(2)</sup>.

- وفي تعريفٍ آخر لها: (هي مجموعة من الأوامر والنَّواهي المكلف بها والمطالب بالتزامها في الأقوال والأفعال والاعتقاد)<sup>(3)</sup> يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18] وقال: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] فالله تعالى شرع لكلِّ رسول شرعة على حدِّى، ففي التَّوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، إلى أن بعث النَّبي مُحَمَّد ﷺ وهو خاتمهم بشريعة القرآن، فالشَّرائع مختلفة في الأوامر والنَّواهي، ماعدا التَّوحيد الذي لا يقبل الله غيره فلا اختلاف فيه يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: 48] ليختبر عباده فيما شرع لهم أو يثبتهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كلِّه<sup>(4)</sup>.

(1) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، المصدر السَّابق، ص 451.

(2) - السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان في تفسير كلام المَثان، ج1، المرجع السَّابق، ص 754.

(3) - الشُّحات إبراهيم مُحَمَّد منصور، مقرر المدخل في الشَّريعة الإسلامية، مركز التَّعليم المفتوح بجامعة بنها، برنامج الدَّراسات القانونية، 2007م، ص 9.

(4) - بتصرُّف: ابنُ كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، المصدر السَّابق، ص - ص 129، 130.



- وفي تعريف آخر لها: (هي إسم للأحكام التي تنظّم أمور العباد، وهي بذلك تختلف بناء على ذلك من ملّة إلى ملّة والطريق الذي يؤدي إلى الهداية الإنسانية التي تحيي النفوس وتوقظ القلوب)<sup>(1)</sup>.  
وعليه إنطلاقاً من هذه المعاني تبين: أنّ الشريعة هي ما شرعه الله على عباده من عبادات ومعاملات وأحكام وشرائع وأخلاق.

### ثانياً: أهميّة الشريعة في الدّعوة إلى الله

يحتاج الدّاعية إلى معرفة موضوعات الشريعة وتطبيقاتها في الدعوة، لأنّه أحوج ما يكون إلى معرفة الشرع وأحكامه وفرائضه ومعاملاته وشعائره التعبّدية وكلّ ما يشتمل عليه من الأعمال الظاهرة التي يمتاز النَّاس في أدائها، وهي التي جاء بها النَّبي ﷺ فدعا النَّاس إلى الإلتزام بها لأثرها في تربية النَّفس وتركية الرُّوح، في حين لن تصلح الأُمَّة ببعدها عن شريعتها الوضّاءة، ولا سبيل للسّعادة إلّا بالتّمسك بهذه الشريعة السّميحة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (حاجة النَّاس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كلّ شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطبّ إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب... وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، فمبناها على الوحي المحض... فإنّ ما يقدر عند عدم الشريعة فساد الرُّوح والقلب جملة وهلاك الأبد فليس النَّاس قطّ إلى من أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به النَّبي ﷺ والقيام به والدعوة الله والصبر عليه)<sup>(2)</sup>.

فالشريعة مترجمة للعقيدة وثمرّة من ثمراتها من قبول العبادات والأعمال وتنظيم حياة النَّاس وشؤونهم يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: (الغاية التي تريد الشريعة الإسلامية تحقيقها هي إقامة العباد على منهج العبودية الصّادقة لله، وهذه العبودية الصّادقة تؤسّس نظام الحياة الإنسانية على المعروفات، وتطهّر من المنكرات، والمعروف هو الخير الذي يناسب الفطرة التي فطر الله عباده عليها، والمنكر هو الباطل الذي يصادم فطرة الله التي فطر النَّاس عليها، والإسلام يريد من العباد أن يجاهدوا دائماً بقصد إقامة هذه الشريعة لإيجاد المجتمع الطّاهر الذي تسوده القيم الفاضلة، ويعمّ فيه المعروف ويجتث منه المنكرات)<sup>(3)</sup>.

(1) - الشحات إبراهيم محمّد منصور، مقرر المدخل في الشريعة الإسلامية، المرجع السّابق، ص- 11، 12.

(2) - عمر سليمان الأشقر، الرُّسل والرّسالات (الكويت: مكتبة النَّفائس، مكتبة الفلاح، ط2، 1403هـ/1983م)، ص 34.

(3) - عمر سليمان الأشقر، خصائص الشريعة الإسلامية (الكويت: مكتبة، ط1، 1982م)، ص 26.

### ثالثاً: تدرُّج النَّبي ﷺ في الدَّعوة إلى الشَّريعة

يعدُّ التَّدْرِجُ <sup>(1)</sup> قاعدة مهمَّة في الدَّعوة إلى الله، ومنهجاً من مناهج دعوة النَّبي ﷺ، بحيث يسهِّل قبول الدَّعوة بتهيئتها عند تقديمها وعرضها بدءاً بالأهمِّ ثمَّ المهمِّ، مرحلة بمرحلة، بيسر دون تعسير، وعند التَّمُعُن في دعوة النَّبي ﷺ يجد قاعدة التَّدْرِج ملازمة لمنهجه الدَّعوي وبالأحرى في موضوعات الشَّريعة، يراعى خلالها حال المدعوين وحاجتهم رحمة وشفقة بهم، لأنَّه يصعب إخلاعهم من فكرة أو عادة أو اعتقاد بسهولة، فكان التَّدْرِج النَّبوي يسيراً تقبله النفوس دون مشقَّة وتدعن إليه، يوضِّح ذلك عندما بعثَ معاذاً ﷺ قاضياً وأميراً إلى اليمن، يأمره أن يدعوهم إلى التَّوحيد أولاً قبل الصَّلَاة وقبل غيرها من الأعمال الأخرى، وهذا فيه دلالة على أنَّ الدعوة إلى أصل الدِّين في مقدِّمة الأوامر، فبعد قبول التَّوحيد من قبل المدعو يعرض الدَّاعية أركان الإسلام مراعيّاً في ذلك أحوال المدعو وما جُبِّلَ عليه من اعتقادات وعادات وأفكار يصعب مفارقتها، تقول السيِّدة عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه البخاري: «إنَّما نزل أولَ ما نزل سورة من المفصَّل، فيها ذكر الجنة والنَّار، حتى إذا ثاب النَّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أولَ ما نزل: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزَّنا أبداً» <sup>(2)</sup>.

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ أعرابياً، جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، دُنِّني على عملٍ، إذا عَمِلْتُهُ دخلتُ الجنة»، قال: تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المفروضة، وتصومُ رَمَضَانَ قال: والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا شَيْئاً أبداً، ولا أَنْقُصُ مِنْهُ، فلمَّا ولى، قال النَّبي ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رجلٍ مِنْ أَهْلِ الجنة، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا» <sup>(3)</sup>.

كان بيان النَّبي ﷺ للأعرابي عند الإجابة على سؤاله هو تدرُّجه في الأخذ بالتَّوحيد أولاً، ثمَّ بالعبادات المفروضة الأولى بالأولى، لأنَّ ترك أولها يطل ما بعدها، وهذا منهج عاطفي سلكه النَّبي ﷺ في تشريعه للأحكام المفروضة رحمة بالنَّاس وترغيباً لهم في القبول والإقبال عليها طاعة وإنصياعاً، ومن ذلك تدرُّجه في تحريم الخمر، فاقتضت حكمة النَّبي ﷺ في دعوة النَّاس إلى الشَّريعة أن يتدرَّج معهم على وجه حتى لا يشقُّ عليهم، بادئاً بالأهمِّ إلى المهمِّ <sup>(4)</sup> وهذا التدرُّج مطلوب في أيِّ زمان

(1) - تمَّ شرحه سابقاً، يُنظر: ص 271.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم الحديث 4993، ص 639.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي به يدخل الجنة، رقم الحديث 14، مج 1، ص 27.

(4) - إبراهيم بن عبد الله المطلق، التَّدْرِج في دعوة النَّبي ﷺ، المرجع السَّابق، ص 61.

ومكان تقبله النفوس وتنقاد إليه، يذكر العلامة الفقيه محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله حول أسلوب النبي ﷺ في دعوته إلى شريعة الإسلام فيقول: (أرسل محمد - ﷺ - مفطوراً على الرحمة فكان لينه رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها فلذلك يعدّ لينه مصاحباً برحمة من الله أودعها الله فيه، إذ هو قد بعث للناس كافة ولكن إختار الله أن تكون دعوته بين العرب أول شيء لحكمة أرادها الله في أن يكون للعرب هم مبلغ الشريعة للعالم)<sup>(1)</sup>.

ولابدّ من الإشارة إلى الطريقة التي سلكها النبي ﷺ في الدعوة إلى أحكام الشريعة بها يركي النفس ويغذي الروح ويقوم الإرادة، فبدأ بفريضة الصلاة في أول العهد المكّي ثم زادها خمس قبل الهجرة بسنوات، وثنى بالزكاة والصوم في السنة الثانية للهجرة، وختم بالحجّ بعدما ألفت النفوس جميع الشرائع فاطمأنت إلى سلامة أحكامه فأقبلت عليه وإنقادت لدعوته طائعة<sup>(2)</sup>.

روى الإمام البخاري في سنده عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دويّ صوته ولا نفقه ما يقول، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: هل عليّ غيرهنّ؟ قال: لا، إلا أن تطوّع، قال رسول الله ﷺ: وصيام شهر رمضان، قال: هل عليّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوّع، قال: وذكر رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوّع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، قال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق»<sup>(3)</sup> وقد نبّه الإمام القرطبي رحمه الله إلى أسلوب التدرّج وأثره في دعوة النبي ﷺ بناء على ما قاله ابن عباس ﷺ: «بعث النبي ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلمّا صدّقه فيها زادهم الصلاة، فلمّا صدّقه زادهم الزكاة، فلمّا صدّقه زادهم الصيام، فلمّا صدّقه زادهم الحجّ، ثمّ أكمل لهم دينهم»<sup>(4)</sup>.

وبناء على ما تمّ ذكره بخصوص التدرّج في دعوة النبي ﷺ نجد إرتكز ﷺ بعد موضوع العقيدة على موضوع العبادات وطريقته في الحفاظ عليها، وهي جزء من موضوعات دعوته ﷺ، فتعيّن لي التّركيز على موضوع العبادات بغض النظر على الموضوعات الأخرى لكثرتها وتشعبها وهو ما سيكلّفني صفحات طائلة.

(1) - محمد بن إبراهيم الحمد، بحث في الرحمة وللعظمة في السيرة النبوية، جامعة القصيم، كلية الشريعة وأصول الدين، قسم العقيدة، 1428هـ، ص 41.

(2) - عبد الله بن محمد الموسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، المرجع السابق، ص 265.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم الحديث 46، المرجع السابق، ص 16.

(4) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، المصدر السابق، ص 264.

## المطلب الثاني: دعوة النَّبي ﷺ إلى الحفاظ على الصَّلَاة بالمنهج العاطفي

### أولاً: مفهوم الصَّلَاة

#### أ- لغة

- يعرفها العلامة الأصفهاني بالقول: (الدُّعاء والتَّبرُّك والتَّمجيد)<sup>(1)</sup>.
- ويعرفها العلامة الفيروز آبادي بالقول: (الرَّحمة والإستغفار وحسن الشَّاء من الله عزَّ وجلَّ وعلى رسوله)<sup>(2)</sup>.

#### ب- اصطلاحاً

من أكثر العبادات تكررًا فيما فرض الله تعالى هي الصَّلَاة<sup>(3)</sup>، وهي ركن من أركان الإسلام افتُرِضت أوَّل شيء بعد التَّوحيد، وذلك لعظم أهميتها وأثرها الكبير في النَّفس، ولها شروط وأركان وفرائض وسنن، يقول النَّبي ﷺ في حديث الإسراء: «فرض الله على أمَّتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتَّى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله على أمَّتكَ؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربِّك فإنَّ أمَّتكَ لا تطيق ذلك، فراجعته فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإنَّ أمَّتكَ لا تطيق، فراجعته فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربِّك فإنَّ أمَّتكَ لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي...»<sup>(4)</sup>.

وكان يقدِّمها على غيرها في أعماله، يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: (كان النَّبي ﷺ أوَّل ما يشترط بعد التَّوحيد إقامة الصَّلَاة، لأنَّها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنَّها رأس العبادات المالية، ثمَّ يَعْلَم كلُّ قوم ما حاجتهم إليه أمس)<sup>(5)</sup>.

ويضيف قائلاً: (لم يكلف النَّاس إلَّا بالتَّوحيد فقط ثم استمرَّ ذلك مدَّة مديدة ثم فرض عليهم من الصَّلَاة ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ ذلك كلَّه بالصَّلوات الخمس لم تكثر الفرائض وتتابع إلَّا بالمدينة، ولَمَّا ظهر الإسلام وتمكَّن في القلوب كان كلَّما زاد ظهورًا وتمكَّن إزدادت الفرائض

(1) - الرَّاغِب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، مادَّة صلا، المصدر السَّابِق، ص 285.

(2) - الفيروز آبادي، القاموس المحيظ، مادَّة صلي، المصدر السَّابِق، ص 1681.

(3) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابِق، ص 121.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، باب كيف فرضت الصَّلَاة في الإسراء؟، رقم الحديث 349، ص 55.

(5) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب البيعة في الصَّلَاة، ج 2، المرجع السَّابِق، ص 6.

وتتابعت<sup>(1)</sup> فأمر بالحفاظ على الصَّلَاة وصلاة الجماعة، فهي مظهر من مظاهر تعلق العبد بخالقه ومناجاة لله بطلب ما يحتاج إليه العبد مع الشكر والثناء.

ثانيًا: أساليب النَّبي ﷺ وطريقته في الدَّعوة إلى الصَّلَاة

أ- حبُّ النَّبي ﷺ للصَّلَاة

الصَّلَاة هي علامة الإسلام ودليله وراحة النَّفس والقلب، وقرة العين، ومفزع الدَّاعية عندما يحزبه أمر، وهي عماد الدِّين وعموده، تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر يقول تعالى: ﴿ أَتْلُمَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [٤٥] ﴿ [العنكبوت: 45].

وقد كان النَّبي ﷺ مملوء الحشية بالله تعالى موصول الهمة بعبادته، فكان يقوم بالدَّعوة ويضيف إلى هذا العمل العظيم التقرب إلى الله تعالى بالصَّلَاة وتلاوة القرآن، وكان يتهجَّد بالله على وفق قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: 79] فقد كان يحبُّ الصَّلَاة حبًّا لا يمكن وصفه، وكان إذا حزبه أمرٌ صَلَّى وقد جعلت قرة عينه في الصَّلَاة، وقد علَّم أصحابه كيف تصبح الصَّلَاة سلاحًا لمشكلاتهم وهمومهم وراحة وطمأنينة<sup>(2)</sup>.

ولأنَّها مبنية أساسًا على التذلل والخشوع والخضوع والذكر والدُّعاء، كان يقول لبلال: «يا بلال! أقم الصَّلَاة أرحنا بها»<sup>(3)</sup> وكان يقول ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصَّلَاة»<sup>(4)</sup>.

وعن علي ﷺ قال: «كان آخر كلام النَّبي ﷺ الصَّلَاة، إتقوا الله فيما ملكت أيما نكم»<sup>(5)</sup> وعن عائشة ﷺ قالت: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا لم يصلِّ بالليل منعه من ذلك النَّوم، أو غلبته عيناه، صلى من النَّهار ثنتي عشرة ركعة»<sup>(6)</sup>.

(1) - جواد علي، تاريخ الصَّلَاة في الإسلام (بغداد: مطبعة ضياء، د، ط، د، ت)، ص 22.

(2) - علي محمد الصُّلَّي، السيرة النَّبوية وقائع وتحليل الأحداث، المرجع السَّابِق، ص 113.

(3) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث 4985، ج7، المصدر السَّابِق، ص 338.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، كتاب النَّوم، باب في حقِّ المملوك، رقم الحديث 5156، ج7، المصدر السَّابِق، ص 464.

(5) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النَّوم، باب في حقِّ المملوك، ج5، رقم الحديث 5156، المصدر السَّابِق، ص 359.

(6) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصَّلَاة، باب إذا نام عن صلاته بالليل صَلَّى بالنَّهار، باب منه 211، رقم الحديث 445، ج1، المصدر السَّابِق، ص 463. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وأخرجه مسلم في ضمن حديث طويل.

وعن المغيرة بنُ شعبة ؓ قال: «صَلَّى رسول الله ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»<sup>(1)</sup>.

لَقَدْ كَانَتْ الصَّلَاةُ أَوَّلَى إِهْتِمَامَاتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِعَظُمَ قَدْرُهَا وَرَفَعَةُ شَأْنِهَا إِعْتَبَرَ تَرْكُهَا كُفْرًا وَخُرُوجًا عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»<sup>(2)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعَقِيلِيِّ ؓ قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَرُونَ شَيْئًا مِنْ الْأَعْمَالِ تَرَكَهَ كُفْرًا غَيْرَ الصَّلَاةِ»<sup>(3)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَبَا سَفْيَانَ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ هِرْقُلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: فَمَا يَأْمُرُكَ بِعَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، وَالْعِفَافِ وَالصِّلَةِ»<sup>(4)</sup>.

وَعَنْ عَتَبَانَ ؓ قَالَ: «أَصَابَنِي فِي بَصْرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتَنْصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَمِنْ شَاءِ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابٍ»<sup>(5)</sup>.

لَقَدْ فَطَنَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِفَائِدَةِ عَظِيمَةٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْكَرِيمِ فَيَقُولُ: (وَفِيهِ الْبِدَاءُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ، فَإِنَّهُ ﷺ فِي حَدِيثِ عَتَبَانَ هَذَا بَدَأَ أَوَّلَ قُدُومِهِ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ أَكَلَ)<sup>(6)</sup> فَلَا يَكُلُ وَلَا يَفْتَرُ عَنْهَا.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب قيام النَّبي ﷺ اللَّيْلَ حَتَّى تَرَمَ قَدَمَاهُ، رقم الحديث 1130، ص 274. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة، رقم الحديث 2819، ص 2171. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصَّلَاة، باب ما جاء في الإِجْتِهَادِ فِي الصَّلَاةِ، رقم الحديث 412، ج 1، المصدر السابق، ص 437. وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على ترك الصَّلَاة، ج 1، رقم الحديث 82، ص 85.

(3) - الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، ج 1، رقم الحديث 11، ص 48، وصحيح التَّرمِذِيِّ وَالتَّهْزِيبِ لِلْأَبْلَانِيِّ، كتاب الصَّلَاة، باب التَّهْزِيبِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ تَعَمُّدًا، ج 1، رقم الحديث 564، ص 227.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمَّها ولها زوج، رقم الحديث 5635، ص 2230.

(5) - النَّوَوِيُّ، صحيح مسلم بشرح النَّوَوِيِّ، كتاب الإيمان، باب الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قِطْعًا، ج 1، المرجع السابق، ص 217.

(6) - النَّوَوِيُّ، صحيح مسلم بشرح النَّوَوِيِّ، كتاب الأمر بالإيمان، قِصَّةُ عَتَبَانَ، ج 1، المرجع السابق، ص 245.

## ب- رحمته ﷺ في الصلاة وبيان صفتها بأسلوب هين لين

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه وأُمَّته من بعده طريقة الصلاة وحسن أدائها بروية وحكمة وبرحمة، ليتذوقوا حلاوتها من خلال التأني والخشوع والخضوع، عن رفاعه بن رافع رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد يوماً ونحن معه، إذ جاءه رجل كالبديوي، فصلّى فأخفّ صلاته، ثمّ انصرف فسلم على النبي ﷺ فقال: وعليك، فارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ، فرجع فصلّى، ثمّ جاء فسلم عليه، فقال: وعليك، فارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، كلّ ذلك يأتي النبي ﷺ فيسلم فيقول النبي ﷺ: وعليك، فارجع فصلّ فإنّك لم تصلّ، فعاف النَّاسُ (\*) وكبر عليهم أن يكون من أخفّ صلاته لم يصلّ، فقال الرَّجل في آخر ذلك: فأرني وعلمني فإنّما أنا بشر أصيب وأخطئ، فقال ﷺ: أجل، قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثمّ اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثمّ اركع حتّى تطمئنّ راکعاً، ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائماً، ثمّ اسجد حتّى تطمئنّ ساجداً، ثمّ اجلس حتّى تطمئنّ جالساً، ثمّ اعمل ذلك في صلاتك كلّها» (1).

فلم يقتصر تعليمه ﷺ على فئة الصحابة بل تعدّت دعوته للجاهل الذي أخطأ في صلاته، فبيّن له ﷺ صفة الصلاة بأسلوب هين وحكيم، دون تضجّر أو تعنّف، وأمره بإعادة صلاته على طريقته ليشير فيه عظم خطأه، وأمره بالطمأنينة والخشوع دون تسرع، يقول العلامة الفقيه القاضي عياض رحمه الله: (وفيه أن أفعال الجاهل في العبادة على غير علم لا تجزئ، وهذا مبنيّ على أن المراد بالنفي نفي الإجزاء وهو الظاهر ومن حمّله على نفي الكمال تمسك بأنّه ﷺ لم يأمره بالإعادة بعد التعليم، فدل على إجزائها وإلاّ لزام تأخير البيان، كذا قال بعض المالكية، وتعقب بأنّه قد أمره في المرة الأخيرة بالإعادة فسأله التعليم فعلمه فكأنّه قال له أعد صلاتك على غير هذه الكيفية) (2).

(\*) - فعاف النَّاسُ: كرهوا وعظّم عليهم ذلك (يُنظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، ج 2، ص 206).

(1) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في وصف الصلاة، ج 2، المصدر السابق، ص 100. وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وفي سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة، رقم الحديث 302 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2003م)، ص 94، وقال أبو عيسى: هذا حديث رفاعه بن رافع حديث حسن، وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي 95/1. وإثنى حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب مواقيت الصلاة، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، رقم الحديث 793، ج 2، المرجع السابق، ص 277.

(2) - إثنى حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب مواقيت الصلاة، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، المرجع السابق، ص 278.



ولنتأمل رحمة النَّبي ﷺ حتَّى في عبادة الصَّلَاة والتي هي قَرَّة عينه، ولذَّة فؤاده، فكان لا يشغله عنها شاغل، وعلى الرُّغم من ذلك يُخَفِّف في أدائها رحمةً بالأُمِّ إذا بكى صبيُّها؛ عن أبي قتادة ؓ أنَّه قال: قال النَّبي ﷺ: «إِنِّي لأقوم في الصَّلَاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصَّبيِّ فأجوز في صلاتي كراهية أن أشقَّ على أُمِّه»<sup>(1)</sup> وفيه دلالة على كمال شفقة النَّبي ﷺ على أصحابه، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصَّغير.

وكان ﷺ من فرط رحمته، يرحم بالمصلِّين ولا يريد أن يشقَّ عليهم بكثير الصَّلَاة أو قيام، وكان يأمر أصحابه بذلك، يحكي جابر بن عبد الله ؓ موقفاً للنَّبي ﷺ فيقول: «أقبل رجل بناضحين وقد جنح اللَّيل فوافق معاذاً يُصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذٍ، فقرأ بسورة البقرة أو النَّساء، فانطلق الرَّجل وبلَّغَه أن معاذاً نال منه، فأتى النَّبي ﷺ فَشَكَاَ إليه معاذاً، فقال النَّبي ﷺ: يا معاذ أفتان أنت -أو فاتن ثلاث مرار- فلولا صليت بـ: سَبَّحَ اسم ربِّك، والشَّمْسُ وضحاها، واللَّيل إذا يغشى، فإنَّه يصلي وراءك الكبير والصَّغير وذو الحاجة»<sup>(2)</sup>.

وعن أبي مسعود الأنصاري ؓ قال: «قال رجل: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصَّلَاة ممَّا يطوِّل بنا فلان، قال: فما رأيت النَّبي ﷺ غضب في موعظة أشدَّ غضباً من يومئذٍ، فقال: أيُّها النَّاس، إنَّكم منقُرون، فمن صلَّى بالنَّاس، فليُخَفِّف، فإنَّ فيهم المريض والصَّعيف وذو الحاجة»<sup>(3)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال النَّبي ﷺ: «يا أهل القرآن أوتروا، فإنَّ الله يحبُّ الوتر، فقال أعرابي ما تقول ؟ فقال: ليس لك ولا لأصحابك»<sup>(4)</sup> صرَّح النَّبي ﷺ للأعرابي أنَّ الوتر الذي حثَّ عليه أهل القرآن ليس له ولا لقومه، لأنَّ هذا الأمر يتطلب الإطالة في الصَّلَاة والقراءة ولا يستطيعه إلاَّ الخاصَّة من أصحابه، فنجد ﷺ يعلمهم السُّنن حسب أهمَّيتها وبقدر استطاعتهم التي تؤهِّلهم لأدائها.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب من أخفَّ الصَّلَاة عند بكاء الصَّبي، رقم الحديث 707، ص 177.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب من شكا من إمامه، رقم الحديث 704، ص 93.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: الغضب في الموعظة والتَّعليم، إذا رأى ما يكره، رقم الحديث 90، ص 35.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، كتاب الصَّلَاة، باب استحباب الوتر، رقم الحديث 1416،

158. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، وحسنه الترمذي، وابنُ ماجه، في كتاب الصَّلَاة، باب ما جاء في الوتر، 370/1. وصحَّحه

الألباني في صحيح ابنِ ماجه 193/1.

وقد شملت هذه الرَّحمة أيضًا عند قيامه ﷺ لرمضان، وقد صَلَّى ذات ليلة في المسجد، فصلَّى بصلاته ناس، ثم صَلَّى من القابلة فكثر النَّاس ثمَّ اجتمعوا من اللَّيلة الثالثة أو الرَّابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلمَّا أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتُم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلَّا أنَّي خشيت أن تفرض عليكم»<sup>(1)</sup>.

وهذا منهج رائع سلكه النَّبي ﷺ حتَّى في العبادات المفروضة، بهدف رفع المشقَّة عليهم، لأنَّه يعلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جعل الأسباب ولا يريد أن يكون هو سبباً لمشقَّة تحدث للمسلمين، ولذلك أثر أن يصلي قيام رمضان منفرداً لكي يرحم المسلمين بتقليل الفروض عليهم<sup>(2)</sup>.

وفي بيانه وتعليمهم لأوقات الصَّلَاة عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: «جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فسأله عن وقت الصَّلَاة، فقال له: صلَّ معنا هذين -يعني اليومين-، فلمَّا زالت الشَّمْس أمر بلالاً فأذن ثمَّ أمره فأقام الظَّهر ثمَّ أمره فأقام العصر والشَّمْس مرتفعة بيضاء نقية ثمَّ أمره فأقام المغرب حين غابت الشَّمْس، ثمَّ أمره فأقام العشاء حين غاب الشَّفَق، ثمَّ أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر فلمَّا أن كان اليوم الثَّاني أمره فأبرد بالظهر فأبرد بها فأنعم أن يبرد بها وصلَّى العصر والشَّمْس مرتفعة آخرها فوق الذي كان وصلَّى المغرب قبل أن يغيب الشَّفَق، وصلَّى العشاء بعدما ذهب ثلث اللَّيل، وصلَّى الفجر فأسفر بها ثمَّ قال: أين السَّائل عن وقت الصَّلَاة، فقال الرَّجل: أنا يا رسول الله، قال: وقت صلاتكم بين ما رأيتم»<sup>(3)</sup>.

ومن فرط شفقتة ورحمته بيّن ﷺ أنَّ الصَّلَاة عبادة يُتوسَّلُ بها إلى الله تعالى لقضاء الحوائج وتفريج الكرب فقال: «من كانت له حاجةٌ إلى الله أو إلى أحدٍ من بني آدم فليَتَوَضَّأْ وليُحْسِنْ وُضوءه، ثُمَّ ليُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يُثْنِي على الله عزَّ وجلَّ، ويُصَلِّي على النَّبيِّ ﷺ، وليَقُل: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ، وَالْعَصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ»<sup>(4)</sup> فكان ﷺ إذا أهَمَّه أمرٌ استعان بالله في سجوده، أو في آخر صلاته.

(1) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصَّلَاة، باب تفریع أبواب شهر رمضان، رقم الحديث 1373، ج2، المصدر السَّابق، ص 524. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ، متَّفَق عليه.

(2) - راغب الحنفي السَّرجاني، الرَّحمة في حياة الرُّسُول ﷺ، المرجع السَّابق، ص 155.

(3) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّلَاة، باب أوقات الصَّلَاة، ج2، ص 106.

(4) - أخرجه التِّرْمِذِي في سننه، الجامع الكبير، كتاب الصَّلَاة، أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم الحديث 479، ج1، المصدر السَّابق، ص 489. وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، وفي إسناده مقالٌ فَأَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُضَعِّفُ في الحديث، وفائدٌ هو أبو الزُّرَّاء، وأخرجه ابنُ ماجه، كتاب الصَّلَاة والسُّنَّة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم الحديث 1387.

ونجده ﷺ قد أحسن تعليم من يجهل الوضوء عندما جاءه أعرابي فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء، أو تعدى أو ظلم<sup>(1)</sup> نرى كيف تعامل النبي ﷺ مع الأعرابي والتي هي أحسن، مراعاةً لجهله وطبيعته، كونه ليس من صحابته الذين تزودوا من علمه، فأفاده بطريقة عملية، ومحدّره من الإعتداء في الوضوء فجعل له حداً لا يتعداه.

### ج- ترغيبهم في الصلّاة لسمو منزلتها

دعا النبي ﷺ إلى ضرورة الحفاظ على الصلّاة لفضائلها العظيمة في حياة الدّاعية، والأجر الكبير عند الله تعالى، فهي قوام الرّوح، ومادة الطُّمأنينة، تسمو بالدّاعية وترفعه من سفاسف الأمور، إلى معاليها وأشرفها، فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً، ولا برهاناً، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف الجُمحي<sup>(2)</sup>» يقول العلماء في توجيه الحديث: (من شغله عن الصلّاة ماله، فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف)<sup>(3)</sup>.

وهكذا سعى النبي ﷺ جاهداً في إيقاظ عاطفة أصحابه بأسلوب ترغيبي ليعلمهم مكانة هذه العبادة عند الله تعالى، والإحسان في أدائها، بأن عهد لمن أتى الصلّاة وحافظ عليها بالجنة، ومن تركها فهو في مشيئة الله، ولأن تركها أو الحفاظ عليها يقرّر المصير والثواب، فيقول لهم: «خمس صلوات فرضهنّ الله على العباد من أتى بهنّ لم يضيع شيئاً منهنّ كان له عهدٌ عند الله أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهنّ، فليس له عند الله عهدٌ إن شاء عذّبه، وإن شاء رحمه<sup>(4)</sup>» يقول الدكتور محمّد موسى الشّريف مبيناً أثر العاطفة على الأعمال والعبادات بالقول: (إنّ إحسان أداء العبادات

(1) - أخرجه ابنُ ماجه في سننه، كتاب الطّهارة، باب ما جاء في القصد في الوضوء، رقم الحدث 422، ج1، ص 146، وأخرجه النّسائي، كتاب الطّهارة، باب الإعتداء في الوضوء، 88/1. وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه، 71/1.

(2) - أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، كتاب الصلّاة، فصل في الصلّوات وما في أدائهنّ من الكفّارات، رقم الحديث 2565 (الرّياض: مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع بالتعاون مع الدّار السّلفية ببومباي، ج4، د، ت)، ص312.

(3) - يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (القاهرة: مكتبة وهبية، مطبعة المدني، ط24، 1416هـ/1995م)، ص 223.

(4) - أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، كتاب الصلّاة، فصل في الصلّوات وما في أدائهنّ من الكفّارات، رقم الحديث 2565 (الرّياض: مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع بالتعاون مع الدّار السّلفية ببومباي، ج4، د، ت)، ص310 وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ.

طريقه إلى أعلى الجنان، وممر إلى رضوان الله ودلالة على حسن الصَّلة بالله، أما إذا خمدت العاطفة فإنَّه تكون للعبادة صورة باهتة وعجز وفطور<sup>(1)</sup>.

وفيما رواه البيهقي في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ حَافِظَيْنِ يَرْفَعَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصَلَاةٍ رَجُلٍ مَعَ صَلَاةٍ إِلَّا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَشْهَدُكُمَا أَنِّي غَفَرْتُ لِعِبْدِي مَا بَيْنَهُمَا»<sup>(2)</sup>.

تلك هي منزلة الصَّلاة عند النَّبي ﷺ، فكانت العبادة الوحيدة التي فرضت ليلة الإسراء والمعراج بخطاب مباشر من الله تعالى إلى نبيِّه خاتم المرسلين، وفي الوقت الذي كان فيه عليه الصلاة والسلام سفير الله إلى خلقه ليخاطبه بفرض الصَّلوات الخمس، دليلاً وبرهاناً على سمو منزلتها عند الله تعالى، والتي اعتبر النَّبي ﷺ تركها كمن أصيب في ماله وأهله فقال: «مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»<sup>(3)</sup>.

وهذا ظاهر العموم في الصَّلوات المكتوبة عند الحافظ ابن حجر رحمه الله، فدعا إلى المحافظة على صلاة العصر مبيناً مكانتها ومنزلتها من خلال التَّحذير بأنَّ ما يفوته من الثَّواب يلحقه عليه من الأسف والحزن مثل ما يلحق من أخذ أهله<sup>(4)</sup>.

وفي هذا أيضاً إيقاظ للعاطفة حيث المرء لا يحبُّ أن يفقد أحداً من أهله ولا ماله، فيستدعي ذلك المحافظة على الصَّلاة وعدم تفويتها يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله: (إن من لم يحافظ على أوقات الصَّلاة لم يحافظ على الصَّلوات كما أن من لم يحافظ على كمال وضوئها وتمام ركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع كما أن من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ولادين له لمن لا صلاة له)<sup>(5)</sup>.

(1) - محمد موسى الشريف، العاطفة الإيمانية، المرجع السَّابق، ص 28.

(2) - أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، كتاب الصلاة، فَصْلٌ فِي الصَّلَوَاتِ وَمَا فِي أَذَائِهَا مِنَ الْكَفَّارَاتِ، رقم الحديث 2563، المرجع نفسه، ص 310.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب إثم من فاتته العصر، رقم الحديث 552، ص 143.

(4) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب إثم من فاتته العصر، رقم الحديث 552، ج 2، المرجع السَّابق، ص 30.

(5) - سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدَّعوة من أمثال النَّبي ﷺ، المرجع السَّابق، ص 159.

كما رَغِبهم ببيان فضائلها والأجر العظيم الذي يُحَصِّل عليه فقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةٍ أَحَدَكُم بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»<sup>(1)</sup>.

وعن أَبِي بِن كَعْبٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ، فَقَالَ: «أَشَاهِدُ فُلَانٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «أَشَاهِدُ فُلَانٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ ثُمَّ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكْبِ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لَا بَتَدْرُكُوهُ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَخَدُهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَوْ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(2)</sup>.

ولحرص النَّبي ﷺ على صلاة الجماعة كان يتفَقَّد أصحابه، فمن غاب عن الصَّلَاة سأل عنه أين فلان؟ ففعل فلاناً هذا يكون مريضاً فيعوده أو يدعو له، أو لعلَّ له عذراً فيسأله عن عذره، أو لعلَّه لا يكون له عذر فيعاتبه على ذلك، فأكد على أهمِّية المحافظة على صلاة الفجر والعشاء في جماعة، التي لو يعلم النَّاس الذين تركوها لأتوها حبواً، مشيراً إلى خطورة من تركها في صنف المنافقين فيقول: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًا»<sup>(3)</sup> أي: يزحفون إذا منعهم مانع المشي كما يزحف الصَّغِير<sup>(4)</sup>، مشيراً إلى الصَّفة المُلَازِمة للمنافقين وهي التَّثَاقُلُ عَلَى صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وخصوصاً صلاة العشاء والفجر، فحثَّهم حثاً بليغاً بصورة ملفتة لِلِإِتْبَاهِ ومثيرة للشَّعُورِ بالألم لمن لم يقدر هذه الصَّلَاة ولم يعطيها حقَّها، فهؤلاء في نعمة لا يحسدون عليها فصلاة الجماعة من نعم الله على عباده.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم الحديث 645، ص 162.

(2) - أخرجه أبو داود في سننه، تحقيق: رائد صبري بُنْ أَبِي علفة، كتاب الصَّلَاة، باب 48، باب فضل صلاة الجماعة، رقم الحديث 554، ص 77، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، وقد صحَّحه عليُّ إِبْنُ المدِيني وإِبْنُ الأَرْدِي.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، رقم الحديث 657، ص 208، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ومواضع الصَّلَاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التَّشْدِيدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهَا، ج 1، رقم الحديث 651، ص 378.

(4) - إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، رقم الحديث 657، ج 2، المرجع السَّابِق، ص 141.

كما دَعَا إلى الحفاظ عليها بأسلوبٍ مثير وفي صورة رائعة تبعث في نفس المدعو دافع قوي للحفاظ على هذه الصَّلَاة، فكان كلامه واضحًا ومؤثرًا يقول الإمام الكرمانى رحمه الله: (لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير ثم لم يستطيعوا الإتيان بها إلاَّ حبوا إليهما ولم يفوتوا جماعتهما)<sup>(1)</sup>.

#### وحقيقة شعور الدَّاعية بدوره عليه أن:

- أن يقوم بعرض موضوع الصَّلَاة بأسلوبٍ تحفيزي، ترغِّب النفوس لأدائها رغبةً وحبًّا وإقبالاً، يستعين مثلاً بالقصص والأحداث ...
- يتفقد الحاضرين من المصلِّين عند غيابهم والإطمئنان عليهم من باب التَّنصيح والتَّعاون على أمور الطَّاعات والبرِّ والتقوى.

وإلى جانب هذا الحرص وهذا الاهتمام بيَّن ﷺ فضائها الجليلة فقال في مطلع حديثه ﷺ: «أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصَّلوات الخمس.. يمحو الله بهن الخطايا»<sup>(2)</sup> أظهر النَّبِيُّ ﷺ الحكمة العظيمة من هذه الصَّلَاة تجلَّت عند عنايته بها، فمثل الذي يعد نفسه للصَّلَاة فيصليها، بحال الذي يمرّ ببابه نهر، فهو يغتسل فيه خمس مرات كل يوم، فتكرار الصَّلوات يمحو الخطايا، كما أن تكرار الإغتسال لا يبقى من الدَّرن شيئًا، والصَّلَاة فرصة يتوب فيها المخطئ ويصوّب أعماله<sup>(3)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات ما بينهنَّ إذا اجتنب الكبائر»<sup>(4)</sup> في الحديث إثارة العواطف كي تستزيد من أداء هذه العبادة للفضل الكبير الذي أعدّه في جنَّات الخلد وتحفيزها لتصل إلى أعلى الدَّرجات في الجنَّة، وبالمقابل جدير بالدَّاعية أن يقتفي أثر النَّبِيِّ ﷺ في إهتمامه بموضوع الصَّلَاة وبقية العبادات بشكل يقبله المدعو، ويؤثر فيه مبيِّنًا أثر الصَّلَاة في حياته بأنَّها سرّ قوَّته ونشاطه ونجاحه، وأنَّه محيط بتوفيق الله مكفّرة للذنوب وماحية للآثام.

(1) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة العشاء في الجماعة، رقم الحديث 657، ج2، المرجع السَّابق، ص141.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصَّلَاة، باب الصَّلوات الخمس كفارة، رقم الحديث 528، ص74.

(3) - يُنظر: شرح التَّووي على مسلم، كتاب الطَّهارة، باب الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن، رقم الحديث 233، ج5، المرجع السَّابق، ص170.

(4) - التَّووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم شرح التَّووي على مسلم، كتاب الطَّهارة، باب الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان على رمضان مكفّرات لما بينهن، رقم الحديث 233، المرجع السَّابق، ص257.

## د- تلُهف النَّبي ﷺ للصلاة وبيان أثرها على القلوب

بيَّن النَّبي ﷺ أثر الصَّلَاة في تركية النَّفس وإصلاحها، وترقية المشاعر وأحاسيسها، فهي تمُدُّها بحيويَّة هائلة وقوَّة نفسية فياضة بينها في قوله ﷺ: «يعقد الشَّيْطان على قافية رأس أحدكم، إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل، فأرقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صَلَّى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيِّب النَّفس وإلَّا أصبح خبيث النَّفس كسلان»<sup>(1)</sup> يذكر الإمام البيهقي رحمه الله أثرها على الخاشعين فيقول: (كان العلماء إذا قام أحدُهم في الصَّلَاة يهاب الرَّحْمَنُ أَنْ يُشدَّ بصره أو يلتفت أو يعبث بشيء أو يقلِّب الحصا أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلَّا نسيًا)<sup>(2)</sup>.

ويروي ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ عن موقف له مع النَّبي ﷺ فقال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سل، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنَّة، قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السُّجود»<sup>(3)</sup> يشير إلى أنَّ الصَّلَاة والسُّجود تهذِّب النَّفس وتعين على إصلاحها، فهي أعظم ما يعطي الإيمان، وقد سماها الله تعالى لأجل ذلك إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 143] أي: صلاتكم، ولمكانتها في قلبه ﷺ كان يسارع إلى أدائها، وكانت أفضل الأوقات عنده يقضيها في الصَّلَاة، لكونها الوقت الذي تهدأ فيه الرُّوح ويستريح بها الجسد وتطمئنُّ بها القلوب وتستجيب الجوارح لخالقها تضرُّعاً وخشوعاً، وكان ﷺ يحنُّ إليها ويتلهَّف عليها وكان يستأنس بها، ومن فرط تلُهفه كان يقول لبلال ﷺ: «يا بلال أقم الصَّلَاة أرحنا بها»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصلِّي، رقم الحديث 1142، ص 145.

(2) - البيهقي، شعب الإيمان، كتاب الصَّلَاة، فصل تحسين الصلاة والإكثار منها ليلاً ونهاراً، رقم الحديث 2883، ج 4، المصدر السابق، ص 506.

(3) - النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، كتاب الصَّلَاة، باب فضل السُّجود والحثُّ عليه، رقم الحديث 489، المرجع السابق، ص 488.

(4) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث 4985، ج 7، المصدر السابق، ص 338. وفي سنن أبي داود، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، ص 619. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ.



فالرَّاحة من خلال الحديث هي راحة النَّفس والمشاعر والبدن والأركان، وإتيانها يشعُر المصلِّي وكأنَّ روحه رُذِّت إليه من جديد، وهَمَّتْه وعزيمته شحذت مرَّةً أخرى للعمل والإقبال على الحياة، والصَّلَاة كالنَّهر الذي يكون بباب أحد يغتسل منه خمس مراتٍ في اليوم واللَّيلة، فلا يبقى من درنه شيء، فهذه طهارة في البدن، وطهارة في الرُّوح، تنهاه عن المنكر فيظلَّ محافظًا على درجة الإيمان في قلبه فيثبتته على ملازمة الخير والطَّاعات يقول الإمام الطَّيِّب رحمه الله في المشكاة: (أي: أرحنا بأدائها من شغل القلب وقيل: كان اشتغاله بالصَّلَاة راحة له، فإنَّه كان يعدُّ غيرها من الأعمال الدُّنيوية تعبًا، وكان يستريح بالصَّلَاة لما فيها من المناجاة، ولذا قال: «وقرَّة عيني في الصَّلَاة»<sup>(1)</sup>).

ويحكى سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه فقال: «سمعتُ سعدًا وناسًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يقولون: كان رجلانِ أخوانٍ في عهدِ رسولِ الله ﷺ وكان أحدهما أفضلَ من الآخرِ فتُوفي الذي هو أفضلُهم ثمَّ عمَّر الآخرُ بعده أربعينَ ليلةً ثمَّ تُوفي فذكروا لرسولِ الله ﷺ فضيلةَ الأوَّل على الآخرِ فقال: أَلَمْ يَكُنِ الْآخِرُ يُصَلِّي؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، وكان لا بأسَ به، فقال رسولُ الله ﷺ: «فما يُدْرِيكُمْ ما بلغتُ به صلاتُهُ، إنّما مثْلُ الصَّلَاةِ كمثْلُ نَهْرٍ جارٍ بِبابِ رجلٍ غمرٍ عذبٍ يَفْتَحُهُمْ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فما تروُنَ يَبْقَى من درنِهِ لا تَدْرُونَ ما بلغتُ بِهِ صلاتُهُ»<sup>(2)</sup>.

وقد عبَّرَ عنها الشَّيخ الغزالي رحمه الله بالقول: (بأنَّها عبادة واجبة لتعويد المرء أن يحيا في أخلاق صحيحة، وأن يظلَّ مستمسكًا بها مهما تغيَّرت الظروف فأبان الحكمة من إقامتها)<sup>(3)</sup> يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

فتطهير النَّفس من سوء القول وسوء العمل هو حقيقة الصَّلَاة التي يدعو إليها القرآن ويحثُّ عليها النَّبي ﷺ بالحفاظ عليها.

(1) - محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الصَّلَاة، باب القصد في العمل، رقم الحديث 1253، ص 939.

(2) - البيهقي، شعب الإيمان، كتاب الصَّلَاة، باب فصل الصَّلوات وما في أدائها، ج4، رقم الحديث 2557، المصدر السابق، ص 304. وقال: هذا حديثٌ مرفوعٌ، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند باقي المبشرين بالجنة، مسند أبي إسحاق سعد ابن أبي وقاصٍ رضي الله عنه، رقم 1452، ج1، ص 71. وأخرجه ابنُ خزيمة في صحيحه كما في الترغيب 207/1.

(3) - محمد الغزالي، خلق المسلم (القاهرة: دار الريان للتراث، ط1، 1408هـ/1987م)، ص8.

وفي حديث قدسي أوضح فيه ﷺ أَنَّ الله تعالى يقبل صلاة مَنْ تواضع بصلاته لله عزَّ وجلَّ، ولم يستطَلَّ على النَّاس ويحتقرهم، ويترفع عليهم، ولم يأتِ المعاصي ما بدر منها وما بطن، بل إذا فعل معصية فليبادر إلى الله بتوبة نصوح قبل أن يمضي عليه الوقت فيقول عنه: «إِنَّمَا أَتَقْبَلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطَلَّ عَلَى خَلْقِي، وَلَمْ يَبْتَ مَصْرًا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةَ، وَرَحِمَ الْمَصَابَ»<sup>(1)</sup>.

#### وبناء على ما سبق يتعيَّن على الدَّاعية:

- العناية بموضوع الصَّلَاة لِأَنَّهَا العبادة التي تميِّزهم عن غيرهم، ولكونها تعمل على تقوية الصَّلَة بينه وبين الله تعالى، لذلك عليه أَنْ يحيطها بالخشوع والخضوع والطُّمأنينة حتَّى يلقى بركة في العمر وبركة في دعوته ويلقى التأييد والنُّصرة من الله تعالى ومن النَّاس.
- على الدَّاعية أَنْ يعرض موضوع الصَّلَاة بأسلوب مؤثِّر وتحفيزي، بالاستعانة بالقصص والأحداث والأمثال، وتكثيف جهوده عن طريق المواعظ والخطب والمقالات ونحوها من الوسائل الدعوية.
- معالجته لأخطاء المصلِّين تكون بحكمة وعقلانية، يوجد العديد من النَّاس مِمَّنْ يقعون في أخطاءٍ سواء على أفراد أو مع الجماعة كتسوية الصُّفوف، والإلتفات في الصلاة ...

### المطلب الثالث: دعوة النَّبِيِّ ﷺ إلى الصِّيَام وبيان فضائله

#### أولاً: مفهوم الصِّيَام

الصِّيَام عبادة تجمع اختبار الجسد والروح، وقد فرضها الله على عباده تمحيصاً لحشيتهم وتقواهم، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

وهو ركنٌ عظيمٌ من أركان الدِّين الحنيف، فلا يستقيم بناء الإسلام إلَّا به، ولا يثبت إيمان إمري إلَّا به<sup>(2)</sup>، فقد ثبت في الصَّحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: شهادة أَنْ لا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإِقَامُ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، والحَجُّ، وصَوْمُ رَمَضَانَ»<sup>(3)</sup>.

(1) - إِبْنُ أَبِي الدُّنْيَا، كتاب الخمول والتَّواضع، باب في التَّواضع، رقم الحديث 86، ج 1، المرجع السَّابق، ص 116. وعلي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الإتحافات السُّنَّية بالاحاديث القدسية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخر، شرح

حديث « إِنَّمَا أَتَقْبَلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ »، رقم الحديث 44 (بيروت: دار بن كثير، ج 1، د، ط، د، ت)، ص 46.

(2) - خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الصَّوم جَنَّة، سلسلة زاد المؤمن pdf، 6، د، دار نشر، د، ط، 1425هـ، ص 33.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دُعائكم إيمانكم، رقم الحديث 8، ص 12. وأخرجه مسلم في صحيحه،

كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودُعائمه العظام، رقم الحديث 16، ص 45.

فبالصَّوم يعضد الإيمان، وترفع الدَّرجات، وتتقوى الأرواح، وتشحذ العزائم، تجرِّدًا لله والصَّوم درجات:

- صوم العامَّة: الإمساك عن شهوتي البطن والفرج.
- صوم الخاصَّة: الإمساك عن كل ما يغضب الله.
- صوم خاصَّة الخاصَّة: الإمساك عما سوى الله<sup>(1)</sup>.

اعتنى النَّبي ﷺ بالصَّيام لِما فيه من نقاء للرُّوح وتصفية للنَّفْس وشدَّة قربها من الله عزَّ وجلَّ فقال: «وَأَمَرَكُمُ بالصَّيَّامِ فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صِرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يَعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»<sup>(2)</sup>.

عَلَّمَ النَّبي ﷺ أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ الصَّيَّامَ وَبَيَّنَ فَضَائِلَهُ الْعَظِيمَةَ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ حَالِهِمْ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ عِنْدَ تَعْلِيمِهِمُ الصَّيَّامَ، فَعَدَّهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعِبَادَاتِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَضْحَكْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُكَلِّمْهُ إِيَّيَّ امْرُؤًا صَائِمًا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرَحٌ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحٌ بِصَوْمِهِ»<sup>(3)</sup>.

ثانيًا: مواقف النَّبي ﷺ وأساليبه في دعوته لعبادة الصَّيام

أ- رحمة النَّبي ﷺ بالنَّاس في أمور الصَّيام

كان النَّبي ﷺ يهتمُّ لأُمُور الصَّيَّامِ، وَكَانَ يَتَعَامَلُ مَعَهَا بِمَقْتَضَى الرَّحْمَةِ، كَانَ لَيْنًا رَحِيمًا بِأُمَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ لَهُمْ أَنْ تَطُولَ مَدَّةُ الصَّيَّامِ عَنِ الْحَدِّ الشَّرْعِيِّ الْمَسْمُوحِ، لِيَحْتَنِمَ عَلَى تَعْجِيلِ الْفُطُورِ حَتَّى لَا يَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفُطُورَ»<sup>(4)</sup>.

(1) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 123

(2) - أخرجه التَّرمذِي فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الْأَمْثَالِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مِثْلِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَّامِ وَالصَّدَقَةِ، رَقْمُ حَدِيثٍ 2863، ج 4،

المصدر السَّابق، ص 226. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَذَكَرَ حَكَمُ الْأَلْبَانِيِّ: صَحِيحٌ.

(3) - أخرجه البخاري فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ فَضْلِ الصَّوْمِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1894، ص 457.

(4) - أخرجه البخاري فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ تَعْجِيلِ الْإِفْطَارِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1957، ص 471.

كما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يكتفي بشرح مدَّة الصَّيَّام المطلوبة فقهيًّا، وإنَّما يمدح من عَجَّلَ الفطر مع أنه يجوز له أن يؤخره ساعة أو ساعتين أو أكثر، وجعل الأجر والثَّواب الأعظم لمن عَجَّلَ الفطر لأنَّ هذا أدعى للرحمة.

وموقفه ﷺ مع عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ فيقول: «أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُه بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُُمْ وَأَفْطِرْ، وَمَنْ وَقُُمْ، وَصُُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصَّيَّامِ، وَفِي رِوَايَةٍ: هُوَ أَفْضَلُ الصَّيَّامِ، فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ﷺ: وَلَأنَّ أَكُونَ قَبْلُ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي»<sup>(1)</sup>.

نلاحظ هنا روعة الجدال بين نبيِّ الله ﷺ وعبد الله بن عمرو ﷺ كان في قِمة الجمال، والذي ترسَّم فيه عاطفة النَّبيِّ ﷺ الفريدة من نوعها، وهو يخشى على عمرو ﷺ عندما طلب أن يصوم أكثر من صيام داود قائلاً: «إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» فكان ردُّ النَّبيِّ ﷺ الذي يصدق بالرحمة: «وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» فكان جدالاً لأجل راحة عمرو ﷺ، لما في زيادة الصَّوم والإفراط فيه يشكِّل ضرراً عليه ولَمَّا كان يوم الفتح -فتح مَكَّة- جاءت فاطمة رضي الله عنها فجلست على يسار رسول الله ﷺ، وأُمُّ هاني رضي الله عنها عن يمينه، فجاءت الوليدةُ بإناء فيه شراب فناولته، فشرب منه، ثم ناوله أُمُّ هاني فشربت منه، فقالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَفْطَرْتُ وَكُنْتُ صَائِمَةً، فَقَالَ لَهَا: أَكُنْتَ تَقْضِينَ شَيْئاً؟ قَالَتْ: لَا، قَالَ: لَا يَضُرُّكَ إِنْ كَانَ تَطَوُّعاً»<sup>(2)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّوم، باب صوم الدَّهر، رقم الحديث 1976، ص 475

(2) - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصَّوم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إفطار الصَّائِمِ المتطوع، رقم الحديث 731، ص 356، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصَّوم، باب في الرَّخصة في ذلك، رقم الحديث 2455، ص 572. وقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ.

ومن صور رحمة النَّبي ﷺ بأُمَّته أَنَّهُ رَخَّصَ لَهُمُ الْفَطْرَ فِي السَّفَرِ شَفَقَةً وَرَفَقًا بِهِمْ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظَلَلَ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ»<sup>(1)</sup>.

لننظر إلى العاطفة القويّة التي ترسّمت في قلب النَّبي ﷺ حتّى في العبادة ولاسيما بالصّائمين، كان يراعي فيها الأعمار الصّغار والكبار والمسنّين وجميع الطُّروف، فلا يرضى لهم العنت والمشقّة، فكان سمحاً كريماً رحيماً بهم، هذه المواقف النّاطقة أكّد فيها النَّبي ﷺ على معنى في غاية الأهميّة، قد يخفى على كثير من الدّعاة، وهو أنّ للدّاعية أخلاق أساليب وواجبات يراعي فيها أحوال النَّاس، وبما يتناسب مع حالهم وظروفهم، فلا يشدّد عليهم في تطبيق أحكام الشّريعة بما فيها الصّيام.

### ب- ترغيب النَّبي ﷺ في الصّيام

الصّيام مدرسة خلقية فيها يتدرّب الدّاعية على خصال كثيرة كجهاد النَّفس والصّبر والنّظام والانضباط، ينمي فيه عاطفة الرّحمة والشّعور بالتّضامن والتّعاون والتّكافل، وقد نسب النَّبي ﷺ الصّوم إلى الصّبر فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصِّدْرِ؟ صَوْمٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»<sup>(2)</sup> وفي رواية أخرى: «لكلّ شيء زكاة، وزكاة الجسد الصّوم، والصّوم نصف الصّبر»<sup>(3)</sup>.

وعدّه من أبواب الخير، حينما قال لمعاذ ﷺ بعد ما أخبره بأركان الإسلام: «ألا أدُلُّكَ على أبواب الخير؟ الصّوم جنّة والصدّقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النّار، وصلاة الرّجل في جوف اللّيل ثم تــــــلا: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١١) [السّجدة: 16]»<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصّوم، باب قول النَّبي ﷺ: لمن ظلّل عليه واستدّ الحرّ «ليس من البرّ الصوم في السفر»، رقم الحديث 1946، ص 468.

(2) - أخرجه التّسائي في السّنن الصّغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، كتاب الصّيام، باب صوم ثلثي الدّهر وذكر اختلاف النّاقلين للخبر في ذلك، رقم الحديث 2385 (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، ج4، 1406هـ/1986م)، ص 208.

(3) - أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، كتاب الصّيام، باب في الصّوم زكاة الجسد، رقم الحديث 1745، ج1، المصدر السّابق، ص 555.

(4) - أخرجه التّرمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصّلاة، رقم الحديث 2616، ج4، المصدر السّابق، ص 362. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وذكر حكم الألباني: حديث صحيح، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب الصّلاة، رقم الحديث 2549، ج4، المرجع السّابق، ص 299.

وعظَّم شأنه لكونه جنة للمؤمن من جميع الزلاّت والأخطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»<sup>(1)</sup> كل ذلك لأنَّ الصوم لا يَأْسُنْ بملوثات الرِّياء وشوائبه حينها يُمَتُّنُ صُورُ الوقاية من النَّار، بقدر ما يحتمله ويحتسبه من سفاهة الغير ورعونتهم لما تقذف ألسنتهم من حمم الكفر وبراكين السَّبَاب والقذف فيقول عنه النَّبِيُّ ﷺ: «فإنَّ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ»<sup>(2)</sup> وهذا يسوق إلى تطبيع المجتمع بطابع التَّسامح والتَّآخي وصولاً إلى التودُّد والتَّراحم فالتَّعاون فالتَّكافل.

وعلى غرار الحديث فإنَّه في وسع الصَّائِم أن يقطع دابر الخصام والسَّبَاب برفع قدسيَّة الصَّيَّام، فلا يليق بمن وصل إلى الحضرة الملائكيَّة أن ينزل بنفسه وروحه إلى سفاسف السَّافلين، عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قال ربُّنا: الصَّيَّامُ جُنَّةٌ، يَسْتَجِبُ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ وَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»<sup>(3)</sup> من كان صيامه لله تكون مكافأته من الله أجزل وأعظم، فالصَّيَّام يوقظ الضَّمير، ويحيي النُّفوس، ويعطيها فرصة للتَّدريب، كما يمنحها الرَّاحة المثالية للجهاز الهضمي للإنسان خلال شهر رمضان، وتحيي في النُّفوس الشُّعور بمعاناة من يجدون نقصاً في ضرورات الحياة، فيجعله يدرك حقيقة معاناة غيره من الفقراء والمحتاجين، فتولد في نفسه مشاركة الناس وجدانيًّا وعمليًّا.

وفي السِّياق نفسه أشار النَّبِيُّ ﷺ بأنَّ الصَّيَّام حصن حصين، يمنع صاحبه من الوقوع في الشَّتائم فيقول: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ ؛ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنْ أَمْرُو قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»<sup>(4)</sup>.

وقال في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلاَّ الصَّيَّام فإنه لي وأنا أجزي به، والصَّيَّام جُنَّةٌ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقلْ إِنِّي إمْرؤٌ صَائِمٌ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصَّائِم أطيب عند الله من ريح المسك، للصَّائِم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه»<sup>(5)</sup> ففي الحديث إشارة جليَّة لِتزام الصَّائِم بالأخلاق الكريمة، لأنَّه يعيش في ظلِّ عبادة عظيمة، فلا يليق

(1) - الألباني، صحيح التَّرجيب والتَّرهيب، باب التَّرجيب في الصَّوْم مطلقاً وما جاء في فضله، رقم الحديث 980، ج1، المرجع السابق، ص 578.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّوْم، باب هل يقول إِنِّي صَائِمٌ إذا شئتم، رقم الحديث 1904، ص 236.

(3) - الألباني، صحيح التَّرجيب والتَّرهيب، باب التَّرجيب في الصَّوْم مطلقاً وما جاء في فضله، رقم الحديث 981، ج1، المرجع السابق، ص 578.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّوْم، باب فضل الصَّوْم، رقم الحديث 1808، ص 457.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصَّوْم، باب هل يقول إِنِّي صَائِمٌ إذا شئتم ؟، رقم الحديث 1904، ص 459.

به أن يقابل السيئة بالسيئة، فإن سابه أحد أو شاتمته فليعرض عنه قائلاً: «إني صائم مرتين»، وفيها تحذيره من اللغو والزَّثْث وهو الكلام القبيح، وتحذيره من الغيبة ونحوها من كل محرم شرعاً، فإن من ارتكب شيئاً مما ذكر فقد أحبط ثواب صيامه واستحق المقت من الله<sup>(1)</sup>.

وكما رغب في قيام ليلة القدر مبيّناً فضلها عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه»<sup>(2)</sup>.

وقال عليه الصّلاة والسّلام داعياً إلى فضل صيام يوم في سبيل الله فقال: «من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النَّار سبعين خريفاً»<sup>(\*)</sup><sup>(3)</sup>.

ويذكرُ الحافظ ابن حجر رحمه الله فضيلة هذه العبادة فقال: (أنَّ الحديث أعمّ من هذا كله، فيشمل الجهاد وغيره، وهذا هو المعتمد، والخبر عام، فنحمل الحديث على من صام في الجهاد، ومن صام في أيّ يوم يقصد وجه الله والدار الآخرة باعد الله وجهه عن النَّار سبعين عامّاً)<sup>(4)</sup>.

فعده ﷺ من الخصال التي تُدخل الجنة فقال: «مَن أصبح منكم اليوم صائماً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: فَمَن تبع منكم اليوم جنازة؟، قال أبو بكر: أنا، قال: فَمَن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟، قال أبو بكر: أنا، قال: فَمَن عاد منكم اليوم مريضاً؟، قال أبو بكر: أنا، فقال ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»<sup>(5)</sup>.

(1) - محمود محمّد خطاب السُّبكي، تحقيق: السيّد أمين محمود خطاب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج8، 2007م)، ص 294.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصّوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً وثبّة، رقم الحديث 1901، ص 458.  
(\*) - خَرِيفاً: بمعنى الخريف زمان معلوم من السنة والمراد به هنا العام، وتخصيص الخريف عن بقية الفصول لأنّه أركى الفصول اعتدالاً وثمّاراً، وقال الإمام القرطبي: وذكر السبعين لإرادة التّكثير كثيراً، (يُنْظَر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد، باب فضل الصّوم في سبيل الله، رقم الحديث 2840، ج6، المرجع السّابق، ص 48).

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسّير، باب فضل الصّوم في سبيل الله، رقم الحديث 2840، ص 703.

(4) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسّير، باب فضل الصّوم في سبيل الله، رقم الحديث 2840، المرجع السّابق، ص 48.

(5) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزّكاة، باب من جمع الصّدقة وأعمال البرّ، رقم الحديث 1028، ص 456.



وعَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أَغْلَقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»<sup>(1)</sup>.

بَيَّنَّتِ الْأَحَادِيثُ النَّاطِقَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَضَائِلَ الصَّوْمِ الْعَظِيمَةِ وَأَثَرَهَا فِي حَيَاةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ فَرَعَبَهُ فِي الصَّيَّامِ مِنْ خِلَالِ نِعَمِ اللَّهِ فِي الصَّوْمِ، يَكْفُرُ اللَّهُ بِهَا مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ مَعَ مَنْ كَانَتْ تَرْبِطُهُ عِلَاقَةٌ بِهِ، وَحَتَّى تَسْتَقْرُضَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمَكَانَةَ الْمُبَوَّاةَ لِلصَّائِمِينَ مِنْ لَدُنْهِ سُبْحَانَهُ، بِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، بِأَسْلُوبٍ وَبَطَرِيقَةٍ لِلْهَابِ الْعَوَاطِفِ وَاسْتِثَارَتِهَا وَتَحْفِيزِهَا، كَيْ تَسْتَزِيدَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

### وعليه يتعيَّن على الدَّاعِيَةِ:

— أَنْ يَعْنَى بِمَوْضُوعِ الصَّيَّامِ عُنَايَةً فَائِقَةً فِي دَعْوَتِهِ وَفِي حَيَاتِهِ، وَيَبَيِّنَ لِلْمَدْعُومِينَ أَسْرَارَهُ الْعَظِيمَةَ فِي تَهْذِيبِ النَّفْسِ وَتَرْبِيَّتِهَا، وَتَرْكِيزَةِ الْأَخْلَاقِ وَتَقْوِيمِهَا، فَالنَّبِيُّ ﷺ غَالِبًا مَا يَرْبِطُ الصَّيَّامَ بِالْأَخْلَاقِ وَبِالنَّفْسِ.

— أَنْ يَرَعَّبَ الْمَدْعُومِينَ بِالصَّيَّامِ لِمَا فِيهِ مِنْ رِبْطِ الصَّائِمِ بِرَبِّهِ، فَهِيَ عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ وَأَخْلَاقِيَّةٌ تَنْتَهِي بِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَالْمُبَادَرَةِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

— أَنْ يَرَعَّبَ الْمَدْعُومِينَ فِي الصَّيَّامِ بِشَتَّى الْأَسَالِيبِ وَالْوَسَائِلِ الدَّعْوِيَّةِ، كَمَا كَانَ يَرْغَبُ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ، فَاسْتَحْدَثَ أَسْلُوبَ الْأَمْثَالِ، وَالْقِصَّةَ وَالْأَحْدَاثَ، وَالْوَعْظَ ...

## المطلب الرَّابِع: دعوة النَّبي ﷺ إلى الحفاظ على الزَّكَاةِ

### أَوَّلًا: مفهوم الزَّكَاةِ

#### أ— لغة

— يَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ الْجَرْحَانِي بِالْقَوْلِ: (هِيَ النَّمَاءُ، وَالزِّيَادَةُ، يُقَالُ: زَكَ الزَّرْعُ إِذَا نَمَا وَزَادَ)<sup>(2)</sup>.

— وَيَعْرِفُهَا الْعَلَامَةُ ابْنُ مَنْظُور بِالْقَوْلِ: (الزَّكَاةُ بِمَعْنَى الصَّلَاحِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾<sup>(٨١)</sup>) [الكهف: 81] قِيلَ: صِلَاحًا، وَقِيلَ: خَيْرًا مِنْهُ عَمَلًا صَالِحًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: 21] أَي: مَا صَلَحَ مِنْكُمْ

(1) — أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ الرَّيَّانِ لِلصَّائِمِينَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1896، ص 457.

(2) — يُنْظَرُ: الْجَرْحَانِي، التَّعْرِيفَاتُ، بَابُ الزَّاي، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 152.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النُّور: 21] أي: يصلح من يشاء، وقيل لما يُخرج من المال للمساكين ونحوهم فهو زكاة؛ لأنَّه تطهير للمال وتتمير له وإصلاح، فالزَّكاة طهارة للأموال، وزكاة الفطر طهارة للأبدان<sup>(1)</sup>.

#### ب- اصطلاحًا

- يعرفها الحافظ ابن حجر رحمه الله بالقول: (الزَّكاة هي النِّماء في المال، وهي الرُّكن الثالث من الأركان التي بني الإسلام عليها)<sup>(2)</sup>.

- ويعرفها العلامة ابن العربي رحمه الله بالقول: (تطلق الزَّكاة على الصَّدقة الواجبة والمندوبة، والنَّفقة والحقِّ والعفو)<sup>(3)</sup>.

- ويعرفها البيهقوري: (الزَّكاة اسمٌ لمالٍ مخصوص يؤخذ من مالٍ مخصوص على وجه مخصوص، يصرف لطائفة مخصوصة فرضت في السَّنة الثَّانية من الهجرة بعد زكاة الفطر، وقيل في غيرها فقليل الرَّابعة وقيل قبل الهجرة)<sup>(4)</sup> وهي قرينة الصَّلَاة يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43] ويقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 83].

- وفي تعريفٍ آخر لها: (هي طهارة للأموال والأنفس من رذيلة البخل، وتطهير من الذنوب وبركة في الأموال والأنفس)<sup>(5)</sup>: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103] وقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

(1) - ابنُ منظور، لسان العرب، باب الواو والياء من المعتل، فصل الزَّاي، ج14، المصدر السَّابِق، ص 358.

(2) - ابنُ حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، رقم الحديث 1397، ج3، المرجع السَّابِق، ص 262.

(3) - المرجع نفسه، ص 262.

(4) - البيهقوري، على جوهرة التَّوحيد حاشية الإمام البيهقوري، المرجع السَّابِق، ص 99.

(5) - سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الزَّكاة في الإسلام في ضوء القرآن والسَّنة (القصص: مركز الدَّعوة والإرشاد، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النَّشر، ط1، 1407هـ/2008م)، ص 7.

والزكاة كما وصفها الله تعالى زكاة للنفس وطهارة لها، وتركية لها من كثير من أمراضها، كما أنّها للمال طهارة من كثير من أدوائه وأوجاعه، وأنّ أخطر أدواء المال وأصعب أوجاعه أن يحبس عن مستحقّيه<sup>(1)</sup> وتسمّى أحياناً بالصدقة في القرآن الكريم والسنة المطهرة يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسَخْطُونَ﴾ [التوبة: 58].

ثانياً: مواقف النبي ﷺ وأساليبه في دعوته إلى الزكاة

#### أ- الترهيب لمانعي الزكاة

إنّ منع الزكاة تعطيل ركن من أركان الإسلام، وقد أمر الله تعالى بها وأمر نبيّه بالدعوة إليها، لأنّها حقٌّ من حقوق الإنسان بما فيهم الفقراء والمساكين والمحتاجين، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 24-25] كما لا يخفى أن النبي ﷺ أشار في أحاديث كثيرة عقوبة مانعي الزكاة فقال: «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدّي حقّها، إلّا أُقْعِدَ لها يوم القيامة بقاع قرقر<sup>(\*)</sup>، تطوّه ذات الظلف بظلفها<sup>(\*)</sup>، وتنطحه ذات القرن بقرنها، ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن، قلنا: يا رسول الله وما حقّها؟ قال: إطراق فحلّها، وإعارة دلوها ومنيحطّها، وحلبها على الماء، وحمل عليها في سبيل الله، ولا من صاحب مال لا يؤدّي زكاته، إلّا تحوّل يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب، وهو يفرّ منه، ويقال: هذا مالك الذي كنت تبخل به، فإذا رأى أنّه لا بُدَّ منه، أدخل يده في فيه فجعل يفضّمها كما يفضّم الفحل<sup>(2)</sup>».

(1) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدّعوة إلى الله، المرجع السابق، ص 122.

(\*) - بقاع: المستوى الواسع من الأرض يملأه ماء السماء فيمسكه وقال الهروي: وجمعه قيعا وقيعان مثل: جار وجيرة وجيران، قرقر: المستوى أيضاً من الأرض الواسعة، (صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانعي الزكاة، رقم الحديث 987، ص 680.

(\*) - تطوّه ذات الظلف بظلفها: وهي البقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس (المصدر نفسه، ص 681).

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانعي الزكاة، رقم الحديث 988، ص 684.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له ماله يوم القيامة شجاعاً<sup>(\*)</sup> أقرع<sup>(\*)</sup> له زبيتان<sup>(\*)</sup> يُطَوِّقُه<sup>(\*)</sup> يوم القيامة ثم يأخذ بلهزْمَتَيْهِ<sup>(\*)</sup> - يعني بشِدْقَيْهِ ثم يقول أنا مَالِكُ أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: 180]»<sup>(1)</sup> ظهر حديث النَّبي ﷺ في صورة تقشعر لها الأبدان من خلال ترهيبه لمناعي الزَّكاة بالعقوبة التي تنتظرهم، فأكد ذلك بتمثيل مؤثِّر ومرعب وبصورة تثير المشاعر وتقذف الرَّهبة في العاطفة فتحركها نحو التخلص من رذيلة البخل والقضاء على حبِّ المال، والشَّغف له، فمثله بشجاعٍ أقرعٍ خفيفٍ يلتف حول عنق صاحبه يحاجُّه ويقاضيه، يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا: «والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصَّلَاة والزَّكاة، فإنَّ الزَّكاة حقُّ المال»<sup>(2)</sup>.

يقول الإمام ابنُ القيم رحمه الله: (هديه رضي الله عنه في الزَّكاة أكمل هدي، في وقتها وقدرها ونصابها ومن تحب عليه ومصرفها، وقد راعى فيها مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المساكين، وجعلها الله تعالى طهرة للمال ولصاحبه، وقيد النعمة بها على الأغنياء فما زالت النعمة بالمال على من أدَّى زكاته بل يحفظه عليه وينمي له ويدفع عنه بها الآفاق ويجعلها سوراً عليه وحصناً له وحارساً له)<sup>(3)</sup>.

(\*) - شُجَاعًا: والشُّجَاع بالضم والكسر الحيَّة الذَّكر، وقيل: الحيَّة مطلقاً سنن سعيد بن منصور، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز آل حميد (الرياض: دار الصِّمعي للنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ/1993م)، ص 1130. و(ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب الزَّكاة، باب إثم مانعي الزَّكاة، رقم الحديث 1403، المرجع السابق، ص 270).

(\*) - الأقرع: هو الحيَّة الذي لا شعر على رأسه قد تمعَّط جلدُ رأسه، لكثرة سمِّه وطول عمره وقال القرطبي: من الحيات الذي ابيضَّ رأسه من السمِّ. (المرجع نفسه، ص 270).

(\*) - زَبَيْتَان: تشية زبيبة بفتح الزاي وموحدتين وهما الزبدتان اللتان في الشَّدقين، يقال: تكلم حتى زيد شدقه، أي خرج الزبد منهما، وقيل: هما النكتتان السوداءوان فوق عينيه، وقيل لحمتان على رأسه، مثل القرنين وقيل نابان يخرجان من فيه (المرجع نفسه، ص 270).

(\*) - يُطَوِّقُه: بضم أوله، وفتح الواو المشددة، أي يجعل في عنقه كالطوق،، يصير له الثَّعبان طوقاً، (المرجع نفسه، ص 270).

(\*) - بِلَهْزِمَتَيْهِ: بكسر اللام وسكون الهاء بعدها زاي مكسورة، فسر في الحديث بالشَّدقين، وهما العظمان الناتقان في اللِّحيين تحت الأذنين، وقيل هما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان (المرجع نفسه، ص 207).

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب إثم مانع الزَّكاة، رقم الحديث 1403، ص 177.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، رقم الحديث 1400، ص 176.

(3) - ابنُ القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، فصل في هديه رضي الله عنه في الصَّدقة والزَّكاة، ج2، المرجع السابق، ص 5.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: «قال لي رسول الله ﷺ: إنفحي<sup>(\*)</sup> أو انضح<sup>(\*)</sup> أو أنفقي ولا تحصي<sup>(\*)</sup> فيحصى الله عليك ولا توعي<sup>(\*)</sup> فيوعي الله عليك»<sup>(1)</sup>.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «انتهيت إلى النَّبي ﷺ وهو جالس في ظلِّ الكعبة، فلمَّا رآني قال: هم الأחסرون وربَّ الكعبة، قال: فجئت حتَّى جلست فلم أُنْقَارَ<sup>(\*)</sup> أنْ قمت، فقلت: يا رسول الله فذاك أبي وأمِّي من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالاً، إلَّا من قال: هكذا، وهكذا، وهكذا - من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله - وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلَّا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلِّما نفدت أحرأها عادت عليه أولأها حتَّى يُقضى بين النَّاس»<sup>(2)</sup> أراد النَّبي ﷺ من خلال الحديث أن يشعر بأهمِّية الزَّكاة وخطر منعها، والتي تعود بالضَّرر والهلاك الأخرى.

#### ب- ترغيب النَّبي ﷺ في الزَّكاة وعنايته بالصدقة

موضوع الزَّكاة والصدقة من العبادات التي غني بها النَّبي ﷺ ورغب أصحابه وأُمَّته من بعده على الالتزام بها، ولا عجب فالزَّكاة:

- فيها تربية النَّفس على البذل والعطاء، وإلانة القلب على المحبَّة والعطف، والقضاء على البخل والشح.

(\*) - إنفحي: ويُقال لَا يَزَالُ لِفُلَانٍ نَفَحَاتٍ بِالمَعْرُوفِ يجلس إِلَيْهَا أي عطايا وفي الحديث، فَإِنَّ اللَّهَ نَفَحَاتٍ مِنْ فَضْلِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ونفح الرِّيح هبوبها (أبو نصر الحميدي، تفسير غريب ما في الصَّحَّاحين، تحقيق: زبيدة محمَّد سعيد عبد العزيز، القاهرة: منشورات مكتبة السنَّة، ط1، 1415هـ / 1995م)، ص 569.

(\*) - انضح: أي أعطى، والنَّفْح والنَّضْح: العطاء، كِنَايَةً عَنِ السَّمَاةِ والإعطاء وفي رواية للبخاري برقم 1434 (وارضخي ما استطعت) والرَّضْح: العطاء أيضاً. (أبو نصر الحميدي، تفسير غريب ما في الصَّحَّاحين، المرجع السَّابق، ص 569).

(\*) - لَا تحصي: الإفراط في التَّقْصِّي والاستثثار (المرجع نفسه، ص 569).

(\*) - وَلَا تُوعي فيوعي الله عَلَيْكَ، من الإِمْسَاك وَالشَّحِّ أَيْضًا (المرجع نفسه، ص 569).

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب الحثُّ على الإنفاق وكراهية الإحصاء، برقم 1029، ص 713. وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب التَّحْرِيز على الصدقة، برقم 1433، ص 348.

(\*) - لَمْ أَتَقَار: أي لم يمكنني القرار والثَّبات. (صحيح مسلم، كتاب الزَّكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزَّكاة، برقم 990، ص 686).

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب زكاة البقر، رقم الحديث 1460، ص 355. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزَّكاة، برقم 990، ص 686.

- وفيها إيقاظ للعاطفة ولشُّعور والإحساس بالآخرين، يعبر عنها الشيخ الغزالي رحمه الله بالقول: (بأنَّها ليست ضربية تؤخذ من الجيوب، بل هي أوَّلَا غرس لمشاعر الحنان والرَّأفة، وتوطيد لعلاقات التَّعارف والألفة بين شتَّى الطَّبقات)<sup>(1)</sup>.

فمن جملة آثارها تقضي حاجة من اشتدَّت بهم ظروف الإحتياج فتقوَّى بها الرِّوابط الإجتماعية من التَّكافل والتَّعاون وقضاء الحوائج، وتحفظ للمجتمع كيانه وروابطه الطَّيبة، وتوقظ في النَّاس ما يجب أن يتيقَّظ فيهم من التَّعاطف والتَّراحم والتَّكافل، والتي من خلالها تجعل الأُمَّة كلّها جسداً واحداً، وتضع على الموسرين أوزار الإفراط في حبِّ المال، فتزكِّي أنفسهم من الآثام ومن أدران النُّقص والتَّسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التَّوبَة: 103].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنَّ أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة فقال ﷺ: ويحك! إنَّ شأن الهجرة شديد، فهل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: فهل تؤدي صدقتها؟ قال: نعم، قال: فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيئاً»<sup>(2)</sup> بين النَّبي ﷺ للأعرابي أنَّ الهجرة أمرها عظيم وشديد لا يقدر عليها كل النَّاس، إلَّا القليل منهم، ثم أرشد إلى عمل دون ذلك يمكن أن يطيقه من الأعمال الصَّالحة، وهو أقلُّ من الهجرة في تكاليفها، وأهمُّ منها شأنًا وهو الزَّكاة، فإتيان هذه الفريضة شرط على ثبوت الإسلام وقبول الأعمال الصَّالحة.

وفي هذا الأسلوب إيقاظ للعاطفة لكي يوجَّه المدعوين إلى الإقبال على الزَّكاة وإعطائها لمستحقِّها في وقتها دون تأخير، وأنَّ منزلتها كبيرة لا تقلُّ عن منزلة الصَّلاة والصَّيام.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟، قال: لقد سألت عن عظيم، وإنَّه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت»<sup>(3)</sup>.

(1) - محمَّد الغزالي، خلق المسلم، المرجع السَّابق، ص 7.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب زكاة الإبل، رقم الحديث 1452، ص 183. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكَّة على الإسلام والجهاد والخير، ص 1488.

(3) - أخرجه الترمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصَّلاة، رقم الحديث 2611، ج 4، المصدر السَّابق، ص 362. وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وذكر حُكم الألباني: صحيح.

وَلَمَّا بَعَثَ مَعَاذًا ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُ ﷺ: «فَاعْلَمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَذَلِكَ فَاعْلَمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تَأْخُذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»<sup>(1)</sup>.

وَالصَّدَقَةُ هِيَ الْعَطِيَّةُ الَّتِي يَبْتَغَى بِهَا الثَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ يَقُولُ عَنْهَا الْعَلَّامَةُ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي: (الصَّدَقَةُ مَا يَخْرُجُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالِهِ عَلَى وَجْهِ الْقَرْبَةِ كَالزَّكَاةِ، لَكِنْ الصَّدَقَةُ فِي الْأَصْلِ تَقَالُ لِلْمَتَطَوُّعِ بِهِ كَالزَّكَاةِ لِلوَاجِبِ، وَقَدْ تَسَمَّى الْوَاجِبُ صَدَقَةً إِذَا تَحَرَّى صَاحِبُهَا الصَّدَقَ فِي فِعْلِهِ)<sup>(2)</sup>.

كَمَا بَيَّنَّ أَهْمِيَّتَهَا لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ»، قَالَ: مَالُهُ مَالُهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَبَّ مَالَهُ تُعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ»<sup>(3)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتَهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»<sup>(4)</sup>.

فِي الْحَدِيثَيْنِ دَلَالَةٌ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، وَأَنَّهَا مِنْ مَوْجِبَاتِ لَدْخُولِ الْجَنَّةِ، وَالَّتِي نَرَى حِرْصَ الْأَعْرَابِيِّ وَالرَّجُلِ مِنْ خِلَالِ سَوَالِهِمَا: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ؟، وَالنَّبِيُّ ﷺ اقْتَصَرَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ بِاعْتِبَارِهِمَا يُمَثِّلَانِ الْقِمَّةَ وَالْأَهَمَّ بِالنَّسْبَةِ لَشَرَائِعِ الدِّينِ، فَالصَّلَاةُ رَأْسُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ، وَالزَّكَاةُ رَأْسُ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ يَخْرُجُهَا الْمُسْلِمُ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

وَإِضَافَةً لِمَا سَبَقَ جَعَلَ لَهَا - الزَّكَاةُ - ضَوَابِطَ فِي حُدُودِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالْيَسْرِ، وَلِلْأَقْرَبِينَ أَوَّلَى بِالْمَعْرُوفِ، وَهُوَ مَا وَقَعَ مَعَ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِنْدِي دِينَارٌ؟ فَقَالَ: أَنْفَقَهُ عَلَى نَفْسِكَ، فَقَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ؟ قَالَ: أَنْفَقَهُ عَلَى زَوْجَتِكَ، قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ؟ قَالَ: أَنْفَقَهُ عَلَى وَلَدِكَ، قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ؟ قَالَ: أَنْفَقَهُ عَلَى خَادِمِكَ، قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ؟ قَالَ: أَنْتَ أَبْصَرُ»<sup>(5)</sup> إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ يَرْحَمُ الرَّجُلَ الْفَقِيرَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ إِلَّا دَنَانِيرَ مَعْدُودَةٍ، فَأَمْرُهُ أَنْ يَنْفِقَ عَلَى نَفْسِهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْكَرَ فِي الصَّدَقَةِ.

(1) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1395، ص 338.

(2) - الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي، مُفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 480.

(3) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1396، ص 338.

(4) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1397، ص 339.

(5) - أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فِي صَلَةِ الرَّحِمِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1691، ج 3، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، 117. وَقَالَ:

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.



وعليه نستوحي من الحديث إشارتين مهمَّتين:

أولاً: حينما قال له: «تصدَّق به على نفسك» وتابع استخدام الكلمة تصدَّق على الزَّوجة والولد والخدام لكي لا يشعر الرَّجل لغضاضة أو ألم، لأنَّه لا يتصدَّق بالمعنى الذي يفهمه النَّاس وهو التَّصدُّق على الغريب فأكد له أنَّ ما يفعله هذا هو صدقة.

ثانياً: حينما قال له: «أنت أبصر» هنا لا يلزمه بإنفاق الدِّينار المتبقِّي، فقد يجد له مصرفاً مهمَّاً في بيته<sup>(1)</sup>.

والنَّبي ﷺ لرحمته وحكمته كان يراعي أحوال النَّاس حتَّى في الصَّدقة أو التَّقَّة، فدعا للمتصدَّق أن يبدأ بنفسه وعياله وأهله إن استوجب عليه ذلك، فإذا فاض عنده شيءٌ فله أن يتصدَّق بعد أن يُعِفَّ نفسه ومن تَلَزَّمه نفقتهم، وهذا كله من العواطف الإيمانية والتَّربية النَّبوية التي صدرت من هدي النَّبي ﷺ.

وفي موقف آخر للنَّبي ﷺ حدث مع كعب بن مالك ؓ عندما تخلف عن جيش المسلمين الخارج إلى تبوك، فأراد أن يكفِّر عن ذنبه بأن يتصدَّق بكلِّ ماله فقال لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله إنَّ من توبتي أن إنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله ﷺ قال: أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك...»<sup>(2)</sup>.

كان خطاب النَّبي ﷺ لكعبٍ في منتهى الرَّقة والرحمة، فهو لا يرضى أن تتلف أمواله وهو ذو عيال فخشى عليه الفقر والإتلاف، فأشار إلى أمرٍ هامٍ وهو أنَّ مَنْ تصدَّق وهو محتاج أو أهله محتاج أو عليه دين، فالَّذين أحقُّ أن يُقضى من الصَّدقة والعق والهبة، وهو ردُّ عليه ليس له أن يتلف أموال النَّاس فقال ﷺ محذراً له: «من أخذَ أموال النَّاس يُريدُ إتلافها أتلفه الله إلا أن يكون معروفاً بالصبر فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة» كما فعل أبي بكر ؓ حين تصدَّق بماله، وكذلك أثر الأنصار المهاجرين<sup>(3)</sup>.

فالنَّبي ﷺ بهذا الموقف أرحم بكعب من نفسه وعياله، لذلك طلب منه أن يتخاذ هذا القرار قد يكون له أثراً سلبياً قد يقوده إلى الندم، فأخذ بزمام حال كعب برحمة ورأفة لا مثيل لها، لأنَّه يدرك أبعادها فيما بعد ذلك لذلك منعه.

(1) - راغب الحنفي السَّرجاني، الرَّحمة في حياة النَّبي ﷺ، المرجع السَّابق، ص 164.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم الحديث 1425، ص 347.

(3) - المصدر نفسه، ص 347.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد!، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق اللّيلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية!، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني!، فأُتي فقبل له: أمّا صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقة، وأمّا الزّانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأمّا الغني، فلعله يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله»<sup>(1)</sup> تضمّن الحديث قصّة يرويها النبي ﷺ لرجل حرص على بذل العطاء وأخرج صدقته بعيداً عن أعين الناس، فوقع الاطلاع فيها على قبول الصدقة للعلاقة المتينة بين النّية والصدقة، والصدقة عند هؤلاء مختصّة بأهل الحاجة، ولهذا تعجّبوا من الصدقة للأصناف الثلاثة -السّارق والزّاني والغني- فأرجع الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى قبول هذه الصدقة بنية الإستعفاف فقال: (فالجواب أن التّنصيص في هذا الخبر على رجاء الإستعفاف هو الدّال على تعدية الحكم فيقتضي إرتباط القبول بهذه الأسباب)<sup>(2)</sup>.

والحديث يحوي دلالات ومعاني يجدر الإشارة إليها:

- أولاً: قبول الأعمال عند الله يكون على قدر النية والإخلاص لقوله ﷺ: «إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل إمري ما نوى»<sup>(3)</sup>.

- ثانياً: لا يعني أن تقتضي الصدقة أصحاب الحاجة، وإنّما قد تكون لفئات أخرى لقصد الإستعفاف بنية الإصلاح والتّغيير والتّحرّي بما يخدم الدّعوة والمدعوين، وفضل التّسليم بالقضاء والصّبر على المساوىء وعدم التّضجّر من القضاء، يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: (وفيه بركة التّسليم والرّضا وذمّ التّضجّر بالقضاء كما قال بعض السّلف: لا تقطع الخدمة ولو ظهر لك عدم القبول)<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزّكاة، باب إذا تصدّق على غنيّ وهو لا يعلم، رقم الحديث 1410، ص 338.

(2) - إنّه حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الزّكاة، باب إذا تصدّق على غنيّ وهو لا يعلم، رقم الحديث 1421، المرجع السّابق، ص 291.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث 1، ص 9.

(4) - إنّه حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الزّكاة، باب إذا تصدّق على غنيّ وهو لا يعلم، رقم الحديث 1421، المرجع السّابق، ص 291.

وفي موقف آخر للنَّبي ﷺ لما بعث معاذًا ﷺ إلى اليمن، دعاه إلى الحثِّ على الزَّكاة والتَّزغيب فيها قائلاً له: «فأعلمهم أنَّ اللهَ افترضَ عليهم صدقةً في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم»<sup>(1)</sup>.

وفي حديث جابرٍ ﷺ: «ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة»<sup>(2)</sup>.

فتكرَّر عناية النَّبي ﷺ للصدقة لأهميتها الكبرى في الإسلام وفي حماية المجتمع وتقوية أواصر المحبة والتكافل بين أفرادِهِ، فقال -ﷺ-: «من تصدَّق بعدلِ ثمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلاَّ الطيب- فإنَّ اللهَ يقبلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبها كما يربِّي أحدكم فلوله حتى تكون مثل الجبل»<sup>(3)</sup> فأشار أنَّ يكون مصدر الشَّيء الذي سينفق طيبًا ومن كسبٍ حلال، وهذا لاشكٍّ من معاني الإحسان والرَّحمة والتَّعاطف، والنَّبي ﷺ حريصًا على أمته أن يكون المكسب طيبًا ومصدر العطاء طيبًا يقصد به وبنية صادقة وجه الله تعالى، فإذا اختلَّ ذلك هذه المعاني يُخشى على المنفق أن لا تقبل نفقته.

وروى الإمام مسلم أنَّ النَّبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسانُ انقطعَ عمله إلاَّ من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعُو له»<sup>(4)</sup> إنَّ ممَّا يلحق المؤمن والدَّاعية على السَّواء من عمله وحسناته بعد موته، صدقةٌ أخرجها من ماله في صحَّته وحياته تلحقه من بعد موته.

وإلى جانب ما ذُكر لم يغفل النَّبي ﷺ أن حرَّض النَّساء على الصدقة ورغبهن حتى أشرعن في إخراج ما لديهنَّ من حلِّي ومالٍ، عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: «خرج النَّبي ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلُ ولا بعدُ ثمَّ مال على النَّساء ومعه بلال معهن فوعظهنَّ وأمرهنَّ بالصدقة، فجعلت المرأة تُلقي القُلب والخُرص»<sup>(5)</sup> يلح الحديث إلى الخير والثَّواب العظيم الذي يحصل عليه صاحب العطاء أو الصدقة، ومنعها تحاسب عليه ويؤدي إلى زوال البركة ونفاذها فسمح لها النَّبي ﷺ أن تتصدَّق من مال زوجها، والنَّظر إلى بيتها مستوفية النية الطيبة والصادقة حتَّى لا تفقد أجر الصدقة

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، رقم الحديث 1395، ص 338. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدُّعاء إلى الشَّهادتين، رقم الحديث 19، ص 49.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، رقم الحديث 1459، ص 362.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل من كسب طيب، رقم الحديث 1410، ص 178.

(4) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثَّواب بعد وفاته، رقم الحديث 1631، ص 770.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب التَّحريض على الصدقة والشفاعة فيها، رقم الحديث 1431، ص 348.

فيقول -ﷺ-: «إذا تصدّقت المرأة من طعام زوجها غير مفسدة، كان لها أجرها ولزوجها بما كسب، وللحازن مثل ذلك»<sup>(1)</sup>.

## ج- رحمة النبي ﷺ في إتيان الصدقة

كان النَّبِيُّ ﷺ رَحِيمًا بِالنَّاسِ وَمِنْ فِرطِ رَحْمَتِهِ يَهْتَمُّ لِأَمْرِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَأَمَرَ بِهِم بِالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ، وَقَدْ مَجَّدَهَا ﷺ عِنْدَمَا تَكُونُ عَلَى الرَّحْمِ وَذَوِي الْقَرَابَةِ، مِنْ ذَلِكَ عِنْدَمَا جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ بِنُ مَسْعُودٍ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِمْ»<sup>(2)</sup> فَعَبَدَ اللَّهُ بِنُ مَسْعُودٍ ﷺ رَجُلٌ فَقِيرٌ وَزَوْجَتُهُ غَنِيَّةٌ، وَفِي عَرَفِ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَسَاعِدَ زَوْجَهَا بِالْمَالِ لَا عَلَى سَبِيلِ الصَّدَقَةِ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يُلْفِتَ النَّظَرَ إِلَى أَنَّ هَذَا الْعَطَاءَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ أَخَذَ الْفُقَهَاءُ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ أَنَّ الْمَرْأَةَ يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ زَكَاةِ مَا لَهَا إِلَى زَوْجِهَا إِنْ كَانَ فَقِيرًا يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ<sup>(3)</sup>.

وكان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيْرُحاء<sup>(\*)</sup>، وكانت مستقبلَ المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس رضي الله عنه: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَأْثُرَ النَّارَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ﴿١﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ نَأْثُرَ النَّارَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ﴿٢﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيْرُحاء، وإثما صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضّعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: افعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمّه<sup>(4)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أجر الخادم إذا تصدَّق بأمر صاحبه غير مفسد، رقم الحديث 1437، ص 349.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم الحديث 1462، ص 356.

(3) - راغب الحنفی السرجانی، الرَّحْمَةُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، المرجع السابق، ص 165 .

(\*) - **بِيرْحَاءَ**: حائط سُمِّيَ به وليس إسم بئر، وقال الصَّنْعَانِي: بِيْرِحَا فَيَعْلَى مِنَ الْبِرَاحِ إِسْمُ أَرْضٍ كَانَتْ لِأَبِي طَلْحَةَ بِالْمَدِينَةِ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ يَصْحَفُونَ وَيَقُولُونَ بِئْرِحَا وَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا بئرٌ مِنْ آبَارِ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ مُسْتَقْبَلَةُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ أَيُّ: مُقَابِلَتِهِ قَرِيبَةً مِنْهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا (يُنْظَرُ: فَتَحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الزُّكَاةِ، بَابُ الزُّكَاةِ عَلَى الْأَقْرَابِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1403، ج 3، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 326).

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم الحديث 1461، ص-ص 356، 357.

كما تجلَّت رحمته ﷺ بالصدقة على اليتامى والمساكين، فبينما ﷺ جالس ذات يوم على المنبر، والصَّحابة حوله قال: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةٍ وَذَكَرَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ فَقِيلَ لَهُ مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا يُكَلِّمُكَ قَالَ وَرَأَيْنَا أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ فَأُفَاقَ يَمْسُحُ الرُّحَضَاءُ، وَقَالَ أَشَاهِدُ السَّائِلَ: أَنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنْ مِمَّا يُبْتِ الرِّبِيْعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلْمُ إِلَّا أَكَلَهُ الْخَضِرُ فَإِنَّمَا أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَتَلَطَّتْ ثُمَّ بَالَتْ ثُمَّ رَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوَّةٌ، وَنِعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ إِنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ، وَإِنَّ الَّذِي يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(1)</sup>.

فقد كان ﷺ أعظم النَّاسِ صدقةً بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله تعالى، ولا يستقله، وكان لا يسأله أحدٌ شيئاً عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء مَنْ لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سُروُّه وفرحُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود النَّاسِ بالخير، يمينه كالريح المرسلة.

وكان يقضي الدَّيْنَ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، ويتكفل بمن مات عائلهم فيتولَّى جميع شؤونهم من رعاية ونفقات، فقال: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلِيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ لَوَرَّثَتِهِ»<sup>(2)</sup>.

ومع كثرة ما أعطاه الله كانت مسؤولياته ﷺ تجاه أُمَّتِهِ ومصالحها العامَّة والخاصَّة أعظم، وبذلك ونفقاته في ذلك أكثر من دخله، فكان يُعطي عطاءً مَنْ لا يخشى الفقر، كما وصفه أعرابي بذلك لقومه، يقول أنس بن مالك ﷺ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ اسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ»<sup>(3)</sup>.

### وعليه يتعيَّن على الدَّاعية:

— أن يسعى إلى بلوغ الغايات النبيلة والأهداف اللطيفة لهذه الفريضة من خلال تفعيل المشاركات الوجدانية في صور التكافل والتعاون بين الأغنياء والفقراء ومن هم أحقُّ بالزَّكاة، وهذه خصيصة نبيلة

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب ليس على المسلم في عبده صدقة، رقم الحديث 1465، ص 384.

(2) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته، رقم الحديث 1619، ص 1237.

(3) - تمَّ ترجمته سابقاً، يُنظر صفحة 141.

من خصائص الإسلام وميزاته العظيمة، يَطْرُقُ العواطف ويُثِيرُ الأحاسيس تجاه ذوي الحاجات والمعوزين.

- كما عليه العناية بموضوع الزَّكاة بشكلٍ جدِّيٍّ، خصوصًا في عصرٍ تكالبُ النَّاسُ على المالِ فأصبح همُّهم الوحيد وشُغْلُهُم الشَّاغِلُ التَّكاثر في المال والعمران.

### المطلب الخامس: دعوة النَّبي ﷺ إلى بيانِ أحكامِ الحجِّ

#### أولاً: مفهوم الحجِّ

##### أ- لغة

- يَعْرِفُهُ العَلَّامةُ الجرجاني بالقول: (هو القصد إلى الشَّيءِ المعظم)<sup>(1)</sup>.

##### ب- اصطلاحاً

- يَعْرِفُهُ الدُّكتور علي عبد الحليم محمود بالقول: (الحجُّ قصدٌ لله بكلِّ عملٍ من أعمالِ الحجِّ، بدءاً بالنية وانتهاءً بآخر المناسك فيه، وذلك لمن استطاع إليه سبيلاً)<sup>(2)</sup>.

- وفي تعريفٍ آخر له: (هو الرُّكن الخامس من الأركان التي بني عليها الإسلام، والحجُّ هو معلوم فرض بإجماع المسلمين مرَّةً واحدة في العمر على المستطيع، وفرض كفاية على المسلمين كل عام، وما زاد على حج الفريضة فهو تطوُّع)<sup>(3)</sup> يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحَجِّ خَالِصًا، فذكر الحديث، قال فيه فقال سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ: مُتَعَتْنَا هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ؟ قال: لا بَلَّ لِلْأَبَدِ»<sup>(4)</sup>.

(1) - الجرجاني، معجم التَّعريفات، باب الحاء، (القاهرة: دار الفضيلة للنَّشر والتَّوزيع والتَّصدير، د، ط، د، ت)، ص 73.

(2) - علي عبد الحليم محمود، فقه الدَّعوة إلى الله، المرجع السَّابق، ص 124.

(3) - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَمِيرِ الصَّنْعَانِي، هدي المصطفى ﷺ في حُجَّة الوداع (دمشق: دار المأمون للتراث، ط 1، 1430هـ)، ص 19.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب بيان وجوب الإحرام، رقم الحديث 1216، ص 883. وأخرجه في البيهقي الشُّنن الكبرى، تحقيق: مُحَمَّدُ عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَا، كتاب الحجِّ، باب وجوب الحجِّ مرَّةً واحدة، رقم الحديث 8616 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، ج 4، 1424هـ/2003م)، ص 534.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ قائلاً: يا أيُّها النَّاسُ إِنَّ اللهَ كتب عليكم الحجَّ، فقال رجلٌ من أهلِ البادية: يا نبيَّ الله أكل عام؟ فسكت عنه نبيُّ الله ﷺ ثم قال: يا نبيَّ الله أكلُ عام؟ فقال نبيُّ الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لكفرتم، ولما استطعتم، فإذا أمرتكم بأمر فأتبعوه، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهاوا عنه، فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم، وكثرة سؤلهم، ألا وإنَّما هي حجَّة وعمره، فمن قضاها فقد قضى الفريضة فما أصاب بعد ذلك فهو تطوُّع»<sup>(1)</sup>.

بيِّن النَّبيُّ أنَّ الحجَّ من أحبِّ الأعمال عنده وأفضلها، وذلك لما اشتمل عليه من الخير العميم للأُمَّة المسلمة يقول تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ﴾ [الحج: 28].

ثانياً: أساليب النَّبي ﷺ ومواقفه عند دعوته إلى عبادة الحجَّ

أ- رحمة النَّبي ﷺ في الحجَّ

ومن رحمته تعالى فرضه مرَّة واحدة في العمر كُله، وهذا تيسير عظيم وتقدير لظروف النَّاس وقدرتهم على أدائها، ومع هذه الرَّحمة الإلهية كان النَّبيُّ ﷺ يتعامل مع هذا الأمر برحمته المعهودة لَمَّا وقف يوماً يخطب في النَّاس فقال: «أيُّها النَّاس قد فرض الله عليكم الحجَّ فحُجُّوا ... شيء فدعوه»<sup>(2)</sup>.

ومن دلائل رحمته ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أنَّ رسول الله ﷺ وقف على راحلته فطفق ناسٌ يسألونه فيقول القائل: منهم يا رسول الله ﷺ إني لم أكن أشعر أنَّ الرَّمي قبل النَّحر فنحرتُ قبل الرَّمي، فقال رسول الله ﷺ: فازم ولا حرج، قال: وطفق آخرُ يقول: إني لم أكن أشعر أنَّ النَّحر قبل الحلق فحلقتُ قبل النَّحر، فيقول: نَحْرُ ولا حرج، قال: فما سمعته يُسأل يومئذٍ عن أمرٍ ممَّا ينسى المرءُ ويجهلُ من تقديم بعض الأمور قبل بعضٍ وأشباهها إلا قال رسول الله ﷺ: إفعُلوا ذلك ولا حرج»<sup>(3)</sup>.

(1) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحجَّ، باب فرض الحجَّ مرة في العمر، باب 73، رقم الحديث 1337، ص 608. وأخرجه أبو بكر البيهقي، السُّنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب الحجَّ، باب وجوب الحجَّ مرة واحدة، رقم الحديث 5615 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، ج 4، 1424هـ/2003م)، ص 533.

(2) - النووي، شرح التَّووي على مسلم، كتاب الحجَّ، باب فرض الحجَّ مرة في العمر، رقم الحديث 1337 (بيت الأفكار الدولية، د، ط، د، ج، د، ت)، ص 837.

(3) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الثُّبُت وهو واقف على الدَّابة وغيرها، رقم الحديث 83، ص 33، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحجَّ، باب من حلق قبل النَّحر أو نحر قبل الرَّمي، رقم الحديث 1306، ص 948.



وعَمَّت رَحْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا بِالْحَجَّاجِ، يَوْمَ نَامَ فِي الْمَزْدَلِفَةِ مِنْ بَعْدِ وَصُولِهِ، وَصَلَاتُهُ لِلْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ جَمْعًا، وَذَلِكَ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى هَذِهِ اللَّيْلَةَ قِيَامًا وَلَا صَلَّى وَتَرًا، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِأَمَّتِهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَدَى الْمَشَقَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَالِدَفْعِ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ، فَأَرَادَ أَنْ تَكُونَ سُنَّتُهُ الَّتِي يَقْلِدُهُ فِيهَا مَنْ فِي الْمَزْدَلِفَةِ هِيَ النَّوْمُ الْهَادِئُ الْمَرِيحُ غَيْرُ الْمَقْطُوعِ بِاسْتِيقَازٍ أَوْ صَلَاةٍ<sup>(1)</sup>.

وَيَوْمَ أَنَّهُ ﷺ أَذِنَ لِلضُّعْفَاءِ أَنْ يَتْرَكُوا الْمَزْدَلِفَةَ لَيْلًا قَبْلَ الْفَجْرِ، لَكِنِّي يَدْرِكُوا الْجُمَرَاتِ قَبْلَ الْإِزْدِحَامِ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نَزَّلْنَا الْمَزْدَلِفَةَ فَاسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ سَوْدَهُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَطِيئَةً فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعْتُ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ فَلَأَنَّ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنْتُ سَوْدَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ»<sup>(2)</sup>.

يَذْكُرُ الدُّكْتُورُ رَاغِبُ الْخَنْفِي السَّرْجَانِي دَوَاعِي رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فيقول: (ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ أَمْرًا عَظِيمًا فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ حَجَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي حَيَاتِهِ، بَرْغَمِ الْفُرْصِ الَّتِي أُتِيحتَ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ قَدَوَةً لِأَمَّتِهِ فِي الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحَرْجَ عَنْ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ شَفَقَةً وَرَحْمَةً بِهِمْ، فَلَوْ حَجَّ مَرَّتَيْنِ مِثْلًا، لِأَرَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ فِي عِدَّةِ مَرَّاتٍ حَجَّهِ، وَبِالتَّالِي يَصْبِحُ هَذَا مَشَقَّةً عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَا يَرْفُضُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَنْ ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَحَجَّ مَرَّةً وَاحِدَةً مَعَ شَوْقِهِ إِلَيْهِ)<sup>(3)</sup>.

### ثانيًا: تعليم النبي ﷺ أصول مناسك الحج برفق وإحسان

كَانَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى آدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ فِي آدَاءِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ، فَكَانَتْ بِأَسْلُوبٍ وَعَظْمِيٍّ لَيْنٍ: «لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَيَأْتِي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(4)</sup> وَبِطَرِيقَةٍ مُؤَثِّرَةٍ نَلْتَمِسُ مَسْحَةَ عَاطْفِيَّةٍ مِنْ لَدُنِ النَّبِيِّ ﷺ بِعِبَارَةِ هَيَّجَتِ الْأَعْيُنَ فَذَرَقَتْ دُمُوعًا مِنْ

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم الحديث 1218، ص 891.

(2) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب من قدم ضَعْفَةَ أَهْلِهِ بَلِيلَ فَيَقْفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ وَيَدْعُونَ إِذَا غَابَ الْقَمَرُ، رقم الحديث 1681، ص 406، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب إستحباب تقديم دفع الضُّعْفَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِهِنَّ مِنْ مَزْدَلِفَةِ إِلَى مَنَى، رقم الحديث 1290، ص 939.

(3) - راغب الخنفي السَّرْجَانِي، الرَّحْمَةُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، المرجع السَّابِقُ، ص 168.

(4) - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب 51، باب إستحباب رمي جمرة العقبة يوم النَّحْرِ رَاكِبًا وَبَيَانِ قَوْلِهِ ﷺ: «لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»، رقم الحديث 1297، ص 598.

الْمَاقِي فَرَطًا فِي حُبِّهِ ﷺ، مِمَّا زَادَ الصَّحَابَةَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - حَرَصًا مِنْهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مَنَاسِكَ الْحَجِّ بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ كَلِمَةً مُؤَثَّرَةً وَبِكَثْرَةٍ «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ: لَتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أُحْجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»<sup>(1)</sup>.

والتَّلْبِيَةُ هِيَ الْآخَرَى يَرْفَعُ بِهَا الْحَاجُّ فِي الْحَجِّ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى صِفَاءِ الْعَقِيدَةِ وَنِقَائِهَا، جَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي عَلَّمَهَا أُمَّتَهُ: كَقَوْلِهِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»<sup>(2)</sup> هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تَحْمِلُ بَيْنَ جَوَانِبِهَا إِقْرَارًا تَامًا بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِحْسَانِ مَعَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلٍّ، بِخِلَافِ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْعَلُونَهُ مِنَ الشَّرِّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى حَتَّى فِي كَلِمَاتِ التَّلْبِيَةِ كَمَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَيَلْكُمُ قَدْ قَدْ، فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلِكٌ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ»<sup>(3)</sup> يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ مَعْلَقًا عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَدْ قَدْ، قَالَ الْقَاضِي: كِفَاكُم هَذَا الْكَلَامَ فَاقْتَصِرُوا عَلَيْهِ وَلَا تَزِيدُوا، وَهَذَا انْتَهَى كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ عَادَ الرَّاوي إِلَى حِكَايَةِ كَلَامِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ... إِلَى آخِرِهِ، مَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: اقْتَصِرُوا عَلَى قَوْلِكُمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»<sup>(4)</sup>.

وَالدَّاعِيَةُ تَبِعَ لِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ لِتَحْقِيقِ الْغَايَةِ الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ وَنَبِيَّهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(5)</sup> فَيَسْعَى إِلَى بَيَانِ أَحْكَامِهَا وَمَنَاسِكِهَا وَالْحَثِّ عَلَيْهَا لِأَهْلِ الْإِسْطَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ، فَالْحَجُّ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ قُرْبَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِأَنَّ الْحَجَّ لَيْسَ مَعْرُوفًا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَعْلَمُ أَصْحَابَهُ الْمَنَاسِكَ بِرَفَقٍ وَبِرَحْمَةٍ، وَكَانَ يُقْبَلُ بِتَغْيِيرَاتٍ فِي تَرْتِيبِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَلَا يَلُومُ فَاعْلِيهَا، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ ﷺ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ

(1) - أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ اسْتِحْبَابِ رَمِي جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1297، ص 943.

(2) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ التَّلْبِيَةِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1949، ص 377.

(3) - أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ التَّلْبِيَةِ وَصَفَتْهَا وَوَقَفَتْهَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1184، ص 841.

(4) - النَّوَوِيُّ، شَرْحُ النَّوَوِيِّ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ التَّلْبِيَةِ وَصَفَتْهَا وَوَقَفَتْهَا، رَقْمُ الْحَدِيثِ 1185، مَج 3، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص 266.

(5) - أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الصَّلَاحِ، بَابُ 5، بَابُ إِذَا إِصْطَلَحُوا عَلَى صَلَاحٍ جَوْرٍ فَالْصَّلَاحُ مُرَدُّدٌ، رَقْمُ الْحَدِيثِ 2697، ص 336.

على راحلته فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم: «كنت أحسب أن كذا قبل كذا، حلقت قبل أن أنحر، نخرت قبل أن أرمي... وأشباه ذلك، فقال النَّبِيُّ ﷺ: إفعل ولا حرج، لمن كلهنَّ فما سئل يومئذ عن شيءٍ إلا قال: إفعل ولا حرج»<sup>(1)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن يعمر الدَّيْلِيّ ﷺ قال: «شهدت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة وأتاه ناسٌ من أهل نجد فقالوا: يا رسول الله كيف الحجُّ؟ قال: الحجُّ عرفة، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تمَّ حجُّه أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه، ثمَّ أَرَدَ رجلاً خلفه فجعل ينادي بهنَّ»<sup>(2)</sup>.

وعن عروة بن مضر الطَّائِيّ ﷺ قال: «أتيت رسول الله ﷺ بالموقف يعني بجمع، قلت: جئت يا رسول الله من جبل طيٍّ أَكَلْتُ مطيَّي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبلٍ إلا وقفتُ عليه فهل لي من حجٍّ؟ فقال رسول الله ﷺ: من أدرك معنا هذه الصَّلَاة وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تمَّ حجُّه وقضى نفقته»<sup>(3)</sup>.

وكان ﷺ أرحم الخلق وأسهلهم وألينهم عريكةً، فعن عائشة رضي الله عنها حين حاضت وهي محرمة، قال لها النَّبِيُّ ﷺ: «اصنعي ما يصنع الحاجُّ، غير أن لا تطوفي ولا تصلي»<sup>(4)</sup>.

ولمَّا قالت له: «يا رسول الله، أيرجع النَّاس بأجرين بُسْكَيْنِ»<sup>(\*)</sup> وأرجع بأجرٍ؟ فأرسلها مع أخيها عبد الرحمن، فأهلت بعمرة من التَّنعيم»<sup>(5)</sup> قال جابر بن عبد الله ﷺ: «كان رجلاً سهلاً؛ إذا هَوَيْتِ الشَّيْءَ، تابعها عليه»<sup>(6)</sup>.

(1) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدَّابة، رقم الحديث 83، ص 22.

(2) - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه كتاب المناسك، باب 57، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، رقم الحديث 3015، ج 2، المصدر السابق، ص 1003، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث عبد الرحمان بن يعمر ﷺ، رقم الحديث 18677، ص 264. وقال: إسناده صحيح، والحديث رواه الترمذي 214/5، برقم 2975، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه النَّسَائِي، في المناسك، باب فرض الوقوف بعرفة، برقم 3016، 259/5.

(3) - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب 57، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، رقم الحديث 3016، المصدر السابق، ص 1004. وأخرجه أبوداود في سننه، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة، رقم الحديث 1949، ص 251. وقال: حديث صحيح.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب تقضي الحائض المناسك، رقم الحديث 1650، ص 399. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، رقم الحديث 1211، ص 873.

(\*) - يَصْنُدُ النَّاسُ بُسْكَيْنِ: أي: يرجعون إلى بلادهم بُسْكَيْنِ، وهما عمرة وحجَّة وأرجع بنسك واحد وهو الحجُّ (المصدر نفسه، ص 877).

(5) - المصدر نفسه، ص 877.

(6) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، رقم الحديث 1213، ص 882.

## ب- ترغيب النَّبي ﷺ في الحجّ

رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عِبَادَةِ الْحَجِّ وَدَعَا إِلَى أَدَاءِهَا مَبِينًا فَضْلَهَا الْعَظِيمَ وَخَيْرَهَا الْعَمِيمَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْحَاجِّ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلِهَا عِنْدَهُ ﷺ، وَمَا يَبْلُغُ عَظَمُهَا الْمَسَافَةَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهُوَ فَضْلٌ لَا يَعُدُّ وَلَا يَحُدُّ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا بَرُّ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ؟ قَالَ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ»<sup>(1)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَمَعَ إِلَيْهِ بَنِيهِ وَأَهْلُهُ فَقَالَ لَهُمْ: «يَا بَنِيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ حَجَّ مِنْ مَكَّةَ مَاشِيًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهَا كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ سَبْعُمِائَةِ حَسَنَةٍ مِنْ حَسَنَاتِ الْحَرَمِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَمَا حَسَنَاتُ الْحَرَمِ؟ قَالَ: كُلُّ حَسَنَةٍ بِمِائَةِ أَلْفِ حَسَنَةٍ»<sup>(2)</sup>.

وَعَنْ مَاعِزٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَخُدُّهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حِجَّةُ بَرَّةٍ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا»<sup>(3)</sup>.

وَالدَّاعِيَةُ لَا يَغْفُلُ عَنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ بِأَنْ يَعْطِيَهَا حَظًّا وَافِرًا فِي دَعْوَتِهِ، كَمَا عَلَيْهِ الْإِعْتِنَاءُ بِهَا كَعِنَايَتِهِ لِسَائِرِ الْعِبَادَاتِ دَاعِيَا النَّاسِ إِلَيْهَا مَبِينًا فَضْلُ الْعَظِيمِ الَّذِي يَحْطِى بِهِ الْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُوَ يَبْذُلُ الْمَشَاقَّ وَيَتَحَمَّلُ عَنَاءَ السَّفَرِ وَوَعَثَائِهِ قَاصِدًا هَذِهِ الْعِبَادَةَ.

وَمِنْ شِدَّةِ تَرْغِيبِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَجِّ، فَقَدْ تَوَعَّدَ مَنْ كَانَ مُخْلِصًا فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ وَمُتَجَنِّبًا لِلَّهِوِّ وَالرَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ بِالْجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرُفْثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(4)</sup>.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»<sup>(5)</sup> يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ: «وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، الْأَصَحُّ الْأَشْهَرُ: أَنَّ الْمَبْرُورَ هُوَ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ إِثْمٌ، مَا خُذَ مِنَ الْبِرِّ وَهُوَ الطَّاعَةُ،

(1) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب 79، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم الحديث 1349، ص 614.

(2) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب الرجل يجد زادا وراحلة فيحج ماشيًا يحتسب فيه زيادة لأجر، حديث 8646، ج 4، المصدر السابق، ص 541.

(3) - المسند الجامع، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، باب 573 ماعز غير منسوب، حرف الميم، رقم الحديث 11298 (بيروت: دار الجيل، الكويت: الشركة المتحدة، ط 1، مج 15، 1413هـ/1993م)، ص 23.

(4) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم الحديث 1521، ص 271.

(5) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم الحديث 1773، ص 427.

وقيل: هو المُقبُول، ومن علامة القَبُول أن يَرْجِع خَيْرًا مِمَّا كَانَ، ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الَّذي لا رِيَاءِيهِ، وقيل: الَّذي لا يُعْقِبُهُ مَعْصِيَةٌ، وهما داخلان فيما قَبَلهما، ومعنى لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ: أَنَّهُ لَا يَقْتَصِرُ لصاحبه من الجزاء على تَكْفِيرِ بعض ذُنُوبه، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ<sup>(1)</sup>.

وعليه يتعيَّن على الدَّاعِيَةِ الاستفادة من دعوة النَّبي ﷺ إلى ترسيخ وبناء موضوعات دعوته كالآتي

- إنَّ دعوة النَّبي ﷺ اتَّخَذَتْ منهجًا عربيًّا ولطيفًا في ترسيخ العقيدة وبناء الأخلاق وتحكيم الشريعة في قلوب المدعويين قولاً وعملاً، والدَّاعِيَةُ بدوره كرسول الدَّعوة فهو بمثابة الطَّيِّب الَّذي يباشر معالجة أمراض القلوب، يقوم بتنقيتها من العقائد الزَّائفة، والأخلاق الرَّدِيئة، والأعمال القبيحة المكدرَة للقلب، ومن ثمَّ تنقيتها من المهلكات فيعالجها بما يقويها من الطَّاعات حتَّى يُمكن الدِّين في هذه القلوب، فلا يصلح آخر هذه الأُمَّة إلَّا بما صلح آخرها.

- إنَّ موضوع العقيدة الإسلامية أمانة في عنق كلِّ داعية إلى الله تعالى، مَنْ أعطاهم القيادة والزَّيادة في العمل الدَّعوي، هؤلاء مطالبون بالدِّفاع عنها وتنقيتها من مظاهر الشُّرك والوثنية الحديثة، يعلموه أبناء الأُمَّة المسلمة، ويأصِّلوهم في نفوسهم ويجعلوه علماً يدرسون منه الصَّغَر، لأجل أن يتكوَّن لهذه الأُمَّة جيلاً يحمل لواء العقيدة السَّليمة والصَّافية، ويستطيعوا على ضوئها الانتصار على أعداء الإسلام من دعاة العلمانيَّة والنَّصرانيَّة والوثنيَّة والمجوسية وغيرهم كثير، والعمل بمقتضى العقيدة الصَّحيحة يحتاج من الدَّاعِيَةِ الصَّبْر وقوَّة التَّحَمُّل، فدعاة التَّوحيد بخلاف مع دعاة العقائد البالية في مصيرهم ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ<sup>ط</sup> وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ<sup>ط</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا<sup>١٠٤</sup>﴾ [النَّساء: 104].

- حينما يُتأمل في هذا التَّابع في العبادات من صلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ وحجٍّ يستوجب على الدَّاعِيَةِ من باب الإحاطة أن يقفَ على الأثر الهائل الَّذي يُحدثه الإسلام بهذا المنهج القويم في قلوب المدعويين، يصفُّ أحدَ باحثي الشريعة وصفي عاشور أبو زيد هذا الأثر فيقول: (يزداد قرباً لله، وضياءً وجهه، وصفاءً نفس وترشيد سلوك، وسموّ ذوق، وبياض قلب، ونور وجدان، وكذلك يقف على مدى الاستيعاب الرُّوحي والإيماني والعبادي الَّذي يحوط المسلم من قوَّة السَّيِّج يحميه من الانحراف ويمنعه من الوقوف في برائن المعاصي)<sup>(2)</sup>.

(1) - النَّووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الحجّ، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم الحديث 1773، مج 3، المرجع السابق، ص-ص 118، 119.

(2) - وصفي عاشور أبو زيد، رؤى مقاصدية في أحداث عصرية (دار المقاصد، د، ط، ج 1، د، ت)، ص 254.

- إنَّ الأخلاق التي دَعَا إليها النَّبي ﷺ وامتثل بها في كلِّ لحظةٍ من لحظات حياته ودعوته، تعبيراً عن معلماً من معالم الإسلام العظيمة، وصورة من صوره الكريمة، فالصَّبْر والحلم والحياء والرَّحمة والتَّعاطف والتَّوَدُّد جميعها من أخلاق النَّبي ﷺ، تجلَّت في شخصيته ﷺ فزادته عَفَّةً وحُسْنًا وجمالاً، حتَّى توفَّرت فيه سائر نعوت الجلال والكمال، يقول عنه الإمام ابنُ تيمية رحمه الله: (ففي شريعته ﷺ من اللِّين والعفو والصَّفح ومكارم الأخلاق أعظمُ ممَّا في الإنجيل، وفيها من الشدَّة والجهد وإقامة الحدود على الكُفَّار والمنافقين أعظمُ ممَّا في التَّوراة، وهذا هو غايةُ الكمال؛ ولهذا قال بعضهم: بُعث موسى بالجلال، وبُعث عيسى بالجمال، وبُعث محمدٌ ﷺ بالكمال)<sup>(1)</sup>.
- وبمقارنة بأخلاق النَّاس في الوقتِ المعاصر نلاحظها ليست كأخلاق النَّاس الذين عايشوا النَّبي ﷺ وأخذوا منه الأصول على حقِّها بل بعيدة كلَّ البعد، والدَّاعية حريٌّ به أن يستثمر هذا المنهج النبوي عند معالجته للقلوب عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً، فيختار الطَّريقة المثلى التي يجالئ بها الشَّوائب التي لحقت من بعض الأخلاق، أو يوجِّه الغايات والمقاصد المنحرفة في بعض الأخلاق، أو يجتهد في القضاء على الأخلاق الذميمة بحكمة وعقلانية وبأسلوبٍ مؤثِّر، والدِّين كلُّه مواقف خلقية في الأساس فدخول النَّاس في الدِّين ليس لأنهم اقتنعوا بعقولهم، وإنما هناك الكثير ممَّن تأثَّروا بأخلاق الدُّعاة.
- لعودة الأُمَّة إلى دينها وشريعتهما هو التزامها بما صحَّ عن النَّبي ﷺ من قولٍ أو عملٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، تأخذ بشريعته الغرَّاء وبأخلاقه الوضَّاءة، فعاملُ ضياعها بضياع عقيدتها وأخلاقها وشريعتهما، والدُّعاة ورثة عن النَّبي ﷺ، عليهم أن يقيموا هذا الدِّين في أنفسهم قبل أن يقيموه في غيرهم، ويصلحوا ما يجب إصلاحه وما قصر عنه الرأى، ويسعوا في الدِّفاع عن دعوة الإسلام بكلِّ الوسائل السَّمعية والبصرية وبشئى وسائل الإتِّصال والإعلام الحديثة، وبقصارى جهده من كلِّ محاولات التَّشويه والتَّشكيك الحاقدة والمغرضة.

(1) - ابنُ تيمية، الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (الرِّياض: دار العاصمة للنَّشر والتَّوزيع، ط2، مج5، 1419هـ/



## الخلاصة

- لقد كانَ هذا الفصل من فصول الدِّين العريق، وصفحة من صفحات دعوة النَّبي ﷺ وبعض تطبيقاته في عرض موضوعات الإسلام بالمنهج العاطفي، وبرغم كلِّ المحاولات لم أتمكن من استقصاء جميع جوانب التطبيق النبوي في دعوته إلى العقيدة والشريعة والأخلاق، فاكتفيت ببعضها نظرًا لتشعب هذا الموضوع.
- وقد حاولت أن أقف على بعض العبر المستفادة والمستوحاة من هذا الفصل حتى يقف عليها الباحث أو الدَّاعية إلى الله ليتدارك بعض الجوانب المهمَّة من دعوة النَّبي ﷺ، وهذا يتأتَّى طبعًا بالرجوع إلى استزادة من أخبار السَّيرة النَّبوية والسَّنة المطهرة، لأنَّ من خلالها تزداد الملكة العلمية والمعرفية عند دراسة حياة النَّبي ﷺ ودعوته، وما كان عليه من عبادات وأخلاق عالية، وما تيسَّر من جوانب مسارها أسلوباً ومنهجاً في حربه وسلمه وشدَّته وفرجه وسفره وإقامته وجميع أحواله، فهو القدوة والمثل المقوم لشخصية الدَّاعية في تنمية مهاراته وقدراته الدَّعوية والأسلوبية تحديداً.
- كما سعى النَّبي ﷺ في بيان موضوعاته بمعاني وأساليب قريبة إلى الأذهان دون أن يجهدهم بالتكاليف والأعمال، فبدأ بالأهم في الدَّعوة ثم انتقل إلى المهم منها، وعالج العقائد البالية بطريقة ليَّنة وبأسلوب حسن وبموعظة بليغة تتقرب إليها الأفهام، ثم واصل في بيان الشريعة وترسيخ الأخلاق الحميدة.
- إنَّ موضوعات دعوة النَّبي ﷺ جميعها متداخلة وملازمة لبعضها البعض تكاد لا تنفك عن بعضها البعض في بعض المواقف، فالشريعة لا تنفك عن العقيدة، لأنَّ كليهما وجهان لعملة واحدة ولغاية واحد، والأخلاق هي التَّقويم العملي والسلوكي لكليهما، والنَّبي ﷺ ارتكز في البداية على التَّوحيد لأنَّه الأصل الذي تقوم عليه الشرائع.
- لقد كانت دعوة النَّبي ﷺ في بيان موضوعات الدَّعوة بمنهج عاطفي ثري ولين، والأمر بها كان بارزاً وبأدلة قريبة إلى أذهان المدعوين، دون أن يكلفهم أو يشقَّ عليهم أو ينقُرهم من الدِّين، فرغَّبهم بها مراعيًا حالهم وظروفهم.
- تجلَّت سنة التَّدرج بإحكام في دعوة النَّبي ﷺ وفي كلِّ مرحلة من مراحل دعوته، فكان البدء بالتَّوحيد، وبدعوة الأقربين، ثم فرض التكاليف الشَّرعية، وكانت طبيعة تدرُّجه في مراعاة بيئة الدَّعوة، ومراعاة أحوال المدعوين وظروفهم.



- تمثلت دعوة النَّبي ﷺ أساسًا عنايته بالأخلاق والقيم الفاضلة، فشملت كلَّ الأحوال وجميع المجالات، وفي كلِّ صغيرةٍ أو كبيرةٍ، وفي كلِّ موقفٍ أو حدثٍ معيَّن، مشيرًا إلى أنَّ قوَّة الدَّاعية تظهر من خلال إلزامه بالأخلاق العالية، وعلى رأسها الحكمة والرَّحمة والشفقة والتَّواضع والصَّبر والمعونة والمواساة.

الخاتمة

في خاتمة الدّراسة أسأل الله العظيم أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن ينفع بها عباده الصّالحين من الدّعاة وغيرهم.

وبعد هذه السيّاحة الواسعة في دعوة النّبي ﷺ، والوقوف على أساليبه العاطفية المستخدمة في هذه المسيرة الدّعوية وموضوعاته وأصناف مدعوّيه، أخلص إلى عدد من النّتائج أهمّها:

### أولاً: ما يتعلّق بالمنهج العاطفي

- إنّ دراستي تميّط اللّثام عن نقاطٍ مهمّة في التّعامل البشري والاتّصال الإنساني، غفل عنه كثير الدّعاة، وهو الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، القائم على خصائص ودعائم نبويّة.
- امتاز المنهج النّبوي العاطفي في الدّعوة إلى الله بالأثر البالغ الذي أحدثه في استمالة قلوب المدعوّين.
- إنّ المنهج العاطفي في الدّعوة إلى الله منهج ربّاني، فكان أكثر المناهج حضوراً في دعوات الأنبياء عليهم السّلام، وقد وقفت الدّراسة على مواقف كثيرة ومشاهد رائعة استخدم فيها النّبي ﷺ هذا المنهج.
- كشفت الدّراسة عن جاذبيّة الأسلوب النّبوي من عقّة لسان، وطيب قلب، ولين جانب، وقوّة إرادة في كسب قلوب المدعوّين على اختلاف عقائدهم ومشاربهم، ممّا جعلهم أسارى هذا الدين قناعةً وحبّاً وهياماً.
- الاطّلاع على منهج النّبي ﷺ العاطفي في عفوه وصفحه، ورفقه وحلمه وأناته وشجاعته وجوده وكرمه، من أعظم ما يزخر به تاريخ الدّعوة إلى الله، ومن أهمّ ما يفيد الدّعاة اليوم في حياتهم الشّخصية والدّعوية.
- الاستفادة النّاجعة والمرجوة من دعوة النّبي ﷺ واستخدامه للمنهج العاطفي أمرٌ يتطلّب التّوفر على أبواب واضحة الصّيّغة غنية المضمون، لاستخراج الوسائل والأساليب العاطفية، ولا أحسب أنّ ذلك يتأتّى إلّا بالاعتماد على تحليل النّصوص وضبطها.
- وجوب التّركيز على أمور مهمّة لنجاح الدّعوة المعاصرة :
- الاهتمام بالجانب العاطفي والذي ينحى منحاه الأسلوب النّبوي بالتّوازي مع تكوين وإعداد دعاة متّزنين قادرين على تمثيل الدّعوة الإسلامية المعاصرة.
- الاهتمام بالجانب الأخلاقي باعتباره العنصر التّطبيقي والصورة العمليّة التي تمثل المنهج العاطفي.

- الاهتمام بالجانب الأسلوبي في مخاطبة المدعويين بما يتلاءم مع ظروفهم وأحوالهم وحاجاتهم، واختيار أنجع الأساليب ولاسيما الأساليب العاطفية وتحديداً تلك التي نهجها النبي ﷺ كأسلوب المداراة واللين والرفق والتّحبيب.
  - الاهتمام بالجانب الإيماني لكونه يمثل الركن الأقوى في بناء الدّاعية إلى الله، وقد ظهر أثره وجماله في دعوات الأنبياء عليهم السّلام عمومًا والنبي ﷺ تحديداً، فاعتنى به ﷺ في إعداد صحابته من خلال الدّراسة.
  - الاهتمام بالجانب الفكري والتّقافي، والعمل على رفع مستواه، مع مراعاة تطوّر الزمان، والابتعاد عما يسبب الجُمود في التفكير، حتّى يكون حجّة قويّة في الدّعوة إلى الله.
  - أهميّة انتقاء الأسلوب الأمثل والمضمون الأنجع الذي يتناسب مع أصناف المدعويين.
  - عدم الاعتماد على طريقة واحدة في الدّعوة إلى الله، بل يجب تنوّع الأساليب ممّا سيكون لها الأثر الكبير في سرعة استجابة المدعويين.
  - كثرة الأساليب الدّعوية التي تستعمل ضمن نطاق الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي.
  - أهميّة استخدام المنهج العاطفي في الدّعوة إلى الله حسب الصّنف المخاطب مسلمين وكفار، ثمّ بالتّفريق بين المسلم الملتزم والمفرط، ثمّ بين أهل الكتاب وغيرهم.
  - هذا المنهج العاطفي كان شاملاً لكافة مجالات الدّعوة عقيدةً وشرعيةً وسلوكاً.
  - أهمية استخدام المنهج العاطفي في معالجة القضايا التشريعية والعقائدية والأخلاقية ممّا كان له الأثر البالغ في الإقناع بها، أو تصحيح ممارستها، أو تعديل النّظرة إليها.
- ثانياً: ما يتعلّق بالدّاعية**
- إنّ زاد الدّاعية هو أمر أساسي لتوليد الحكمة وتركيتها، وخام هذا الزّاد لا يكون إلّا من دعوة النبي ﷺ لأنّها من صنوّ القرآن لا تنفكُ عنه، وأنّها المبيّنة والموضّحة لآيات القرآن الكريم.
  - منوط بالدّاعية التّحلّي بأخلاق النبي ﷺ من صبرٍ وحلمٍ ورحمةٍ، مع احتمال ما يصيبه في دعوته وعدم الزّجر والتّضجّر، لأنّ الأخلاق أبلغ في التأثير والتّغيير للقلوب.
  - واجب الدّاعية تطوير أساليبه بما يتماشى مع واقعه كما تماشى النبي ﷺ مع واقع مكّة والمدينة يعرض محاسن الإسلام بصورة ليّنة وميسّرة.

- يتوجَّب على الدُّعاة في أيِّ زمانٍ ومكان اقتفاء أثر النَّبي ﷺ في منهجه ودعوته وأقواله وأفعاله وأساليبه التي لا يسبقه أحد في إتقانها وعرضها بأروع الصُّور والمواقف.
- إنَّ دعوة النَّبي ﷺ كانت شاملة كافية ووافية فلا نجدُ موضوعاً أو جانباً من جوانب حياة المسلم عموماً والدَّاعية على وجه الخصوص إلاَّ وكانت له وقفة ودعوة من عقيدةٍ وشريعةٍ وأخلاقٍ صالحة لكلِّ زمانٍ ومكانٍ.
- على الدَّاعية مراعاة أحوال المدعوِّين واختيار أساليب مناسبة ولاسيما أساليب المنهج العاطفي التي باستطاعتها أن تؤثر فيهم.
- عناية الدُّعاة بالمنهج العاطفي تأصيلاً وعملًا وعملاً أمر مهمٌّ في الدَّعوة إلى الله، لأنَّ الدَّعوة في ضوء هذا المنهج فيه إثارة للعواطف وإلهابها بما فيها عاطفة الحبِّ وعاطفة الرَّغبة وعاطفة الرَّهبة وعاطفة الرحمة وعاطفة البغض، فهو بواسطته يغرس في النفوس حبَّ الله تعالى وحبَّ نبيِّه والتصديق برسالته ويبغض كل ما يخالفهما ويحيطها بسياجٍ قويٍّ من التَّغيب والترهيب فيربط القلوب ويوثق صلتها بالله.
- على الدَّاعية أن يعتني في دعوتِه بكلِّ شيءٍ مشروع يوجِّهُ العاطفة نحو الخير ويوصل صاحبها إلى رضوان الله والفوز بالثَّواب الذي أعدَّه الله للسَّابِقين إلى الخير.
- عند تقصِّي الدَّاعية لأساليب المنهج العاطفي يجدُ أنَّ اللَّين والرَّفق والموعظة الحسنة من أنجع وأعمَّ أساليب الدَّعوة على الإطلاق.

### التَّوصيات

- الدَّعوة إلى إجراء دراسات تتعلَّق بدعوات الأنبياء عليهم السَّلام لِمَا في ذلك من الفائدة العظيمة للدَّعوة كمنهج والدَّعاة كأخلاق.
- إدراج مادَّة علم النَّفس السُّلوكي والاتِّصال البشري بما يتلاءم مع كلِّ طور في المؤسَّسات التَّربوية والدَّعوية ومراكز التَّنمية البشرية بالنهل من هذا المنهج النَّبوي.
- أن يعي الدُّعاة قراءة المشاعر وتحليلها فلغة العواطف قلَّما من يفقهها ويحسن التَّعامل معها، فأوصي بضرورة تسلح الدَّعاة بالزاد الذي يؤهلهم إلى هذه الغاية.

- أوصي الدُّعاة الإهتمام بجمال الأسلوب في عرض الدُّعوة عرضاً راقياً متفهماً يخاطب العواطف ويصيبها، فيغلب عليه حرصه على المدعو أهمُّ من أيِّ شيءٍ يراعي أحواله ويتعرّف على الظروف المحيطة به فتتويع الأسلوب وجماله ولطفه من أسس الدُّعوة وعوامل نجاحها.
- أوصي من يتولّى القيادة والريادة في الدُّعوة سواء على مستوى الحركات الإسلامية والجمعيات الخيرية والمعاهد التربوية أن ينهل معالم القيادة من خير الأنام وكيف يتعامل مع أفرادهم بذكاءٍ وعاطفة قويّة.
- تطوير الأساليب من خلال معرفة الواقع والمجتمع الذي يعيش فيه، والاستفادة من كلّ الإمكانيات المتاحة والتي تساعد على نشر الدُّعوة ويكون ذلك بعرض مبادئ الإسلام وبيان محاسنه بصورة راقية مصدر قوّتها من السيرة العطرة والسنة المطهّرة.
- القيام بدورات تدريبية للدُّعاة والمرشدين والقادة في الاتّصال الإنساني النّاجح وفنّيات الحوار وتقنيات التّأثير انطلاقاً من هذا المنهج.
- دعوة الباحثين إلى مزيد تعمق في دراسة المناهج الدُّعوية في الرّسائل الجامعيّة.

والله الموفق

## قائمة المصادر والمراجع



## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم برواية ورش

#### المصادر :

1. إبراهيم بن عبد الله المطلق، التدرُّج في دعوة النَّبِيِّ ﷺ (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدَّعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، ج1، 1417هـ).
2. إبراهيم بن علي السِّلَمي، الرِّفْق واللِّين وأثرهما في توجيه النَّاس (مكتبة الملك فهد أثناء النَّشر، ط1، 1433هـ/2012م).
3. إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمَّع اللُّغة العربيَّة (تركيا: دار الدَّعوة، ط2، د، ت).
4. ابنُ أبي الدُّنيا، الصَّبْر والثَّواب عليه، تحقيق: محمَّد خير رمضان يوسف (بيروت: دار بن حزم، ط1، ج1، 1418هـ/1997م).
5. ابنُ أبي الدُّنيا، رسائلُ ابنِ أبي الدُّنيا، تحقيق: محمَّد عبد القادر أحمد عطا، كتاب الحلم، باب طلب العلم والصَّبْر عليه، رقم الحديث 3 (بيروت: مؤسَّسة الكتب الثَّقافيَّة، ط1، 1413هـ/1993م).
6. ابنُ أبي شيبة، كتاب الإيمان، باب ما ذكر في الإيمان، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ/1983م).
7. ابنُ الأثير، النَّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمَّد الطاحي (المكتبة الإسلامية، د، ط، ج4، د، ت).
8. ابنُ الجوزي، ذمُّ الهوى (دار الكتب العلميَّة، د، ط، د، ت).
9. ابنُ الجوزي، ذمُّ الهوى، تحقيق: خالد عبد اللطيف (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1419هـ).
10. ابنُ الجوزي، نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، ج1، 1404هـ/1984م).
11. ابنُ السَّبكي وآخرون، استخراج أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد الحداد، تخريج أحاديث إحياء علوم الدِّين (الرِّياض: دار العاصمة للنَّشر، ج5، د، ت).
12. ابنُ السَّبكي والرُّيدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدِّين (الرِّياض: دار العاصمة للنَّشر، د، ط، ج3، 1408هـ/1987م).
13. ابنُ القيم، إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط1، ج4، 1411هـ/1991م).

14. إِبْنُ الْقَيْمِ، تهذيب مدارج السَّالِكِينَ، هَذَّبَهُ: عبد المنعم صالح العلي العزى (طنطا: دار الشير للثقافة والعلوم، ط 1، 1417هـ/1997م).
15. إِبْنُ الْقَيْمِ، دارج السَّالِكِينَ، تحقيق: ناصر بن سليمان السعوي وآخرون (الرياض: دار الصميعي، ط 1، ج 1، 1432هـ/2011م).
16. إِبْنُ الْقَيْمِ، زاد المعاد في هدي خير العباد (الرياض: دار البحوث العلمية، د، ط، ج 2، د، ت).
17. إِبْنُ الْقَيْمِ، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، فصل في هديه ﷺ في الأسارى، (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط 3، 1418هـ/1998م).
18. إِبْنُ الْقَيْمِ، عَدَّة الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ (بيروت: دار إِبْنِ كَثِير، ط 2، ج 1، 1409هـ/1989م).
19. إِبْنُ الْقَيْمِ، مدارج السَّالِكِينَ، تحقيق: مُحَمَّدُ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ الْبَغْدَادِي (دار الكتاب العربي، ج 2، 1423هـ/2003م).
20. إِبْنُ بَازٍ، مجموع فتاوى ومقالات متنوّعة (الرياض: دار القاسم للنشر، ط 1، ج 8، 1420هـ).
21. إِبْنُ بَطَّالٍ، شرح إِبْنِ بَطَّالٍ عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، تحقيق: أَبُو تَيْمٍمٍ يَاسِرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (الرياض: مكتبة الرُّشد، ط 2، ج 9، 1423هـ/2003م).
22. إِبْنُ تَيْمِيَّةٍ، مجموع فتاوى (المملكة العربية السُّعُودِيَّة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، د، ط، ج 12، 1425هـ/2004م).
23. إِبْنُ تَيْمِيَّةٍ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام إِبْنُ تَيْمِيَّةٍ (المملكة العربية السُّعُودِيَّة: مجَمَّعُ الْمَلِكِ فَهْدُ لَطَبَاعَةِ الْمَصْحَفِ الشَّريف، د، ط، مج 15، 1425هـ/2004م).
24. إِبْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، تاريخ الطَّبْرِيِّ تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، د، ت).
25. إِبْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، تهذيب تاريخ الطَّبْرِيِّ، تهذيب: رجب محمود إبراهيم بخيت (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ط 1، 2017م).
26. إِبْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير الطَّبْرِيِّ (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط 1، ج 2، 1415هـ/1994م).
27. إِبْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تفسير الطَّبْرِيِّ، تحقيق: عبد الله بُنْ عَبْدِ الْحَسَنِ التُّرْكِي (القاهرة: دار هجر، مج 3، ط 1، 1422هـ/2001م).

28. إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبه الحمد، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث 6116، (مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، ج10، 1421هـ/2001م).
29. إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النَّبِيُّ ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم الحديث 6031 (المكتبة السلفية، د، ط، ج10، د، ت).
30. إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث 52 (المكتبة السلفية، ج1).
31. إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود وانتهاك الحرمات، رقم الحديث 6786 (بيروت: دار المعرفة ج12، د، ت).
32. إِبْنُ حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث 3535، (القاهرة: دار البيان للتراث، ط1، ج6، 1407هـ/1986م).
33. إِبْنُ حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث 4101، الرياض: دار طيبة، ط1، ج9، 1426هـ/2005م).
34. إِبْنُ عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (عمان: دار الإعلام، ط1، 1423هـ/2002م).
35. إِبْنُ فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة قص (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج5).
36. إِبْنُ قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق: زهير الشاويش، كتاب الأمر بالمعروف، جملة، باب المحتسب (بيروت: المكتب الإسلامي، ط9، 1461هـ/2000م).
37. إِبْنُ كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، ج3، 1412هـ/1991م).
38. إِبْنُ كثير، البداية والنهاية، (بيروت: دار المعرفة، ط4، ج3، 1419هـ).
39. إِبْنُ كثير، البداية والنهاية، تحقيق: محمد عبد القادر الأرناؤوط، باب غزوة الطائف (دمشق: دار بن كثير، ط2، ج4، 1431هـ/2010م).
40. إِبْنُ كثير، البداية والنهاية، فصل قصّة مسجد ضرار (بيروت: مكتبة المعارف، ط6، ج5، 1409هـ/1988م).
41. إِبْنُ كثير، السيرة النبوية (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ج1، 1395هـ/1976م).
42. إِبْنُ كثير، تفسير ابن كثير (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ج1، د، ت).
43. إِبْنُ كثير، تفسير القرآن العظيم (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، ج1، 1418هـ/1997م).

44. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، ج5، 1418هـ/1995م).
45. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، مج9، 1419هـ)، ص118. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ج3، ط1، 1418هـ/1997م).
46. ابن كثير، تفسير بن كثير (دار طيبة، ط2، ج6، 1420هـ/1999م).
47. ابن كثير، جامع المسانيد والسُّنن، باب عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام عن جدته أسماء، مسند النساء إلى عنقودة، رقم الحديث 127465 (بيروت: دار الفكر، ط1، ج15، 1415هـ/1994م).
48. ابن كثير، جامع المسانيد والسُّنن، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج26، 2012م).
49. ابن كثير، جامع المسانيد، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم الحديث 121 (بيروت: دار الكتب العلمية، ج24، 2012م).
50. ابن منظور، لسان العرب، مادة دعا (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط3، ج4، 1419هـ/1999م).
51. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار المعرفة، ج1، د، ت).
52. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط1، ج15، د، ت).
53. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، ج14، 1418هـ).
54. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ج3، 1988م).
55. ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (د، ط، ج3، 1383هـ/1963م).
56. ابن هشام، الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 2009م).
57. ابن هشام، السيرة النبوية (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1410هـ/1990م).
58. ابن هشام، السيرة النبوية، (جدة: مؤسسة علوم القرآن، د، ط، ج1، د، ت).
59. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: محمد قطب وآخرون (المكتبة العصرية، ج3، 1429هـ/2008م).
60. أبو إبراهيم الفراء، ديوان العرب (مكتبة لبنان، ط1، 2003م).

61. أبو الحسن أحمد بُنْ فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، باب الواو والعين وما يثلثهما (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 6، د، ت).
62. أبو الحسن الشيخ، تراجمات الألباني (الرياض: دار المعارف، ج 1، د، ت).
63. أبو الحسن الماودي، أدب الدين والدنيا (بيروت: دار إقرأ، ط 4، 1405هـ/1985م).
64. أبو الحسن علي الحسيني الندوي، السيرة النبوية (جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 8، 1410هـ/1989م).
65. أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، مادة دعو (إيران: دار الكتب العلمية، ج 2، د، ت).
66. أبو الحسين أحمد بُنْ فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون مادة كنو (دار الفكر، ج 5، 1399هـ/1979م).
67. أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وآخر، رقم الحديث 6502 (القاهرة: دار الحرمين، د، ط، ج 6، د، ت).
68. أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد الله المجيد، عمرو بن دينار، عن ابن عمر، رقم الحديث 13646 (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط 2، ج 12، د، ت).
69. أبو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية ط 1، 1413هـ/1993م).
70. أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: أبي بلال غنيم بن عباس بن غنيم (الرياض: دار الوطن، ط 1، مج 3، 1418هـ/1997م).
71. أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب الحج، باب وجوب الحج مرة واحدة، رقم الحديث 5615 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 3، ج 4، 1424هـ/2003م).
72. أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، كتاب الصلاة، فصل في الصلوات وما في أدائها من الكفارات، رقم الحديث 2565 (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي، ج 4، د، ت).
73. أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم (القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، د، ط، د، ت).
74. أبو بكر الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط 1، مج 2، 1417هـ/1996م).
75. أبو بكر الرازي، الدعوة إلى الإسلام (القاهرة: مكتبة دار العروبة، د، ت).

76. أبو بكر الرّازي، مختار الصّحاح، تحقيق: محمّد أبي ترتيب محمود خاطر، مادة دعا (بيروت: مكتبة لبنان، ط 1، 1376هـ / 1957م).
77. أبو بكر الرّازي، مختار الصّحاح، مادة لين (بيروت: المكتبة العصرية، ط 5، ج 1، 1420هـ / 1999م).
78. أبو بكر الرّازي، مختار الصّحاح، مادة وعظ (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1410هـ).
79. أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزّاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ج 2، د، ت).
80. أبو بكر محمّد أبو بكر، أساليب الدّعوة عند الشّيخ محمّد الغزالي، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، كلّية العلوم الإسلامية، قسم الدعوة وأصول الدّين، 1434هـ / 2013م.
81. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدّين (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط 1، مج 1، 1418هـ / 1998م).
82. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدّين، كتاب الغضب والحقد والحسد (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنّشر، مج 1، 1998م).
83. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدّين، كتاب ذمّ الغضب والحقد والحسد (بيروت: دار المعرفة، ج 3، د، ت).
84. أبو داود السّجستاني، كتاب الزّهد، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، رقم الحديث 199 (حلوان: دار المشكاة للنّشر والتّوزيع، ط 1، ج 1، 1414هـ / 1993م).
85. أبو داود في سننه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، كتاب السنّة، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، رقم الحديث 4599 (دمشق: دار الرّسالة العالمية، ط 1، ج 7، 1430هـ / 2009م).
86. أبو داود في صحيحه، كتاب النّكاح، باب في ضرب النّساء، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، رقم الحديث 2136 (الرياض: دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، ط 2، 1436هـ / 2015م).
87. أبو داود، سنن أبو داود، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، كتاب الصّلاة، باب المرأة تصليّ بغير خمار، رقم الحديث 641 (الرياض: دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، ط 2، 1436هـ / 2015م).
88. أبو ذرّ الغفاري الثّائر المنتفض، دراسة تاريخية، كربلاء: مؤسّسة دار علوم نهج البلاغة، ط 1، 1437هـ، 2016م).
89. أبو زهرة، زهرة التّفاسير (دار الفكر العربي، د، ط، ج 5، 1987م).

90. أبو عبد الرحمن السلمي، وصية الشيخ السلمي، تحقيق: مجدي فتحي السيد (طنطا: مكتبة الصحابة، ج1، 1408هـ).
91. أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، تفسیر سورة آل عمران، أخبار القتل عوض الحسين ﷺ سبعين ألفا وسبعين ألفا، رقم الحديث 3207 (القاهرة: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج2، 1417هـ/ 1997م).
92. أبو عبد الله بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، رقم الحديث 1977 (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ج1، د، ط، د، ت).
93. أبو عبد الله حمزة النايلى، تذكير المسلمين بأهمية الرفق واللين (قطر: دار الإمام البخاري، ط1، 1435هـ/ 2014م).
94. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، كتاب التوبة والإنابة، باب خير الخطائين التوابون، رقم الحديث 7691، دار المعرفة، ط1، 1418هـ/ 1998م).
95. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المناسك، باب الخروج إلى الحج، رقم الحديث 2883 (مطبعة دار إحياء الكتب، ج1، د، ت).
96. أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد، تخریج أحاديث إحياء علوم الدين، رقم الحديث 3182 (الرياض: دار العاصمة للنشر، ط1، ج5، 1408هـ/ 1987م).
97. أبو محمد بن نور التلمساني، طراز الكم المذهب في الأذكار الواردة من الكتاب والسنة، تحقيق: أبي عمر الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، رقم الحديث 164، باب حسن خلقك لو مع الكفار تكن في ظل الله).
98. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج3، 1422هـ/ 2001م).
99. أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المعني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخر، كتاب الجهاد، فصل قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث 1686 (الرياض: دار عالم الكتب، ط1، 1406هـ/ 1986م).
100. أبو محمد عبد الملك المعافري بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، إسلام أبي قحافة (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 2009م).
101. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، المحلى بالآثار، المسألة 725 (بيروت: دار الفكر، د، ط، ج2، د، ت).



102. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م).
103. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، باب الحاء (الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج3، د، ت).
104. أبو نصر الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، القاهرة: منشورات مكتبة السنة، ط1، 1415هـ/1995م).
105. أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الأرنؤوط وآخر (دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج5، 1383هـ/1964م).
106. أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط2، 1407هـ/1987م).
107. أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (القاهرة: مطبعة السعادة، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1396هـ/1976م).
108. أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ/1998م).
109. أحمد أمين، كتاب الأخلاق (القاهرة: مطبعة دار الكتب العلمية، ط3، 1350هـ/1931م).
110. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه (الكويت: وكالة المطبوعات عبد الله حرمي، 1992م).
111. أحمد بن محمد أبا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1412هـ/1991م).
112. أحمد بن محمد بن حاسن القرشي، الاستهزاء بالدِّين أحكامه وآثاره (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ/2005م).
113. أحمد بن عيسى، المدخل إلى إدارة الإسلام الحديثة (عمّان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، ج1، 2018م).
114. أحمد تيجاني هارون عبد الكريم، أثر الضرورة والحاجة وعموم البلوى، مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، المؤتمر السنوي الخامس، البحرين، 1428هـ/2007م.
115. أحمد خزعل جاسم، أساليب النبي ﷺ في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية، مجلّة الأنبار للعلوم الإسلامية، بغداد، د، ت.
116. أحمد شوقي، الشوقيات (بيروت: دار العودة، ج1، 1988م).
117. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس (الإسكندرية: المكتب المصري، ط9، 1973م).

118. أحمد عظيمي، منهجية كتابة المذكرات وأطروحات الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009م).
119. أحمد في مسنده، باب حديث سفيان الثَّقَفي رضي الله عنه، (القاهرة: دار الحديث، ط1، ج14، 1416هـ/1995م).
120. أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، من مسند القبائل، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط1، ج45، 1461هـ/2001م).
121. أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تتمة مسند عبد الله بن عباس، (مؤسّسة الرّسالة، د، ط، ج4، د، ت).
122. أحمد في مسنده، مسند الأنصار، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ج17، 2018م).
123. أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث الحارث الأشعري عن النّبي صلى الله عليه وآله، (القاهرة: دار الحديث، ط1، ج13، 1416هـ/1995م).
124. أحمد يوسف علي، البلاغة العربية دراسات ونصوص، د، ط، د، ت.
125. أخرجه ابنُ ماجه في السُّنن، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، كتاب إقامة الصّلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يحتم القرآن، (مطبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج1، د، ت).
126. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، (دمشق: دار الرّسالة العالمية، ط1، ج7، 1430هـ/2009م).
127. أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، تتمة عبد الله بن مسعود، رقم الحديث 4168 (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ج7، د، ت).
128. أخرجه أحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مسند الكوفيّين، رقم الحديث 18406 (مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1421هـ/2001م).
129. أخرجه التّرمذي في سننه الجامع الصحيح، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح، تحقيق: بشار عوا معروف، رقم الحديث 3791 (دار الغرب الإسلامي، ط1، ج6، 1996م).
130. أخرجه التّرمذي في سننه الجامع الكبير، كتاب الزُّهد، باب ما جاء في حفظ اللّسان، (دار المغرب العربي، ط1، ج4، 1996م).
131. أخرجه التّرمذي في سننه، تحقيق: أحمد محمّد شاكر آخر (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، ج4، 1395هـ/1975م).

132. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة: مكتبة بُنْ تيمية، ط2، ج11، د، ت).
133. أخرجه النسائي في السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، كتاب الصيام، باب صوم ثلثي الدهر وذكر اختلاف النافلين للخبر في ذلك، رقم الحديث 2385 (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، ج4، 1406هـ/1986م).
134. أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من غلبة الدين، (عمان: بيت الأفكار الدولية، د، ط د، ت).
135. إسماعيل بُنْ عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين (عالم الكتب، ط1، 1414هـ/1994م).
136. إصدارات موقع نصره رسول الله ﷺ نسخة pdf، الرسول زوجًا، د، ط، د، ت.
137. أصول الدعوة وطرقها، كتاب المادة IDWH3023، جامعة المدينة العالمية، الجزء 2، 2009م.
138. أكرم ضياء العمري، الرسالة والرسول (مؤسسة الرسالة، ط1، 1410هـ/1990م).
139. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط6، ج1، 1415هـ/1994م).
140. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (مكتبة العلوم والحكم، ط6، مج 2، 1415هـ/1994م).
141. الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (مكتبة المعارف، ط1، ج1، 1415هـ).
142. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، ج3، 1415هـ/1995م).
143. الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، كتاب الإخلاص، باب الترغيب في الإخلاص والصدق في النية، حديث 1 (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، مج 1، 1464هـ).
144. الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في الفراغ للعبادة، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2000م).
145. الألوسي، روح المعاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د، ط، ج2، د، ت).
146. أمير بن محمد المدري، غزوة حنين دروس وعبر، سلسلة غزوات النبي ﷺ دروس وعبر pdf، د، ط، د، ت.

147. أنس سليم الأحدي، المرونة (الرياض: مؤسسة الأمانة للنشر والتوزيع، د، ط، د، ت).
148. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها، رقم الحديث 6018 (القاهرة: دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1434هـ/2012م).
149. بدر الدين العيني، شرح صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج20، د، ت).
150. بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 1421هـ/2001م).
151. بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، ج1، د، ت).
152. بدر الدين العيني، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحيرة والشملة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج21، د، ت).
153. بدر الدين العيني، عمدة القرآن شرح صحيح البخاري، كتاب فضال القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم الحديث 5020 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001م).
154. بدر الدين العيني، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د، ت).
155. برغوث عبد العزيز مبارك، المنهج النبوي والتغيير (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1415هـ/1995م).
156. بسام العموش، فقه الدعوة (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2005م).
157. البغوي، تفسير البغوي معالم التنزيل للبغوي (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2002م).
158. بُنْ أَبِي الدُّنْيَا فِي قَضَاءِ الْحَوَائِج، تحقيق: مجدي السيّد إبراهيم، رقم الحديث 36 (القاهرة: مكتبة القرآن، د، ط، ج1، د، ت).
159. البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب السير، باب مبتدأ الفرض على النبي ﷺ ثم على الناس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، ج9، 1424هـ/2002م).
160. البيهقي، دلائل النبوة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج5، 1408هـ/1988م).
161. الترمذي في سننه الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، (مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج4، 1382هـ/1962م).
162. الترمذي في سننه الجامع الكبير، تحقيق: بشّار عواد معروف، كتاب الدعوات، باب منه 3، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م).

163. الترمذي في سننه الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب ما جاء في الرّفق، رقم الحديث 2013 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، مج1، 1996م).
164. الترمذي في سننه الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث 2676 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج4، 1998م).
165. الترمذي في سننه، كتاب النّكاح، باب في القسم بين النساء، تحقيق: رائد بُنْ صبري بُنْ أبي علفة، (الرياض: دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1436هـ/2015م).
166. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: رائد بُنْ صبري بُنْ أبي علفة، (الرياض: دار الحضارة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1436هـ/2015م).
167. التفسير القيم لابن القيم، تحقيق: محمّد حامد الفقي (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت).
168. التّوخي، الفرج بعد الشّدّة للتّوخي، تحقيق: عبود الشّالجي (بيروت: دار صادر، ج1، 1398هـ/1978م).
169. الجاحظ، البيان والتبيين (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، ج1، 1423هـ).
170. جاسم حسين المشرف، العاطفة كالماء، مقارنة سيكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها (دار الفكر العربي، ط1، 2012م).
171. الجرجاني، التّعريفات (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ).
172. الجرجاني، التّعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).
173. الجرجاني، التّعريفات، تحقيق: محمّد صدّيق المنشاوي، باب الميم (القاهرة: دار الفضيلة، د، ط، د، ت).
174. الجرجاني، معجم التّعريفات، باب الحاء، (القاهرة: دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، د، ط، د، ت).
175. الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمّد الصديق المنشاوي، باب الألف (القاهرة: دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، د، ط، د، ت).
176. جلال الدّين السيوطي، تفسير الجلالين (القاهرة: دار الحديث، ط1، ج1، د، ت).
177. جلال الدّين بن أبي بكر السيوطي، الجامع الصّغير، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط9، ج1، ج2، 2017م).
178. جمعة عبد العزيز أمين، الدّعوة قواعد وأصول (دار الدّعوة، ط2، 1409هـ).

179. جوّاد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السّاقى، ط4، ج11، 1422هـ/2001م).
180. الجوهري، تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، مادة مدح (دار الملايين، ط4، مج6، 1990م).
181. حسن عزوزي، التّعريف بالإسلام باللّغات الأجنبية (الإدارة العامّة للثقافة والنّشر، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة 23، العدد 229، 1429هـ/2008م).
182. حمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، ج26، 1365هـ/1946م).
183. حمد ناصر العمار، أساليب الدّعوة المعاصرة (الرّياض: دار اشبيليا، ط1، 1412هـ/1991م).
184. الحيوان للجاحظ، تحقيق: فوزي عطوري (بيروت: دار الفكر العربي، ج3، 1982م).
185. الخازن، تفسير الخازن المسمى باب التّأويل في معاني التّنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1425هـ/2004م).
186. خالد بنّ جمعة بنّ عثمان الحرّاز، موسوعة الأخلاق (الكويت: مكتبة أهل الأثر، ط1، 1430هـ/2009م).
187. خالد بنّ عبد الرحمان الجريسي، الصّوم جنّة، سلسلة زاد المؤمن 6، pdf، د، دار نشر، د، ط، 1425هـ.
188. خالد بنّ محمّد الحافظ العلمي، منهج أمهات المؤمنين في الدّعوة إلى الله (المدينة المنورة: مكتبة دار الزّمان للنّشر والتّوزيع، ط3، 1437هـ/2016م).
189. خليل أحمد السّهارنفوري، بذل المجهود في حل أبي داود، بيروت: دار الكتب العلمية، ج3، د، ط، د، ت).
190. الدّارمي في سننه، المقدمة، باب تواضع رسول الله ﷺ، رقم الحديث 74 (دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 1996م).
191. الدّارمي في سننه، تحقيق: مصطفى ديب البغا (دمشق: دار القلم، ط3، ج2، 1417هـ).
192. الرّازي، تفسير الفخر الرّازي المسمّى بالتّفسير الكبير (دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ج9، د، ت).
193. الرّازي، مختار الصّحاح، مادّة شرع (بيروت: مكتبة لبنان، د، ط، 1986م).

194. الرّازي، مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون (دار الفكر، د، ط، ج5، 1399هـ/1979م).
195. الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، حرف الرّاء (مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، د، ت).
196. راغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم (دمشق: دار العلم، ط1، 1412هـ).
197. الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دار القلم، 1430هـ/2009م).
198. الرّاغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، مادة سوأ (بيروت: دار القلم، ط1، 1412هـ).
199. راغب الحنفي السّرجاني، الرّحمة في حياة النّبي ﷺ (المملكة العربية السعودية: المركز العالمي للتّعريف بالرسول ونصرته، ط1، 1430هـ/2009م).
200. راغب الحنفي السّرجاني، الرّحمة في حياة النّبي ﷺ (المملكة العربية السّعودية: رابطة العالم الإسلامي، ط1، 1430هـ/2009م).
201. رؤوف شلي، الدّعوة الإسلامية في عهدهما المكيّ منهاجها وغاياتها (دار القلم، ط3، ج1، د، ت).
202. الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي مادة شفق، (مطبعة حكومة الكويت، د، ط، ج25، 1409هـ/1989م).
203. الزّمخشري، تفسير الكشّاف (بيروت: دار المعرفة، ط3، ج16، 1430هـ/2009م).
204. سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، الإقناع في التّربية الإسلامية (جدة: دار الأندلس الخضراء، ط2، 1422هـ/2001م).
205. السّعدي، تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان، تحقيق: عبد الرّحمان بن معلا اللويحق (الرّياض: دار السّلام للنّشر والتّوزيع، ط2، 1422هـ/2002م).
206. السّعدي، تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان، تحقيق: عبد الرّحمان بن معلا اللويحق (مؤسّسة الرّسالة، ط1، ج1، 1420هـ/2000م).
207. سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1994م).



208. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، الحكمة في الدَّعوة إلى الله (الرِّياض: مكتبة الملك فهد، ط1، 1425هـ).
209. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الزَّكاة في الإسلام في ضوء القرآن والسَّنة (القصَب: مركز الدَّعوة والإرشاد، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النَّشر، ط1، 1407هـ/2008م).
210. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، أنواع الصَّبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسَّنة (د، دار نشر، د، ط، 1422هـ).
211. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدَّعوة صحيح الإمام البخاري (المملكة العربية السُّعودية: وكالة لشؤون المطبوعات والنَّشر بوزارة الشُّؤون الدِّينية والأوقاف، ط1، 1461هـ).
212. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، فقه الدَّعوة في صحيح الإمام البخاري (الدَّراسة العامَّة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدَّعوة، ط1، 1421هـ).
213. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح (المملكة العربية السُّعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1415هـ/1994م).
214. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، مقوِّمات الدَّاعية النَّاجح (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1415هـ/1994م).
215. سعيد بنُ علي بنُ وهف القحطاني، مواقف النَّبي ﷺ في الدَّعوة إلى الله، سلسلة الرِّسائل الدَّعوية ط1.
216. سعيد حوى، تربيَتنا الرُّوحية (القاهرة: دار السَّلام للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط6، 1419هـ/1999م).
217. السَّلسلة الصَّحيحة للألباني، رقم الحديث 949 (الرِّياض: مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، ط1، ج2، 1415هـ/1995م).
218. سليمان بنُ أحمد بنُ أبو أيوب أبو القاسم البراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بنُ عبد المجيد السلفي (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط2، ج4، 1407هـ/1983م).
219. سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية (بيروت: منشورات عويدات الدَّولية، ط1، 1991م).
220. سمير توماس وأرنولد، الدَّعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون (القاهرة: مكتبة النَّهضة المصرية، د، ط، 1971م).
221. سمير نعيم أحمد، النَّظرية في علم الإجماع، دار المعارف، ط5، 1985م).

222. سنن إِبْنِ ماجه، تحقيق: مُحَمَّدُ فؤاد عبد الباقي، كتاب المقدمة، أبواب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل الأنصار، رقم الحديث 164 (دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د، ط، ج1، د، ت).
223. سنن إِبْنِ ماجه، كتاب النكاح، باب التَّسْتُرُ عند الجماع، رقم الحديث 1920 (الرِّياض: مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع، ط1، د، ت).
224. سنن التَّرمذي وهو الجامع الصَّحيح، أبواب الصَّلَاة، باب ما جاء في الصَّلَاة، رقم الحديث 302 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2003م).
225. سنن سعيد بَنُ منصور، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز آل مُحمَّد (الرياض: دار الصِّمِّيِّ للنشر والتَّوزيع، ط1، 1414هـ/1993م).
226. سيِّد سابق، العقائد الإسلامية (بيروت: دار الكتاب العربي، د، ط، د، ت).
227. سيِّد قطب، في ضلال القرآن (القاهرة: دار الشُّروق، ط1 مج1، ج4، 1972م).
228. سيِّد قطب، في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشُّروق، ط17، ج1، 1412هـ).
229. سيرة إِبْنِ هشام، تحقيق: طه عبد الرُّؤُوف سعد (بيروت: دار الجيل، د، ط، ج2، د، ت).
230. ابن هشام، السِّيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السَّلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1410هـ/1990م).
231. السُّيوطي، الإكليل في استنباط التَّنزيل، تحقيق: سيف الدِّين عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط 1410هـ).
232. الشَّاطبي، الموافقات (المملكة العربية السُّعودية: دار بن عفان، ط1، ج2، 1417هـ/1997م).
233. الشحات إبراهيم مُحَمَّد منصور، مقرر المدخل في الشَّريعة الإسلامية، مركز التَّعليم المفتوح بجامعة بنها، برنامج الدِّراسات القانونية، 2007م.
234. شمس الدِّين مُحَمَّد بَنُ أحمد بَنُ عثمان، سير أعلام النُّبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، ج2، 1401هـ/1981م).
235. شهاب الدِّين أبي العباس أحمد بَنُ مُحَمَّد القسطلاني، إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري، بيروت: دار الكُتب العلمية، ط1، ج3، 2016م).
236. الشُّوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التَّفسير (بيروت: دار المعرفة، ط4، ج29، 1428هـ/2007م).

237. الشُّوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (دار الوفاء، ج 3، د، ت).
238. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، محاضرة بعنوان تأصيل المناهج الدعوية في ضوء الكتاب والسنة، pdf، المملكة السعودية، 1430هـ.
239. صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط 4، ج 9، د، ت).
240. صالح بن علي أبو عراد، مقدمة في التربية الإسلامية (الدار الصوتية للنشر والتوزيع، ط 1، 1424هـ/2003م).
241. صحيح الجامع للألباني، رقم الحديث 5445 (بيروت: المكتب الإسلامي، ط 3، مج 1، 1408هـ/1988م)، ص 957. وقال: هذا حديث صحيح.
242. صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د، ط، 1428هـ/2007م).
243. صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1991م).
244. صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، (الجزائر: شركة الشهاب للنشر والتوزيع، 1408هـ/1987م).
245. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب، دمشق: دار القلم، ط 5، 1431هـ/2010م).
246. صور الكناية في الكلام النبوي، إيضاعات نقدية، فصلية محكمة، السنة 3، العدد 9، 1392هـ/2013م.
247. الضياء المقدسي أبو عبد الله محمد وآخرون، صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث، تحقيق: حمزة أحمد الزين، حرف الميم (بيروت: دار الكتب العلمية، ج 8، 2009م).
248. طاهر أحمد الزاوي وآخر (بيروت: المكتبة العلمية، د، ط، ج 2، 1399هـ/1979م).
249. طلعت همام، سين وجيم عن مناهج البحث العلمي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1404هـ).
250. الطيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية (المعهد العالي للفكر الإسلامي، 1996).
251. الطيب برغوث، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 1416هـ/1996م).

252. الطَّيْبِي، شرح الطَّيْبِي على مشكاة المصابيح المسمَّى بالكاشف عن حقائق السنن، باب أسماء النَّبِيِّ ﷺ وصفاته (الرَّيَاض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، ج12، 1417هـ/1997م).
253. عبد الإله ميقاتي، مدخل إلى فقه النُّعْمَة (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2006م).
254. عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التَّربية الإسلامية في السُّنَّة النَّبَوِيَّة (الدَّار العربية للكتاب، د، ط، 1993م).
255. عبد الحميد بُنْ باديس، الدُّور الغالية في آداب الدعوة والدَّاعية (دار المنار، د، ط، د، ت).
256. عبد الرَّحْمَان النَّحْلَاوي، أصول التَّربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع (دمشق: دار الفكر، ط25، 1428هـ/2007م).
257. عبد الرَّحْمَان بدوي، مناهج البحث العلمي (الكويت: وكالة المطبوعات، ط3، 1977م).
258. عبد الرَّحْمَان حَبْنَكَة المِيدَانِي، الأخلاق الإسلامية (دمشق: دار القلم، ط5، ج1، 1420هـ/1999م)، ص-ص 44، 45.
259. عبد الرَّحْمَان حَبْنَكَة المِيدَانِي، الأخلاق الإسلامية وأسسها (دمشق: دار القلم، ط5، ج2، 1420هـ/1999م).
260. عبد الرَّحْمَان حَبْنَكَة المِيدَانِي، فقه الدَّعوة (دمشق: دار القلم، ط1، ج1، 1417هـ/1996م).
261. عبد الرَّحْمَان حَسَن حَبْنَكَة المِيدَانِي، الأخلاق الإسلامية وأسسها (دمشق: دار القلم، ط3، ج2، 1413هـ/1992م).
262. عبد الرَّحْمَان حَسَن حَبْنَكَة المِيدَانِي، فقه الدَّعوة إلى الله (دمشق: دار القلم، ط2، ج1، 1417هـ/1996م).
263. عبد الرزاق بُنْ عبد المحسن البدر، حقوق كبار السنِّ في الإسلام (الرَّيَاض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنَّشر، ط1، 1432هـ/2011م).
264. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، خطب ومواعظ (المدينة المنورة: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1426هـ/2005م).
265. عبد الرَّزَاق عبد المحسن البر، الجامع للبحوث والرَّسائل (كنوز إشبيلية للنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1426هـ/2005م).
266. عبد الرَّؤُوف بُنْ المناوي، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، تحقيق: الدُّكتور عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1410هـ/1990م).

267. عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام (بيروت: مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط14، 1406هـ/1985م).
268. عبد العزيز بن باز، حكم الشُّفُور والحجاب (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، 1410هـ/1989م).
269. عبد العزيز بن باز، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (الرياض: دار القاسم، ط1، 1420هـ).
270. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي مواقف من السيرة النبوية (القاهرة: دار الدعوة للنشر والتوزيع، ط1، ج1، 1418هـ/1997م).
271. عبد العزيز بن محمد النعيمشي، علم النفس الدعوي (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ط3، 1432هـ/2011م).
272. عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، دلائل الإعجاز، فصل في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره، د، ت، د، ط.
273. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة (د، دار نشر، ط3، 1396هـ/1976م).
274. عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، ج1، 1419هـ/1998م).
275. عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ج1، 1419هـ/1998م).
276. عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللحجي الحضرمي، منتهى السؤال على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ (جدة: دار المنهاج، ط3، ج2، 1426هـ/2005م).
277. عبد الله سعد الفالح، آداب الموعظة الحسنة (دار ابن الأثير، د، ط، 1427هـ).
278. عبد الله عزّام، عملاق الفكر الإسلامي (باكستان: مركز الشهيد عبد الله عزّام الإعلامي للنشر والتوزيع، ط1، د، ت).
279. عبد الله ناصح علوان، محاضرة في الشريعة الإسلامية وفقهها ومصادرها (دار السلام، ط3، 2007م).
280. عبد الهادي الفضلي، خلاصة المنطق (مطبعة الأدب، ط1، 1385هـ).
281. العثيمين، إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المختار، د، ط، د، ت.
282. العثيمين، تفسير القرآن العظيم، سورة المائدة (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ط1، 1435هـ).

283. العثيمين، شرح رياض الصالحين (الرياض: دار الوطن للنشر، ج1، 1426هـ).
284. عدنان بن محمد آل عرعور وآخر، منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، منهج الدعوة، ط10، 1432هـ.
285. العراقي وآخرون، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، كتاب آداب تلاوة القرآن، رقم الحديث 838 (الرياض: دار العاصمة للنشر، ط1، ج1، 1408هـ/1987م).
286. عقيل حسين، فلسفة مناهج البحث العلمي (مصر: مكتبة مدبولي، د، ط، 1999م).
287. علاء الدين الخازن، تفسير الخازن، المسمى باب التأويل في معاني التنزيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1415هـ).
288. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب الأذكار، قسم الأقوال، رقم الحديث 3660 (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج1، 2016م).
289. علوي بن عبد القادر السقاف موسوعة الأخلاق، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، د، ط، د، ت.
290. على جوهره التوحيد حاشية الإمام البيجوري، تحقيق: علي جمعة محمد الشافعي (القاهرة: دار السلام للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1422هـ/2007م).
291. علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الإتحافات السنية بالاحاديث القدسية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخر، شرح حديث «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع»، رقم الحديث 44 (بيروت: دار بن كثير، ج1، د، ط، د، ت).
292. علي بن نايف الشحوذ، الخلاصة في فقه الدعوة (ماليزيا: دار المعمور، ط1، 1430هـ/2009م).
293. علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها (المنصورة: دار الوفاء، ط1، 1407هـ/1986م).
294. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، ط9، ج1، د، ت).
295. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج1، 1410هـ/1990م).
296. علي عبد الحليم، فقه الدعوة إلى الله (مطابع دار الوفاء، ط3، 1412هـ/1991م).
297. علي محفوظ، هداية المرشدين (دار الإعتصام، ط9، 1399هـ/1979م).

298. علي محفوظ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة (بيروت: دار الاعتصام، ط9، 1399هـ/1979م).
299. علي محمد الصُّلَّابِي، السَّيِّرة النَّبَوِيَّة عرض وقائع وتحليل أحداث (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط4، 1429هـ/2008م).
300. علي محمد الصُّلَّابِي، السَّيِّرة النَّبَوِيَّة عرض وقائع وتحليل أحداث (بيروت: دار المعرفة، ط7، 1429هـ/2008م).
301. عماد الدِّين خليل، دراسة في السَّيِّرة (بيروت: دار النَّفائس، ط2، ج1، 1425هـ).
302. عمار بوحوش ومحمد محمود الذبيات، مناهج البحث العلمي أسس وأساليب، الأردن: مكتبة المنار للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1410هـ).
303. عمر بُنْ شَبَّة بُنْ عبيدة بن ربة النميري البصري، تاريخ المدينة لابن شبة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، باب الوفود (جَدَّة، د، ط، ج2، 1399هـ).
304. عمر سليمان الأشقر، الرُّسل والرَّسالات (الكويت: مكتبة النَّفائس، مكتبة الفلاح، ط2، 1403هـ/1983م).
305. عمر سليمان الأشقر، خصائص الشَّريعة الإسلاميَّة (الكويت: مكتبة، ط1، 1982م).
306. عمر سليمان عبد الله الأشقر، الرُّسل والرَّسالات (الكويت: دار النَّفائس، ط2، 1403هـ/1983م).
307. العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج20، 1421هـ/2001م).
308. غازي حسين عناية، مناهج البحث (الإسكندرية: مؤسَّسة شباب الجامعة، د، ط، 1984م).
309. الفارابي، الصَّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، مادة رهب (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، ج1، 1407هـ/1987م).
310. فاروق يوسف، قواعد المنهج العلمي (القاهرة: مكتبة عين شمس، ط1، 1985م).
311. فتحي يكن، ماذا يعني إنتمائي للإسلام (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط15، 1408هـ/1988م).
312. فخر الدِّين الرَّازِي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء الثَّراث العربي، ط3، ج20، 1420هـ).
313. فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الإسلاميَّة (الدَّار البيضاء: منشورات الفرقان، مطبعة النَّجاح، ط1، 1997م).



314. فهد بُنْ عبد الرَّحْمَان بن سليمان الرَّومِي، خصائص القرآن الكريم (الرِّياض: مكتبة الحرمين، ط9، 1417هـ/1997م).
315. الفيروز آبادي، القاموس المحيط (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط3، 1310هـ).
316. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مادَّة بعث (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط8، 1426هـ/2005م).
317. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مادة عقل (مؤسَّسة الرِّسالة، ط8، 1426هـ/2005م).
318. الفيروز آبادي، القاموس المحيط (الهيئة المصرية العامَّة، ط3، ج2، 1978م).
319. فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحرملِي، تطرُّز رياض الصالحين، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن ابراهيم الزير آل حمد، باب تعظيم حرَمات المسلمين وبيان حقوقهم، رقم الحديث 224 (الرِّياض: دار العاصمة للنَّشر والتَّوزيع، ط1، ج1، 1423هـ/2002م).
320. الفيؤمي، المصباح المنير، مادة دعوت (بيروت: مكتبة لبنان، 1407هـ/1987م).
321. القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (دار الكتب العلمية، د، ط، ج2، د، ت).
322. القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار في شرح غريب الحديث، حرف القاف، بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د، ت).
323. قديرة سليم، معنى الرَّحمة والثَّقافة لغةً واصطلاحًا وعلاقتهما، pdf، الجامعة العالمية بإسلام آباد، باكستان، د، ت.
324. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (الرِّياض: مكتبة الرِّياض الحديثة، ط2، ج8، 1373هـ/1954م).
325. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بُنْ عبد المحسن التركي (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، ج11، 1427هـ/2006م).
326. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، ج2، 1427هـ/2006م).
327. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وآخر (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، ج18، 1438هـ/1964م).

328. كامل محمد عويضة، علم نفس الشخصية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ/1996م).
329. كائنات محمود عدوان، محاضرة بعنوان التّحدّيات المواجهة للدّعوة من خلال سورة نوح ﷺ، مؤتمر الدّعوة الإسلامية ومتغيّرات العصر، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدّين، 1426هـ/2005م.
330. الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية، تحقيق: عدنان درويش وآخر، فصل الرأء (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، د، ط، ج1، د، ت).
331. كيلان خليل حيدر، التّريغيب والتّرهيب في القرآن الكريم وأهمّيّتها في الدّعوة إلى الله، بحث في مجلّة كلىة العلوم الإسلامية، العدد 13، مج7، 1434هـ/2013م.
332. لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللّغة العربية والأدب والعلوم، مادة عطف (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ط18، 1956م).
333. مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث 5 (بيروت: دار إحياء الثّراث العربي، ط1، ج2، 1406هـ/1985م).
334. مأمون فريز حرار، خصائص الفقه الإسلامي (جدة: دار المنارة للنشر والتّوزيع، ط1، 1988م).
335. المباركفوري، تحفة الأحوذى (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، ج2، د، ت).
336. مجموعة رسائل الإمام حسن البنأ، pdf، د، ط، د، ت.
337. محمّد أبو العلا أبو العلا الحمزاوي، الخصائص البلاغية للبيان النبوي (مكتبة الرّشد، 1428هـ/2007م).
338. محمّد أبو الفتح البيانوني، المدخل في علم الدّعوة (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، ط3، 1415هـ/1995م).
339. محمّد أحمد الرّاشد، الرّقائى (مؤسّسة الرّسالة، ط4، 1410هـ/1981م).
340. محمّد أحمد محمّد معبد، نفحات من علوم القرآن (القاهرة: دار السّلام، ط2، ج1، 1426هـ/2005م).
341. محمّد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1999م).
342. محمّد الحسيني الزبيدي مرتضى، إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين، كتاب الخوف والرّجاء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج11، 2016م).
343. محمّد الزّرقاني، شرح الزّرقاني على المواهب اللّدية بالمنح المحمّدية، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، 1996م).

344. محمد الزرقاني، مدخل العرفان في علوم القرآن (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2، 1416هـ/1996م).
345. محمد السيد الوكيل، تقنين الدَّعوة ومراحلها ومناهجها (دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، 1414هـ/1994م).
346. محمد الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، د، ت).
347. محمد الصالح المنجد، كيف عاملهم محمد ﷺ، (المملكة العربية السعودية: مجموعة زاد للنشر، ط2، 1436هـ/2015م).
348. محمد الصَّبَّاحي عوض الله، حياة وأخلاق الأنبياء (بيروت: دار إقرأ، ط4، 1413هـ/1993م).
349. محمد الطَّاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدَّار التُّونسية للنشر، د، ط، ج4، 1984م).
350. محمد الغزالي، التعصُّب والتَّسامح بين المسيحية والإسلام (الجزيرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ط6، 2005م).
351. محمد الغزالي، الجانب العاطفي في الإسلام (مصر: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2005م).
352. محمد الغزالي، خلق المسلم (القاهرة: دار الريان للتراث، ط1، 1408هـ/1987م).
353. محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب (دار الشُّروق، د، ط، د، ت).
354. محمد الغزالي، فقه السَّيرة (دمشق: دار القلم، ط1، 1427هـ/2006م).
355. محمد الغزالي، نظرات في القرآن (القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2005م).
356. محمد الغزالي، هموم داعية (القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، 2006م).
357. محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، كتاب الآداب، باب السَّلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج8، 1422هـ/2001م).
358. محمد أمين حسن محمد بن عامر، من فقه الدَّعوة أساليب الدَّعوة والإرشاد (الدَّعوة، الدَّاعية، المدعو) (جامعة اليرموك، 1999م).
359. محمد بن أحمد بن الأزهر، تهذيب اللُّغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، ج3، 2001م).

360. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، هدي المصطفى ﷺ في حجة الوداع (دمشق: دار المأمون للتراث، ط 1، 1430هـ).
361. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري في الأدب المفرد، تحقيق: الألباني، باب إذا عطس يهودي، رقم الحديث 723/940 (دار الصديق للنشر والتوزيع، ط 4، 1418هـ/1997م).
362. محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني، التَّنوير شرح الجامع الصغير، حرف الميم، الحديث 1770 (الرياض: مكتبة دار السلام، ط 1، ج 3، 1432هـ/2011م).
363. محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب (جدة: دار القبلية للثقافة الإسلامية، ط 1، 1413هـ/1992م).
364. محمد بن عبد الكريم أبو الفتح الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام (بيروت: دار الكتب العلمية، ج 1، ط 1، 2004م).
365. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م).
366. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 3، 1411هـ/1990م).
367. محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين، تحقيق: عاصم بهجه البيطار (بيروت: دار النفائس، ط 1، 1401هـ/1981م).
368. محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ج 2، 1418هـ).
369. محمد خير رمضان يوسف، الدعوة الإسلامية والوسائل والأساليب (مطابع الفرزدق التجارية، ط 1، د، ت).
370. محمد رشيد رضا، تفسير المنار (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، د، ط، د، ج، 1990م).
371. محمد صالح المنجد، الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء (دار الوطن للنشر، د، ط، د، ت).
372. محمد صالح المنجد، مفسدات القلوب، الرياض: مجموعة زاد للنشر، ط 1، 1438هـ/2017م).
373. محمد عبد الباقي الزرقاني، شرح العلامة الزرقاني على المواهب المدنية بالمنح المحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1417هـ).

374. محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات (عمان: كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، ط2، 1999م، دار وائل للطباعة).
375. محمد عثمان شبير، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي (عمان: دار النفائس، ط6، 1427هـ/2007م).
376. محمد عزة بن عبد الهادي دروزة، سيرة الرسول ﷺ (قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، ج2، د، ت).
377. محمد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير (القاهرة: دار الصّابوني للطباعة والنّشر، ط1، ج1، 1417هـ/1997م).
378. محمد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير (بيروت: دار القرآن الكريم، ط4، مج2، ج18، 1403هـ/1981م).
379. محمد علي اللاهوري القادياني، حياة محمد ورسائله (بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1390هـ).
380. محمد فهمي عبد الوهاب، محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه وكتابه (القاهرة: دار الاعتصام، ط1، 1395هـ/1975م).
381. محمد لطفي الصّباغ، التّصوير الفنّي في الحديث النبوي (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1409هـ/1988م).
382. محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، باب الحاء (مطبعة حكومة الكويت، ج5، 1389هـ/1969م).
383. محمد مرتضى الزّبيدي، تاج العروس (بيروت: دار مكتبة الحياة، د، ط، ج2، 1306هـ).
384. محمد مسعد ياقوت، نبيّ الرّحمة والرّسالة (القاهرة: الزّهاء للإعلام العربي، ط1، 2007م).
385. محمد موسى الشّريف، العاطفة الإيمانية وأهمّيّتها في الأعمال الإسلامية (جدّة: دار الأندلس الخضراء للنّشر والتّوزيع، ط1، 1422هـ/2001م).
386. محمد ناصر الدّين الألباني، السّلسلة الصّحيحة، باب أدب الكبير مع الصّغير، والصّغير مع الكبير، رقم الحديث 156 (مكتبة القدوسية، د، ط، 2009م).
387. محمد ناصر الدّين الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب النّكاح، باب القسم بين النّساء رقم الحديث 1852. (الكويت: مؤسّسة غراس للنّشر والتّوزيع، ط1 مج6، 1423هـ/2002م).

388. محمود محمّد الخزندار، هذه أخلاقنا (الرّياض: دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1417هـ/1997م).
389. محمود محمّد خطاب السّبكي، تحقيق: السيّد أمين محمود خطاب (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ج8، 2007م).
390. محي الدّين الدرويش، إعداد القرآن الكريم وبيانه (حمص: دار الإرشاد للشّؤون الجامعية، ط3، ج4).
391. محي الدّين شرف النّوّي، تهذيب الأسماء واللّغات، حرف العين، بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، ج2، د، ت).
392. المرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، باب سلب (مطبعة الكويت، ط2، ج3، د، ت).
393. مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مادة قصّ (مطبعة حكومة الكويت، ج18، 1399هـ/1979م).
394. المسند الجامع، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، باب 573 ماعز غير منسوب، حرف الميم، رقم الحديث 11298 (بيروت: دار الجيل، الكويت: الشركة المتحدة، ط1، مج15، 1413هـ/1993م).
395. المسند الجامع، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، كتاب الذّكر والدّعاء، رقم الحديث 1091. (بيروت: دار الجيل، ط1، مج2، 1413هـ/1993م).
396. المصطفوي، التّحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة رأف (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، ج4، 1430هـ/2009م).
397. مصطفى البغا وآخرون، الوافي في شرح الأربعين النّووية (دمشق: دار المصطفى للطباعة والنّشر، ط2، 1431هـ/2010م).
398. مصطفى العدوي، الصّحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشرار السّاعة، الرّياض: دار الهجرة للنّشر والتّوزيع، ط1، 1412هـ/1991م).
399. مصطفى حلمي، قواعد المنهج السّلفي في الفكر الإسلامي (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ/2005م).
400. معروف زريق، علم النّفس الإسلامي (دمشق: دار المعرفة، 1408هـ/1989م)، ص60.

401. مقبل بن هادي الوداعي، الجامع الصحيح ما ليس في الصحيحين (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ج3، 1416هـ/1995م).
402. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ط1، ج1، 1410هـ/1990م).
403. المناوي، في فيض القدير، حرف الصاد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ج4، 1422هـ/2001م).
404. المنتخب في تفسير القرآن الكريم (بيروت: دار القلم للطباعة والنشر، وشركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، د، ط، 2016م).
405. منير محمد الغضبان، فقه السيرة (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط2، 1413هـ/1992م).
406. النسائي في سننه الكبرى، كتاب التعبير، باب صعود الجبل الزلق، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ج7، 1421هـ/2001م).
407. النسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، أبواب الملاعبة كم تُهَجَر، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، رقم الحديث 9117 (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، ج8، 1421هـ/2001م).
408. النسائي في سننه، تحقيق: رائد بن صبري ابن أبي علفة، تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1436هـ/2015م).
409. نظمي لوقا، محمد الرسول والرسالة (القاهرة: دار الكتب الحديثية، ط2، 1959م).
410. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب التوحيد، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب (بيروت: دار إحياء التراث العرب، ط2، ج17، 1392هـ).
411. النووي، شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، ج10، 1347هـ/1929م).
412. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث 2592 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، ج16، 1392هـ).
413. هيا بنت ناصر بن عبد الله الراشد، الصبر جنة المؤمن (الرياض: دار الرسالة البيان للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ/2014م).
414. وهبة بن مصطفى الرحيلي، التفسير الوسيط (دمشق: دار الفكر، ط1، مج1، 1422هـ).



415. يحيى الرخاوي، الأساس في الطبِّ النَّفسي ملف الوجدان وإضطرابات العواطف، الفصل الخامس، إصدارات مؤسَّسة العلوم النَّفسية العربية، 2015م.
416. يحيى بُنُ شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم، شرح النَّووي على مسلم، كتاب التَّوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث 2766، (بيت الأفكار الدولية، د، ط، د، ت).
417. يحيى بن شرف النَّووي، رياض الصَّالحين، باب فضل الجوع وخشونة العيش (دار الرِّيان للتراث، د، ط، د، ت).
418. يحيى بن شرف النووي، شرح النَّووي على مسلم، كتاب الحجِّ، باب فرض الحجِّ مرة في العمر، رقم الحديث 1337 (بيت الأفكار الدولية، د، ط، د، ج، د، ت).
419. يحيى بُنُ مُحَمَّد زمزمي، بحث حول الحوار القرآني في سورة نوح عليه السلام دراسة تحليلية، د، ط، د، ت.
420. يوسف القرضاوي، الخصائص العامَّة للإسلام (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط8، 1414هـ).
421. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام (القاهرة: مكتبة وهبية، مطبعة المدني، ط24، 1416هـ/1995م).
422. يوسف القرضاوي، المنتقى من كتاب التَّزغيب والتَّرهيب للمنزدي (مركز بحوث السنَّة والسَّيرة، د، ط، ج1، د، ت).
423. يوسف القرضاوي، الورع والزُّهد (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1431هـ/2010م).
424. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة (القاهرة: دار الشُّروق، ط1، 1424هـ/2004م).
425. يوسف خاطر حسن الصُّوري، أساليب الرِّسول ﷺ في الدَّعوة والتَّربية، صندوق التَّكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى، د، ت.

Merton, R., Social theory and social structure U.S.A, The free press of Glencoe 1951.

#### الرسائل الجامعية

1. نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج، الرِّفق وأثره في الدَّعوة إلى الله، رسالة ماجستير، المملكة العربية السُّعودية، كِلَّة الدعوة وأصول الدِّين، قسم الدَّعوة والثَّقافة الإسلامية، 1429هـ/1430هـ.
2. معن محمود عثمان ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، جامعة النَّجاح الوطنية، كِلَّة الدِّراسات العليا، رسالة ماجستير، 2005م.

3. مرفت محمّد أحمد حماد، الموعظة في القصص القرآني، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية غزّة، كُلية أصول الدّين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1436هـ/2015م.
4. مرفت محمّد أحمد حماد، الموعظة في ضوء القصص القرآني، رسالة ماجستير، غزّة، الجامعة الإسلامية، كُلية أصول الدّين، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1436هـ/2015م.
5. حامد بن أحمد بن علي العامري، الدّعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهّرة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في الدّعوة والإحتساب، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كُلية الدّعوة والإعلام، ج1، 1422هـ/1423هـ.
6. معتز محبوب محمّد البخاري، منهج أولى العزم من الرّسل في الدّعوة عليهم السّلام، جامعة الرّباط الوطني، كُلية الدّراسات العليا والبحث العلمي، رسالة ماجستير في الدّراسات الإسلامية، 2015م.
7. محمّد بن عبد الله العمري، الدّعوة إلى الله بالمنهج الحسّي في السنة النبوية، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الدّعوة إلى الله، المملكة العربية السّعودية، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، كُلية الدّعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب، 1420هـ/1421هـ.
8. عبد العباس حسن الأسدي، معاني القبول والرّفص في القرآن الكريم دراسة في الألفاظ والأساليب، أطروحة الدّكتوراه فلسفة في اللّغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، كُلية التّربية للبنات، قسم اللّغة العربية وآدابها، 1430هـ/2009م.
9. محمّد أحمد محمّد عبد القادر خليل ملكاوي، عقيدة التّوحيد في القرآن الكريم، رسالة قدمت في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرّياض، لنيل درجة الماجستير.
10. لوشاحي فريدة، دراسة أحلام الأطفال في ظلّ الحرمان الوالدي، شهادة الدّكتوراه علوم في علم النّفس العيادي، جامعة منتوري قسنطينة، قسم علم النّفس وعلوم التّربية والأرطوفونيا، 2009/2010م.
11. عبد العباس حسن الأسدي، معاني القبول والرّفص في القرآن الكريم دراسة في الألفاظ والأساليب، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللّغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة، كُلية التّربية للبنات، قسم اللّغة العربية وآدابها، 1430هـ/2009م.
12. عمار دحماني، منهج النّبي ﷺ في مواجهة التّحدّيات الدّعوية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كُلية العلوم الاجتماعيّة والإسلاميّة، قسم أصول الدّين، 1430هـ/2009م.
13. فواز بن مبيريك حماد الصّعيد، الأساليب التّربويّة النبويّة المتبعة في التّوجيه وتعديل السّلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثّانوية بنين، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التّربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أمّ القرى، كُلية التّربية، قسم التّربية الإسلامية والمقارنة، 1430هـ/2009م.

14. مروة إبراهيم سعيان قوته، الأحاديث القدسيّة دراسة بلاغية، رسالة ماجستير في اللغة العربية غزّة، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1428هـ/2007م.
15. محمد بن عبد الله الخراز، القول اللّين وخلافه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المفهوم والتّطبيقات دراسة بلاغية تحليلية، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة القصيم، د، ت.
16. محمد الصّالح وقيع الله، ثقافة الدّاعية وأثرها في الدّعوة، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الدّراسات الإسلامية، جامعة الرّباط، كلية الدّراسات العليا والبحث العلمي، 2015م.
17. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، التّرهيب في الدّعوة في القرآن والسّنة، أنواعه، مجالاته، تأثيره، المملكة العربية السّعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدّعوة والإعلام بالرياض، قسم الدّعوة والإحتساب، 1415هـ.
18. جملات محمود نايف الجرايدة، السّمات الشّخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسّنة النبوية، رسالة ماجستير، غزّة، الجامعة الإسلامية، كلية التّربية، قسم أصول التّربية، 2010م.
19. ساجدة أحمد حسين أبو رواع، المدح في السّنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الأردن، كلية الدّراسات العليا، 2007م.
20. سليمان بن عبد العزيز بن أحمد الدويش، أسلوب التّغيب في دعوة النّبي ﷺ، بحث مقدّم إلى قسم الدّعوة والإحتساب لنيل درجة الماجستير، المملكة العربية السّعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدّعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب، 1416هـ.
21. حميد قبايلي، الصّورة البيانية في المدحة النبوية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2003م/2004م.
22. فيلة عبد العباس حسن الأسدي، معاني القبول والرّفوض في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية التّربية للبنات، قسم اللغة العربية، 1430هـ/2009م.
23. سليمان بن قاسم العيد، المنهاج التّبوي في دعوة الشّباب، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدّعوة والإحتساب، 1411هـ/1991م.
24. سلمى محمد سالم القرعان، منهج نبي الله موسى ﷺ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشّريعة والدّراسات الإسلامية، قسم أصول الدين، 1423هـ/2002م.

## بحوث ومقالات

1. رمضان محمد علي مبروك مطاريد، أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية في الجانب النظري، مذكرة دراسية جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
2. رندة محمد زينو، العمل التطوعي في السنة النبوية دراسة موضوعية، جامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين، قسم الحديث وعلومه، 1428هـ/2007م.
3. محمد بن إبراهيم الحمد، بحث حول الرحمة والعظمة في السيرة النبوية، جامعة القصيم، كلية الشريعة، قسم أصول الدين والعقيدة، 1428هـ.
4. محمود خليل أبو دف، منهج النبي ﷺ في تقويم السلوك وكيفية الاستفادة منه في تعليمنا المعاصر، بحث مقدّم لمؤتمر تطوير برامج كليات التربية بالوطن العربي في ضوء المستجدات المحلية والعالمية، كلية التربية، جامعة الزقازيق، 2006م.
5. محمد بن سامي منياوي، بحث أساليب الدعوة ووسائلها، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.
6. محمد أحمد مصلح الوعيل، مقال حول القول الحسن في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية، مجلة جامعة الناصر، العدد 7، 2016م.
7. نافذ حماد وآخر، العمل التطوعي ومجالاته الاجتماعية في السنة النبوية دراسة موضوعية، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم الحديث، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية، مج 19، العدد 1.
8. نبهان حسون السعدون، بحث حول مشاهد من قصّة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج 1، العدد 12، 1433هـ/2012م.
9. هيفاء محمد الزبيدي، مقال: حول رعاية المسنين في التشريع الإسلامي، مجلة كلية التربية جامعة بغداد، العدد 75، 2012م.
10. صالح بن علي أبو عراد، الدعوة إلى الله من خلال الأنترنت، مقال، كلية المعلمين في أبها، 1426هـ.
11. هيفاء محمد الزبيدي، مقال: حول رعاية المسنين في التشريع الإسلامي، مجلة كلية التربية جامعة بغداد، العدد 75، 2012م.
12. مها عيسى إبراهيم صيدم، نحو خطاب دعوي مؤثر من خلال قصّة إبراهيم عليه السلام، بحث متطلب لمشروع تخرج 5499 في تخصص التربية الإسلامية، رفح، جامعة القدس المفتوحة، 2010م.

13. فريق من المتخصصين، الدّراسات الاجتماعية والوطنية 1، النّظام الفصلي للتّعليم الثانوي، كتاب الطّالب، الرّياض، وزارة التّعليم، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النّشر، 1436هـ/2016م.
14. حيدر حسن حمزة وآخر، كتاب الأصنام لابن الكلبي، دراسة تاريخيّة تحليليّة، جامعة بابل، كلّية التربية، مجلّة كلّية التّربية، العدد 17، 2014م.
15. مصعب حمود، الاختراع في الكنايات النّبويّة وأثره في كلام العرب، كلّية الشّريعة، قسم علوم القرآن والسّنّة، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الإقتصاديّة والقانونيّة، مج 26، العدد 1، 2010م.
16. أيمن محمّد عبد العزيز عمرو، أسلوب القصّة وأغراضه التّربوية في الصّحّاحين، مجلّة جامعة الخليل للبحوث، المجلد 9، العدد 1، 2014م.
17. بحث النّظرية السيّسيولوجية الحديثة، السنة الثانية علم الاجتماع pdf، 2016/2015م.
18. بحث جماليات المفردة القرآنية، مركز القائمية بأصفهان للتّحرّيات الكمبيوترية، طباعة دار المكتبي بسوريا.
19. سوسن محمّد عثمان جابر وآخر، بحث حول جماليات الأسلوب الكنائي في الأحاديث القدسية، مجلّة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السّودان للعلوم والتكنولوجيا، كلّية العلوم، قسم اللّغة العربية، كلّية اللغات 2018م.
20. وليد صلاح الدّين الزير، بحث ضوابط الحاجة التي تنزل منزلة الضّرورة وتطبيقاتها على الإجتهدات المعاصرة، جامعة دمشق، كلّية دمشق، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الإقتصاديّة والقانونيّة، مج 26، العدد 1، 2010م.
21. محمّد بنّ علي بنّ جميل المطري، نبيّ الرّحمة محمّد رسول الله ﷺ، بحث مقدّم في مسابقة علمية عالمية مخصّصة للعام الهجري 1428هـ، بصنعاء.
22. عودة عبد عودة عبد الله، الكلمة الطيّبة وأثرها في الدّعوة إلى الله من منظور قرآني، مجلّة معهد الإمام الشّاطبي، معهد الإمام الشّاطبي للدّراسات القرآنية، 2014م.
23. عودة عبد عودة عبد الله، الكلمة الطيّبة وأثرها في الدّعوة إلى الله، من منظور قرآني، نشر في مجلّة معهد الإمام الشّاطبي للدّراسات القرآنية، 2014م.
24. عمران عزّت يوسف بخيت، الرحمة الإلهية دراسة قرآنية، جامعة النّجاح الوطنية، كلّية الدّراسات العليا، رسالة ماجستير، 2009م.
25. بربر محمّد أحمد سناوه، أسماء الإشارة دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا، كلّية الآداب، قسم اللّغة العربية، 2007م.

26. صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح، معالجة مشكلة الفقر في الفكر الإسلامي مع بعض التطبيقات العملية المعاصرة، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد 45، ذو القعدة 1429هـ.
27. سارة بنت عبد الله جمعة البلوشي، فقه الدعوة من أمثال النبي ﷺ، المملكة العربية السعودية، جامعة طيبة بالمدينة المنورة، كلية التربية والعلوم الإنسانية، 1425هـ.
28. خالد بن محمد الماجد، بحث حول أحكام التعامل مع غير المسلمين pdf، 1425هـ.
29. خالد حسين حمدان، بحث بصائر عقديّة في حديث «مثل المذهن في حدود الله» دراسة وصفية تحليلية، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية، مج 18، 2010، صفحته في المجلة 136.
30. خلود شاكر فهد العبدلي، خلق الرحمة ومنهج القرآن الكريم في الترغيب فيه، بحث مقدّم في المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، كلية التربية، قسم الدراسات الإسلامية، د، ت.
31. إبراهيم بن صالح الحميدان، الإقناع والتأثير دراسة تأصيلية دعوية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب (مجلة جامعة الإمام، العدد 49، 1426هـ).
32. جنان محمد مهدي العقيد، لغة الحكمة وإقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي، مجلة العميد فصلية محكمة، العدد 2، السنة الثانية، 1434هـ/2013م.
33. أميرة بنت علي الصاعدي، بحث: هدي النبي ﷺ في التعامل مع أهل بيته، د، ت.
34. أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، المجلد 26، العدد 2، 2010م.
35. الجوهرة بنت صالح بن حمود الطريقي، بحث: بعنوان الهدية وأثرها في الدعوة إلى الله، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، د، ت.
36. آلاء بنت عبد الرحمن بن رجب كنكار، أساليب الدعوة ووسائلها، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.
37. حسين عبد عواد الدليمي، أسلوب الرفق في دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد 16، مج 4، 2013م.
38. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث القدوة مبادئ ونماذج، د، ت.
39. عبد اللطيف مصطفى أحمد الأسطل، مراعاة أحوال الناس في ضوء السنة النبوية، غزة، الجامعة الإسلامية، أصول الدين، قسم الحديث وعلومه، 1429هـ/2008م.

## فهرس الآيات القرآنية

| الصفحة | رقم الآية | السورة   |
|--------|-----------|----------|
| 43     | 31        | آل عمران |
| 44     | 58        | مریم     |
| 44     | 2-1       | طه       |
| 44     | 3         | الشعراء  |
| 44     | 6         | الكهف    |
| 44     | 8         | فاطر     |
| 44     | 4         | الفتح    |
| 44     | 1         | الشرح    |
| 45     | 23-22     | الزمر    |
| 56-45  | 13        | لقمان    |
| 45     | 68-62     | الأعراف  |
| 71-46  | 57        | يونس     |
| 47     | 25-23     | غافر     |
| 47     | 87-83     | الصافات  |
| 47     | 42-41     | مریم     |
| 47     | 40        | البقرة   |
| 48     | 47        | البقرة   |
| 48     | 20        | المائدة  |
| 48     | 67        | العنكبوت |
| 48     | 4         | القلم    |
| 49     | 120       | النحل    |
| 49     | 44        | ص        |
| 49     | 62        | المائدة  |
| 50-49  | 5-1       | المسد    |

| الصفحة         | رقم الآية | السورة   |
|----------------|-----------|----------|
| 02             | 36        | النحل    |
| 02             | 25        | الحديد   |
| 02             | 90        | الأنعام  |
| 06             | 44        | طه       |
| 06             | 83        | البقرة   |
| 12             | 48        | المائدة  |
| 18             | 41-40     | النازعات |
| 18             | 216       | البقرة   |
| 19             | 36        | النساء   |
| 19             | 190       | البقرة   |
| 55-54-53-21-19 | 159       | آل عمران |
| 19             | 128       | التوبة   |
| 19             | 29        | الفتح    |
| 19             | 54        | المائدة  |
| 283-20         | 165       | البقرة   |
| 20             | 84        | طه       |
| 22             | 78        | النحل    |
| 23             | 23        | البقرة   |
| 23             | 60        | غافر     |
| 24             | 31        | الأحقاف  |
| 453-449-25     | 2         | الجمعة   |
| 45-41          | 125       | النحل    |
| 43             | 52        | الشورى   |
| 43             | 9         | الإسراء  |



| السورة       | رقم الآية | الصفحة |
|--------------|-----------|--------|
| النساء       | 10        | 78     |
| الأنبياء     | 22-21     | 78     |
| النحل        | 125       | 78     |
| الحشر        | 21        | 79     |
| الأعراف      | 176       | 79     |
| يوسف         | 111       | 79     |
| الذَّارِيَات | 20        | 79     |
| فصلت         | 53        | 80     |
| الأحزاب      | 21        | 80     |
| البقرة       | 17        | 81     |
| الصافات      | 93        | 82     |
| سبأ          | 46        | 82     |
| الحج         | 46        | 84     |
| محمد         | 24        | 84     |
| مريم         | 58        | 86     |
| يوسف         | 6         | 86     |
| الحج         | 75        | 86     |
| الأنعام      | 124       | 86     |
| طه           | 41        | 86     |
| العنكبوت     | 14        | 88     |
| نوح          | 2         | 88     |
| هود          | 27        | 88     |
| إبراهيم      | 10        | 88     |
| الأعراف      | 63        | 88     |
| هود          | 28        | 89     |

| السورة   | رقم الآية | الصفحة     |
|----------|-----------|------------|
| هود      | 4-3-2     | 50         |
| نوح      | 12-9      | 51         |
| مريم     | 45-43     | 51         |
| مريم     | 46        | 52         |
| مريم     | 48-47     | 52         |
| إبراهيم  | 15-11     | 52         |
| طه       | 44-43     | 54         |
| النازعات | 24        | 54         |
| الزخرف   | 89-88     | 54         |
| النساء   | 8         | 55         |
| البقرة   | 83        | 55         |
| مريم     | 42-41     | 56         |
| هود      | 84        | 56         |
| المائدة  | 2         | 56         |
| النساء   | 114       | 57         |
| آل عمران | 103       | 73-57      |
| الحج     | 28        | 57         |
| الإنسان  | 8         | 287-57     |
| الأنبياء | 107       | 304-279-66 |
| النساء   | 63        | 69         |
| التوبة   | 6         | 306-69     |
| التحریم  | 6         | 71         |
| العنكبوت | 46        | 71         |
| هود      | 89        | 71         |
| الحج     | 46        | 75         |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 98      | 41        | النمل    |
| 98      | 44        | طه       |
| 98      | 33-29     | الشعراء  |
| 99      | 143       | الأعراف  |
| 99      | 101       | الإسراء  |
| 99      | 260       | البقرة   |
| 99      | 93        | الصفافات |
| 100     | 165       | النساء   |
| 101     | 134       | طه       |
| 102     | 46-45     | هود      |
| 102     | 22        | المجادلة |
| 103     | 14-10     | نوح      |
| 103     | 12        | نوح      |
| 104     | 61        | الأعراف  |
| 104     | 28        | هود      |
| 105-104 | 59        | الأعراف  |
| 106     | 20-13     | نوح      |
| 106     | 04-03     | نوح      |
| 106     | 12-10     | نوح      |
| 106     | 62-61     | الأعراف  |
| 107     | 168-167   | الشعراء  |
| 108     | 25        | العنكبوت |
| 109     | 45-43     | مریم     |
| 109     | 42        | مریم     |
| 109     | 46        | مریم     |

| الصفحة | رقم الآية | السورة   |
|--------|-----------|----------|
| 105-89 | 62-61     | الأعراف  |
| 89     | 20-13     | نوح      |
| 89     | 32        | هود      |
| 89     | 26        | نوح      |
| 92-90  | 83        | الأنعام  |
| 90     | 74-69     | الشعراء  |
| 91     | 82-74     | الأنعام  |
| 91     | 47        | مریم     |
| 100-91 | 258       | البقرة   |
| 92     | 78        | الأنعام  |
| 92     | 43-42     | مریم     |
| 92     | 95        | الصفافات |
| 93     | 36-17     | طه       |
| 94-93  | 54-49     | طه       |
| 94     | 50        | طه       |
| 94     | 28-23     | الشعراء  |
| 95     | 117-116   | المائدة  |
| 95     | 88        | هود      |
| 96-95  | 86-84     | الأعراف  |
| 96     | 87        | هود      |
| 96     | 85        | الأعراف  |
| 96     | 84        | هود      |
| 96     | 91        | هود      |
| 97     | 186       | آل عمران |
| 98     | 41        | النمل    |

| السورة   | رقم الآية | الصفحة      |
|----------|-----------|-------------|
| يوسف     | 111       | 153         |
| النحل    | 61        | 154         |
| فاطر     | 45        | 154         |
| البقرة   | 165       | 155         |
| الأنبياء | 90        | 183-163-155 |
| الشرح    | 8-7       | 155         |
| الحشر    | 13        | 163         |
| القصص    | 32        | 163         |
| الشمس    | 10-7      | 164         |
| نوح      | 4-1       | 164         |
| الشعراء  | 214       | 166         |
| هود      | 88        | 168         |
| البقرة   | 44        | 168         |
| النور    | 22        | 169         |
| الأعراف  | 154       | 170         |
| الإسراء  | 57        | 170         |
| مريم     | 29        | 172         |
| آل عمران | 37        | 172         |
| آل عمران | 41        | 173         |
| الرحمان  | 56        | 177         |
| الأعراف  | 156       | 178         |
| الكهف    | 29        | 179         |
| آل عمران | 169       | 378-180     |
| الإسراء  | 18        | 188         |
| الأعراف  | 200-199   | 189         |

| السورة       | رقم الآية | الصفحة  |
|--------------|-----------|---------|
| مريم         | 48-47     | 110     |
| غافر         | 27-23     | 111     |
| طه           | 44-43     | 111     |
| غافر         | 43-38     | 113-112 |
| غافر         | 32        | 113     |
| المائدة      | 21-20     | 113     |
| إبراهيم      | 7         | 113     |
| الأعراف      | 86-85     | 114     |
| هود          | 89-84     | 115-114 |
| الأعراف      | 89-88     | 115     |
| الأنعام      | 90        | 122     |
| النحل        | 125       | 134-127 |
| الزمر        | 23        | 130     |
| التوبة       | 128       | 133     |
| النساء       | 63        | 134     |
| طه           | 44        | 134     |
| هود          | 68-62     | 134     |
| الأعراف      | 120       | 134     |
| إبراهيم      | 24        | 134     |
| الطلاق       | 2         | 135     |
| الذَّارِيَات | 55        | 136     |
| الأعراف      | 199       | 139     |
| الفرقان      | 63        | 140     |
| القصص        | 11        | 150     |
| يوسف         | 3         | 150     |

| الصفحة      | رقم الآية | السورة   |
|-------------|-----------|----------|
| 234         | 9         | القلم    |
| 238         | 45-42     | مریم     |
| 238         | 17        | لقمان    |
| 240         | 113       | التوبة   |
| 240         | 56        | القصص    |
| 240         | 214       | الشعراء  |
| 246-245-244 | 128       | التوبة   |
| 245-244     | 9         | النساء   |
| 245-244     | 26        | الإسراء  |
| 244         | 140       | آل عمران |
| 246-245     | 2         | فاطر     |
| 245         | 140-139   | آل عمران |
| 248         | 75        | الأنفال  |
| 255-250-249 | 92        | آل عمران |
| 273-250     | 128       | التوبة   |
| 264-251     | 2         | المائدة  |
| 252-251     | 9         | الحشر    |
| 251         | 114-85    | النساء   |
| 252         | 80        | غافر     |
| 263-255     | 148       | البقرة   |
| 263-255     | 77        | الحج     |
| 255         | 215       | البقرة   |
| 548-255     | 28        | الحج     |
| 263         | 92        | آل عمران |
| 276-273     | 164       | آل عمران |

| الصفحة      | رقم الآية | السورة   |
|-------------|-----------|----------|
| 197-196     | 2         | النور    |
| 198         | 43        | الأحزاب  |
| 200         | 41        | غافر     |
| 275-208-201 | 159       | آل عمران |
| 306-202     | 128       | التوبة   |
| 202         | 118       | المائدة  |
| 203         | 20-19     | الجن     |
| 208-207     | 4         | إبراهيم  |
| 207         | 116       | النحل    |
| 214-210-207 | 44        | طه       |
| 207         | 9-8       | البقرة   |
| 208         | 84        | هود      |
| 211         | 53        | الإسراء  |
| 211         | 24        | الحج     |
| 211         | 83        | البقرة   |
| 211         | 8         | النساء   |
| 211         | 28        | الإسراء  |
| 214         | 16        | الحديد   |
| 215         | 152-150   | الشعراء  |
| 217         | 34        | فصلت     |
| 217         | 22        | الرعد    |
| 223-220     | 185       | البقرة   |
| 221         | 33        | فصلت     |
| 223         | 78        | الحج     |
| 449-310-227 | 4         | القلم    |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 311     | 65        | آل عمران |
| 312     | 81        | آل عمران |
| 312     | 6         | الصف     |
| 312     | 8         | المتحنة  |
| 313     | 6         | الكافرون |
| 314     | 6         | التوبة   |
| 319     | 181       | آل عمران |
| 319     | 64        | المائدة  |
| 320     | 30        | التوبة   |
| 321     | 64        | آل عمران |
| 322     | 96        | المؤمنون |
| 323     | 148       | النساء   |
| 324     | 9-8       | المتحنة  |
| 325     | 85        | الإسراء  |
| 327     | 30        | الأنفال  |
| 327     | 8         | الصف     |
| 328     | 100       | البقرة   |
| 328     | 67        | التوبة   |
| 329     | 8         | البقرة   |
| 330-329 | 145       | النساء   |
| 329     | 101       | التوبة   |
| 329     | 14        | البقرة   |
| 330     | 143-142   | النساء   |
| 330     | 89        | النساء   |
| 331     | 45        | التوبة   |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 274     | 43        | فصلت     |
| 274     | 29        | هود      |
| 280     | 19        | آل عمران |
| 280     | 85        | آل عمران |
| 282     | 20        | الحديد   |
| 282     | 48        | القصص    |
| 282     | 89        | الإسراء  |
| 282     | 6         | البقرة   |
| 283     | 18        | يونس     |
| 284     | 4         | ص        |
| 285     | 6         | الحجر    |
| 285     | 35        | الأحقاف  |
| 285     | 127       | النحل    |
| 293     | 1         | الفتح    |
| 294     | 7         | المتحنة  |
| 295     | 39        | الشورى   |
| 300     | 126       | النحل    |
| 300     | 200-199   | الأعراف  |
| 501-300 | 34        | فصلت     |
| 301     | 28        | غافر     |
| 306     | 13        | المائدة  |
| 308     | 39        | الحج     |
| 310-309 | 256       | البقرة   |
| 310     | 53        | البقرة   |
| 310     | 48        | الأنبياء |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 380     | 6-5       | المؤمنون |
| 384     | 6         | التحریم  |
| 396     | 85        | آل عمران |
| 399-397 | 23        | الفرقان  |
| 403     | 133       | البقرة   |
| 403     | 39        | يوسف     |
| 405     | 4         | الممتحنة |
| 405     | 28-26     | الزخرف   |
| 405     | 71        | التوبة   |
| 405     | 6-1       | الكافرون |
| 405     | 41        | المائدة  |
| 405     | 6         | الكهف    |
| 405     | 3         | الشعراء  |
| 408     | 66-65     | الزّمر   |
| 410     | 31        | آل عمران |
| 414     | 113       | التوبة   |
| 414     | 56        | القصص    |
| 419     | 24        | الأنفال  |
| 421     | 6-5       | الليل    |
| 422     | 103       | الأعراف  |
| 422     | 56        | البقرة   |
| 422     | 115       | المؤمنون |
| 422     | 3-1       | البقرة   |
| 422     | 31        | الأنعام  |
| 423     | 68        | الزّمر   |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة    |
|---------|-----------|-----------|
| 331     | 26-25     | فاطر      |
| 331     | 33        | الأنعام   |
| 331     | 5         | المنافقون |
| 331     | 118       | آل عمران  |
| 331     | 73        | التوبة    |
| 332     | 49        | الأنفال   |
| 332     | 74        | التوبة    |
| 333     | 66        | التوبة    |
| 333     | 141       | النساء    |
| 334     | 88        | النساء    |
| 334     | 120       | آل عمران  |
| 335     | 84        | التوبة    |
| 337     | 8         | المنافقون |
| 341     | 57        | المائدة   |
| 342     | 40        | النمل     |
| 342     | 48        | الأحزاب   |
| 344     | 164       | آل عمران  |
| 345     | 19        | النساء    |
| 351     | 133       | آل عمران  |
| 353     | 19        | النور     |
| 354     | 33-32     | النور     |
| 356     | 129       | النساء    |
| 362     | 11        | الحجرات   |
| 369     | 59        | الأحزاب   |
| 371-370 | 54        | الروم     |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 465-464 | 200       | آل عمران |
| 465     | 31        | الفرقان  |
| 465     | 48        | الشورى   |
| 466     | 35        | الأحقاف  |
| 466     | 17        | ص        |
| 467     | 7         | المدثر   |
| 471     | 3         | العنكبوت |
| 471     | 31        | محمد     |
| 471     | 142       | آل عمران |
| 471     | 60        | الروم    |
| 472     | 49        | هود      |
| 473     | 17        | لقمان    |
| 475     | 85-83     | الأنبياء |
| 478     | 27        | الحديد   |
| 478     | 23        | الشورى   |
| 482     | 64        | آل عمران |
| 484-483 | 54        | المائدة  |
| 484     | 157       | آل عمران |
| 490     | 47        | الحجر    |
| 493     | 37        | الإسراء  |
| 494     | 88        | الحجر    |
| 494     | 40        | النمل    |
| 494     | 78        | القصص    |
| 498     | 28        | الكهف    |
| 498     | 215       | الشعراء  |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 423     | 104       | الأنبياء |
| 424-423 | 51-49     | الإسراء  |
| 425     | 117       | المائدة  |
| 427     | 260       | البقرة   |
| 427     | 9         | الإنسان  |
| 430     | 57        | مریم     |
| 430     | 151       | الأنعام  |
| 431     | 53        | مریم     |
| 431     | 158       | الأعراف  |
| 432     | 77        | الحج     |
| 435     | 81        | الإسراء  |
| 435     | 216       | الشعراء  |
| 437     | 90        | النحل    |
| 440     | 122       | الأنعام  |
| 440     | 9         | الحديد   |
| 441     | 42        | فصلت     |
| 441     | 88        | الإسراء  |
| 441     | 13        | هود      |
| 441     | 38        | الأنعام  |
| 443     | 23        | الزمر    |
| 446     | 62        | يونس     |
| 450     | 177       | البقرة   |
| 451     | 133       | آل عمران |
| 458-453 | 4         | القلم    |
| 457     | 40        | فصلت     |



| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 529     | 183       | البقرة   |
| 532     | 16        | السجدة   |
| 535     | 81        | الكهف    |
| 536-535 | 21        | النور    |
| 536     | 83        | البقرة   |
| 540-536 | 103       | التوبة   |
| 536     | 60        | التوبة   |
| 537     | 58        | التوبة   |
| 537     | 25-24     | المعارج  |
| 538     | 180       | آل عمران |
| 547     | 97        | التوبة   |
| 553     | 104       | النساء   |

| الصفحة  | رقم الآية | السورة   |
|---------|-----------|----------|
| 501     | 96        | المؤمنون |
| 505     | 3         | الضحى    |
| 509     | 32        | المائدة  |
| 511     | 21        | الأحزاب  |
| 511     | 3-2       | الصف     |
| 512     | 63        | الأنفال  |
| 513-512 | 18        | الجاثية  |
| 513     | 13        | الشورى   |
| 514     | 48        | المائدة  |
| 528-518 | 45        | العنكبوت |
| 518     | 79        | الإسراء  |
| 517     | 143       | البقرة   |

## فهرس الأحاديث النبوية

| الصفحة | الحديث                                                                           |
|--------|----------------------------------------------------------------------------------|
| 14     | «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ... خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»        |
| 14     | «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما على الأرض من عبد .. إلى آخر الحديث»               |
| 14     | «أني بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي: قم، .. إلى آخر الحديث»                 |
| 15     | «رأيت خيراً أما المنهج العظيم فالمحشر»                                           |
| 17     | «تري المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ... إلى آخر الحديث»          |
| 20     | «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله»                                       |
| 20     | «ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه ... »        |
| 23     | «الدعاء هو العبادة»                                                              |
| 25     | «أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية .. حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ... »         |
| 55     | «إني أرى صفة رسول الله ﷺ .... ولا يجزي السيئة، ولكن يعفو ويصفح»                  |
| 55     | «من يحرّم الرفق يحرّم الخير»                                                     |
| 58     | «وعظنا يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ... ووجلّت منها القلوب»                 |
| 59     | «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه»                      |
| 59     | «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى»                   |
| 59     | «قلت يا رسول الله: أخبرني بعمل في الإسلام .. ؟ ... ثم استقم فأشار إلى لسانه»     |
| 60     | «من كانت الآخرة همّه»                                                            |
| 60     | «أكثرُوا ذكر هادم اللذات»                                                        |
| 63     | «ألا خبركم عن التفرّ الثّلاثة؟ ... فاستحيا الله منه، وأمّا الآخر فأعرض الله عنه» |
| 64     | «إنّ أهل الدّرجات العلى لُيراهم ... وإنّ أبا بكر وعمر منهم وأنعماء»              |
| 64     | «من يُطع الله ورسوله فقد رَشِدَ، ... بئس الخطيب أنت قل: ومن يعص الله ورسوله»     |
| 65     | «إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم»                                             |
| 65     | «لا تكذبوا عليّ، فإنه من كذب عليّ فليج النار»                                    |
| 66     | «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»                                         |

| الصفحة | الحديث                                                                                                                   |
|--------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 67     | «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، ... لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»                                             |
| 69     | «ألا وإنَّ في الجسدِ مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، ... ألا وهي القلب»                                                     |
| 70     | «الأرواح جنود مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»                                                        |
| 70     | «من دخل دار أبا سفيان فهو آمن، ...، ومن دخل المسجد فهو آمن»                                                              |
| 70     | «قد أجرنا من أجزت وآمنا من آمنت»                                                                                         |
| 79     | «إذا نسي فأكل وشرب، فليتمَّ صومه، فإنَّما أطعمه الله وسقاه»                                                              |
| 79     | «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، ... سفينة ... الحديث»                                                           |
| 80     | «صلُّوا كما رأيتموني أصلي»                                                                                               |
| 81     | «والله لو أنَّ فاطمة بنت محمَّد سرت لقطعت يدها                                                                           |
| 81     | «مثلي ومثلي الأنبياء كمثلي رجل بنى بُنيانًا فأحسنه وأجملَّه، فجعل النَّاس يطوفون به،<br>يقولون: ما رأينا ... آخر الحديث» |
| 82     | «مَنْ رأى منكم منكراً؛ فليُغيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ... وذلك أضعف الإيمان»                                   |
| 84     | «أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب النَّاس بالشاة والبعير، ... شعب الأنصار»                                             |
| 85     | «لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعتُ محمَّداً مرَّتين، لا يلدغ المؤمن ...»                                            |
| 85     | «أليس أمركم النَّبيُّ ﷺ أن تُطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً فجمعوا ...»                                       |
| 87     | «والأنبياء إخوةٌ من علَّاتٍ، وأمَّهاتهم شتى ودينهم واحد»                                                                 |
| 118    | «الكلمة الطيبة صدقة»                                                                                                     |
| 119    | «زَيَّنُوا القرآن بأصواتكم»                                                                                              |
| 135    | «كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام كراهة السَّامة علينا»                                                      |
| 135    | «أنَّ النَّبيَّ ﷺ وعظنا يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ...»                                          |
| 137    | «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابيُّ فقام يبول في المسجد، ...»                                           |
| 138    | «عرض علي أناسٌ من أمِّي يركبون ظهر البحر الأخضر كالمملوك على الأسرة، ...»                                                |
| 139    | «اللَّهُم ارحمني ومحمَّداً ولا ترحم معنا أحداً»                                                                          |

| الصفحة | الحديث                                                                                                                                                              |
|--------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 141    | «دعوه لا تزرموه»                                                                                                                                                    |
| 143    | «لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني...»                                                                                         |
| 143    | «لقيّ والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحيّ من الأنصار ... إلى آخر الحديث»                                                |
| 144    | «قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المئة من الإبل                                                       |
| 149    | «فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا»                                                                                                                         |
| 152    | «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ ... إلى آخر الحديث»       |
| 153    | «يا ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا لقيتُك بقرابها مغفرةً»                                                                                                      |
| 154    | «أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية ... إلى آخر الحديث»                    |
| 157    | «يا قوم: أسلموا فإنّ محمّداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر»                                                                                                           |
| 157    | «وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلّا أعطاه، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلّا الدُّنيا فما يلبث إلّا يسيراً حتّى يكون الإسلام أحبُّ إليه من الدنيا وما عليها» |
| 158    | «يا سعد إنّي لأعطي الرجلَ وغيره أحبُّ إليّ منه خشية أن يُكِبَّه الله في التَّار»                                                                                    |
| 161    | «أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»                                                                                                                                   |
| 162    | «اللهم لا عيشَ إلّا عيشُ الآخرة»                                                                                                                                    |
| 162    | «إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبُّه، إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبُّوه فيحبُّه أهل السَّماء ثمَّ يوضع له القبول في أهل الأرض»             |
| 168    | «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»                                                                                                                                   |
| 169    | «أنّ قرينشا أهمهم شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يُكلِّم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلّا أسامةُ بنُ زيدٍ حبُّ رسول الله ﷺ ...»            |

| الصفحة | الحديث                                                                                                                                                                                                             |
|--------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 169    | «لو أن أقرب الناس إليه فاطمة سرقت لقطعت يدها»                                                                                                                                                                      |
| 170    | «إني لأخشاكم لله وأتقاكم لله»                                                                                                                                                                                      |
| 170    | «والله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية»                                                                                                                                                                          |
| 171    | «إن الله عزّ وجلّ ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار...»                                                                                                                                         |
| 173    | «أنا وكافل اليتيم في الجنة وقال بأصبعيه السبابة والوسطى»                                                                                                                                                           |
| 174    | «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو وضّم أصابعه»                                                                                                                                                    |
| 174    | «قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل ربّي الله ثمّ استقم قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه ثمّ قال: هذا»                                                                           |
| 175    | «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله... إلى آخر الحديث» |
| 178    | «لقد حجرت واسعا»                                                                                                                                                                                                   |
| 178    | «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، إنكحي أسامة بن زيد فكرهته، ثمّ قالت: فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت به»                                                                       |
| 179    | «قلت يا رسول الله إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني، ثمّ قلت: مثل ذلك، فسكت عني،... على ذلك أو ذر»                                                                         |
| 179    | «لقد جفّ القلم بما أنت لاق فاخصص على ذلك أو ذر»                                                                                                                                                                    |
| 181    | «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد»      |
| 183    | «كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبيّ التوبة ونبيّ الرحمة»                                                                                                              |
| 184    | «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»                                                                                                                                       |

| الصفحة | الحديث                                                                                                                                                                |
|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 180    | «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس عامة»                                                                                                                  |
| 181    | «إنَّ من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكماً»                                                                                                                          |
| 181    | «إنَّ من الشعر حكمة»                                                                                                                                                  |
| 183    | «الأنصار شعارٌ والناس دثارٌ»                                                                                                                                          |
| 183    | «أَسْلَمَ سالمها الله، وغَفَرَ الله لها»                                                                                                                              |
| 184    | «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصيهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»                                                          |
| 186    | «يا عويش قولي: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ اغفر لي ذنبي وإذهب غيظ قلبي...»                                                                                |
| 187    | «اللَّهُمَّ أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية»                                                                                              |
| 189    | «أريتُم لو أنَّ نَهْرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرَّات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك الصَّلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»      |
| 190    | «مثلُ المؤمن الذي يقرأ القرآنَ كمثل الأترجةَ ريحها طيبٌ وطعمها طيبٌ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآنَ كمثل التَّمرة لا ريح لها وطعمها حلوٌ، ... لها ريحٌ وطعمها مرٌّ» |
| 199    | «اللَّهُمَّ أعزِّ الإسلامَ بأحبِّ هَذيْن الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ يَا بِي جَهْلٍ أَوْ بُعْمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ»                                                        |
| 200    | «إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيءٍ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليحدِّ أحدكم شِفْرَتَهُ فليرح ذبيحته»                                |
| 201    | «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويوقرَّ كبيرنا»                                                                                                                          |
| 204    | «يا أيُّها النَّاسُ إنَّ منكم منقَرين»                                                                                                                                |
| 208    | «يا عائشة لا تكوني فحَّاشةً فإنَّ الفحش لو كان رجلاً لكان رجل سوء»                                                                                                    |
| 209    | «يا بني عبد الله، إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أحسن إسمَ أبيكم»                                                                                                            |
| 209    | «ليس المؤمن بالطَّعان ولا اللَّعَّان ولا الفاحش ولا البذيء»                                                                                                           |
| 209    | «قل يا أبا الوليد، والتفت إليه بهدوء تام، حتى انتهى من كلامه ثم قال: أقَد فرغت يا أبا الوليد؟، قال: نعم»                                                              |

| الصفحة | الحديث                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 210    | «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ... إلا أربع سنين»                                                                                                                                                                                                                                                                               |
| 213    | «وَاتَّبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ، تَمَحُّهَا وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»                                                                                                                                                                                                                                                                |
| 214    | «الرَّفْقُ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»                                                                                                                                                                                                                                                         |
| 214    | «مَنْ يَحْرِمَ الرَّفْقَ يَحْرِمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ»                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| 219    | «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي مَعْنَتًا لَا مَتَعْنَتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيَّسَّرًا»                                                                                                                                                                                                                                                      |
| 219    | «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»                                                                                                                                                                                                                       |
| 220    | «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»                                                                                                                                                                                             |
| 220    | «إِنَّمَا بَعَثْتُمْ مَيَّسَّرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسَّرِينَ»                                                                                                                                                                                                                                                                                  |
| 221    | «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ... آخر الحديث»                                                                                                                                                                               |
| 222    | «المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ»                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| 227    | «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش»                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| 237    | «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمانُ وَأَنْ تَمَلَّ قِراءَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمِعَ مِنْ قَوِّي وَمِنْ شَبَابِي قَالَ: إِقْرَأْهُ فِي عَشْرَةِ، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمِعَ مِنْ قَوِّي وَشَبَابِي، قَالَ: إِقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمِعَ مِنْ قَوِّي وَشَبَابِي فَأَبَى» |
| 241    | «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ، رُدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَإِتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»                                                                                                                                                                                   |
| 244    | «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَّلًا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»                                                                                                                                                               |
| 243    | «إِنِّي لِأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أَرِيدُ أَنْ أَطُولَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي، كِرَاهِيَةً أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمِّهِ»                                                                                                                                                                                    |



| الصفحة | الحديث                                                                                                                                                                                                                                                      |
|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 246    | «بَخِ ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ، بَخِ ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ» |
| 248    | «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيُعَجِّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتُضِلُّ الرَّاحِلَةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ»                                                                                                                                     |

فهرس الأعلام

| الصفحة | الأعلام                       | العدد |
|--------|-------------------------------|-------|
| 82     | أبو عَزَّةَ الجمحي            | 1     |
| 136    | أُمُّ حرام                    | 2     |
| 187    | أبو ذَرَّ الغفاري             | 3     |
| 187    | ابنُ السَّوداء                | 4     |
| 258    | أبا اليَسَرَ                  | 5     |
| 282    | عمرو بنُ لحي                  | 6     |
| 284    | ثمَّامة بن أثال               | 7     |
| 288    | حصين بنُ عبيد بنُ خلف الخزاعي | 8     |
| 289    | فضالة بنُ عمير بن الملوحي     | 9     |
| 297    | دريد بن الصَّمَّة             | 10    |
| 301    | وَرَبْدُ الحَيْلِ             | 11    |
| 301    | عُيَيْنَةَ بنِ بَدْرِ         | 12    |
| 301    | عَلَقَمَةُ                    | 13    |
| 302    | طفيل بنُ عمرو                 | 14    |
| 306    | كعب بنُ أشرف                  | 15    |
| 314    | زيد بن سعة                    | 16    |
| 316    | إِبنُ سلام                    | 17    |
| 334    | مربع بنُ قيظي                 | 18    |
| 399    | أبو عزيز بنُ عمير بنُ هاشم    | 19    |
| 227    | إِبنُ عبد ياليل               | 20    |
| 415    | حُصَيْنُ الخزاعي              | 21    |

| الصفحة | الأعلام           | العدد |
|--------|-------------------|-------|
| 440    | الوليد بن المغيرة | 22    |
| 496    | أبا سُفْيَان      | 23    |
| 504    | عُمَيْرُ بن وهب   | 24    |
| 08     | روبرت ميتون       | 25    |
| 176    | أحمد ياسوف        | 26    |
| 101    | سيّد قطب          | 27    |
| 114    | محمد الغزالي      | 28    |
| 119    | سعيد حوى          | 29    |

## فهرس الموضوعات

- إهداء
- شكر وتقدير
- ملخص البحث

### الإطار المنهجي للدراسة

- 1- الإشكالية ..... 03
- 2- أسباب اختيار الموضوع ..... 05
- 3- أهمية موضوع الدراسة ..... 06
- 4- أهداف الدراسة ..... 07
- 5- تحديد مفاهيم الدراسة ..... 08
- 6- الدراسات السابقة ..... 28
- 7- المنهج المتبع ..... 32
- 8- أدوات جمع البيانات ..... 36

### الفصل الأول: المنهج العاطفي في دعوات الأنبياء عليهم السلام

- المبحث الأول: تأصيل المنهج العاطفي من خلال القرآن والسنة ..... 40
- المطلب الأول: تأصيل المنهج العاطفي من القرآن الكريم ..... 40
- المطلب الثاني: تأصيل المنهج العاطفي من السنة النبوية ..... 55
- المبحث الثاني: أهمية المنهج العاطفي وملازمته للمناهج الدعوية الأخرى ..... 65
- المطلب الأول: أهمية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله ..... 65
- المطلب الثاني: ملازمة المنهج العاطفي للمناهج الدعوية الأخرى ..... 70
- المبحث الثالث: المنهج العاطفي ومدى ارتباطه بدعوات الأنبياء عليهم السلام .. 83
- المطلب الأول: المناهج الدعوية في دعوات الأنبياء عليهم السلام ..... 84
- المطلب الثاني: المنهج العاطفي في دعوات الأنبياء عليهم السلام ..... 98
- الخلاصة ..... 122

## الفصل الثَّاني: أساليب المنهج العاطفي في دعوة النَّبي ﷺ

|                                                                            |     |
|----------------------------------------------------------------------------|-----|
| المبحث الأول: أسلوب الموعظة الحسنة .....                                   | 126 |
| المطلب الأول: مفهوم الأسلوب .....                                          | 126 |
| المطلب الثاني: مفهوم الموعظة الحسنة وأهميتها في الدَّعوة إلى الله .....    | 129 |
| المطلب الثالث: أثر أسلوب الموعظة الحسنة في دعوة النَّبي ﷺ .....            | 133 |
| المطلب الرابع: أشكال الموعظة في دعوة النَّبي ﷺ .....                       | 148 |
| المبحث الثاني: إثارة منابع الرَّأفة والرَّحمة .....                        | 194 |
| المطلب الأول: مفهوم الرَّأفة والرَّحمة وأهميتها في الدَّعوة إلى الله ..... | 194 |
| المطلب الثاني: صور من رحمة النَّبي ﷺ .....                                 | 199 |
| المطلب الثالث: أشكال إثارة منابع الرَّأفة والرَّحمة .....                  | 204 |
| المبحث الثالث: قضاء الحاجات وتأمين الخدمات .....                           | 249 |
| المطلب الأول : أسلوب قضاء الحاجات .....                                    | 250 |
| المطلب الثاني : أسلوب تأمين الخدمات .....                                  | 261 |
| الخلاصة .....                                                              | 274 |

## الفصل الثالث: أصناف المدعوين بالمنهج العاطفي في دعوة النَّبي ﷺ

|                                                                    |     |
|--------------------------------------------------------------------|-----|
| المبحث الأول: المنهج العاطفي في دعوة النَّبي ﷺ لغير المسلمين ..... | 278 |
| المطلب الأول: دعوة المشركين بالمنهج العاطفي .....                  | 279 |
| المطلب الثاني: دعوة أهل الكتاب بالمنهج العاطفي .....               | 308 |
| المطلب الثالث: منهج النَّبي ﷺ العاطفي في دعوة المنافقين .....      | 326 |
| المبحث الثاني: منهج النَّبي ﷺ العاطفي في دعوة المسلمين .....       | 342 |
| المطلب الأول: دعوة المسلمين باعتبار الجنس (ذكورًا وإناثًا) .....   | 342 |
| المطلب الثاني: دعوة المسلمين باعتبار السنِّ (فئة الضعفاء) .....    | 368 |
| الخلاصة .....                                                      | 391 |

## الفصل الرَّابِع: موضوعات المنهج العاطفي في دعوة النَّبي ﷺ

|     |                                                                                      |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------------|
| 395 | المبحث الأول: في مجال العقائد .....                                                  |
| 395 | المطلب الأول: مفهوم العقيدة وأهميتها في دعوة النَّبي ﷺ .....                         |
| 400 | المطلب الثاني: دعوة النَّبي ﷺ في ترسيخ عقيدة التَّوحيد .....                         |
| 420 | المطلب الثالث: دعوة النَّبي ﷺ في ترسيخ قضية البعث .....                              |
| 427 | المطلب الرابع: دعوة النَّبي ﷺ في تأكيد التَّبوَّة .....                              |
| 442 | المبحث الثاني: في مجال القيم والأخلاق .....                                          |
| 443 | المطلب الأول: مفهوم الأخلاق وأهميتها في الدَّعوة إلى الله .....                      |
| 451 | المطلب الثاني: استخدام النَّبي ﷺ للمنهج العاطفي في ترسيخ القيم والأخلاق الحميدة .... |
| 485 | المطلب الثالث: استخدام النَّبي ﷺ للمنهج العاطفي في التَّحذير من الأخلاق الذميمة ..   |
| 512 | المبحث الثالث: في مجال الشرائع .....                                                 |
| 512 | المطلب الأول: مفهوم الشريعة وأهميتها في الدَّعوة إلى الله .....                      |
| 517 | المطلب الثاني: دعوة النَّبي ﷺ إلى الحفاظ على الصَّلَاة بالمنهج العاطفي .....         |
| 529 | المطلب الثالث: دعوة النَّبي ﷺ إلى الصَّيام وبيان فضائله .....                        |
| 535 | المطلب الرابع: دعوة النَّبي ﷺ إلى الحفاظ على الزَّكاة .....                          |
| 547 | المطلب الخامس: دعوة النَّبي ﷺ إلى بيان أحكام الحج .....                              |
| 555 | الخلاصة .....                                                                        |
| 558 | الخاتمة والنتائج .....                                                               |
| 560 | التَّوصيات .....                                                                     |
| 563 | قائمة المصادر والمراجع .....                                                         |
| 597 | فهرس الآيات القرآنية .....                                                           |
| 606 | فهرس الأحاديث النبوية .....                                                          |
| 613 | فهرس الأعلام .....                                                                   |
| 615 | فهرس الموضوعات .....                                                                 |